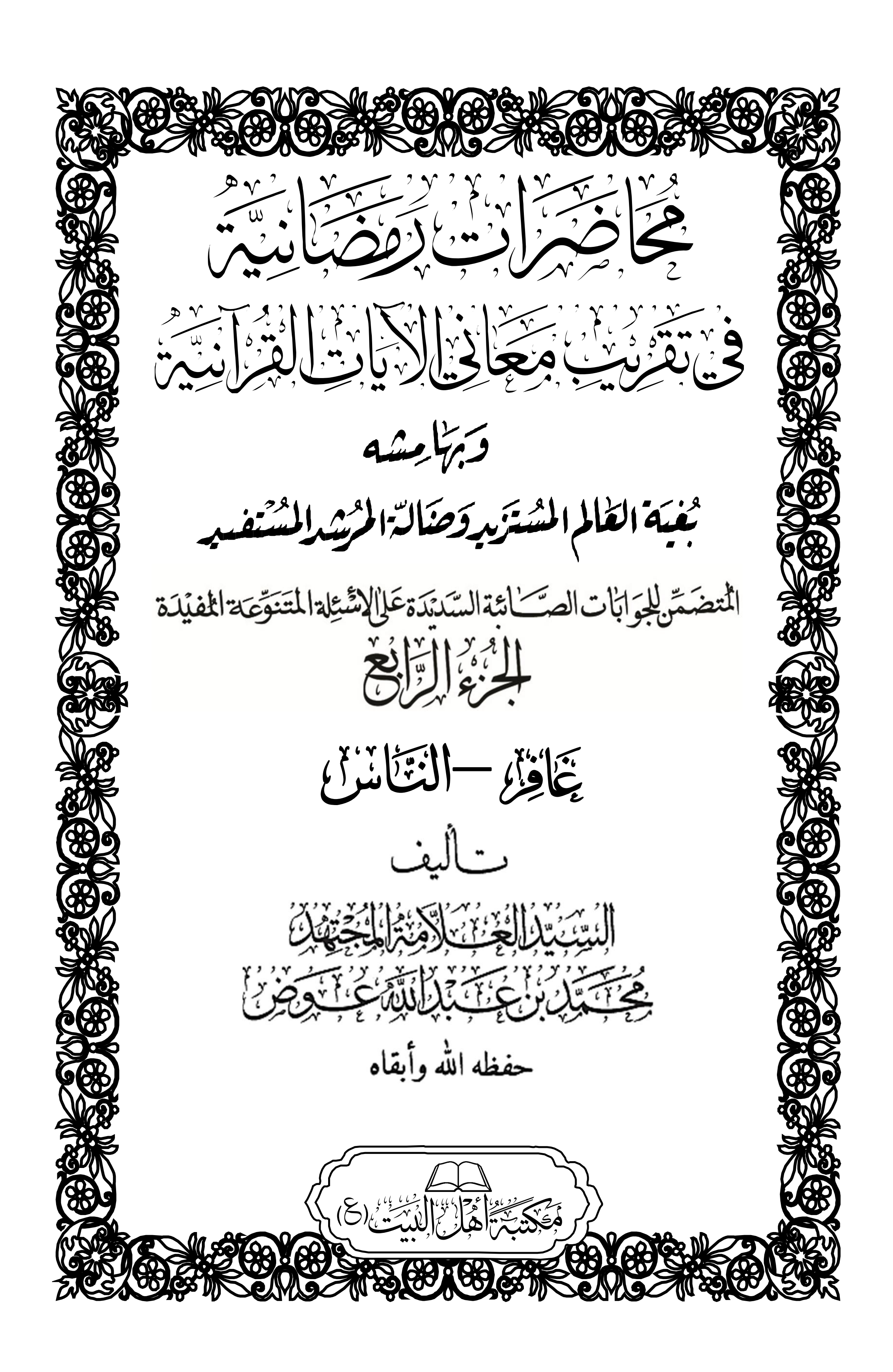


مُحاضَراتٌ رَمَضانيّة

في تقريبِ معاني الآياتِ القرآنيّة

وبهامشه

بُغيةُ العالمِ المُستزيدِ وضالّةُ المُرشدِ المُستفيد

المتضمّن للجوابات الصّائبة السّديدة على الأسئلة المتنوّعة المفيدة

الجزء الرّابع

غافر — النّاس

تأليف

السّيّد العلّامة المجتهد

محمّد بن عبدالله عوض

حفظه الله وأبقاه

مكتبة أهل البيت (ع)

صف وتحقيق وإخراج:



اليمن ـ صعدة ـ ت (٥٣١٥٨٠/ ٧١٣٨٤٢٩٨٩)

الطبعة الثانية

١٤٤١هـ

سورة غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حم۝١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ[1] اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ۝٢﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن هذا القرآن هو الكلام المنزل من عند الله سبحانه وتعالى الذي هو العزيز الغالب لكل شيء بقدرته والعالم بما تقتضيه الحكمة والمصلحة لجميع خلقه، وليس كما يقوله المشركون من أنه ليس إلا كلاماً افتراه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتقوَّله من عند نفسه، أو أنه تعلمه من الناس، أو أنه أصابه المس والجنون فصار يهذي بكلام السحر والشعوذة وكلام الشياطين: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ۝٢١٠ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ۝٢١١﴾ [الشعراء].

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾[2] ثم وصف الله تعالى نفسه بأنه غافر ذنوب التائبين[3] وفاتح أبواب التوبة لمن أقبل إليه من التوابين، وأنه شديد العقاب لأولئك المصرين على المعاصي والفساد في الأرض.

﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ صاحب الكرم والعطاء المتواصل الواسع.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ۝٣﴾ وهو الإله المتفرد بصفات الإلهية والكمال، وهو الذي سيكون مصير جميع الخلائق إليه يوم القيامة؛ فالأجدر بهم أن يأخذوا حذرهم منه ومن أخذه وعذابه، وأن يتقوه بفعل ما يرضيه والانقياد لأمره.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً هل ترون أن الجار والمجرور «من الله» متعلق بمحذوف خبر تنزيل؟

الجواب: الأمر كذلك.

(٢)- **سؤال:** ما الحكمة في وصل الصفة الثانية «قابل التوب» بالأولى وفصل الأخريات؟

الجواب: وصلت الصفة «قابل التوب» بما قبلها لأن المعطوف والمعطوف عليه بمنزلة صفة واحدة دون الصفات الأخرى؛ لأن كل واحدة صفة مستقلة.

(٣)- **سؤال:** هل يمكن أن يكون قوله: «وقابل التوب» قرينة على أنه إنما يغفر ذنوب التائبين دون المصرين؟

الجواب: هناك نصوص صريحة بأن مغفرته مقيدة بالتائبين كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى۝٨٢﴾ [طه]، وهناك آيات وعيد كثيرة لم يستثن فيها إلا التائبين ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا۝٦٩ إِلَّا مَنْ تَابَ...﴾ الآية [الفرقان].

﴿مَا يُجَادِلُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه لن يكذب بآياته ويشكك فيها إلا الذين كفروا بالله تعالى ورسوله، واستكبروا عن الإيمان بها، ورفضوا قبولها، وأنه لن يجادله فيها إلا هؤلاء، وجدالهم هو أنهم تارة يقولون: ليست إلا سحراً، وتارة: كلام مفترى، وتارة: أساطير الأولين اكتتبها، وأما المؤمنون فإنهم سيقبلون آياته ويتواضعون لأمره وينقادون لطاعته.

﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ۝٤﴾ فلا تغتر يا محمد بما تراهم فيه من النعيم والعز والجاه والثراء والكثرة، مع ما عليه المؤمنون من القلة والضعف والفقر والشدة، فلا يذهب بك الظن إلى أن ما هم فيه بسبب رضاء الله تعالى عنهم، وإنما ذلك استدراج من الله تعالى وإمهال لهم إلى أن يحين موعد أخذهم وتعذيبهم وأيضاً لإكمال الحجة عليهم. ومعنى «تقلبهم»: تنقُّلهم سالمين آمنين.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وقد كذب قبل قومك يا محمد قوم نوح وكذلك بقية الأمم التي أتت بعد قوم نوح، فكانوا كلما أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم رسولاً كذبوه ولقي من أمته مثل ما تلاقيه من قومك من التكذيب والاستهزاء والأذى.

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ وكل أمة من الأمم المكذبة قد عقدت نيتها وعزمت على الفتك بنبيها وأجمعت على قتله والتخلص منه.

﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ۝٥﴾[1] وكذلك كانوا يجادلون أنبياءهم، ويرمونهم بالإفك والافتراء والتشكيك في نبوتهم، فأخذهم الله سبحانه وتعالى بعذابه جزاءً على كفرهم وتمردهم، وقومك يا محمد سيصيبهم مثل ما أصاب تلك الأمم من قبلهم. ومعنى «ليدحضوا» ليزيلوا به الحق.

---

(١)- **سؤال:** يا حبذا لو أعربتم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ۝٥﴾؟ وذكرتم الغرض من الاستفهام بـ«كيف»؟

الجواب: «كيف» في محل نصب خبر كان مقدم. «عقاب» اسم كان مرفوع بضمة مقدرة على آخره وهو مضاف إلى ياء المتكلم التي حذفت وتركت الكسرة على الباء لتدل عليها. والغرض من الاستفهام هو تعظيم العقاب وتفخيمه.

وقد وصف الله سبحانه وتعالى أخذه لهم بأنه في نهاية الشدة والنكال والاستئصال.

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ(١) أَصْحَابُ النَّارِ ۝٦﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ÷ أن قومه قد استوجبوا نزول العذاب بهم، ولا بد مع ذلك أن يعذبهم في نار جهنم وعداً من الله حتمه وأوجبه لا محيص عنه(٢).

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ(٣) يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ(٤)

---

(١)- **سؤال:** ما موضع المصدر ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝٦﴾؟ وما السر في فتح همزة «أن»؟

الجواب: فتحت الهمزة لأنها مجرورة بلام التعليل وموضع المصدر الجر أو النصب بنزع الخافض.

(٢)- **سؤال:** يقال: من أين نفهم أنهم استوجبوا العذاب في الدارين؟

الجواب: بعدما ذكر الله أنه أخذ قوم نوح والأحزاب من بعدهم لما كذبوا رسلهم بالعقاب قال: قد حق على قومك من العذاب مثل ما حق على المذكورين من قوم نوح والأحزاب والذي أفاد ذلك هو قوله: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أي: كذلك العذاب النازل بقوم نوح والأحزاب حق على قومك، فهذا يدل على عذاب الدنيا، وأما عذاب الآخرة فقوله: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝٦﴾.

(٣)- **سؤال:** إذا قيل بأن الحمل في قوله: «يحملون العرش»، وكذا ذكر الاتجاه بقوله: «من حوله» قرائن تؤكد أن العرش جسم أو بناء، فكيف نجيب على ذلك؟

الجواب: الذين يحملون العرش هم أشرف الملائكة عند الله وأقربهم إليه هذا في الجملة، وجبريل عليه السلام وعزرائيل وميكائيل أيضاً المقدمون في الملائكة والمقربون إلى الله وهم من حملة العرش وقد اختار الله جبريل عليه السلام واصطفاه لتبليغ الوحي إلى الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم واصطفى عزرائيل لنزع أرواح البشر و.. إلخ، فكل ملك من حملة العرش قد اختاره الله تعالى واصطفاه لعمل يتولاه في السموات والأرض، فهذا المعنى هو الذي اخترناه في تفسير العرش أي: أن العرش هو ملك الله، وحملة العرش هم الملائكة الذين ينفذون ما وكله الله إليهم من أعمال الملك العظيم، ولا مانع من القول بأن العرش بناء بناه الله في السماء ليكون قبلة للملائكة كالكعبة التي جعلها الله تعالى قبلة للناس في الأرض، أو أن يكون العرش سريراً عظيماً تحمله مجموعة من الملائكة في السماء، يتعبد الله تعالى الملائكة بالعكوف حوله كما يعتكف المسلمون حول البيت الحرام. إلا أن الذي ترجح لنا هو ما ذكرناه أولاً.

(٤)- **سؤال:** فضلاً علام عطف قوله: «من حوله»؟ وما محل جملة «يسبحون»؟ وما معنى الباء في قوله: «بحمد ربهم»؟ وإلام يعود الضمير في قوله «به»؟

الجواب: «من حوله» معطوف على «الذين..» وجملة «يسبحون» في محل رفع خبر المبتدأ «الذين..»

=

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذه الآية ليشد من عزيمته هو وأصحابه ويربط على قلوبهم ويخفف عنهم ما هم فيه من الشدة والضيق والضعف في مكة، وذلك أنهم كانوا أهل قلة وضعف وكان المشركون أهل سطوة وبطش وجبروت وقوة، فكأن المؤمنين احتقروا أنفسهم واستصغروها عند المشركين وداخلهم الشك في أن الله سبحانه وتعالى ليس راضياً عنهم، فأنزل[1] الله سبحانه وتعالى هذه الآية يخبرهم أنه يكفيهم من فضل الله ورحمته أن ملائكته وحملة عرشه يسبحون الله تعالى وينزهونه ويقدسونه، ويدينون بنفس ما يدين به أولياء الله في الأرض، ويدعون الله تعالى لهم بالمغفرة والرحمة والنجاة من النار وأن يدخلهم جنات عدن هم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وأن يصرف عنهم مخاوف يوم القيامة وأهوالها.

وحملة العرش هم الذين ينفذون أوامر الله في تدبير أمور الخلائق.

﴿رَبَّنَا[2] وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ استفتحت الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ دعاءها بالثناء على الله سبحانه وتعالى بسعة رحمته وشمولها لكل شيء وبسعة علمه وإحاطته بكل شيء.

ومعنى الباء التلبس والمصاحبة وهي ومجرورها في محل نصب حال يسبحون متلبسين بحمد ربهم ومصاحبين له، وضمير «به» يعود إلى «ربهم».

(١)- **سؤال:** من أين نستوحي أن هذا سبب النزول؟

الجواب: نزلت هذه السورة في مكة والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنون في مضايقات شديدة من المشركين وطالت عليهم تلك الشدائد فكان الله تعالى ينزل عليهم ما يشد من عزائمهم وما يسليهم فقص عليهم الكثير من قصص الأنبياء وما لاقوا من أقوامهم وأنزل عليهم آيات بعد آيات وكأن هذه الآيات تقول للمؤمنين: لا يكبر عليكم ما تلاقوه من المشركين فحملة العرش معكم ومن حول العرش معكم و...إلخ.

(٢)- **سؤال:** هل لهذه الجملة محل من الإعراب فما هو؟ أو لا محل لها؟ وما إعراب «رحمة وعلماً»؟

الجواب: «ربنا.. إلخ» في محل نصب مقول لقول محذوف. «رحمة وعلماً» تمييز نسبة.

﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا[١] سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ۝٧﴾ بعد أن أثنى الملائكة على الله سألوه أن يغفر لكل من رجع إليه، وندم على ما سلف منه من المعاصي والذنوب واتبع آياته وشرائعه وأحكامه.

﴿رَبَّنَا[٢] وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝٨﴾[٣] ثم دعوُا الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بأن يدخلهم في مستقر رحمته ودار كرامته، والعزيز هو القوي الغالب لكل شيء، والحكيم هو الذي جميع أفعاله مبنية على الحكمة، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أنه لن يُدْخِلَ الجنةَ إلا من استحق دخولها بما عمل من الأعمال الصالحة؛ لأنه خلاف الحكمة لو أدخل الجنة أولئك العصاة المتكبرين عليه الذين ماتوا وهم مصرون على معاصي الله.

---

(١)- **سؤال:** هل يؤخذ من هذا أنه لا يجوز الدعاء لمن لم يتبع شريعة الله سبحانه أو يسر في طريقة أهل العدل المحقين؟

الجواب: الذي يؤخذ من هنا أن الدعاء يكون للتائبين الذين ساروا في طريق الهدى دون غيرهم، ويؤخذ تحريم الدعاء لغير المؤمنين التائبين من قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ۝١١٣ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة]، فيؤخذ من هذه الآية أنه لا يجوز الدعاء لأصحاب النار وهم كل من توعدهم الله تعالى بالنار في القرآن الكريم أو لمن تبين أنه معاند لله ولدينه وللحق والمحقين ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ...﴾.

(٢)- **سؤال:** ما فائدة تكرير المنادى هنا؟

الجواب: الفائدة هي استعطاف الرب من حيث أن في «ربنا» إظهار عبودية الداعي وربوبية المدعو، وفي ذلك اعتراف الداعي بالفقر والحاجة والعجز.

(٣)- **سؤال:** يقال: ما الذي استفاده آباء هؤلاء وأزواجهم وذرياتهم إذا كان دخولهم الجنة مقيداً بصلاحهم كما هو نص الآية؟

الجواب: الذي يستفيده هؤلاء بدعاء الملائكة هو مثل الذي يستفيده المشفوع له بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي: أنه من جنسه أي: هو زيادة الفضل ورفع الدرجات.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ۝٩﴾ ودعوا الله سبحانه وتعالى أيضاً بأن يدفع عنهم سيئات يوم القيامة، فلا يلحقهم أي سوء أو مكروه يوم القيامة من الخوف والحزن، ومن وقاه الله مخاوف يوم القيامة وأهوالها وأحزانها فهو من أهل رحمة الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ[1] اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ يلوم أهل النار أنفسهم يوم القيامة ويمقتونها على ما فرطوا في الدنيا وعملوا من المعاصي، فتنادي عليهم الملائكة مخبرة لهم بأن مقت الله سبحانه وتعالى أعظم وغضبه عليهم أشد من مقتهم لأنفسهم وغضبهم عليها. **والمقت**: هو البغض والغضب الشديد.

﴿إِذْ[2] تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ۝١٠﴾ يذكرون لهم سبب مقت الله سبحانه وتعالى لهم وغضبه عليهم، وذلك في الدنيا عندما كان يرسل إليهم رسله وينزل عليهم آياته فيعرضون عنها ويستكبرون عن قبولها.

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ۝١١﴾[3] ثم إنهم حينئذ يقدمون اعتذاراتهم إلى الله سبحانه وتعالى ويتوسلون

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في إضافة المقت إلى الله؟

الجواب: الوجه هو كونه منه فغضبه تعالى ومقته هو حكمه عليهم بالعذاب في جهنم فالحكم والعذاب هو من الله.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «إذ» هنا؟ إن كانت ظرفية فما هو العامل فيها؟

الجواب: «إذ» ظرف لـ«مقت الله»، وجاز مع توسط الخبر لأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ۝١١﴾؟

الجواب: هل: حرف استفهام ومعناه النفي، والجار والمجرور خبر مقدم. «من سبيل» مبتدأ مؤخر مجرور لفظاً مرفوع محلاً.

إليه بأنهم قد أقبلوا عليه الآن مقرين ومعترفين بذنوبهم التي سلفت منهم، ويطلبون منه أن يردهم إلى الدنيا ليعملوا الأعمال الصالحة ويعوضوا ما فاتهم إن أراد أن يتفضل عليهم بذلك.

والحياتان: هي إحياؤهم في الدنيا أولاً، وبعثهم وإحياؤهم بعد الموت مرة ثانية.
والموتتان: هي موتة النطف، والثانية هي الموت بعد الحياة الدنيا[١].

﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ[٢] وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ ثم تخبرهم الملائكة بأن سبب ما صاروا فيه هو أنهم كانوا إذا دعاهم الأنبياء والرسل إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فإنهم يعرضون ويتمردون، أما إذا دعاهم أحد إلى الشرك بالله تعالى وعبادة الأصنام فإنهم يستجيبون له، ويؤمنون بما دعاهم إليه، مستبشرين بدعوته.

﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ۝١٢﴾ وقد أصبحتم الآن بين يدي الله سبحانه وتعالى وهو الذي سيحكم بينكم ويحاسبكم.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى حالة المشركين في الآخرة رجع إلى تذكيرهم بآياته التي يبثها لهم في الدنيا، فأخبرهم بأنه الذي يرسل لهم آياته الدالة عليه وعلى عظمته وقدرته وعلمه وحكمته.

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾[٣] وهو الذي بيده رزقهم، وذلك بما ينزله

---

(١)- **سؤال:** إذا كان الموت عرضاً تسلب معه الحياة من الحي فكيف يطلق على العدم بأنه إماتة؟
الجواب: الإماتة هنا هي مجاز؛ إذ لم تكن النطفة حية؛ فإطلاق الإماتة عليها هو إطلاق مجازي.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾؟
الجواب: «ذلكم» مبتدأ والجار والمجرور بعده متعلق بمحذوف خبر المبتدأ والجملة الشرطية خبر «أن».

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما السر في تنكير قوله: «رزقاً»؟
الجواب: قد يكون السر في تنكيره هو التعظيم للرزق، وما أحقه بالتعظيم لأن حياة البشر والحيوانات قائمة عليه.

عليهم من الأمطار التي يخرج لهم بها الزروع والثمار والمراعي، وكل ذلك رحمة بهم، وتفضل عليهم، فلا رزق لهم على الإطلاق إلا ما ينزله من السماء لهم، فجميع أسباب المعيشة أصلها ذلك المطر الذي ينزله الله سبحانه وتعالى على عباده، فلو أنه منع عنهم المطر ليبست الأرض، ولماتت الحيوانات، ولما استطاع أحد العيش على ظهر الأرض؛ فلماذا لا يشكرون الله سبحانه وتعالى حق شكره بطاعته والامتثال لأوامره؟

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ۝١٣﴾ ثم أخبر الله تعالى أنه لا يتفكر في آياته تلك ويعتبر بها إلا أهل الإنابة إليه والرجوع.

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ۝١٤﴾(١) ثم أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأن يعبدوه وحده لا يشركون معه غيره في عبادتهم وأن يؤدوا حق شكره بإقامة ما افترض عليهم من الإخلاص في العبادة والطاعة له، وأن لا يبالوا بمن حولهم من المستهزئين والمكذبين.

﴿رَفِيعُ(٢) الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ ثم وصف الله تعالى نفسه بأنه المتعالي عما ينسبه إليه المبطلون من الشريك واتخاذ الولد والصاحبة، والأمر بالفحشاء، ونحو ذلك من الافتراءات عليه. وذو العرش: هو صاحب الملك الواسع العظيم.

﴿يُلْقِي(٣) الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ثم وصف الله تعالى نفسه

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما يكون معنى «لو» هنا؟ وما عملها؟ وكذا ما محل الجملة برمتها: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ۝١٤﴾؟

الجواب: معنى «لو» هنا الشرط أي أنها بمعنى «إن» الشرطية ولا عمل لها في اللفظ وعملها معنوي وهو تعليق جملة على جملة. وجملة «ولو كره الكافرون» في محل نصب حال.

(٢)- **سؤال:** ما وجه رفع قوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾؟

الجواب: الوجه هو التعظيم والثناء، والتقدير: هو رفيع، أي: أنه خبر لمبتدأ محذوف.

(٣)- **سؤال:** ما محل جملة «يلقي الروح»؟ وبماذا تعلق الجار والمجرور «من أمره»؟

الجواب: محلها الرفع خبر ثالث لهو المحذوف. «من أمره» متعلق بمحذوف حال من الروح.

بأنه يختار من يشاء من عباده لرسالته ووحيه، وقد اختار لذلك محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وقد وصف الله سبحانه وتعالىٰ القرآن بالروح[1] علىٰ سبيل الاستعارة فشبهه بالروح لما فيه من إحياء القلوب بنور الهدىٰ والإيمان.

﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴿١٥﴾﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالىٰ السبب في إنزال القرآن علىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وذلك لينذر الناس ويحذرهم من العذاب الذي سيلاقونه يوم القيامة إن لم يؤمنوا به، ويسمىٰ يوم التلاقي لاجتماع الناس وتلاقيهم جميعاً فيه.

﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ[2]﴾ ثم وصف يوم التلاق بأنه يوم يبرز فيه الناس جميعاً ظاهرين في أرض المحشر علىٰ صعيد واحد وأرض مستوية لا يغيب أحد منهم عن نظر الناظر فلا جبل يحجبهم أو مكان منخفض يستترون فيه.

﴿لِمَنِ الْمُلْكُ[3] الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴿١٦﴾﴾ والله تعالىٰ هو المسيطر في ذلك اليوم بقوته لا يتكلم أحد إلا بإذنه.

---

(١)- **سؤال:** هل يصح أن يحمل الروح علىٰ الوحي الذي يأتي بالقرآن ليطابق قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء]؟ أم أنه يحمل علىٰ المعنيين لقوله سبحانه: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل]؟

الجواب: الظاهر أن المراد بالروح القرآن في هذه الآية وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورىٰ:٥٢]، وأيضاً يسمىٰ جبريل روحاً كما ذكرتم: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴿١٩٣﴾﴾.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب «يوم» هنا؟ وما محل جملة: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾؟

الجواب: «يوم هم بارزون» يوم: بدل من «يوم» في قوله: «يوم التلاق»، وجملة «لا يخفىٰ علىٰ الله منهم شيء» في محل نصب حال من ضمير «بارزون».

(٣)- **سؤال:** فضلاً هل هذه الجملة ابتدائية أم ماذا؟

الجواب: الجملة مقولٌ لقولٍ مقدر أي: يقول الله.

﴿الْيَوْمَ[(١)] تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ وكل نفس في ذلك اليوم ستنال جزاء ما اكتسبت في الدنيا من الأعمال، وسيحكم الله سبحانه وتعالى بين جميع عباده بالحكم الحق، ولن يظلم أحداً من عباده بزيادة على ما يستحق أو ينقصه شيئاً مما يستحق.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝١٧﴾ قد يكون المعنى أن الله تعالى سيحاسبهم جميعاً في وقت واحد ولحظة واحدة، وقد سئل أمير المؤمنين علي عليه السلام كيف يستطيع الله سبحانه وتعالى أن يحاسب جميع عباده في وقت واحد؟ فأجاب: (بأنه كما قدر أن يرزقهم في وقت واحد كذلك يستطيع أن يحاسبهم في وقت واحد)، وقد يكون التفسير أن الله تعالى يرى يوم القيامة بما فيه قريباً، وحينئذ فحساب الخلائق في يوم القيامة سريع وقريب ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۝٤٦﴾[(٢)] [النازعات].

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يحذر قريشاً يوم القيامة. والآزفة: هي القيامة التي اقترب حلولها وأزف وقوعها.

﴿إِذِ[(٣)] الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ ثم وصف الله تعالى شدة يوم القيامة على العصاة، فأخبر أن قلوبهم سوف تصعد إلى حناجرهم من شدة الهول والفزع، فتنسد حلوقهم فلا يستطيعون الكلام.

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨﴾[(٤)] ولن ينفعهم في ذلك اليوم

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في نصب «اليوم»؟

الجواب: نصب لأنه ظرف لتجزى الذي بعده.

(٢)- **سؤال:** ما الذي يتوافق مع أول الآية من هذين التفسيرين؟

الجواب: التفسير الأخير هو المتوافق مع أول الآية.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «إذ» هنا؟

الجواب: هي بدل من «يوم الآزفة».

(٤)- **سؤال:** ما إعراب «حميم»؟ وما محل جملة «يطاع»؟

الجواب: «حميم» مبتدأ مجرور لفظاً مرفوع محلاً. «يطاع» في محل رفع صفة.

صديق أو يشفع لهم أحد عند الله تعالىٰ، أو يستطيع أن يدفع عنهم شيئاً من عذاب الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿يَعْلَمُ[1] خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ١٩ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ ثم أخبر الله تعالىٰ المشركين أنه عالم بجميع أعمالهم لا يخفىٰ عليه خافية، وعالم بما في صدورهم، وما انطوت عليه ضمائرهم، وسيحكم بينهم يوم القيامة بالحكم الحق، وسيحاسبهم علىٰ جميع أعمالهم صغيرها وكبيرها ولن يضيع عنده شيء.

ومعنىٰ «خائنة الأعين»: هي مسارقة نظر الأعين إلىٰ ما قد نهىٰ الله عنه.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٢٠﴾ وأما تلك الأصنام التي يعبدونها من دون الله تعالىٰ فليس بيدها شيء من الحكم والقضاء بين العباد، ولن تستطيع أن تقدم شيئاً أو تؤخره، فالأجدر بكم أيها المشركون أن تخصوا الله سبحانه وتعالىٰ بالعبادة وحده؛ لأنه وحده الذي بيده أمركم وحسابكم وجزاؤكم، وهو العالم بجميع أعمالكم.

والسميع: هو العالم بجميع المسموعات، والبصير: هو العالم بجميع المبصَرَات أما الأصنام فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ٢١﴾[2] بلىٰ[3] فقد سار المشركون في الأرض، وقد رأوا وأبصروا آثار

---

(١)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة؟

الجواب: لا محل لها لأنها علة لما قبلها أي في جواب سؤال مقدر.

(٢)- **سؤال:** هل لجملة ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ﴾ محل من الإعراب أم لا؟ وما إعراب «قوة» و«واق»؟

الجواب: لا محل للجملة من الإعراب؛ لأنها مستأنفة استئنافاً بيانياً أي في جواب سؤال مقدر. «قوة» تمييز نسبة، «واق» مبتدأ مؤخر مجرور لفظاً مرفوع محلاً، وخبره «لهم».

(٣)- **سؤال:** هل يجاب الاستفهام التقريري بـ«بلىٰ» أم كيف؟ وهل يصح أن يجاب هنا بنعم؟

الجواب: يجاب مثل هذا الاستفهام ببلىٰ ولا يجاب بنعم، ويسمىٰ استنكاري أو تقريري أي: تقرير ما بعد النفي.

تلك الأمم المكذبة من قبلهم، وعلموا بقصصهم وأخبارهم، وكيف كانت عاقبة تكذيبهم، وهي أن دمرهم الله سبحانه وتعالى واستأصلهم، فلماذا لا يعتبرون بما جرى على من كان قبلهم؟ والذين كانوا أشد قوة من قريش، وأكثر مالاً منهم، فقد نحتوا البيوت في الجبال، وعمروا القصور المشيدة، وحفروا الأنهار، وبنوا الجسور، واستخرجوا الذهب والفضة، وتفننوا في البناء والزخرفة والنحت والتماثيل وتطوروا في الصناعات و..إلخ، وقد عمروا الدنيا بالمباني والقصور الفاخرة، وعلى الرغم من كل ذلك ومن كثرتهم وقوتهم التي كانوا عليها فقد أهلكهم الله سبحانه وتعالى ودمرهم واستأصلهم.

أراد الله تعالى أن لا يتعاظم مشركو قريش أنفسهم، أو يأخذهم الكبر والفخر، فقد أهلك من هو أشد منهم، ولم يستطيعوا أن يدفعوا عن أنفسهم أو يحموها من الله سبحانه وتعالى، ويفروا ويهربوا من قبضته.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ[1] رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴿٢٢﴾﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى السبب في إهلاك تلك الأمم المكذبة، وهو أنه كان يرسل إليهم الرسل وينزل عليهم الآيات والحجج الواضحة، ولكنهم كانوا يعرضون ويتمردون، وأنتم يا قريش فاحذروا عذاب الله تعالى أن ينزل بكم، فإن هو نزل بكم فاعلموا أن أخذه لكم سيكون عظيماً، وعذابه سيكون في غاية الفضاعة والشدة عليكم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴿٢٤﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قد أرسل موسى إلى فرعون وهامان وقارون، وأيده بالآيات الواضحة والحجج المنيرة والمعجزات القوية الظاهرة التي تدل على صدق نبوته ورسالته، وذلك أنه لا بد

---

(١)- **سؤال:** أين خبر قوله «ذلك»؟ واسم كان في قوله: ﴿كَانَتْ تَأْتِيهِمْ﴾؟

الجواب: خبر «ذلك» قوله: «بأنهم كانت» فهو متعلق بمحذوف الخبر، واسم كانت ضمير مقدر تقديره: هي أي رسلهم، ورسلهم: فاعل تأتيهم وكأن هذا من باب التنازع.

لكل نبي من حجة واضحة يؤيده الله سبحانه وتعالى بها تكون شاهدة على صدقه - والسلطان المبين: هو الحجة العظيمة الدالة على صدقه[١]- ولكنهم أعرضوا عنه ورموه بالسحر، واتهموه بالكذب والافتراء.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴿٢٥﴾﴾ كان الكهنة قد أخبروا فرعون بأنه[٢] سيولد لبني إسرائيل مولود يكون هلاكه وهلاك ملكه على يديه، فمن حينها كان من ولد له مولود ذكر من بني إسرائيل فإن فرعون يأخذه ويقتله، وأما النساء فكان يتركهن ويسخرهن في القيام بأعماله.

فلما أقبل موسى على فرعون داعياً له خاف على أهل مملكته أن يعلموا بأمره وأنه هو النبي الموعود الذي سيكون هلاك ملكه على يديه فيؤمنوا به، فأصدر أوامره بأن يستمروا في قتل أولاد بني إسرائيل ليلبس[٣] على أهل مصر أن موسى ليس ذلك النبي الموعود، وليس إلا ساحراً وكذاباً، وأنه لم يحن موعد قدوم ذلك النبي الذي أخبر به الكهنة، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن هذه كانت مكيدة من فرعون لئلا يؤمنوا به ويصدقوه. ومعنى «إلا في ضلال» أي: ضياع وبطلان.

---

(١)- **سؤال:** فهل يكون عطفها على الآيات تفسيرياً أم كيف؟

الجواب: قد يكون من عطف الخاص على العام فقد أرسل الله موسى إلى فرعون بتسع آيات وكانت العصا واليد أعظم الآيات فيفسر السلطان المبين بهذه الآيات الواضحة العظيمة والآيات بسائرها.

(٢)- **سؤال:** يقال: ومن أين علم الكهنة هذا الأمر؟

الجواب: علموه من يوسف عليه السلام ومن علماء بني إسرائيل.

(٣)- **سؤال:** بم يستنفع فرعون في تلبيسه هذا من قتله للأطفال؟

الجواب: سيترك أهل مصر اتباع موسى بسبب إيهام فرعون بذلك قال في آخر الآية: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴿٢٥﴾﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ[١] مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ثم إن فرعون خاطب الملأ من قومه، وقد أخذه الكبر والتعالي، والوثوق الشديد بنفسه، وأخبرهم بأنه سيقتل موسى متحدياً لله تعالى أنه لا يستنقذه من تحت يده وقبضته.

﴿إِنِّي[٢] أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ أراد فرعون أن يتخلص منه خوفاً على أهل مملكته أن يؤمنوا به ويصدقوه ويدخلوا في دينه.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ وعندما سمع موسى تهديد فرعون استعاذ بالله تعالى واستجار به، وأخبرهم بأنه سيجيره ويحفظه من بطش فرعون وملئه.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ[٣] أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ[٤] يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾[٥] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب «أقتل» تفصيلاً؟

الجواب: «أقتل» فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر أي: إن تذروني أقتله.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في كسر همزة «إن» هنا؟ وما محل المصدر: «أن يبدل»؟

الجواب: كسرت لأنها في جواب سؤال مقدر عن العلة. «أن يبدل» في محل نصب مفعول به لـ«أخاف».

(٣)- **سؤال:** ما محل جملة «يكتم إيمانه»؟ وما الفوائد التي نستفيدها من هذه العبارة؟ وهل هذا المؤمن هو المسمى بحزقيل؟

الجواب: «يكتم إيمانه» في محل رفع صفة لرجل، ويستفاد من هذه العبارة أنه يجوز أن يكتم المرء مذهبه إذا خاف على نفسه إن أظهره، نحو أن يضم يديه في الصلاة عند ذلك ولو كان مذهبه إرسالهما.

يذكر أهل التفسير أن اسم مؤمن آل فرعون هو حزقيل، والله أعلم.

(٤)- **سؤال:** ما محل المصدر «أن يقول»؟

الجواب: محله الجر بلام التعليل مقدرة أو النصب بنزع الخافض.

(٥)- **سؤال:** ما الوجه في إخباره أنه سيصيبهم بعض الذي وعدهم دون كل ما وعدهم به موسى عليه السلام؟

الجواب: كان قد وعدهم موسى عليه السلام بأنهم إن كذبوا ولم يؤمنوا عذبهم الله بمثل عذاب قوم نوح =

أنه كان في حاشية فرعون رجل من أهله مؤمن، وكان يكتم إيمانه، وعندما سمع كلام فرعون وعزمه على قتل موسى صاح فيهم: كيف تقتلون هذا الرجل وقد جاءكم بما يثبت صدق دعواه، وكان المفروض أن تنظروا في صدق ما يدعي، فليس من الإنصاف أن تقتلوه، فإن كان كاذباً فيما يدعي فلن يضركم كذبه[١]، وإن كان صادقاً في دعواه فسيلحقكم ذلك الذي يتوعدكم به من غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه إن أنتم أصررتم على كفركم وتكذيبكم، فمن الأجدر بكم أن تحذروا الوقوع في ذلك الذي حذركم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝٢٨﴾[٢] ولو كان كاذباً فيما يدعي لما بلغه الله هذا المقام، ولما وصل إلى هذه المنزلة، ولبطلت حججه وبيناته التي أتاكم بها، ولظهر كذبه للناس قبل أن يصل إليكم، ولما ظهر هذا الظهور، وراجت بضاعته للعقول هذا الرواج.

وقوم عاد وقوم ثمود و...؛ بدليل قول مؤمن آل فرعون، ولم يقله من تلقاء نفسه وإنما مما سمع من موسى عليه السلام ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ۝٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾ ومعلوم أنه لا يصيبهم كل ما أصاب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، فلا يصابون إلا ببعض ذلك إما بالغرق الذي أصاب قوم نوح وإما بما أصاب عاداً، وإما بما أصاب ثمود، وإما... إلخ، وذلك بعض ما وعدهم لا كله، هذا ما ظهر لي، والله أعلم.

(١)- **سؤال:** يقال: ألم يضرهم لو كان كاذباً وذلك باعتقادهم للباطل وانخراطهم عن عقائدهم فكيف ساغ له أن يقول: إنه لن يضرهم كذبه؟ أم كيف مراده؟

الجواب: قد قال: مؤمن آل فرعون في آخر كلامه هذا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝٢٨﴾ أي: أنه لا يتم للكذاب أمر ولا سيما من يدعي النبوة.

(٢)-**سؤال:** هل هذه الجملة جواب لسؤال مقدر أم ماذا؟

الجواب: هي في جواب سؤال مقدر عن العلة.

﴿يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ ثم وبخهم(١) على تكبرهم وتعاليهم في الأرض بما مكنهم الله سبحانه وتعالى فيه وآتاهم من الملك والقوة، وأخبرهم أن كل ما هم فيه إنما هو بيد الله تعالى، وأنه إن أراد بهم سوءاً أو أن ينزل عليهم مكروهاً فلن يستطيع أحد أن يحميهم من الله سبحانه وتعالى أو يمنعهم منه، وحذرهم أن يقعوا في ذلك الذي حذرهم منه موسى إن استمروا على كفرهم وتكذيبهم وتكبرهم.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى(٢) وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ فاعترض فرعون هذا الرجل المؤمن وصاح بقومه أن لا يلتفتوا إلى كلامه ونصائحه، فلا رأي إلا ما رآه هو من قتل موسى والتخلص من شره، زاعماً أنه لن يدلهم إلا على ما فيه صلاحهم ورشادهم.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ(٣) ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾(٤)

---

(١)- **سؤال:** فضلاً من أين نستفيد هذا؟

الجواب: الذي دل على أن الكلام هذا توبيخ هو الاستفهام الدال على غفلتهم عما قد ينزل بهم، وغرورهم بما هم فيه من الملك والسلطان وسوابغ النعم ﴿جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الدخان].

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في إبهامه لرأيه بقوله: «ما أرى»؟

الجواب: الوجه هو أنه قد علم بما سبق لهم من رأيه: ﴿اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ [غافر:٢٥]. ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ [غافر:٢٦].

(٣)- **سؤال:** فضلاً هل المراد بالأحزاب هنا قوم نوح وعاد وثمود أم لا؟ فما المراد بهم؟

الجواب: المراد بالأحزاب هنا هم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ودليل ذلك آية (ص) ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾.

(٤)- **سؤال:** ما إعراب ﴿مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ﴾؟ وما الوجه في تقديم المسند إليه في =

ثم نصحهم هذا الرجل الذي يكتم إيمانه مرة أخرى بأن الأولى لهم أن لا يصروا على تكذيبهم وعنادهم فيصيبهم مثل ما أصاب الأمم المكذبة من قبلهم بسبب تكذيبهم وتمردهم على أنبيائهم، فقد عذبهم الله سبحانه وتعالى بسبب ذلك، وهو غير ظالم بتعذيبه لهم فليس إلا جزاءً لهم على ما كذبوا بأنبيائه وأعرضوا عن دعوتهم لهم إلى ما فيه صلاحهم، وتكبروا على الله سبحانه وتعالى، **والدأب**: هو العادة والطريقة.

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ۝٣٢ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾[1] ويوم التناد هو يوم هلاكهم وعذابهم[2]، وذلك أنهم إذا أيقنوا بالهلاك ونزول العذاب عليهم فإنهم سيتنادون فيما بينهم وسيستغيث بعضهم ببعض، ولكن حين لا ينفعهم ذلك ولا يستطيع أحد منهم أن يدفع عن أحد؛ وأخبرهم أنه إذا حل بهم العذاب ونزل بساحتهم فإنهم سيولون هاربين ولكن حين

قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ۝٣١﴾؟

الجواب: «مثل يوم الأحزاب مثل» مثل الأولى مفعول به لأخاف، ومثل الثانية: بدل من مثل الأولى، وقدم المسند إليه ليفيد قصر الخبر «يريد ظلماً للعباد» على المبتدأ «الله». ومعنى الآية هذه مثل معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ۝٧٦﴾ [الزخرف]، أي أن الله تعالى لم يظلم الأمم المكذبة بالرسل حين عذبهم ولكن كانوا هم الذين ظلموا أنفسهم بفعلهم الأسباب الموجبة للعذاب.

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ﴾؟ وما الوجه في فصل جملة: ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ عما قبلها؟

الجواب: «يوم» بدل من «يوم التناد». ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ جملة حالية في محل نصب من ضمير «تولون» لهذا فصلت.

(٢)- **سؤال:** وهل يصح أيضاً أن يحمل يوم التناد على يوم القيامة لقوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ...﴾ إلخ [ق:٤١]، ولقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ...﴾ إلخ [الأعراف:٥٠]، أم لا؟

الجواب: الأولى حملها على نزول العذاب عليهم في الدنيا بقرينة: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ...﴾، فإن المجرمين لا يهربون إذا رأوا عذاب يوم القيامة، وتفسيره بيوم القيامة صحيح أيضاً لما ذكرتم.

لا ينفعهم الهرب، فلا مفر لهم ولا مهرب حينئذ من الله.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴿٣٣﴾﴾ ومن حكم الله سبحانه وتعالى بضلاله وهلاكه فلن يستطيع أحد أن يهديه من بعده أبداً.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ وهذا أيضاً من كلام الرجل المؤمن يعظ قومه من آل فرعون، وينصحهم بترك التعرض لموسى عليه السلام وعدم قتله، ويذكرهم نبي الله يوسف عليه السلام وكيف كان موقفهم منه حيث كذبوه وشككوا في نبوته.

﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ[١] اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴿٣٤﴾﴾ إلى أن توفاه الله سبحانه ثم اعتقدوا لشكهم أن الله لن يرسل إليهم بعده أي رسول وهذا هو دأب المكذبين أن يبثوا الريبة والتشكيك في آيات الله سبحانه وتعالى وأنبيائه.

﴿الَّذِينَ[٢] يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ ثم وصف المسرفين بأنهم الذين إذا سمعوا آيات الله سبحانه وتعالى فإنهم يقابلونها بالتكذيب والتشكيك في أحقيتها وصدقها عن غير دليل أو حجة أو برهان على ما يدعون، وإنما تأخذهم الحمية والعصبية والكبر إلى القول بالباطل.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ[٣] وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ

---

(١)- **سؤال:** ما المراد بالإضلال في هذه الآية؟

الجواب: الإضلال هو سلب الألطاف والتوفيق والتسديد.

(٢)- **سؤال:** قد يقال: ما الوجه في جمعه مع أن الموصوف مفرد: ﴿مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴿٣٤﴾﴾؟

الجواب: جمع هنا حملاً على معنى «من» فإن معناها الجمع وأفرد «مسرف مرتاب» حملاً على لفظ «من» فلفظه مفرد، ويجوز في مثل هذا أن يراعى لفظه ومعناه.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ مفصلاً؟

الجواب: «كبر» فعل ماض جيء به للذم وفاعله ضمير مستتر. «مقتاً» تمييز بين به نوع الفاعل.

﴿مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۝٣٥﴾ وصنيعهم هذا ووقوفهم في وجه دعوة أنبيائهم ومنازعتهم في آيات الله سبحانه وتعالىٰ من أكبر الكبائر، وأعظم المعاصي التي تستوجب غضب الله تعالىٰ وسخطه، وأخبرهم أن هذا هو دأب المتكبرين علىٰ الله تعالىٰ في كل زمان فقلوبهم قاسية كالحجارة فلا تأتيهم آية إلا وتراهم يعرضون عنها من دون نظر أو تفكر أو تروٍّ فيها، فقد عطلوا عقولهم عن كل ما يدعوهم أو يبعثهم علىٰ الإيمان بالله تعالىٰ والنظر في آياته، فقلوبهم كالمطبوع[1] عليها التي يستحيل نفاذ أي شيء إليها.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝٣٦ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[2] خاف فرعون من أهل مصر أن موسىٰ ويدخلوا في دينه، فدبر هذه المكيدة فأخبرهم أنه سيبني برجاً مرتفعاً ليتمكن

---

(١)- **سؤال:** من أي أنواع المجاز يكون هذا التعبير؟

الجواب: يكون من نوع الاستعارة، وقد قدمنا في آية البقرة -﴿خَتَمَ اللَّهُ...﴾ [البقرة:٧]- ما يفيد في الجواب عن هذا السؤال.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾؟ وما الوجه في نصب الفعل «فاطلع»؟ وهل يجوز رفعه هنا؟ وهل يعود الضمير في «لأظنه» إلىٰ موسىٰ أم إلىٰ الباري تبارك وتعالىٰ؟

الجواب: «أسباب السموات» بدل أو عطف بيان من «الأسباب». ونصب «فأطلع» لإجراء الترجي مجرىٰ التمني في هذا الباب، ويجوز أن يكون منصوباً في جواب الأمر «ابن لي صرحاً». ويجوز أن يوجه نصبه بأنه معطوف علىٰ خبر «لعل» بتوهم دخول «أن» في خبرها، والعطف علىٰ التوهم كثير وإن كان غير مقيس. وضمير «لأظنه» يعود لموسىٰ أي لأظنه كاذباً في دعوىٰ وجود الله تعالىٰ وأنه مرسل من عنده.

سؤال: هل لنا أن نأخذ من هذه الآية أن اعتقاد كون الله في السماء عقيدة فرعونية؟ ومن أي ناحية؟

الجواب: الظاهر أن فرعون كان كافراً بالله غير مؤمن بوجوده لذلك قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۝٢٤﴾ [النازعات]، وقال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢٣﴾ [الشعراء]، وقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٣٨﴾ [القصص]، أي: فلا رسالة ولا رب، إلا أن أمره ببناء الصرح لعله يطلع.. يدل علىٰ أنه يعتقد أنه إذا كان حقاً وجود الإله الذي يدعيه موسىٰ فإنه يكون في السماء.

من الوصول إلى الله تعالى فيسأله عن حقيقة موسى وما جاء به؟ وينظر هل هو صادق فيما يدعي من النبوة، أم أنه إنما أراد أن يغوي الناس ويضلل عليهم بادعائه النبوة كاذباً؟ وأمرهم أن ينتظروا وسوف يأتيهم بالخبر الحق والنبأ اليقين. ومعنى «أسباب السماوات»: طرق السماوات.

﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ۝٣٧﴾[١] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن هذا الرأي وهذه المكيدة راجت عند أهل مصر[٢]، وقد استطاع أن يشكك عليهم حتى صدقوه، ولكن مكيدته هذه لن تنفعه عند الله سبحانه وتعالى، فلا بد أن يكشف أمره، ويفضحه بين الناس، وأن يوقع به السوء والمكروه الذي كان موسى يحذره من الوقوع فيه، والذي كان ينتظره ويخاف منه، وقد أهلكه الله سبحانه وتعالى على يديه. ومعنى «في تباب»: في ضياع وخسران.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ۝٣٨﴾ ولا زال مؤمن آل فرعون يكرر عليهم مواعظه ونصائحه بأن يتنازلوا عن قرار قتله، ويحثهم على النظر والتمعن في صحة أمره وما جاء به، وأن يتحققوا آياته التي أتاهم بها ويتفكروا بعقولهم فيها.

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ۝٣٩﴾ وأرشدهم إلى حال الدنيا وزوالها وحذرهم من أن يغتروا بزينتها، فما فيها من الشهوات واللذات فإنما هو عرض زائل سرعان ما يزول ويفنى، وقد شبهها بما يأخذه المسافر من المتاع في سفره الذي هو سريع النفاد والانتهاء، ونصحهم أن يعملوا لآخرتهم

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما أصل كلمة «تباب» أو ما هو فعلها؟

الجواب: «تباب» مصدر «تَبَّ» إلا أنه غير قياسي.

(٢)- **سؤال:** من أين نفهم هذا؟

الجواب: نفهم ذلك من قوله: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ۝٣٧﴾ فإنه يدل على أن ما فعله من البناء إنما هو مكيدة وتضليل لقومه.

ودعاهم إلى أن يتوجهوا إليها، وأن يعدوا العدة لها؛ لأنها هي الدار التي ستدوم وتبقى دائماً وأبداً.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ۝٤٠﴾[1] ولفت أنظارهم إلى ما ينتظرهم في الدار الآخرة من الجزاء على الأعمال.

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ۝٤١﴾[2] يستنكر مؤمن

---

(١)- **سؤال:** الذي يظهر أن هذا المؤمن قد بلغ من المعرفة شيئاً عظيماً فمتى حصل عليها، والظاهر أن كلامه هذا في أوائل نبوة موسى عليه السلام؟ أم أنها من يوسف عليه السلام؟ أم كيف؟

الجواب: قد كان هذا المؤمن متعلقاً بموسى ومصاحباً له وذلك قبل خروج موسى إلى مدين بدليل إسراعه إلى تحذير موسى ونصيحته له بالخروج من مصر عند أن عزم الملأ على قتله، وقد كان موسى عليه السلام من أهل الإيمان بالله ومن أهل العناية الربانية والتوفيق والتسديد.

سؤال: ما الذي يستفيده المرشد من مواعظ مؤمن آل فرعون وإرشاده هذا، وما قبله وبعده؟

الجواب: الذي يستفيده المرشد:

١ - أن يتلطف المرشد لمن يرشدهم غاية التلطف واللين.

٢ - أن يبين أنه ناصح لهم ومخلص في إرشاده لهم لا يريد إلا دلالتهم على الخير ودفع الشر عنهم والمهالك.

٣- أن يبين لهم الدليل ويوضحه لهم غاية التوضيح فيما يدعوهم إليه أو يحذرهم منه، أي: يبين لهم بالدليل مخاطر وعواقب ما يحذرهم منه.

٤ - لا حرج على المرشد في الإقامة عند العصاة ما دام بصدد إرشادهم وتعليمهم.

٥ - لا يفتر عن بيان الحق بالحكمة والموعظة الحسنة أي: بالدلائل العقلية والنقلية مع التلطف والرفق واللين والتواضع، وليجتنب القسوة والغلظة والتبرم فإن ذلك مما ينفر عنه.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ﴾؟ وما محل جملة: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾؟

الجواب: «ما» في محل رفع مبتدأ، «لي» متعلق بمحذوف خبر، «أدعوكم إلى..» في محل نصب حال لبيان الذي يستنكره. «تدعونني لأكفر بالله» في محل نصب بدل من جملة «وتدعونني إلى النار».

آل فرعون شدة عناد قومه حيث يدعوهم إلىٰ ما فيه نجاتهم وسلامتهم من عذاب الله سبحانه وتعالىٰ فيرفضون؟ فليس من شأن العاقل أن يرفض عرضاً مثل هذا.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ وكيف تدعونني إلىٰ ما فيه هلاكي، وهو اتخاذ الشركاء مع الله تعالىٰ والكفر به، والحال أني أعلم بطلان ما تدعونني إليه، وأن الله هو الإله الواحد الذي لا شريك له.

﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴿٤٢﴾﴾ بينما أدعوكم إلىٰ عبادة الإله القوي الغالب لكل شيء، والمسيطر علىٰ كل شيء، الذي يغفر ذنوب التائبين إليه، فأين عقولكم عن كل هذا؟

وكلامه هذا يدل علىٰ أنه كان قد أظهر إيمانه وأعلنه[1] علىٰ الملأ من قومه.

﴿لَا جَرَمَ[2] أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ[3] فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ ثم أخبرهم أنه لا شك أن تلك الآلهة التي يدعونه إلىٰ عبادتها ليس بيدها أي شيء من

---

(١)- **سؤال:** وكيف نحمل قوله تعالىٰ: ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ مع أنها جملة حالية في أقوىٰ الاحتمالين؟

الجواب: يحتمل أنه كان يكتم إيمانه في أول الأمر ثم جهر به أخيراً حين رأىٰ إصرار فرعون علىٰ قتل موسىٰ، ويمكن أنه كان يكتم طاعة موسىٰ ويظهر طاعة فرعون وإبداء الرأي لا يكون إظهاراً للإيمان بموسىٰ إلا إذا خرج من تحت طاعة فرعون إلىٰ طاعة موسىٰ وهو لم يخرج؛ لذلك تراه عند نصيحته لآل فرعون يتبين فيها أنه واحد منهم غير خارج عنهم.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم فصلوا القول في معنىٰ «لا جرم» وإعرابها؟ مع إعراب: ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾؟

الجواب: «لا» حرف نفي وهي لنفي الكلام السابق ورده، «جرم» بمعنىٰ: حَقَّ. «أنما تدعونني..» أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل حق، وهذا من وجهة نظرٍ بَصْرِيَّةٍ، أو تكون «لا جرم» كلها بمعنىٰ حق.

(٣)- **سؤال:** ما زلنا غير فاهمين لهذه الدعوة التي نفاها عن الأصنام فما هي؟

الجواب: الدعوة التي نفاها أنها لا تدعو أحداً إلىٰ عبادتها لكونها جماداً لا يعقل ولا يتكلم.

أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة، ولا تملك أي صفة من صفات الإلهية.

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ۝٤٣﴾ ولا شك أنه لا بد أن يكون هناك حياة غير هذه الحياة، وأن الله تعالى سوف يبعث الناس جميعاً ثم يحاسبهم ويجازيهم، وإلا فما الفائدة في خلقهم على هذه الدنيا.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ[(١)]۝٤٤ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ۝٤٥﴾ وأخبرهم بأنه سيأتي اليوم الذي سيتذكرون فيه نصائحه ومواعظه لهم، ولكن ذلك سيكون في وقت لا ينفعهم فيه الندم والرجوع.

وأخبرهم بأنه قد فوض أمره إلى الله سبحانه وتعالى، وأسند ظهره إليه فهو الذي يحمي عباده، ويدافع عن المؤمنين به المتوكلين عليه.

ثم أخبر الله تعالى أنه قد نجّى نبيه موسى عليه السلام[(٢)] من مكائد آل فرعون، ومما

---

(١)- **سؤال:** ما وجه ختمه لنصائحه بهذه الآية: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ...﴾ إلخ؟ وهل ينبغي للمرشدين الاقتداء به؟

الجواب: الوجه هو ما فيها من زيادة التحذير لهم والتنبيه إلى أنه قاطع بصحة ما حذرهم منه في نصيحته وأنه واقع بهم إن لم يأخذوا حذرهم قبل وقوعه، وبالنسبة للاقتداء في مثل هذا فإذا كان المقام يقتضي مثل هذا كأن يكون المخاطبون مكذبين بما حذرهم الناصح منه أو مترددين في صحته فيحسن مثل ذلك الكلام.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن يعاد الضمير في «وقاه» إلى مؤمن آل فرعون أم لا؟

الجواب: الأقرب أنه لموسى عليه السلام لأنه الذي شاور فرعون ملأه في قتله فصمم أخيراً على قتله: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ [غافر:٢٦]، ثم قال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ۝٢٩﴾ عند ذلك حاول مؤمن آل فرعون أن يردهم عن هذا الرأي فسرد عليهم تلك النصائح التي فصلها الله تعالى هنا ثم في آخر ذلك قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ فبهذا تبين أن موسى عليه السلام هو المراد دون مؤمن آل فرعون فلم يسبق فيما تقدم ذكر المؤامرة على قتله.

دبروه من قتله والتخلص منه، ورد كيدهم في نحورهم، وأهلكهم ودمرهم جميعاً بالغرق في البحر.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا(١)﴾ وهذا هو عذاب الروح(٢)، وذلك بعد أن يموت الكافر، وقبل أن يبعثه الله سبحانه وتعالى يوم القيامة فإن روحه ستعرض على النار في كل وقت، فيحصل له مثل ما يحصل للنائم(٣) من الأهوال والأفزاع في منامه غير أن عذاب روح الميت أبلغ من عذاب روح النائم.

فأخبر الله سبحانه وتعالى أن آل فرعون على هذه الحال يعرضهم الله سبحانه وتعالى على نار جهنم، ويريهم مقاعدهم التي سيصيرون إليها ويعذبون فيها يوم القيامة ويطلعهم على ما أعد لهم فيها من ألوان العذاب(٤).

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب «النار»؟ وما محل جملة: ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾؟

الجواب: «النار» بدل من سوء العذاب. «غدواً وعشياً» ظرف زمان ليعرضون.

(٢)- **سؤال:** من أين دلت هذه الآية على عذاب القبر؟

الجواب: الدليل من قوله تعالى في آخر الآية: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴿٤٦﴾﴾ فدل ذلك على أن عرضهم على النار هو قُبَيْلَ قيام الساعة وبعد مماتهم لأنهم لم يعرضوا عليها في حياتهم الدنيا.

(٣)- **سؤال:** قد يقال: ما يحصل للنائم إنما هي رؤيا لا حقيقة لها، فيشبه أن يكون عذاب القبر لا حقيقة له؛ فكيف نجيب على ذلك؟

الجواب: القصد في التمثيل هو بيان نوع العذاب في القبر، وقد بيّنّا في التفسير أنه أبلغ منه، أي: أنه أشد وأعظم، فرؤية الميت لنار جهنم وسماعه أصوات سعيرها وهي تتفجر ونظره تطاير شررها التي كالقصور وكالجبال وتعقله لما يقال له: انظر إلى مقعدك في هذه النار، فرؤية هذا ليس كرؤية النائم لثعبان أو عقارب أو لجمل مقبل عليه، فشتان ما بين الرؤيتين.

(٤)- **سؤال:** وهل يصح أيضاً أن تحمل الآية على تعذيبهم بالنار في هذه الحالة استدلالاً بما تقوله العرب: «عرضتهم على السيف» إذا قتلتهم به فيكون المعنى: يعذبون بها وفيها أم لا ترون ذلك مناسباً؟

=

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ۝٤٦﴾ فإذا كان موعد بعثهم فسيحاسبهم الله سبحانه وتعالىٰ، ثم يأمر بسوقهم إلىٰ نار جهنم التي ستكون مستقرهم ومصيرهم خالدين فيها أبداً.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالىٰ ما سيحصل من أهل النار من الجدل والمناقشة بين التابع والمتبوع؟

﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ۝٤٧﴾(١) فسيسأل التابعون المتبوعين ويطلبون(٢) منهم أن يأخذوا عنهم قسطاً من عذابهم مقابل ما تسببوا في إضلالهم وإغوائهم.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ۝٤٨﴾ فيجيبهم رؤساؤهم المتبوعون، ويخبرونهم أنهم قد استحقوها جميعاً التابعون والمتبوعون وأن هذا حكم من الله تعالىٰ قد حكم به بين عباده وأمضاه، فلا تراجع عن حكمه ولا تغيير له ولا تبديل.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ۝٤٩﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن حال أهل جهنم أيضاً وهم يستغيثون ويصرخون من شدة الألم والعذاب، وكيف يتوسلون إلىٰ الملائكة الموكلين بتعذيبهم أن يسألوا الله تعالىٰ ويشفعوا لهم عنده أن يخفف عنهم ما هم فيه من الشدة والألم، فتجيب عليهم الخزنة بقوله: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا

الجواب: ليس ما ذكرتم مناسباً لقوله تعالىٰ في آخر الآية: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ۝٤٦﴾.

(١)- **سؤال:** ما إعراب «نصيباً»؟ وهل هي بمعنىٰ متحملون نصيباً عنا؟

الجواب: «نصيباً» مفعول به لـ«مغنون»، ومغنون بمعنىٰ: دافعون أو متحملون.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في وروده بالاستفهام؟

الجواب: الوجه هو ما في الاستفهام من التخجيل والتبكيت.

بَلَى قَالُوا فَادْعُوا[(١)] وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴿٥٠﴾﴾ نزعت الرحمة من قلوبهم، وصاروا يتلذذون بتعذيبهم، وحين يسألهم أهل النار ذلك السؤال يجيبونهم بهذا الرد، فلا يجدون بداً من الإقرار والاعتراف بأن ما صاروا فيه من العذاب إنما هو بذنوبهم، وستقنعهم الملائكة أيضاً بأنهم مهما حاولوا وتوسلوا فلن ينفعهم ذلك عند الله سبحانه وتعالى شيئاً.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴿٥١﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه مع أنبيائه والمؤمنين بنصره وتأييده في الدنيا والآخرة، وذلك بما يرون من انتقامه لهم من أعدائهم في الدنيا[(٢)]، ثم ما يرونه من سوقهم إلى نار جهنم وتعذيبهم يوم القيامة.

﴿يَوْمَ[(٣)] لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴿٥٢﴾﴾ أراد الله

---

(١)- **سؤال:** ما مراد الملائكة بقولهم لهؤلاء: «فادعوا»؟

الجواب: أرادوا الاستهزاء بهم والإقناط لهم.

(٢)- **سؤال:** قد يسلم أعداء المؤمنين من الانتقام في الدنيا فيتشكك بعض المؤمنين أو الضعاف منهم في مثل هذه الآية فكيف توجهونهم في ذلك؟

الجواب: قد تقدم الجواب عن مثل هذا السؤال، وذلك ما حاصله: أن الابتلاء بالأعداء وقوتهم وظلمهم فتنة واختبار للمؤمنين، ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ..﴾ [محمد:٤]، فمن نظر وتدبر فيما لقي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم والمؤمنون من الأذى والمضايقات سنين طويلة وما أصابهم من القتل والجرح ثم ما لقي علي عَلَيْهِ السَّلَام وأهل بيته من ذلك لم يحصل له شك بعدم النصر، فقد يكون النصر بانتشار الدين والعقيدة رغم المضايقات ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴿٩﴾﴾ [الصف]، وقد يكون بظهور الحجة وقهرها للمعاندين وهي من أسباب التهيئة للتمكين والرفعة بل أهمها كما قال سبحانه: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة:٤٠]، مع أن إخراجه في ظاهر الأمر قهر وإذلال من قبل أعدائه، وهكذا.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب: «يوم لا ينفع»؟ وعلام عطفت جملة «لهم اللعنة»؟

الجواب: «يوم لا ينفع» بدل من «يوم يقوم الأشهاد». «ولهم اللعنة» معطوفة على «لا ينفع الظالمين معذرتهم».

سبحانه وتعالىٰ به يوم القيامة فقد انقطع الرجاء وانتهى الأمل، فلم يبق للظالمين إلا ما أعده الله تعالىٰ لهم من العذاب في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ۝٥٣ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝٥٤﴾(١) ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أنه قد أرسل قبله موسىٰ نبياً، وأنزل عليه التوراة التي فيها هدىٰ بني إسرائيل، وطريق نجاتهم، ولكنه لم يتذكر منهم ويتعظ بها ويعمل بما فيها إلا أهل العقول والبصائر النافذة، وأما البقية والكثرة فقد أعرضوا عنها وجعلوها وراء ظهورهم.

﴿فَاصْبِرْ(٢) إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ثم بعد أن حكىٰ الله سبحانه وتعالىٰ لنبيه ﷺ ما جرىٰ علىٰ موسىٰ من قومه أمره أن يقتدي به ويصبر علىٰ أذىٰ قريش وتكذيبهم به حتىٰ يحين موعد نصره وتأييده وظهوره عليهم، والله لا يخلف وعده.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ(٣) وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۝٥٥﴾(٤) وأمره أيضاً أن يداوم علىٰ التوبة والاستغفار والتسبيح لله تعالىٰ والتحميد له في جميع أوقات الليل والنهار، وأن يشغل جميع أوقاته بطاعة الله سبحانه وتعالىٰ.

---

(١)- **سؤال:** ما المقصود بوراثة بني إسرائيل للكتاب؟ وما إعراب «هدىٰ وذكرىٰ»؟

الجواب: أورث الله بني إسرائيل الكتاب أي: تركه فيهم بعد موسىٰ. «هدىٰ وذكرىٰ» مفعول من أجله، أو حال أي: هادياً ومذكراً.

(٢)- **سؤال:** ما معنىٰ الفاء هنا؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة أي: أنها في جواب شرط مقدر.

(٣)- **سؤال:** هل اللام هنا علىٰ بابها أم أنها بمعنىٰ «من»؟

الجواب: اللام للتعليل أي: لأجل ذنوبهم، فالمصدر في قوله: «لذنبك» مضاف إلىٰ المفعول أي: للذنب الصادر منهم إليك، أما النبي ﷺ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

(٤)- **سؤال:** ما علاقة الاستغفار والتسبيح والتحميد بما كان عليه النبي ﷺ من الأذية من قومه؟

الجواب: العلاقة هي كون ذكر الله تعالىٰ يعين علىٰ الصبر ويطمئن القلب: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ[١] إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ ثم خاطب الله تعالىٰ نبيه ﷺ وأخبره أن هؤلاء الذين يجادلونه من قومه في آيات الله تعالىٰ، ويشككون فيها عن غير دليل أو حجة لا يطلبون الحق ولا يريدونه، وإنما ذلك كبر منهم وتعالٍ علىٰ الحق وأهله، مؤملين بذلك أن يبطلوا الدين ويدمروا الإسلام وأهله، ولكنهم لن يصلوا إلىٰ ذلك الأمل، ولن يبلغوا نتائج كبرهم وتعاظمهم ولا بد أن يهلكهم الله سبحانه وتعالىٰ، ويذل كبرهم، ويقطع رجاءهم وآمالهم، وستكون العاقبة والغلبة في الأخير للنبي ﷺ والمؤمنين.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴿٥٦﴾﴾ وأرشده الله تعالىٰ إلىٰ أن يستعين به ويستجير من شرهم ومكرهم وأذاهم وسينجيه منهم وينصره عليهم، فهو دائماً معه بحفظه وتأييده أينما ذهب.

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴿٥٧﴾﴾[٢] غير أن أكثر الناس لا ينظرون في آيات الله سبحانه وتعالىٰ، ولا يتفكرون في عجائب خلقه وآثار قدرته في السماوات والأرض.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ ثم ضرب الله سبحانه وتعالىٰ هذا المثل ليعرف عباده الفرق بين أهل الحق والباطل، فأخبر أنه لا يستوي من هو أعمىٰ لا يبصر الطريق ولا يهتدي إليها هو وذلك البصير الذي يرىٰ طريقه ويسير فيها،

---

(١)- **سؤال:** ما معنىٰ الباء في قوله: «بغير سلطان»؟ وما محل جملة: «أتاهم»؟

الجواب: الباء للاستعانة، أتاهم: في محل جر صفة لـ«سلطان».

(٢)- **سؤال:** ما إعراب ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾؟ وما النكتة في الإخبار عنهم بأنهم لا يعلمون؟

الجواب: اللام لام الابتداء وتفيد التأكيد، وخلق مبتدأ والسماوات مضاف إليه. «أكبر» خبر المبتدأ. وكون خلقهما أكبر وأعظم من خلق الناس لا يعلمه منكرو البعث ولو علموه لآمنوا بالبعث لأن من قدر علىٰ خلق الأكبر قدر علىٰ خلق الأدنىٰ.

فالمؤمن يبصر الحق والهدى بما جعل الله سبحانه وتعالى له من النور، بينما الكافر لا يبصر شيئاً فهو يتخبط في ظلمات الشرك والجهل لا يهتدي إلى طريق الحق.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ۝٥٨﴾[١] وكذلك لا يستوي عند الله سبحانه وتعالى الرجل الذي يعمل الأعمال الصالحة هو وذلك الذي كفر بالله سبحانه وتعالى وعمل المعاصي والفواحش، فلا بد أن يقع التمييز بينهم، وأن يلقى كل واحد منهم جزاء عمله.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ۝٥٩﴾ فلا يستوي المؤمن والكافر عند الله سبحانه وتعالى، ولا بد أن يكون هناك حياة غير هذه الحياة ليجزي الله المسيء على إساءته[٢]، ويثيب المحسن على عمله وإحسانه؛ فلو لم يكن هناك بعث ولا حساب لكان خلقه لهم وتكليفهم عبثاً، ولكان ظالماً إذ مكن ذلك الظالم بما أعطاه من أسباب القوة والجبروت، فعلمنا أنه لا بد أن يكون هناك دار غير هذه الدار ينتصف فيها المظلوم من ظالمه، وينال فيها المحسن جزاء عمله وإحسانه.

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في دخول «لا» على «المسيء» دون «والذين آمنوا وعملوا»؟ وما إعراب: «قليلاً ما تتذكرون»؟

الجواب: الوجه في دخول «لا» على المسيء هو التأكيد على عدم مساواته للذين آمنوا وعملوا الصالحات لأنه هو الذي يدعي المشركون مساواته للذين آمنوا وعملوا الصالحات. «قليلاً» مفعول مطلق أو ظرف زمان أي: تذكراً قليلاً أو زمناً قليلاً، وناصبه «تتذكرون»، و«ما» صلة وتأكيد للقلة.

(٢)- **سؤال:** هل تقصدون أن قوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ جواب لسؤال مقدر مما قبله أم كيف؟

الجواب: بل الجملة هذه مستأنفة لبيان وتقرير ما ينكره المشركون من البعث استئنافاً نحوياً.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ[(١)] ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴿٦٠﴾﴾[(٢)] يحث الله سبحانه وتعالى عباده هنا، ويرشدهم إلى عبادته والالتجاء والتضرع إليه، ووعدهم بأنه سيلبي لهم مطالبهم، وسيستجيب لهم دعاءهم، وأما من استكبر وترفع عن الخضوع والاستسلام له فسوف يذله ويهينه ويعذبه في نار جهنم.

وذلك أن الدعاء تذلل لله سبحانه وتعالى وإظهار للعجز والفقر والحاجة إليه؛ والله سبحانه وتعالى أيضاً يحب من عبده أن يتضرع ويتذلل بين يديه، وأن يظهر الفقر والحاجة إلى ربه في جميع أوقاته.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا[(٣)] إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴿٦١﴾﴾ فهو وحده الذي أنعم عليكم بأن خلق لكم الليل لتسكنوا فيه وتهدأ جوارحكم من عناء التعب والمشقة في النهار، وخلق لكم النهار مبصراً لتستعينوا به على الابتغاء من فضل الله والسعي وراء أسباب معايشكم وأرزاقكم، وكل ذلك رحمة بكم ونعمة عظيمة أنعم بها عليكم فالمفروض أن تخصوه وحده بالعبادة، وأن تظهروا له الخضوع والتذلل والمسكنة.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما السر هنا في إقامة الظاهر مقام المضمر الموافق لمقتضى الحال؟

الجواب: مجيء الظاهر هنا «ربكم» كالدليل على أنه سيستجيب لهم فإن من شأن الرب أن يقوم بمصالح مملوكه، وأن يدفع المضار عنه.

(٢)- **سؤال:** يقال كثيراً بأن الله يسمي دعاءه في هذه الآية عبادة وتركه استكباراً فبأي أنواع الدلالة نأخذ هذا من الآية؟

الجواب: التسمية من قبيل الظاهر لاحتمال كون جملة «إن الذين يستكبرون..» غير متعلقة بما قبلها.

(٣)- **سؤال:** هل يصح عطف «مبصراً» على «لتسكنوا» أم كيف، وضحوا ذلك؟

الجواب: «مبصراً» حال من النهار، وليس معطوفاً على «لتسكنوا».

﴿ذَٰلِكُمُ[١] اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴿٦٢﴾﴾ فهذا الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو ربكم الذي ينبغي أن تخصوه بعبادتكم، لا تلك الأصنام التي لا تملك لكم شيئا، وليس بيدها لكم أي نفع أو دفع ضر؛ فكيف تصرفون عن عبادة ربكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم إلى عبادة غيره؟ وما هو الذي صرفكم؟ وهل فعلت لكم تلك الآلهة شيئاً حتى تتوجهوا إليها هذا التوجه وتعبدوها هذه العبادة؟

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴿٦٣﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن هذا دأب المكذبين بآيات الله تعالى، وهو أنهم يصرفون[٢] عن طريق الحق، ويسيرون على غير هدى أو بصيرة، فهم يخبطون خبط عشواء في ظُلَم الضلال.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا[٣] وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يخاطب الله سبحانه

---

(١)- **سؤال:** ما السر في استخدام إشارة البعيد هنا؟ وما إعراب «فأنى تؤفكون»؟

الجواب: جيء بالإشارة لتدل على انكشاف أن الله تعالى وحده هو الذي جعل، وأنه لشدة وضوحه للعقول والأبصار كان بمنزلة المحسوس الذي تراه العيون أي: أن وضوحه صار كالمعلوم ضرورة بحاسة النظر، وهذا بالإضافة إلى ما في إشارة البعيد من التعظيم والرفعة لله تعالى. «أنى» اسم استفهام بمعنى كيف، في محل نصب حال من فاعل «تؤفكون».

(٢)- **سؤال:** يقال: فلماذا عبر عن انصرافهم بأنفسهم بالمبني للمجهول المقتضي بظاهره أنه حاصل من غيرهم؟

الجواب: يقال: الذي صرفهم هو الجهل والهوى والشهوات والكبر فصح لذلك أن يبنى الفعل للمجهول، قال الله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف:٢٨].

(٣)- **سؤال:** ما نوع اسمية «قراراً»؟ وما مناسبة حمله على الأرض؟

الجواب: «قراراً» مصدر قر يقر قراراً، هذا هو الأصل يقال: قر قراراً مثل: ثبت ثباتاً، وقد فسروا هذا المصدر بأنه بمعنى: مستقراً، فصح حمله على الأرض.

وتعالى هنا المشركين[١] بأنه وحده الذي مهد لهم الأرض ليعيشوا على ظهرها، وسهل لهم أسباب المعيشة وسبلها، وهيأ لهم القرار على ظهرها نعمة منه امتن بها عليهم، وكذلك هو وحده الذي خلق لهم السماء وجعلها سقفاً محفوظاً يظلهم، وسخر لهم فيها الشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر والرياح، وجعلها تصب في مصالحهم وتفيض بركتها عليهم.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ وهو وحده الذي خلقهم في أحسن تقويم وصورهم على أجمل هيئة وصورة، وفضَّلهم في الخلقة على سائر الخلائق، تكرمة منه تعالى كَرَّمهم بها، ونعمة عظيمة أنعم بها عليهم.

﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ وهو وحده الذي أخرج لهم طيبات الرزق وسخرها لهم من الثمار والزروع والحيوانات التي يستعينون بها على معيشتهم.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴿٦٤﴾﴾ فهذا الذي تفضل عليكم بهذه النعم العظيمة هو ربكم الذي ينبغي لكم أن تتوجهوا بعبادتكم إليه وحده، لا تلك الأصنام التي لا تستحق شيئاً من التعظيم والإجلال.

وتبارك الله: يعني كثرت منافعه فيكم، وتظاهرت نعمه عليكم.

﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ وهو الحي القيوم الدائم، وأما تلك الأصنام التي تعبدونها فليست إلا أحجاراً لا أثر للحياة عليها.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ[٢] مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٦٥﴾﴾ فهو وحده المتفرد بصفات الإلهية والكمال فتوجهوا إليه، وأخلصوا عبادتكم له.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما وجه قصر الخطاب هنا على المشركين؟

الجواب: السورة مكية والخطاب للمشركين لذلك قال في آخر الكلام هذا: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

(٢)- **سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟ وهل لها في مثل هذا الموضع قاعدة مطردة؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة، وسميت فصيحة لأنها تفصح عن شرط مقدر.

ثم ختم الآية بالحمد لله رب العالمين لوضوح برهان الدين الحق.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ[1] الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يخبر قريشاً بأن جبريل قد نزل عليه بالوحي من عند الله تعالى، وأن من جملة ما نزل عليه أن الله تعالى أمره بعبادته والاستسلام له والانقياد، وقد نهاه عن عبادة آلهتهم التي يعبدونها من دون الله سبحانه وتعالى.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ[2] يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾[3] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى

---

(١)- **سؤال:** ما محل «أن أعبد» الإعرابي؟ وما إعراب: «لما جاءني»؟ وبِـمَ تعلقت؟

الجواب: «أن أعبد» محله الجر بـ«عن» مقدرة، أو النصب على نزع الخافض. و«لما» ظرف زمان متعلقة بـ«نهيت». جاءني: جملة ماضوية محلها الجر بإضافة «لما» إليها.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في اختصار الحديث عن أطوار خلق الإنسان هنا؟

الجواب: الوجه هو كون الكلام في الاستدلال على وحدانية الرب جل وعلا وبيان استحقاقه وحده للعبادة، وفي مثل هذا المقام يقول مرة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [التغابن:٢]، ومرة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا...﴾ [الأنعام:٢]، ومرة يقول: ﴿خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾﴾ [النجم]، ومرة: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء:١]، ومثل هذا الاستدلال كاف في إقامة الدليل وبيان الحجة.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «طفلاً»؟ وما الذي عطف بـ«ثم» في قوله: «ثم لتبلغوا»؟ وإذا كانت اللام للتعليل فما هو المعلل بها؟ وهل قوله: «ولعلكم تعقلون» معطوف على ما عطف عليه «لتبلغوا أجلاً»؟ أم كيف؟

الجواب: «طفلاً» حال من الكاف في «يخرجكم»، والمعطوف بـ«ثم» محذوف تقديره: ثم يبقيكم لتبلغوا، فالمعلل باللام هو «يبقيكم» المقدر. «ولتبلغوا أجلاً» المعطوف محذوف دل عليه السياق، والتقدير: ويبقي بعضكم أحياءً لتبلغوا أجلاً مسمى. «ولعلكم تعقلون» معطوف على: لتبلغوا أجلاً مسمى»، والمعنى: أن الله تعالى فعل ذلك لأجل أمرين: لأجل أن يبلغوا

=

المشركين أنه الإله الذي يستحق العبادة وحده دون تلك الأصنام؛ لأنه وحده الذي تفرد بخلقهم وإيجادهم من العدم هم وغيرهم؛ فقد ابتدأ خلقهم من تراب، وذلك آدم وحواء، ثم بعد ذلك تناسلوا وتكاثروا من تلك النطفة التي يلقيها الرجل في رحم المرأة فتتحول هذه النطفة بقدرته إلى العلقة التي هي قطعة دم متجمدة، فتتكون هذه العلقة بقدرة الله تعالى إلى أن تصير إنساناً سوياً يتحرك ويمشي بقدرة الله تعالى، ثم إنه ينمو ويكبر إلى أن يبلغ أشده وقوته فيعمره الله سبحانه وتعالى إلى أن يصل أوان الشيخوخة والضعف، وكل ذلك تحت عناية الله سبحانه وتعالى ورعايته. ومعنى بلوغ الأشد: اكتمال العقل والقوة.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى﴾ وبعضهم يتوفاه الله تعالى قبل أوان الشيخوخة والكبر، فقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل نفس أجلاً سماه لها، ولا بد أن يستوفي كل امرئ أجله الذي قد كتبه له.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ ينزل الله سبحانه وتعالى لعباده الآيات ويصرفها ويفصلها لهم ليعتبروا بها، ويتدبروا ويتفكروا فيها بعقولهم؛ ليعرفوا أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقهم وبيده جميع أمورهم؛ لعلهم يرجعون إليه، ويتركون عبادة غيره من الآلهة التي يدّعونها، وليعرفوا قدرته ومدى علمه وحكمته وعظمته.

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٦٨﴾[1]

أجلاً مسمى، ولأجل أن يوحدوه ويشكروه.

سؤال: هل يمكن أن نستوحي من الآية تحديد زمان الشيخوخة وكذا زمان بلوغ الأشد؟

الجواب: جاء تحديد بلوغ الأشد في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي...﴾ [الأحقاف:١٤]، فقد تحدد من هذه الآية أن بلوغ الأشد هو بلوغ أربعين سنة، وعليه فيكون بلوغ الشيخوخة هو ما بعد الأربعين، وقد قيل في تعريف الشيخ: إنه الذي بلغ خمسة وثلاثين عاماً أو سبعة وثلاثين.

(١)- **سؤال:** هل يمكن أن يكون قضاء الله هنا بمعنى تقديره أن في ذلك الإحياء أو تلك الإماتة

=

وأنه وحده الذي بيده حياتكم وموتكم، وإذا أراد بعثكم فإنه سيبعثكم من غير احتياج منه إلى آلة أو مزاولة عمل، فإرادته هي نفس مراده.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ۝٦٩﴾[١] يُعَجِّبُ الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من حال المشركين عندما يجادلونه في آيات الله الواضحة الجلية، ويشككون فيها، ويكذبون بها، فكيف يصرفون عن هذه الآيات الواضحة الجلية المكشوفة؟ يردونها بالباطل الذي لا يملكون عليه أي دليل أو حجة؟ وكيف ينكرون الله تعالى مع أن الآيات الدالة عليه واضحة مكشوفة أمام أعينهم، ويقرون ويعترفون بإلهية تلك الأصنام التي لا دليل لهم أو حجة على إلهيتها؟

﴿الَّذِينَ[٢] كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ۝٧٠﴾[٣] ثم

مصلحة فيكون متقدماً على نفس الإحياء والإماتة فلا تحمل الإرادة هنا على نفس المراد؟ أم لا ترون ذلك مناسباً فلماذا؟

الجواب: ما ذكرتموه مناسب بل هو أولى من خلافه، ويكون المراد بالتقدير الذي ذكرتم هو: علم الله تعالى بالمصلحة والحكمة في خلق الله لشيء في وقت معين.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما موقع إعراب «أنى يصرفون»؟

الجواب: الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً في جواب سؤال كأنه قيل: ما بالهم.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن يكون «الذين كذبوا» مبتدأ خبره «فسوف يعلمون»؟ ويكون شاهداً على دخول الفاء على الخبر أم ترونه ضعيفاً؟

الجواب: يجوز ذلك ويصح كما ذكرتم ويصح أن تكون «الذين» بدلاً من «الذين يجادلون».

(٣)- **سؤال:** هل يؤخذ من قوله: ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ أن الله تعالى يوحي إلى الرسل شرعاً غير ما في الكتب كالسنة المطهرة بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: ظاهر الاسم الموصول في قوله: ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ العموم فيدخل في ذلك ما شرعه الله تعالى على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم كبيان أعداد كل صلاة من الصلوات الخمس وبيان كيفيتها وبيان مقادير الزكوات والأموال التي تجب فيها الزكاة ومقدار نصاب كل مال وبيان مناسك الحج بالتفصيل و.. إلخ.

وصف الله سبحانه وتعالىٰ هؤلاء الذين يجادلون في آياته بأنهم الذين كذبوا بالقرآن، وبكل ما أيد به رسله من الآيات، فسوف يلقون جزاء كفرهم وتكذيبهم.

﴿إِذِ[١] الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾[٢] فعندما تغل أيديهم إلىٰ أعناقهم بسلاسل من نار، ثم يسحبون بها إلىٰ نار جهنم التي سيكونون حطباً لها ووقوداً، فعندها سيعلمون أحقية ما كانوا يكذبون به وينكرونه، وسيصيبهم الندم الشديد علىٰ ما أسلفوا ويتمنون الرجوع ليؤمنوا ويصدقوا، ولكن هيهات حين لا ينفعهم الندم.

ومعنىٰ ﴿يُسْجَرُونَ﴾: أي يكونون وقوداً لها.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ[٣] ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ وعندما تلقيهم الملائكة في نار جهنم فستسألهم حينها: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها

---

(١)- **سؤال:** ما هو عامل النصب في قوله: «إذ»؟

الجواب: يجوز في «إذ» أن تكون مفعولاً به لـ«تعلمون»، ويجوز أن تكون ظرفاً له علىٰ التجوز بـ«إذ» للاستقبال.

(٢)- **سؤال:** لو تكرمتم بتفصيل إعراب: ﴿وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾؟

الجواب: «والسلاسل» معطوف علىٰ الأغلال، أو مبتدأ والخبر محذوف، أي: في أعناقهم، والجملة في محل جر معطوفة علىٰ ما قبلها. «يسحبون» في محل نصب حال من الضمير المجرور. «في الحميم» متعلق بيسحبون. «ثم» حرف عطف. «في النار» جار ومجرور متعلق بيسجرون، والجملة معطوفة علىٰ جملة يسحبون.

(٣)- **سؤال:** فضلاً هل مفعول «تشركون» محذوف فما وجه حذفه؟ وما إعراب: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾﴾؟

الجواب: مفعول «تشركون» محذوف وهو عائد الموصول وحذف العائد المنصوب جائز قياساً مطرداً. «أين» ظرف مكان وضمن معنىٰ الاستفهام متعلق بتشركون.

من دون الله سبحانه وتعالى، والتي كنتم تجادلون عنها، وتدافعون عنها في الدنيا لتنفعكم وتدفع عنكم؟ فيجيبونهم بأنهم قد ضاعوا وغابوا عنهم فلم يعودوا يرونها أو يؤملون فيها شيئاً.

﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ وسيعترفون أن ما كانوا يعبدونه من دون الله لا يستحق اسم الشيء فليست شيئاً في الحقيقة، ولكن هذا الاعتراف وهذه المعرفة لا تنفعهم يوم القيامة.

وقد يكون معنى الآية أن المشركين سينكرون يوم القيامة أنهم كانوا يعبدون غير الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣﴾ [الأنعام].

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ[1] اللَّهُ الْكَافِرِينَ ۝٧٤ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ[2] الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ۝٧٥﴾[3] فتخبرهم الملائكة بأن ما هم فيه من العذاب إنما هو بسبب بطرهم بنعم الله تعالى واستعمالها في الكفر والتكذيب بآيات الله والصد عن سبيله، وإبطال دعوة أنبيائه ورسله وقتالهم.

﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٦﴾ فادخلوا

---

(١)- **سؤال:** ما أنسب المعاني للضلال هنا مؤيداً بالتعليل أيدكم الله؟

الجواب: الإضلال هنا هو في الآخرة أي: أن الله تعالى يفرق بين المشركين وآلهتهم فلا يلتقي بعضهم ببعض.

(٢)- **سؤال:** هل لهذا القيد ومفهومه فائدة يؤخذ منها حكم شرعي؟

الجواب: نعم له فائدة وتلك الفائدة هي بيان أن الفرح بنعمة الله المصحوب بالشكر لله والاعتراف بفضله وعظيم إحسانه فرح لا يؤاخذ به المرء بل قد يؤجر عليه قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس]، وقد قدمنا في سورة القصص تفصيلاً حول هذا الموضوع في جواب سؤال هناك.

(٣)- **سؤال:** هل هناك فرق بين الفرح والمرح حتى عطف سبحانه أحدهما على الآخر أم كيف؟

الجواب: المرح هو التوسع في الفرح فهذا هو الفرق بينهما ومن هنا صح العطف.

بسبب ذلك نار جهنم خالدين فيها أبداً. ومعنى «بئس»: ما أسوأ مثواهم ومنزلهم الذي سيدخلونه، وما أفضعه وأبشعه.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فما عليك إلا أن تصبر يا محمد فلا بد أن يهلكهم الله سبحانه وتعالى وينصرك عليهم، وهذه السورة نزلت على النبي ﷺ في مكة، وهو مع أصحابه في ذلة وقلة وضعف يلقون صنوف الأذى والتعذيب من المشركين، ولم يكن مع النبي ﷺ إلا عمه أبو طالب يحميه، ويدفع عنه أذاهم وشرهم؛ فأنزل الله سبحانه وتعالى عليه هذه الآية يصبره ويشد عزيمته.

﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا[١] يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ فاصبر يا محمد فلا بد أن نعذبهم سواءً رأيت تعذيبهم أم توفاك الله قبل رؤيته فاطمئن إلى صدق وعد الله.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا[٢] عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنه قد أرسل قبله رسلاً كثيرين، فبعضهم قد ذكرهم له في القرآن، وبعض آخر لم يذكرهم الله تعالى في القرآن.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا ينبغي ولا يتأتى لرسول أو نبي من أنبياء الله تعالى أن يأتي قومه بأي آية من آيات الله تعالى إلا عندما يأذن الله سبحانه وتعالى له في ذلك وعلى حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة، وذلك أن النبي ﷺ كان يرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينزل عليه آية تجعلهم يؤمنون بناءً على ما كانوا يطلبون منه ويَعِدُونه أنه إذا جاءهم

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «فإما نرينك»؟ وما هي الفاء في قوله: «فإلينا»؟

الجواب: «فإما»: «إن» شرطية أدغمت في «ما»، و«ما» صلة، أي: زائدة للتوكيد. «نرينك» مضارع مبني على الفتح في محل جزم بـ«إن» الشرطية. «فإلينا» الفاء سببية رابطة أي: واقعة في جواب الشرط.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في حذف مفعول «قصصنا» في هذه الآية؟

الجواب: يجوز حذف عائد الموصول إذا كان منصوباً للتخفيف قياساً.

بآية من عند الله سبحانه وتعالى تدل على صدقه فإنهم سوف يؤمنون، متجاهلين لتلك الآيات التي جاءهم بها من قبل، غير معتدين بها، مما يدل على أن ذلك لم يكن إلا مراوغة منهم واستهزاءً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبدينه.

وأما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم تكن رغبته في أن يعطيه الله آية إلا لشدة حرصه على إيمانهم وشفقته عليهم من عذاب الله سبحانه وتعالى.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ۝٧٨﴾ فإذا حان موعد تعذيبهم، وحلول عذاب الله تعالى بهم فعندها سيهلكهم الله تعالى جميعاً ويستأصلهم، وأما المؤمنون فسينجيهم ويحفظهم.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ[1] ۝٧٩ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ ثم أخبر الله تعالى أنه وحده المنعم عليهم بأن خلق لهم الأنعام التي هي الإبل والبقر والغنم والماعز وسخرها لهم ليركبوا على ظهورها ويأكلوا من لحومها، وأيضاً جعل لهم فيها منافع أخرى كثيرة غير ذلك كالصوف واللبن والزينة والجمال وحمل الأمتعة والسفر والتنقل عليها من بلد إلى آخر.

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝٨٠﴾ وكذلك السفن التي سخرها الله سبحانه وتعالى لعباده لحملهم والسير بهم فوق الماء، وحمل بضائعهم من بلد إلى بلد آخر.

يُذكِّرُ الله سبحانه وتعالى هنا عباده بنعمه العظيمة عليهم لعلهم يرجعون إليه، ويتركون ما هم فيه من الضلال والشرك.

---

(١)- **سؤال:** ما السر في عدم عطفه على الفعل «تركبوا» المنصوب بعد لام التعليل؟ وما السر أيضاً في العطف بالتعليل على الخبر في قوله: «ولتبلغوا»؟

الجواب: قد أجاب صاحب الكشاف عن هذا السؤال بما ملخصه: أن في الركوب والسفر عليها لحاجة ما هو واجب وما هو مندوب كسفر الجهاد والحج وطلب الرزق الحلال ونحو ذلك، فدخلت لام التعليل لأنها أغراض دينية، أما الأكل والمنافع الأخرى فمن جنس المباح فلم تدخل لام التعليل عليها لأن المباح من حيث هو مباح ليس غرضاً دينياً، هذا معنى كلام الكشاف.

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ۝٨١﴾(١) ويبصركم آياته التي بثها لكم في الكون، التي لن تستطيعوا أن تنكروا أي آية منها، ولن تجدوا بداً من أن تقروا وتعترفوا بأنه الذي أوجدها، وأبدعها بقدرته وعلمه وحكمته، وفصلها لكم في القرآن.

﴿أَفَلَمْ(٢) يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ثم استنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين لماذا لم يعتبروا بما رأوا من الآيات والعبر، وما حل بتلك الأمم من قبلهم التي يرون آثارها في طريق أسفارهم، ويعرفون أن ما حل بهم إنما كان جزاءً على تكذيبهم وتمردهم على أنبيائهم بما كانوا يسمعونه من الأخبار عنهم.

﴿كَانُوا(٣) أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ۝٨٢﴾ فقد أهلكهم الله تعالى على الرغم من القوة التي كانوا عليها، وكثرة العدد والعدة، وما كانوا عليه من القوة في البناء والعمران ونحت البيوت في الجبال، فلم تنفعهم قوتهم تلك وأموالهم أو تدفع عنهم شيئاً مما أنزله الله تعالى عليهم من العذاب والسخط.

---

(١)- **سؤال:** علام عطف الفعل «يريكم»؟ وما إعراب: ﴿فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ۝٨١﴾؟

الجواب: «يريكم» معطوفة على «تحملون» لا محل لها من الإعراب أو على «جعل لكم» وما بينهما اعتراض. «أي» اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم مضاف لما بعده.

(٢)- **سؤال:** هل الاستفهام في هذه الآية تقريري أم استنكاري أم يصلح الوجهان باعتبارين وضحوا ذلك؟

الجواب: يقال فيه استفهام تقريري أي: لتقرير ما بعد النفي، ويقال: استنكاري لما دخل عليه الاستفهام.

(٣)- **سؤال:** هل هذه الجملة في مقام الجواب على الاستفهام الذي سبقها فلا محل لها؟ أم ماذا؟

الجواب: الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً في جواب سؤال مقدر.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴿٨٣﴾﴾ فعندما أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم رسله يدعونهم ويحذرونهم وينذرونهم- اغتروا بما عندهم من الملك والقوة والكثرة[1] فتمردوا على أنبيائهم، وكذبوا بهم، فأحاطت بهم أعمالهم فاستحقوا عذاب الله تعالى، ونزل عليهم سخطه، ولم تغن عنهم قوتهم تلك شيئاً مما نزل بهم؛ فقريش -وهم أضعف منهم وأقل جمعاً- يجدر بهم أن يعتبروا، ولا يغتروا بأنفسهم حتى لا يحل بهم مثل ما حل بمن كان قبلهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ[2] مُشْرِكِينَ﴿٨٤﴾﴾ فلما رأت تلك الأمم المكذبة نزول عذاب الله بهم وحلوله عليهم أعلنوا إيمانهم بالله وحده وتبرأوا من عبادة غيره.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[3] ولكن إيمانهم ذلك لن ينفعهم فقد انقطع الأمل والرجاء، وأغلق باب التوبة؛ لأنهم أصبحوا في حكم المضطرين والملجأين[4] إليه إذ قد رفع التكليف وحان العقاب.

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في التعبير بفرحتهم بالعلم عن اغترارهم بما هم فيه من القوة والكثرة؟

الجواب: الوجه هو أن قوله: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ترجمة للغرور وتفسير له.

(٢)- **سؤال:** هل «ما» في قوله: «بما كنا به» موصولة؟ وما هي الباء في قوله: «به»؟

الجواب: «ما» موصولة والدليل العائد إليها «به»، والباء للتعدية ومعناها الإلصاق.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾؟ وكذا قوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾؟

الجواب: «يك» فعل مضارع ناقص واسمها ضمير «إيمانهم» أو إيمانهم، وجملة «ينفعهم» خبر «يك». «لما» ظرف بمعنى حين متعلق بـ«ينفعهم». «سنة الله»: مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة التي قبله.

(٤)- **سؤال:** هل أخذ أئمتنا من هنا أن توبة الملجأ وكذا المصاب بمرض لا يعيش معه لا =

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴿٨٥﴾﴾ سنة الله سبحانه وتعالىٰ اقتضت أن الإيمان لا ينفع في ذلك الوقت، وأن باب التوبة قد أغلق والتكليف قد ارتفع، فقد أصبحوا غير مختارين في ذلك الوقت؛ فحين معاينة العذاب خسروا أنفسهم، وأصبحوا من أهل عذاب الله تعالىٰ وسخطه.

❁❁❁❁❁

تصح أم كيف؟

الجواب: في هذه الآية مأخذ لعدم صحة توبة الْمُلْجأ.

سورة فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حم۝١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ۝٢﴾ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بأن هذا القرآن الذي أنزله عليه إنما هو تنزيل من الرحمن الرحيم[(١)]، وأمره أن يخبر قومه بذلك، وأنه لم يفتره ولم يأت به من قبل نفسه، وأنه أنزله رحمة بعباده ليستنقذهم به من ظلمات الشرك والجهل والضلال إلىٰ نور الحق والهدىٰ والفوز بالنعيم والثواب الدائم.

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ۝٣﴾[(٢)] وأن يخبرهم بأنه كتاب الله تعالىٰ الذي قد وضح فيه آياته لهم وبينها بلسانهم ولغتهم إن أرادوا أن يتدبروا في آياته ويعقلوها، ولكن الذين أعمىٰ الشرك أبصارهم وبصائرهم قد أصبحت قلوبهم مقفلة عن قبوله لا تفقه شيئاً منها أو تعقله، ولا يفهمه ويتدبره إلا أهل العقول الزاكية.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وأخبره أن فيه تبشير المؤمنين بالثواب العظيم والفوز والنعيم الدائم في جنات النعيم، وكذلك فيه إنذار المكذبين به والمتمردين عن آياته بالعذاب العظيم في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ۝٤﴾[(٣)] ولكن أعرض عن آياته والإيمان

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم فهل يكون قوله: «حم» مبتدأ وخبره «تنزيل» أم كيف؟

الجواب: يجوز أن تعرب كما ذكرتم، وأن تعرب «تنزيل» مبتدأ، و«كتاب» خبره، وأن يكون «تنزيل» خبراً لمبتدأ محذوف أي: هذا تنزيل.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «كتاب»؟ وكذا «قرآناً عربياً»؟ وكذا ما بعدها «بشيراً ونذيراً»؟

الجواب: «كتاب» خبر كما ذكرنا أولاً، أو خبر ثان كما فصلنا. «قرآناً عربياً» حالان من «آياته» أو من «كتاب» لكونه قد وصف. «بشيراً ونذيراً» نعت لقرآن أو حال من آياته أو من كتاب.

(٣)- **سؤال:** ما المراد بقوله: «فهم لا يسمعون»؟ وهل ذلك من باب الحقيقة أم المجاز؟

الجواب: يحتمل «فهم لا يسمعون» أن يكون كناية وأن يكون استعارة عن عدم القبول.

به والعمل بأحكامه وشرائعه أكثر الناس، ورفضوا أن يستجيبوا له أو يؤمنوا به، وأصروا على كفرهم وضلالهم.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا[١] تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ يريد المشركون أن يقنعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويحسموا طمعه في إيمانهم به والتصديق بما جاء به، وأنه مهما حاول فيهم فلن يقبلوا منه أو يستمعوا إليه، وأنهم كافرون بما جاء به، وقالوا: إن قلوبهم مغلفة بأغطية محكمة لا ينفذ إليها شيء من دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يدعوهم إليه. والمراد بقوله «وفي آذاننا وقر»: أي: صمم.

﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ وقالوا له صلى الله عليه وآله وسلم: إن بيننا وبينك حاجز يحول بيننا وبين ما تدعو إليه فلا تتعب نفسك في الدعوة لنا.

﴿فَاعْمَلْ[٢] إِنَّنَا عَامِلُونَ۝﴾ يتحدون بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بأن يعمل جهده في إزالة شركهم وباطلهم فهم لن يألوا جهداً في نسف دينه، وإبطال دعوته وحربه.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾[٣] ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبرهم بأنه ليس إلا بشراً مثلهم ومن جنسهم غير أن الله سبحانه وتعالى تفضل عليه بالنبوة والوحي، وأن يخبرهم أيضاً بأن الله سبحانه وتعالى أمره أن يبلغهم أنه لا إله في السماوات والأرض إلا إله واحد الذي هو الله رب العالمين وحده لا شريك له فليخلصوا في عبادتهم له، وليتركوا تلك الآلهة التي يعبدونها من دونه.

---

(١)- **سؤال:** بماذا تعلق الجار والمجرور «مما»؟ وما معنى «مِنْ» هنا؟

الجواب: الجار والمجرور متعلق بمحذوف أي: تمنعنا مما تدعونا إليه. و«من» لابتداء الغاية.

(٢)- **سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة أي: إن عرفت ما قلنا فاعمل...

(٣)- **سؤال:** الظاهر تعدية الفعل «استقيموا» باللام هكذا «له» فما الوجه في تعديته بـ«إلى» كما في الآية؟ أم أنها بمعناها؟

الجواب: قد يكون «استقيموا» مضمناً معنى «توجهوا» فعدي تعديته.

﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ وأن آمركم أن تستغفروا الله تعالىٰ، وتتوبوا إليه من دنس الشرك وعبادة الأصنام ودين الجاهلية.

﴿وَوَيْلٌ[١] لِلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾ وأن أنذركم عذاب الله تعالىٰ الذي سيحل بكم إن أصررتم علىٰ شرككم وضلالكم.

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ[٢] وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٧﴾ ثم وصف المشركين بأنهم الذين طبيعتهم البخل بأموالهم، فلا يخرجون نصيباً منها إلىٰ فقرائهم، وأيضاً الجحود بالبعث والنشور وما ورائهما من أمور الآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾ وأما الذين آمنوا بالله تعالىٰ وصدقوا برسله وآياته وعملوا مع ذلك الأعمال الصالحة فقد أعد الله سبحانه وتعالىٰ لهم الثواب العظيم الذي لا ينتهي ولا يزول[٣].

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ[٤] لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ

---

(١)- **سؤال:** علام عطفت هذه الجملة إن كانت معطوفة؟

الجواب: الواو للاستئناف، والجملة بعدها مستأنفة.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في تخصيص المشركين بهذه الصفة فقط وهي عدم إتيان الزكاة؟ وهل يؤخذ منها أن عدم إخراجها شرك أم كيف؟

الجواب: ذكرت الزكاة بين صفتين من صفات المشركين وهما الشرك المدلول عليه بقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾ والكفر باليوم الآخر لينبه علىٰ مكانتها في دين الله، وأن عدم إتيان الزكاة صفة من صفات المشركين، وعدم إيتائها وإن لم يكن شركاً إلا أنه ملازم للشرك.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم مم أخذت كلمة «ممنون» حتىٰ كان معناها: غير منتهي؟

الجواب: أخذت من المن وهو القطع، يقال: مننت الحبل أي: قطعته، غير ممنون أي: غير مقطوع، وغير مقطوع بمعنىٰ: غير منتهي وغير زائل.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما يكون الاستفهام هنا؟

الجواب: هو استفهام إنكاري توبيخي.

أَنْدَادًا﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يخبر المشركين بأنهم بإصرارهم على كفرهم إنما يكفرون بذلك الإله الذي خلق الأرض في يومين بقدرته، فهو وحده المتفرد بخلق كل ما في السماوات والأرض لم يشاركه في ذلك أحد.

﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ۝٩﴾ فهذا الإله الذي تفرد بالخلق والقدرة هو الذي يستحق الإلهية والعبادة، لا تلك الأصنام التي ينحتونها بأيديهم ثم يذهبون إلى عبادتها من دون الله.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾ وأنه وحده الذي خلق على ظهرها هذه الجبال الراسية التي يرونها.

﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ[١] سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ۝١٠﴾[٢] وهو الذي جعل فيها للناس ما ينتفعون به من المعايش والأرزاق، وجعل لهم البركة فيما تخرجه لهم من الزروع والثمار والحيوانات، وقدر لهم ذلك على حسب حاجتهم ومصلحتهم، وكل ذلك أوجده وهيأه في أربعة أيام، وهذه الآية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يجيب بها الذين أقبلوا سائلين له عن ابتداء خلق السماوات والأرض.

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذه الآيات أن خلق الأرض وما فيها وتدبير أقواتها تم في ستة أيام، وأن خلق السماوات السبع تم أيضاً في يومين فيكون الجميع ثمانية أيام وهذا يعارض سبع آيات تقريباً أفادت أن خلقهما جميعاً وما فيهما تم في ستة أيام، فكيف نوافق بين هذه الآيات جميعها أيدكم الله؟

الجواب: أن قوله: «في أربعة أيام» يراد به في تتمة أربعة أيام باليومين السابقين أي: أن خلق الأرض كان في أربعة أيام، والسماوات في يومين، وبهذا يرتفع الإشكال، وتوافق هذه الآية سائر الآيات.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ۝١٠﴾؟ وبماذا تعلق الجار والمجرور «للسائلين»؟

الجواب: «سواءً» مصدر منصوب بفعل محذوف أي: استوت الأربعة الأيام سواء للسائلين، أو مصدر في موضع الحال من أقواتها. «للسائلين» متعلق باستوت المحذوف أي: استوت للسائلين.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[(١)] ثم بعد أن خلق الله سبحانه وتعالى الأرض وما فيها توجه بقدرته إلى السماء فخلق النجوم والكواكب والأقمار والمجرات من ذلك الدخان المنتشر في الفضاء.

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾[(٢)] فبعد أن خلق الله السموات والأرض أمرهما بالانقياد والاستسلام لإرادته ومشيئته فأجابتاه بالسمع والطاعة، وهذا تمثيل من الله تعالى، وتصوير لإحكام قبضته وسيطرته، فكلها تجري تحت أمره، غير متخلفة عن ذلك التقدير الذي قدرها عليه، ولن تتخلف عن ذلك إلى يوم القيامة.

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أراد الله سبحانه وتعالى أنه قد أتم خلقهن ودبر أمرهن في يومين، وأوحى في كل سماء ما أوحى من الدين والتكاليف لسكان كل سماء.

﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا[(٣)] ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

---

(١)- **سؤال:** هل هناك شيء من المعارضة بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠]، أم لا وضحوا ذلك؟

الجواب: لا معارضة بين ما ذكرتم فقد كانتا رتقاً قبل أن يخلق السموات والأرض، فإنه بعد أن خلق الله تعالى فتق الأجواء وسكائك السماء أجرى فيها ماءً فخلق من زبده وبخاره السموات السبع أي: أن السموات والأرض خلقت من أصل واحد كان مجتمعاً.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «طوعاً أو كرهاً»؟ وما الوجه في تذكير «طائعين» وكان الظاهر: طائعتين، أو نحو ذلك؟

الجواب: «طوعاً أو كرهاً» مصدرين وضعا موضع الحال أي: طائعتين أو مكرهتين، وذكَّر «طائعين» لأن في السماء بروجاً وسراجاً وقمراً منيراً، وكواكب ومصابيح، فغلّب المذكر على المؤنث نظراً إلى ما فيها من مذكر، والأرض كذلك.

(٣)- **سؤال:** علام عطف قوله: «وحفظاً»؟

الجواب: العطف محمول على المعنى كأنه قال: إنا خلقنا الكواكب زينة، فهو معطوف على هذا المقدر في المعنى الذي يسمى في النحو التوهم.

وهي هذه النجوم الساطعة التي نراها فوقنا، سخرها لحفظ السماء وحراستها من استراق الشياطين للسمع من السماء.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ[1] عَادٍ وَثَمُودَ۝١٣ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾[2] فإن أعرضوا عن آيات الله سبحانه وتعالى وتمردوا ورفضوا سماعها فأخبرهم يا محمد بأن الله تعالى سوف يعذبهم ويهلكهم مثل ما عذب عاداً وثمود من قبلهم لما جاءتهم الأنبياء متكررة في سائر الأزمان تدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك ما سواه.

﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ۝١٤﴾ فكان هذا هو رد قوم عاد وثمود على رسلهم، فقد كذبوهم زاعمين أن الله سبحانه وتعالى لو أراد أن يرسل رسولاً لأنزل إليهم ملكاً من ملائكته، ولما أرسل إليهم بشراً من جنسهم.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال قوم عاد مع نبيهم هود عليه السلام، فعندما أرسله الله سبحانه وتعالى إليهم استكبروا عليه وتمردوا عن قبول دعوته عناداً وتمرداً لا عن دليل أو حجة، وإنما تعصباً لشركهم وباطلهم.

﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ وقد اغتروا بأنفسهم وبما معهم من القوة التي أعطاهم الله سبحانه وتعالى، فظنوا أن شيئاً لن يستطيع أن يؤثر فيهم أو يهزمهم أو يغلبهم.

---

(١)- **سؤال:** يقال: كيف ذكر الله أن عاداً في هذه الآية أهلكوا بالصاعقة، والمعلوم أنهم أهلكوا بالريح الشديدة كما في آية (١٦)؟

الجواب: الصاعقة استعارة عن العذاب الذي أهلك الله به عاداً وثمود والعلاقة المشابهة والقرينة ما علم من أن عاداً أهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً.

(٢)- **سؤال:** ما العامل في «إذ» هنا في قوله: «إذ جاءتهم»؟ وما إعراب «ألا تعبدوا إلا الله»؟

الجواب: «إذ» متعلقة بصاعقة عاد وثمود. «أن» المدغمة في «لا» الناهية هي مفسرة لتقدم ما يدل على القول دون حروفه وهو قوله: «جاءتهم الرسل». «تعبدوا» مضارع مجزوم بـ«لا» الناهية.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ۝١٥﴾ ثم استنكر الله سبحانه وتعالىٰ عليهم ذلك، فكيف لم يتفكروا في أمر خالقهم؟ وأنه لا بد أن يكون أقوىٰ منهم وإلا لما استطاع خلقهم وإيجادهم؟ غير أن طبيعتهم هي الجحود والتكذيب بآيات الله سبحانه وتعالىٰ، والتكبر عليه وعلىٰ أنبيائه.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالىٰ أرسل علىٰ عاد ريحاً لها صوت وصفير من شدة سرعتها وقوتها، وقد مكثت فيهم سبع ليال وثمانية أيام حتىٰ أبادتهم ودمرت مساكنهم وما يملكون. ومعنىٰ «أيام نحسات»: أيام شؤم وبؤس.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ۝١٦﴾ ولا يزال ينتظرهم العذاب الشديد في نار جهنم خالدين فيها وبئس المصير جزاءً علىٰ كفرهم وتكذيبهم وتمردهم، فإذا نزل بهم العذاب وحل بساحتهم فلن يستطيع أحد أن يدفع عنهم أو يحميهم، وقوتهم تلك التي كانوا يعتزون بها ويفتخرون لن تغني عنهم من الله شيئاً.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾(1) وأما ثمود فقد هداهم الله سبحانه وتعالىٰ بأن أرسل إليهم صالحاً عليه السلام يدعوهم إلىٰ الهدىٰ ويدلهم عليه، ولكنهم رفضوا ذلك الهدىٰ الذي جاءهم به، واختاروا الجهل والضلال علىٰ نور الحق والهدىٰ.

﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ۝١٧ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ۝١٨﴾ فبسبب كفرهم وتكذيبهم وتمردهم علىٰ أنبيائهم أنزل الله سبحانه وتعالىٰ بهم عذابه بأن أرسل عليهم صاعقة من السماء أهلكتهم واستأصلتهم جميعاً.

---

(١)- **سؤال:** يقال: من أي ناحية كانت هذه الآية العظيمة هادمة لمذهب الجبر؟

الجواب: قوله تعالىٰ: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ نص قاطع علىٰ أنهم اختاروا العمىٰ علىٰ الهدىٰ فيدل ذلك علىٰ أنهم مختارون فيما فعلوا غير مجبرين، وهذا دليل نصي واضح غير محتمل للتأويل.

والهون: هو الهوان والخزي، أو المهين لمستحقيه وقد نجّى الله سبحانه وتعالى صالحاً ومن معه من المؤمنين، وكذلك هوداً ومن آمن معه فقد نجاهم الله تعالى من الريح الصرصر.

﴿وَيَوْمَ(١) يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴿١٩﴾﴾(٢) واذكروا أيها الناس ذلك اليوم في ساحة المحشر عندما يجمع الله سبحانه وتعالى المكذبين والعصاة جميعاً ثم يأمر زبانية جهنم بأن يسوقوهم إليها سحباً على وجوههم، وهم مقيدون بالأغلال والسلاسل. ومعنى «فهم يوزعون»: يوقف أوائلهم حتى يلحق أواخرهم.

﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا(٣) شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ(٤) بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿٢٠﴾﴾ فلا يكون لهم سبيل إلى التكذيب والإنكار، فإن هم أنكروا شيئاً من سيئاتهم فستشهد عليهم حواسهم وجوارحهم وجلودهم بما عملوا من السيئات.

---

(١)- **سؤال:** ما هو العامل في هذا الاسم؟

الجواب: العامل فيه فعل مقدر أي: واذكر يوم يحشر.

(٢)- **سؤال:** ما أصل كلمة «يوزعون»؟ وممّ أخذت؟ وما علاقة ذكره في التهديد أو التذكير بيوم الحشر؟

الجواب: في المختار: وزعه يزعه وزعاً مثل: وضعه يضعه وضعاً، أي: كفه فاتزع، أي: كف، وأوزعه بالشيء: أغراه به، واستوزعت الله شكره فأوزعني: أي استلهمته فألهمني. وقال الحسن: لا بد للناس من وازع يزعهم أي: من سلطان يكفهم.اهـ وذكر في الحشر لأجل المعنى، فإن ذلك مما يزيد في هيبة ذلك اليوم وعظمته وشدته وكثرة الازدحام فيه ليحذره العقلاء.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾؟

الجواب: «حتى» ابتدائية. «إذا» ظرف خافض لشرطه منصوب بجزائه، «ما» صلة، «جاءوها» جملة الشرط.

(٤)- **سؤال:** ما صحة ما يقال: إن الله سبحانه كنى بالجلود عن الفروج؟

الجواب: لا يبعد صحة ذلك فشهادة الجلد هي على الزنا، والجلود تشارك الفرج في الزنا لأن الزاني يباشر الزانية بجلده مع فرجه.

هذا، وقد تكون شهادة الجوارح والجلود والسمع والبصر صوراً حية يعرضها[(١)] الله تعالى عند الإنكار فيرى الظالم صورته الحية وهي تعمل المعاصي.

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ[(٢)] وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ[(٣)] وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴿٢١﴾﴾ فعندما يرون أنفسهم وهم يمارسون أعمال المعاصي فيحتجون على حواسهم وجوارحهم، ولكنها ستجيب عليهم بأن الله تعالى هو الذي أنطقها[(٤)]، وأن ما شهدت به هو الحق والصدق الذي لا مفر ولا محيد عنه.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ هذا من كلام الملائكة لهم في ذلك الموقف، فإنها ستقول لهم: إنه لم يكن في مقدورهم أن يتستروا أو يخفوا ما عملوه حال معصيتهم عن شهادة[(٥)]

---

(١)- **سؤال:** هل يشهد لهذا قوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة:١٦٧]؟

الجواب: قد يكون في ذلك ما يشهد لما ذكرنا.

(٢)- **سؤال:** كيف نفهم أن الله أنطق كل شيء كما في الآية؟

الجواب: أي أنه تعالى أنطق كل شيء مما ينطق من الناس والحيوانات والطيور والجن والملائكة.

(٣)- **سؤال:** فضلاً علام عطفت جملة: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؟

الجواب: عطفت على جملة: ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ﴾ وهذا إذا كان من جملة كلام الجلود، وإن كان من كلام الله تعالى فالجملة مستأنفة.

(٤)- **سؤال:** هل هذا يرجح أن شهادتها ستكون بالنطق حقيقة أم كيف؟

الجواب: نعم في ذلك شاهد على ما ذكرتم، ويمكن أن النطق هنا مجاز عما ذكرنا؛ لإقامة الحجة بكل واحد منهما.

(٥)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذا أن المصدر «أن تشهد» مجرور بـ«عن» مقدرة لإصلاح الكلام فهل حذفها قياسي في مثل هذا؟ وهل يصح أن نحمله على أنه حل محل المفعول لأجله هكذا: مخافة أن يشهد؟ أم لا؟

الجواب: يحذف الجار الداخل على «أن» المصدرية قياساً سواء أكان الجار اسماً أم حرفاً، والأقرب هنا أن يقدر: «مخافة أن تشهد» كما ذكرتم.

أيديهم وأرجلهم وأعينهم.

﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فكنتم تمارسون المعاصي والمنكرات غافلين[١] عن اطلاع الله سبحانه وتعالى عليكم، وإحصائه لجميع أعمالكم ومعاصيكم.

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ[٢] الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فظنكم ذلك الذي كنتم تظنونه على الله تعالى هو الذي أرداكم وأوصلكم إلى ما وصلتم إليه اليوم.

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾[٣] الإنسان لا يصبر على شيء إلا لما يكون عنده من الأمل بالفرج بعد الشدة، فأما هؤلاء فإن صبرهم ذلك لن يجديهم، ومهما صبروا فلن يكون هناك أمل بالعودة، فسواء عليهم صبروا أم لم يصبروا.

وكذلك لن تنفعهم الأعذار عند الله سبحانه وتعالى، فمهما قدموا من الأعذار

---

(١)- **سؤال:** يقال: قد يعمل العاصي السيئات وهو يعلم أن الله مطلع عليه فكيف مع ظاهر الآية؟

الجواب: الآية نزلت في المشركين الجاهلين بالله.

(٢)- **سؤال:** هل هذا خبر «ذلكم» فلم تتم الفائدة؟ أم لا فأين الخبر؟ وما إعراب: «أرداكم»؟

الجواب: يجوز أن يكون «ظنكم» الخبر وتتم به الفائدة فإن «ذلكم» إشارة إلى ما حكم الله به عليهم من الجزاء أي: ذلكم الذي وقعتم فيه هو ظنكم أي عاقبة ظنكم وجزاؤه. «أرداكم» خبر ثان، أو يكون «ظنكم» بدلاً من «ذلكم» و«أرداكم» الخبر.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم فصلوا معنى: ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ بالنسبة إلى أصل معنى مفرداتها وتركيبها؟

الجواب: الأصل «عَتَبَ» وبابه نصَر وطرِب، يعتب عَتَباً وعَتْباً، عتب عليه بمعنى: وجِد عليه وغضب عليه مع الإذلال، ولا زلنا نستعمل هذا اللفظ إلى اليوم. وأعتبه بمعنى: سرَّه، واستعتبه بمعنى: استرضاه، أي: طلب رضاه. اهـ من المختار. [وقد تقدم هذا الكلام في جواب سؤال على الآية (٨٤) من سورة النحل].

فلن تقبل منهم.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حالهم في الدنيا بأنه قد خلى بين عباده[1]، ولم يمنع أحداً من أحد، فقد خلى بين المؤمن والكافر، وأعطاهم القوة والتمكين جميعاً، وقد ترك كلاً منهم يمارس ما أراد من الإضلال والإغواء والتزيين، ووكل كلاً إلى اختياره ومشيئته، وهذا هو الذي اقتضته الحكمة ليرتب على ذلك الجزاء.

والقرناء: هم شياطين الإنس والجن.

ومعنى «ما بين أيديهم وما خلفهم»: أعمالهم السيئة التي يعملونها والتي سيعملونها مستقبلاً.

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ۝٢٥﴾ وحق على أولئك المشركين أهل الضلال والكفر من أهل مكة عذاب الله تعالى مع[2] جملة أمم كثيرة من قبلهم كانوا يعملون مثل أعمالهم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ۝٢٦﴾ كان المشركون يصدون الناس عن الهدى وعن الذهاب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والسماع إليه، ويمنعون الناس منه ويقفون في الطرق يحذرون كل من أراد الذهاب إلى مكة من الاستماع له أو القرب منه، وكانوا يتواصون بالتخليط على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرأ القرآن برفع أصواتهم باللغو والباطل حتى لا يسمع الناس ما يقول.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما الدليل على أن التقييض بمعنى التخلية؟

الجواب: الدليل هو ما تقرر في علم الكلام من أن الله تعالى لا يفعل القبيح ولا يشاؤه ولا يريده.

(٢)- **سؤال:** فما يكون معنى «في» في قوله: «في أمم»؟

الجواب: التفسير هو على المعنى، ومعنى «في» هنا هو الظرفية، وهي مع مدخولها في محل نصب على الحال أي: حال كونهم في جملة أمم.

يَعْمَلُونَ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ[١] جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴿٢٨﴾﴾[٢] هذا تهديد من الله تعالى للكافرين بأنه سوف يذيقهم أشد العذاب جزاءً على كفرهم وصدهم وتكذيبهم في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا[٣] مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴿٢٩﴾﴾ قالوا ذلك ليشفوا غليلهم بالنظر إلى الذين كانوا يغوونهم ويدعونهم إلى الضلال والشرك بالله تعالى وهم يعذبون في قعر جهنم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴿٣٠﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال الذين آمنوا، وصدقوا بالله تعالى، وعملوا الأعمال الصالحة، وتركوا المعاصي والسيئات، واستمروا على ذلك إلى أن أتاهم الموت[٤]، فإن الملائكة ستنزل عليهم

---

(١)- **سؤال:** يقال: النار جميعها دار الخلد فكيف قال الله: لهم فيها دار الخلد؟

الجواب: إذا بالغوا في تعظيم أمر أو التهويل به انتزعوا منه شيئاً آخر مثله، وقد انتزع هنا دار أخرى من جهنم وهي نفسها دار الخلد لتهويلها وتعظيمها، ويكون الانتزاع تارة بـ«في» التجريدية كما هنا، وتكون تارة بـ«من» نحو: رأيت من زيد أسداً و..إلخ.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: «النار» بدل من قوله: ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾؟ أم خبره والجملة جميعها خبر «ذلك»؟ وما إعراب: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴿٢٨﴾﴾؟

الجواب: «ذلك جزاء أعداء الله النار» ذلك: مبتدأ، جزاء: خبره، ويجوز أن يكون «جزاء» بدلاً من «ذلك»، و«النار» خبر «ذلك»، فهذان الوجهان هما الجائزان في إعراب هذه وما أشبهها نحو قوله فيما تقدم: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ [فصلت:٢٣]. «جزاءً...»: مفعول مطلق منصوب بفعل مقدر أي: يجزون أو ينصب بالمصدر الذي قبله «جزاءُ أعداء».

(٣)- **سؤال:** ما السر في التثنية وعدم الجمع في قوله: ﴿الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا...﴾؟

الجواب: ثني نظراً لكون الجن والإنس فريقين اثنين، ونظيره: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الحج:١٩].

(٤)- **سؤال:** هل هناك قرينة على أن هذا معنى الاستقامة؟

الجواب: قد قال الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولمن آمن معه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا

=

ساعة موتهم[١] لتبشرهم بثواب الله سبحانه وتعالى، والنعيم الدائم في جنات النعيم، وتطمئنهم[٢] بأنه لن يلحقهم أي حزن أو خوف بعد ذلك الوقت أبداً.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ[٣] وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ۝٣١﴾ وتخبرهم بأنهم في نصرتهم وحراستهم في الدنيا والآخرة، وأنهم مأمورون بتلبية مطالبهم، وما تشتهيه أنفسهم في الآخرة.

﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ۝٣٢﴾ وأن هذا تكرمة من الله تعالى لكم، وقد أصبحتم في ضيافته؛ تبشرهم الملائكة بكل ذلك وهم ما زالوا في الدنيا لم تخرج أرواحهم بعد.

وتأمينهم لهم وتبشيرهم ذلك التبشير؛ لأن المؤمن يكون في خوف دائم من الله ومن أن يلقاه وهو مقصر في أداء شيء مما عليه من حقوق وواجبات لربه.

ويقال: إن ذلك اليوم الذي تتنزل فيه الملائكة على المؤمن هو أفضل يوم مر عليه في الدنيا، وأسعد ساعات حياته كلها.

تَطْغَوْا﴾ [هود:١١٢]، أي: اثبت على الهدى الذي أمرك الله به ولا تخرج عنه، فالثبات على الهدى والاستمرار على الالتزام به هو معنىً تفيده كلمة الاستقامة فلا يحتاج إلى إثبات دليل.

(١)- **سؤال:** من أي مأخذ يفهم أن تنزل الملائكة لا يكون إلا ساعة الموت؟

الجواب: من المعلوم أن المرء في حياته الدنيا لا يرى الملائكة فدل ذلك أن تنزل الملائكة يكون عند الموت مع قرينة قوله: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا..﴾ ووقت الموت هو الوقت المناسب لتنزل الملائكة لتبشير المؤمن.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما السر في الابتداء بطمأنة الملائكة من الخوف والحزن قبل التبشير بالجنة؟

الجواب: قد يكون السر -والله أعلم- أن المؤمن في خوف دائم في حياته الدنيا من عذاب الله ويشتد خوفه عند دنو الموت فاستدعى الحال أن يطمئنوه ويمسحوا الخوف الحال في قلبه ولحمه ودمه والمعروف أن المرء لا يستر كما ينبغي مع وجود الخوف في نفسه.

(٣)- **سؤال:** ما السر في إعادة حرف الجر «وفي الآخرة»؟ وما إعراب «نزلاً»؟

الجواب: أعيد للتنبيه على أن لهم عناية خاصة بولاية الآخرة، وأنها ولاية أخرى مستأنفة. ونزلاً: مفعول مطلق منصوب بفعل محذوف من لفظه تقديره: «ينزلون نزلاً».

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ۝٣٣﴾[١] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن أفضل الأعمال وأحسن الأقوال وهو الدعوة إلى الله تعالى وإلى عبادته وتوحيده، ولكن بشرط أن يكون الداعي مع ذلك يعمل الأعمال الصالحة، ويتجنب كل ما يغضبه أو يوجب سخطه، وأن يكون مستسلماً لله تعالى وخاضعاً لأوامره.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ[٢] بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ۝٣٤﴾ لا تستوي الكلمة الحسنة الطيبة والكلمة السيئة الخبيثة، فالذي ينبغي للمؤمن إذا وجه إليه شخص كلمة سيئة أن يقابلها بالكلمة الطيبة والحسنة، فلا يجرح أحداً أو يسوءه أو يلحق به أي مكروه. يرشد الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بذلك لئلا ينفروا الناس عن الدين وعن الإسلام، فعسى أن يهتدي ذلك المسيء يوماً من الأيام.

وقوله ﴿أَحْسَنُ﴾: إرشاد إلى انتقاء أحسن الكلام وأطيبه ليقابل به الكلمة السيئة والخبيثة.

---

(١)- **سؤال:** كيف يفهم إخواننا المرشدون أنهم داخلون في مديحة هذه الآية بموجب ما يقومون به الآن من إرشاد للناس والسعي في هدايتهم؟

الجواب: الإرشاد ودعوة الناس إلى الدين ونشر الهدى والعلم هو عمل الأنبياء عليهم السلام، وهذه الآية الكريمة عامة يدخل في عمومها كل من دعا إلى الله وإلى الدين الحق وعلم الناس الخير، ويتمثل ذلك في المرشدين في هذا الزمان، فهم أهل هذه الآية اليوم وأهل فضلها وثنائها لا يشاركهم فيها إلا من عمل مثل عملهم.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم من أين نفهم أن هذا التوجيه الإلهي للدعاة والمرشدين؟

الجواب: هذا التوجيه هو للدعاة إلى الله وللمرشدين بدليل ورود هذه الآية عقيب تلك الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ...﴾ يبين الله تعالى للدعاة والمرشدين كيف يتعاملون مع من أساء إليهم وكيف يكون ردهم على من يؤذيهم بالسب والشتم والكلام الفاحش.

وكذلك يرشدهم إلى حسن المعاملة حتى مع أعدائهم، فيعاملونهم معاملة الصديق[١] القريب من القلب.

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴿٣٥﴾﴾ لا يوفق لرد الكلمة الخبيثة بالكلمة الطيبة إلا أهل الصبر القوي وأهل الحظ العظيم.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴿٣٦﴾﴾ يرشد الله سبحانه وتعالى عباده إلى معالم دينهم، وكيفية التعامل مع الآخرين، ويؤكد عليهم الأدب في الكلام، فينبغي للمؤمن إذا تكلم عليه أحد وأساء في الكلام حتى أثار غضبه أن يستعيذ بالله سبحانه وتعالى فتلك من نزغات الشيطان، وليذكر الله سبحانه وتعالى عند ذلك ويدعوه بأن يصرف عنه نزغات الشياطين، وسيصرف الله عنه ذلك.

ومعنى «نزغات الشيطان»: النزغ هو النخس والغرز بنحو العود في جسم الحيوان ليهيجه.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ ثم ينبه الله سبحانه وتعالى عباده على النظر والتفكر في آيات قدرته وعلمه وحكمته، فحثهم على النظر في آية[٢] الليل والنهار والشمس والقمر فإنها من آياته العظيمة الدالة عليه، وعلى ربوبيته وعظمته وقدرته لمن نظر فيها وتأمل.

---

(١)- **سؤال:** قد يقول بعض المرشدين كيف نعمل بهذا مع أمر الله سبحانه بالغلظة على الكفار والمنافقين والعبوس في وجه الفاسقين فما الجواب عليهم؟

الجواب: الغلظة هي على من بلغته الحجة وعرف الحق ثم تمرد وأصر على الكيد للحق والمحقين وجرد نفسه لذلك، أما من لم يكن كما ذكرنا فالواجب هو استصلاحه بالإحسان والخلق الحسن، وبالوعظ والإرشاد والرفق، فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما المنظور إليه من آية الليل والنهار؟

الجواب: المنظور إليه هو أولاً حدوثهما وتعاقبهما وتداخلهما فإذا نقص النهار دخل نقصانه في الليل وهكذا العكس، ثم ما جعل الله تعالى فيهما من المنافع العظيمة والنعم الجسيمة على عباده.

﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ۝٣٧﴾[١] ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ أن يدعوهم إلى عبادة خالق الليل والنهار والشمس والقمر، فهو الذي ينبغي أن يخصوه بعبادتهم، وهو الذي يستحق الخضوع والانقياد، وأما الشمس والقمر فليست إلا خلقاً من مخلوقاته لا تستحق شيئاً من الألوهية والعبادة.

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ۝٣٨﴾ فإن تمرد قومك يا محمد واستكبروا عن عبادة الله تعالى والخضوع له، فأخبرهم أن الله سبحانه وتعالى غني عنهم غير محتاج إلى طاعتهم وعبادتهم، وأخبرهم أن هناك غيرهم من سكان سماواته من يقطعون جميع أوقاتهم في تسبيح الله تعالى وتنزيهه وعبادته لا يفترون عن ذلك لحظة واحدة، أو يصيبهم السأم والملل والتعب إلى يوم القيامة.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً[٢] فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ۝٣٩﴾ كان المشركون ينكرون البعث بعد الموت والحساب والجزاء، فدعاهم الله تعالى إلى أن ينظروا إلى الأرض اليابسة الجرداء التي لا أثر لشيء من الحياة عليها فما إن ينزل عليها المطر

---

(١)- **سؤال:** ما فائدة هذا القيد «إن كنتم إياه تعبدون»؟

الجواب: قيل: إن الصابئين كانوا يسجدون للشمس والقمر ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما معنى قوله: «خاشعة»؟ وممَّ أخذت؟ وما محل المصدر: «أنك ترى الأرض»؟

الجواب: الخشوع هو التذلل والخضوع والتصاغر، واستعير الخشوع هنا للأرض المجدبة الخالية عن المطر والنبات، و«خاشعة» اسم فاعل من مصدر خشع يخشع خشوعاً.

ومحل المصدر: ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ﴾ الرفع على الابتداء.

حتى تراها تنتفض وتهتز بالحياة من جديد فتخرج الخضرة والنبات والثمار، فذلك الذي بعث الحياة في هذه الأرض الموات قادر على إحياء العظام اليابسة التي تفتتت.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ وهم أولئك المشركون الذين مالوا إلى التكذيب بآيات الله سبحانه وتعالى بعد معرفتهم بصدقها، وانحرفوا عنها مكابرة وعناداً، فالله سبحانه وتعالى عالم بهم ومطلع على جميع أعمالهم وسيجازيهم على تكذيبهم ذلك وتمردهم.

ومعنى «يلحدون»: يميلون ومنه سمي اللحد بهذا الاسم لكونه مائلاً في جانب القبر.

﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1] فأيهما أفضل وأحسن أذلك الذي سيكبه الله سبحانه وتعالى يوم القيامة على منخريه في نار جهنم؟ أم الذي سيؤمنه الله سبحانه وتعالى وينعم عليه في جنات النعيم؟ فما بال هؤلاء المشركين يختارون طريق الخزي والهوان والذلة بتكذيبهم وتمردهم.

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ[2] إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾ بعد أن أنذرهم الله سبحانه

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في المفاضلة بين الفريقين هنا مع عدم اشتراكهما في شيء من الفضل؟

الجواب: هذه المفاضلة كانت في الدنيا فقد كانت قريش تحتقر النبي ﷺ والمؤمنين وتستهزئ بهم وكانوا يقولون: نحن أكثر أموالاً وأولاداً ونحن خير منكم مقاماً وأحسن ندياً، و... إلخ، وكانوا يرون أنفسهم أهل الفضل وأولى بالفضل من النبي ﷺ وأصحابه، ثم إن الله تعالى استنكر عليهم ذلك بصورة الاستفهام ليستدعي به الإجابة منهم أو من غيرهم فقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فلا يجد من توجه إليه هذا السؤال بداً من أن يجيب بأن الأفضل هو من يأتي آمناً يوم القيامة.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في الإتيان بهذا التهديد بصورة الأمر؟

الجواب: الوجه هو التحدي لهم وعدم المبالاة بهم وبما عملوا وأنه لا يتضرر من أعمالهم وأنه قادر على الانتقام منهم وأخذ الجزاء على كل ما عملوه.

وتعالىٰ وحذرهم، وقطع عليهم جميع أعذارهم- هددهم بأن يختاروا ويعملوا ما شاءوا من المعاصي والمنكرات فهو عالم بجميع أعمالهم، وفي الأخير سيكون مرجعهم إليه فيحاسبهم ويجازيهم علىٰ أعمالهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝﴾[1] وهم المشركون عندما أتاهم النبي ﷺ بالقرآن وقرأ عليهم آياته التي بلغت المنتهىٰ في الفصاحة والبلاغة التي كانوا يتقنون صناعتها ويتبارون فيها تيقنوا أنه حق وصدق لا مدخل للشك والريبة فيه، وحاولوا جهدهم في التشكيك في شيء من آياته فلم يجدوا لهم أي مدخل عليه، فكل ذلك مما يدل علىٰ أنه كلام منزل من عند الله تعالىٰ الذي أحكمها وفصلها ووضحها. ومعنىٰ: «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»: لا يتطرق إليه الباطل من أي جهة من الجهات.

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فلا يكبر عليك تكذيب قومك يا محمد، وما يقولونه فيك ويفترونه عليك، وما يقابلونك به من السخرية والاستهزاء، فكل رسول أرسلناه من قبلك قد لقي من قومه مثل ما تلاقيه من التكذيب والاستهزاء والطرد والجحود.

﴿إِنَّ[2] رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾ وهو سبحانه يمهل عباده

---

(١)- **سؤال:** فضلاً أين خبر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ...﴾؟ وما إعراب ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾؟ وما إعراب «تنزيل»؟

الجواب: خبر «إن الذين كفروا..» مقدر يدل عليه سياق الكلام فيمكن أن يقدر: سيجازيهم بما عملوا لقوله في الآية السابقة: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾ وقد قدروا له خبراً غير ما ذكرنا من سياق هذه الآيات. «لما» بمعنىٰ حين، متعلق بكفروا، و«جاءهم» في محل جر بالإضافة. «تنزيل» خبر ثان لـ«إن» في قوله: «وإنه لكتاب».

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في كسر همزة «إن» هنا؟

الجواب: كسرت «إن» لوقوعها في صدر جملة مستأنفة في جواب سؤال مقدر تقديره: فلم لا يعذبهم =

ويتأنى بهم ويمتعهم في الدنيا ولا يعجل في الانتقام منهم بسبب كفرهم وتكذيبهم، وهذا من رحمته بهم لعلهم يتوبون ويرجعون إليه، ولكنه إذا أنزل عذابه فليعلموا أنه سيكون شديداً وأليماً عليهم وأن أخذه أليم شديد.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ أنزله الله تعالى بلغتهم حتى لا يبقى لهم أي عذر يعتذرون به عند ربهم بأنهم لم يفهموا آياته أو يعقلوها، أو يقولوا لو أنه نزل بلسانهم ولغتهم لآمنوا به ولصدقوه.

﴿ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾(١) ولئلا يستنكروا ويقولوا: كيف ينزل الله تعالى علينا كلاماً أعجمياً ونحن قوم عرب.

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ(٢) ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبرهم بأن هذا القرآن فيه هدى للمؤمنين إلى طريق نجاتهم وخلاصهم، وفيه شفاء لهم من أمراض الشك والكفر والنفاق.

﴿وَالَّذِينَ(٣) لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ وأخبرهم بأن الذين لم يؤمنوا بالله تعالى قد صمت آذانهم عن سماع آياته، وقد عموا عن الاهتداء بهديه.

كما عذب المكذبين برسله؟ فكان الجواب: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ أي: لا يعجل بعقوبته وعذابه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٦﴾ [الرعد]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥].

(١)- **سؤال:** هل يصح أن يحمل هذا على أنه من رد الله عليهم لما اقترحوا أن يكون أعجمياً؟ أم لا لأجل قوله: «قل» بعد ذلك؟

الجواب: الأولى حمله على ما ذكرنا أي: أنه من قول المشركين الذي سيقولونه لو جعل الله القرآن أعجمياً؛ يؤيده ما ذكرتم من أن بعده «قل».

(٢)- **سؤال:** بماذا تعلق الجار والمجرور وما محله؟

الجواب: متعلق بمحذوف خبر مقدم، ومحله الرفع، و«هدى» مبتدأ مؤخر.

(٣)- **سؤال:** فضلاً هل هذا مبتدأ خبره الجملة بعده أم ماذا؟

الجواب: هو مبتدأ خبره الجملة التي بعده وهي قوله: «في آذانهم وقر».

﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴿٤٤﴾﴾ فشأن قومك يا محمد في عدم سماعهم للحق والهدى كشأن[1] الذي يناديه المنادي من مكان بعيد فلا يدري ما يقول.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ ثم انتقل الله سبحانه وتعالى إلى إخبار نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما جرى لموسى من قومه، وما حصل له من تكذيب أكثرهم بما أنزل الله تعالى عليه في التوراة، وما جرى منهم من التحريف والتبديل فيها.

ثم أخبره الله سبحانه وتعالى أنه لولا حكمته التي اقتضت أن يؤخر تعذيبهم إلى يوم القيامة لحكم بين المختلفين في التوراة في الدنيا بأن يعذب الكافرين ويثيب المؤمنين، غير أنه سبق وعده بتأخير حسابهم وجزائهم إلى يوم القيامة لمصلحة قد علمها في ذلك.

﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴿٤٥﴾﴾ أي: أولئك الذين كفروا بالتوراة.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ فالله سبحانه وتعالى غني عن طاعة المطيعين غير محتاج إلى عبادتهم، ولن تضره معصية من عصاه، وتكليفه لعباده إنما هو رحمة بهم ليعرضهم على الثواب العظيم والنعيم الدائم، فمن عمل الأعمال الصالحة فقد نفع نفسه وأنقذها، وأما من عمل المعاصي والسيئات فهو بذلك إنما يجلب الضرر على نفسه.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴿٤٦﴾﴾ فتعذيبه للعصاة والكافرين إنما هو بسبب أعمالهم الخاسرة وكفرهم فهم الذين أوقعوا أنفسهم في العذاب.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ

---

(١)- **سؤال:** فعلى هذا فمن أي أقسام الكلام يكون؟

الجواب: يكون من باب الاستعارة التمثيلية، وهذه الآية في المعنى كقوله تعالى في تشبيه المشركين: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً﴾ [البقرة:١٧١].

﴿أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾[(١)] فهو وحده المختص بعلم موعد الساعة والقيامة فلم يطلع على ذلك أحداً من خلقه، لا نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرباً، وهو المختص بالإحاطة بكل شيء، فلا تخرج ثمرة من خباها، ولا تضع أنثى ما في بطنها إلا وهو عالم بذلك. والأكمام: هي أوعية الثمار.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾[(٢)] وذلك يوم القيامة عندما ينادي الله سبحانه وتعالى المشركين ويسألهم: أين أولئك الذين كنتم تعبدونهم في الدنيا؟ فيجيبون على ذلك بإنكار الشركاء معه، وأنهم مقرون له بأنه لا إله إلا هو. ومعنى «آذناك»: أعلمناك.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾[(٣)] فقد ضاعت عنهم تلك الآلهة التي كانوا يزعمون أنها ستنصرهم وتدفع عنهم، وقد أيقنوا في ذلك الوقت أن لا مفر لهم ولا مهرب من عذاب الله سبحانه وتعالى.

﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن طبيعة الإنسان أنه لا يمل أو يسأم من طلب الخير من المال والولد ومتاع الدنيا وشهواتها والسعي وراءها، فهو يبحث عن ذلك ويجري وراءه مدة عمره.

---

(١)- **سؤال:** ما موضع الجار والمجرور «بعلمه»؟

الجواب: محله النصب حالاً.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم هل للجملة ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ محل من الإعراب أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: «آذناك» بمعنى أعلمناك؛ فجملة «ما منا من شهيد» سادة مسد المفعولين الثاني والثالث، فهي في محل نصب.

(٣)- **سؤال:** يقال: إذا كان الظن في هذه الآية بمعنى اليقين كما هو الظاهر فهل ذلك من باب الحقيقة أو المجاز؟ وهل يمكن أن يكون كثرة استعماله في القرآن في ذلك المعنى دليلاً على أنه حقيقة فيه أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: قد قدمنا الجواب عن مثل هذا السؤال في سورة البقرة على الآية (٤٦)، فيؤخذ من هناك.

﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾[1] وأما إذا لحقه أي سوء أو مكروه فإنه يصيبه اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، وقد أراد الله سبحانه وتعالى بذلك الإنسان الكافر، وأما المؤمن فهو في خير وطمأنينة، وإن أصابه الشر فلا يزال في قلبه الرجاء في الله تعالى، والقناعة بأن ما أصابه إنما هو من عند الله تعالى وأن الفرج من عنده، فإن فرج عنه في الدنيا وإلا فسيعوضه في الآخرة، ولا يزال على يقين بأنه سيثيبه على الصبر إن هو صبر على ما أصابه، فلا ينقطع أمله في الله سبحانه وتعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة.

والسبب في يأس الكافر هو كفره بالآخرة، وإنكاره لثواب الله سبحانه وتعالى، فلذلك ينقطع أمله ويصيبه اليأس والقنوط.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ وأما إن أنعم الله سبحانه وتعالى على الكافر بعد ضر وشدة أصابته فإنه يزعم أنه لم ينل ما أعطي من الخير والنعيم إلا لأنه[2] يستحقه، ولأنه أهل لذلك الخير والعطاء، وأن الله سبحانه وتعالى لم يعطه ذلك إلا لكرامته عليه فيأخذه العجب بنفسه والتعظيم لها وينسى شكر الله.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾[3] اغتر بما هو فيه من النعيم، ونسي الله سبحانه وتعالى، ونسي أن هناك موتاً وحياة بعد

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «فيئوس قنوط»؟

الجواب: يعرب خبراً لمبتدأ محذوف.

(٢)- **سؤال:** من أين نفهم هذا؟

الجواب: فهم من اللام في قوله «لي» فإنها للاختصاص والملك.

(٣)- **سؤال:** ما السر في سقوط الفاء من الجواب: ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾؟

الجواب: «إن لي عنده» هو جواب القسم فلا يحتاج إلى الفاء.

الموت، وحساباً وعقاباً، وتشكك في وقوع ذلك، وعلى فرض[١] صحة القيامة فهو على ثقة ويقين من نفسه بأنه مقبول عند الله تعالى، وأنه من أهل الإحسان عنده، وأنه سيكرمه في الآخرة كما أكرمه في الدنيا.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ۝٥٠﴾ فليعلم أهل هذه الصفة أنهم من أهل وعيد الله سبحانه وتعالى، وأن الله سبحانه وتعالى سوف يطلعهم يوم القيامة على سوء أعمالهم، ثم يجازيهم عليها.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ۝٥١﴾ طبيعة الإنسان الكافر الجاحد[٢] لنعم الله سبحانه وتعالى هي أن الله تعالى إذا أسبغ عليه نعمه وأوسع عليه في الرزق ومتعه بالصحة والعافية- نسي الله تعالى، وأعرض عن ذكره وشكره.

ومعنى ﴿نَأَى بِجَانِبِهِ﴾: لوى جنبه[٣] وابتعد عن ذكر الله سبحانه وتعالى

---

(١)- **سؤال:** هل فهمنا أنه يفرض وقوع القيامة فرضاً من قوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أو من غيره فمِمَّ؟

الجواب: فهم من قوله: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ﴾ حيث جاء بـ«إن» التي تفيد الشك الذي هو تجويز مرجوح.

(٢)- **سؤال:** من أين نفهم أن هذه طبيعة الكافر فقط مع أنه قد يحصل مع بعض المسلمين الغفلة عن استشعار الشكر لبعض النعم والإلحاح إلى الله بقوة عند الإصابة بمكروه، أم أن المراد نسيان الله تعالى بالكلية؟

الجواب: المؤمن -وإن غفل عن شكر الله على بعض النعم- هو معترف لله ومقر ومؤمن بأن الله تعالى هو الذي أنعم عليه، وهو مؤد لما أوجب الله تعالى عليه من الشكر فهو مطيع لله تعالى فيما أمره به، ومنتهٍ عما نهاه الله عنه، أما الكافر فبخلاف المؤمن فهو غير معترف ولا مقر بنعم الله عليه ومتكبر عن طاعة الله وأداء ما أوجب الله عليه، والانتهاء عما نهاه الله عنه.

(٣)- **سؤال:** ومن أي أنواع الكلام هذا التعبير؟

الجواب: هذا من باب الكناية أي: أنه تكبر، فهي كناية عن تكبر الإنسان.

استخفافاً وكبراً، وأما إن أصابه سوء أو شر أو مكروه فإنه يتذكر الله تعالىٰ ويستغيث به، ويتوسل إليه أن يرفع عنه ما هو فيه من البلاء والشدة. ومعنىٰ «دعاء عريض»: كثير مستمر.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ(١) ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ(٢) أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ۝٥٢﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أن يقول للمشركين حين أصروا علىٰ الكفر والتكذيب: كيف لو كان ما جئتكم به من عند الله ثم إنكم كفرتم به فمن يكون أضل منكم؟ وكيف سيكون حالكم؟ والمفروض علىٰ كل عاقل أن يأخذ الحيطة والحذر إذا حذره أحد بمثل ما حذرهم النبي ﷺ، وأن يعد العدة لذلك المكروه لئلا يقع فيه؛ فأنتم أيها المشركون من المفروض أن تعدوا عدتكم، وتأخذوا حيطتكم وحذركم من الوقوع في ذلك المكروه الذي حذركم منه نبيكم ﷺ، فمن شأن العاقل أن يحتاط من المخاوف المعلومة والمظنونة.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ(٣) الْحَقُّ﴾ ثم أمر

---

(١)- **سؤال:** ما السر في استخدام هذا الأسلوب ﴿إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾؟

الجواب: السر هو بيان جهل المخاطبين وشدة غفلتهم وعدم النظر لأنفسهم، وعدم الاحتياط لأنفسهم؛ إذ من شأن العاقل أن يأخذ حذره من المخاطر ولو موهومة أو مشكوكة فيأخذ حذره ويعد عدته فإن وقعت كان في مأمن وإن لم تقع لم يضره ما فعل من الحذر والاحتياط، فمن هنا أمر الله نبيه ﷺ أن يوجه السؤال إلىٰ المشركين ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾ وقد كان من المفروض أن يسأل المشركون أنفسهم بهذا السؤال كما هو شأن ذوي العقول.

(٢)- **سؤال:** يقال: ما الوجه في سقوط الفاء من جواب الشرط إن كانت الجملة جواباً للشرط؟

الجواب: «من أضل» جملة في محل نصب مفعول به ثان لـ«أرأيتم» وليست الجملة جواباً للشرط وجواب الشرط محذوف لدلالة هذه الجملة عليه والتقدير فأنتم أضل.

(٣)- **سؤال:** هل الضمير عائد إلىٰ الله سبحانه أم إلىٰ الدين أم إلىٰ الأمرين جميعاً؟

الجواب: هو عائد إلىٰ القرآن فالسياق فيه من أول الكلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ ﴿وَلَوْ

=

الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يخبر المشركين بأن الله تعالى سوف يريهم آياته التي بثها لهم في السماوات والأرض ليتفكروا فيها ويعرفوا إذا نظروا فيها صدق ما جاءهم به، وأن ما جاءهم به هو الدين الحق، وأنه من عند الله سبحانه وتعالى، وكذلك إذا نظروا في آثار قدرته في كيفية خلقهم.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ۝٥٣﴾ يكفي قومك يا رسول الله أن الله مطلع على أعمالهم صغيرها وكبيرها ظاهرها ومستورها، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وسيجازيهم على ما عملوا حتى على مثقال الذرة فلا يكبر عليك يا رسول الله ما ترى عليه المشركين من الترف والغنى وكثرة المال والولد والأمن فإن مرجعهم إلى من يحصي عليهم أنفاسهم وخطرات قلوبهم وجميع حركاتهم وسكناتهم.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ۝٥٤﴾[1] إن المشركين في شك وريب دائم من لقاء ربهم، ومن البعث بعد الموت والحساب والجزاء، ولكن الله سبحانه وتعالى مطلع على جميع أعمالهم، وسيحاسبهم ويجازيهم على كل ذلك.



جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا...﴾ و... إلى آخر السياق، وآخره: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

(١)- **سؤال:** ما مناسبة جعل هذه الآية خاتمة لهذه السورة المباركة؟

الجواب: في ختم السورة بهذه الآية إشارة إلى تمامها وختمها وذلك من حيث أن ما تضمنته هو نتيجة الجدال مع المشركين ونهايته ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ ثم النداء بالجزاء على كل أعمالهم هو الاخر مؤذن بالتمام من حيث أن ذلك عاقبتهم وغاية أعمالهم.

سورة الشورى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حم۝١ عسق۝٢ كَذَلِكَ[(١)] يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝٣﴾ ابتدأ الله سبحانه وتعالى هذه السورة بالرد على قول المشركين إن النبي ﷺ كذاب، وإن هذا القرآن الذي جاء به ليس كلام الله سبحانه وتعالى، وإنه إنما اختلقه وافتراه من عند نفسه، أو إنما تعلمه من بشر؛ فأخبرهم بأنه ليس من كلام البشر، وما ينبغي لبشر أن يأتي بمثل هذا الكلام، فهو كلام العزيز الذي لا ينال الغالب الذي لا يقهر، والحكيم الذي أحكم آياته وأنزلها في غاية الدقة والإحكام.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ۝٤﴾ فهو المتعالي عن الولد والزوجة والشريك والمعين، وهو العظيم الذي ليس كمثله شيء.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾[(٢)] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن المشركين بلغوا النهاية في الكفر والعناد والتكذيب حتى أن السماوات كادت أن تتفطر

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب قوله: «كذلك» هنا؟

الجواب: «كذلك» صفة لمصدر محذوف وعامله «يوحي» الذي بعده.

(٢)- **سؤال:** إلام يعود ضمير «من فوقهن»؟ وما فائدة هذا القيد «من فوقهن»؟

الجواب: يعود إلى السموات أي: أن التفطر يبدأ من فوق السموات السبع، وفائدة هذا القيد تعظيم جريمة الشرك والكفر حيث بلغ كبر جريمة الشرك حداً كاد ما فوق السموات أن يتفطر ثم تتفطر السموات سماءً بعد سماء.

سؤال: يقال: ما الحكمة في الإخبار بتفطر السماوات من دون ذكر ما تتفطر منه؟

الجواب: لم يذكر ما هو الذي تتفطر منه السموات لتقدم ما يدل عليه وهو قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ۝٤﴾ أي: له وحده ما في السموات... ليس للشركاء الذين تدعونهم من دون الله نصيب في ذلك، ففي هذه الآية حصر وقصر وهو إثبات الملك لله ونفيه عن الشركاء، فالشركاء مذكورون بالقوة في هذه الآية.

وتتشقق من كفرهم ونسبتهم إلى الله سبحانه وتعالى ما لا يليق به من الشركاء والأولاد.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ۝٥﴾ فالمشركون ينسبون إلى الله تعالى الشركاء والأولاد بينما الملائكة ينزهون الله تعالى ويقدسونه، ويطلبون من الله سبحانه وتعالى المغفرة لمن آمن[١] من أهل الأرض.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ۝٦﴾[٢] فلا يظن أولئك المشركون أن الله سبحانه وتعالى غافل عنهم وعن أعمالهم، فهو عالم بهم ومحص لجميع أعمالهم، وسيحاسبهم ويجازيهم عليها.

أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بذلك ليعلمه أن ما عليه إلا التبليغ فقط، وأما أمر حسابهم فهو على الله سبحانه وتعالى.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا[٣] وَتُنْذِرَ

---

(١)- **سؤال:** من أين نفهم هذا القيد هنا؟

الجواب: استفيد هذا القيد من آية غافر وهي قوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر:٧].

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما محل جملة: ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾؟ وهل جملة: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ۝٦﴾ معطوفة عليها أم ماذا؟

الجواب: «الله حفيظ عليهم» خبر الذين، و«ما أنت عليهم بوكيل» في محل رفع معطوفة عليها كما ذكرتم.

(٣)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية تقييد إنذار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو خلاف المعلوم ضرورة أنه منذر للجن والإنس أجمعين، فكيف؟

الجواب: في بداية الأمر كلفه الله تعالى بإنذار عشيرته الأقربين ثم بإنذار أهل مكة وما حولها، ثم لما عظم أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمره الله بإنذار ملوك العالم المعروفين في ذلك الزمان، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رسول الله إلى الناس جميعاً إلا أن الله كلفه بالتدريج في إبلاغ الرسالة.

الْجَمْعِ﴾[١] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قد أنزل عليه القرآن لينذر به أهل مكة ومن حولها من القرى، وينذرهم المخاطر التي هم قادمون عليها والأهوال التي سيلاقونها يوم القيامة إن هم استمروا على ما هم فيه من الشرك والضلال.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ[٢] فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ۝٧﴾ لا شك ولا ريب في يوم الجمع وحصوله ليجزي الله كل نفس ما عملت، فيدخل الله تعالى أهل الأعمال الصالحة الجنة، ويدخل أهل الأعمال الخبيثة جهنم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يرهق نفسه ويتعبها في ملاحقة قومه ليؤمنوا حتى كاد أن يهلك نفسه من شدة حرصه وأسفه على عدم إيمانهم، فأمره الله تعالى أن يهون على نفسه ولا يتعبها فما عليه إلا أن يبلغهم قبلوا أم لم يقبلوا، وأخبره أنه لو شاء أن يدخلهم في الهدى وأن يلجئهم إليه لفعل فهو قادر أن يجمع أهل الأرض جميعاً على دين واحد وملة واحدة، غير أن مشيئته وحكمته اقتضت أن يكون الدين موكولاً إلى مشيئتهم[٣] واختيارهم؛ ليدخل الجنة من استحقها، واختار طريقها بمحض إرادته واختياره، وذلك بعمل الطاعات وما يرضي الله سبحانه وتعالى، واجتناب ما يغضبه

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما السر في تكرير قوله: «وتنذر» بالعطف وكان من الممكن أن يقول ومن حولها يوم الجمع؟

الجواب: في التكرير إشارة إلى أن اليوم الآخر يستدعي عناية خاصة، وأن الله تعالى بعث نبيه لغرضين هما: لتنذر أم القرى، والثاني هو: تنذر يوم الجمع.

(٢)- **سؤال:** هل لهذه الجملة محل من الإعراب أم لا محل لها؟ ولماذا؟

الجواب: يحتمل أن تكون معترضة فلا محل لها وأن تكون حالاً من يوم الجمع فتكون في محل نصب.

(٣)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن الله سبحانه جعل الإدخال في رحمته موكولاً إلى مشيئته سبحانه فهل قوله: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ...﴾ قيد لذلك؟ أم كيف؟

الجواب: كما ذكرتم فقوله: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ۝٨﴾ دليل وبيان على أن المراد بمن يشاء: هم المؤمنون المستجيبون لأمره.

ويوجب سخطه، ويعذب الذين اختاروا طريق الضلال، وانتصبوا لعداوة الله تعالى ورسله عليهم السلام، ولو لم يكن كذلك لبطل الثواب والعقاب.

﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨﴾ لا يجد الظالمون يوم القيامة من ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله أو يشفع لهم عنده تعالى.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ[1] يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٩﴾ اتخذ المشركون لهم أرباباً يعبدونها من دون الله تعالى، وتركوا عبادة الإله الذي بيده حياتهم وموتهم، والذي كل ما في السموات وما في الأرض في قبضته وتحت سيطرته وقدرته فهو الذي يستحق العبادة وحده دون ما سواه من المعبودات.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾ ثم بدأ الله سبحانه وتعالى في إرشاد عباده إلى الطريق لمعرفة الحق، فأخبرهم أن ما اختلفوا فيه من الأديان وتفرقت كلمتهم فيه فينبغي لهم أن يردوه[2] إلى الله سبحانه وتعالى فهو الذي يحق الحق ويبطل الباطل.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠ فَاطِرُ[3] السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو الإله الذي ينبغي أن يتوكل عليه المتوكلون ويرجع إليه المنيبون، فهو وحده الذي بيده النفع

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب معطوفة على «فالله هو الولي».

(٢)- **سؤال:** لو بينتم لنا كيف يتم الرد إلى الله سبحانه؟ وهل يتم الرد من الجاهل الذي لا يميز بين الأدلة ولا قدرة له على استخراج دلالتها أم كيف؟ وما الوجه في الاكتفاء بالرد إلى الله في هذه الآية دون الرد إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما في آية النساء حفظكم الله وتولاكم؟

الجواب: الرد إلى الله هو الرد إلى ما حكم الله تعالى به في القرآن الكريم أو على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أي: ما صح عنه باتفاق المختلفين، ولا يتم الرد من الجاهل وإنما يستطيعه أهل الرسوخ في العلم، ولم يذكر الرد إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكر في سورة النساء لأن ذكر الرد إلى الله كاف، ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، ولا يمكن الرد إلى الله إلا عن طريق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «فاطر السماوات والأرض»؟

الجواب: «فاطر» خبر رابع أو خامس لذلكم.

والضر، وبيده مقاليد السماوات والأرض.

﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ ومن صفته تعالى أيضاً أنه هو الذي خلق لكم من جنسكم أزواجاً لتسكنوا إليها نعمة منه أنعم بها عليكم، وكذلك هو الذي أنعم عليكم بهذه الأنعام ذكورها وإناثها وسخرها في خدمتكم ومنفعتكم.

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ يخلقكم في هذه الأزواج[1]، وذلك بما يحصل من التناسل والتوالد من خلال التزاوج والتناكح.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ[2] شَيْءٌ﴾ ومن صفته أنه المتفرد بصفات الإلهية والكمال فلا يشابهه أو يماثله أحد.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴿١١﴾﴾[3] وهو وحده العالم بجميع المسموعات

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذا أن الضمير في «فيه» يعود إلى الأزواج فلِـمَ لم يأت بضميرها المناسب «فيها»؟ وهل يصح أن نجعل «في» هنا سببية، أي: يذرؤكم بسببه أم لا؟

الجواب: قال الزمخشري: إن الضمير هذا عائد إلى الجعل أو التدبير، وقال إن هذا الجعل والتدبير بمنزلة المنبع والمعدن أي: فتكون «في» ظرفية هكذا وجه الزمخشري إعراب هذه الآية وهو خير المعربين.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما مختاركم –رفع الله مقامكم– في الكاف في قوله «كمثله» هل هي حرفية أم اسميه؟ وهل ذلك من مجاز الزيادة أم تشبيه صريح؟

الجواب: لا يترتب على القول باسمية الكاف أو حرفيتها خلاف إطلاقاً، وهكذا لا يترتب على القول بزيادتها أو عدم زيادتها خلاف إطلاقاً فليختر الطالب أي القولين شاء حرفيتها أو اسميتها أو زيادتها أو عدم زيادتها.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في ختم هذه الآية بقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴿١١﴾﴾؟

الجواب: ذكر هذان الاسمان في وسط الذكر لله والثناء عليه بأسمائه وأفعاله، أول ذلك قوله: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾ وآخره قوله: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴿١٢﴾﴾ والوجه في ذكر الله تعالى في هذه الآيات هو بيان أنه هو الذي يستحق العبادة والشكر والذكر دون ما يعبد من دونه.

والمبصرات لا يخفى عليه خافية لا في السماء ولا في الأرض.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ مفاتيح خزائن السماوات والأرض فهي بيده وحده، وأرزاق الخلق جميعاً كلها بيده فيضيق على من يشاء منهم، ويوسع في رزقه على من يشاء منهم.

﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ فلا يبسط رزقه أو يضيقه على أحد إلا على حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ[1] وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا[2] الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى عباده مخبراً لهم بأنه لم ينزل ما أنزل على محمد ﷺ من الدين والشريعة إلا ما أنزل على من سبقه من الأنبياء السابقين، وأن ما أوصاهم به وحكم عليهم في القرآن هو نفس ما أوصى به الأنبياء السابقين وأمرهم بتبليغه، وهو أن يقيموا[3] دين الله سبحانه وتعالى ويحيوا شرائعه، وأن يكونوا على ذلك يداً واحدة،

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما فائدة تأخير قوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ وكان القياس تقديمه على أن يكون مفعول «شرع»؟

الجواب: الذي يظهر لي -والله أعلم- أن المقصود في هذه الآية هو بيان أن ما جاء به النبي ﷺ من الدين هو الدين الذي جاء به نوح من عند الله وجاء به إبراهيم و.. إلخ، وهو دين جميع المرسلين، وليس بدعاً من الأديان حتى يستنكره المشركون وينفروا منه ويعرضوا عنه؛ لذلك وسط الله تعالى قوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ بين ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ و﴿إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ ليأنسوا به ولا ينفروا عنه.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «أن أقيموا»؟

الجواب: «أن» مفسرة وما بعدها تفسير لما وصى به نوحاً و... إلخ.

(٣)- **سؤال:** هل يؤخذ من هنا أن إقامة الدين وإحياءه واجب على جميع الناس لا على العلماء والدعاة أم كيف؟

الجواب: إرشاد الناس وإقامة الدين والدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض =

وكلمتهم تكون واحده، وهي توحيد(١) الله سبحانه وتعالى وعدم الإشراك به شيئاً(٢).

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ عندما دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشركين إلى توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشركاء عظم ذلك على المشركين، وكبر في نفوسهم، واستنكروا غاية الاستنكار؟

﴿اللَّهُ(٣) يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ⑬﴾ والله سبحانه وتعالى هو الذي له أن يصطفي ويختار من يشاء من عباده لنبوته ورسالته، فليس لأحد أن

الكفايات كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ [آل عمران:١٠٤].

(١)- **سؤال:** من أين نأخذ أنه توحيد الله فقط؟

الجواب: يؤخذ ذلك مما أوحاه الله تعالى في السور المكية ومنها هذه السورة فإنها تستهدف إثبات التوحيد ونفي الشرك وإثبات اليوم الآخر ولا تكاد تخرج عن هذا الموضوع.

(٢)- **سؤال:** قد يفهم بعض الناس أن التمسك بالمذهب الحق في الأصوليات وعدم النظر إلى المخالفين أو اعتبارهم هو التفرق المذموم في هذه الآية، فما توجيهكم في ذلك؟

الجواب: التمسك بالحق والتواصي به هو المطلوب الذي جاء به القرآن وأمر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن خالف الحق ودان بالباطل فأمره إلى الله ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ...﴾ [المائدة:١٠٥]، ومن تمسك بالحق والهدى فليس من أهل التفرق ولو لم يكن إلا واحد على الحق والهدى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ㉖﴾ [البقرة]، ولكن يجب على أهل الحق والهدى أن يظهروا الدلائل الدالة على صحة ما هم عليه من الدين والمذهب ويبينوها وينشروها، وإذا عرضت عليهم دلائل أهل المذاهب الأخرى أن ينظروا فيها ويبينوا الحق بدلائله.

(٣)- **سؤال:** هل هذه الجملة ابتدائية لا محل لها؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة لبيان العلة التي من أجلها كبر على المشركين ما يدعوهم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن اختيار الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي استنكروه وقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ㉛﴾ [الزخرف]، وقالوا: مستهزئين ومستنكرين: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا㊶﴾ [الفرقان].

يقترح عليه أو يعترض.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يهتدي[(١)] لدينه إلا من تواضع للحق وأخلص نفسه لقبوله.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا[(٢)] إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾[(٣)] وهم أهل الكتب السماوية كانوا كلمة واحدة ويداً واحدة، ثم بعد أن أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم رسله، وأنزل عليهم شرائعه وكتبه تفرقوا واختلفوا فمنهم من آمن، ومنهم من كفر.

وكفر من كفر منهم إنما كان بغياً منهم على الحق وعناداً وتمرداً عليه، لا لخفاء الحق وعدم وضوحه، فهو واضح وجلي، وآيات الله سبحانه وتعالى مكشوفة لهم، وبينة لا غبار عليها.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾[(٤)] فلولا أن

---

(١)- **سؤال:** فمن أي معاني الهدى هذا؟

الجواب: الهدى هنا بمعنى التوفيق والتنوير وزيادة الألطاف.

(٢)- **سؤال:** فضلاً من المراد بهذا الضمير؟

الجواب: يراد بالضمير أهل الكتاب بدلالة قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ وقد آتى الله تعالى أهل الكتاب التوراة والإنجيل وفيهما العلم والحكمة، وبدلالة قوله في آية أخرى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ...﴾ [الشورى:١٤]، وبدليل قوله في الآية التالية: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب «بغياً»؟ وإلام يعود ضمير «بينهم»؟

الجواب: «بغياً» مفعول من أجله، وضمير بينهم يعود إلى ما عاد إليه ضمير «تفرقوا».

(٤)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية تناول الضمائر للمختلفين جميعاً من آمن ومن كفر، فكيف يخرج المؤمنون عن هذا الذم؟

الجواب: التفرق والاختلاف لا يكون إلا بين اثنين أو فريقين فأكثر والمؤمنون –وإن كانوا طرفاً في الخلاف أو التفرق– فالذم متوجه إلى من خالف الحق والمحقين دون المحقين كما قال تعالى:

=

حكمة الله تعالى اقتضت تأجيل عقابهم وجزائهم إلى يوم القيامة لحكم بينهم، ولعجل عذاب المبطل في الدنيا قبل يوم القيامة.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴿١٤﴾﴾ أراد الله سبحانه وتعالى بهم أمة[1] محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد أورثهم الكتاب والحكمة بعد اليهود والنصارى، ولكنهم كذبوا به وتمردوا.

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ[2] وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ لأجل ما شرع الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الدين الذي شرعه لمن قبلهم من الأنبياء والأمم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعوهم إلى ذلك الدين الذي شرعه لهم، وأمره أيضاً أن يستمر على دعوته وعلى دينه ذلك على حسب ما أمره به، غير مبال بهم أو بتكذيبهم وتمردهم عليه أو استهزائهم به.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ..﴾ [البقرة:٢١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ولا يخفى أن المؤمنين غير مذمومين وإن صدق عليهم اسم الاختلاف.

(١)- **سؤال:** هل هناك قرائن أخرى على أنهم أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد نفهم أنهم خلائف الأنبياء من اليهود والنصارى؟

الجواب: ليس هناك قرائن على ذلك بل الآية محتملة لما ذكرنا وقد فسرت بالمشركين وباليهود والنصارى وبأهل الكتاب المعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولعل أقربها أن المراد أهل الكتاب المعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لوجود قرينة ذلك وهو قوله تعالى: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ...﴾ الآية، ويمكن حمل الآية عليهم وعلى المشركين، والله أعلم.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما معنى الفاء في قوله: «فلذلك» وفي قوله: «فادع»؟ وما إعراب: «كما أمرت»؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة أي: إن كفروا وتفرقوا وشكُّوا في القرآن وكذبوا به فلذلك فادع، وهي في قوله: «فادع» مكررة للتأكيد. «كما أمرت» صفة لمصدر محذوف في الأصل ثم أقيمت هذه الصفة مقام المصدر والتقدير: استقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها.

ونهاه أيضاً عن الاستجابة لهم فيما يدعونه إليه من ترك[1] التعرض لآلهتهم أو السب لها، وكانوا يقايضونه ويساومونه على ذلك.

﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ وأن يخبرهم بأنه قد آمن وصدق بما أنزل الله سبحانه وتعالى من الكتب السالفة على من سبقه من الأنبياء.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ[2] بَيْنَكُمُ﴾ وأن يخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى قد أمره بأن يقيم الحق والعدل بين أولئك المختلفين من المشركين واليهود والنصارى، وأن يدعوهم إلى الحق والهدى والقرآن.

﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝١٥﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يحسن جداله مع المشركين وأن يأخذ معهم بجانب الرفق واللين، وأرشده إلى كيفية[3] الأخذ

---

(١)- **سؤال:** يقال: أليس مما أمر به أن لا يسب الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم؟

الجواب: المراد بالسب الذي ذكرناه هو ما يسميه المشركون سباً من نحو ما بينه الله في القرآن من أن دين التوحيد هو الحق وأن دين المشركين باطل والشرك باطل وأن ما يعبده المشركون من دون الله لا يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع وأنهم بعبادتها أضل من الأنعام و.. إلى آخر ما ذكر الله تعالى في القرآن عن الأصنام والشرك والمشركين، وهذا في الحقيقة ليس سباً وإنما هو بيان للدين الحق وتوضيح وكشف للباطل على حقيقته، ولعل السبَّ الذي نهى الله تعالى المؤمنين عنه هو غير ذلك الذي أنزله الله تعالى في القرآن وأمر نبيه ﷺ بتبليغه للناس.

(٢)- **سؤال:** ما هي هذه اللام الداخلة على «أعدل»؟

الجواب: اللام هي لام التعليل، والمأمور به محذوف، والتقدير: أمرت بكذا وكذا لأعدل، وقيل: إن اللام تحل محل «أن» في «أمرت وأردت» فتقول: أردت أن تفعل وأردت لتفعل.

(٣)- **سؤال:** هلَّا بينتم أيدكم الله بتأييده هذه الكيفية بتفصيل شيء مما في هذه الآية؟ وبماذا نرد على من يقول بأننا سندخل في المداهنة معهم لو فعلنا هكذا؟

الجواب: أمر الله تعالى هنا نبيه بالدعوة إلى الله: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ وبالاستقامة على الدين الذي أنزله الله تعالى، والدعوة إلى الله تكون بإقامة الحجج والبينات و... إلخ. ثم أمر الله تعالى نبيه أن يتلطف في دعوته ولا يتكلم بما ينفرهم عنه ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ ولا

=

معهم والرد في الكلام لئلا ينفرهم عن الدين أو يجعلهم ينظرون إليه بنظرة سيئة، وفيما أرشد إليه الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ما لا يخفى من اللطافة واللين والرفق، وعدم الجرح أو الخدش. ومعنى «لا حجة بيننا وبينكم»: لا محاجة بيننا وبينكم.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴿١٦﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن الذين يحاجونه ويجادلونه من المشركين في آيات الله تعالى من بعد أن وضحت لهم، وعرفوا صدقها وحجيتها- بأن حججهم واهية وجدالهم باطل، وأن جدالهم ذلك ليس إلا تعنتاً وتمرداً على الحق، وقد استوجبوا بذلك غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه عليهم. ومعنى «داحضة»: زائلة باطلة.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ يرد الله تعالى هنا على المشركين المكذبين بآياته بأنه الذي أنزل القرآن على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وليست الشياطين التي تنزلت به كما يزعمون، وأن ما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم هو الدين العدل والحق.

والقرآن هو الميزان[1] الذي يتبين به الحق والباطل والحسن والقبيح.

يخفى أن هذه المقولة ستؤنس أهل الكتاب وتصغي بآذانهم إليه، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ وهذه المقولة أيضاً هي الأخرى في الأنس والإصغاء. ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ وهذه المقولة جامعة غير مفرقة، ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ وكذلك هذه مقولة عادلة غير منفرة، ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ لا محاجة ولا مجادلة بيننا وبينكم إذ قد كشفنا وجه الدعوة للناس جميعاً واستوضحتموها وتلونا عليكم حجج الله وبيناته...

وبما شرحنا ووضحنا يتبين أن مثل ذلك الأدب الذي أدب الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ليس فيه مداهنة.

(١)- **سؤال:** فضلاً هل تريدون أن عطف الميزان على القرآن تفسيري أم كيف؟ وهل يصح حمل الميزان على العدل والتسوية بين الناس في الحقوق أم لا؟

الجواب: ما فسرناه به هو وجه من ثلاثة أوجه والثاني أنه الجزاء بالثواب والعقاب، والثالث أنه الميزان الذي يوزن به، والذي ذكرتموه في السؤال هو ما قصدناه في التفسير.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝١٧ يَسْتَعْجِلُ[1] بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ كان المشركون يستعجلون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يأتيهم بالساعة، ويطلبون منه تعجيلها، فأخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنها قد أوشكت وقد اقترب موعدها، ولا يعلم ميعادها إلا الله وحده.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ وأما المؤمنون فهم مشفقون وخائفون من حلولها لما تيقنوا من حتمية وقوعها وحلولها، وماذا سيكون فيها.

﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝١٨﴾ أولئك الذين يجادلون في أمر الساعة وينكرونها، ويستعجلون حلولها استهزاءً- سائرون في غير طريق الهدى، وتائهون في ظلمات الجهل والباطل.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ ثم تمدح الله سبحانه وتعالى بأنه رحيم بعباده، ومن رحمته بهم أنه يمهلهم ولا يعجل بعذابهم مع استحقاقهم له.

﴿يَرْزُقُ[2] مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝١٩﴾ وهو الذي يبسط رزقه على من يشاء من عباده، وذلك على حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ من كان يطلب ثواب الله تعالى بعمل الصالحات، واجتناب ما يوجب سخط الله تعالى وغضبه، فإن الله سبحانه وتعالى يوفقه للهدى، ويثبته ويسدده، ويضاعف له الأجر والثواب[3].

---

(١)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة المضارعية؟

الجواب: قد تكون في محل نصب حالاً من ضمير الساعة المستتر في «قريب» وقد تكون مستأنفة فلا محل لها.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما محل هذه الجملة؟

الجواب: تكون في محل رفع خبر ثانٍ للفظ الجلالة.

(٣)- **سؤال:** ما مناسبة جعل الثواب حرث الآخرة مع أن الحرث سبب في جلب النتائج والثواب من النتائج؟

الجواب: الحرث يطلق -كما قالوا- على إلقاء البذر في الأرض و..، وعلى الزرع الحاصل منه، فعلى =

﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ۝٢٠﴾ وأما من كان يطلب الدنيا ويسعى وراءها، ويجعلها أكبر همه، مقصراً[(١)] في أمور دينه، غير مبال بما يقع فيه من المعاصي والمحظورات – فإن الله سبحانه وتعالى سوف يعطيه حظه منها، ولكنه سيحرمه في الآخرة الأجر والثواب.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى إصرار المشركين على شركهم؛ فهل أوحت إليهم آلهتهم شيئاً من الدين الذي يدعونه، أو فرضت عليهم شيئاً من التشريعات التي يعملون بها؟ أم أنهم شرعوا دينهم ذلك وجاءوا به من عند أنفسهم؟

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه لولا ما اقتضته الحكمة من تأخير الحكم والفصل بينهم إلى يوم القيامة لحكم بينهم ولعذبهم في الدنيا.

هذا يرتفع الإشكال فإن الثواب الناتج عن الأعمال الصالحة هو مشبه بالزرع الحاصل من إلقاء البذر في الأرض.

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما الدليل على أنه لا يطلق عليه مريد الدنيا إلا إذا كان مقصراً في أمور دينه؟ وإن رأيتم أن توردوا لنا ضابطاً في مريد الدنيا ومريد الآخرة فسيكون أنسب؟

الجواب: التوسع في الأموال وجمعها والتنعم فيها وبناء المساكن الراقية و... إلخ حلال هذا هو الأصل بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف:٣٢]، ويصير ذلك مذموماً بـ:

- أن يشتغل بها عما أوجب الله تعالى عليه: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون:٩]، ولذلك حملناه على المقصر في أمور دينه.
- أن يجمعها من حلال وحرام كالغش والتطفيف والربا ونحو ذلك.
- أن ينفقها في حلال وحرام وبغي وفساد.
- أن لا يؤدي ما أوجب الله عليه فيها من الزكاة ونحوها.
- أن يغتر بها وينسى فضل الله عليه ويتعاظم ويعجب بها ذكر الله هنا عن قارون.

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وإنه تعالى قد أعد للظالمين المتجاوزين لحدوده العذاب الأليم في نار جهنم جزاءً على كفرهم وتكذيبهم.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ[١] وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حالهم حين يبعثهم إليه يوم القيامة عندما يرون ذنوبهم قد أحاطت بهم وطوقت أعناقهم، وقد تيقنوا عندها أنهم واقعون في عواقب ذنوبهم.

﴿وَالَّذِينَ[٢] ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ وأما المؤمنون فإن الفرح والسرور والأمن والطمأنينة تصاحبهم من حين بعثهم إلى أن تفد بهم الملائكة إلى روضات الجنات التي أعدها الله لهم، لهم فيها ما يشاءون من أنواع الملذات وأسباب النعيم.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ[٣] اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يبشر الله عباده المؤمنين بما أعده لهم في جنات النعيم من الفضل العظيم.

﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يخبر المشركين بأنه لم يطلب منهم أن يدفعوا له أي ثمن أو أجرة على تبليغهم آيات الله تعالى وأحكامه حتى يتمردوا عليه هذا التمرد، وحتى تمنعهم هذه الأجرة عن قبول الدين والهدى الذي جاءهم به، وأنه لم يطلب منهم أن يكافئوه

---

(١)- **سؤال:** فضلاً هل هذه الجملة حالية أم ماذا؟

الجواب: الظاهر أنها حالية.

(٢)- **سؤال:** فهل هذا مبتدأ خبره ما بعده أم أنه معطوف على الظالمين؟ وما محل جملة: «لهم ما يشاءون»؟

الجواب: «الذين» مبتدأ، و«في روضات...» الخبر، «لهم ما يشاءون» في محل رفع خبر ثان.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ...﴾؟

الجواب: «ذلك الذي يبشر..» جملة من مبتدأ وخبر لا محل لها من الإعراب بدل من جملة: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ويصح أن تكون مستأنفة استئنافاً بيانياً.

على ذلك إلا أن يحسنوا إلى قرابته وأهله فقط[١].

﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾[٢] وأن يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى قد تفضل عليهم بأن ضاعف لهم الأجر والثواب إن عملوا الأعمال الصالحة، وكل ذلك ترغيب لهم ورحمة بهم. ومعنى «يقترف»: يكتسب.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴿٢٣﴾﴾ والله تعالى غفور لمن عمل المعاصي ثم رجع إليه وندم منها فإنه يقبله ويمحوا عنه سيئاته، ويعطي الكثير، ويضاعف الأجر على الأعمال الصالحة، و«شكور» أي: يشكر على فعل الحسنات بالثواب الكبير.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ كان المشركون يقولون إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم افترى على الله سبحانه وتعالى الكذب والزور والبهتان بما يدعيه من النبوة، ومن القرآن الذي يدعي أنه نزل عليه من عند الله تعالى.

﴿فَإِنْ[٣] يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾[٤] يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ويخبره بأنه إن كان كما يزعم المشركون بأنه قد افترى على الله الكذب فإنه قادر على

---

(١)- **سؤال:** كيف يرد المرشد على من يقول له إن معنى الآية: أن تودوني في قربي منكم، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان له اتصال بأغلب القبل من رحامة وخؤولة وصهارة ونحو ذلك؟

الجواب: قد صح في تفسير المراد بالقربى حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: ((علي وفاطمة وابناهما))، ففي البخاري من رواية طاووس عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابن عباس... إلخ. اهـ من تخريج أحاديث الكشاف، وكذا في مسند أحمد بن حنبل، و.. وغيرهما.

(٢)- **سؤال:** ما رأيكم فيما روي في: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ أنها حب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: حب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومودتهم هي المراد بهذه الآية ولو لم يرد أثر فالآية بتمامها نزلت في مودة قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومع ذلك فيصح الاستدلال بها على من فعل حسنة من الحسنات صلاة أو صياماً أو صدقة أو... إلخ؛ لإطلاق الحسنة في الآية.

(٣)- **سؤال:** فهل هذه الفاء هي الفصيحة؟

الجواب: يصح أن تكون هي الفصيحة والتقدير: إن يعلم الله خذلانك فإن يشأ يختم على قلبك.

(٤)- **سؤال:** هل الختم في هذه الآية على حقيقته أو لا؟

الجواب: الختم مجازي وليس بحقيقي، وقد قدمنا الكلام فيه.

أن يمنع نبيه عن ذلك، وقادر على إزالته من قلبك.

﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴿٢٤﴾﴾ سنة الله سبحانه وتعالى في الدنيا أن يمحو الباطل ويزيله[1]، ويظهر الحق وأهله، وكلماته: هي قدرته وإرادته[2].

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ[3] عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴿٢٥﴾﴾ فهو الذي يستحق أن تتوجهوا إليه بعبادتكم وتظهروا توسلكم له لا إلى تلك الأحجار التي لا تنفع ولا تضر ولا تغني شيئاً، فبيده تعالى وتحت قدرته أن يقبل التوبة عن عباده وأن يعفو عن السيئات، وهو تعالى الذي أحاط بكل شيء علماً يحصي عليكم أعمالكم.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا[4] وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو الذي يستجيب للمؤمنين ويتقبل منهم أعمالهم ويثيبهم عليها، ويضاعف لهم الأجر أضعافاً مضاعفة.

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذا أن هذا الفعل «يمح» غير معطوف على ما قبله فما وجه حذف الواو منه؟ وإن كان معطوفاً فما وجه ضم «يحق» والوجه الوجيه فتحه مع الجزم؟

الجواب: «ويمح» ليس معطوفاً على المجزوم بل هو مرفوع وسقطت الواو لفظاً لالتقاء الساكنين، وكان القياس إثباتها خطاً لا لفظاً ولكن خط المصحف سنة متبعة.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في تسميتها كلمات؟

الجواب: الوجه هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، ومن هنا سمي المسيح عيسى بن مريم كلمة الله.

(٣)- **سؤال:** فضلاً هل «عن» في قوله: «عن عباده» على بابها أم أنها بمعنى «من»؟

الجواب: هي على بابها فإن فعل القبول «يقبل» يتعدى إلى المفعول الثاني بمن وبعن، فإذا تعدى بـ«عن» فمعناه عزلته عنه وأبنته عنه، هذا معنى ما في الكشاف.

(٤)- **سؤال:** ما إعراب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فالأكثر يتوهم أنه فاعل؟

الجواب: «الذين آمنوا» منصوب وكان الأصل: ويستجيب للذين آمنوا، فحذفت اللام كما حذفت في قوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ...﴾ [المطففين:٣].

﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴿٢٦﴾﴾ أما الكافرون فلا نصيب لهم ولا حظ في شيء من رحمة الله تعالى ولهم عذاب شديد بكفرهم وتكذيبهم وتمردهم عن قبول رسالات الله.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴿٢٧﴾﴾ ولو أنه تعالى بسط رزقه على الناس جميعاً[1] لتجاوزوا حدود الله سبحانه وتعالى، ولأظهروا الفساد في الأرض، غير أن حكمته اقتضت أن ينزل عليهم من الرزق على حسب ما تدعو إليه حاجتهم ومصلحتهم، فهو عالم بعباده وبحاجتهم، وعالم بما يصلحهم وما يفسدهم، وقد أعطى كلاً على قدر ما علم من حالته وصلاح أمره.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا[2] وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴿٢٨﴾﴾ فعندما يصيب الناس اليأس والقنوط من نزول المطر فإن الله سبحانه وتعالى ينزل عليهم المطر، ويقسمه بينهم رحمة منه لهم، ونعمة منه أنعم بها عليهم، يستحق أن يحمده عباده ويؤدوا حق شكره عليها. ومعنى الولي هنا: الذي يتولى عبيده بإحسانه.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴿٢٩﴾﴾[3] يخبر الله سبحانه وتعالى هنا عباده أن من آياته الدالة عليه

---

(١)- **سؤال:** من أين نفهم أن المراد في الآية الناس جميعاً؟

الجواب: فهم ذلك من قوله: «لعباده» فالجمع المضاف من ألفاظ العموم.

(٢)- **سؤال:** هل «ما» في قوله: ﴿مَا قَنَطُوا﴾ مصدرية؟

الجواب: هي مصدرية أي: من بعد قنوطهم.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما السر في تذكير الضمير في «جمعهم» وهو عائد على «دابة» كما هو الظاهر؟ وما إعراب «من دابة» وقوله: ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴿٢٩﴾﴾؟

الجواب: أتى بضمير المذكر العاقل لتغليبه على غيره لماله من الميزة والفضل على سائر الدواب.

=

وعلى ربوبيته وعظيم قدرته ما يشاهدونه من الإبداع في خلق السماوات والأرض على ذلك النظام البديع المتوازن، وما يشاهدونه من أنواع الدواب المبثوثة على وجه الأرض وفي جو السماء فلو نظروا في ذلك بعقولهم لعلموا أن الله قادر على إحياء الناس وجمعهم في يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو(١) عَنْ كَثِيرٍ﴿٣٠﴾﴾(٢) ما نزل بكم أيها الناس من بلاء وشدة ومصيبة فإنما هو بسبب ذنوبكم وسيئاتكم، مع أن الله تعالى لا يجازيكم إلا على بعضها، وإلا فكم من الذنوب سترها عليكم ولم يؤاخذكم بها، وهذا من عظيم رحمته تعالى بعباده ولطفه بهم، بل إن في مؤاخذتهم ببعض ذنوبهم رحمة من الله ومصلحة عائدة إليهم فإنهم إذا رأوا ما هم فيه من الشدة فلعلهم يتنبهون ويرجعون إليه، ويقلعون عما هم فيه من المعاصي.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴿٣١﴾﴾ إذا رأيتم الله سبحانه وتعالى يتأنى بكم ويمهلكم أيها العصاة فاعلموا

«من دابة» متعلق بمحذوف حال لبيان إبهام «ما» وبيان جنسه. «إذا يشاء» جملة معترضة بين المبتدأ والخبر، وحذف جواب الشرط لوجود ما يدل عليه وهو المبتدأ والخبر.

(١)- **سؤال:** ما معنى «من» في قوله: ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾؟ وما هي «ما» في قوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ﴾؟ وعلام عطف الفعل «يعفو»؟

الجواب: «من» في قوله: ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ لبيان الجنس المبهم في «ما أصاب»، و«ما» في قوله: «فبما كسبت» مصدرية، و«يعفو عن كثير» الواو اعتراضية والجملة معترضة لا محل لها من الإعراب.

(٢)- **سؤال:** كيف نجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [البقرة:١٥٥]؟

الجواب: هذه الآية: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ خاصة للمشركين بدليل الآية التي بعدها: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴿٣١﴾﴾ وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ﴾ خاصة للمؤمنين فلا تعارض بين الآيتين.

أنكم لن تفوتوا الله تعالىٰ أو تهربوا من قبضته، فمتىٰ أراد أن يأخذكم فلا مفر لكم ولا مهرب من قبضته وقدرته عليكم.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ۝٣٢ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾ ومن آياته العجيبة الدالة علىٰ عظيم قدرته السفن التي ترونها تجري في البحر بقدرته وأمره، فهو وحده الذي يسخر البحر لحملها ويرسل الريح لتسوقها وتجري بها، وذلك أيضاً من عظيم نعمه علىٰ عباده، فلو أراد أن يمسك الرياح لما استطاعت[1] تلك السفن أن تتحرك أو تسير ولظلت راكدة وساكنة في مكانها لا يستطيع أحد أن ينتفع بها أي منفعة. ومعنىٰ «كالأعلام»: كالجبال.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ۝٣٣﴾[2] ففيما أخبر الله سبحانه وتعالىٰ وقصه آيات عظيمة لمن أراد أن ينظر ويتفكر فيها ويشكر الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ نعمه العظيمة تلك، وأما المشركون فهم يرون آيات الله تعالىٰ بين أيديهم ويعرفونها، ثم يعرضون عنها استكباراً وتمرداً علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ وكفراً بنعمه عليهم.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ[3] عَنْ كَثِيرٍ۝٣٤﴾ وأخبر أنه لو شاء أن يسلط

---

(١)- **سؤال:** يقال: قد تسير هذه السفن بواسطة البترول والمحركات في زمننا هذا فكيف؟ أم أنها لا زالت محتاجة إلىٰ الرياح ولو مع وجود البترول؟

الجواب: لا يحترق البترول الذي تسير السفن باحتراقه إلا مع وجود الهواء الذي يتنفسه الإنسان والحيوان، فلو يشاء الله أن يقبض الهواء لظلت السفن رواكد علىٰ ظهر الماء.

(٢)- **سؤال:** ما علاقة الصبر بهذه الآية العظيمة حين قال سبحانه: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ۝٣٣﴾؟

الجواب: وجه ذكر الصبر هنا هو من حيث أنه لا يدرك هذه الآية العظيمة إلا من صرف قواه العقلية وحبسها علىٰ النظر وطول التفكر في آلاء الله ونعمه وردد النظر وكرر التفكر وشغل نفسه بذلك.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما السر في حذف الواو من الفعل «يعف»؟ إن كان العطف علىٰ جواب الشرط فما وجه نصب الفعل «يعلم» بعده في قراءة حفص؟ وما وجه رفعه في قراءة نافع؟

=

البحر على تلك السفن فيغرقها بما حملت بسبب ما اكتسبوا واقترفوا من المعاصي لأغرقها، ولكن تركهم وتأنى بهم رحمة منه تعالى لهم.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ۝٣٥﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا بد أن يعلم الذين يجادلون في آيات الله ويكذبون بها ويشككون فيها صدق ما كذبوا به، ويروا جزاء كفرهم، وما أعد الله سبحانه وتعالى لهم بسبب جدالهم بالباطل من العذاب، وذلك في يوم القيامة.

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۝٣٦﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى عباده أن ما أعطاهم من النعيم في الدنيا وأسبغ عليهم من الأرزاق ليس إلا متاعاً زائلاً كمتاع المسافر سرعان ما ينتهي ويزول.

أراد الله سبحانه وتعالى بذلك أن يرشد عباده أن لا يغتروا بزينة الحياة الدنيا وشهواتها ولذاتها، وأن يعمروا أعمارهم ويقطعوها في طاعة الله سبحانه وتعالى وفعل ما يرضيه، واكتساب ما عنده من النعيم والثواب الذي لا ينفد ولا يزول، وأن يؤثروا النعيم الدائم الذي لا يزول على ذلك الذي ينتهي ويزول بسرعة.

وقد اختص الله سبحانه وتعالى بالنعيم الدائم عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأما المشركون والعصاة فلا حظ لهم ولا نصيب في شيء من ثواب الله تعالى والدار الآخرة.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ[1]﴾ من صفة المؤمنين أيضاً أنهم

الجواب: حذفت الواو للجزم عطفاً على جواب الشرط، ونصب «ويعلم» بالعطف على علة مقدرة والتقدير: «إن يشأ... ليتنقم»، هكذا أعربها صاحب الكشاف. وقراءة الرفع في «يعلم» هي على الاستئناف.

(١)- **سؤال:** ما فائدة عطف الفواحش على «كبائر الإثم» رغم أنها هي أو من جملتها؟

الجواب: المراد بالفواحش نوع من المعاصي كانت العرب وقريش تستعظم قبحها وتستنكره =

يتجنبون الوقوع في كبائر المعاصي، وأما الصغائر فلا يستطيع أن يتحرز منها إلا من عصم الله تعالىٰ؛ لأن الإنسان بطبيعته ضعيف لا بد أن تقع منه زلة أو فلتة أو نظرة[١] أو كذبة أو نحو ذلك، فينبغي للمؤمن أن يكثر من الاستغفار والرجوع إلىٰ الله تعالىٰ.

﴿وَإِذَا مَا[٢] غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ۝٣٧﴾ ومن صفتهم أيضاً أنهم -إن أغضبهم أحد أو وجه إليهم أي إساءة- فإنهم يتسامحون معه، ويغفرون له[٣].

كنكاح زوجة الأب وكالزنا و.. و..إلخ، وهناك معاص لا تستعظمها ولا تستفحشها وهي عند الله عظيمة؛ فكبائر الإثم هي المعاصي التي ما كانوا يستعظمونها ولا يستنكرونها، والفواحش هي ما كانوا يستعظمونها ويستفحشونها، وبهذا يظهر وجه عطف الفواحش علىٰ كبائر الإثم.

(١)- **سؤال:** من أين نأخذ أن الصغائر قسيمة للكبائر؟ وهل نفهم من هذا أن الصغائر قد تتعين، وأنها غير الخطأ والنسيان؟ وهل في هذا موافقة لقول الله سبحانه: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ...﴾ [النساء:٣١]؟

الجواب: يؤخذ ذلك من مفهوم قوله: ﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ فإن مفهومه يدل علىٰ أن في الإثم صغائر أي أن الإثم قسمان: صغائر وكبائر، وهذه الصغائر هي غير الخطأ والنسيان بدليل أن الخطأ والنسيان يأتي في الكبائر، والكبائر كبائر ولو وقعت علىٰ جهة الخطأ أو النسيان إلا أنه معفو عنها مع الخطأ والنسيان.

وهذه الآية في المعنىٰ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما هو المعطوف في هذه الجملة؟ وما إعراب: ﴿إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ۝٣٧﴾؟

الجواب: «وإذا ما غضبوا هم يغفرون» فجملة «هم يغفرون» معطوفة علىٰ جملة الصلة في قوله: «والذين يجتنبون» أي: علىٰ «يجتنبون» فلا محل لها من الإعراب، وقوله: «إذا ما غضبوا» قيد لقوله: «هم يغفرون».

(٣)- **سؤال:** كيف نجمع بين هذه الآية ومديحهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ۝٣٩﴾ [الشورىٰ]، فكأن ظاهرهما التعارض؟

=

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ ومن صفتهم أيضاً الانقياد لله سبحانه وتعالى والتواضع له، والامتثال لجميع أوامره، والانتهاء عن جميع ما نهاهم عنه.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ ويحافظون على أداء ما افترض الله سبحانه وتعالى عليهم من الصلوات وغيرها من المفروضات.

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ وإذا حدث لهم أمر أو نزلت بهم مهمة تعود إلى مصالحهم العامة(١)، أو تخص دينهم- فإنهم يجتمعون ويتشاورون فيما بينهم.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝٣٨﴾(٢) ويخرجون زكاة أموالهم التي افترضها الله سبحانه وتعالى عليهم.

الجواب: المقصود بـ«هم ينتصرون» الانتصار من العدو المصر على البغي عليهم والفتك بهم، ومن هنا كان أمير المؤمنين عليه السلام يستحث أصحابه على الانتقام من عدوهم الذي غزاهم، وكان عليه السلام يذمهم إذا لم ينتصروا من عدوهم، فعلى هذا يكون العفو في غير ما ذكرنا كالعفو عن التائب و... إلخ.

(١)- **سؤال:** يقال: فأمر الولاية العامة على المسلمين من ذلك فكيف؟ وفي مذهبنا أنه لا اعتبار للعقد ولا للشورى؟

الجواب: قد يكثر المرشحون للولاية العامة ففي مثل هذه الحالة يلزم ذوي الرأي والمشورة أن ينظروا ويتشاوروا في من هو الأولى والأصلح بمنصب الولاية فإذا اجتمع رأيهم على واحد وجب عليهم نصره ومؤازرته وليس المراد أنها تثبت الولاية بالشورى والعقد، وإنما المراد أن ينظروا الأولى من المرشحين فينصروه.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما الوجه في اختلاف هذه الجمل المتعاطفة من ماضوية إلى مضارعية إلى اسمية؟

الجواب: اختلفت هذه الجمل المتعاطفة لأجل اختلاف المعاني المرادة فجاء بالماضي في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾؛ لوقوع الإيمان منهم والتصديق في الماضي، وجاء بالمضارع في قوله: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٣٦﴾؛ لأن التوكل يتجدد منهم في المستقبل مرة بعد أخرى، وتوكلاً بعد توكل، وهكذا يتجدد منهم التوكل والاعتماد عليه في أمور دينهم ودنياهم، و...إلخ.

﴿وَالَّذِينَ[(١)] إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ۝٣٩﴾ ومن صفتهم أيضاً أنهم لا يصبرون على ضيم يراد بهم، أو يستسلمون لعدوهم، بل ينتصرون لأنفسهم ويدفعون عنها الظلم والهوان، فهذه هي صفات المؤمنين الذين أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم أنه قد أعد لهم الثواب الجزيل في الآخرة.

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ[(٢)] عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[(٣)] وإذا[(٤)] اقتصوا من أحد فلا يظلمون أو يجورون وإنما يردون السيئة بمثلها، ثم ندبهم الله تعالى إلى العفو فهو أصلح وأفضل لهم عند الله تعالى، وسيعوضهم الله تعالى من عنده، وسيثيبهم جزاءً على عفوهم وتنازلهم عن حقهم، وإن أرادوا الاقتصاص فلهم ذلك.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ۝٤٠﴾ الذين يتجاوزون الحد في الاقتصاص فمن يرد

---

(١)- **سؤال:** هل جملة الصلة هنا اسمية أم فعلية فهل هي ماضوية أم مضارعية؟

الجواب: الصلة هنا جملة اسمية «هم ينتصرون» والشرط قيد فيها.

(٢)- **سؤال:** ما هي الفاء في قوله: ﴿فمن عفا﴾؟

الجواب: الفاء تفريعية.

(٣)- **سؤال:** قد يقال: ما الحكمة في تعليق الأجر على الله وهو مفهوم للجميع أن أي أجر على أي عمل هو على الله؟

الجواب: الحكمة –والله أعلم– هي البعث على العفو فإن المجني عليه إذا علم أنه إذا عفا كان له على عفوه أجر من الله الذي له الملك في الدنيا والاخرة وبيده الخير كله وهو على كل شيء قدير كان أدعى إلى عفوه وسماحته.

(٤)- **سؤال:** من أين نفهم التقييد بهذا الشرط هنا وكذا بقولكم: وإن أرادوا الاقتصاص فلهم ذلك؟

الجواب: فهم ذلك بمعونة الآيات الأخرى نحو قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ [النحل:١٢٦]، وبآية القصاص: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ...﴾ الآية [البقرة:١٧٨]، ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ...﴾ الآية [المائدة:٤٥]، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ...﴾ [البقرة:١٩٤].

السيئة بأكبر منها فهو ظالم[١] عند الله سبحانه وتعالى ويستحق عقابه وسخطه.

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾[٢] ومن بغي عليه فلا حرج عليه أن يقتص لنفسه وينتصف من ظالمه إن أراد بمثل ما قد بغي عليه.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ وإنما الحرج على الذين يبتدئون فعل الظلم والبغي على الناس عدواناً بغير حق، فهؤلاء هم الذين سيؤاخذهم الله سبحانه وتعالى وينتقم منهم، ويجب على سلطان المسلمين أن يوقفهم عند حدودهم، ويجازيهم ويعاقبهم وينكل بهم.

---

(١)- **سؤال:** من أين استوحينا هذا؟ وكيف يعمل المؤمن إذا ابتلي باعتداء عليه فهو في حال المدافعة لا ينظر إلى مثلية ما يرد به الاعتداء عليه فقد يتجاوز إلى ما هو فوق ذلك فكيف المخرج؟ وهكذا الإمام الأعظم إذا اعتدى عليه البغاة أو على أحد من أصحابه فقد يعاقب جماعات منهم أو جميعهم فهل له ذلك مع العلم أن المثلية دون ذلك؟

الجواب: استوحينا ذلك من حيث أن تجاوز الحد في الاقتصاص ظلم والله لا يحب الظالمين، ويجوز في حال الدفاع عن النفس الرد بأكثر، بل ولو بالقتل إذا ظن المدافع عن نفسه أنه لا يرتدع المعتدي إلا بالقتل، فمن اعتدى بالضرب مثلاً على المسلم فله أن يرد الضربة الواحدة بضربتين أو ثلاث وهذا في حال المدافعة لأنه لا يرد المعتدي في حال عدوانه إلا إذا قوبل بأشد من فعله.

وبالنسبة للوالي العادل إذا حصل عليه عدوان أو على بعض رعاياه فإن كان العدوان ما زال مستمراً فله أن يرد عدوانهم بما يراه رادعاً لهم عن العدوان، وإن كان قد انتهى العدوان ووقف فيقبض المعتدين ويحبسهم ويؤدبهم بما يراه زاجراً لهم، وله اجتهاده في مثل هذا، وهذا بعد أن ينتصف للمعتدى عليهم بما حصل فيهم وفي أموالهم من الجنايات والنقص والفساد.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «ولمن انتصر» و«فأولئك»، و«من سبيل»؟

الجواب: اللام هي لام الابتداء، و«من» اسم موصول أو اسم شرط مبتدأ «انتصر» فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على «من»، والفاء رابطة. «أولئك» مبتدأ». وجملة «ما عليهم من سبيل» في محل رفع خبر أولئك، و«من سبيل» مبتدأ مجرور بمن وهو مرفوع المحل وخبره الجار والمجرور، وجملة الشرط والجزاء في محل رفع خبر «من».

﴿وَلَمَنْ(١) صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴿٤٣﴾﴾(٢) ثم أثنى الله سبحانه وتعالى على الذي يصبر ويعفو عن ظالمه محتسباً للأجر عند الله تعالى؛ فالصبر والعفو من الأمور العظيمة التي لا يفعلها إلا أهل الصبر العظيم والإيمان القوي ثقة منهم بما عند الله من الأجر العظيم للصابرين.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ من علم الله تعالى أنه ضال وأخبرنا بضلاله فهو ضال لا يقدر أحد أن يغير حكم الله أو يتعقبه بالإبطال. ومعنى «ولي» هنا: ناصر، أي: فما له من ناصر ينصره ويدفع عنه ما حكم الله به عليه.

﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ(٣) مِنْ سَبِيلٍ﴿٤٤﴾﴾ في يوم القيامة عندما يعاين المتجاوزون المتعدون لحدود الله سبحانه وتعالى العذاب الذي سيحل بهم يصيبهم الندم الشديد، ويتمنون أن يعودوا ليستدركوا ما فاتهم،

---

(١)- **سؤال:** أين خبر هذا المبتدأ؟

الجواب: الخبر هو جملة: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴿٤٣﴾﴾ فهي في محل رفع والعائد مقدر أي أن ذلك منه.

(٢)- **سؤال:** يقال: قد تقدم معنى هذه الآية في آية (٤٠) فما الوجه في تكراره؟ وما تحليل هذا النظم وتفصيله: ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴿٤٣﴾﴾؟

الجواب: الوجه في التكرار هو ما تعلق به من الفائدة الجديدة وهي الإخبار عنه بأنه من عزم الأمور، وهي فائدة جديدة ليست في الآية السابقة. «عزم الأمور» العزم: هو الإرادة والتصميم على فعل أمر من غير تردد ولا تراجع، و«عزم» هنا مصدر بمعنى معزوم أي: إن ذلك من معزومات الأمور أي: مفروضات الأمور التي يجب أن يعزم المكلف على فعلها ولا يفرط في ذلك.

(٣)- **سؤال:** ما محل جملة «يقولون»؟ وأين مقول القول؟ وما السر في تنكير «مرد»؟

الجواب: «يقولون» في محل نصب حال لأن الرؤية بصرية، ومقول القول هو: ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴿٤٤﴾﴾. وتنكير «مرد» للتنويع؛ لأن المقصود نوع من الرجوع هو الرجوع إلى الدنيا.

ولكن هيهات حين لا ينفع الندم.

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ[١] مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ سيعرض الله تعالىٰ هؤلاء العصاة والكفار علىٰ جهنم حتىٰ يعاينوها من قرب، وهنالك سيظهر عليهم الذل والهوان والانكسار الشديد، ومن شدة خوفهم وهلعهم لا يستطيعون أن يمعنوا النظر فيها، بل إنما ينظرون بطرف أعينهم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ[٢] ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ[٣] خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾ فكل خسارة يستطيع المرء أن يتعوضها إلا خسارة الآخرة، فكل خسارة أمامها لا تسمىٰ خسارة، فهم في جهنم في العذاب الدائم الذي لا ينقطع ولا يزول.

---

(١)- **سؤال:** هل «من» في قوله: ﴿مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ بمعنىٰ الباء؟ ولم وصف الطرف بكونه خفياً؟ وما محل جملة «ينظرون»؟

الجواب: «من» هي لابتداء الغاية، وليست بمعنىٰ الباء أي: أن نظرهم ابتدأ من طرف خفي ووصف الطرف بكونه خفياً لأنهم لم ينظروا بكل الطرف وإنما يسارقون النظر إلىٰ جهنم بجانب من طرفهم لهول ما يرون من شدة سعيرها. وجملة «ينظرون» في محل نصب علىٰ الحال.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في نسبة القول إلىٰ الذين آمنوا؟

الجواب: في نسبته إلىٰ الذين آمنوا فوائد:

- ليشيد بذكرهم ويبين بذلك كرامتهم وحالهم يوم القيامة وأنه مخالف لحال الكفار.
- فيه بيان السبب والعلة التي أحلتهم منازل الكرامة والأمن يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- وفي حكايته لطف وترغيب للكون معهم والدخول في زمرة أهل هذا القول يوم القيامة.

(٣)- **سؤال:** هل اللام في قوله: «الخاسرين» لام الماهية أم ماذا؟ وكيف أطلق علىٰ المتقحم للنار بأنه خسر نفسه؟

الجواب: اللام هي لام الماهية فقوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا...﴾ تعريف للخاسرين وكالحد لهم وأطلق علىٰ المتقحم للنار بأنه خسر نفسه؛ لأنه لم يعد يملكها ولا يتصرف فيها والتصرف فيها هو لغيره، وهذا واضح في يوم القيامة، وتسميته خاسراً في الدنيا هي باعتبار ما يؤول إليه.

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ولن يجدوا من يدفع عنهم ذلك العذاب، أو ينتصر لهم من الله سبحانه وتعالى، وقد ضلت عنهم الآلهة التي كانوا يستشفعون بها ويتقربون بها إلى الله تعالى.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ(١) اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴿٤٦﴾﴾ فمن كان من أهل عذاب الله تعالى فلا مخرج له أو سبيل إلى السلامة من ذلك العذاب أبداً.

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا(٢) لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يطيعوه وينقادوا له ويمتثلوا أوامره ويتجنبوا نواهيه ما دام العمل ينفع، وما دامت التوبة مقبولة، فإذا حلت القيامة وحانت ساعتها فقد انقطع الامل، وأغلقت أبواب التوبة، ولم يبق إلا ما قد عملوا وقدموا، ولن يجدوا لهم حينها ملجأً أو مكاناً يفرون إليه من الله تعالى.

﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴿٤٧﴾﴾(٣) ولن تجدوا من يستنكر لتعذيبكم، أو ينفعكم، أو يدفع عنكم، أو ينتصر لكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ ثم خاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن المشركين إن أعرضوا ورفضوا الاستجابة له وتمردوا عليه فليتركهم وشأنهم، وسيتولى الله سبحانه وتعالى أمرهم، وأما أنت يا محمد فقد بلغت وأديت ما عليك

---

(١)- **سؤال:** هل الضلال هنا بمعنى الحكم والتسمية؟ وهل يصح فيه معنى آخر؟

الجواب: هو بمعنى الحكم والتسمية، ويجوز أن يكون بمعنى سلب الألطاف والتوفيق عنهم.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما الوجه في فصل هذه الجملة؟

الجواب: فصلت لكونها نعتاً ثانياً ليوم بتقدير الرابط أي: ما لكم من ملجأ فيه، ويجوز أن تكون مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٣)- **سؤال:** هل فعيل هنا بمعنى فاعل أم كيف؟ وهل يصح حملها على المصدر إنكار أم لا؟

الجواب: قد فسروا النكير بالناصر والمنكر أي بالصفة فجعلوه اسم فاعل وهذا تفسير مأثور وفسره الرازي بمن ينكر أي: على أنه صفة، وفسره أيضاً بالمصدر الإنكار كما ذكرتم.

من التكليف، وأمر حسابهم وتعذيبهم فهو على الله سبحانه وتعالى.

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ فما عليك إلا تبليغهم استجابوا أم لم يستجيبوا.

﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ فطبيعة الإنسان أن الله سبحانه وتعالى إذا أنعم عليه بنعمة فإنه يصيبه الفرح والبطر والعجب، فلا يتذكر نعمة الله سبحانه وتعالى عليه أو يشكره على ما أعطاه، هذا بالنسبة للإنسان الكافر(١) وأما المؤمن فإن إيمانه يردعه عن الفرح والبطر والعجب ويدفعه إلى شكر الله وطاعته.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ(٢) سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴿٤٨﴾﴾ وإذا حلت به مصيبة أو شدة من جدب أو قحط أو مرض أو موت أو نحو ذلك فإنه يصاب باليأس والقنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى، وينقطع أمله في الله تعالى، بخلاف الإنسان المؤمن فإنك تراه مليئاً بالأمل في الله تعالى راضياً عن ربه، ولا يزال واثقاً بما عند الله سبحانه وتعالى من أنه إن منعه في الدنيا أو ابتلاه فإنه سيعوضه في الآخرة خيراً مما أخذ منه، ويكون في طمأنينة دائمة، سواء أصابه خير أم شر.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ(٣) مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ

---

(١)- **سؤال:** وهل يصح حملها على المؤمن ويكون المراد بالفرح مجرد السرور بالنعمة والارتياح بها أم لا؟ فما وجه ذلك؟

الجواب: لا يصح أن يراد بها المؤمن لأن الله تعالى وصف الإنسان هنا في حالتي السراء والضراء ففي حالة السراء وصفه بالفرح وفي حالة الضراء بالكفور.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في عدم إفراد الضمير هنا مع إفراده في جواب الشرط؟

الجواب: الإنسان وإن كان مفرداً في اللفظ فهو في المعنى جمع، ويصح أن يراعى فيه جانب اللفظ وجانب المعنى.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟ وكذا في فصل جملة: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾؟

الجواب: فصلت جملة: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ...﴾ عن سابقتها؛ لكونها مستأنفة استئنافاً بيانياً أي: أنها جواب لسؤال مقدر ناشئ عن الجملة السابقة. وفصلت جملة: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ...﴾؛ لأنها مبدلة عن الجملة السابقة أو عطف بيان.

لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ۝﴾ الله وحده المسيطر على أمر السماوات والأرض، والمتصرف في تدبير شئونهما، وهو الذي بيده أن يختار في خلقه ما أراد، فيعطي من يشاء الأولاد الذكور، وبعضهم الإناث، وبعضهم الذكور والإناث، ويجعل بعضهم عقيماً لا يولد له ولد، وكل ما يعطيه الله تعالى فإنما هو على ما قضت به الحكمة والمصلحة، وكل ما يهب من الذرية ويوزعها بين عباده مع منع بعضهم من الإنجاب فإنما هو لحكمة ومصلحة قد علمها لعباده، فينبغي أن يرضى[1] كل امرئ بما قسم الله سبحانه وتعالى له، فلا يعترض على حكمة الله تعالى وعلى أفعاله في خلقه.

ومعنى قوله: «يزوجهم ذكراناً وإناثاً»: يهب لهم ذكراناً وإناثاً أي: يرزقهم أولاداً ذكوراً وإناثاً.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ[2]

---

(١)- **سؤال:** هل يخالف الرضى بالحكمة سعيُ العقيم في المعالجة للإنجاب ولهثه وراءها أم لا؟ وما هو الأولى به؟

الجواب: قد يكون عدم الإنجاب لعارض يمكن معالجته فيحسن السعي لعلاجه، ويعرف ذلك بتشخيص الطبيب المختص، وقد يكون عدم الإنجاب لعدم إفراز الجسم للحيوانات المنوية أو لإفرازه الحيوانات ميتة من أصلها لا لعارض فهنا لا يحسن السعي للعلاج لأنه حينئذ عبث، ولكن لا ينكر على فاعله لأنه لا يسعى إلا مع الأمل والرجاء في الوصول إلى مطلوبه، وذلك أن العاقل لا يسعى فيما يعلم أنه لا يحصل.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «إلا وحياً»، «أو يرسل» مع التفصيل؟

الجواب: «إلا» أداة حصر، «وحياً» مفعول مطلق وناصبه «يكلمه..» أي: تكليم وحي، والمصدر «وحياً» بمعنى اسم الفاعل أي: موحياً هكذا أعربوه.

«أو» حرف عطف، «يرسل» مضارع منصوب بـ«أن» مضمرة، وأن والفعل في تأويل مصدر منصوب بالعطف على «وحياً» إلا وحياً أو إرسالاً، وهذان المصدران –كما أعربوهما– بمعنى اسم الفاعل أي: إلا موحياً أو مرسلاً أي: أنهما حالان في المعنى والتفسير. وعلى قراءة الرفع

=

﴿رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ وما ينبغي لبشر أن يكلمه الله تعالىٰ مشافهة ومواجهة؛ لأنه سبحانه وتعالىٰ ليس من جنس المخلوقات، فلا يكلم أحداً إلا عن طريق الوحي، أو بخلق الكلام في مكان يسمعه المخاطب من ذلك المكان، كما كان من تكليم[١] الله تعالىٰ لموسىٰ عليه السلام من خلال الشجرة، أو يكلم الله سبحانه وتعالىٰ عباده من خلال إرساله رسولاً إليهم يبلغهم عنه، كما هو شأن جبريل في نزوله بالوحي[٢] علىٰ الأنبياء.

﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴿٥١﴾﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالىٰ السبب في عدم إمكان مشافهته خلقه أو مواجهتهم بالكلام وذلك أنه تعالىٰ عن صفات المخلوقين ومشابهتهم[٣].

في المضارع «يرسلُ» فقد أعربوه خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير: أو هو يرسل والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب حال بالعطف علىٰ «وحياً» المؤول بـ«موحياً».

(١)- **سؤال:** ما الوجه في الإطلاق علىٰ هذه الحالة أنها من وراء حجاب؟

الجواب: الوجه يعود إلىٰ البلاغة فإن قوله: «من وراء حجاب» استعارة تمثيلية فلما كانت هذه الحالة مشابهة لحالة من يكلمك من وراء حجاب تسمع صوته، ولا ترىٰ شخصه صح أن يقال: ﴿...أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ولعل الحكمة في ذلك –والله أعلم– هي الحكمة في ورود الآيات المتشابهات في القرآن الحكيم.

(٢)- **سؤال:** يقال: قد تقدم هذا في قوله: «إلا وحياً» فكيف؟ وما الفرق بين «إلا وحياً» وبين ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ...﴾؟

الجواب: يحمل الوحي في قوله: «إلا وحياً» علىٰ ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أتاه الوحي يضطجع كالنائم أو كالمغمىٰ عليه ثم ينتبه وهو يتصبب عرقاً فيقرأ علىٰ أصحابه ما أوحاه الله إليه، وعلىٰ هذا فيكون: «إلا وحياً» مغايراً لقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ...﴾.

(٣)- **سؤال:** وما علاقة وصفه بالحكمة في ذلك؟

الجواب: وصف الله تعالىٰ بالحكمة هنا من حيث أنه فعل ما تقتضيه الحكمة في إيصال رسالته إلىٰ البشر عن طريق الوحي أو إرسال ملك أو من وراء حجاب.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ كان تكليم[(١)] الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بإرساله جبريل عليه السلام بالقرآن الذي هو كلامه لتبليغه كلام الله سبحانه وتعالى، وقد سماه الله سبحانه وتعالى روحاً لما فيه من إحياء القلوب بالنور والهدى، ووصفه بقوله: «من أمرنا» لتعظيم الوحي وتفخيم شأنه.

﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ[(٢)] وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ[(٣)] جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ أوحى الله تعالى إليه بالقرآن وكان قبل ذلك غافلاً عن علم الشرائع السماوية، ولم يكن تعلم شيئاً من قبل حتى علمه الله سبحانه وتعالى، وقد جعل الله سبحانه وتعالى القرآن نوراً يهتدي به المؤمنون المتواضعون[(٤)] للحق، والمستسلمون لله تعالى المنقادون له.

---

(١)- **سؤال:** هل هذا تحليل لمعنى «كذلك»؟

الجواب: نعم هو تحليل فقد أرسل الله تعالى جبريل إلى النبي ﷺ بالوحي وإرساله هو إحدى طرق الوحي المذكورة في الآية السابقة.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب الجملة «ما الكتاب»؟

الجواب: يعرب محلها بالنصب على أنه في موضع المفعول به للفعل «تدري» المعلق عن العمل لفظاً بالاستفهام.

(٣)- **سؤال:** ما فائدة الاستدراك هنا؟

الجواب: الفائدة هي استدراك ما قد يتوهم من قوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أن النبي ﷺ ما زال على الاتصاف بأنه لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان.

(٤)- **سؤال:** من أين نفهم هذا القيد؟

الجواب: قد بين الله تعالى في آيات أخرى من القرآن ما أجمله هنا: ﴿فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٠﴾ [الأحقاف]، والاستكبار هي صفة إبليس وصفة مكذبي الرسل وصفة الكافرين فظهر لذلك أن هداية الله إنما هي للمتواضعين لا للمستكبرين.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ[1] الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴿٥٣﴾﴾[2] هذه شهادة من الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أمام قومه بأنه إنما يدعوهم إلى الحق والهدى، وإلى الدين القويم الذي هو دين الله سبحانه وتعالى.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن مرجع الناس جميعاً المطيعين منهم والعاصين سيكون إليه يوم القيامة، ثم سيحاسبهم جميعاً وينزل كل واحد منهم المنزلة التي استحقها حسب عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

❁❁❁❁❁

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب «صراط الله»؟

الجواب: يعرب بدلاً أو عطف بيان.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في كون هذه الآية خاتمة لهذه السورة المباركة؟

الجواب: في هذه الآية ما يشير وينبه على تمام السورة ونهايتها وذلك من حيث أن الرجوع إلى الله هو نهاية الخلق.

سورة الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حم۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ۝﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن الذي هو الكتاب المبين، الواضحة حججه وبيناته، وأقسم بالقرآن ليلفت انتباه المشركين إلى الاستماع والإنصات لآياته؛ لعلمهم أن المقسم لا يقسم إلا بشيء له شأن عظيم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ[1] قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ۝﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو أنه تعالى قد أنزله قرآناً عربياً ليفهموا آياته ويعقلوها ويتدبروا فيها.

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ۝﴾ وأقسم لهم أيضاً بأن هذا الكتاب الذي أنزله عليهم محفوظ عنده في اللوح المحفوظ ليس للشياطين إليه سبيل.

و﴿أُمِّ الْكِتَابِ﴾ هو المكان[2] الذي أعده الله سبحانه وتعالى لحفظ كتبه من التوراة والإنجيل والقرآن وغير ذلك من الكتب، ليبين أن للقرآن منزلة عظيمة ومكانة رفيعة عنده تعالى.

﴿أَفَنَضْرِبُ[3] عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ۝﴾ أتظنون أيها المشركون أنا سوف نترك إنزال الوحي عليكم ما دمتم على حالتكم هذه من

(١)- **سؤال:** روي عن ابن عباس في هذه الآية أن معناها: خلقناه عربياً، فهل ترون ذلك مناسباً؟

الجواب: تفيد «جعلنا» أن القرآن مجعول والله عز وجل هو الجاعل والجاعل يكون متقدماً على المجعول، وعلى هذا فلا يصح أن يكون القرآن قديماً. وجعلنا تكون بمعنى: خلقنا أو صيرنا، وتفسير ابن عباس صحيح تشهد لصحته اللغة، وبعد فابن عباس من أهل اللغة الذين يحتج بكلامهم.

(٢)- **سؤال:** هل عرف عن هذا المكان شيء؟

الجواب: الذي عرف أنه في السماء لا تحضره إلا الملائكة المطهرون.

(٣)- **سؤال:** ما يكون معنى الاستفهام هنا؟ وما إعراب «صفحاً»؟ وما محل المصدر «أن كنتم قوماً»؟

الجواب: الاستفهام استنكاري. «صفحاً» مفعول مطلق مرادف لمعنى: نضرب، يقال: ضرب عن كذا وأضرب عنه، وهذا –تقريباً– أحسن ما قيل فيه. «أن كنتم قوماً» في محل جر بلام التعليل محذوفة، أو محله النصب بنزع الخافض.

الإسراف والإعراض وعدم الانتفاع به؟!! فلا بد أن نبلغكم وننذركم لئلا يأتي يوم القيامة فتعتذروا أمام الله سبحانه وتعالى بأنه ما جاءكم من بشير ولا نذير؟ فاعلموا أنا لن نهملكم أو نترك تبليغكم حجج الله سبحانه وتعالى لتتم عليكم الحجة، ولئلا تقولوا يوم القيامة ما جاءنا من بشير ولا نذير.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ۝٦﴾ فكثيراً من الأنبياء والمرسلين أرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى تلك الأمم التي قبلكم.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ۝٧﴾ وكانت كل أمة من تلك الأمم السابقة إذا أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم نبياً فإنهم يكذبون به، ويعرضون عنه، ويستهزئون به؛ فشأنهم كشأن قومك يا محمد في التكذيب والاستهزاء والتمرد.

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ۝٨﴾ فكان الله سبحانه وتعالى يهلك المتمردين الواقفين في وجه دعوة أنبيائهم والصادين عنهم، وينتقم منهم ويعذبهم جزاءً على كفرهم وتكذيبهم، وفي ذلك دلالة على أنه قد يترك[1] الذين لا حول لهم ولا قوة في ذلك من الأتباع، وقد مضت سنة الله تعالى تلك في الأولين.

وأخبر قومك يا محمد بأنه سوف يحل بهم مثل ما حل بتلك الأمم إن هم استمروا على تكذيبهم وتمردهم واستهزائهم، وأن سنة الله تعالى واحدة في عباده الأولين والآخرين لن تتغير أو تتبدل. ومعنى «مثل الأولين»: صفتهم ونعتهم.

﴿وَلَئِنْ[2] سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: فما وجه عدم تعريفه فيقول: الأشد منهم بطشاً؟

الجواب: لم يعرف «أشد» لأنه أراد أن يفضل الأشد على قريش، ولا يتم ذلك إلا بذكرهم وبذكر المفضول مجروراً بمن بعد أفعل التفضيل، ولا يصح في القياس الجمع بين تعريفه بـ«أل» وبين «من» الجارة للمفضل عليه، فلا يصح: الأكثر منهم، والأشد منهم؛ لذلك لم يعرَّف أشد.

(٢)- **سؤال:** فضلاً أين جواب الشرط في هذه الآية؟

الجواب: قد سد مسده جواب القسم: «ليقولن»، واللام الداخلة على «إن» الشرطية هي التي آذنت بالقسم، وتسمى اللام الموطئة للقسم.

الْعَلِيمُ﴿٩﴾﴾ يطلع الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ علىٰ مدىٰ استكبار قومه وإعراضهم عن الحق والهدىٰ بعد أن عرفوه، فهم مقرون بخالق السماوات والأرض الذي هو الله رب العالمين، ثم بعد إقرارهم واعترافهم يعودون إلىٰ عبادة آلهتهم وأصنامهم.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا[١] وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴿١٠﴾﴾ وهو الذي مهد الأرض وهيأها لاستقرار الناس علىٰ ظهرها، وسلك لهم فيها السبل والطرق التي يستطيعون من خلالها التنقل لاكتساب معايشهم والسعي وراء أرزاقهم، وذلك بما جعل فيها من الجبال والشعوب والوديان التي يجعلونها علامات لهم لتحديد النواحي والجهات والاهتداء إلىٰ الأماكن المقصودة لهم؛ فلو كانت الأرض كلها صحراء لما اهتدوا إلىٰ طرق أسفارهم، ولتاهوا في الأرض وضاعوا فيها.

﴿وَالَّذِي[٢] نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ وهو الذي أنزل لكم الأمطار من السماء علىٰ قدر حاجتكم، فلو أنه زاد أو نقص لاختل توازن الحياة ولتلفت الكائنات.

﴿فَأَنْشَرْنَا[٣] بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴿١١﴾﴾[٤] فيحيي الله تعالىٰ بذلك المطر

---

(١)- **سؤال:** ما نوع اسمية «مهداً»؟

الجواب: «مهداً» مصدر سمي به المكان الذي يمهد للصبي، أي: جعل لكم الأرض كالمهد.

(٢)-**سؤال:** هل هذا الوصف لا زال من مقولة المشركين كالذي قبله؟ أم أنه ابتداء كلام لله سبحانه؟

الجواب: ليس من مقولة المشركين، بل من كلام الله تعالىٰ، وكذا قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا...﴾ الآية، ليس من مقول المشركين.

(٣)-**سؤال:** ما السر في تغيير الضمير هنا من الغيبة إلىٰ المتكلم؟

الجواب: السر هو تنبيه السامع واستفتاح أذنيه إلىٰ الإصغاء إلىٰ ذكر ما تضمنه الخطاب من الآية العظيمة التي هي جديرة بالإصغاء إليها.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما السر في عدم تأنيث «ميتاً» وهو صفة لمؤنث؟ وما إعراب: «كذلك تخرجون»؟

الجواب: تذكير «ميتاً» هو علىٰ المعنىٰ فإن «بلدة» بمعنىٰ: بلداً. «كذلك» جار ومجرور صفة لمصدر =

الأرض الميتة التي قد يبست وتفتت نباتها وتطاير، فتكتسي بالخضرة، وتحيا من جديد، فكما يحيي الله سبحانه وتعالى تلك الأرض الميتة فكذلك يحيي العظام التي قد يبست وتفتتت[١].

يريد الله سبحانه وتعالى بذلك أن ينبه المشركين ويبعثهم على الاعتراف بحقيقة ما ينكرونه ويستبعدونه من البعث بعد الموت، فلا يكون لهم أي سبيل إلى إنكار ذلك أو استبعاده بعد استيضاحهم للدليل.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ وهو وحده الذي خلق جميع أصناف المخلوقات بقدرته وعلمه، وعلى وفق ما تدعو إليه الحكمة والمصلحة.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ[٢] مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ[٣] ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا

محذوف مؤكد لتخرجون، أي: تخرجون إخراجاً كذلك الإخراج الذي ترونه في الأرض الميتة بعد نزول المطر عليها.

(١)- **سؤال:** هل هذه الآية صريحة في القياس العقلي؟ وكيف تكون حجة على القياس الشرعي؟

الجواب: قد كرر الله تعالى هذه الحجة في كتابه الكريم وهي من باب الاستدلال بالقياس العقلي، وبثبوت حجية القياس العقلي تثبت حجية القياس الشرعي؛ لأنهما جنس واحد لا فرق بينهما.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: ﴿مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ﴾ يفيد أن بعض الأنعام لا ينبغي الركوب عليها؟ وكيف التبعيض في الفلك؟

الجواب: «من» ليست للتبعيض وإنما هي لبيان الجنس المبهم في قوله: «ما تركبون».

(٣)- **سؤال:** فضلاً هل قوله: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ من جملة العلة أم أنها تمهيد وتوطئة لما بعدها؟ وما الحكمة في عطف ما بعدها بـ«ثم» وكان من حقه الفاء؟

الجواب: «لتستووا..» هو من جملة العلة بدليل: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل:٨]، وعطف ما بعدها بـ«ثم» لينبه على أن ما بعدها هو الأهم الأعظم مما قبلها أي: أن الله تعالى خلق ما خلق من الأنعام لغرضين لنركبها... هذا هو الأول، ولنذكر الله ونشكره، وهذا هو الغرض الثاني، فثم تدل على أن الغرض الثاني هو الغرض الأهم والأعظم.

وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ[(١)]﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴿١٤﴾﴾ وهو وحده الذي سخر لكم السفن والأنعام لتركبوا على ظهورها، وتحملوا أمتعتكم وأثقالكم، وتسافروا عليها من بلد إلى بلد.

يذكرهم الله سبحانه وتعالى بذلك ليتذكروا نعمته سبحانه وتعالى عليهم، ويؤدوا حق شكرها بأداء ما افترض عليهم، ويسبحوا الله تعالى وينزهوه ويقدسوه عن اتخاذ الشركاء والأولاد، ويعلموا أنه وحده الذي أنعم عليهم بكل هذه النعم، ويعترفوا بأن له الفضل وحده في ذلك، وأنه لولا تسخيرها لهم وتذليلها لما تسنى لهم أن يركبوا عليها، وليعترفوا له بأن منقلبهم ومرجعهم إليه وأنه سيحاسبهم وسيسألهم عن كيفية مقابلتهم لنعمه فيهم؛ وأيضاً يرشد الله سبحانه وتعالى عباده في هذه الآية إلى أنه ينبغي لمن أراد الركوب على هذه الأنعام أن يدعوه بهذا الدعاء وهو: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف]. ومعنى «مقرنين»: مطيعين.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴿١٥﴾﴾ وهؤلاء هم مشركو مكة أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم نسبوا إليه وأشركوا بعضاً من خلقه في صفاته[(٢)]، فنسبوا الملائكة إليه وقالوا إنها بنات الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، فقد كفروا بهذا القول أشد الكفر وأبلغه.

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴿١٦﴾﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما أصل كلمة «مقرنين»؟ ومم أخذت؟

الجواب: معنى «مقرنين»: مطيقين، وأصلها مأخوذ من: أقرنت الشيء أي: وجدته قريني.

(٢)- **سؤال:** هل المراد أنهم أشركوه في صفات خلقه (التوالد والحلول) ونحو ذلك؟ أم أشركوا خلقه في صفاته؟ فضلاً وضحوا لنا ذلك؟

الجواب: بسبب جعلهم الملائكة بنات الله قد أشركوه في صفات خلقه (التوالد والحلول و...) وأشركوا خلقه (الملائكة) في صفاته أي: في الإلهية والربوبية فعبدوهم.

عليهم مقالتهم هذه الشنعاء فكيف ينزهون أنفسهم عن البنات ثم ينسبونها إليه تعالى؟ وكيف تبلغ بهم الجرأة إلى أن يحطوا الله تعالى إلى أدنى المراتب ويجعلوه أبخس حظاً منهم؟ ومعنى «وأصفاكم بالبنين»: اختصكم وآثركم بهم.

وقد كانوا إذا ولد لأحدهم البنت يسود وجهه من الغيظ، ويصيبه الخجل الشديد من قومه، ويخاف من الفضيحة والعار مما يجعله يدفنها حية كما في الآية التالية، فلماذا تأنفون أيها المشركون من ذلك ثم تنسبونه إلى الله؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ۝١٧﴾[1] خوفاً من الفضيحة والعار والخزي الذي سيلحقه إن عرف قومه بذلك وهماً وضيقاً من سوء ما ولد له، فلماذا لا يستحيون من الله تعالى وينزهونه مما ينزهون منه أنفسهم؟ ومعنى «مثلاً» مماثلاً ومشابهاً.

﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ۝١٨﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم كيف يجعلون له من يربى في لباس الحلية والزينة -أراد بهم البنات- الذين لا يستطيعون الإفصاح عن حججهم بالجدال والنقاش؛ لما جبلوا عليه من العي وعدم الإفصاح بالحجة[2].

---

(١)- **سؤال:** هل «ما» في قوله: «بما ضرب» موصولة فأين العائد؟ وما محل جملة: «وهو كظيم»؟ وما إعراب «مثلاً»؟

الجواب: «ما» موصولة والعائد محذوف أي: بما ضربه للرحمن مثلاً، «وهو كظيم» الجملة في محل نصب حال، «مثلاً» المفعول الأول لضرب المتضمن معنى جعل، «للرحمن» المفعول الثاني.

(٢)- **سؤال:** هل نأخذ من الآية أنه لا يصح أن تتولى المرأة شيئاً من المخاصمات والمنازعات لاستخراج حق أو نحوه؟

الجواب: يؤخذ منها أن على الحاكم أن يتوقف عن الحكم على المرأة إذا تخاصمت هي ورجل حتى يحضر وليها لمنازعة الخصم. وأنه ينقض حكم الحاكم إذا حكم عليها؛ لأنها بحكم فطرتها غير قادرة عن الإفصاح عن حجتها ورد حجة خصمها.

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ[(١)] إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ كان المشركون يدعون أن الملائكة إناث افتراءً وزوراً، وقد استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم تلك النسبة وذلك الافتراء، فهل كانوا حاضرين عندما خلقهم الله سبحانه وتعالى وأوجدهم حتى يقولوا فيهم هذا القول؟

﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۝١٩﴾ فمقولتهم هذه قد سجلت في صحائف أعمالهم، وسيحاسبهم الله عليها.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾[(٢)] وزعموا أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أمرهم بعبادة الملائكة، وأن الله تعالى لو شاء أن يمنعهم لمنعهم، فلما لم يمنعهم دل ذلك على أنه مريد[(٣)] لعبادتهم لهم.

﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾ فلا دليل لهم أو حجة أو برهان على صحة دعواهم وعبادتهم للملائكة، لا من كتاب، ولا من نبي قد أرسل

---

(١)- **سؤال:** ما هي المنافاة بين الأنوثة وعبادة الرحمن حتى اختص الله سبحانه الملائكة بهذه الصفة: «عباد الرحمن»؟

الجواب: لا منافاة بين الأنوثة وعبادة الرحمن وقوله: ﴿هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ يفيد أنهم أكمل عباد الرحمن وأعلاهم وأرفعهم،وعلى هذا فالمنافاة هي بين هذا النوع الكامل وبين النوع المنشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين.

(٢)- **سؤال:** هل كلامهم هذا على قَوَد كلام الجبرية؟

الجواب: كلامهم محتمل لأن يكون معناه معنى كلام الجبرية، وأن يكون معناه أن الله تعالى راضٍ عن عبادتهم للملائكة، مستدلين على صحة اعتقادهم هذا بقولهم: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما هي الأدلة على أنه سبحانه قد أراد منهم الامتناع عن عبادتها على وجه الاختيار؟

الجواب: الدليل هو نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ...﴾ [الزمر:٧]، ﴿لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۝٢٠٥﴾ [البقرة]، ونحو ذلك من آيات الكتاب الكريم.

إليهم، وإنما تقوَّلوا ذلك افتراءً وكذباً من عند أنفسهم.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ۝٢١﴾ فهل أنزل الله سبحانه وتعالى عليهم كتاباً قبل القرآن يأمرهم بما يدعون حتى يصروا هذا الإصرار على شركهم وباطلهم وادعاءاتهم هذه.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ[1] وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ۝٢٢﴾ فلا كتاب أنزل عليهم، ولا نبي أرسل إليهم، وإنما قالوا ذلك تعصباً لدين آبائهم ولما ألفوه من عاداتهم. ومعنى «على أمة»: على دين، مأخوذة من الأم وهو القصد.

﴿وَكَذَلِكَ[2] مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ۝٢٣﴾ كان المكذبون بالأنبياء السابقين جميعاً يقولون مثل قول قومك يا محمد، وكانوا يتمردون على أنبيائهم، ويتعصبون لدين آبائهم وأجدادهم عن غير دليل أو حجة أو برهان.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى[3] مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ﴾ يخاطب النبيُ صلى الله عليه وآله وسلم قومَه ويستنكر عليهم إصرارهم على دين آبائهم على الرغم من أنه قد جاءهم بأفضل وأحسن وأهدى من دينهم ودين آبائهم.

---

(١)- **سؤال:** لو تكلمتم على معنى «أمة» وهل هو من باب الحقيقة أو المجاز لكان مناسباً؟

الجواب: الأمة واحد الأمم أي أن الأمة مفرد وجمعها أمم، والأمة: الجماعة من الناس، والأمة: الدين. من شمس العلوم لنشوان. وعلى هذا فالأمة لفظة مشتركة بين عدة معان.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما تقدير «كذلك» ومعناها؟

الجواب: «كذلك» متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: والأمر كذلك أي: أنهم عجزوا عن إقامة حجة على كفرهم وشركهم والأمر كذلك في كل الأمم المكذبين بالرسل يبررون شركهم وكفرهم بتقليد آبائهم.

(٣)- **سؤال:** لو تفضلتم بتفصيل إعراب: «أو لو جئتكم بأهدى»؟

الجواب: الهمزة للاستفهام الإنكاري وهي داخلة على مقدر أي: أتقولون ذلك ولو جئتكم وعلى ذلك فالواو حالية والجملة «لو جئتكم» في محل نصب حال من فاعل تقولون المقدر.

﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[(١)] فكان هذا هو جواب كل المكذبين بأنبيائهم من الأولين والآخرين، فكانوا يصرون على كفرهم تمرداً واستكباراً مع معرفتهم[(٢)] بصدق ما جاءوا به، وأن ما جاءوا به هو الحق والهدى.

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ فكان عاقبة تكذيبهم أن دمرهم الله سبحانه وتعالى وعذبهم واستأصلهم، فانظروا أيها الناس واعتبروا بعاقبة تلك الأمم كيف كانت عندما كذبوا بأنبيائهم وتمردوا عليهم.

﴿وَإِذْ[(٣)] قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ[(٤)] مِمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾[(٥)] ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما كان من إبراهيم عليه السلام مع قومه، لما في ذلك من العظات والعبر، وذلك أن إبراهيم عليه السلام قد وقف وحيداً في وجه أهله وقومه وآلهتهم، وأعلن بينهم كفره بدينهم وآلهتهم

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما وجه جمع الضمير في قوله: ﴿بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ مع أن المخاطب لهم واحد وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: وجه جمع الضمير أن جواب المكذبين للرسل وجواب قريش واحد كما حكاه الله عنهم هنا فجمع بناءً على أنه جواب من قريش ومن المكذبين بالرسل.

(٢)- **سؤال:** من أين نستوحي هذا من الآية؟

الجواب: استوحي ذلك من الآية التي بعدها ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ والله تعالى لا ينتقم ولا يعذب إلا بعد أن يتبين لهم الحق ويعرفوه.

(٣)- **سؤال:** ما هو العامل في «إذ» هنا إن كانت الظرفية؟

الجواب: «إذ» مفعول به لـ«اذكر» محذوفاً وليست ظرفية.

(٤)- **سؤال:** ما نوع اسمية «براء» ولم لم يقل «بريء»؟

الجواب: «بَرَاءٌ» مصدر وصف به للمبالغة، كقولنا: «زيد عدل».

(٥)- **سؤال:** هل يفهم من الآية أنهم كانوا يعتقدون الألوهية لله سبحانه وتعالى إلا أنهم أشركوا معه غيره؟

الجواب: نعم يفهم ذلك من الآية فالاستثناء يفيد ذلك.

معتمداً على الله سبحانه وتعالى، ومتوكلاً عليه، غير مبال بهم ولا بجبروتهم، وأعلن أنه مؤمن بإله واحد هو الله سبحانه وتعالى الذي خلقه وخلق كل شيء؛ واثقاً منه بأنه سيدله على طريق الخير والهدى والسعادة.

﴿وَجَعَلَهَا[١] كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ۝٢٨﴾ وقد أوصى إبراهيم ذريته من بعده، فأوصى إسحاق وإسماعيل ويعقوب بالتوحيد وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، وكان كل نبي من ذريته يوصي من بعده بهذه الوصية، وقد جعل الله سبحانه وتعالى الأنبياء من عقبه.

﴿بَلْ[٢] مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ۝٢٩﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قد متع المشركين من قومه وآباءهم من قبلهم، ولم يؤاخذهم ويعذبهم بذنوبهم، مع أنهم قد استحقوا نزول العذاب بهم، فتركهم يتمتعون في غيهم وشركهم وباطلهم، وتأنى بهم إلى أن أرسله إليهم ليرشدهم ويبين لهم طريق نجاتهم وهداهم، وهذا من رحمته بهم وشفقته عليهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ۝٣٠﴾ فلما أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كفروا به وكذبوه وتمردوا عليه.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا[٣] نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ۝٣١﴾ وعندما

---

(١)- **سؤال:** هل ضمير التأنيث في قوله: «جعلها» يعود إلى كلمة التبري من إبراهيم المأخوذ من السياق؟

الجواب: نعم الضمير يعود إلى كلمة التبري من كل معبود سوى الله والتي هي كلمة الإخلاص أي: إثبات الإلهية لله ونفيها عمن سواه.

(٢)- **سؤال:** عَمَّ وقع الإضراب في أول الآية «بل متعت..»؟

الجواب: كأنه قال: وجعلها كلمة باقية في عقبه فأعرضوا وكذبوا أي: عقبه قريش وغيرهم فلم يؤاخذهم بالعقوبة والنقمة بل متعت هؤلاء... إلخ.

(٣)- **سؤال:** فضلاً هل يصح أن تحمل «لولا» هنا على التحضيض بمعنى: هلا نزل هذا القرآن؟

الجواب: «لولا» للتحضيض، والتفسير مبني على المعنى الذي اقترحته قريش.

أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم محمداً ﷺ استهزأوا به واحتقروه ليتمه وفقره، وزعموا أن الله سبحانه وتعالى لو أراد أن يرسل رسولاً لاختار رجلاً لنبوته من كبار القوم وزعمائهم كالوليد بن المغيرة من قريش، وعروة بن مسعود من ثقيف، وأرادوا بالقريتين مكة والطائف.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ يوبخهم الله سبحانه وتعالى على اقتراحهم عليه، وعدم رضاهم بمن اختار من عنده؟ فالله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يصطفي ويختار ما يشاء ومن يشاء، ما كان لهم الخيرة.

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ[1] فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فهو وحده الذي يتولى قسمة الأرزاق وتوزيعها على عباده كيفما شاء، وهو الذي يرفع من يشاء من عباده، ويضع من يشاء منهم.

﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[2] ثم بين الله سبحانه وتعالى السبب في

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر رحمة الله هنا أنها المعيشة وفي أول الاستفهام أنها النبوة فكيف؟ أم أراد سبحانه أن الاختيار لها مثل التفضيل بالرزق ونحوه؟ أم أن الإشارة للنبوة بقوله: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ...﴾؟

الجواب: الرحمة الأولى هي النبوة: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾، وقوله: ﴿مَعِيشَتَهُمْ﴾ هي غير الرحمة الأولى، والمراد أن أمر قسمة النبوة إلى الله تعالى فهو العليم الحكيم العالم بما يصلح العباد وبما يقوم به أمر دين الله فهو الذي قسم بينهم معيشة الحياة الدنيا بعلمه وحكمته ورفع بعضهم فوق بعض فقامت الدنيا وعمرت واستمرت الحياة و... بتدبير الله تعالى أمر قسمة الرزق على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

(٢)- **سؤال:** ما أصل اشتقاق «سخرياً»؟ فالذي يتبادر لأكثر الطلاب أنها من السخرية لأجل ضم السين؟ وما نوع اسميتها؟

الجواب: «سخريا» مصدر سَخِر يسخر، وياء النسب للقوة والمبالغة، والمكسور والمضموم بمعنى واحد عند الخليل وسيبويه، وقد قرئ بهما في سورة المؤمنون، وعن الكسائي والفراء أن المكسور من الهزء والمضموم من السُّخرة والعبودية، والذي يتناسب مع السياق هنا هو مذهب الكسائي والفراء.

تفضيله لبعض الخلق على بعض في زينة الحياة الدنيا ومتاعها فقال: لتستقيم الحياة وتستمر المعيشة، فإذا خدم بعضهم بعضاً أو عمل معه استقامت الحياة وحصلت الموازنة في المعيشة؛ فلو كان الخلق جميعاً في مرتبة واحدة في الغنى والثراء، وعلى حالة واحدة في أسباب المعيشة لما عمرت الأرض لاستغناء الناس عن العمل مع بعضهم البعض، ولكن الله تعالى لعلمه وحكمته فاوت بين البشر في الغنى والفقر، وجعل الفقراء أكثر ليضطروا إلى العمل بالأجرة في البناء والعمران والزراعة والصناعة والتجارة والسفر والخدمة والعسكرة، وبسبب الحاجة والفقر شغل ذوو العقول عقولهم لاختراع الآلات والوسائل النافعة في الحياة الدنيا.

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ۝٣٢﴾ ثم أخبر الله نبيه ﷺ بعد ذلك أن ما أعطاه من الحكمة والنبوة خير له مما عليه قومه من الثراء والجاه وسعة الأموال.

أراد الله سبحانه وتعالى من نبيه ﷺ أن لا يكبر في عينه ما هم فيه أو يستعظم شيئاً من ذلك في نفسه، وكذلك ليعلم المؤمنون معه أن ما هم فيه من الإيمان والتقوى ومعرفة القرآن خير لهم وأفضل مما يجمعه أولئك المشركون.

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ۝٣٣ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ۝٣٤ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1] يبين الله سبحانه وتعالى لعباده حقارة

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما محل المصدر «أن يكون»؟ إن كان مبتدأ فأين خبره؟ وبماذا تعلق الجار والمجرور «لبيوتهم»؟ وما إعرابه؟ وما إعراب: «إن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا»؟

الجواب: محل «أن يكون» الرفع على أنه مبتدأ وخبره محذوف،وهذا أحد المواضع التي يحذف فيها خبر المبتدأ وجوباً، «لبيوتهم» بدل من قوله: «لمن يكفر..» وهذا الجار متعلق بمحذوف المفعول الثاني لجعلنا، فقوله: «لبيوتهم» متعلق بمحذوف على تقدير حلوله محل المبدل منه. «إن» نافية «كل ذلك» مبتدأ مضاف إلى اسم الإشارة، «لما» هي الإيجابية بمعنى إلا. «متاع الحياة» خبر المبتدأ مضاف إلى الحياة.

الدنيا وأنها لا تساوي شيئاً عنده، وأنه لولا حدوث الفتنة بين المسلمين لأوسع رزقه على الكفار ومكنهم من جمع الأموال الطائلة حتى يبنوا بيوتهم بالذهب والفضة، ويجعلوا سقفها ودرجها التي يرتقون عليها وأبوابها ونحو ذلك من ذلك الذهب والفضة الذي مكنهم الله منه، والزخرف هو الذهب، ولكن حكمته اقتضت أن لا يمكنهم كل ذلك التمكين، وأن يمسكها عنهم بعض الإمساك، لما في ذلك من دفع المفسدة على المؤمنين والفتنة في دينهم بالذهب والفضة فهي لا تساوي عنده شيئاً، ثم أخبرهم أن جميع ذلك إنما هو متاع كمتاع المسافر سرعان ما يزول وينتهي.

﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ۝٣٥﴾ وأما الآخرة ونعيمها فهي لعباده الذين يخافونه ويتقون عذابه وسخطه.

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ۝٣٦﴾ من يعرض عن ذكر الله سبحانه وتعالى ويسد أذنيه عن سماع آياته وحججه وبيناته فإن الله سبحانه وتعالى سيخلي[1] بينه وبين الشياطين فتضله وتغويه وترمي به في أودية الهلاك.

﴿وَإِنَّهُمْ[2] لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ[3] أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ۝٣٧﴾ أخبر الله

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم هل من دليل على أن التقييض بمعنى التخلية؟

الجواب: لم يصح لنا أن نفسر قوله: «نقيض» بنيسر ونسهل لأن الله تعالى لا يرضى الكفر والفساد ولا يحبه ولا يشاؤه، ولكن لما كان سلب الألطاف وسلب التوفيق والتنوير والمعونة عن الكافر سبباً لتسلط الشياطين على الكافر صح استعمال التقييض في سلب الألطاف والتخلية.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما الوجه في جمع الضمير هنا وفي المصدودين مع أنهما مفردان في الجملة السابقة وفي الجملة التالية: «قال يا ليت بيني وبينك..»؟

الجواب: الاسم الموصول «من» في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ لفظه مفرد ومعناه الجمع فجاز لذلك مراعاة لفظه ومراعاة معناه. و«شيطاناً» وإن كان مفرداً إلا أن المعنى أن كل واحد ممن يعش عن ذكر الرحمن يقيض له شيطاناً، وفي قوله: ﴿يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ هو قول كل واحد لا قولهم جميعاً.

(٣)- **سؤال:** من أين يظهر لنا أن هذا الضمير يعود على المصدودين عن السبيل؟

الجواب: جملة: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ۝٣٧﴾ حال من ضمير المفعول في «ليصدونهم» وضمير المفعول هذا يرجع إلى «من» في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ لأن معناه الجمع، مع
=

سبحانه وتعالى عن الشياطين بأنهم يسعون جهدهم في إغواء الناس وإضلالهم عن طريق الهدى، ويلبسون عليهم حتى يظنوا أنهم في خير العمل وعلى طريق الحق والهدى.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا(١) قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ(٢) فَبِئْسَ الْقَرِينُ ۝٣٨﴾ عندما يبعث الله سبحانه وتعالى يوم القيامة التابع والمتبوع، فعندها سيتمنى التابع حين يرى قرينه أنه لم يعرفه في الدنيا، ولم يكن له معه أي صلة أو صحبة، وسيأخذ في سبه وشتمه بسبب إضلاله له وتسببه في إغوائه.

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ(٣) ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٣٩﴾ لن ينتفع المشرك الذي يدخل جهنم يوم القيامة بدخول الناس معه في جهنم فسواء عليه

أن السياق يدل على ذلك.

(١)- **سؤال:** إلام يعود الضمير هنا؟

الجواب: يعود إلى «من» في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾ ولا يعود إلى القرين.

(٢)- **سؤال:** هل المراد باعتبار تعدد المشارق للشمس؟ أم مشرق الشمس ومغربها فسماهما مشرقين تغليباً؟

الجواب: المراد مشرق الشمس ومغربها فسماهما مشرقين تغليباً وهذا التفسير أولى بالصحة من تفسير المشرقين بمشرق الصيف ومشرق الشتاء لأن المراد المبالغة في البعد وبعد مشرق الشتاء من مشرق الصيف قليل.

(٣)- **سؤال:** ما معنى «إذ» هنا؟ وما محل المصدر: ﴿أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٣٩﴾؟

الجواب: «إذ» بدل من اليوم، قال ابن جني في مساءلته أبا علي: راجعت فيها مراراً وآخر ما حصل منه أن الدنيا والآخرة متصلتان وهما سواء في حكم الله وعلمه. اهـ من كتاب درويش إعراب القرآن وبيانه.
أما «أنكم في العذاب مشتركون» فمحل المصدر المؤول الرفع فاعل «ينفعكم». وفي ذهني أن بعض علماء النحو قال: إن «إذ» هنا للتعليل أي: ولن ينفعكم لأجل ظلمكم اشتراككم في العذاب، وهذا القول سديد إن صح مجيء «إذ» للتعليل[١]. ورأيت بعض المعربين قدّر لتصحيح البدل فعلاً بعد «إذ» أي: إذا تبين ظلمكم وبهذا التقدير يتحد الوقت فيصح البدل.

[١]- وقد أفاد ذلك في همع الهوامع قال فيه: وتزاد «إِذْ» للتَّعْلِيل -خلافًا لِلْجُمْهُورِ- كَقَوْلِه تَعَالَىٰ ﴿وَلنْ ينفعكم الْيَوْم إِذْ ظلمتم أَنكُمْ فِي الْعَذَاب مشتركون﴾ [الزخرف: ٣٩] أَي: لأجل ظلمكم فِي الدُّنْيَا ﴿وَإِذ لم يهتدوا بِهِ فسيقولون﴾ [الْأَحْقَاف: ١١] ﴿وَإِذِ اعتزَلتُمُوهُم وَمَا يَعبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأْوُاْ﴾ [الْكَهْف: ١٦] وَهِي حرف بِمَنْزِلَة لَام الْعلَّة، وَقيل ظرف وَالتَّعْلِيل مُسْتَفَاد من قُوَّة الْكَلَام لَا من اللَّفْظ. اهـ وكذلك في روح البيان قال فيه: إِذْ ظَلَمْتُمْ أي: لأجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا باتباعكم إياهم في الكفر والمعاصي وإذ للتعليل متعلق بالنفي كما قال سيبويه إنها بمعنى التعليل حرف بمنزلة لام العلة. اهـ

دخل وحده أو دخل معه الناس جميعاً فمصيبة دخول نار جهنم ليست كمصائب الدنيا التي إذا عمت هانت.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٤٠﴾ شبه الله سبحانه وتعالى قريشاً بالصم والعمي الذين لا يسمعون ولا يبصرون شيئاً، فكيف يستطيع الرسول ﷺ أن يهدي الأعمى والأصم؟ ومهما حاول أن يسمعهم الهدى فلن يسمعوا، يريد الله سبحانه وتعالى بذلك أن يقنع نبيه أنه مهما حاول فيهم فلن يستطيع أن يؤثر فيهم أو يدخل الهدى إلى قلوبهم فلا يتعب نفسه في ملاحقتهم ليسمعوا الهدى أو يبصروا طريق الرشد.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ۝٤١ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ۝٤٢﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنه إذا توفاه إليه قبل أن يرى انتقام الله تعالى من قومه فإنه سينتقم منهم ولو بعد موته؛ لأنهم قد استوجبوا سخط الله تعالى وغضبه ونقمته، وأنه إن حان موعد تعذيبهم وأنت يا محمد على قيد الحياة فسوف ترى نزول العذاب بهم لا محالة.

﴿فَاسْتَمْسِكْ[1] بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ۝٤٣﴾ فأحكم قبضتك يا محمد بدينك الذي أوحيناه إليك، وابق على ما أنت عليه من الدين والتوحيد والدعوة إلى الله تعالى، ولا تفتر عزيمتك في تبليغ رسالة ربك أو تتحطم معنوياتك بسبب ما ترى منهم من التكذيب والاستهزاء وعدم الاستجابة، فأنت

---

(١)- **سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟ ومن أي أنواع المجاز قوله: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة وهي رابطة للجواب بالشرط المقدر والتقدير: إن جاءك الوحي فاستمسك.

«فاستمسك بالذي أوحي إليك» شبه الله تعالى القرآن بالحبل تشبيهاً مضمراً في النفس، ودلَّل على هذا التشبيه المكني عنه بذكر الاستمساك الذي هو من لوازم المشبه به المضمر في النفس، ويسمى هذا بالاستعارة المكني عنها، والقرينة «فاستمسك» استعارة تخييلية.

على الحق والهدى حتى ولو لم يتبعك أحد، وعسى أن يهتدي بهداك غيرهم.

﴿وَإِنَّهُ[١] لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ۝٤٤﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن هذا القرآن الذي أوحى به إليه رفعة وشرف له ولقومه[٢]، وسوف يسأل الله سبحانه وتعالى قومه عن نعمة القرآن التي جعلها الله تعالى سبباً لشرف الدنيا والآخرة وعز الدنيا والآخرة لمن آمن وعمل صالحاً، وسوف يحاسب الله المشركين بسبب مقابلتهم لنعمة رسالة الله تعالى بالكفران.

﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ۝٤٥﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن دين الشرك الذي يفتريه المشركون، والتشريعات التي يبتدعونها لم يأت بها نبي من الأنبياء، وإنما افتروها من عند أنفسهم وعبدوا أصنامهم تعصباً لعادة آبائهم.

---

(١)- **سؤال:** هل يعود الضمير هذا إلى قوله: «الذي أوحي إليك»؟ أم ماذا؟

الجواب: نعم يعود إلى «الذي أوحي إليك».

(٢)- **سؤال:** من أي ناحية كان القرآن شرفاً لقوم النبي ﷺ؟ وهل استعمال لفظة «ذكر» في الشرف حقيقة أم مجاز؟ ومن أي أنواع القسمين؟ وهل المراد بقوم النبي مشركو مكة أم تشمل أمة النبي ﷺ إلى نهاية التكليف؟

الجواب: الذكر هو الصيت والشرف، وهو في هذا مجاز لا حقيقة أفاد ذلك الزمخشري في أساس البلاغة، وهو من المجاز المرسل أي: من المطلق الذي يراد به المقيد حيث استعمل مطلق الذكر في الذكر الحسن.

ويحصل الشرف من ناحية الإيمان والقرب من الله كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ۝١٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ۝١١﴾ [الواقعة]، ((لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت)) والمراد قريش (مشركو مكة) حيث أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين وأهل مكة مثل غيرهم من الناس فلو أنهم آمنوا واتبعوا النبي ﷺ والنور الذي أنزل إليهم لسبقوا الناس في الفضل والشرف ولم يلحقهم لاحق إلى يوم القيامة.

وقد أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ في هذه الآية أن يسأل أهل الكتاب[١] وأهل العلم برسالات السماء عن ذلك، والمراد تنبيه المشركين علىٰ سؤال أهل العلم من اليهود والنصارىٰ عن دين الشرك وعبادة الأصنام.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٤٦ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ۝٤٧﴾ ثم أوحىٰ الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ نبيه ﷺ قصة موسىٰ عندما أرسله إلىٰ فرعون وقومه، وكيف واجهوا دعوته بالرفض والتكذيب والاستهزاء؛ أراد الله سبحانه وتعالىٰ بذلك أن يسلي نبيه محمداً ﷺ عما أصابه من الحزن والأسىٰ من تكذيب قومه واستهزائهم به، فإنه ﷺ سيتسلىٰ إذا علم أن نبي الله موسىٰ عليه السلام لقي مثل ما لقي.

﴿وَمَا نُرِيهِمْ[٢] مِنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ وقد أيده الله سبحانه وتعالىٰ بالآيات والمعجزات الواضحة البينة التي تدل علىٰ صدق نبوته وأنه رسول من عند الله تعالىٰ، آية بعد آية ومعجزة بعد معجزة، ولكنهم كانوا كلما جاءهم بآية كذبوا واستهزئوا بها وردوها استكباراً علىٰ الله تعالىٰ وتمرداً عليه.

﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ۝٤٨﴾ فكان الله تعالىٰ يعذبهم في الدنيا بالبلاء والقحط والشدة، فتارة يرسل عليهم الجراد وتارة القمل وتارة الضفادع وتارة الدم وتارة الطوفان حين أفاض عليهم نهر النيل حتىٰ جرف مزارعهم ودمرها، وكل ذلك لعلهم ينتبهون من غفلتهم، ويرجعون إليه ويقلعون عما هم فيه

---

(١)- **سؤال:** يقال: و ما السر في إسناد السؤال إلىٰ الرسل أنفسهم؟

الجواب: أسند السؤال إلىٰ الرسل ليدل علىٰ أنهم هم الذين جاءوا بالدين الحق، وأن ما شرعوه هو الحق المتبع، وأنه لا قبول ولا سماع لما خالف ما جاءوا به.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في حكاية الأفعال هذه بزمن الحال؟ وما محل جملة: «هي أكبر من أختها»؟

الجواب: حكي ذلك بالفعل المضارع «نريهم» ليستحضر المخاطب الصورة كأنها ماثلة أمام عينيه. «هي أكبر من أختها» في محل نصب حال من «آية» لتخصصها بالعموم.

من الكفر والتكبر على الله تعالى.

﴿وَقَالُوا يَاأَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ[١] إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ۝٤٩ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ۝٥٠﴾ ولكنهم وعلى الرغم مما نزل بهم من الآيات، ومع علمهم بمكانة موسى وقربه عند ربه وأن ما نزل بهم إنما هو بسبب كفرهم وتكذيبهم ما زالوا مصرين على كفرهم وعنادهم وباطلهم، فكانوا يطلبون من موسى عليه السلام وينادونه بالساحر أن يتوسل لهم عند الله سبحانه وتعالى بأن يرفع عنهم ما هم فيه من البلاء والشدة، ويعدونه أنه إن فعل ذلك فسيؤمنون له ويتبعونه، فكان موسى عليه السلام يستجيب لهم ويأمل أن يكون في ذلك صلاحهم فيتوسل إلى الله سبحانه وتعالى، فيرفع الله عنهم العذاب، ولكنهم يبادرون إلى الكفر والتكذيب بعدما يرفع عنهم العذاب ناكثين ما عاهدوا الله عليه.

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ[٢] يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ۝٥١ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ۝٥٢﴾ كان فرعون قد خاف على ملكه أن ينتزعه موسى من بين يديه، فعزم على جمع قومه ونادى فيهم: بأن ينظروا إلى قوته وبسط نفوذه على أرض مصر، وسيطرته على جميع أرجائها، ثم سألهم: من هو الأفضل والأجدر بالملك؟ هل موسى ذلك

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما معنى الباء في قوله: «بما عهد عندك»؟ وهل ما مصدرية أم موصولة؟ وما هو الذي عهده عنده؟

الجواب: الباء قد تكون للاستعانة فتتعلق بـ«ادع» أي: ادع لنا بعهده عندك ومقامك من النبوة والكرامة، وقد تكون للتلبس والمصاحبة فتتعلق بمحذوف وتكون حالاً من فاعل «ادع» أي: متلبساً ومتوسلاً بعهده عندك، و«ما» مصدرية، وتصح أن تكون موصولة والعائد محذوف أي: عهده عندك.

(٢)- **سؤال:** هل هذا الفعل بدل من «نادى» أم الجملة كلها؟

الجواب: الأولى أن تكون جملة «قال...» استئنافاً بيانياً في جواب سؤال، أي: ماذا قال.

الرجل الوضيع الذي لا يملك أي شيء وليس بيده شيء؟ أم هو الذي يملك كل شيء؟ وأخبرهم أن الأولى بهم أن يختاروا لهم الأقوى والأقدر[١].

والمقصود بقوله: «وهذه الأنهار تجري من تحتي»: هو أن نهر النيل يجري من تحت قصره.

وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ۝٥٢﴾ يريد أن موسى عليه السلام ينتابه انحباس في لسانه عند الكلام.

﴿فَلَوْلَا[٢] أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ۝٥٣﴾ ولا زال يلبس عليهم ويستخف عقولهم، فزعم أنه لو كان صادقاً كما يزعم لما كان لباسه الرث والبالي من الثياب، ولكان يتحلى بالذهب والمجوهرات، ويلبس الغالي والنفيس من الثياب، أو تأتي الملائكة ترافقه وتسير معه أينما سار[٣].

---

(١)- **سؤال:** هل صح لكم ما روي هنا أن موسى دخل على فرعون وعليه مدرعة من صوف وشرط له بقاء ملكه إن أسلم؟ أم ماذا؟

الجواب: هذه الرواية جديرة بالصحة لوجود ما يشهد لها من القرآن مثل قول موسى لفرعون: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى۝٤٧﴾ [طه]، فإن ذلك يدل على سلامة فرعون على ما هو عليه إذا اتبع الهدى. وهكذا ما حكاه الله في قوله: ﴿يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ [غافر:٢٩]، فإنه يشير إلى بقاء الملك والسلامة إن أسلم آل فرعون.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما معنى «لولا» هنا؟ وما إعراب «مقترنين»؟

الجواب: «لولا» للتحضيض وبدخولها على الماضي تفيد التنديم. «مقترنين» حال من الملائكة.

(٣)- **سؤال:** كيف مضت هذه الدسيسة من فرعون والمعلوم عقلاً أن الناس يميلون إلى الداعي المتزهد في لباسه ونحو ذلك لا العكس؟

الجواب: الذي عليه الناس منذ كانوا إلى اليوم أن الأكثر منهم يميلون مع أهل الدنيا ومع الملوك، فهذا هو واقع الناس؛ لذلك لم يؤمن برسل الله ويتبعهم إلا القليل في كل زمان، وأكثرهم للحق كارهون.

﴿فَاسْتَخَفَّ(١) قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ۝٥٤﴾(٢) فكان بكلامه هذا ويغرر عليهم حتى أقبلوا على طاعته، ومالوا عن موسى مع علمهم بصدقه ونبوته.

﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ(٣) أَجْمَعِينَ۝٥٥ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا(٤) وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ۝٥٦﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى عذبهم بالغرق جزاءً على كفرهم بموسى عليه السلام وتمردهم عليه، وأهلكهم جميعاً، وجعلهم عبرة للمعتبرين من بعدهم. ومعنى «آسفونا»: أغضبونا.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ۝٥٧ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ۝٥٨﴾(٥) توعد الله المشركين

---

(١)- **سؤال:** ما أصل هذه الكلمة واشتقاقها؟ وكيف يكون معناها بناءً على ذلك؟

الجواب: هي مأخوذة من: خف الشيء خفة فهو خفيف، واستخفه: استفزه. اهـ من أساس البلاغة. أي: أن قوم فرعون كانوا خفافاً في طاعته فإذا أمرهم اتبعوه.

(٢)- **سؤال:** ما فائدة تذييل هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ۝٥٤﴾؟

الجواب: الفائدة هي بيان العلة والسبب الذي دفعهم إلى طاعة فرعون واتباعه.

(٣)- **سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟ وهل الإغراق غير الانتقام؟ أم كيف؟

الجواب: الفاء عاطفة، «انتقمنا منهم» أي: أردنا الانتقام منهم، وهذا التقدير ليصح العطف؛ لأن عطف المرادف والمفسر بالفاء ضعيف.

(٤)- **سؤال:** ما أصل «سلفاً»؟ ومم أخذت؟ وما يكون معناها بالتحديد؟

الجواب: «سلفاً» هو في الأصل مصدر سَلَف يسلُف بالضم سلفاً بفتحتين أي: مضى. اهـ من المختار. وفيه: وسلف الرجل: آباؤه المتقدمون، والجمع أسلاف وسُلّاف، والمراد: أن الله جعل ما نزل بآل فرعون من النقمة والغرق عبرة يعتبر بها من يأتي بعدهم.

(٥)- **سؤال:** قد يقال: ظاهر ضرب المثل أول الآية أنه من الله، وظاهر آخرها أنه من المشركين فكيف؟

الجواب: المثل هو من المشركين وهم الذين ضربوه مثلاً لما سمعوا قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ۝٩٨ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا...﴾ [الأنبياء]، قال قائل

=

بجهنم هم ومعبوداتهم، ثم إن المشركين أقبلوا مجادلين للنبي ﷺ بقولهم: إنك تحكم على عيسى بدخول النار هو وعبدته، يريدون أن يحتجوا بذلك على بطلان دعوى رسالة النبي ﷺ؛ لأن دخول عيسى عليه السلام النار باطل، وهم بذلك إنما يجادلون النبي ﷺ على طريق الخصام والتعنت والسخرية، وإلا فهم في الحقيقة قد عرفوا الحق، وعرفوا أن الله سبحانه وتعالى لم يقصد عيسى في تلك الآية التي توعدهم فيها وهي قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ ثم رد الله سبحانه وتعالى على المشركين بأن عيسى عليه السلام ليس إلا عبداً مملوكاً لله تعالى قد أنعم عليه بالنبوة وجعله عبرة وآية(١) لبني إسرائيل.

المشركين: فالنصارى يعبدون عيسى ويزعمون أنه ابن الله، يجادل بذلك القول رسول الله ﷺ ويستدل على أن عيسى من حصب جهنم.

سؤال: ما السر في سقوط الفاء من جواب «لما» في قوله: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾؟ وما معنى «يصدون» هنا؟ ومم أخذ؟ وما إعراب «جدلاً»؟

الجواب: «إذا» الفجائية تغني عن الفاء وتقوم مقامها في الربط، ومعنى «يصدون» يضجون وترتفع أصواتهم فرحاً بجدالهم الرسول ﷺ، ومنه قوله: ﴿إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال:٣٥]، وهو مأخوذ من: صَدّ يصد بالضم والكسر صديداً ضجّ. اهـ مختار، وقوله: «جدلاً» مفعول لأجله والاستثناء مفرغ.

(١)- **سؤال:** فضلاً من أي جهة كان عبرة وعظة لبني إسرائيل؟ وهل إطلاق المثل على العبرة والآية حقيقة أو مجاز؟ وهل هناك علاقة بين هذا المثل والمثل المذكور في الآيتين قبله أم كيف؟

الجواب: إنما فسرنا المثل هنا بالآية والعبرة لما ورد في قوله تعالى في مريم: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ [مريم:٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً...﴾ [المؤمنون:٥٠]، وإطلاق المثل على الآية مجاز، وصح ذلك لأن قصة عيسى وحقيقة أمره شيء غريب يستغربه العقل ويتعجب منه، فأشبه المثل من هذا الوجه وانتشر انتشاره لغرابته، وليس بين هذا المثل والمثل المذكور في الآيتين علاقة.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ۝٦٠﴾ وأخبرهم الله سبحانه وتعالى بأنه لو شاء أن يهلكهم لأهلكهم وأبادهم، واستخلف مكانهم ملائكة يوحدونه ويعبدونه. وقوله «منكم»: أي بدلكم(١).

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ۝٦١﴾(٢) ثم أخبرهم الله سبحانه وتعالى أنه جعل عيسى عليه السلام علماً(٣) من علامات الساعة وتحقق قيامها.

وقد فسرت هذه الآية بعدة تفاسير وأصحها عندي: أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى بعد أن صارت عظاماً وتراباً بإذن الله، آية من الله سبحانه وتعالى أيده بها، وليتيقنوا صحة القيامة وتحقق وقوعها، فقد رأى الناس بأعينهم إحياء الله تعالى الموتى على يد نبيه عيسى عليه السلام، وما داموا قد شاهدوا ذلك بأعينهم وتواترت للناس جميعاً من بعد حتى صاروا يعرفونها جميعاً، وحتى وصل علمها إلى المشركين في عهد

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما وجه هذا المعنى؟

الجواب: «مِنْ» حرف مشترك بين عدة معان أحدها البدل، ويعرف المعنى المقصود بسياق الكلام.

(٢)- **سؤال:** هل صح لكم –أيدكم الله بتأييده– نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض من غير هذه الآية لوروده في كثير من أخبار المهدي المنتظر وفي كلام الأئمة زيد بن علي والهادي والحسين بن القاسم وغيرهم كما في التفسير؟ أم أن لكم نظراً في ذلك؟

الجواب: الذي أميل إليه هو عدم نزول عيسى عليه السلام لرجحان دليل ذلك على دليل نزوله، فقد صح قطعاً أنه لا نبي بعد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال الله تعالى حكاية لقول عيسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ۝١١٧﴾ [المائدة].

(٣)- **سؤال:** يقال: فلم أخبر الله عنه بأنه عِلْمٌ للساعة بكسر العين وسكون اللام، ولم يقل: عَلَم بفتحهما؟

الجواب: لم يرد الإخبار بأنه عليه السلام أمارة من أمارات الساعة وإنما أراد أنه عليه السلام نفس علم الساعة أي: أنه أتى بآيات يعلم بها بعث الموتى يوم القيامة وإنما جعله عليه السلام نفس علم الساعة للمبالغة في آياته الكاشفة للعلم بالساعة.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا داعي للتشكك في حصولها، ثم أمر الله سبحانه باتباع نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فهو على الدين القويم والحق الواضح.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ۝﴾[1] واتركوا الركض وراء إبليس؛ لأنه إنما يجركم إلى ما فيه هلاككم، فلا تغتروا بما يزينه لكم من عبادته واتباعه.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ[2] وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ[3] بَعْضَ[4] الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ۝﴾ عندما أراهم عيسى عليه السلام المعجزات التي أيده الله سبحانه وتعالى بها دعاهم إلى الله تعالى وإلى طاعته، وأخبرهم أن الله تعالى أرسله إليهم أيضاً ليبين ويوضح لهم الدين الحق الذي اختلفوا فيه حتى أصبحت كل فرقة تدعي أنها هي التي على الحق والهدى، وأخبرهم أنه ليس إلا عبداً مربوباً ومملوكاً لله تعالى، ودعاهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ۝﴾ ثم إن بني إسرائيل اختلفوا بعد ذلك إلى ثلاث فرق فناس منهم كفروا بعيسى

---

(١)- **سؤال:** ما علاقة هذه الآية بما قبلها من الآيات؟

الجواب: وردت بعد دليل العلم بالساعة ليحذرهم من الشيطان الذي يدعوهم إلى إنكار الساعة.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بالحكمة التي جاء بها عيسى نفس المعجزات؟ أم الشرائع التي أتى بالمعجزات تصديقاً لها؟

الجواب: المراد بالحكمة الشرائع والأحكام بدليل ذكرها بعد البينات التي هي المعجزات.

(٣)- **سؤال:** علام عطف التعليل في قوله: «ولأبين لكم»؟

الجواب: عُطِف التعليل على تعليل محذوف أي: لتأخذوا بها ولكذا وكذا، ولأبين لكم...

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في ذكره عليه السلام لبيان البعض فقط مما يختلفون فيه دون الكل؟

الجواب: قد يكون ذلك لأن ما يختلفون فيه بعضه من الأصول وبعضه من الفروع التي يعفى عن الاختلاف فيها.

وكذبوا به، وناس منهم قالوا عنه بأنه رب[١] وعبدوه، وناس منهم آمنوا به واتبعوه، ثم تهدد الله سبحانه وتعالى الذين كفروا به والذين غلوا فيه حتى جعلوه إلهاً بالعذاب الشديد في نار جهنم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ[٢] بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ۝٦٦﴾ ليس بينهم وبين حلول الساعة إلا فترة معدودة، وسيتفاجئون بها؛ لأنها ستباغتهم عن غير استعداد منهم.

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ[٣] عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ۝٦٧﴾[٤] وذلك يوم مبعثهم سيصبح أولئك الأصدقاء في الدنيا أعداءً يوم القيامة يتخاصمون ويتبادلون السب والشتائم، إلا المؤمنين المتقين فإنها لا تنقطع مودتهم وصداقتهم يوم القيامة.

﴿يَاعِبَادِ[٥] لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ۝٦٨ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا

---

(١)- **سؤال:** هل هذه الفرقة هي التي يطلق عليها الاتحادية أم هي غيرها؟

الجواب: نعم هي الاتحادية التي تعبد عيسى وتقول إنه الله أي: أن الله تعالى اتحد بالمسيح فصار إياه، ولا أظن أنه يوجد غيرها.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «الساعة»؟ وما محل المصدر بعدها؟

الجواب: «الساعة» مفعول به والاستثناء مفرغ. والمصدر «أن تأتيهم» بدل اشتمال من الساعة.

(٣)- **سؤال:** بماذا تعلق قوله: «لبعض»؟ وأين خبر «الأخلاء»؟

الجواب: «لبعض» متعلق بمحذوف حال، وكان في الأصل صفة لـ«عدو» فلما قدم صار حالاً، وخبر «الأخلاء» هو الجملة الاسمية «بعضهم لبعض عدو».

(٤)- **سؤال:** يقال: كيف نجمع بين هذه الآية وبين: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ۝٣٤﴾ [عبس]، وقوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا۝١٠﴾ [المعارج]؟

الجواب: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ۝٣٤﴾ [عبس]، وقوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا۝١٠﴾ [المعارج] خاص بالمجرمين بدليل هذه الآية، وقوله تعالى في المتقين: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء:١٠٣]، ونحوها من الآيات.

(٥)- **سؤال:** فضلاً ما وجه حذف ياء المتكلم هنا؟ وما محل جملة «تحبرون»؟

الجواب: يجوز في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم ستة أوجه هذا أحدها أي: حذف الياء وإبقاء الكسرة، وجملة « تحبرون» في محل رفع خبر المبتدأ «أنتم».

وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴿٧٠﴾﴾ الذين يستحقون أن يكونوا عباداً لله تعالى حقاً هم المؤمنون[١] الذين آمنوا بآيات الله واستسلموا لله تعالى وانقادوا بما عملوا من الأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله سبحانه وتعالى، فهؤلاء هم أهل الأمن يوم القيامة من الأفزاع والأهوال وأهل الكرامة على الله فيدخلهم الله في دار كرامته التي أعدها لهم خالدين في سرورها وراحتها.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴿٧١﴾﴾[٢] ثم وصف الله سبحانه وتعالى نعيم الجنة وما فيها من أنواع المأكولات والمشروبات وما فيها من الخدم والحشم الذين يغدون عليهم ويروحون بأصناف المأكولات والمشروبات التي لا يكلون ولا يملون منها أبداً.

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴿٧٣﴾﴾[٣] يخبرهم الله سبحانه وتعالى أن ما أعطاهم من النعيم في الجنة

---

(١)- **سؤال:** هل استفدنا هذا من وصف العباد بقوله: «الذين آمنوا...» إلخ؟ أم أنها غير صفة فمن أين استفدناه؟ وما علاقة جملة: «ادخلوا الجنة..» بما قبلها؟

الجواب: «الذين آمنوا..» صفة لعباد، فهي تفيد ما ذكرنا في التفسير، وجملة «ادخلوا الجنة..» في محل نصب مقول لقول محذوف أي: يقال لهم: ادخلوا...، وهي جملة مستأنفة لبيان عاقبة الذين آمنوا وكانوا مسلمين، وما لهم من الكرامة عند الله في الآخرة.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في فصل جملة «يطاف عليهم..» عما قبلها؟ وما الوجه في حذف العائد في جملة: «تلذ الأعين»؟

الجواب: يجوز في «يطاف» أن تكون حالاً من الجنة والرابط مقدر أي: فيها، ويجوز أن تكون مستأنفة استئنافاً بيانياً، والوجه في حذف العائد المنصوب هو التخفيف.

(٣)- **سؤال:** فضلاً هل «تلك» مبتدأ خبره «التي أورثتموها» أم ماذا؟ وما محل جملة «منها تأكلون»؟

الجواب: «تلك» مبتدأ، و«الجنة» خبره، «منها تأكلون» في محل رفع نعت لفاكهة.

سؤال: ما الوجه في تسمية استحقاقهم للجنة وراثة؟

الجواب: الوجه هو لغوي أي: راجع إلى التفنن في الكلام، فقد شبه هنا جزاء العمل بالميراث؛ لأنه يخلف عليه العامل.

هو جزاء على أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ[(١)] فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ[(٢)] عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ۝٧٥ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ۝٧٦﴾ بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى حال المؤمنين في الآخرة عقب ذلك بذكر حال المجرمين المتجاوزين لحدود الله تعالى؛ فأخبر أنهم في نار جهنم يعذبون دائماً وأبداً، لا ينقطع عذابهم أو يخفف عنهم؛ وأنهم هم الذين جنوا على أنفسهم وتسببوا في إدخالها في عذاب جهنم بما عملوا من المعاصي والسيئات، والله سبحانه وتعالى عدل حكيم لا يعذب أحداً إلا بذنبه. ومعنى «وهم فيه مبلسون»: وهم فيه متحيرون آيسون متحسرون.

﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ۝٧٧﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى حالهم في النار وهم يصرخون فيها ويستغيثون متمنين الموت والانتهاء ولكن حين لا مغيث ولا صريخ، و«مالك» هو مَلَكٌ من ملائكة الله جعل الله له سلطان جهنم وهو كبير خزنتها، وحين استغاث به أهل جهنم قال لهم: إنكم ماكثون في عذاب جهنم.

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ۝٧٨﴾[(٣)] فأنتم ماكثون في العذاب بسبب إعراضكم عن الحق والهدى الذي جاءت به أنبياؤكم

---

(١)- **سؤال:** من هم المجرمون؟ وهل هو حقيقة شرعية أم لغوية؟

الجواب: المجرمون هم الذين اكتسبوا الذنوب وهو حقيقة لغوية كما يظهر من كلام الزمخشري في أساس البلاغة.

(٢)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة؟

الجواب: يصح أن تكون في محل نصب من فاعل «خالدون»، ويصح أن تكون مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٣)- **سؤال:** هل هذا من كلام مالك؟ فما وجه إدخاله لضمير نفسه في «جئناكم»؟ أم من كلام الله تعالى؟

الجواب: الظاهر أنه لا زال من كلام مالك، وجاء بضمير المتكلم لأنه يتكلم عن الله.

ورسلكم، وتكذيبكم بآيات الله وكفركم بها وصدكم عن سبيل الله.

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ۝٧٩﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن قريشاً إن كانوا قد أبرموا في شأنه أمراً ودبروا له مكيدة فإن كيده فوق كيدهم، وسيبطل ما أبرموا ويرد كيدهم في نحورهم، ويجعل وبال مكرهم عليهم.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ[1] وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ۝٨٠﴾ أفيظن أولئك المشركون أن الله سبحانه وتعالى لا يسمع ما يتناجون به فيما بينهم، وما يبرمونه ويدبرونه من الحيل والمكائد لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولدينه الذي جاء به وللمؤمنين؟

فليعلموا أنا نسمع نجواهم وأسرارهم وأن لدينا ملائكة يسجلون عليهم كل كلمة تخرج من أفواههم، ولن يستطيعوا أن يغلبوا الله تعالى أو يكيدوا لنبيه أو لدينه.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ[2]۝٨١ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ

---

(١)- **سؤال:** من أي دلالة أخذ علماؤنا من هنا أن سميعاً بمعنى عالم في حق الله سبحانه؟ وهل لها قرائن ومؤيدات؟

الجواب: الدلالة هنا على أن سميع بمعنى عالم هي دلالة مجازية، والدلالة هي بواسطة القرينة والقرينة هي كون مفعول «نسمع» هو «سرهم» والسر ليس من الأصوات فلزم لذلك أن قوله: «نسمع» بمعنى نعلم، وقد قالوا: إن دلالة المجاز من قبيل الظاهر.

(٢)- **سؤال:** ذكر عن الإمام زيد عَلَيْهِ السَّلَامُ أن معناها الآنفين عن عبادته، فما وجه ذلك؟ وهل لها نظير في العربية؟ وما وجه اضطراب كلمات المفسرين هنا؟

الجواب: يوجه كلام الإمام زيد عَلَيْهِ السَّلَامُ بتوجيهين:

١ – على فرض أن «إن» شرطية فيقال: إن التقدير إن كان للرحمن ولد كما تدعون أيها المشركون فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد.

٢ – وعلى تقدير «إن» نافية فالوجه ظاهر.

ولصحة تفسير زيد عَلَيْهِ السَّلَامُ شاهد من شعر الفرزدق هو: (وأعبد أن أهجو تميماً بدارم) ذكره الماوردي في التفسير. ووجه اضطراب كلام المفسرين في تفسير هذه الآية أنه لا يصح المعنى على الظاهر أي: على أنها جملة شرطية من حيث أنها تقتضي الشك.

﴿وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٨٢﴾[١] ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يخبر المشركين بأنه إن صح أن للرحمن أولاداً كما يزعمون فإنه سيكون أول من يعبدهم ويؤمن بهم، ولكن الله سبحانه وتعالى قد تعالى وتقدس عن اتخاذ الأولاد فهو وحده رب السماوات والأرض وبيده وحده ملكهما وتدبير شؤونهما.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا[٢] وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ ۝٨٣﴾ فاترك قومك يا محمد في غيهم وضلالهم يرتعون ويلعبون إلى أن يحين ذلك الموعد[٣] الذي جعله الله بعلمه لتعذيبهم وإهلاكهم، وحينئذ سيتبين لهم الحق، ويعترفون بصدق ما جاءتهم به رسل الله عليهم السلام.

﴿وَهُوَ الَّذِى[٤] فِى السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِى الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝٨٤﴾ فهو الإله المعبود بحق في السماوات والأرض، وهو وحده الذي تحق له العبودية والإلهية.

---

(١)- **سؤال:** إذا كان العرش في هذه الآية بمعنى ملك الله صار معنى الآية: سبحان رب الملك رب الملك؛ إذ السماوات والأرض مملوكات لله فكيف؟

الجواب: الذي يظهر لي -والله أعلم- أن معنى «رب العرش» أوسع من معنى: رب السموات والأرض، فمعنى رب العرش أنه المسيطر المتصرف المدبر العزيز الغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وقد يدل على ما ذكرنا نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤]، ثم بين تعالى وفصل معنى استوائه على العرش: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝٥﴾ [الحديد].

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما وجه سقوط النون وجزم الفعل «يخوضوا» مفصلاً؟

الجواب: جزم الفعل يخوضوا بسقوط النون في جواب الطلب «ذرهم» أي: إن تذرهم يخوضون يخوضوا ويلعبوا.

(٣)- **سؤال:** هل المراد يوم القيامة أم موعد الهلاك في الدنيا؟

الجواب: هو محتمل لأن الله تعالى قد توعدهم بعذاب في الدنيا وبعذاب في الآخرة.

(٤)- **سؤال:** أين جملة الصلة هنا؟

الجواب: الصلة هي «في السماء إله» فالجملة اسمية حذف مبتدأها أي: الذي هو في السماء إله، والجار والمجرور متعلق بـ«إله»؛ لأنه بمعنى معبود.

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ[١] عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴿٨٥﴾﴾ فقد كثرت نعم الله ومنافعه الكريمة على عباده فهو مالك السماوات والأرض ومفاتيح خزائنهما بيده وحده، وهو وحده المختص بعلم قيام الساعة والقيامة، وسيكون مرجع جميع المكلفين من الإنس والجن والملائكة إليه يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا[٢] مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴿٨٦﴾﴾[٣] وهذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله سبحانه وتعالى وتدعون أنها ستشفع لكم عنده لا تملك لكم شيئاً من الشفاعة، فلا تركنوا إليها أو تغتروا بها، فلا أحد يملك شيئاً من الشفاعة عند الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، إلا المقربون لديه من أنبيائه ورسله وملائكته، فهم الذين سيأذن الله سبحانه وتعالى لهم في الشفاعة، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:١٨].

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴿٨٧﴾﴾ إنك إذا سألت المشركين: من خلقهم وأوجدهم؟ فسيقولون: الله هو الذي خلقنا، إذاً فما هو الذي

---

(١)- **سؤال:** علام عطف هذا الظرف؟ أم أن المعطوف الجملة الاسمية على جملة الصلة؟

الجواب: الجملة هذه معطوفة على جملة الصلة.

(٢)- **سؤال:** هل الاستثناء هنا منفصل؟ وهل يصح أن يحمل «الذين يدعون» على المشركين أي: لا يكون لهم شفاعة إلا المؤمنين الذين شهدوا بالحق ليوافق قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴿١٠٩﴾﴾ [طه]، أم ترونه غير مناسب؟

الجواب: الأولى والأحرى أن يحمل «الذين يدعون من دون الله» على الذين يعبدون من دون الله؛ لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم يقولون لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وكانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣]، والاستثناء متصل لإخراج الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام فقد كانوا يدعون من دون الله ويعبدون من دونه.

(٣)- **سؤال:** ما محل جملة «وهم يعلمون»؟ وما الذي يستفاد من هذه الجملة؟

الجواب: «وهم يعلمون» الجملة في محل نصب حالية من فاعل «شهد»، ويستفاد منها أن الشهادة باللسان لا تكفي، بل لا بد مع شهادة اللسان من علم القلب واطمئنانه بما شهد به اللسان.

صرفهم عن عبادته إلى عبادة الأصنام.

﴿وَقِيلِهِ[(١)] يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٨٩﴾[(٢)] هذه اللفظة (قيله) معطوفة[(٣)] على الساعة في قوله: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ والمراد: أن عنده علم هذه المقولة، والمقولة هي: ﴿يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: ان الله تعالى قد علم دعاء النبي ﷺ وشكواه من قومه واستنزاله النصر من الله عليهم.

ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يصفح عن قومه في تكذيبهم له وإلحاقهم به الأذى، وأن لا يؤاخذهم أو يجازيهم، وأن يخبرهم أنه لن يلحقهم منه أي سوء أو مكروه غير السلامة، وأن يترك أمر ذلك إلى الله سبحانه وتعالى فهو الذي سيتولى أمر حسابهم وجزاء تكذيبهم واستهزائهم، وسيعلمون عاقبة أمرهم عندما يحين موعد ذلك بهم.



---

(١)- **سؤال:** ما رأيكم أن تجعل الواو قسمية، و«قيله» مجرور بها، ويكون التقدير: أقسم بقيل النبي يا رب، وجواب القسم: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أم ترونه ضعيفاً؟

الجواب: يجوز تفسيرها بما ذكرتم وهو تفسير صحيح، وقد فسرها الزمخشري كما ذكرتم، وما فسرناها به تفسير صحيح أيضاً، وقد فسروها به.

(٢)- **سؤال:** هل تعارض هذه الآية آية السيف وكل ما فيه أمر بمجاهدة الكافرين والإغلاظ عليهم فأيهما المنسوخ؟

الجواب: آية السيف ناسخة لهذه الآية وما أشبهها مما أمر فيها الرسول ﷺ بالصفح والإعراض عن المشركين.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما المرجحات لهذا الإعراب مع بُعد المعطوف عليه؟ وما وجه قراءة نافع بنصب «قيله»؟

الجواب: قد يكون التوجيهان في درجة واحدة من حيث القوة والضعف، وقراءة النصب في «قيله» توجه بأنها نصبت لعطفها على محل الساعة في قوله: ﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أو على: ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ أو على نزع الخافض أي: حرف القسم.

سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حم۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ۝٢﴾[(١)] أقسم الله سبحانه وتعالى بالكتاب المبين ليلفت أسماع المشركين وانتباههم إلى هذا الكتاب العظيم الذي أقسم به؛ لأنه لا يقسم إلا بما له شأن عظيم.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا[(٢)] كُنَّا مُنْذِرِينَ۝٣﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى إنه أنزل هذا القرآن إلى سماء الدنيا في ليلة القدر؛ لأن سنته تعالى قضت بإنذار الكافرين وتحذيرهم من العذاب العظيم الذي أعده الله تعالى للظالمين في اليوم الآخر لهذا أنزل الله تعالى القرآن الكريم في ليلة القدر وهي ليلة مباركة، ثم أنزله الله تعالى مفرقاً ومقسطاً على نبيه المختار محمد صلى الله عليه وآله وسلم لينذر الكافرين ويبلغهم حجج الله وآياته وشرائعه وأحكامه.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ۝٤﴾ ثم وصف الله سبحانه وتعالى هذه الليلة المباركة بأنه يدبر[(٣)] فيها أمور خلقه على حسب ما تقتضيه الحكمة[(٤)].

---

(١)- **سؤال:** فضلاً هل هناك سر في تكرير هذا الافتتاح الذي افتتحت به سورة الدخان؟

الجواب: السر في افتتاح هذه السور السبع بالحروف المقطعة هو السر العام في جميع السور وقد ذكرناه في أول سورة البقرة أما السر في التكرير هنا في سبع سور متتالية فالله أعلم.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لأنها تعليل لما قبلها أي: أنها مستأنفة استئنافاً بيانياً في جواب سؤال مقدر.

(٣)- **سؤال:** إذا كان هذا التدبير من باب القضاء والقدر - وقد رأيته بعد ذلك بلفظ يقضي عن الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام- فهل هو أزلي أم أنه صفة فعل يتجدد ويتكرر؟

الجواب: التدبير هو من باب القضاء والقدر وهو أزليّ؛ لكن ينزل الله تعالى الملائكة في ليلة القدر بقضاء السنة.

(٤)- **سؤال:** ما رأيكم -رضي الله عنكم- فيما يقال بأنه يحصل هذا التدبير ليلة النصف من شعبان؟

الجواب: القول الراجح أن الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة القدر في شهر رمضان =

﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ۝٥﴾[1] ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ۝٦﴾ وكان هذا القرآن مما دبره الله تعالىٰ من الأمور في تلك الليلة المباركة ليلة القدر، وقد اختار الله محمداً ﷺ رسولاً إلىٰ الناس يتلو عليهم القرآن الكريم، وكانت رسالة الله إلىٰ الناس رحمة لهم يستنقذهم بها من الضلال إلىٰ الهدىٰ ومن خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلىٰ شرف الدنيا ونعيم الآخرة.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ[2]۝٧ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ۝٨﴾ والذي أنزل القرآن هو رب السماوات والأرض وما بينهما لا إله لهم سواه، الذي بيده حياتهم وموتهم فليعبدوه وليخصوه بعبادتهم.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ۝٩﴾[3] ولكنهم أعرضوا عن آيات الله تعالىٰ،

بدليل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ۝١﴾ [القدر].

(١)- **سؤال:** ما إعراب «أمراً»؟ وما وجه فصل «إنا كنا مرسلين» عن سابقتها؟ وهل «رحمة» معمول لـ«مرسلين»؟

الجواب: «أمراً» حال من «أمر حكيم» وصلح من النكرة لأنها قد وصفت، وقد ذكروا في إعرابه أوجهاً عديدة. «رحمة» مفعول من أجله ليفرق أو لمرسلين، وفصلت جملة: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ۝٥﴾ لأنها علة لما قبلها.

(٢)- **سؤال:** ما وجه جر «رب السماوات» في قراءة حفص؟ وأما رفعها في قراءة نافع فهو ظاهر؟ وما فائدة القيد بقوله: «إن كنتم موقنين»؟

الجواب: وجه الجر علىٰ البدلية من «ربك» في قوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ وفائدة قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ۝٧﴾: أن المشركين كانوا مقرين ومعترفين بأن الله تعالىٰ هو الذي خلق السموات والأرض وأنه ربهن ومالكهن، فنبههم بهذا القيد علىٰ ما هم مقرون به ومعترفون إن كانوا صادقين في إقرارهم واعترافهم.

(٣)- **سؤال:** فضلاً هل هذه الجملة حالية أم خبر ثان؟

الجواب: الجملة خبر ثان.

ورفضوا الاستماع إليها والالتفات إلى مواعظه وتذكيره لهم، ولا زالوا يشككون في القرآن، ويجادلون في آياته وحججه بالباطل.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ۝١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ۝١١﴾[1] فانتظر يا محمد العذاب الذي سينزله الله بقومك بسبب تكذيبهم، فلا بد أن نعذبهم فقد استحقوا العذاب، وقد ابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالجدب والفقر نحواً من سبع سنين، فكانت السماء تمتلئ بالدخان[2] فلا سحاب ولا مطر حتى أصابهم القحط والجوع الشديد حتى أصبحوا يأكلون جيف الكلاب من شدة الجوع.

﴿رَبَّنَا[3] اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ۝١٢﴾ ولما طالت عليهم مدة الشدة والجوع عاهدوا الله تعالى بأنه إن كشف عنهم ما هم فيه من البلاء والشدة فإنهم سيؤمنون بالنبي ﷺ ويصدقونه.

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ۝١٣﴾[4] ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ

---

(١)- **سؤال:** ما محل جملة: «هذا عذاب أليم»؟

الجواب: محلها النصب مقول قول محذوف.

(٢)- **سؤال:** متى كانت آية الدخان هذه من بعثة النبي ﷺ؟ وهل يصح حملها على أنه عذاب يحصل يوم القيامة أو أمارة من أماراتها أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: كانت آية الدخان بعد مبعث النبي ﷺ قبل الهجرة، ويصح حملها على أن الدخان يكون قبيل يوم القيامة أي: أنه علامة من علاماتها، وهذان التفسيران مرويان.

(٣)- **سؤال:** هل هذا مقول لقول محذوف أم ماذا؟

الجواب: هذا من تتمة القول المذكور في الآية الأولى: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ۝١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ۝١٢﴾ كل هذا هو مقول لقول محذوف.

(٤)- **سؤال:** ما إعراب «أنى» ومحلها؟ وما محل جملة: ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ۝١٣﴾؟

الجواب: «أنى» خبر مقدم ومحلها مع متعلقها الرفع. «الذكرى» مبتدأ مؤخر، «لهم» متعلق بمحذوف حال، وجملة: ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ۝١٣﴾ في محل نصب على الحال.

مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾[١] كيف يتأتى منهم الإيمان بعد أن كفروا برسول الله ﷺ وبما جاء به من الحجج الواضحة المستبينة الدالة على صحة نبوته التي عرفوها وتحققوا صدقها ثم كذبوا بها واستكبروا عنها وقالوا إن محمداً مجنون يهذي بهذي المجانين، وقالوا أيضاً: إنه تعلم ما يقرأه عليهم من بعض أهل العلم.

﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ[٢] ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ ولكنه كشف عنهم تلك الشدة مع علمه تعالى بعدم إيمانهم، وأنهم سينقضون عهودهم ومواثيقهم، ولكنه سوف ينتقم منهم بعذابه، وقد كان ذلك يوم[٣] بدر فقد قتل المسلمون فيه جميع صناديدهم وكبارهم وكانوا سبعين صنديداً.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ وقبل قومك يا محمد قوم فرعون، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم موسى، ولكنهم كفروا به وتمردوا عليه. ومعنى «فتنا» هنا: اختبرنا وامتحنا.

---

(١)- **سؤال:** يقال: كيف ساغ لهم أن يطلقوا على النبي ﷺ الصفتين: «معلم مجنون» مع تناقضهما؟ وما إعرابهما؟

الجواب: المراد: وقال بعضهم معلم، وقال بعضهم مجنون. «معلم» خبر لمبتدأ محذوف، «مجنون» خبر ثان.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب «قليلاً»؟ وما وجه فصل: «إنكم عائدون» عما قبلها؟ وما هو العامل في «يوم» النصب؟

الجواب: «قليلاً» ظرف زمان أي: زمناً قليلاً، أو يكون صفة لمصدر محذوف أي: كشفاً قليلاً. وفصلت «إنكم عائدون» لأنها تعليل لما قبلها، والعامل في «يوم» النصب فعلٌ محذوف دل عليه «منتقمون» أي: ننتقم.

(٣)- **سؤال:** يقال : فما السر في إسناد البطش إلى الله تعالى؟ وهل يصح حمل البطشة على العذاب يوم القيامة؟

الجواب: أسندت إلى الله تعالى لأنها بأمره وتدبيره ومعونته كما قال سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى...﴾ [الأنفال:١٧]، ويصح حملها على عذاب يوم القيامة، وقد فسرت بالتفسيرين.

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ[1] إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴿١٨﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أنه أرسل موسىٰ عليه السلام إلىٰ فرعون ليستنقذ بني إسرائيل من ظلم فرعون. ومعنىٰ «أدوا»: أرسلوهم معي وأعطوني.

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي[2] آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴿١٩﴾﴾ ويأمرهم بالخضوع والاستسلام لله تعالىٰ وامتثال أوامره، وأخبرهم بأن الله سبحانه وتعالىٰ قد أيده بمعجزة ظاهرة تدل علىٰ صدق نبوته، وأنه رسول من عند الله تعالىٰ.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴿٢٠﴾﴾[3] وأخبرهم بأنه قد استجار بالله تعالىٰ واستعاذ به ليكفيه شرهم وأذاهم.

﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي[4] فَاعْتَزِلُونِ﴿٢١﴾﴾ وإن لم تؤمنوا بدعوتي وتصدقوني فاتركوني وكفوا شركم وأذاكم عني.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ[5] بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ

---

(١)- **سؤال:** ما إعمال «أن» في هذه الآية؟ وكذا «عباد الله»؟

الجواب: «أن» مفسرة لتقدم معنىٰ القول دون حروفه وهو قوله: ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴿١٧﴾﴾. «عباد الله» مفعول به لـ«أدوا».

(٢)- **سؤال:** هل هذا استئناف بياني أم نحوي؟

الجواب: هو استئناف بياني في جواب سؤال مقدر عن العلة.

(٣)- **سؤال:** ما محل المصدر «أن ترجمون»؟ وما إعرابها؟

الجواب: محله الجر أي: من أن ترجمون، أو النصب بنزع الخافض. «أن» مصدرية. «ترجمون» فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل، والنون للوقاية والكسرة دليل الياء المحذوفة تخفيفاً.

(٤)- **سؤال:** هل اللام هنا علىٰ بابها أم أنها بمعنىٰ الباء؟

الجواب: اللام علىٰ بابها، وتؤمنوا مضمن معنىٰ: تستجيبوا لي.

(٥)- **سؤال:** ما الوجه في فتح همزة «أنَّ» في قوله: «أنَّ هؤلاء»؟ وما محل مصدرها؟ وما الفرق بين «أسر» بهمزة القطع، و«اسر» بهمزة الوصل في المعنىٰ؟

الجواب: الوجه في فتح همزة «أنَّ» كونها مجرورة بباء مقدرة أي: أنها معمولة لعامل هو حرف الجر، ومحل مصدرها الجر أو النصب بنزع الخافض.

=

مُتَّبَعُونَ﴿٢٣﴾﴾ عندما رأى موسى منهم ما رأى من التكذيب والتمرد والاستهزاء دعا ربه أن ينتقم منهم؛ لأنهم قد تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان والتكبر في الأرض، فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاءه، وأمره بأن يجمع قومه من بني إسرائيل، ثم يخرج بهم ليلاً لئلا يراهم أحد من قوم فرعون فيفتضح أمرهم، وأمرهم بأن يسرعوا في المسير؛ لأن فرعون سوف يلحقهم بجيشه.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴿٢٤﴾﴾ أمر الله تعالى موسى بأن يضرب البحر بعصاه فانشق له فيه اثنا عشر طريقاً يابسة في وسط البحر، فسار موسى بمن معه وسط البحر حتى خرج بهم جميعاً، وقد أمر الله سبحانه وتعالى موسى بعد خروجه من البحر أن يترك الطرق فيه مفتوحة[1]؛ لأنه تعالى أراد أن يغرق فرعون وجنوده في تلك الطريق التي في البحر، فتبعهم فرعون وجنوده في تلك الطريق التي فتحها موسى بعصاه في البحر فلما توسطوا جميعاً أطبق الله تعالى عليهم الماء وأغرقهم جميعاً.

﴿كَمْ[2] تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ[3] كَرِيمٍ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا

«أسر» بهمزة القطع مأخوذ من الإسراء أي: من مصدر أسرى يسري إسراءً، فالماضي رباعي.

و «اسر» بهمزة الوصل، ماضيه ثلاثي سرى يسري أي: سار بنفسه في أول الليل، وأسراه غيره أي: حمله على المسير في أول الليل غيره.

(١)- **سؤال:** من فضلكم مِمَّ أخذ هذا المعنى لقوله: «رهواً»؟ وكيف نفهم أن معنى «رهواً» ساكناً كما ذكر عن الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام؟

الجواب: «رهواً» مأخوذ من رها يرهو رهواً، وبابه عدا، و«رهواً» أي: ساكناً، وقد فسرنا «رهواً» على المعنى فقلنا: اتركه مفتوحاً أي: لا تضرب الماء بعصاك فينطبق البحر على الطريق أي: دعه ساكناً ولا تضربه بعصاك فينطبق.

(٢)- **سؤال:** ما إعمال «كم» هنا؟

الجواب: «كم» خبرية في محل نصب مفعول به لتركوا.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما نوع اسميتها؟ وما المراد بها؟

الجواب: اسم مكان من الثلاثي، والمراد بها الأرض التي كان يسكنها فرعون وقومه المهلكون.

فِيهَا فَاكِهِينَ۝٢٧ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا[١] قَوْمًا ءَاخَرِينَ۝٢٨﴾ أراد الله سبحانه وتعالى أن يعتبر بهم المعتبرون إذا نظروا في حالهم وما صاروا إليه بعد تلك القصور الفاخرة وجنات البساتين والأنهار، وبعد تلك النعم العظيمة التي أسبغها عليهم، وذلك التمكين في الأرض، وما هيأ لهم من أسباب الرفاهية والتنعم ورغد العيش، ثم إن الله تعالى أهلكهم ودمرهم وأبادهم بعد كل ذلك بسبب كفرهم وتكبرهم، وكيف لم تنفعهم قوتهم وتمكنهم فقد ذهبوا وتركوا كل ذلك النعيم لقوم آخرين غيرهم بسبب كفرهم وتمردهم على الله.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ[٢] وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ۝٢٩﴾ فلم يحصل بموتهم وهلاكهم أيُّ نقصٍ في الدنيا ولا في السماء، فقد أخذهم الله تعالى واستأصلهم بسبب استحقاقهم لذلك العذاب الذي أنزله عليهم، واستخلف مكانهم قوماً آخرين غيرهم. «وما كانوا منظرين» أي: ممهلين بالعذاب إلى حين آخر.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ۝٣٠ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ۝٣١﴾[٣] يذكر الله تعالى بني إسرائيل بنعمته عليهم إذ أنجاهم من فرعون وظلمه وبطشه، وقتله لأبنائهم، واستعباده لنسائهم وتسخيرهن في الأعمال الشاقة.

---

(١)- **سؤال:** ما المراد بـ«نعمة» بفتح النون؟ وهل من فرق بينها وبين مكسورة النون؟ وما إعراب: «كذلك وأورثناها»؟

الجواب: «نعمة» بفتح النون: التنعم والتلذذ، وبكسر النون ما يتنعم به من مأكول ومشروب ومنكوح ومنظور إليه و.. إلخ. «كذلك» خبر لمبتدأ محذوف أي: الأمر كذلك. «وأورثناها» جملة معطوفة على جملة: الأمر كذلك، فلا محل لها من الإعراب.

(٢)- **سؤال:** ما الذي يفهم من هذا المقطع من هذه الآية بالنسبة للمؤمنين؟

الجواب: قد يفهم أن السموات والأرض تبكي لموت المؤمنين وقد يكون المراد بكاء أهلها.

(٣)- **سؤال:** هل إعادة الجار في قوله: «من فرعون» على جهة البدل لزيادة التأكيد؟

الجواب: نعم، ذلك للتأكيد والتقرير، وذلك لما فيه من التكرير.

وقد أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عنه بأنه كان من المسرفين في سفك الدماء والقتل ظلماً وعدواناً، فنجاهم الله سبحانه وتعالىٰ منه، وخلصهم من قبضته وسيطرته عليهم.

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى[1] عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴿٣٢﴾﴾ وقد أنعم الله سبحانه وتعالىٰ عليهم بأن اصطفاهم علىٰ جميع خلقه، وجعلهم أفضل أمة علىٰ وجه الأرض؛ فإذا كانوا علىٰ هذه الحال أفضل[2] أهل الأرض -وعلىٰ الرغم مما كانوا يفعلون بنبيهم موسىٰ عليه السلام ويتمردون عليه- فكيف كانت حال بقية الأمم في الأرض؟

﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴿٣٣﴾﴾[3] وقد أعطاهم الله سبحانه وتعالىٰ الآيات العظيمة وأسبغ عليهم النعم الكثيرة كفلق البحر لهم، وتظليلهم بالغمام وإحيائهم[4] مرة ثانية بعد أن كان أماتهم، وما كان من رفع الطور عليهم حتىٰ آمنوا.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما فائدة هذا القيد؟ وهل «علىٰ» فيه علىٰ بابها أم لا؟

الجواب: قد يخطر ببال من يرىٰ ما يحصل من اليهود من زمن موسىٰ عليه السلام وبعد زمانه وإلىٰ زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من التمرد والفسوق والبغي والعدوان والكفر و.. إلخ فيقول: كيف أن الله تعالىٰ اختار بني إسرائيل علىٰ العالمين وهم كما ذكرنا، فجاء الله تعالىٰ بهذا القيد لدفع مثل هذا الاعتراض. و«علىٰ» علىٰ بابها للاستعلاء أي: اخترناهم حال كوننا متمكنين علىٰ العلم، وفي «علىٰ» هنا استعارة تبعية أي: أن الاستعارة في معناها الذي هو الاستعلاء.

(٢)- **سؤال:** هل كانوا مختارين مصطفين مع تلك الأعمال أم أنهم سلبوا تلك النعمة لما أعرضوا عن شكرها؟

الجواب: اختارهم الله تعالىٰ وهو عالم بموضع الخيرة ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف]، وكما اصطفىٰ الله آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأورثهم الكتاب الكريم وفيهم الظالم لنفسه والمقتصد والسابق.

(٣)- **سؤال:** فضلاً لم عرّف الله تلك الآيات بأن فيها بلاءً مبيناً؟

الجواب: كان ذلك لأنه كلما كبرت النعمة كانت البلوىٰ بها أكبر وكلما عظمت كانت البلوىٰ بها أعظم، واستدعت من الشكر ما هو أعظم، والكفر بها يكون علىٰ قدر كفر النعمة.

(٤)- **سؤال:** متىٰ كانت إماتتهم ثم إحياؤهم؟

الجواب: كان ذلك حين سألوا موسىٰ أن يريهم الله جهرة، والقصة كما حكاها الله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ۝٣٤ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ۝٣٥ فَأْتُوا[١] بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝٣٦﴾ ثم انتقل الله تعالى إلى الكلام عن قريش، فأخبر تعالى عنهم بأنهم ينكرون البعث والنشور بعد الموت، وأنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يحيي آباءهم وأجدادهم، وأن يخرجهم من قبورهم إن كان صادقاً فيما يدعي من صحة البعث بعد الموت.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ۝٣٧﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن قومه قد تمردوا[٢]، وقد بلغوا النهاية في التمرد والعصيان حتى استحقوا نزول العذاب بهم، فلن يستطيعوا أن يفروا من قبضته وقدرته، ولن يعزوا عليه أو يغلبوه، فقد أهلك مِنْ قبلهم مَنْ كانوا أشد منهم بطشاً وأكثر عدداً وجمعاً وقوة بسبب كفرهم وتكذيبهم وتمردهم، وقومك يا محمد قد استحقوا نزول العذاب بهم فليتوقعوا عما قريب نزوله بهم.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ[٣]۝٣٨ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ۝٣٩﴾[٤] هذا جواب من الله سبحانه وتعالى

---

(١)- **سؤال:** ما فائدة الفاء هنا؟ وما عملها؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة وعملها هو ربط الجواب بالشرط والتقدير: إن كنتم صادقين فيما تقولون فأتوا...، وسميت فصيحة لأنها تفصح عن شرط مقدر.

(٢)- **سؤال:** فما يكون معنى الاستفهام هنا؟ وما محل جملة «أهلكناهم»؟

الجواب: معناه الإنكار، وجملة «أهلكناهم» لا محل لها استئنافية لبيان ما حل بقوم تبع والذين من قبلهم من نقمة الله وعذابه أي أنها في جواب سؤال مقدر.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب «لاعبين»؟

الجواب: يعرب حالاً من فاعل خلقنا.

(٤)- **سؤال:** ما الذي يفيده تذييل الآية بقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ۝٣٩﴾؟

الجواب: قد عرض الله تعالى الدلائل الدالة على البعث والنشور فلو أن المشركين نظروا فيها =

عليهم عندما أنكروا البعث والنشور والحياة بعد الموت، فأخبرهم أنه لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما إلا لغرض عظيم وحكمة عظيمة، وهي ما يترتب على خلق ذلك من الحياة الآخرة[١]، والحساب والجزاء، والثواب والعقاب، وأنه لو كان الأمر كما يزعم المشركون لما كان لخلقهما أي فائدة، ولكان خلقه لهما عبثاً، ولو لم يكن هناك حساب ولا جزاء لوصف الله تعالى حينئذ بالظلم واللعب والعبث.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ[٢] أَجْمَعِينَ۝٤٠﴾ لا بد أن يحشر الله سبحانه وتعالى الخلق إليه جميعاً يوم القيامة ليفصل بينهم، ويحكم بينهم بالحكم الحق والعدل.

﴿يَوْمَ[٣] لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ۝٤١ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ۝٤٢﴾[٤] ويوم الفصل هو ذلك اليوم الذي لا يملك أحد فيه أن ينفع أحداً أو ينصره أو يدفع عنه شيئاً من عذاب الله الذي قد استحقه، وشفاعة

لعلموا أن البعث حق ولكنهم لم ينظروا فلم يعلموا أن البعث حق، فجاءت الجملة هذه لبيان أنهم جهلوا ما من شأنه أن يعلم لقوة دلائله ووضوحها.

(١)- **سؤال:** من أين نستفيد هذا الغرض؟ إن كان من آيات أخرى فما هي؟

الجواب: استفيد من نحو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى۝٣١﴾ [النجم].

(٢)- **سؤال:** ما نوع اسميته؟

الجواب: هو اسم زمان.

(٣)- **سؤال:** هل هذا بدل من قوله: «يوم الفصل»؟ أم ماذا؟

الجواب: «يوم» بدل من «يوم الفصل» كما ذكرتم.

(٤)- **سؤال:** علام عطف قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ۝٤١﴾؟ ومم الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾؟

الجواب: «ولا هم ينصرون» في محل جر بالعطف على: ﴿لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى﴾ والأولى في الاستثناء أن يكون منقطعاً بمعنى «لكن»، ويجوز أن يكون «ولا هم ينصرون» شاملاً للمؤمن والكافر فيكون الاستثناء من ضمير ينصرون فيكون المستثنى مرفوعاً على البدلية.

الشافعين يوم القيامة لن تكون إلا للمؤمنين فهم أهل رحمة الله سبحانه وتعالىٰ، وهم الذين سينصرهم الله تعالىٰ يوم القيامة، ويشفي غيظهم من أعدائهم، ويثيبهم ويرفع منازلهم. ومعنىٰ المولىٰ في الآية: القريب والحليف.

﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾[(١)] ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن طعام أهل النار في جهنم بأنه قد جعل لهم شجرة الزقوم التي تغلي في بطونهم عندما يأكلونها من شدة حرارتها كغليان المعدن المذاب،والأثيم هو: أبو جهل بن هشام.

﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالىٰ سيأمر ملائكة العذاب بأخذِ أهل النار وسوقهم سوق الذلة والخزي إلىٰ وسط نار جهنم، ثم يكبونهم فيها كباً ويصبون فوق رؤوسهم من ماء جهنم حتىٰ تذوب جلودهم ولحومهم من شدة غليانه وحرارته.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ[(٢)] ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ عندما يكبونهم في النار علىٰ وجوههم يقولون لهم: ذوقوا عذاب النار، وتجرعوا أليم

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «كالمهل»؟ وما محل جملة: «يغلي في البطون»؟ وبم تعلق الجار والمجرور «كغلي الحميم»؟

الجواب: «كالمهل» في محل رفع خبر ثان، وجملة «يغلي في البطون» في محل نصب حال من الزقوم أو من طعام الأثيم. «كغلي الحميم» الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمصدر محذوف أي: تغلي في البطون غلياناً مثل غلي الحميم.

(٢)- **سؤال:** ما السر في التعبير بالإذاقة هنا، والوصف بـ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾؟

الجواب: السر في ذلك –والله أعلم– أن حاسة الذوق أشد الحواس إدراكاً وإحساساً، أي: أنهم يدركون ألم العذاب كأشد ما يكون من الإدراك ويحسونه كأبلغ ما يكون من الإحساس، وقوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ تهكم واستهزاء بأبي جهل الذي كان يدعي في الدنيا أنه أعز وأكرم قريش.

السعير بسبب تعظمكم في الدنيا وتكبركم فيها، فهذا الخزي والعذاب الذي أنتم فيه هو الذي كنتم تشكون في وقوعه وتكذبون به، وكل هذا تهكم بهم وسخرية ليزدادوا حسرة وندماً على ما فرطوا في الدنيا.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ[١] ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ[٢] ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[٣] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن الحالة التي يكون عليها أولياؤه المتقون، فقال إنهم في أمن وأمان، وقد أنزلهم الله تعالى المنازل الرفيعة في جنات النعيم، وجمعهم مع أحبابهم وأصدقائهم في الدنيا على الموائد السنية التي قد ملئت بألذ وأطيب المأكولات والمشروبات، وجعل حولهم الحشم والخدم، وألبسهم الملابس الفاخرة من السندس والإستبرق الذي هو الحرير –فالسندس:

---

(١)- **سؤال:** هل «فعيل» بمعنى «فاعل»؟

الجواب: «أمين» هنا صفة مشبهة بمعنى فاعل.

(٢)- **سؤال:** يقال: إذا كانت جملة «يلبسون» حالية فهل يصح أن يتبعها الحال المفرد «متقابلين»؟ وعلام عطف: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾؟ وما محل جملة «يدعون»؟ وما الوجه في دخول الباء على كل في قوله: ﴿بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾؟

الجواب: جملة «يلبسون» في محل رفع خبر ثان لـ«إن»، وجملة «زوجناهم» معطوفة على جملة «يلبسون»، وجملة «يدعون..» في محل نصب حال من ضمير الغائب في «زوجناهم» ودخلت الباء على «فاكهة» لتضمن يدعون معنى يرغبون.

(٣)- **سؤال:** ما السر في بدء أحوالهم بالأمان وإنهاء صفاتهم به في قوله: «آمنين»؟

الجواب: السر –والله أعلم– أن المؤمن يكون في حياته الدنيا خائفاً من لقاء الله لا يفارقه الخوف لذلك فيكون أعظم ما يلقاه هو الأمن وذهاب الخوف؛ لذلك حكى الله تعالى عن المؤمنين قولتهم إذا أدخلهم الله الجنة: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [فاطر]، فإن ذلك يدل على أن ذهاب الحزن من قلوبهم أعظم من نعمة دخولهم الجنة لذلك بدأوا بذكر إذهاب الحزن، ثم ثنوا بذكر إحلالهم دار المقامة.

هو الحرير الرقيق، والإستبرق: هو الحرير الغليظ- وهم بين أزواجهم من الحور العين يتمتعون وينكحون ويأكلون ويشربون، وكل ما يتمنونه يجدونه بين أيديهم من دون أي تعب أو مشقة أو ملل أو سأم فهم في راحة دائمة.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى[١] وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴿٥٦﴾﴾ فهم في النعيم الدائم يتقلبون، فلا موت ينغص عليهم عيشتهم أو يقطع عنهم لذة راحتهم، ولم يبق لهم أي شيء يخافونه أو يحذرونه إلا ما ذاقوه من موتتهم الأولى في الدنيا.

﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ[٢] ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴿٥٧﴾﴾ فالثواب الذي هم فيه والنعيم في الجنة، والأمن والأمان الذي أعطاهم الله سبحانه وتعالى كل ذلك فضل من الله تعالى تفضل به عليهم، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن ما صار إليه هؤلاء من النعيم هو الذي ينبغي[٣] أن يسمى فوزاً على الحقيقة، وأن كل فوز دونه لا يسمى فوزاً في الحقيقة.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ[٤] لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴿٥٨﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه إنما يسر له هذا القرآن وأنزله على لغته ولغة قومه لأجل أن يفهموا

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما السر في الاستثناء للموتة الأولى رغم أن قد مضت؟ ومن أي أنواع الاستثناء هو؟

الجواب: يمكن توجيه ذلك بأن الاستثناء منقطع أي: لكن الموتة الأولى قد ذاقوها، وهناك توجيه ذكره الزمخشري هو أن الاستثناء متصل وأن التعليق بذوق الموتة الأولى في المستقبل محال، فاستثناء المحال يفيد تأكيد الخبر.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب «فضلاً»؟

الجواب: هو مصدر مؤكد لمضمون الجمل التي قبله.

(٣)-**سؤال:** من أين استفدنا هذا؟

الجواب: استفيد ذلك من الحصر والقصر الذي يفيده تعريف المسند إليه والمسند،والتأكيد بضمير الفصل.

(٤)-**سؤال:** من فضلكم ما معنى الباء هنا؟

الجواب: يكون معناها الاستعانة فيتعلق بيسرناه أي: أن لسانه (لغته) هي آلة التيسير.

معانيه، وينتفعوا به، ويعملوا بما فيه.

﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ۝٥٩﴾ وعندما أعرض المشركون عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتمردوا عليه واستكبروا عن اتباعه أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يرتقب نزول العذاب بهم، وأخبره أنه قد اقترب موعد نزوله بهم، كما أنهم مرتقبون لزوالك يا محمد ومتحينون الفرصة للقضاء عليك وعلى دعوتك ودينك[1].

❁❁❁❁❁

---

(١)- **سؤال:** ما هي المناسبة في كون هذه الآية خاتمة للسورة؟

الجواب: لما فيها من الإشعار بنهاية السورة، وذلك من حيث أن توقع نزول المخوف والمحذور هو نهاية الجدال والخصام.

سورة الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حم۝١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ۝٢﴾ لا زال الله سبحانه وتعالى يدعو المشركين ويناديهم إليه ويكرر نداءه لهم، ويؤكد لهم مقسماً[(١)] بأن هذا القرآن الذي جاءهم به نبيهم منزل من عنده تعالى، وأن محمداً لم يأت به من عند نفسه أو يتعلمه من عند أحد.

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ۝٣﴾ ثم بعد ذلك يحثهم على النظر والتفكر في الآيات التي بثها لهم في السماوات والأرض، والتي ستسوقهم إلى معرفته، غير أنه لن ينظر ويتفكر فيها إلا المؤمنون المتواضعون لقبول الحق، فهم الذين سينتفعون بها ويعترفون بعظمة بارئها وخالقها، ويذعنون له، ويستسلمون لعظمته وينقادون لما يأمرهم به.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ۝٤﴾[(٢)] وخَلْقُكُم أيها

---

(١)- **سؤال:** من أين استفدنا القسم هذا؟ أم أنكم اخترتم في هذا الموضع أن «حم» للقسم؟

الجواب: بنينا هنا على قول بعض المفسرين وهو قول قوي.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما السر في توزيع الأوصاف في هذه الثلاث الآيات: «للمؤمنين» «يوقنون» «يعقلون»؟

الجواب: ذكر المؤمنون في الآية الأولى لأنهم الذين ينتفعون بآيات السموات والأرض ويتفكرون في خلقهما ويصلون بألبابهم وجَوْدَةِ نظرهم إلى الحكمة والغاية من خلقهما ثم يتوجهون إلى الله قائلين ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ۝١٩١﴾ [آل عمران].

وفي الآية الثانية ذكر «يوقنون» لأن من شأن أهل الإيقان أن يتوصلوا بالنظر في خلق أنفسهم وخلق ما بث الله من الدواب على وجه الأرض إلى الإيمان واليقين بالخالق الحكيم العليم، وأنه هو الإله الحق، وأن ما سواه باطل، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ۝٥٨ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ۝٥٩﴾ [الواقعة].

وفي الثالثة ذكر «يعقلون» لأن من شأن العاقل أن يدرك بعقله معرفة الخالق العظيم؛ فالآية الأولى تضمنت ذكر الآيات المبثوثة في السموات والأرض، والتي لا يدرك ما فيها من الدلالة

=

الناس فهو آية من آياته الدالة على عظمته وقدرته، وكذلك كل دابة خلقها الله تعالى على وجه الأرض فهي آية ناطقة بإلهيته وقدرته وعلمه وحكمته.

﴿وَاخْتِلَافِ(١) اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ واختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، ودخول أحدهما في الآخر، ففي ذلك آية ناطقة ودلالة واضحة على قوة من أوجدهما، وحكمته وعظمته وعلمه.

﴿وَمَا(٢) أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وإنزال المطر من السماء وإحياء الأرض بالخضرة والنبات بعد اليباس والجفاف آية عظيمة دالة على أن هناك مدبراً دبرها وموجداً أوجدها في غاية الحكمة، فمن الذي أوجد ذلك السحاب بعد أن لم يكن؟ ومن الذي هيأه لحمل قطرات الماء وإمساكها عن السقوط إلا في حينها؟ ومن الذي هيأ الرياح لتسوقه إلى الأماكن البعيدة والمختلفة؟ إذاً فلا بد أن يكون هناك قادر أوجدها في غاية الحكمة ومنتهى الدقة والإتقان، وهو الله رب العالمين.

والحكمة إلا المؤمنون، والثانية تضمنت الآيات التي يدرك دلالتها الموقنون وهم أعلى درجة من أهل العقول، فهم ذوو نظر ودراية بكيفية الاستدلال والتوصل إلى النتائج الصحيحة، والثالثة تضمنت الآيات التي من شأنها أن يدرك نتائجها ويفهم مدلولاتها أهل العقول، فمن كان له عقل يدرك ذلك ولا تخفى عليه نتائجها لوضوحها عند العقل.

(١)- **سؤال:** إن كان الوجه في جر «اختلاف» العطف على «خلقكم» والعامل فيه حرف الجر «في» فسيكون قوله «آيات» في آخر الآية معطوف على «آيات» في الآية السابقة، وهذا يؤدي إلى العطف على معمولي عاملين مختلفين، وهذا ما يمنعه جمهور النحاة فكيف؟

الجواب: قد أجاز الأخفش ذلك، وأباه سيبويه، ويمكن تخريجه على مذهب سيبويه بأنه على إضمار «في»، والذي سهل ذلك تقدم ذكرها. أفاد ذلك الزمخشري.

(٢)- **سؤال:** هل تختارون في «ما» في قوله: «وما أنزل» المصدرية؟ فما وجه ذلك؟ وهل تصح الموصولية أم لا؟

الجواب: الأولى أن تكون «ما» مصدرية للتناسب أي: لأنها معطوفة على مصادر: «خلقكم» «اختلاف»، ويجوز أن تكون موصولة والعائد محذوف.

﴿وَتَصْرِيفِ[1] الرِّيَاحِ ءَايَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ۝٥﴾ والرياح آية من آياته الدالة عليه وعلى قدرته، فلا بد أن يكون هناك مصرف يصرفها من شرقية إلى غربية ومن شمالية إلى جنوبية؛ فهي آية واضحة وبينة لمن نظر وتأمل فيها، تسوقه إلى معرفة مبدعها وبارئها ومدبرها.

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ۝٦﴾[2] ثم خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن هذه الآيات التي تلاها عليه واضحة بينة ظاهرة أمام الناس جميعاً، فإذا لم يتفكر فيها المشركون فما هو الشيء الذي سيتفكرون فيه ويعتبرون به غيرها؟ ومتى سيتفكرون؟ ومتى سيؤمنون؟

وذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يرى مواجهة وعياناً أو يعرف بالأبصار، وإنما يعرف ويتوصل إلى معرفته بآياته الدالة عليه؛ لأنه ليس من جنس المرئيات، ولأنه لا يمكن أن يشاهَد إلا ما كان جسماً والله سبحانه وتعالى ليس بجسم.

---

(١)- **سؤال:** ما وجه جر قوله: «تصريف»؟

الجواب: وجه الجر هو كون «تصريف» معطوفاً على «خلقكم» في قوله: «وفي خلقكم» إما على إضمار «في»؛ لئلا يلزم العطف على معمولين لعاملين مختلفين، وإما بغير إضمار «في» على مذهب الأخفش فإنه يجيز عطف معمولين على معمولي عاملين مختلفين.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما محل جملة «نتلوها...»؟ وما معنى الفاء في قوله: «فبأي حديث»؟ وما إعراب ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ۝٦﴾ مفصلاً؟

الجواب: «نتلوها» في محل نصب حال، وما قبلها مبتدأ وخبر، أو في محل رفع على أنها خبر «تلك»، وآيات الله: نعت أو بدل من «تلك». والفاء هي الفصيحة لأنها تفصح عن شرط مقدر أي: إن لم يؤمنوا بالله وآياته فبأي حديث..، «فبأي» جار ومجرور متعلق بـ«يؤمنون» الذي بعده. «حديث» مضاف إلى اسم الاستفهام. «بعد الله» ظرف زمان متعلق بمحذوف صفة لحديث أي: كائن بعد حديث الله، «وآياته» معطوف على لفظ الجلالة.

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ۝٧﴾ ثم توعد الله سبحانه وتعالىٰ المكذبين بأنبيائه ورسله وآياته، وتهدد كل كذاب متقول علىٰ الله قول الزور وكل مقترف للمعاصي والكبائر بالويل والعذاب الشديد.

﴿يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا[1] فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ۝٨﴾ ثم وصف الله تعالىٰ الأفاك الأثيم بأنه الذي يسمع آيات الله تعالىٰ تتلىٰ عليه فيستكبر عن سماعها، ويعرض عنها.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ۝٩[2] مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ[3] وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ۝١٠﴾ ومن صفته أيضاً أنه إذا سمع شيئاً من آيات الله تعالىٰ تتلىٰ وعرفها فإنه يجعلها محل سخريته واستهزائه، فهؤلاء هم أهل وعيد الله سبحانه وتعالىٰ بالعذاب الشديد المهين في نار جهنم؛ ولا ينفعهم ما جمعوه من متاع الدنيا من الأموال والتجارات الواسعة، ولا يدفع عنهم شيئاً من عذاب الله تعالىٰ يوم القيامة، وأصنامهم التي يعبدونها من دون الله تعالىٰ لا تغني عنهم شيئاً يوم القيامة.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما محل جملة «تتلىٰ عليه»؟ وما إعراب «كأن لم يسمعها»؟

الجواب: «تتلىٰ عليه» محلها النصب علىٰ الحالية. «كأن لم يسمعها» جملة في محل نصب علىٰ الحالية، كأن: حرف تشبيه مخفف، واسمها ضمير الشأن، وجملة لم يسمعها في محل رفع خبر.

(٢)- **سؤال:** ما الحكمة في إفراد الضمائر أول الآية: «علم» «اتخذها» «فبشره» وجمعها في نهايتها؟

الجواب: أفردت الضمائر أولاً نظراً للفظ «كل» في قوله: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ۝٧﴾ فإن لفظها مفرد فأفردت الضمائر لعودها إلىٰ لفظ مفرد، ثم جمعت أخيراً لأن معنىٰ «كل» جمع فأعيدت الضمائر نظراً لعودها إلىٰ جمع في المعنىٰ، أي: أنه روعي أولاً اللفظ ثم روعي المعنىٰ ثانياً.

(٣)- **سؤال:** وما محل جملة: «من ورائهم جهنم»؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها في جواب سؤال مقدر أي: لأنها مستأنفة استئنافاً بيانياً.

﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ[١] أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[٢] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن هذا القرآن الذي أوحاه إليه فيه النور والهدى ليهتدي الناس بهديه، فمن أعرض عن هدى الله وكفر به فله عذاب عظيم في نار جهنم.

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا[٣] مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ ثم ذكرهم الله سبحانه وتعالى أيضاً بآية أخرى من

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما هو الرجز؟ ومم أخذ؟

الجواب: الرجز هو النجس، ومعناهما القذر وهو اسم مرتجل وليس مأخوذاً من مصدر أو فعل.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما الوجه في رفع «أليم» رغم أن «رجز» مجرورة؟

الجواب: رفع «أليم» لأنه صفة لعذاب المرفوع أي: أن العذاب وصف بصفتين: كونه من رجز، وكونه أليم.

(٣)- **سؤال:** الظاهر أن الابتغاء من فضل الله تفصيل وفرع عن جريان السفن في البحر فما الوجه في الإتيان باللام والواو دون الفاء في قوله: «ولتبتغوا»؟

الجواب: في آية أخرى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [فاطر:١٢]، وفي هذه الآية: ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ وفي أخرى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾﴾ [إبراهيم]، وفي أخرى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الروم]، فاللام في هذه الآيات جميعاً للتعليل والمعنى ظاهر مستقيم فالله تعالى سخر البحر ليبتغوا من فضله بالتجارة والصيد واستخراج اللؤلؤ والمرجان. وقوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [فاطر:١٢]، هو بمعنى الآية التي وقع السؤال فيها فقوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ بمعنى: ﴿سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ وإنما فصل في هذه الآية ما أجمله في قوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾، فإن الناظر إذا نظر إلى السفن وهي تمخر البحر وتسير على ظهر الماء سبّح الله تعالى الذي سخر البحر ودبره لحمل السفن على ظهره، والذي أرسل الرياح لتسوق السفن وتجري بها على ظهر الماء بلطفه وحكمته.

آياته العظيمة الدالة عليه فأمرهم أن ينظروا في البحر وما جعل فيه من المنافع لهم، وكيف هيأه وسخره لحمل السفن التي تحملهم وتحمل بضائعهم وأمتعتهم، والتنقل بهم في تجاراتهم والسعي وراء معايشهم وأرزاقهم- يذكرهم الله سبحانه وتعالى بذلك ليتوجهوا إليه بالإيمان والإذعان والشكر.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ[١] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴿١٣﴾﴾[٢] وكذلك من نعمه العظيمة الدالة عليه تفضيلهم على جميع خلقه حيث سخر جميع مخلوقاته في منافعهم وجعلها كلها مهيأة في مصالحهم، وأي نعمة أكبر من هذه النعمة فينبغي أن يؤدوا حق شكرها بطاعته وفعل ما يرضيه، واجتناب ما يغضبه ويوجب سخطه.

وأخبر أيضاً أن في كل شيء من ذلك آية ناطقة ودالة عليه وعلى ربوبيته وعظمته وقدرته لمن نظر وتفكر فيها.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴿١٤﴾﴾[٣] ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يحث المؤمنين على الصبر

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما فائدة القيد بقوله: «منه»؟

الجواب: الفائدة من ذلك هو التنبيه على أن جميع ما في السموات والأرض هو منه تعالى وحده وأنه هو الذي أوجده وسخره للناس فلعلهم يتنبهون ويتركون عبادة غير الله ويتوجهون إلى عبادته وحده.

(٢)- **سؤال:** هل يمكننا أن نقول: إن هذه الآية أقوى دلالة من آية البقرة: ﴿الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]، على القاعدة التي تقول: إن الأصل في الأشياء الإباحة أم لا؟

الجواب: لم يظهر لي فرق بين الآيتين من حيث الدلالة على القاعدة المذكورة «فخلق لكم» و«سخر لكم» سواء في الدلالة على جواز الانتفاع بما خلقه الله أو بما سخره الله.

(٣)- **سؤال:** كيف نستوعب أن جزاء الكفار على ما كسبوه علة لصفح المؤمنين عنهم كما هو ظاهر الآية؟

الجواب: المراد بقوله: «ليجزي قوماً» المؤمنون أي: ليجزيهم جزاء عفوهم ومغفرتهم وصبرهم، وجزاؤهم هو بإثابتهم ورفع درجاتهم وبما يرون من عدل الله والإنصاف لهم ممن ظلمهم.

في كل ما يلقون من الأذى من المشركين، وأن يقابلوا السيئة بالحسنة، وأن لا يؤاخذوهم بما فعلوا بهم من الأذى، وأن يعفوا ويصفحوا عنهم، وكل ذلك لأجل مصلحة الدين والإسلام، وأن يخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى سوف ينتصف لهم منهم، وينتقم لهم ممن ظلمهم. ومعنى «لايرجون أيام الله» : لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ۝١٥﴾ فسيثيبكم الله على صبركم أيها المؤمنون، وسيجازيهم على إساءتهم إليكم؛ لأنهم بذلك إنما يسيئون إلى أنفسهم ويجنون عليها.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ[1] وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ۝١٦ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾[2] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قد اصطفى بني إسرائيل واختارهم على العالمين جميعاً، وجعلهم حملة العلم والحكمة والنبوة إلى جميع الناس، وجعلهم القدوة والقبلة يهتدي بهديهم ويسير بسيرتهم كل الناس، وقد أسبغ عليهم جميع النعم، وساق إليهم جميع خيرات الدنيا، وبين لهم الدين الحق الذي جاء به خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وأمرهم باتباعه.

---

(١)- **سؤال:** ما المراد بالحكم هنا هل الحكمة فهل هي جمع لها أم ماذا؟ أم الملك فكيف جمعهما الله في آية آل إبراهيم: ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا۝٥٤﴾ [النساء]؟

الجواب: الحكم: الحكمة والفقه كما في الكشاف، فالكلمتان مفردتان والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

(٢)- **سؤال:** ما المراد بـ«بينات من الأمر»؟

الجواب: المراد بذلك أن الله تعالى بين لبني إسرائيل أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمر رسالته وصفاته وآياته وبيناته؛ فلما جاءهم أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي بينه الله تعالى لهم كفروا به بغياً وعدواناً وهم يعلمون أنه الرسول الذي بينه الله تعالى لهم وتحققوه ولم يشكوا فيه، وكانوا من قبل مجيئه صلى الله عليه وآله وسلم مؤمنين به ومصدقين له جميعاً لا خلاف بينهم في ذلك، ثم لما جاءهم اختلفوا.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ ثم إنهم بعد ذلك تفرقوا واختلفوا فيما بينهم، وعصوا وتمردوا واستكبروا في الأرض، وكذبوا بالدين الحق الذي أمروا باتباعه ولم يؤمن به إلا القليل منهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴿١٧﴾﴾ ولكن مرجعهم إلى الله تعالى وسيبعثهم إليه يوم القيامة ثم يحكم بينهم فيثيب من تمسك منهم بالحق وثبت عليه، ويعاقب من مال وخرج عن طريقه في نار جهنم.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾[١] ثم بعد أن اختلفوا وتفرقوا فيما بينهم رفع الله سبحانه وتعالى عنهم ذلك التفضيل وأذلهم وأخزاهم[٢]، وجعل نبوته ورسالته في غيرهم، فاصطفى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لنبوته ولتبليغ رسالته.

﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ[٣]﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ[٤] مِنَ

---

(١)- **سؤال:** ما الذي تفيده «على» في قوله: «على شريعة»؟ وما المراد بالأمر في قوله: «من الأمر»؟

الجواب: «على» تفيد ظهور حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وارتفاعها وقوتها، والأمر: هو الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢)- **سؤال:** من أين نستوحي هذا؟

الجواب: استوحي ذلك من رفع الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وإظهار حجته واستعلائه على كل دين فبذلك اندحرت حجة اليهود وظهر بطلانها وانكشف سترهم وكذبهم فلحقهم بسبب ذلك الخزي والهوان.

(٣)- **سؤال:** ما الذي يستفاد من هذه الآية بالنسبة لنا؟

الجواب: الذي يستفاد هو أن الأمن من مخاوف الدنيا والسلامة من المهالك في الدنيا فضلاً عن مخاوف الآخرة هو في التمسك بالهدى ودين الحق، وأن من دخل مع الظالمين أو داهنهم وقاربهم ليأمن على نفسه من المخاوف في الدنيا فإنه إنما أوقع نفسه في المخاوف والمهالك، وأن الظالمين لا يدفعون عنه شيئاً من مخاوف الدنيا والآخرة ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴿١٩﴾﴾.

(٤)- **سؤال:** هل يمكن أن نقول بأن هذا التهديد صريح للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس من باب: «إياك أعني واسمعي يا جارة»؟

الجواب: الظاهر أنه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن الأولى صرفه إلى غيره؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد كان في أعلى درجات اليقين والإيمان، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في أول الإسلام قبل أن يحتك بأهل الكتاب

=

اللَّهِ شَيْئًا﴾ وأمره بأن يسير على هذه الشريعة التي أنزلها عليه، وأن لا يميل مع أحد من المشركين أو أهل الكتاب، أو يسير في طريقهم ودينهم؛ لأنهم إنما يتبعون أهواءهم وما تدعو إليه شهواتهم، وأخبره أنهم لن ينفعوه شيئاً إن هو عصى الله سبحانه وتعالى واتبعهم، ولن يدفعوا عنه شيئاً من عذاب الله تعالى.

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ[1] بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ۝١٩﴾ فاتركهم يا محمد ولا تدخل معهم أو تخض في أحاديثهم وأباطيلهم أو تتبعهم في شيء من أمور دينهم، فهم جميعاً ظالمون عند الله سبحانه وتعالى تعدوا حدوده وخالفوا شرائعه، والله ناصرك ومؤيدك عليهم فاعتصم به.

﴿هَذَا بَصَائِرُ[2] لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ۝٢٠﴾ هذا القرآن الذي أوحيناه إليك جعلناه نوراً وهدى للناس ليهتدوا بهديه ويستضيئوا بنوره إلى طريق سعادتهم في الدنيا والآخرة.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا[3] السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ[4] وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ۝٢١﴾ أيظن أولئك الذين

وقبل أن يشتهر أمره: ((والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)).

(١)- **سؤال:** ما معنى: ولاية الظالمين لبعضهم البعض هنا؟

الجواب: المعنى: مناصرة بعضهم لبعض.

(٢)- **سؤال:** ما نوع المجاز في «بصائر»؟ أم أنها حقيقة؟ وضحوا ذلك.

الجواب: هذا تشبيه بليغ فقد شبه القرآن بالبصائر التي في القلوب.

(٣)- **سؤال:** ما النكتة في التعبير بقوله: «اجترحوا» هنا؟

الجواب: التعبير بذلك ليفيد أنهم تعمدوا فعل السيئات وتكلفوا فعلها، واجترحوا مأخوذة من الجوارح أي: أنهم فعلوها بجوارحهم.

(٤)- **سؤال:** ما إعراب «سواء محياهم»؟ وما يكون على قراءة الرفع «سواءٌ»؟

الجواب: «سواءً» بالنصب حال، وبالرفع «سواءٌ» خبر مقدم، ومحياهم: مبتدأ مؤخر، =

أسرفوا في اقتراف المعاصي والسيئات والمآثم أنهم سواء هم وأولئك الذين قد أفنوا أعمارهم في طاعة الله سبحانه وتعالى والسعي في مرضاته، وحرموا أنفسهم ملذات الدنيا؟ وهل ظنوا أنهم سيموتون وينتهي بموتهم كل شيء، ليس الأمر كما حسبوا وظنوا فلا بد أن يبعثهم الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ثم يجازي المحسنين على إحسانهم والمسيئين على إساءتهم.

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴿٢٢﴾﴾ خلق الله السماوات والأرض لحكمة بالغة، ولأمر عظيم، وليرتب على خلقهما وخلق ما فيهما الجزاء[1] يوم القيامة لكل نفس بما كسبت جزاء عادلاً لا

والجملة كما قال الزمخشري: بدل من المفعول به الثاني «كالذين آمنوا»، وقال غيره: إن الجملة في محل نصب حال.

سؤال: لم يظهر لنا نفي مساواة المؤمنين لأهل السيئات في المحيا، فكيف؟

الجواب: قد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم الفرق فقال في أهل السيئات: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه:١٢٤]، وقال في أهل الإيمان: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧].

سؤال: وهل تصلح هذه الآية رداً على من قال بأن المسلم المقترف للكبائر تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له؟ فكيف؟

الجواب: تصلح هذه الآية للاستدلال على ما ذكرتم، وفيها دليل واضح على ذلك من حيث أنه تعالى استنكر على من يعتقد ويظن أن الله تعالى يساوي بين أهل الأعمال الصالحة والأعمال السيئة، فمن جوز أن يغفر الله تعالى للمسلم المرتكب للكبائر ولم يتب حتى مات فقد جوز أن يساوي الله تعالى بين الذين اجترحوا السيئات وبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذلك مما استنكره الله تعالى في هذه الآية على من اعتقد ذلك.

(١)- **سؤال:** يقال: أليس عطف المجازاة يقتضي أن هناك حكمة أخرى من خلقهما؟ فما هي؟ وعلام عطف قوله: «ولتجزى» نحوياً؟

الجواب: العطف هو من عطف المسبب على السبب فالحكمة من خلق السموات والأرض

=

يظلم أحداً مثقال ذرة.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ انظر يا محمد وتعجب من ذلك الرجل الذي يستجيب لداعي شهواته وهواه إلى ما دعياه، ولا يجيب داعي الله ولا داعي رسوله ولا أي داع يدعوه إلى الحق والهدى، كيف يؤثر طاعة هواه على طاعة ربه[1]؟

تقتضي الجزاء، فالحق يقتضي أن ينتصف الله للمظلوم من ظالمه، وإذا لم يفعل اختلت الحكمة.

وعطف قوله: «ولتجزى» على قوله: «بالحق» من العطف على المعنى الذي يسمى في غير القرآن بالعطف على التوهم.

(١)- **سؤال:** هل يصح أن تحمل الآية على من جعل الإله المعبود على حسب هواه فيوماً تمراً ويوماً حجراً ونحو ذلك؟

الجواب: لا يصح الخروج عن الظاهر مع استقامة المعنى على الظاهر، وهنا المعنى مستقيم وليس هناك دليل يوجب ذلك.

سؤال: لو تكرمتم للمرشدين بضابط في تعريف الهوى فهم يتساءلون عنه؟

الجواب: للنفس طبائع ودواع تدعو الإنسان إلى فعل ما لا ينبغي ولا يجوز، فطبيعة الإنسان تدعوه إلى النساء وتميل به إليهن، وقد جعل الله تعالى للمكلف طريقاً مشروعاً ليصل إلى ما يشبع طبيعته، فإن سلك طريقاً أخرى غير ما شرعها الله لإشباع رغبته فهو ممن اتبع الهوى المذموم، وفي الإنسان طبيعة تدعوه إلى جمع المال واقتنائه، وقد جعل الله تعالى لعباده طرقاً لكسب المال وجمعه كالتجارة والصناعة والزراعة و... إلخ؛ فمن سلك طريقاً غير الطريق التي شرعها الله تعالى كأن يكسب المال عن طريق السرقة والنهب والغش والتطفيف والربا والرشوة وإلى آخر الطرق التي نهى الله عنها فهو ممن اتبع هواه.

وفي الإنسان طبيعة تدعوه إلى طلب الرفعة والعزة فمن طلبها من الطريق التي شرعها الله تعالى فلا حرج بل يثاب ويؤجر، والطريق هي الإيمان والتقوى والتواضع ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، وفي الأثر: ((التواضع من مصائد الشرف)).

ومن طلب ذلك عن غير الطرق المشروعة كأن يطلبها عن طريق التكبر والعجب والظلم والفخر والكذب ونحو ذلك مما نهى الله عنه فهو ممن اتبع هواه.

=

﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾
فقد حكم الله سبحانه وتعالى عليه بأنه من أهل الضلال، لا يسمع داعي الهدى لشدة تمرده وانهماكه في هوى نفسه ولا ترى عيناه طريق الرشد، ولا تنفذ إلى قلبه الهداية لما هو فيه من الهوى والكبر والتعظم، وليس هناك حائل يمنع من سماع الهدى ومن رؤية طريقه، ولا غلاف على القلب يمنع من وصول آيات الله إليه، فقد كان المشركون بما فيهم صاحب هذه الآية ذوي أسماع وأبصار وعقول يسمعون ما يقال لهم ويرون بعيونهم آيات الله المبثوثة في السماوات والأرض، ويعون بعقولهم ما يقال لهم إلا أن حبهم لمتاع الدنيا وشهواتها والتكبر فيها والترفع والظلم وأكل الحرام، و...إلخ يصرفهم[1] عن قبول الحق والاستجابة لداعي الهدى فهذا هو الحائل الذي حال بينهم وبين الهدى.

ونسبة الختم والطبع والغشاوة إلى الله لأنه جل وعلا هو الذي خلق في الإنسان طبيعة الرغبة والشهوة والميول إلى ما تهوى النفس، وهذه الطبائع هي السبب[2] حصول إعراض المشركين عن الاستجابة لداعي الله، فالله تعالى هو فاعل السبب

وليس من اتباع الهوى أن يشبع المكلف هوى نفسه من الطرق المشروعة ولو كان ما طلبه فوق حاجته، ومن طلبها من غير الطرق التي شرعها الله وأحلها فهو ممن اتبع هوى نفسه.

(١)- **سؤال:** من فضلكم هل يناسب هذا الحكم عليه بالضلال؟ أم أنه بمعنى الخذلان وسلبه التوفيق؟

الجواب: المناسبة واضحة لأنهم لما ضلوا بسبب حبهم للدنيا وحبهم للترفع والظلم و.. إلخ حكم الله عليهم بالضلال، ويصح أن يكون الضلال هنا بمعنى الخذلان وسلب التوفيق.

(٢)- **سؤال:** قد يقال: وما الحكمة في فعل الله لها مع أنها سبب في إعراضهم ومعاصيهم؟

الجواب: لا يتم التكليف والاختبار إلا بهذه الطبائع، فمن أطاع الله واستجاب لأمره استحق الثواب، ومن أطاع دواعي نفسه وما تدعو إليه طبائعه استحق العقاب ولو لم توجد في المكلف تلك الطبائع لما تم التكليف ولما تبين المطيع من العاصي.

فصح نسبة الغشاوة والطبع إليه، والمشركون هم الذين أعرضوا عن الهدى وسماعه وقبوله.

﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ(١) اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ من الذي يستطيع أن يهديه من بعد أن أعطاه الله الآيات والبينات وأرسل إليه الرسل فرفضها وتمرد عنها، فمن سيهديه بعد كل هذا؟ ومن الذي يستطيع أن يسلكَه في نظام المهتدين؟

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ(٢) وَنَحْيَا(٣) وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ كان المشركون ينكرون البعث بعد الموت والحياة الآخرة، ويدَّعون أنهم إذا ماتوا فقد انقطع بموتهم كل شيء، فلا حساب ولا عقاب، وينكرون أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يميتهم ويدَّعون أن الدهر هو الذي يفني الإنسان(٤)، كانوا يقولون كل ذلك عن غير حجة أو دليل.

---

(١)- **سؤال:** هل هنا مضاف محذوف أم كيف؟

الجواب: نعم هناك مضاف محذوف أي: من بعد هداية الله.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «حياتنا الدنيا»؟ وما محل جملة: «نموت ونحيا»؟ أم لا محل لها؟

الجواب: «حياتنا» خبر «هي»، و«الدنيا» صفة، «نموت ونحيا» لا محل لها من الإعراب؛ لأنها في جواب سؤال مقدر أي: أنها مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٣)- **سؤال:** إن قلنا بأن الواو لا تفيد الترتيب فما قولنا في تقديم حكايتهم للموت على الحياة أفلا يدل على تقدمه على الحياة عندهم أم في ذلك نكتة فما هي؟ وما وجهها؟

الجواب: قوله «نموت ونحيا» كالتفسير لقوله: «ما هي إلا حياتنا الدنيا» أي: ما هي الحياة الدنيا إلا موت أناس وحياة آخرين وليس وراء ذلك بعث وحساب، فهذا وجه من الأوجه التي ذكرت في تفسير هذه الآية وهو وجه حسن؛ إذ أن حياة الآخرين تكون بعد موت الأولين، وهكذا الحياة في الدنيا فإنها جارية على هذا في الواقع، فالواو في هذا الموضع للترتيب.

(٤)- **سؤال:** من فضلكم ما المراد بنسبتهم الهلاك إلى الدهر؟ هل مرور الزمان أم الحوادث فيه؟ وهل هذا مذهب المشركين كافة؟ وهل الدهرية هم هؤلاء؟ وما أبرز عقائدهم؟

=

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝٢٥﴾[١] وإذا تلا عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القرآن وحذرهم وأنذرهم فإنهم يجادلونه ويطلبون منه -إن كان صادقاً فيما يزعم ويدعي من البعث والحساب- أن يبعث لهم آباءهم وأجدادهم، وأن يريهم ذلك أمام أعينهم حتى يصدقوه.

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى[٢] يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ۝٢٦﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يقول لهم إن الأمر ليس كما يظنون ويتوهمون، بل الله تعالى هو الذي يحييهم ويوجدهم من بعد العدم، وهو الذي سيميتهم ثم يحيهم بعد ذلك للحساب

الجواب: المراد أن مرور الزمان هو الذي يهلكهم فيعتقدون أن الزمان ومروره هو الذي يؤثر في ضعف البدن شيئاً فشيئاً إلى أن يموت، والآية نزلت في مشركي قريش، ولعل سائر المشركين العرب يقولون بمثل مقالة قريش، وهؤلاء المشركين الذين حكى الله تعالى عنهم قوله: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ هم الدهرية هم ومن يقول بمثل مقالتهم.

وأبرز عقائدهم القول بقدم العالم وقدم الدهر وتدبيره للعالم وتأثيره فيه، وأنه ما أبلى الدهر شيئاً إلا أحدث شيئاً آخر.. إلخ. ذكر ذلك نشوان الحميري في كتابه الحور العين.

(١)- **سؤال:** هل يؤخذ من هذه الآية أنه يصح الاستدلال على البعث والنشور بآيات القرآن؟ وما محل المصدر: «أن قالوا»؟

الجواب: قد قامت حجة الله تعالى على المشركين بما أظهره الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وصدقه فيما جاءهم به من عند الله؛ لذلك لا يكفي في الاستدلال على البعث والنشور بآية من القرآن إلا مع قيام الحجة على صحة نبوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وصدقه فيما جاء به من القرآن. «أن قالوا» في موضع رفع اسم كان مؤخر.

(٢)- **سؤال:** هل حرف الجر «إلى» على بابها في قوله: «إلى يوم القيامة»؟ أم لا فما معناها؟

الجواب: «إلى» على بابها، و«يجمعكم» مضمن معنى فعل يتعدى بـ«إلى»: يسوقكم أو يحشركم أو نحوهما مما يتعدى بـ«إلى».

والجزاء في يوم القيامة، وأن يخبرهم أن ذلك اليوم لا بد أن يقع لا محالة.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ[(١)] السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ۝٢٧﴾ أمر السماوات والأرض بيده تعالى، والموت والحياة إليه وحده، فإذا كان يوم القيامة فإنكم أيها المنكرون سترون ما كنتم به تكذبون من البعث والحساب وعذاب جهنم؟

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً[(٢)] كُلُّ أُمَّةٍ[(٣)] تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۝٢٨﴾ وذلك يوم القيامة عندما يبعث الله سبحانه وتعالى الخلق جميعاً إليه للحساب والجزاء فإن كل أمة ستجتمع جاثية على ركبها من شدة الهول والفزع، منتظرين ومترقبين لما يحل بهم؛ وستدعى كل أمة إلى كتابها الذي أنزله الله سبحانه وتعالى إليها فيدعى أهل القرآن ويدعى أهل التوراة و...إلخ، وقد يكون تفسير

---

(١)- **سؤال:** ما العامل النصب في «يوم تقوم»؟ وهل قوله: «يومئذ» تكرير له أم ماذا؟

الجواب: العامل فيه «يخسر»، و«يومئذ» تكرير أي: بدل.

(٢)- **سؤال:** يقال: ظاهر «كل أمة جاثية» يدل على حصول الجثو من شدة الفزع حتى من المؤمنين، ويشهد لذلك الخبر الصحيح في مجموع الإمام زيد بن علي عليهما السلام: ((فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه من صيحتها))، فكيف مع مدلول قوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء:١٠٣]؟

الجواب: يلزم الجمع بين الآية والخبر وذلك: بأن يكون جثو الملائكة والمرسلين جثو هيبة لعظمة الله وعظمة الموقف من غير فزع يلحقهم ولا خوف يداخلهم؛ لأن صرائح القرآن تنفي عنهم الفزع: ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ۝٨٩﴾ [النمل]، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء:١٠٣]، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ۝٦٢﴾ [يونس]، ونحوها من الآيات.

(٣)- **سؤال:** ما السر في رفع «كل أمة تدعى»؟ وكان يمكن نصبه؟

الجواب: قد قرئ بالنصب أيضاً كما في الكشاف أي: على البدل، وقراءة الرفع على الابتداء، والسر في الرفع مع إمكان النصب على البدلية –والله أعلم– أن الاستئناف أبلغ، وذلك من حيث أنه يدل على الإخبار عن موقف عظيم آخر غير الموقف الأول.

«كتابها» بصحاف أعمالها أولى ليوافق قوله : ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ...﴾ الآية، وقد فسرت بالوجهين.

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ[1] بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۝٢٩﴾[2] ثم يخبرهم الله سبحانه وتعالى بأن صحيفة أعمال كل امرئ معروضة فيها أعمال كل مكلف من عباده مسجلة، فلا سبيل إلى الإنكار.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ۝٣٠ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي[3] تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ۝٣١﴾ ثم يحكم الله سبحانه وتعالى بين عباده ويفصل بينهم، فيدخل أهل الأعمال الصالحة في ضيافته ودار كرامته يأكلون ويتمتعون، وأما الذين كفروا بالله تعالى وكذبوا بكتابه ورسله وأعرضوا عن آياته استكبارا وتمردا فسيسوقهم إلى الخزي والذلة والعذاب في نار جهنم وبئس المصير.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما نوع المجازية في قوله: «ينطق عليكم»؟

الجواب: في ذلك وجهان:

١ - استعارة بالكناية حيث شبه الكتاب بشاهد يدلي بشهادته تشبيهاً مضمراً في النفس ودل على ذلك بذكر النطق الذي هو من لوازم المشبه به.

٢ - استعارة تبعية في الفعل «ينطق» حيث شبه الدلالة بالنطق لقوة دلالتها.

(٢)- **سؤال:** هل هذه الآية دليل قوي على وقوع التسجيل في صحيفة حقيقة؟

الجواب: نعم فيها دليل على وقوع التسجيل في صحيفة يقرأها صاحبها يوم القيامة.

(٣)- **سؤال:** ما المراد بالاستفهام: «أفلم تكن آياتي..»؟ وكيف جاء خبراً عن الذين كفروا؟

الجواب: المراد بالاستفهام التوبيخ للمخاطبين. وصح وقوعه خبراً؛ لأن التقدير: يقال لهم، فالاستفهام مقول لهذا القول المقدر الذي هو الخبر في الحقيقة.

إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا[١] وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴿٣٢﴾﴾[٢] يذكر الله تعالى يوم القيامة لأهل النار الأعمال التي أوجبت لهم عذاب جهنم فذكر تعالى أنهم كانوا يكذبون بآيات الله استكباراً، وكانوا قوماً مجرمين، وكانوا يكذبون بما وعد الله من الساعة والبعث والجزاء.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴿٣٣﴾﴾ فعندها ستنكشف لهم أعمالهم السيئة تلك التي كانوا يقترفونها في الدنيا وسيقعون في سعير جهنم الذي كذبوا به. ومعنى «وحاق بهم» : أحاط بهم العذاب الذي استهزأوا بوقوعه.

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في عدم عطف «الساعة» على اسم «إن»: «وعد الله»؟ وما هو الوجه في فصل جملة «إن نظن..» عن سابقتها؟ ووصلها بما بعدها رغم أنها اسمية والسابقة فعلية؟

الجواب: الذي يظهر لي –والله أعلم– أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يقول للمشركين: لا ريب في الساعة من غير تأكيد بدليل: ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران:٢٥]، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء:٨٧]، ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الإسراء:٩٩]، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج:٧]، ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى:٧]، ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الجاثية:٢٦].

ويتلو عليهم: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بتأكيده بـ«إن» بدليل: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهَّ حَقٌّ﴾ [فاطر:٥]، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهَّ حَقٌّ﴾ [غافر:٥٥]، ﴿هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهَّ حَقٌّ﴾ [لقمان:٣٣]، ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهَّ حَقٌّ﴾ [الأحقاف:١٧]، فحكى الله تعالى ذلك كما ورد في القرآن، فهذا هو الوجه فيما سألتم عنه.

وفصلت جملة: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ عن سابقتها لأنها كالتأكيد لما قبلها؛ لأن الجملتين يدلان على معنى واحد. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴿٣٢﴾﴾ الواو اعتراضية والجملة معترضة لتأكيد الكلام السابق.

(٢)- **سؤال:** يقال: إذا كانوا يظنون وقوع القيامة وما فيها فقد شرعوا في الطريق فلم يبق إلا حصول اليقين، فكيف يذكر ذلك في سبب استحقاقهم للعذاب؟

يقال في الجواب: المراد بالظن هنا الشك أو الوهم بدليل قوله: ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: إلا ظناً قليلاً أو حقيراً لا يركن إليه ولا يعتمد عليه، ولا يعتمد إلا على الظن القوي أو اليقين.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ[1] نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ۝٣٤﴾ وسيصرخون ويستغيثون طلباً للعودة لتعويض ما قد فرطوا على أنفسهم في الدنيا، ولكنه سيجاب عليهم بأنه لا حظ لكم أيها المكذبون ولا نصيب في شيء من رحمة الله سبحانه وتعالى ولا مخرج لكم ولا نصير ولا شفيع.

ومعنى ﴿نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: سنترككم كما تركتم العمل لهذا اليوم وكذبتم بلقاء ربكم.

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ وهذا العذاب الذي سنترككم فيه إنما هو بسبب جعلكم لآيات الله سبحانه وتعالى وحججه وأنبيائه محل هزؤكم وسخريتكم، وبسبب اغتراركم بالدنيا وسعيكم وراء شهواتها ولذاتها، واختياركم لمتاع الدنيا الفاني على ثواب الآخرة الباقي.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ۝٣٥﴾[2] فقد انقطع الأمل والرجاء في ذلك اليوم، ولن ينفعهم فيه أي عذر أو توبة.

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ[3] السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٣٦ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ

---

(١)- **سؤال:** فضلاً علام نصب قوله: «اليوم»؟

الجواب: نصب على أنه ظرف للفعل الذي بعده «ننساكم».

(٢)-**سؤال:** ما إعراب «فاليوم»؟ وعلام عطفت جملة: «ولا هم يستعتبون»؟

الجواب: «اليوم» ظرف للفعل الذي بعده، «ولا هم يستعتبون» معطوفة على قوله: «لا يخرجون منها».

سؤال: من فضلكم فصلوا لنا القول في «يستعتبون» من حيث أصل الكلمة، ومعنى السين فيها، وكونه مغير صيغة، واسمحونا إن كان السؤال قد سبق؟

الجواب: الأصل «عَتَبَ» وبابه نصَر وطرِب، يعتب عَتَباً وعَتْباً، عتب عليه بمعنى: وجِد عليه وغضب عليه مع الإذلال، ولا زلنا نستعمل هذا اللفظ إلى اليوم. وأعتبه بمعنى: سرَّه، واستعتبه بمعنى: استرضاه، أي: طلب رضاه. اهـ من المختار.

(٣)- **سؤال:** ما معنى الفاء في قوله: «فلله»؟ وهل قوله: «رب» صفة للفظ الجلالة؟

=

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴿٣٧﴾ فهو تعالى وحده المختص بأن يحمد على نعمه التي ملأت السماوات والأرض وهو المالك للسماوات والأرض وما فيهما، وهو وحده المختص بالعظمة والكبرياء والجلال في السماوات والأرض، وهو القوي الغالب على كل شيء بقدرته، لا يشاركه أحد ولا يغالبه أحد، وهو وحده الذي لا تصدر كل أفعاله إلا على حسب ما تقتضيه الحكمة وتدعو إليه المصلحة.



الجواب: الفاء هي الفصيحة كما يظهر لي –والله أعلم– أي: أنها في جواب شرط مقدر تقديره: إن أبيتم إلا الشرك وعبادة غير الله فلله الحمد، أي: فالله وحده المختص بالحمد؛ لأنه المالك للسموات والأرض وما فيهما، وله القوة والسلطان فيهما و...إلخ.

سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حم۝١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ۝٢﴾ القرآن: هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أنزله الله القوي الغالب على ما تقتضيه حكمته، ولو نظرتم أيها المشركون في آيات الكتاب العظيم لعلمتم أنه منزل من الله العزيز الحكيم لا كما تقولون وتفترون من أنه قول شاعر أو مجنون أو أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تعلمه من بشر أو أنه أساطير الأولين اكتتبها.

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا[1] أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ۝٣﴾ كان المشركون ينكرون البعث بعد الموت والحساب والجزاء أشد الإنكار، والله سبحانه وتعالى يستنكر عليهم إنكارهم، ويحذرهم يوم القيامة، ويذكرهم به في كل وقت وحين، لشدة غفلتهم وإعراضهم عنه؛ فأمرهم هنا أن ينظروا ويتفكروا في خلق السماوات والأرض والغرض من خلقهما، وأخبرهم[2] أنه لو كان الأمر كما يقولون إذاً لكان خلقه للسماوات والأرض وما بينهما باطلاً؛ لخلوه عن المصلحة والحكمة، ولكان الله تعالى عابثاً، ولَوُصِفَ الله

---

(١)- **سؤال:** ما الذي تفيده «ما» هنا من معنى؟ وهل تتصل بـ«عن» أو تنفصل عنها على الوجه الوجيه في قواعد الكتابة؟

الجواب: «ما» هنا تفيد التهويل والتعظيم لما فيها من الإبهام. وتتصل «ما» بـ«عن» سواء أكانت موصولة أم مصدرية أم زائدة أم استفهامية في الكتابة، هذا هو الوجه الوجيه، وقد كان القياس أن تفصل «ما» لأنها كلمة مستقلة، و«عن» كلمة مستقلة.

(٢)- **سؤال:** من أين نفهم هذا؟

الجواب: فهم مضمون قولهم من قوله: «معرضون» أي: أنهم معرضون عن آيات السموات والأرض وما بينهما التي تدل على أن وعد الله حق، وفهم نفي الباطل والعبث في خلقهما وما بينهما من الحصر في قوله: «إلا بالحق».

سبحانه وتعالىٰ أيضاً بالظلم لحصول التظالم والعدوان والبغي من غير أن ينتصف الله للمظلوم من ظالمه، فيلزم لذلك علىٰ مقتضىٰ الحكمة أن يَعْقُبَ حياةَ الدنيا حياةٌ أخرىٰ يجازىٰ فيها الناس علىٰ أعمالهم إلا أن المشركين معرضون عما أنذروا.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾[1] أخبروني أيها المشركون ماذا خلقت آلهتكم التي تعبدونها من دون الله؟ وحقاً فإنهم يعلمون أن أصنامهم لم تخلق شيئاً في الأرض ولا في السماء. أراد الله تعالىٰ أن ينبه المشركين إلىٰ أن آلهتهم لا تستحق العبادة.

﴿أَمْ[2] لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝٤﴾ وهل لآلهتكم أيها المشركون نصيب في ملك السماوات حتىٰ جعلتموهم شركاء لله في الإلهية وعبدتموهم فهاتوا دليلاً علىٰ شرككم من كتب الله السابقة أو عن نبي من أنبيائه السالفين. ومعنىٰ «أثارة من علم» : بقية من علم.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ۝٥﴾[3] ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أنه لا أحد أضل من هؤلاء القوم الذين يعبدون أصناماً لا تستطيع أن تسمع أو تستجيب لنداء

---

(١)- **سؤال:** ما يكون إعراب: «ما تدعون» و«أروني»؟ وهل هو بدل من «أرأيتم»؟ وما معنىٰ «من» في قوله: «من الأرض»؟

الجواب: «ما» اسم موصول مفعول به أول لأرأيتم. «تدعون» صلة الموصول والعائد محذوف أي: تدعونه، «أروني» بدل من «أرأيتم» أو معترض. «ماذا خلقوا..» في محل نصب المفعول الثاني، و«من» لبيان الجنس المبهم في «ماذا».

(٢)- **سؤال:** ما هو التحقيق في معنىٰ «أم» هنا؟

الجواب: «أم» هنا بمعنىٰ «بل والهمزة» والتقدير: بل ألهم شرك.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما محل جملة «هم عن دعائهم غافلون»؟

الجواب: في محل نصب حال من فاعل «يستجيب».

من يناديها إلى يوم القيامة.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝٦﴾ إذا كان يوم القيامة فإن عيسى والملائكة عليهم السلام سينكرون على المشركين عبادتهم لهم، وسينكرون أنهم كانوا يأمرونهم أو يدعونهم إلى عبادتهم، وسينفون أي صلة لهم بهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ[1] قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾[2] فإذا تلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المشركين آيات الله سبحانه وتعالى وحججه الواضحة فإنهم يجيبون عليه بأن ما سمعوه منه من الآيات إنما هو كلام ساحر قد تمرن على السحر وتمكن فيه، وكانوا يقولون عنه بأنه افتراه على الله سبحانه وتعالى.

﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ فأمره الله سبحانه وتعالى أن يجيبهم بأنه إن كان الأمر كما يقولون ويزعمون عليه فهو الذي سيلقى جزاء كذبه وافترائه وحده، ولن يستطيعوا أن يدفعوا عنه شيئاً من عذاب الله تعالى إن كان كما يقولون.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب «بينات»؟ وهل اللام في قوله: «للحق» على بابها أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: «بينات» حال من «آياتنا» واللام في «للحق» للتعليل أي: لأجل الحق وفي شأنه، فهي على باب من أبوابها.

(٢)- **سؤال:** ما فائدة الإتيان بـ«أم» في قوله: «أم يقولون افتراه»؟ وهل «يقولون» معطوف على الفعل الماضي «قالوا»؟

الجواب: فائدتها هنا الإضراب عن الإخبار بما قبلها والانتقال إلى ذكر ما هو أشنع وأنكر. و«يقولون» معطوف على «قالوا»، وصح العطف مع تخالف الجملتين خبراً وإنشاءً لأنه لا يشترط فيها إلا أن المعطوف بها جملة على جملة فلا تعطف المفردات، وقولهم: «إنها لإبل أم شاء» قدروا: بل أهي شاء.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ[(١)]﴾ وأن يخبرهم بأن الله سبحانه وتعالىٰ عالم بما يخوضون فيه من الحديث فيما بينهم من التكذيب والاستهزاء بكلام الله تعالىٰ والصد عن سبيله، وسيجازيهم علىٰ ذلك.

﴿كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[(٢)] وأنه يكفيني شهادة الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ تبليغي إياكم ورفضكم وتكذيبكم بدعوتي وبما جئتكم به.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴿٨﴾﴾ وأن يخبرهم بأن الله سبحانه وتعالىٰ سيجازيهم علىٰ كل ذلك؛ غير أن من صفته أنه غفور رحيم لا يعجل بأخذه وانتقامه بل من رحمته أن يمهلهم ويتأنىٰ بهم.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا[(٣)] مِنَ الرُّسُلِ﴾ وأمره أيضاً أن يخبرهم بأنه ليس النبي

---

(١)- **سؤال:** فضلاً هل لهذه الجملة محل أم لا؟ ولماذا؟ ومِمَّ أخذت كلمة «تفيضون»؟ وما أصل اشتقاقها بما يناسب معناها؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها تعليل لما قبلها أي: في جواب سؤال مقدر.

و«تفيضون» مأخوذة من أفاض إفاضة والإفاضة هي الاندفاع في العمل علىٰ جهة الانبساط يقال: أفاض القوم في الحديث إذا اندفعوا فيه، وقد أفاضوا من عرفة إذا اندفعوا منها، أفاد ذلك الرازي في تفسيره.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في فصل جملة «كفىٰ به شهيداً» عن سابقتها؟ ووصل «هو الغفور الرحيم»؟

الجواب: اقتضىٰ قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ سؤالين:

١- وماذا يكون إذا علم الله؟

٢- إذا علم فلماذا لم يؤاخذهم؟

فاقتضىٰ ذلك فصل «كفىٰ بالله..» ووصل «وهو العفور الرحيم» بما قبلها؛ لأن السؤالين جمع بين الجملتين.

(٣)- **سؤال:** ما نوع اسمية «بدعاً»؟ وممَّ أخذت؟

الجواب: قالوا في «بدعاً» إنه بمعنىٰ بديع كـ«خِف» بمعنىٰ خفيف، وبَدعاً بفتح الباء مصدر بدع، و«بدعاً» مأخوذة من بدع بفتح الدال، والله أعلم.

الوحيد الذي أرسله الله سبحانه وتعالىٰ حتىٰ يستنكروا عليه ذلك الاستنكار فكثير من الأنبياء الذين يعرفونهم قد أرسلهم الله سبحانه وتعالىٰ قبله، وكان المشركون يعرفون أسماء كثير من الأنبياء الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالىٰ كموسىٰ وعيسىٰ وإبراهيم ويوسف وغيرهم.

﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىَّ﴾[١] وأن يخبرهم بأن أمره وأمرهم جميعاً إلىٰ الله تعالىٰ، وأن مرجعهم جميعاً إليه، وأنه وحده العالم بموعد أخذهم وتعذيبهم، وأنه لا يعلم الغيب وما سيكون في الغد إلا الله سبحانه وتعالىٰ وحده، وأن يخبرهم أيضاً بأنه ليس إلا بشراً مثلهم قد أرسله الله سبحانه وتعالىٰ ليبلغهم ما أوحىٰ به إليه من القرآن والهدىٰ.

﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝٩﴾ وأن يخبرهم أنه ليس إلا رسولاً أرسله الله تعالىٰ إليهم لينذرهم ويحذرهم من الوقوع في العذاب والهلاك؛ حتىٰ لا يحتجوا يوم القيامة فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ[٢] فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٠﴾ ثم أمر الله

---

(١)- **سؤال:** يقال: كيف ساغ للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يخبرهم بأنه لا يدري ما يفعل به ولا بهم مع علمه بأن مصيره إلىٰ الجنة ومصيرهم إلىٰ النار إن استمروا علىٰ كفرهم؟

الجواب: المراد أنه لا يعلم الغيب بما يصير إليه في الدنيا وبما يصيرون إليه في الدنيا، فلم يكن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عالماً بما يلحقه من المحن والمخاوف والأذىٰ والجروح وقتل أصحابه بالتفصيل و..إلخ، ولا بما يلحق المشركين بالتفصيل، والذي يعلمه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو ما كان يوحيه إليه ربه من الوعد بالنصر والظفر كقوله تعالىٰ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر]، ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾ [البقرة]، ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران]، فقوله: «لعلكم تفلحون» وعد بالنصر والظفر. ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝٥١﴾ [غافر]، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [الحج]، ونحو هذه الآيات.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في الإتيان هنا بـ«إن» التي تفيد الشك؟ وما وجه قوله: «علىٰ مثله» دون أن يقول: عليه؟ وهل يشير بذلك إلىٰ عبدالله بن سلام كما يقال؟ أم أنها في حيّز الفرض فقط؟

=

سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أن يجادل المشركين ويسألهم علىٰ سبيل الفرض والتقدير: إذا صح أن هذا القرآن حق وصدق، وأنه من عند الله تعالىٰ ثم إنكم كفرتم به، بعد أن قد أتىٰ شاهد من بني إسرائيل فآمن به، وشهد علىٰ صدقه، ثم إنكم بعد كل هذا أعرضتم واستكبرتم عن اتباعه والإيمان به؛ فمن سيكون الخاسر إذا كان من عند الله؟ أذلك الذي آمن به؟ أم من كفر به؟

فالمفترض بكل عاقل –ما دامت الاحتمالات هذه واردة– أن يحتاط لنفسه، وأن يأخذ لنفسه بأحوط الأمور التي تقربه إلىٰ طريق السلامة والنجاة، ولكنكم أيها المشركون قد تماديتم في المعاصي والسيئات حتىٰ أعمت الجهالات قلوبكم وأبصاركم، وأصبحتم لا تفرقون ولا تميزون بين الأشياء المعقولة ولا المحسوسة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا[١] إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ

الجواب: جيء بـ«إن» التي تفيد الشك هنا نظراً لما عليه المخاطبون من الشك في كون القرآن من عند الله.

وقوله «علىٰ مثله» أي: علىٰ ما يصدقه من التوراة كأن يقول الشاهد: أشهد أن الله تعالىٰ أنزل مثل هذه الآيات ومثل هذه القصص ومثل هذه المواعظ في التوراة.

وقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ محتمل للأمرين اللذين ذكرتم، فإن جعلت الواو للحال أي: وقد شهد شاهد كانت الآية إشارة إلىٰ عبدالله بن سلام أو إلىٰ واحد ممن كان قد أسلم من اليهود، وإن جعلت الواو عاطفة علىٰ «كان» فالشهادة في حيز الفرض.

سؤال: هل هناك سر وحكمة في حذف جواب الشرط هنا «إن كان..» فما هو؟

الجواب: يختلف السر والنكتة في حذف جواب الشرط من موضع لآخر، فهنا السر في حذفه هو العلم به مع ما فيه من الإيجاز.

(١)- **سؤال:** ما الوجه في تغيير الضمير من الخطاب إلىٰ الغيبة؟

الجواب: الوجه هو احتقار المشركين للمؤمنين فمن شدة كبرهم وترفعهم عدلوا عن الخطاب إلىٰ الغيبة مع ما في الالتفات من تطرية نشاط السامع واستفتاح أذنيه ليصغي إلىٰ الكلام.

يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ[(١)] هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴿١١﴾ كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بأن هذا الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كان حقاً وصدقاً كما يزعمون لما سبقهم إليه أولئك الضعفاء والأراذل، فكفروا بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذبوا به، وقالوا: إن القرآن كذب افتراه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وادعى أنه من عند الله وما هو إلا حكايات قديمة.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴿١٢﴾﴾[(٢)] ثم رد الله سبحانه وتعالى عليهم بأن هذا الدين الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الدين الحق، وأن هذا القرآن الذي أنزله الله عليه هو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أنزله مصدقاً لما سبقه من التوراة التي أنزلها على موسى رحمة وهدى للناس ليهتدوا بها ويستضيئوا بنورها، وأنه أنزله بلغتهم ولسانهم حتى يفهموا معانيه ويتدبروا آياته وحججه، وما فيه من التبشير والإنذار والوعد والوعيد، فلا يكون لهم أي عذر في عدم معرفة آياته وأحكامه. ومعنى «إماماً»: قدوة يأتم بها أهل التوراة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[(٣)]﴿١٣﴾

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «وإذ لم يهتدوا به»؟ وما الوجه في دخول الفاء في قوله: «فسيقولون»؟

الجواب: أعربوا «إذ» ظرفاً للزمن الماضي متعلقاً بفعل محذوف تقديره: ظهر عنادهم إذ لم يهتدوا به. «فسيقولون» معطوف على ظهور عنادهم المقدر لأنه مسبب عنه أي: أن الفاء سببية عاطفة، ولم يجز أن يتعلق الظرف «إذ» بقوله: «فسيقولون» لاختلاف الزمانين في المضي والاستقبال.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «إماماً» «لساناً» «عربياً»؟ وعلام عطف قوله: «وبشرى»؟

الجواب: «إماماً» حال من ضمير المستقر في الجار والمجرور. «لساناً» حال من فاعل مصدق المستتر. «عربياً» نعت لـ«لساناً»، و«بشرى» معطوف على «لينذر».

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما السر في استخدام حرف العطف «ثم» في قوله: «ثم استقاموا»؟ وهل الفاء في قوله: «فلا خوف» هي الفاء المزيدة في الخبر الذي يستعملها الإمام الهادي عليه السلام كثيراً في كلامه؟

الجواب: السر في استعمال «ثم» هنا هو التنبيه على أن الاستقامة على الدين والتزام التقوى أعظم وأشق وأكبر من قول الداخل في الإسلام: ربنا الله، أو لا إله إلا الله. والفاء هي التي يستعملها

=

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ[(١)] فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿١٤﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله بلسانه ثم استقام على السمع والطاعة لله تعالى فيما أمر ونهى فهو من أهل رحمة الله تعالى والفوز برضوانه، ولا يلحقه خوف ولا حزن يوم الفزع الأكبر يوم القيامة وسيدخله الله تعالى جنات النعيم خالداً فيها مخلداً جزاءً على إيمانه واستقامته على طاعة الله وامتثال أمره.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا[(٢)] حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا[(٣)] وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ثم انتقل الله سبحانه وتعالى إلى التوصية بالوالدين والإحسان إليهما لما لهما من الحق الكبير على الولد، فما أشد ما لقيت أمه من التعب والمشقة والعناء في حمله في بطنها، ثم -بعد أتعاب آلام الحمل- ما لاقت من أتعاب الولادة وآلامها وعنائها، ثم ما قد لاقت من التعب والعناء في إرضاعه والسهر عليه فقد خصها الله سبحانه وتعالى بالذكر وجعل لها مزية على الأب؛ لأن تعبها أكثر من تعب الأب.

الإمام الهادي كثيراً في الخبر على الإطلاق سواء أكان في المبتدأ معنى الشرط أم لا. والفاء الداخلة هنا هي داخلة على الخبر لما في اسم «إن» من معنى الشرط.

(١)- **سؤال:** أين صاحب الحال هنا «خالدين»؟ وعلام نصب قوله «جزاءً»؟

الجواب: صاحب الحال هو أصحاب الجنة والعامل اسم الإشارة لما فيه من رائحة الفعل. «جزاءً» مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: يجزون جزاءً.

(٢)- **سؤال:** ما العامل في هذا المصدر؟ وما موضع هذا العامل؟

الجواب: «إحساناً» منصوب بفعل مقدر أي: أن يحسن إليهما إحساناً، وموضع العامل الجر على البدلية من «بوالديه».

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «كرهاً»؟ وما نوع اسميتها؟ وما وجه عطف الجملة الاسمية «وحمله وفصاله» على الفعلية إن كانت الواو عاطفة؟

الجواب: «كرهاً» منصوب على الحال أي: ذات كره، وكرهاً مصدر كَرِهَ كَرْهاً، «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً» في محل نصب حال. فالواو في قوله: «وحمله ...» حالية وليست عاطفة.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن مدة حمله وفطامه ثلاثون شهراً من العناء والتعب والمشقة مما يوجب على الولد البر بهما والإحسان إليهما، وعدم إظهار أي شيء من علامات التأفف والتضجر منهما.

﴿حَتَّىٰ(١) إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي(٢) أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ(٣) وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي(٤) إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴿١٥﴾﴾ وبعد كل ذلك أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن الإنسان المؤمن بأن من شأنه إذا بلغ عمره أربعين سنة أن يرجع إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وأن يتوسل إليه في أن يعينه علىٰ أداء شكر نعمه عليه، وعلىٰ أداء ما

---

(١)- **سؤال:** هل لـ«حتىٰ» عمل هنا أم لا؟ وما معناها؟ وما مناسبة الربط بين صفة هذا المؤمن والتوصية بالوالدين التي قبل «حتىٰ»؟

الجواب: لا عمل لحتىٰ هنا لدخولها علىٰ «إذا»، وهي للغاية أي: وعاش ذلك المولود الذي حملته أمه كرهاً حتىٰ إذا بلغ أربعين سنة قال رب أوزعني. أي: أن من شأن المؤمن أن يلتزم بوصية الله في والديه إلىٰ أن يبلغ أربعين سنة، وعند الأربعين يكون والداه قد ماتا غالباً فيسأل الله تعالىٰ أن يوزعه شكر النعم التي أنعم علىٰ والديه و...، فلم ينس والديه بعد موتهما.

(٢)- **سؤال:** مم اشتقت كلمة «أوزعني»؟ وما محل المصدر «أن اشكر»؟

الجواب: اشتقت كلمة «أوزعني» من: وَزَعَ يَزَعُ وَزْعاً، مثل: وضعه يضعه وضعاً. اهـ (من مختار الصحاح). «أن اشكر» في محل نصب مفعول «أوزعني».

(٣)- **سؤال:** ما السر في طلبه الإعانة علىٰ شكر النعم علىٰ والديه؟

الجواب: السر هو أن نعم الله تعالىٰ علىٰ الوالدين نعمة علىٰ الولد فلولا نعم الله تعالىٰ علىٰ الوالدين بالصحة والعافية والسلامة والاجتماع والمال لما كان الولد.

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في دخول «في» في قوله: «في ذريتي» مع كون الفعل صالحاً للتعدي بنفسه لغة ومعنىٰ فيقول: «أصلح لي ذريتي»؟

الجواب: الوجه هو أنه لو لم يأت بـ«في» لكان سؤاله وطلبه لما لا يكون؛ لأن ذراري حتىٰ الأنبياء لا بد أن يكون فيهم الصالح وغير الصالح؛ لذلك أتىٰ بـ«في».

افترض عليه على أكمل وجه، وأن يكثر من التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن التوبة وكثرة الرجوع إلى الله تعالى من أكبر الأسباب في صلاح الأولاد والذرية، وذلك أن صلاح الذرية قد جعله الله سبحانه وتعالى من الثواب العاجل[١] للوالدين في الدنيا، والمقصود بالأشد هنا: منتهى قواه البدنية والعقلية.

﴿أُولَٰئِكَ[٢] الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ[٣] مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي[٤] أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأن أولئك أهل شكره واللجوء والتوسل إليه، وأنهم هم الذين يتقبل منهم أعمالهم، وأنهم أهل رحمته الذين استحقوا الوعد الصادق بالجنة بما عملوا من الأعمال الصالحة.

---

(١)- **سؤال:** من أين أخذنا هذا؟

الجواب: أخذنا ذلك من قوله: «إني تبت إليك» فإنه علة وسبب لما قبله.

(٢)- **سؤال:** من هم المشار إليهم بـ«أولئك»؟ ومن أين فهمنا أنهم هم؟ وهل يمكن الاستدلال بهذه الآية على أن الله لا يتقبل الأعمال الصالحة إلا ممن اتصف بتلك الصفات أم لا؟

الجواب: المشار إليه بأولئك هو الإنسان المتصف بتلك الصفات السابقة في الآية التي قبل «أولئك..» والمراد جنس الإنسان المتصف بتلك الصفات لا إنسان واحد، وفهمنا أنهم هم المرادون بالإشارة لأنه لم يتقدم ذكر لغير الإنسان المتصف بتلك الصفات حتى تعود الإشارة إليه مع أن الظاهر عودها إليه.

وفي الآية دليل على أن الله تعالى لا يقبل الأعمال الصالحة إلا ممن اتصف بتلك الصفات وذلك لأن التعريف في المسند إليه والمسند «أولئك الذين..» يدل على الحصر والقصر.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في التعبير بقوله: «أحسن ما عملوا» مع أن كل ما فعلوه حسن؟

الجواب: الوجه هو أن في أعمالهم المباح وهو حسن، والمكروه وهو حسن أيضاً.

(٤)- **سؤال:** بماذا تعلق الجار والمجرور هنا؟ وما معناه؟ وما إعراب: «وعد الصدق»؟

الجواب: تعلق الجار والمجرور «في أصحاب الجنة» بمحذوف حال أي: كائنين في أصحاب الجنة ومعدودين منهم، ومعناه الظرفية أي: كائنين في جملتهم داخلين فيها. «وعد الصدق» مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي: وعدهم الله ذلك وعد الصدق أي: وعداً صادقاً.

﴿وَالَّذِي قَالَ[١] لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ[٢] آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قصة الذي كان أبواه يدعوانه إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى والتصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، غير أنه كان يتأفف منهما ويتضجر من دعوتهما له، ويسخر مما كانا يذكرانه به من البعث بعد الموت والحساب والجزاء؛ لأنه من المكذبين بالله تعالى وبرسوله وبما جاء به، وكان والداه يتلطفان له ويتوسلان إليه في ذلك شفقة عليه من النار ومن عذاب الله تعالى.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ فهذا الرجل وأمثاله هم الذين استحقوا عذاب الله تعالى وسخطه، مع[٣] من حق عليهم عذاب جهنم وسخط الله من الأمم المكذبين الذين ماتوا على كفرهم وتكذيبهم.

---

(١)- **سؤال:** هل عرف هذا الرجل الذي كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام؟ وأيضاً لو كان رجلاً معيناً فلم قال الله في الخبر عنه: «أولئك الذين..»؟

الجواب: قد روي أن الرجل هو عبدالرحمن بن أبي بكر أي: أنه هو سبب نزولها، والمراد هو ومن كان بصفته لا هو وحده؛ لذلك قال الله عنه: «أولئك» في آخر الآية. والرواية هذه مذكورة في تفسير الرازي، ومروان بن الحكم هو الذي قال ذلك في عبدالرحمن بن أبي بكر لما امتنع عن البيعة ليزيد، فسمعت عائشة وقالت: والله ما هو به.. إلى آخر الرواية. اهـ بالمعنى.

(٢)- **سؤال:** ما محل المصدر «أن أخرج»؟ وما محل جملة: «وقد خلت القرون»؟ وهل جملة: «وهما يستغيثان الله..» حالية أم ماذا؟ وما محل: «ويلك آمن..»؟

الجواب: «أن أخرج» في محل نصب مفعول به ثان. «وقد خلت القرون» في محل نصب حال. «وهما يستغيثان الله..» جملة حالية في محل نصب. «ويلك» مصدر منصوب لم يستعمل فعله. والجملة: «ويلك آمن إنّ وعد الله حق» في محل نصب مقول لقول محذوف أي: قائلين ويلك...

(٣)- **سؤال:** هل يظهر من هذا أن «في أمم» بمعنى «مع أمم» أم ماذا؟

الجواب: يمكن إبقاء «في» على ظاهرها الذي هو الظرفية أي: حال كونهم في أمم أو داخلين في أمم.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ[١] أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴿١٩﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن لكل صنف من المؤمنين والمكذبين[٢] الذين ذكرهم فيما سبق من الآيات درجات ومراتب على حسب أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وأن كل واحد سيضعه الله سبحانه وتعالى في المنزلة والدرجة التي يستحقها من الثواب والعقاب، ولن ينقص من ثواب أحد من المؤمنين أو يزيد في عقاب المسيئين.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴿٢٠﴾﴾[٣] يذكِّر الله تعالى الكفار بيوم القيامة عندما

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم هل «من» في قوله: «مما عملوا» على بابها أم لا؟ فما معناها الحقيق بهذا الموضع؟ وعلام عطف قوله: «وليوفيهم»؟ وإذا كانت اللام فيه تعليلية فلأي شيء كانت تعليلاً؟

الجواب: الظاهر أن «من» ابتدائية على بابها أي: أن الدرجات «الجزاء» مبتدأ من جنس عملهم. «وليوفيهم» اللام للتعليل والمعلل مقدر أي: وجازاهم ليوفيهم والجملة معطوفة على «ولكل درجات» هكذا قدرها الزمخشري وغيره من المعربين. ويصح أن يكون «وليوفيهم..» معطوفاً على علة أو علل محذوفة أي: لكذا وكذا وليوفيهم أعمالهم، والواو دليل على المحذوف، وهي تعليل لقوله: «ولكل..» فإنها بمعنى: استقر لكل درجات.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم هل يصح حمل هذه الآية على صنف واحد فقط وهم الذين حق عليهم القول أم لا؟ مع توجيه ذلك؟

الجواب: ذكر في الكشاف أن المراد الجنسين أهل الخير وأهل الشر، ويصح أن يراد جنس واحد وهم الذين حق عليهم القول فقط كما ذكرتم، ويمكن أن يستدل له بأن الله تعالى قد ذكر ثواب الجنس الآخر بعد ذكره لصفاتهم فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴿١٦﴾﴾.

(٣)- **سؤال:** هل يسوغ للمؤمن أن يخاف من هذا الوعيد عند توفر ملذات الدنيا وشهواتها لديه لعلمه بتقصيره؟ أم أن الوعيد مخصوص بالكفار؟ وبماذا توجهوننا في ذلك؟

=

يعرضهم على نار جهنم فيخبرهم أو تخبرهم الملائكة بأن هذا هو العذاب الذي ينتظركم بسبب ميلكم إلى الدنيا وشهواتها واغتراركم بنعيمها وزخرفها، وإعراضكم عما وراءها من الحساب والجزاء، واستكباركم عن قبول ما جاءتكم به رسل الله عليهم السلام من الحق، وفسوقكم عن أمر الله، فاليوم تجزون عذاب الحريق في نار جهنم.

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ(١) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

الجواب: الوعيد خاص بمن اغتر بنعيم الدنيا واشتغل بملذاتها وطيباتها عن طاعة الله، وهذا الوعيد خاص بالكافرين وبمن اشتغل بالدنيا واغتر بها ونسي طاعة الله وإن كان من المسلمين، أما من لم تشغله طيبات الدنيا وزينتها عما افترض الله عليه في دينه فلم تلهه عن طاعة الله وما أوجبه الله عليه، وكان متحرزاً عن الوقوع في معاصي الله، يوالي أولياء الله ويعادي أعداءه و.. إلخ فليس من أهل هذه الآية. أما الخوف فالمفروض أن يكون المؤمن خائفاً من تقصيره في طاعة الله ومن التفريط في ذكره ومن التضييع لما أوجبه الله عليه من حقوق الله وحقوق والديه وأرحامه وجيرانه وإخوانه المؤمنين، وخائفاً من هوى نفسه الأمارة بالسوء فإنها تميل إلى الراحة والكسل؛ لذلك فقد يكون مفرطاً في طلب علم أو بذله أو مقصراً في أمر أو نهي أو تذكير أو قضاء حاجة مؤمن أو في تذكير أهل وتربية ولد أو تعليم أرحام أو فصل خصام أو إصلاح أو نحو ذلك، وقد ينخسه الكبر أو العجب أو الرياء أو نحو ذلك من غير أن يتنبه له، وقد.. وقد.. إلخ، فمن شأن المؤمن أن لا يمسي ولا يصبح إلا ونفسه عنده ضنون (متهمة) يمسي تائباً مستغفراً ويصبح تائباً مستغفراً.

(١)- **سؤال:** يقال: كيف يتناسب قوله: «وقد خلت النذر» مع قوله: «ومن خلفه» إذا كان المراد بها: ومن بعده؟

الجواب: الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أمره الله تعالى أن يذكر لقومه أخا عاد -أي: هوداً- حال كون أخا عاد في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه، فقوله: «وقد خلت...» حال من «أخا عاد» والعامل فيها «اذكر» وليست حالاً من فاعل «أنذر» فلا إشكال حينئذ، وإنما الإشكال والسؤال لو جعلنا الجملة الحالية حالاً من فاعل «أنذر».

وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا(١) إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴿٢١﴾﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يقص على قومه خبر عاد وشأنهم عندما بعث الله سبحانه وتعالى نبيه هوداً عليه السلام إليهم، وكان من نفس قبيلتهم.

والأحقاف هي أرض الكثبان الرملية؛ وكانوا قد بلغوا الغاية في الظلم وتجاوز حدود الله سبحانه وتعالى وعبادة الأصنام من دون الله تعالى، فأرسله الله سبحانه وتعالى إليهم ليحذرهم وينذرهم ويبلغهم رسالة ربهم، وليدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، ويخبرهم أن ما يدعوهم إليه هو ما دعت إليه الأنبياء السابقة من قبله، ويخبرهم أنهم إن استمروا فيما هم فيه من الظلم والطغيان فإن غضب الله وسخطه سيحل بهم.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴿٢٢﴾﴾ فأعرضوا عنه وتمردوا عليه، واستكبروا عن اتباعه وسخروا مما يدعوهم إليه، واستنكروا عليه كيف يمنعهم(٢) عن عبادة آلهتهم التي يدينون لها هم وآباؤهم من قبلهم، واعتبروا دعوته لهم جريمة عظيمة مستنكرة، وكذبوا به وتمردوا عليه؛ ثم سألوه أنه إن كان صادقاً فيما يدعي ويزعم فليعجل بإنزال العذاب الذي يتهددهم به.

﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فأجاب عليهم بأن ذلك العذاب الذي قد توعدهم به ليس بيده، وأخبرهم أن أمر ذلك إلى الله سبحانه وتعالى فمتى أراد فسينزله بهم.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما هو العامل في «إذ» الظرفية هنا؟ وما إعراب «ألا تعبدوا»؟

الجواب: «إذ» بدل من «أخا عاد» فهي في محل نصب. «أن» مفسرة لتقدم معنى القول دون حروفه، و«لا» ناهية، «تعبدوا» مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون، والواو فاعل.

(٢)- **سؤال:** قد يقال: إذا كان معنى «لتأفكنا»: لتمنعنا، فمم اشتقت؟

الجواب: هي من الإفك، يقال: أفكه أي صرفه.اهـ من تفسير الرازي. والمعنى الذي ذكرناه هو قريب من هذا، ويؤدي مؤداه.

﴿وَأُبَلِّغُكُمْ[(١)] مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴿٢٣﴾﴾ وأنه ليس مكلفاً إلا بتبليغهم رسالة ربهم إليهم وتحذيرهم وإنذارهم من عذاب الله تعالى وسخطه أن يحل بهم إن هم رفضوا وعاندوا وتمردوا. ومعنى «ولكني أراكم قوماً تجهلون»: لا تعلمون أن الرسل إنما بعثوا مبشرين ومنذرين لا يملكون إنزال العذاب ولا أن يقترحوا على الله.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾[(٢)] ثم إن الله سبحانه وتعالى أنزل عليهم عذابه وسخطه،

---

(١)- **سؤال:** علام عطفت هذه الجملة؟ وهل في عطفها على ذلك مناسبة؟

الجواب: عندما قالوا لهود عليه السلام: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴿٢٢﴾﴾ اقتضى الحال أن يجيبهم بأمرين اثنين:

١ – أن الله وحده يختص بعلم الوقت الذي حذرهم من نزول العذاب العظيم عليهم إن لم يؤمنوا ويرجعوا عن كفرهم وتمردهم.

٢ – أن مهمته المكلف بها من عند الله أن يبلغهم ما أرسله الله تعالى به إليهم؛ فحصلت المناسبة بين المتعاطفين من حيث أن هوداً مكلف بقول هذين الأمرين، وهذا على قول المعربين والمفسرين بعطف الجملة الثانية على الأولى، ويمكن أن تكون الواو للحال ولعل ذلك أحسن للسلامة من تكلف الجامع بين الجملتين والمصحح للعطف.

(٢)- **سؤال:** ما الذي يفيده إبدال «ريح» من الاسم الموصول من نكتة بلاغية؟ وما الوجه في استخدام أداة المذكر المنفرد فيما يعود على المساكن في قوله: ﴿لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾؟

الجواب: النكتة هي تعظيم العذاب والتهويل عليهم به أولاً بإيهام الاسم الموصول، وثانياً بإبدال ريح في صورة نكرة مجهولة غير معروف كنهها، وفي ذلك من مضاعفة التهويل والتعظيم ما لا يخفى، ثم المبالغة بتجريد عذاب آخر عظيم غير الريح قادم عليهم فيها، ثم عقب ذلك بشدة تدميرها على كل ما مرت عليه... إلخ. وذُكِّر «لا يرى» لأن التأنيث مجازي، ولوجود الفاصل وهو «إلا» ولأن الفاعل في الأصل مذكر أي: لا يرى الرائي إلا مساكنهم.

فأرسل عليهم الريح العقيم، وعندما رأوها مقبلة[(١)] عليهم ظنوا أنها مبشرة بقدوم المطر إليهم؛ فأجاب الله سبحانه وتعالى عليهم بأن الأمر ليس كما يظنون وإنما هو عذاب الله تعالى قادم إليهم في تلك الريح، فما حل الصباح عليهم إلا وقد أبادتهم جميعاً، ودمرت مساكنهم وأموالهم.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴿٢٥﴾﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ أن يخبر قومه بأنه سوف ينزل بهم مثل ما أنزل على أولئك القوم من العذاب إن هم استمروا وتمادوا في ظلمهم وطغيانهم.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا[(٢)] وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى قريشاً بأنه قد مكن عاداً في الدنيا مثل ما مكن قريشاً، وآتاهم القوة والسعة في الأموال والأولاد، وأنعم عليهم بالأسماع والأبصار والعقول الراجحة ولكنهم لم ينتفعوا بها، وتعاموا عن الحق والهدى لما جاءهم، فأخذهم عذاب الله[(٣)].

---

(١)- **سؤال:** هل جاءت هذه الريح في صورة السحب أو مع السحب؟ فظاهر العارض أنه يطلق على السحب؟

الجواب: جاءت الريح في صورة السحب، ولعل ذلك كان لكثرة ما تحمله من الغبار لقوتها؛ فإن الغبار الكثير المتراكم إذا رؤي من بعيد وقد سد الأفق لكثرته يظنه الرائي سحاباً ولا يتبين له أنه ليس بسحاب إلا إذا قرب منه.

(٢)- **سؤال:** فضلاً هل في تخصيص السمع بالإفراد دون الأبصار والأفئدة حكمة تعرف، فما هي؟

الجواب: قد قال الزمخشري في توجيه ذلك: ووحد السمع كما وحد البطن في قوله: كلوا في بعض بطنكم تعفوا، يفعلون ذلك إذا أمن اللبس فإذا لم يؤمن اللبس كقولك: فرسهم وثوبهم، وأنت تريد الجمع رفضوه، ولك أن تقول: السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع فلُمِحَ الأصل يدل عليه: ﴿وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت:٥]، وأن تقدر مضافاً محذوفاً أي: وعلى حواس سمعهم... إلخ. اهـ(من الكشاف بلفظه).

(٣)- **سؤال:** يبدو أنكم بنيتم على أن «إن» زائدة في قوله: ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ..﴾ فهل لـ«إن»

=

﴿إِذْ[١] كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴿٢٦﴾﴾[٢] وما حل بهم من عذاب الله هو بسبب كفرهم وتكذيبهم بآيات الله سبحانه وتعالى وأنبيائه ورسله، وقد كانوا يستهزئون بنبيهم هود عليه السلام حين ينذرهم عذاب الله.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى﴾[٣] ثم خاطب الله سبحانه وتعالى قريشاً ليعتبروا ويتعظوا، فأخبرهم بأنه قد أهلك أهل تلك القرى التي حولهم،

الزائدة ضابط تنحصر به؟ وهل يصح حملها على النفي؟ وهل هذا الموضع من المواضع التي تأتي فيه «إن» النافية؟

الجواب: نعم قد بنينا على ذلك، وقد ذكر ابن هشام في المغني أنها تزاد بعد «ما» النافية كثيراً إذا دخلت على جملة فعلية، وبعد «ما» الموصولة الاسمية والمصدرية، وبعد «ألا» الاستفتاحية، وقبل مدة الإنكار، وذكر الشواهد على ذلك.

وقد جوز المفسرون والمعربون في «إن» هذه ثلاثة أوجه: أحدها ما ذكرناه وهو: أن تكون صلة (زائدة)، والثاني: أن تكون نافية، وهذان الوجهان ذكرهما الزمخشري وأفاد أن الوجه القوي أن تكون نافية، وزاد غيره أن تكون «إن» شرطية أي: في الذي إن مكناكم فيه طغيتم، وعلى هذا فهذا الموضع من المواضع التي تأتي فيه «إن» النافية.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما معنى «إذ» هذه؟ وما عملها؟

الجواب: «إذ» ظرف لما مضى من الزمان وناصبها قوله: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ..﴾ وهذا الظرف جارٍ مجرى التعليل، وفي الكشاف: فإن قلت: لم جرى مجرى التعليل؟ قلت: لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك: ضربته لإساءته، وضربته إذا أساء، إلا أن «إذ، وحيث» عليتان دون سائر الظروف في ذلك. اهـ

(٢)- **سؤال:** هل المراد بـ«الذي كانوا به يستهزئون» العذاب أم هود عليه السلام؟

الجواب: المراد العذاب.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في الإخبار عن هذه القرى بأنها حولهم رغم أن بينهم وبين قرى عاد فوق ألف كيلومتر، وهكذا؟

الجواب: الوجه أنهم كانوا يسافرون إليها في كل عام تقريباً (رحلة الشتاء والصيف) لذلك كانت في حكم القريب.

يمرون عليها في طريق أسفارهم وتجاراتهم، ويسمعون عن أخبار أهلها وما حل بهم بسبب تكذيبهم وتمردهم على أنبيائهم واستهزائهم بهم، مثل قوم عاد وثمود وقوم لوط وشعيب.

﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴿٢٧﴾﴾ صرف الله لهم الآيات ونوعها لعلهم يرجعون عن غيهم وضلالهم، ولكنهم لم يتراجعوا عن كفرهم وضلالهم.

﴿فَلَوْلَا[١] نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ[٢] وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴿٢٨﴾﴾ أهلك الله تعالى أهل تلك القرى المكذبة فلم تنصرهم آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، أو تدفع عنهم شيئاً مما أنزله بهم من العذاب، وضلت عنهم وضاعت في وقت شدتهم لأنها لا تقدر على النفع والضر.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى[٣] مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ....

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما معنى «لولا» هنا؟ وما إعراب «قرباناً آلهة»؟

الجواب: «لولا» هذه معناها التحضيض وبدخولها على الماضي تصير للتنديم. «آلهة» هي المفعول الثاني لـ«اتخذوا» والمفعول الأول محذوف وهو عائد الموصول. «قرباناً» حال من آلهة وصح لتقدمه عليه.

(٢)- **سؤال:** إلام الإشارة بقوله: «وذلك إفكهم»؟

الجواب: الإشارة إلى الضلال وعدم نفع الآلهة لهم وهو أثر إفكهم ونتيجته.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في قولهم: ﴿أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ وكأنهم لم يعتبروا عيسى ولا إنجيله؟ وهل نفهم من هذا أنهم عايشوا موسى وأدركوا زمنه، فيصح ما يقال بأنهم يتعمرون مئات السنين؟

الجواب: إنجيل عيسى عليه السلام ضاع في القرن الأول ضياعاً كلياً ولم يبق إلا روايات رواها تلاميذ عيسى عليه السلام مع أن كل رواية تخالف الرواية الأخرى وتسمى تلك الروايات بالأناجيل فيقولون: إنجيل فلان، وإنجيل فلان، و.. إلخ. هذا مع أن التوراة لم تنسخ في دين عيسى =

﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ(١) وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ٣٠﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قد صرف نفراً من صالحي(٢) الجن إلى حضور مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم والسماع له وهو يتلو آيات القرآن، فأنصتوا لتلاوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما أتم صلى الله عليه وآله وسلم

عليه السلام وتسمى عندهم العهد القديم؛ لذلك فلا يقال: إن الجن المذكورين لم يعتبروا عيسى ولم يعتدوا بنبوته.

ولا يدل قول الجن هذا على أنهم أدركوا موسى عليه السلام وآمنوا به بل يحتمل أنهم أدركوا موسى وأخذوا عنه وأنهم أخذوا علم التوراة عن آبائهم وصالحيهم.

سؤال: هل يؤخذ من القصة أن إرشاد الجن ودعوتهم لا تكون إلا ببعضهم البعض لا بالإنس؟ وهل يتأتى في الواقع أن يحصل إرشادهم عبر الإنس أم لا، وضحوا ذلك؟

الجواب: الذي يؤخذ من الآية أن إرشاد الجن يحصل بواسطة الإنس فقد استرشد الجن أصحاب هذه القصة بما سمعوه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن، كما يؤخذ منها أنهم كالإنس في إرشاد بعضهم بعضاً ودعوة بعضهم لبعض، ويؤخذ منها أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حجة عليهم ودعوته عامة لهم: ﴿يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ...﴾ الآية.

(١)- **سؤال:** ما هو العامل في «إذ» الظرفية في قوله: «وإذ صرفنا»؟ وما محل جملة «يستمعون» وجملة «يهدي إلى الحق»؟

الجواب: «إذ» مفعول به لـ«اذكر» محذوفاً وليست ظرفاً هنا، و«يستمعون» في محل نصب حالية من «نفراً» فهي في محل نصب أو صفة لـ«نفراً». «يهدي إلى الحق» في محل نصب صفة لـ«كتاباً» أو حال منه.

(٢)- **سؤال:** من أين أخذنا أنهم صالحون قبل هذه القصة؟ وكيف حصل أمرهم بالتوجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: أخذ أنهم صالحون من قولهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا...﴾ الآية، فإنه يؤخذ من ذلك أنهم كانوا مصدقين بالتوراة ومن أهل العلم بها؛ لذلك قالوا في القرآن: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾ فإنهم لن يقولوا هذا القول إلا وهم من أهل العلم بما أنزل الله فيها. وتم صرفهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخلق الله تعالى في نفوسهم دواعي إلى التوجه إلى مكة إما للطواف بالبيت الحرام أو لغير ذلك، والله على كل شيء قدير.

التلاوة ذهبوا إلى قومهم من الجن يبلغونهم ما سمعوا من آيات الله سبحانه وتعالى ويعظونهم ويحذرونهم وينذرونهم، وينصحونهم باتباع آياته وما فيه من الهدى والنور الذي يدلهم على طريق الحق والهدى. ومعنى «صرفنا إليك» : وجهنا إليك.

﴿يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ۝٣١ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ ودعوا قومهم من الجن إلى اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه مرسل إليهم من عند الله سبحانه وتعالى ليبلغهم رسالات الله، وأمروهم أن يؤمنوا به ويصدقوا بما جاءهم به، ومن أعرض عنه وكذب به فقد عَرَّضَ نفسَه لغضب الله سبحانه وتعالى وسخطه، وسيأخذه الله تعالى بعذابه[1].

﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٣٢﴾ ولن يستطيع أحد أن يدفع عنه شيئا من عذاب الله وسخطه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ[2] بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ

---

(١)- **سؤال:** يقال: هل اكتسبوا هذه المعرفة من خلال سماعهم للقرآن هذه المرة فقط، أم كيف؟ وهل إنذار الجن هذا كان آخر إنذار لهم على وجه الأرض أم كيف بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: يظهر من قوله تعالى حاكياً عنهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾ أنهم كانوا من أهل العلم بالتوراة، وأنهم سمعوا قسطاً كبيراً من القرآن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى علموا وتيقنوا أنه موافق لما أنزله الله في التوراة، وإذا كانوا مكلفين بإجابة داعي الله فالتكليف مستمر إلى يوم القيامة، وحجة الله قائمة عليهم بالقرآن إلى يوم القيامة في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد عهده، فإن كان منهم علماء صالحون فسيأخذون القرآن والعلم عنهم لمخالطتهم لهم لإمكان التفاهم والمناقشة و..إلخ، وإن لم يكن منهم علماء صالحون فحجة الله تعالى قائمة عليهم بأهل القرآن من الإنس يأخذون عنهم القرآن والعلم، وذلك لا طريق لهم لأخذ القرآن والعلم إلا ما ذكرنا أي من بعضهم البعض أو من الإنس.

(٢)-**سؤال:** ما الأولى في الاستفهام في الآية أن يكون إنكارياً أم تقريرياً؟ وبماذا جزم الفعل «يَعْيَ»؟

=

عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿٣٣﴾﴾ ثم توجه الله سبحانه وتعالى إلى خطاب المشركين مستنكراً عليهم كفرهم وتمردهم واستكبارهم عليه مع علمهم أنه وحده الذي تفرد بخلق السماوات والأرض وما بينهما من غير تعب، فمن قدر على كل ذلك أليس بقادر على خلقهم وإحيائهم وبعثهم مرة أخرى، ومن أوجدهم من العدم أليس قادراً على إيجادهم وإحيائهم مرة أخرى؟

فلن يجد العاقل بداً من الاعتراف والإقرار بقدرة الله سبحانه وتعالى على ذلك، وأنه لا سبيل إلى إنكار شيء من ذلك أبداً؛ لوضوح دلائل القدرة.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ[1] قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴿٣٤﴾﴾ ثم عقب الله سبحانه وتعالى ذلك بتذكير أولئك المكذبين والمنكرين للبعث والحساب، بأنه سوف يذكرهم بذلك الذي ينكرونه يوم القيامة عندما يعرضهم على جهنم، وأنه سوف يخاطبهم حينها ويسألهم عن هذا الذي كانوا ينكرونه: أليس حقاً وصدقاً؟ وأنهم سوف يجيبون عليه بالإقرار والاعتراف، ولكن جوابهم ذلك سيكون حين لا ينفعهم تصديقهم ذلك.

وأخبرهم بعد ذلك أنه سوف يأمر خزنة جهنم بسوقهم وسحبهم على وجوههم إلى جهنم بسبب كفرهم وتكذيبهم وتمردهم.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ[2] مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ

الجواب: الاستفهام هو تقريري لما بعد النفي، أو إنكاري أي: أنه يصح فيها الوجهان على ما ذكرنا، وقد سبق الجواب على مثل هذا. و«يَحْيَ» مجزوم بحذف حرف العلة الألف لأنه هكذا: «يحيى».

(١)- **سؤال:** ما معنى الباء في قوله: «بالحق»؟

الجواب: الباء صلة زيدت في خبر «ليس» للتأكيد.

(٢)- **سؤال:** من هم أولو العزم؟ وهل هناك دلالة على تعيينهم؟

الجواب: الأولى في «من» في قوله: «من الرسل» أن تكون لبيان الجنس فيكون الرسل كلهم أولي =

يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا(١) إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾(٢) بعد أن قص الله سبحانه وتعالىٰ لنبيه ﷺ حال المكذبين والمنكرين، وأخبره عن مصيرهم، أمره أن يصبر عليهم وأن يتحمل ما يلحقه منهم من التكذيب والأذىٰ والاستهزاء، وأن لا يبالي بشيء من ذلك، وأن يواصل ما هو فيه من تبليغهم، ولا يستعجل نزول العذاب الذي استحقوه فعما قريب سوف يحل بهم، ثم أخبره كيف سيتقاصرون مدة بقائهم علىٰ الدنيا وحياتهم فيها عندما يرون نزوله بهم حتىٰ لا تساوي مدة أعمارهم عندهم إلا ساعة من النهار فقط.

ومعنىٰ «أولو العزم»: أولو الثبات والجد القوي البالغ.

﴿بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ(٣) إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴿٣٥﴾﴾(٤) ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ

عزم، ولا ينبغي أن يقال: إن بعض الرسل أولو عزم وبعضهم ليس من أولي العزم ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ...﴾ [الأحزاب:٣٩]، فكلهم عليهم السلام قد بلغوا رسالات الله كما أمرهم الله ولو كان منهم من لم يكن من أولي العزم لما تمت رسالته ولما بلغها، فتبليغ الرسالات يحتاج إلىٰ عزم وجد وثبات وصبر وجَلَد وقوة لا تلين حتىٰ يصل إلىٰ فعل ما أمر به.

(١)- **سؤال:** ما إعراب «كما صبر»؟ وما محل جملة: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا﴾؟

الجواب: «كما صبر» محله النصب صفة لمصدر محذوف أي: فاصبر كصبر أولي العزم، ولا محل لجملة «كأنهم..»؛ لأنها كالتعليل لما قبلها.

(٢)- **سؤال:** يقال: بأنه يؤخذ من الآية أن قول المجرمين: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [المؤمنون:١١٣]، أو تسميتهم للقبر مرقداً لا يعني عدم وقوع العذاب فيه إنما هو استقصار للمدة لهول ما رأوا في القيامة، فهل ذلك صحيح؟ أم كيف؟

الجواب: نعم يؤخذ منها ذلك، وينبغي أن تفسر كذلك.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «بلاغ»؟ وهل قوله: «فهل يهلك» بمعنىٰ: ما يهلك؟ أم ماذا؟

الجواب: «بلاغ» خبر لمبتدأ محذوف أي: هذا بلاغ، والاستفهام بمعنىٰ النفي كما ذكرتم، أي: ما يهلك.

(٤)- **سؤال:** ما هي المناسبة في جعل هذه الآية خاتمة للسورة؟

=

أن هذا الذي قصه عليه إنذار وبلاغ للمشركين، وأن عذابه وسخطه لن يلحق إلا بالمتمردين الخارجين عن حدوده المتعدين لها.

۞۞۞۞۞

الجواب: في الآية «فاصبر...» إشارة إلى تمام السورة، وإيذان بنهايتها، فالصبر هو الحل الأخير، وقوله: «بلاغ» مما يؤذن بتمامها، والهلاك أيضاً نهاية الحي، فكل ذلك مما يؤذن بتمامها ونهايتها، والحمد لله.

سورة محمد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ۝١﴾ ابتدأ الله سبحانه وتعالىٰ هذه السورة بالتهديد والوعيد لأولئك المشركين الذين كذبوا بالنبي ﷺ وبما جاءهم به من الحق والهدىٰ والقرآن، وجعلوه محل سخريتهم واستهزائهم، بإحباط ما عملوه في الدنيا من أعمال البر التي كانوا يعملونها من الكرم وحسن الجوار وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وغير ذلك من الأعمال الحميدة بسبب كفرهم بالله ورسوله ﷺ وصدهم عن سبيل الله تعالىٰ فلا يجدون يوم القيامة من أعمال برهم شيئاً فيدخلهم الله تعالىٰ في عذاب جهنم لا يخفف عنهم من عذابها.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا[(١)] بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ[(٢)] مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ[(٣)] وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ۝٢﴾ وأما المؤمنون الذين

---

(١)- **سؤال:** فضلاً هل قد دخل الإيمان بالقرآن في قوله: «آمنوا» فما السر في تكريره؟

الجواب: التكرير هو من باب التعميم بعد التخصيص وفيه زيادة تقرير وتأكيد، وهو نحو قول القائل: خلق الله السموات والأرض وما بينهما وخلق كل شيء، هذا مع ما فيه من المقابلة لقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فقوله: ﴿وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ مقابل لقوله: ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فقد كان المشركون يصدون الناس عن الاستماع للقرآن الذي يتلوه النبي ﷺ علىٰ المشركين ويبلغه للناس ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا..﴾ مقابل: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.

(٢)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: محلها النصب علىٰ الحال من مرفوع «نزل» المستتر.

(٣)- **سؤال:** ما المراد بالسيئات المكفرة هنا هل الصغائر أم الكبائر التي يتوبون منها؟ أم ماذا مع تعليل ذلك؟

الجواب: المراد جميع السيئات صغائرها وكبائرها؛ إذ أن الإسلام يجب ما قبله من كبائر =

يداومون على أداء ما افترض الله تعالى عليهم ويعملون بما شرعه لهم منقادين مستسلمين له فإن الله سبحانه وتعالى سوف يكفر عنهم ما بدر منهم من السيئات، وسيغفر لهم ما اقترفوا من الذنوب، وسيصلح لهم جميع أحوالهم في الدنيا والآخرة[(١)].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى السبب في إحباط أعمال الكافرين وتعذيبهم وإثابة المؤمنين وتكفير سيئاتهم، أما الذين كفروا فلأنهم اتبعوا الباطل والضلال

العصيان وسيئاتها، ولم يرد المعاصي والسيئات التي فعلوها بعد الإسلام والإيمان بدليل «كفر» الفعل الماضي.

(١)- **سؤال:** يرى بعض الناس عدم صلاح حال بعض المؤمنين في الدنيا فيتشكك في مثل هذه الآية فكيف نجيب عليه؟

الجواب: الدنيا دار ابتلاء واختبار ولم يصلح الله تعالى حال النبي والمؤمنين الذين نزلت فيهم الآية أولاً إلا بعد طول البلاء عليهم وطول الخوف والشدائد والفقر والظلم الخانق، وقد قتل بعضهم تحت التعذيب وذلك معلوم مشهور، وقد قال تعالى للمؤمنين بعدما أنقذهم الله من ظلم قريش بالهجرة إلى المدينة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ۝١٥٦ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ۝١٥٧﴾ [البقرة]، لذلك نقول إن المراد –والله أعلم– بإصلاح بال المسلمين وإصلاح دنياهم وشؤونهم في الدنيا هو توفيق الله تعالى لهم إلى المحافظة على دينهم والسلامة من الفتنة فيه وإنزال السكينة والطمأنينة والأمن في قلوبهم والرضا عن الله بما ابتلاهم به فهم في دنياهم آمنون مطمئنون لا يحزنهم ما حل بهم من البلاء، ولا يقلقهم ما هم فيه من الخوف والفقر؛ لثقتهم بوعد الله وثوابه، وبأن ما فاتهم في الدنيا سيلقونه في الآخرة؛ لحسن ظنهم بالله وبوعده وبثوابه، فهم يحتسبون ما لحقهم من الأذى والشدائد عند الله، ويطمحون بأبصارهم إلى ما وراء الحياة الدنيا من الثواب العظيم في جنات النعيم.

ودين الشرك والجاهلية، وأما الذين آمنوا فلأنهم اتبعوا الحق وانقادوا لما جاءهم من الهدى والدين على لسان نبيهم ﷺ.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۝٣﴾ أراد الله سبحانه وتعالى أن سنته جرت أن يبين لعباده أحوالهم كيف ستكون يوم القيامة، وكيف سيكون مصيرهم وتفاوت مراتبهم على حسب أعمالهم.

﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ[١] الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[٢] ثم أمر الله تعالى عباده المؤمنين وأرشدهم إلى ما يفعلونه عند لقاء عدوهم، فأمرهم أن يجدوا في قتلهم وقتالهم، وليملئوا الأرض من دمائهم، ثم يأسروا بقيتهم وليربطوهم ويشدوا وثاقهم؛ ليزرعوا لأنفسهم الهيبة في نفوس عدوهم، ولتظهر للإسلام شوكة بين أوساطهم ليخافهم ويحذرهم جميع الناس، ولما يريده الله من إلحاق الخزي والذلة بالمشركين. ومعنى «أثخنتموهم» : أوسعتموهم قتلاً وجرحاً وطعناً.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا﴾، وقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾؟ وهل في الآية تقديم وتأخير كالتالي: فشدوا الوثاق حتى تضع الحرب أوزارها فإما مناً بعد وإما فداء؟

الجواب: نعم حتى هي غاية للأمر بالقتال والأسر بعد الإثخان، وليست غاية للمن أو الفداء.

«ضرب» مفعول مطلق لفعل محذوف أي: فاضربوا ضرب الرقاب، وهذا المصدر نائب مناب فعله، والفاء هي الفصيحة، و«إما» حرف للتفصيل، «مناً» مفعول مطلق أي: تمنون مناً.

(٢)- **سؤال:** ما نوع اسمية «أوزارها»؟ وما المراد بها؟ ومم اشتقت؟ وما نوع مجازيتها؟

الجواب: «أوزارها» جمع تكسير ومفردها «وزر» والمراد بأوزارها أثقالها التي هي آلات الحرب كالسيوف والرماح والدروع وما يلحق بذلك من الآلات، والمجازية فيها هو من نوع الاستعارة المكنية فقد شبه الحرب بالجمل الذي يحمل على ظهره أحمالاً ثقالاً، وجاء للدلالة على هذا التشبيه المضمر في النفس بشيء من لوازمه وهو وضع الأوزار (الأثقال) الذي هو لازم للجمال في العادة، وذكر الأوزار استعارة تخييلية وهي من لوازم المكنية.

فإذا انتهت المعركة وافترق الفريقان فقد جعل لهم الخيار في الأسرى بين المنّ عليهم بالإطلاق من غير عوض منهم، أو أخذ المال منهم فداءً لأنفسهم من الأسر؛ لأنه قد حصل المقصود من ظهور هيبتهم، وإلحاق الذلة بعدوهم.

﴿ذَلِكَ[1] وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أنه قادر أن ينتصر منهم، وأنه لو شاء أن يهلكهم ويكفيهم شرهم فإن ذلك عليه يسير، ولكن حكمته اقتضت أن يبتلي عباده المؤمنين ويزيد في تكليفهم؛ ليعرضهم على أفضل النعيم وأجزل العطاء مقابل صبرهم ومصابرتهم في لقاء عدوهم.

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤﴾[2] والذين قتلوا في سبيله

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب قوله: «ذلك» مفصلاً؟

الجواب: «ذلك» خبر مبتدأ محذوف أي: الأمر ذلك الذي ذكر من ضرب الرقاب والإيحاف في القتل والأسر والمن والفداء.

(٢)- **سؤال:** هل هذا على إطلاقه في عدم إحباط صالحات الشهيد في سبيل الله؟ ام أنه مقيد باجتناب الكبائر الأخرى المحبطة كالغلول من الغنيمة والخيانة في الأمانات ونحوها؟

الجواب: الوعد هو للمؤمنين المتقين، لا حظ فيه لكافر ولا لفاسق مرتكب لكبيرة غير تائب منها، ولا لمنافق؛ لورود النصوص القطعية بتعذيبهم في النار، فالكافر لا خلاف فيه، والفاسق بنحو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [السجدة:٢٠]، وأما مرتكب الكبيرة فبدليل آية الربا: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٧٥﴾ [البقرة]، وآية قتل المؤمن: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء]، هاتين الآيتين. وقد بين الله تعالى من هم أهل مغفرته في قوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ۝٨٢﴾ [طه].

وبعد، فالمقاتل في سبيل الله أو المجاهد في سبيل الله هو الذي يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا أي: لتكون شرائع الله وأحكامه ودينه هو القائم المسيطر ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ [الحج:٤١]، فإذا كان المقاتل مرتكباً لمنكر غير

=

والدفاع عن دينه فلن يضيع تعالى شيئاً من ثواب جهادهم في سبيل الله، ولا بد أن ينالوا أفضل الجزاء والثواب مقابل ما بذلوه من أرواحهم ودمائهم.

﴿سَيَهْدِيهِمْ[1] وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ۝﴾[2] هذا وعد من الله سبحانه وتعالى بأنه سييسر لهم طريق الهدى، وسينور قلوبهم، ويصلح أحوالهم، ويحسن أوضاعهم، وأنه سيدخلهم في مستقر رحمته ودار كرامته التي وعدهم بها.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ۝﴾ يحث الله سبحانه وتعالى هنا عباده على الصبر على أداء ما افترض عليهم من الجهاد في سبيل دينه، ووعدهم بأنهم إذا أخلصوا نياتهم في جهادهم[3] مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه

تائب أو تاركاً لفريضة من فرائض الله فليس من أهل الجهاد في سبيل الله بل يعتبر من الطرف الآخر الذي ينبغي أن يتوجه الجهاد عليه ويشهر في وجهه السيف حتى يذعن لترك المنكر ويأتي بما افترضه الله عليه ويلتزم بالتقوى.

(١)- **سؤال:** من فضلكم هل يصلح أن نحمل «سيهديهم» على: سيثيبهم في الآخرة لكون الحديث عن المقتولين في سبيل الله أم لا يصلح ذلك؟ وما وجه فصل جملة: «سيهديهم» عن سابقتها؟

الجواب: يصح حمل «سيهديهم» على «سيثيبهم» كما ذكرتم، وقد يكون أولى، وفصلت جملة «سيهديهم»؛ لأنها بمنزلة البيان لما قبلها.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما محل جملة: «عرَّفها لهم»؟ وهل قوله: «عرفها» مأخوذ من التعريف والتوضيح أم ماذا؟

الجواب: قد يكون محلها النصب على الحالية بإضمار «قد»، أو لا يكون لها محل من الإعراب وتكون مستأنفة و«عرفها» أي: بيَّنها لهم ووضَّحها.

(٣)- **سؤال:** هل نصر الله تعالى مقصور على المخلصين فقط أم لا؟ أفيدونا بشيء من الأدلة، حفظكم الله ورعاكم؟

الجواب: نصر الله للمؤمنين مقصور على المخلصين لله بدليل أن الله تعالى رفع نصره عن أهل أحد والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بينهم لما عصوُا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي
=

سيزيد من رباطة جأشهم وسيقوي قلوبهم وعزائمهم، وسيمنحهم الصبر والقوة التي يزول عندها الرعب والخوف عن قلوبهم، وينصرهم على عدوهم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا(١) لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ۝٨ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ۝٩﴾(٢) وأما الذين كفروا فإن الله تعالى قد أبعدهم وأهانهم،

الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٢]، ورفع الله تعالى النصر يوم حنين عن المسلمين لما أعجبوا بكثرتهم ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ۝٢٥ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة]، فأنزل الله تعالى نصره على رسوله وعلى المؤمنين المخلصين الذين لم تعجبهم كثرتهم، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ۝٤٠﴾ [الحج]، ثم قال في بيانهم: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ [الحج:٤١].

(١)- **سؤال:** ما إعراب: «فتعساً لهم»؟ وما نوع اسميتها؟ وعلام عطف قوله: «وأضل»؟

الجواب: «تعساً» مفعول مطلق لفعل محذوف والمراد به الدعاء. «لهم» الجار والمجرور خبر مبتدأ محذوف أي التعس لهم، والجملة هذه مستأنفة لبيان المدعو عليه، و«تعساً» مصدر تَعِس. «وأضل أعمالهم» معطوف على مقدر أي: فيقال تعساً لهم وأضل أعمالهم، وإنما قدرنا: «يقال»؛ لئلا يعطف الخبر على الإنشاء.

(٢)- **سؤال:** ما الفائدة في تكرير قوله: «فأحبط أعمالهم»؟ وقد فهمناه مما تقدمه ومن قوله «ذلك» إذ معناه: ذلك الإحباط بسبب؟

الجواب: «ذلك» إشارة إلى التعس والإحباط وفائدة التكرير:

١- النص على علة الإحباط والتعس وسببهما.

٢- بيان أن كراهة ما أنزل الله تعالى ملازمة للكفر.

٣- أن كراهة ما أنزل الله جريمة كبيرة مساوية للكفر.

سؤال: إذا كره المسلم حكم المواريث للنساء وتبرم من الآيات النازلة فيها هل يستحق هذا الوعيد أم لا؟

الجواب: إذا كره المسلم حكم مواريث النساء وثقلت عليه إلا أنه أخرجها للنساء وأعطاهن ما =

وضرب عليهم الذلة والخزي، وأعد لهم النار والعذاب الشديد جزاءً على سيئ أعمالهم، بسبب إعراضهم عما أنزل الله سبحانه وتعالى إليهم، وتمردهم على نبيهم ﷺ وما جاءهم به من الهدى والقرآن.

وقد أحبط تعالى أعمال البر التي كانوا يعملونها في الدنيا؛ لصدهم عن سبيل الله سبحانه وتعالى، والوقوف في وجه دعوة نبيه ﷺ.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ[1] اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴿١٠﴾﴾[2] ثم استنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين إعراضهم وصدهم عن دينه على الرغم من معرفتهم بما حل بمن كذبوا قبلهم بأنبيائهم من العذاب والنكال بسبب كفرهم وتكذيبهم، وقد كان المشركون يمرون على ديارهم في طريق أسفارهم وتنقلاتهم وتجاراتهم إلى بلاد الشام واليمن، كديار

كتب الله لهن فلا إثم عليه؛ لأنه ما من شيء من طاعة الله إلا ويأتي في كره، فالتكاليف الشرعية ثقيلة مكروهة عند النفس، وفي الحديث: ((حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات))، وإن كره المسلم تلك الأحكام المتعلقة بمواريث النساء وتمرد عن الامتثال لذلك مع أنه مطيع لله فيما سوى ذلك فهو عاصٍ لله ظالم قاطع للرحم ومنزلته دون منزلة الكافر الكاره لما أنزل الله.

(١)- **سؤال:** فضلاً هل «كان» في الآية تامة أم ناقصة؟ وما السر في فصل جملة «دمر الله عليهم»؟ ولم عدى «دمر» بحرف الجر «على» وهو يتعدى بنفسه؟

الجواب: «كان» ناقصة وخبرها «كيف» المتقدم عليها، وفصلت جملة «دمر الله عليهم» لأنها استئناف بياني أي: في جواب سؤال مقدر.

يقال: دمره ودمر عليه كما في المعجم هذا مع أنه يمكن أن يقال: إن دمَّر مضمن معنى سخط.

(٢)- **سؤال:** هل يعود الضمير في «أمثالها» إلى العاقبة؟ ومن أين فهمنا أن قوله: «وللكافرين أمثالها» تهديد ووعيد للمكذبين بنبينا ﷺ؟

الجواب: الضمير للعاقبة، وفهم التهديد من قوله: «وللكافرين» فالمراد الكافرين بمحمد ﷺ وبدينه، واللام للعهد الذكري فقبل هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا﴾ ثم قال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾.

ثمود التي يسمونها مدائن صالح، وقرى قوم لوط وقوم هود وشعيب، وقد عرفوا أن الله سبحانه وتعالى عذبهم وأهلكهم ودمرهم بسبب كفرهم وتكذيبهم وتمردهم على أنبيائهم؛ فلماذا لم يعتبروا بهم وقد عرفوا مصيرهم؟ وأين عقولهم عن كل هذا؟

ولكن فليعلم أولئك المشركون المكذبون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سيحل بهم مثل ما حل بتلك الأمم إن هم استمروا وأصروا على كفرهم وتكذيبهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ ذلك الذي ذكر من وعد الله سبحانه وتعالى بنصره للمؤمنين وتثبيت أقدامهم، وكذا ما توعد الله تعالى الكافرين به من الوعيد بسبب أن الله تعالى هو الذي ينصرهم ويثيبهم، وأما الكافرون فلن يجدوا أحداً ينصرهم أو يدفع عنهم من الله سبحانه وتعالى شيئاً، وستضيع عنهم تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها، ولن تستطيع أن تنفعهم أو تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله تعالى النازل بهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ هذا وعد من الله سبحانه وتعالى بأن من آمن وصدق به ثم اجتهد بعد ذلك في أداء ما افترض الله عليه فإنه سيدخله دار كرامته في جنات النعيم.

﴿وَالَّذِينَ[1] كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾﴾ وأما الذين كفروا فلا حظ لهم ولا نصيب في شيء من رحمة الله سبحانه وتعالى، وسيمتعهم الله تعالى في الدنيا أياماً معدودة يأكلون ويتلذذون فيها، ثم بعد ذلك سيكون مرجعهم ومصيرهم إلى نار جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ[2] هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا

---

(١)- **سؤال:** ما هي الواو هذه؟ وما سيكون الذي بعدها بالنسبة للإعراب؟

الجواب: الواو للعطف، والجملة معطوفة على جملة: «إن الله يدخل»، والذين: مبتدأ، ويتمتعون: الخبر.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «وكأين من قرية»؟

الجواب: «كأين» خبرية بمعنى عدد كثير مبتدأ. «من قرية» تمييز الإبهام الذي تحمله «كأين» وقوله: «أهلكناهم» خبر «كأين»، أي: قرى كثيرة العدد أهلكناهم.

نَاصِرَ لَهُمْ﴿١٣﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يعز عليه إهلاك قريش وتدميرهم بسبب كفرهم وتكذيبهم بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكم من قرى قد أهلكها ودمرها وأباد أهلها مع ما كانوا فيه من الكثرة والقوة والعزة والجاه والسلطان، فلم يستطيعوا أن يدفعوا عن أنفسهم شيئاً من عذاب الله تعالى الذي أنزله بهم، ولم تستطع قوتهم وكثرتهم أن تدفع عنهم شيئاً؛ فلا تستبعد قريش أن يحل بها مثل ما حل بهم من العذاب فليسوا أعز منهم ولا أقوى.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴿١٤﴾﴾[1] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يستوي الذي آمن به وصار على يقين من دينه، والذي غرق في المعاصي والشهوات واتبع هواه وتزيين الشيطان له، فلا بد أن يجازي الله كلاً على عمله في الدار الأخرى يوم القيامة، وأن ينال كل منهم جزاء عمله، ولا بد أن يلقى المؤمن ثواب صبره على ما لقي من الأذى والفقر والشدة، وأن ينال ذلك الظالم والمكذب عقاب تكذيبه وكفره بنعم الله سبحانه وتعالى عليه وجزاء محاربته لله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ[2] فِيهَا[3] أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ

---

(١)- **سؤال:** هل قوله: «من كان» مبتدأ فاين خبره؟ وما هي العلة في جمع الضمير في قوله: «واتبعوا أهواءهم» بعد إفراده؟

الجواب: «من كان» مبتدأ وخبره: «كمن زين له...» وجمع «واتبعوا أهواءهم» نظراً لمعنى «من» فإن معناها الجمع ولفظها مفرد ويجوز مراعاة الوجهين.

سؤال: هل يصح ضرب هذه الآية مثلاً للفرق بين حالة المؤمن العالم الذي يمشي على بصيرة في كل ما يأتي ويذر من أعماله والجاهل الذي يخبط في تدينه خبط عشواء؟ أم لا؟

الجواب: ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ تعم الكافر والجاهل الذي ذكرتم فتحمل على الجميع.

(٢)- **سؤال:** ما هو الضابط في هؤلاء المتقين الذين استحقوا هذا الوعد؟

الجواب: التقوى: هي أن يطاع الله فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى، وهذا بعد حسن المعرفة بالله ومعرفة ما يلحق بذلك من المعارف الدينية الأصلية.

(٣)- **سؤال:** ما السر في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟

الجواب: «مثل الجنة» مبتدأ وخبره محذوف أي: مثل عظيم، وقوله: «فيها أنهار..» جملة مستأنفة في جواب سؤال مقدر؛ لبيان عظمة صفة الجنة «مثلها».

مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ صفة الجنة التي وعد المتقون صفة[1] لا تخطر لعظمها على قلوب البشر فالعسل فيها يجري في الأنهار ولبنها أنهار والخمر فيها أنهار وفيها أنواع الثمار والفواكه، وفيها رضوان الله ومغفرته. ومعنى «غير آسن» : غير متغير.

﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴿١٥﴾﴾ اقتضت حكمة الله أن لا يساوي بين المتقين، وبين من استحق عقاب الله وسخطه؛ لكفره بالله وصده عن سبيله فالمؤمنون عند الله ليس كالكافرين الذين أعد لهم عذاب جهنم خالدين فيها أبداً، وشرابهم فيها الحميم الذي يقطع أمعاءهم، ويشوي وجوههم، من شدة حرارته.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ[2] مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴿١٦﴾﴾ ثم تحدث الله سبحانه وتعالى عن المنافقين ووصفهم بأنهم الذين يجلسون في مجلس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويستمعون لما يقرأه عليهم من القرآن غير أنهم، لا يدرون بشيء مما

---

(١)- **سؤال:** هل تريدون أن الخبر محذوف مقدر بهذا؟ وهل يصح أن يكون «كمن هو خالد» خبره على تقدير الاستفهام: «أمثل الجنة... كمن هو خالد» أم أنه بعيد جداً؟ فما يكون إعراب «كمن هو خالد»؟وما ينبني عليه من معنى؟

الجواب: نعم المراد أن الخبر محذوف مقدر كما قدرناه، وقد اختار سيبويه أن الخبر محذوف إلا أنه قدره: مما يتلى عليكم مثل الجنة، وقدره بعضهم مثل الجنة ما تسمعون، واختار الزمخشري أن الخبر: «كمن هو خالد..» وعلى ما اخترنا فقوله: «كمن هو خالد..» خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أمن هو خالد في الجنة كمن هو خالد في النار.

(٢)- **سؤال:** هل يقصد بالذين أوتوا العلم المؤمنين المهتدين كافة أم علماء الصحابة فقط؟

الجواب: المراد علماء الصحابة أي: الذي وجه المنافق الخطاب إليه ولو واحداً إذ لا يتأتى في العادة أن يوجه المنافق السؤال إلى كل علماء الصحابة.

كان يقوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن قلوبهم مغلقة[(١)] لا ينفذ الهدى والنور إليها، بسبب أعمال الكفر التي يعملونها في الخفاء، وآذانهم لا تعي آيات الله تعالى؛ لأن قلوبهم مليئة بالكفر والنفاق. ومعنى «آنفاً» : الساعة المتقدمة القريبة.

وهؤلاء المنافقون كانوا كثرة في أوساط المسلمين، وكانوا يشكلون الخطر الأكبر على الإسلام والدين؛ لذلك أكثر الله سبحانه وتعالى من التحذير منهم في كثير من الآيات.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۝١٧﴾[(٢)] ثم وصف الله سبحانه وتعالى المهتدين الذين قبلوا[(٣)] ما جاءهم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من النور والهدى

---

(١)- **سؤال:** فضلاً هل هذا الإغلاق بمعنى سلب الفهم والوعي أم لا؟ إن كان الأول فهل يجوز على الله فعله عقوبة لهم؟ وإن كان الثاني فهل يبقى معه من الفهم والوعي ما يصح به تكليفهم أم كيف؟ ويا حبذا لو أوردتم شيئاً من الأدلة على ما تقولون حفظكم الله وتولاكم؟

الجواب: ليس الإغلاق بمعنى سلب الفهم ولا بمعنى النقص منه بل هو بمعنى أن المنافقين كانوا يعتبرون ما يتلوه عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن والحكمة والإرشادات باطلاً لا فائدة منه، ولا جدوى لكفرهم في الباطن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالقرآن ويرون أنه لا يتبع النبي إلا الأراذل وضعاف العقول فإذا حضروا مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنما يحضرونه نفاقاً لا للاستماع والاستفادة فلا يلقون بالهم لما يتلو من القرآن ولا يفتحون له آذانهم؛ لعدم مبالاتهم بذلك واستحقارهم له وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لذلك فالذي غطى على قلوبهم هو اعتقادهم لبطلان ما يقوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يتلوه فلا يرون له قيمة ولا أهمية بل قلوبهم مكذبة مستهزئة، والعادة المعهودة عند الناس أنهم لا يفتحون آذان قلوبهم لما لا يهمهم من الكلام الباطل واللغو، ولا سيما إذا صدر من شخص يكرهونه.

(٢)- **سؤال:** هل عطف قوله: «وآتاهم تقواهم» بمثابة العطف التفسيري أم فيه زيادة في المعنى؟

الجواب: ليس ذلك من باب العطف التفسيري بل لقوله: «وآتاهم تقواهم» معنى غير معنى «زادهم هدى» ومعنى: آتاهم تقواهم، وفقهم للعمل بما علموا.

(٣)- **سؤال:** يقال: من أين فهمنا أنهم هؤلاء؟

الجواب: فهمنا ذلك من قوله: «اهتدوا» فإنه مطاوع «هدى» فإنه يدل على أن ثم هادياً دعاهم إلى

=

وتواضعوا لقبول ما جاءهم به، فأخبر تعالى بأنه سوف يزيدهم هدى وبصيرة ونوراً في قلوبهم، وعلماً يميزون به بين الحق والباطل، وأنهم كلما اهتدوا وازدادوا إيماناً فإنه يزيدهم من التنوير والبصيرة في قلوبهم.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ(١) بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ۝١٨﴾(٢) أراد الله سبحانه وتعالى بذلك أن يقطع أمل نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ويحسم طمعه من إيمان المنافقين وقبولهم دعوته وما جاء به، وأنه مهما حاول في هدايتهم فلن يزدادوا إلا ضلالة وجهلاً وبعداً، ولن ينفكوا عن الكفر والنفاق والتكذيب حتى قيام(٣) الساعة فإذا قامت الساعة(٤) فإنهم حينئذ سيذعنون

الهدى فقبلوا أي: أن «اهتدوا» من باب الانفعال وليس من باب الفعل.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما محل: «أن تأتيهم» من الإعراب؟

الجواب: محله النصب على البدلية من الساعة.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بالذكرى في قوله: «ذكراهم» الساعة، فما وجه هذا الإطلاق؟ أم المراد ما به يتذكرون فكيف لا ينفعهم مجيئه؟

الجواب: إذا قامت القيامة تذكر هناك المنافقون والكافرون وعلموا أن ما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يذكرهم به حق وصدق، ولكن لا تنفعهم الذكرى في القيامة فليس المراد بذكراهم الساعة، بل المراد ما كان يذكرهم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا، ولكن لا ينفعهم تذكرهم يوم القيامة: ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ۝٥٢﴾ [سبأ]، بل كانت تنفعهم لو تذكروا في الدنيا.

(٣)- **سؤال:** من أين نأخذ هذا؟

الجواب: يؤخذ ذلك من السياق: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف:٣٥]، ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ۝١٨﴾، فإن في ذلك ما يدل على أنهم لا يؤمنون حتى يأتيهم عذاب يوم القيامة القريب.

(٤)- **سؤال:** فضلاً هل تريدون أن أشراط الساعة بمعنى الساعة نفسها فما قرينة ذلك؟ أم أنها علاماتها وأماراتها؟

الجواب: المراد الساعة لا أشراطها.

بالتصديق والإيمان ويندمون ولكنه لا ينفعهم.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى هنا نبيه ﷺ ويدخل معه غيره بالتبع، أراد منهم أن يتيقنوا ويعلموا العلم اليقين الذي لا شبهة معه ولا شك ألّا إله إلا الله سبحانه وتعالى، وحده لا شريك له ولا مثيل، لا في السماوات ولا في الأرض.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ[1] وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ثم[2] بعد معرفته تعالى أمرهم أن يستغفروه ويكثروا من الرجوع إليه ويتوبوا عن كل ما مضى منهم من التقصير

---

(١)- **سؤال:** ما الفرق بين اللامين في «لذنبك» و«للمؤمنين»؟

الجواب: لم يظهر لي فرق بين اللامين، والذي ظهر لي هو الفرق بين الذنبين، فعباد الله الصالحون من الأنبياء والمرسلين وغيرهم وإن بلغوا الغاية القصوى من العبادة لله تعالى فإنهم يرون أنفسهم مقصرين فيها فيلجأون إلى الله لطلب المغفرة والعفو؛ لذلك ورد عن النبي ﷺ أنه كان يستغفر الله تعالى بعد كل صلاة، وما ذاك إلا لإحساسه وشعوره بذنب التقصير، وقال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: (فوالله لو حننتم حنين العجال، ودعوتم بهديل الحمام، وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان، وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده أو غفران سيئة أحصتها كتبه وحفظتها رسله لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابه وأخاف عليكم من عقابه، وتالله لو انماثت قلوبكم انمياثاً، وسالت عيونكم من رغبة إليه ورهبة منه دماً، ثم عمِّرتم في الدنيا ما الدنيا باقية ما جزت أعمالكم عنكم –ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم– نعمه عليكم العظام، وهداه إياكم للإيمان)، فذنوب الأنبياء هي من هذا الباب الذي شرحناه، وذنوب غيرهم هي ذنوب اجترحوها وعصوا الله بفعلها كعصيان المسلمين يوم أحد للنبي ﷺ وكعصيان من شرب منهم الخمر أو ارتكب جريمة الزنا أو غل من المغنم و... إلخ.

(٢)- **سؤال:** من أين نفهم هذا والواو لا تفيد الترتيب عند النحويين؟

الجواب: الترتيب بالواو مراعى في الكلام البليغ ولا سيما في القرآن الكريم الذي هو في أعلى طبقات البلاغة.

فيما سبق، وأن يظهروا الندم على ما أسلفوا من معاصي الشرك والجاهلية.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ[١] وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ فهو تعالى عالم بما يسرونه ويضمرونه في قلوبهم من الكفر والنفاق لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو عالم بجميع حركات خلقه وسكناتهم وتنقلاتهم وتقلبهم في أعمالهم لا يخفى عليه شيء من ذلك. أراد الله سبحانه وتعالى أن يكونوا على حذر منه؛ لأنه مراقب لهم أينما كانوا. **والمثوى**: هو المقعد ومكان النوم والراحة.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ[٢] عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه في أول الإسلام وبداية الدعوة بالصبر وكف أيديهم عن قتال المشركين أو الرد عليهم، وأن يتحملوا أذاهم مهما كان، لأنهم كانوا قلة قليلة، والإسلام شوكته ضعيفة، فلو أنهم قاتلوا في تلك الظروف لاستأصلهم المشركون، ولقضوا على الإسلام وأهله في يوم واحد.

وكان بعضهم خلال ذلك يعترض ويقترح على الله سبحانه وتعالى أن ينزل على

---

(١)- **سؤال:** ما نوع اسمية «متقلبكم»؟

الجواب: «متقلبكم» اسم مكان وهو هنا مفعول به، ويسمى ظرف مكان إذا كان على معنى «في» أي: إذا كان الفعل واقعاً فيه.

(٢)- **سؤال:** ما معنى «لولا» في قوله: «لولا نزلت سورة»؟ وما فائدة وصف السورة بالإحكام؟ وهل قوله: «المغشي» اسم مفعول فلم فتحت ميمه وكسرت شينه؟ أم غيره فما نوعه؟

الجواب: «لولا» للتحضيض وبدخولها على الماضي تفيد التنديم. ووصفت السورة بالمحكمة لتفيد أنها غير منسوخة وغير متشابهة تحتمل أكثر من وجه فالصفة للتخصيص.

و«المغشي» اسم مفعول من غَشِيَ الثلاثي، والأصل المغشوي على زنة «مفعول» اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً ثم أدغمت في الياء وقلبت ضمة الشين كسرة لتناسب الياء فصار «المغشيّ».

نبيه ﷺ سورة تأمرهم بقتال المشركين ومدافعتهم، ومكثوا على تلك الحالة نحواً من اثني عشر عاماً، ثم أنزل الله سبحانه وتعالى آية القتال والإذن بمقاتلة المشركين فخالط هؤلاء الذين كانوا يقترحون على النبي ﷺ الإذن بالقتال حينها الخوف والهلع الشديد[١] حتى أصبحت أعينهم من شدة ما هم فيه من الخوف تدور في محاجرها كحال المحتظر سواء، وهم ينظرون إلى النبي ﷺ مترقبين متى سيأمرهم بالقيام والقتال.

﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ دعاء على المنافقين ومعناه أصابهم ما يكرهون[٢].

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾[٣] وكان المفروض أن يقولوا: سمعاً وطاعة لما أمرنا الله تعالى به ورسوله من الكف عن القتال[٤].

---

(١)- **سؤال:** هل سبب الخوف والهلع وجود المرض في قلوبهم على الدين والنبي ﷺ أم ماذا؟

الجواب: سببه وجود المرض في قلوبهم أي: الكفر بالله ورسوله وبالقرآن وباليوم الآخر فهم لذلك يخافون الموت؛ لأنهم لا يرجون ثواب الله فهم يرون ويعتقدون أن الحياة الدنيا هي رأس مالهم الوحيد فإذا فاتت فات عليهم كل شيء.

(٢)- **سؤال:** مم أخذت «أولى لهم» حتى صار معناها هكذا؟ وما إعرابها؟

الجواب: قالوا: أولى من الولي وهو القرب وأصله أولاك الله ما تكرهه، أو وليك ما تكرهه أي: قرب منك ما تكرهه وذلك هو بمعنى ما ذكرنا في التفسير.

إعراب «أولى لهم»: فعلى القول باسمية «أولى» فهي مبتدأ و«لهم» خبر وتقديره: فالهلاك لهم، وعلى القول بفعليتها فـ«أولى» فعل ماض وفاعله مستتر يدل عليه السياق أي: وليهم الهلاك، وهذا ظاهر قول الزمخشري حيث قال: معناه الدعاء بأن يليهم الهلاك.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «طاعة وقول معروف»؟

الجواب: «طاعة وقول معروف» مبتدأ والخبر محذوف أي: أمثل، أو خبر لمبتدأ محذوف أي: أمرنا طاعة وقول معروف.

(٤)- **سؤال:** هل هذا دليل على أن اقتراحهم كان خطأ؟ وما الذي نأخذه نحن من الآية كحكم شرعي؟

الجواب: نعم فيها دليل على أن اقتراحهم كان خطأ، ويؤخذ من الآية أنه لا يجوز الاستنكار على العلماء القائمين مقام الرسول ﷺ فيما قرروه من الإرشاد إلى الصبر وعدم المواجهة للعدو بالسلاح.

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴿٢١﴾﴾[١] فإذا نزل الأمر والإذن بالقتال فليصدقوا في قتالهم وجهادهم، فهذا أفضل لهم مما هم عليه من النفاق والاقتراح على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومعنى «عزم الأمر»: جدَّ ولزم.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا[٢] فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴿٢٣﴾﴾ أراد الله سبحانه وتعالى أن أولئك المنافقين إن تمردوا[٣] عن الإيمان وعن القتال مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقد أوشكوا أو قد صاروا من أهل الفساد في الأرض وتقطيع الأرحام، وذلك أن طبائعهم مجبولة على الشر والفساد في الأرض؛ فحذرهم الله سبحانه وتعالى وتهددهم وأخبرهم أنهم من أهل لعنته وغضبه حتى ولو كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيمون الشرائع مع المسلمين، لأنهم لا يتعظون بما يسمعون من القرآن، وقد غطى الكفر والنفاق قلوبهم فلا ينفذ إليها شيء من الهدى الذي جاءهم به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأبصارهم[٤] تعامت عن رؤية الحق والصواب لسبب ما

---

(١)- **سؤال:** هل يؤخذ من الآية لزوم مصداقية المؤمن في كل الصالحات أم كيف؟

الجواب: وجوب المصداقية هو في كل الأعمال الصالحة فلا يقبل الله تعالى إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم وكان كما أمر الله تعالى وعلى الصفة التي يريدها الله تعالى.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما محل «أن تفسدوا» من الإعراب؟ وما معنى الفاء في قوله: «فهل»؟

الجواب: «أن تفسدوا» في محل نصب خبر «عسى»، والفاء للتفريع فتوقع دخولهم في الإفساد وتقطيع الأرحام متفرع على نفاقهم ومرض قلوبهم وعلى ما ظهر من خبثهم.

(٣)- **سؤال:** يقال: لعلكم بنيتم هذا على أن «توليتم» من التولي والإعراض فهل ذلك لمرجح؟ وهل يصح حمله على أنه من تولي أمر الأمة أم لا ولماذا؟

الجواب: قد فسروا التولي بالوجهين فلا مانع من حملها على أيهما أو عليهما جميعاً من باب حمل المشترك على جميع معانيه غير المتنافية.

(٤)- **سؤال:** يقال فما الوجه في إسناد أفعالها إلى الله سبحانه وتعالى؟

الجواب: أسند ذلك إلى الله تعالى لأنه منعهم الألطاف والتوفيق والتنوير.

يحملونه في صدورهم من النفاق والحقد والعداوة للدين وأهله.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[١] لماذا لا يتدبر المنافقون القرآن ولماذا لا يتعظون بما يسمعونه من الآيات التي تتلى عليهم؟ هل السبب أن قلوبهم مغلقة بأقفال محكمة؟ نعم، هذا هو السبب في عدم تدبرهم للقرآن، وعدم انتفاعهم بمواعظه، فإن ما في صدورهم من الكفر والنفاق قد أقفل قلوبهم وحجز بينها وبين التدبر لآيات الله والانتفاع بها والاهتداء بنورها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾[٢] سمى الله سبحانه وتعالى المنافقين[٣] مرتدين، وذلك أنهم بعد أن سمعوا الهدى، وعرفوا الإسلام ورأوا نوره- ارتدوا على أدبارهم معرضين عن كل ما سمعوا ورأوا من الآيات، واتبعوا ما زينه لهم الشيطان من أعمال الكفر

---

(١)- **سؤال:** هل يمكن أن نجعل هذه الآية قرينة على أن إسناد الإعماء ونحوه إلى الله على جهة المجاز أم كيف؟ وما إعراب: «أفلا يتدبرون»؟

الجواب: وهذه الآية دليل على المعنى المجازي الذي ذكرناه؛ إذ لو كانوا صماً وعمياً لما أمكن منهم تدبر القرآن، بل لم يذكر أحد أن المنافقين صاروا عمياً وصماً في عهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولو وقع ذلك لتواتر النقل به؛ لأنه من الحوادث التي تتوفر الدواعي على نقله.

«أفلا» الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء سببية عاطفة، والمعطوف مقدر يتقضيه السياق أي: أغفلوا فلا يتدبرون.

(٢)- **سؤال:** فضلاً أين خبر: «إن الذين» في الآية؟ وكيف نستدل بهذه الآية على بطلان مذهب المجبرة؟

الجواب: خبر «إن الذين..» هو جملة «الشيطان سول لهم».

وتدل على بطلان مذهب المجبرة وذلك من حيث أن الله تعالى بين أن الشيطان هو الذي زين للمنافقين اعمالهم ومَنَّاهم الفسحة في آجالهم وحسَّنَ لهم ما هم فيه من النفاق ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء]، فحديث الله وقوله أولى بالتصديق من قول المجبرة.

(٣)- **سؤال:** من أين نفهم أن هذه الآية في المنافقين؟

الجواب: السياق في المنافقين من آية (٢٠) إلى آية (٣١) فليتأمل.

والنفاق وساروا في طريقه. ومعنى «أملى لهم»: مناهم في المهلة وطوَّلها لهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ[١] يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾[٢] ثم ذكر الله سبحانه وتعالى السبب في استيلاء الشيطان عليهم، ودخولهم في حبائله ومصائده، فذكر أنه هو ما كانوا ينقلونه إلى الكفار من الأخبار عن النبي ﷺ وأصحابه، ومداهنتهم لهم وإظهار موالاتهم؛ ليسلموا شرهم فذلك هو الذي جرهم إلى الكفر والنفاق، ولكن الله سبحانه وتعالى مطلع عليهم، وعلى ما يسرونه وينقلونه وسيجازيهم بها يستحقونه.

﴿فَكَيْفَ إِذَا[٣] تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾[٤] ذَٰلِكَ

---

(١)- **سؤال:** ما موضع هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: الجملة في موضع نصب حال.

(٢)- **سؤال:** هل يؤخذ من هذه الآية أنه لا يجوز طاعة المعادين لأهل الحق في شيء مما يريدونه؟ أم لا؟

الجواب: الذي يؤخذ أنه لا يجوز طاعتهم في باطل أو ما يكون فيه ضرر على مسلم.

سؤال: ما الفرق في المعنى بين قراءة حفص بكسر الهمزة «إسرارهم» وقراءة نافع بفتحها «أسرارهم»؟

الجواب: الأولى مصدر أسر، والثاني جمع سر.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: «فكيف إذا»؟ وما العلة في استخدام المضارع دون الماضي في قوله: «يضربون وجوههم»؟

الجواب: التقدير: فكيف يكون حالهم، فكيف: خبر يكون المقدرة، إذا: ظرف لما مضى من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه، والجملة بعد «إذا» هي جملة الشرط والجواب محذوف، وما قبل «إذا» هو دليل الجواب أي: أن الجواب أمر عظيم مبهم، وجيء بالمضارع لاستحضار الصورة أمام أعين المخاطب.

(٤)- **سؤال:** ظاهر الآية يقضي بوقوع الضرب من الملائكة للوجوه والأدبار حقيقة فهل هو كذلك؟ وهل تصح دليلاً على وقوع عذاب القبر على الجسد مع الروح وإن كنا لا نشاهد آثاره قياساً على عدم رؤيتنا ضربَ الملائكةِ وقت الوفاة للمنافقين ومن حيث إن الضرب =

بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ(١) فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴿٢٨﴾﴾(٢) ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن حالتهم كيف ستكون عند رؤيتهم لملائكة الموت مقبلة إليهم لنزع أرواحهم، ومن الحسرة والندم الذي سيعتريهم ذلك الوقت بسبب ما عملوا من معاصي الله سبحانه وتعالىٰ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وفعل ما يغضبه ويوجب سخطه من نقل أسرار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للمشركين وبسبب كراهتهم ونفورهم عما يرضي الله تعالىٰ من الأعمال الصالحة.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ(٣) اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴿٢٩﴾﴾ هل

المنصوص عليه من جملة العذاب وهو واقعٌ عليهم من حين الوفاة؟

الجواب: الظاهر أن الضرب حقيقة ولا وجه للعدول عن الظاهر ولكن ليس في ذلك دليل على ما ذكرتم، بل الدليل قائمٌ على أن أهل المقابر أموات، وأن الله سيبعثهم يوم القيامة، وقد قدمنا في جواب سؤال حول هذا الموضوع وبينا فيه الدليل فليرجع إليه. [وذلك في سورة آل عمران على الآية (١٦٩)].

(١)- **سؤال:** هل المراد بقوله: «رضوانه» المصدر (الحدث) أم الاسم فقط حتى جعلناه عبارة عما يرضي الله؟

الجواب: المراد برضوانه الاسم أي: ما يرضيه من الأعمال بدليل قوله: اتبعوا ما أسخط الله.

(٢)- **سؤال:** هل تصلح هذه الآية دليلاً على إحباط الكبائر للحسنات في حق الفساق أم لا؟ مع التعليل.

الجواب: تصلح هذه الآية دليلاً على ذلك؛ لوجود السبب والعلة المنصوص عليها هنا في حق المنافقين وهي: ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾، فالفاسق المرتكب للكبائر أو الكبيرة قد اتبع ما يسخط الله أي: فعل ما يسخط الله، ومن شأن مرتكب الكبيرة كالزنا أن يكره ضدها وهي العفة والطهارة، ومن شأن المصر على أذية المؤمنين أن يكره البر بهم والإحسان إليهم والتواضع لهم و.. إلخ؛ لذلك فيكون الفاسق والمنافق في الإحباط سواء؛ لوجود العلة المنصوص عليها فيهم.

(٣)- **سؤال:** ما معنى الاستفهام في هذه الآية؟ وما إعراب: «أن لن يخرج»؟

=

يظن هؤلاء المنافقون أن أمرهم ونفاقهم سيظل مخفياً، وأن ما في سرائرهم لن ينكشف لأحد، فلا بد أن يظهر الله تعالى أمرهم ويفضحهم، ويهتك سترهم بين جميع الناس.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[(١)] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه لو شاء أن يطلعه ويخبره بالمنافقين فرداً فرداً لفعل، ولكنه سوف يعرفهم من خلال نبراتهم وفلتات ألسنتهم.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۝٣٠﴾[(٢)] وأخبره أنه عالم بهم فرداً فرداً، ومطلع على جميع أعمالهم وسيحاسبهم عليها.

الجواب: الاستفهام إنكاري توبيخي. «أن» مصدرية وهي ومدخولها مؤولة بمصدر منصوب ساد مسد مفعولي حسب.

(١)- **سؤال:** يقال: ما الحكمة في عدم تعريف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأعيانهم مع أن ظاهر المصلحة في ذلك؛ لتحذير الناس منهم، ولتجويز الخطأ في معرفتهم بلحن القول؟

الجواب: قد أكد الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه سيعرفهم هو بلحن القول معرفة محققة أما بقية المسلمين فمحجوب عليهم معرفتهم عند نزول الآية، والحكمة في إخفائهم وعدم التعريف بهم هي أن حكمة الله اقتضت أن تظهر حقيقة المؤمن والمنافق من خلال العمل بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ۝٣١﴾ فبالابتلاء يظهر المؤمن الصادق وينكشف نفاق المنافق، ولو أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بين المنافقين بأسمائهم قبل أن ينكشف نفاقهم بالابتلاء والاختبار لنفر كثير عن الإسلام خوفاً مما سمعوه أو رأوه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من طرد بعض أصحابه ولعنهم والتحذير منهم و..إلخ، وربما داخل الريب والشك بعض المؤمنين إذا رأوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طرد فلاناً وفلاناً و.. إلخ وقالوا: ما ذنبه فنحن نعرفه وقد صحبناه ولم نر منه غير الإيمان والعمل الصالح و..إلخ.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في جعل الضمير للمخاطب دون الغائب في قوله: «يعلم أعمالكم»؟

الجواب: التفت إليهم بالخطاب بعد الغيبة لكونه أبلغ في الوعيد لهم.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ[١] أَخْبَارَكُمْ﴿٣١﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا بد أن يكشف أمر المنافقين[٢] ويظهره للناس، وذلك بما يبتليهم به من فرض جهادهم للمشركين، وقد أقسم الله تعالى على ذلك ليظهر أمرهم، وليتميزوا عن أهل الإخلاص واليقين، وقد حصل ذلك في يوم أحد عندما أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه بالجهاد، فلما صاروا في وسط الطريق انسحب عبد الله بن أُبَيّ بثلث جيش النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي يوم الخندق عندما ذهبوا من بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى لم يبق معه إلا المخلصون[٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى[٤] لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴿٣٢﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن المشركين الذين جدوا واجتهدوا في الكفر والصد عن سبيل الله تعالى وكيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لن يصلوا إلى ما أملوا من إبطال ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله تعالى وسوف يظهر الله دينه ويعز أولياءه وسيبطل أعمالهم وسيغلبون ويقهرون.

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في حذف القسم الآخر المقابل لقوله: «المجاهدين منكم»؟ وعلام عطف قوله: «ونبلو»؟

الجواب: الوجه هو الإيجاز وإذا عرف المجاهدون الصابرون منهم فالبقية ليسوا كذلك أي: أنه محذوف لوجود ما يدل عليه. «ونبلو» معطوف على «نعلم».

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما الوجه في قصره على المنافقين وظاهر الخطاب لكل المسلمين؟

الجواب: الوجه أن السياق في المنافقين، وقد كان المنافقون هم الكثرة الكاثرة في المجتمع المدني، وأهل الإخلاص واليقين قلة قليلة، بالنسبة للمنافقين.

(٣)- **سؤال:** يقال: متى ذهبوا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق؟ أم المقصود بهم الذين قالوا: «إن بيوتنا عورة وما هي بعورة»؟

الجواب: هم الذين قالوا: «إن بيوتنا عورة» ومنهم من تسلل من غير اعتذار.

(٤)- **سؤال:** علام يدلنا قوله: «من بعد ما تبين لهم الهدى»؟ وتكريرها؟

الجواب: يدل ذلك على تهجين أمرهم وسخافة عقولهم، فالعاقل لا يعدل عن الهدى إذا عرفه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(١) يا أيها الذين آمنوا لا تفعلوا كفعل المنافقين الذين يؤمنون بألسنتهم دون قلوبهم فالمؤمن حقاً يطيع الله تعالى ورسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويعادي عدو الله ورسوله ويسعى جهده في إعزاز الدين وإقامته.

﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۝٣٣﴾(٢) بعصيان الله تعالى والتمرد على رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأخلصوا نياتكم وإيمانكم وطاعتكم لله تعالى ورسوله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۝٣٤﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن الكافرين الذين يمنعون الناس عن الذهاب إلى النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعن السماع منه، والذين ينصبون الحرب والعداوة لكل من آمن بالله تعالى ورسوله وماتوا وهم على ذلك بأنه لا نصيب لهم ولا حظ في شيء من رحمة الله تعالى، ولا مغفرته وليس لهم إلا عذاب النار.

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ(٣) وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ(٤)

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في التنصيص على طاعة الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رغم أن قد دخلت في طاعة الله؟

الجواب: الوجه هو أنه لا تتم طاعة الله إلا بطاعة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا طريق إلى طاعة الله إلا بطاعة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [النساء:٨٠].

(٢)- **سؤال:** بأي دلالة استدل أصحابنا على إحباط الكبائر للحسنات من هذه الآية؟

الجواب: استدلوا بها لأن التقدير: ولا تبطلوا أعمالكم بمعصية الله ومعصية رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أو: ولا تعصوا الله ورسوله فتبطل أعمالكم.

(٣)- **سؤال:** هل جملة: «وأنتم الأعلون» حالية؟ وهل يفهم من التقييد بها جواز مهادنة الكفار ومصالحتهم عند ضعف المسلمين وعدم مكافأتهم لقوى الكفر؟ أم كيف؟

الجواب: الجملة حالية ويفهم منها جواز المصالحة مع ضعف المسلمين، وقد صالح النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قريشاً يوم الحديبية وتحمل شروطهم الجائرة.

(٤)- **سؤال:** فضلاً مم أخذت لفظة «يَتِرَكم»؟

الجواب: أخذت كما في الكشاف من: وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً، وحقيقته: أفردته من قريبه أو ماله، من الوتر وهو الفرد.

﴿أَعْمَالَكُمْ (٣٥)﴾ يحث الله تعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه بأن لا يظهروا شيئاً من الذلة والهوان أمام المشركين، وأن لا يتضعضعوا في أنفسهم أو تضعف عزائمهم عن مواجهتهم وجهادهم، أو يطلبوا منهم الصلح في شيء من أمورهم؛ لأن في ذلك إظهار الذلة، وقد أراد الله تعالى أن يكونوا فوقهم، وأن يكونوا أعزة أقوياء، وأن يثقوا بنصر الله تعالى فهو معهم بتأييده ونصره، وأخبرهم أيضاً بأنه سيثيبهم على ذلك بأجزل الثواب وأحسنه. ومعنى «ولن يتركم أعمالكم» : ينقصكم من أجورها.

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ فلا تغتروا بزينة الحياة الدنيا وشهواتها، ولا تؤثروها على دينكم؛ وقد شبهها الله سبحانه وتعالى بلعبة الصبيان التي سرعان ما يملون منها ثم يتركونها.

﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ[1] أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧)﴾ وإن تخلصوا في إيمانكم لله تعالى وتتقوا عصيانه وفعل ما يوجب سخطه وغضبه فإنه سيوفيكم ثواب أعمالكم ولن ينقصكم شيئاً من أجوركم؛ وأيضاً فهو تعالى لم يسألكم إنفاق جميع[2] أموالكم في سبيل نصر دينه، ولم يطلب منكم إلا إنفاق شيء يسير منها، ولو سألكم إنفاق جميع أموالكم لبخلتم بها ولرفضتم إخراجها وإنفاقها. ومعنى «فيحفكم»: يبالغ في السؤال.

---

(١)- **سؤال:** إذا كان هذا الفعل «ولا يسألكم» معطوفاً على «يؤتكم» كما هو الظاهر فكيف جعل عدم السؤال للأموال جزاء على الإيمان والتقوى؟ أم أن لها إعراباً آخر يبتني المعنى عليه؟

الجواب: الفعل معطوف على «يؤتكم» والوجه في حسن ذلك وصحته أن من أتعب نفسه في العمل مع قوم دهراً طويلاً حتى بلغوا بسعيه أملهم ونالوا مطلوبهم فإنه يتوقع منه طلب المكافأة والأجرة؛ لذلك حسن هنا أن يقع قوله: «لا يسألكم» جواباً للشرط ومعطوفاً على الجواب.

(٢)- **سؤال:** من أين فهمنا أن المراد جميعها وأما بعضها فقد طلبها سبحانه وتعالى؟

الجواب: فهم ذلك من الآية التي بعدها: «ها أنتم هؤلاء...».

﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ[(١)] لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ وها هو الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يدعوكم[(٢)] اليوم لتنفقوا شيئاً من أموالكم في سبيل الله فكيف لو طلب منكم إنفاقها جميعاً؟ فمن بخل فإنما يمنع عن نفسه الخير وعطاء الله سبحانه وتعالى، ومن أنفق فإن الله تعالى سيعوضه خيراً مما أنفق فضلاً عن الثواب الذي يدخره له، والله سبحانه وتعالى غني عن أموالكم وليس محتاجاً إلى شيء من نفقاتكم، وما أمركم به من الإنفاق فإنما هو امتحان واختبار منه لكم.

﴿وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ وهو تعالى غير محتاج لنفقتكم فأنتم المحتاجون والفقراء لما عنده.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ﴾؟

الجواب: «ها» للتنبيه، «أنتم» مبتدأ، «هؤلاء» خبر، وجملة «تدعون» مستأنفة لبيان المراد مما قبلها، وأعربه بعضهم: «أنتم» مبتدأ، «هؤلاء» منادى معترض بين المبتدأ وخبره الذي هو جملة «تدعون».

(٢)- **سؤال:** ما هو الإنفاق الذي دعوا إليه هنا؟ هل الواجب الذي هو الزكاة؟ مع أن المشهور أن إنفاقات الصحابة يوم العسرة ونحوه كانت من خالص ما يملكونه دون الزكاة؟ وهل يصير الإنفاق هذا واجباً ولو بأكثر مال الإنسان لأجل هذه الآية وأمثالها؟ أم كيف؟

الجواب: الذي ينبغي أن يقال في ذلك أن المراد هو الزكاة بدليل قوله أولاً: ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۝٣٦ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ۝٣٧﴾ [محمد]، فإنها تدل على أن دعوتهم للإنفاق ليست لكل أموالهم أو لأكثرها أو لما ينهكهم ويضرهم إنفاقه.

هذا، وقد كان أهل المدينة أهل نخيل وقليل منهم ليس له نخيل وطلب الإنفاق هو موجه إليهم تقريباً لأن المهاجرين كانوا فقراء، والأغنياء فيهم قليل؛ لذلك فطلب الإنفاق هو طلب الزكاة الواجبة عليهم، هذا بالنسبة لما يدفعونه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أما نفقة الرجل الذي يخرج للجهاد فيجب عليه الإنفاق على نفسه إذا كان واجداً للنفقة على نفسه وعلى أهله، فإن كان عنده زكاة أخرجها إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإن لم يكن عنده زكاة فلا يجب عليه إلا أن يخرج وينفق على نفسه وعلى راحلته هذا هو الذي ظهر لي، والله أعلم.

﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ(١) ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ وإن أعرضتم ورفضتم الإنفاق في سبيل الله والقيام مع النبي(٢) صلى الله عليه وآله وسلم فاعلموا أن الله سبحانه وتعالى ليس محتاجاً إليكم، وسيهلككم ويعذبكم، ثم يستبدل بكم قوماً غيركم ينصرون دينه ويقيمون شرائعه، وينصرون نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قيل: إن هؤلاء القوم الذين سيجعلهم الله تعالى مكانهم من أهل اليمن، ويقال: إنهم من أهل فارس(٣).



(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «غيركم»؟

الجواب: «غيركم» صفة لقوماً.

(٢)- **سؤال:** من أين فهمنا أن التولي هو عن الإنفاق والقيام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: فهمنا ذلك من حيث أن الخطاب لا زال مع الذين دعوا للإنفاق في سبيل الله ونصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي: وإن تتولوا عن طاعة النبي فيما دعاكم إليه من الإنفاق... إلخ.

(٣)- **سؤال:** ما صحة هذه الرواية مع أنه لم يحك التاريخ عن أحد من فارس أنه نصر الدين وقام وثابر في نصرة المصطفى أو مَن بعده إلا سلمان الفارسي رضوان الله عليه؟

الجواب: قد روي ذلك والله أعلم بصحة ما روي، ولكن قد وقع نصر الدين برجال من فارس فقد قامت لأهل البيت دولة هناك أيام الأئمة الأطهار الناصر الأطروش ومحمد بن زيد والمؤيد بالله عليهم السلام وغيرهم واستقامت أمور الشريعة المطهرة، وإن كانت في بعض بلاد فارس.

سؤال: ما مناسبة جعل هذا التهديد المرعب خاتماً لهذه السورة المباركة؟

الجواب: المناسبة للختم بهذا التهديد هو لما فيه من التنبيه على تمام السورة ونهايتها وذلك من حيث أن الله تعالى لما بين الحق بالبراهين والحجج قال: إن أطعتم فلكم أجوركم وإن توليتم لم يبق إلا الإهلاك لكم، والإهلاك لهم هو نهاية أمرهم وحياتهم، والله أعلم.

سورة الفتح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ①﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ مبشراً له بفتح مكة[١]، وأنه سيفتحها له فتحاً عظيماً، وسيدخلها بنصر مؤزر، وسيظهره على أهلها ويمكنه منهم حتى يستسلموا له صاغرين ويدخلوا في الإسلام مكرهين، وبهذا الفتح العظيم دخلت بقية قبائل العرب في الإسلام أفواجاً؛ لأن قريشاً كانت لهم المنزلة العليا بين القبائل العربية، وكانت المهيمنة والمسيطرة، وكانت الكلمة كلمتهم، والأمر أمرهم، وهم الذين وقفوا في وجه دعوة النبي ﷺ، وصدوا الناس عن اتباعه أو السماع له، فلما أسلموا أسلم بإسلامهم بقية القبائل العربية.

﴿لِيَغْفِرَ[٢] لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ② وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ③﴾ وذلك أن الناس كانوا قد أذنبوا إلى النبي ﷺ عندما كفروا به في بداية أمره ولم يصدقوا دعوته[٣]، فأخبر الله

---

(١)- **سؤال:** يقال: هل يصح أن يحمل الفتح أيضاً على صلح الحديبية نظراً لما حصل فيه من منافع عظيمة للإسلام أم لا؟ وما المرجحات لأحدهما دون الآخر؟

الجواب: الذي يظهر لي –والله أعلم– أن الفتح فتح مكة، وصلح الحديبية وما ترتب عليه من منافع ومصالح عظيمة هي بداية الفتح ومبشراته، هذا ما ظهر لي فمن قال إن المراد صلح الحديبية فقوله صحيح لأنه بدايته، ومن قال فتح مكة فقوله صحيح؛ لأنه الحدث الأكبر الذي تحقق فيه أعظم الفتح على أكبر عدو للإسلام والقضاء على ألدِّ الخصام.

(٢)- **سؤال:** لم يظهر لنا كون المغفرة علة لفتح مكة؟

الجواب: لم تكن المغفرة وحدها علة لفتح مكة بل هي وإتمام النعمة على النبي ﷺ وهدايته ونصره نصراً عزيزاً. ومعنى «ليغفر لك الله» أي: ليمحو الله العداوات التي تقدمت لك من المشركين والتي تأخرت وذلك بدخول المشركين في الإسلام.

(٣)- **سؤال:** ما أروع هذا المحمل وقد رأيت نحوه للإمام أبي الفتح الديلمي، لكن كيف أضيف الذنب إلى النبي ﷺ؟ وما هي الذنوب المتأخرة التي غفرها الله لهم بإسلامهم؟

الجواب: قد ذكرنا في جواب السؤال السابق أن المعنى: ليمحو الله العداوات المتقدمة إليك من =

سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سيغفر لهم الذنب الذي حصل منهم بإسلامهم، وأما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو معصوم(١) عن الذنوب والمعاصي.

ونعمة الله تعالى التي أتمها على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم هي النصر والظفر، وقد وصف الله سبحانه وتعالى نصره ذلك بالعزيز؛ لأنه بذلك النصر انتهى الشرك من جزيرة العرب كلها، وقد بشر الله سبحانه وتعالى نبيه بهذا الفتح قبل أن يقع بمدة من الزمان نحواً من سنتين. ومعنى «ويهديك صراطاً مستقيماً»: لم يبق بعد فتح مكة من يصد عن سبيل الله فبذهابهم سهل الله طريق الدعوة فلم يبق عائق فيها.

﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا(٢) مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾

قريش والمتأخرة التي كان آخرها صد قريش له عن المسجد الحرام وصد الهدي معكوفاً أن يبلغ محله وما لحق بذلك من ذنوبهم التي اجترحوها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بعد الصلح إلى فتح مكة. ومحو عداوات قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين وإبطالها نعمة عظيمة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المسلمين؛ لأن عداوة قريش كانت أعظم عداوة للإسلام ونبي الإسلام منذ اليوم الأول لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يوم فتح مكة.

(١)- **سؤال:** يقال: لو حملناه على الصغائر أو ما فعل على جهة الخطأ أو أقدم عليه بتأويل فما المانع من ذلك؟

الجواب: ليس بين ما ذكرتم وبين فتح مكة مناسبة وقد فسروا الآية بما ذكرتم، ولكن لم يظهر الوجه والمناسبة لذلك، والأوجه هو ما ذكرناه، والله أعلم.

(٢)- **سؤال:** فيم كان ازدياد إيمانهم؟ وهل هذا يعارض حقيقة الإيمان عندنا أنه الإتيان بالواجبات واجتناب المقبحات أم كيف؟

الجواب: ازدياد الإيمان من حيث إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة الحديبية أخبر المسلمين بأن الله تعالى قد وعده بفتح مكة، فلما صدهم المشركون عن مكة ووقع الصلح ثبت الله تعالى المؤمنين وأنزل السكينة في قلوبهم فلم يشكوا في وعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يداخلهم الريب في حين أن قليلاً منهم شك في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان عمر بن الخطاب يومئذ هو الذي أظهر شكه وجادل النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى نهره أبو بكر، وكان عمر يتحدث عما حصل منه يومئذ من الشك، وحديث الحديبية وما كان من عمر مروي في البخاري في حديث طويل جداً برقم (٢٧٣١)

=

أنزل الله تعالى في قلوب المؤمنين السكينة والطمأنينة فسكنت قلوبهم واطمأنت نفوسهم، وزال عنهم الخوف والقلق فثبتوا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأطاعوه فيما أمرهم به ولم يخالفوه فاكتسبوا بذلك المزيد من الأجر والثواب ورضوان الله تعالى.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴿٤﴾﴾ والسكينة هي من أسباب النصر وهي جند من جنوده وجنود الله[1] لا تعد ولا تحصى فالريح من جنوده، أهلك الله بها قوم عاد، والماء من جنوده أهلك الله به قوم نوح وفرعون وقومه والبعوض جند من جنوده لو أن الله تعالى يرسلها لاستئصال أمة لاستأصلتهم و..إلخ.

﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴿٥﴾﴾ وكل ما كان من تهيئة الله سبحانه وتعالى لنصر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين وتأييده بجنوده، وإنزال سكينته في قلوبهم، ورباطة جأشهم، وثباتهم في قتال المشركين حتى أزالوا الشرك، وطهروا جميع البلاد ليدخل عباده المؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار،

من المكتبة الشاملة الالكترونية.

هذا، وازدياد الإيمان هو بإيمانهم من قبل وبإيمانهم من بعد الصلح حيث ثبتوا وصدقوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيما قال لهم بعد الصلح ولم يشكوا فيما قاله لهم قبل الصلح، والإيمان يزداد بالعمل الصالح وليس في ذلك معارضة لما نقوله نحن الزيدية، فإيمانهم هو من فعل الواجبات التي يزداد بها الإيمان، فإذا جاءهم النبي بحديث من عند الله فصدقوه زاد إيمانهم، وهكذا كلما حدثهم بحديث فصدقوه زاد إيمانهم.

(١)- **سؤال:** قد يقال: فلم أضاف الجنود إلى السموات والأرض؟

الجواب: المراد جنود السموات وجنود الأرض فجنود السموات هي الملائكة والنجوم والشهب والصواعق والمطر والسحاب وغيرها مما هو في الجهات العلوية وجنود الأرض هي البر والبحر وما سكن فيهما فقد يسلط الله على المرء حشرة أو ميكروباً لا يقدر على التخلص منه ولا محاربته فيقضي عليه، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١].

ويعرضهم على الفوز بالنعيم الدائم، والسعادة الأبدية.

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾[1] ولتتم حجته تعالى على الكافرين والمنافقين المكذبين بوعد الله وبآياته ورسله الذين ينشرون بين المسلمين التشكيك والشبه والريبة في أمر النبي ﷺ، غير واثقين بنصر الله تعالى وتأييده له، ويقولون إن النبي ﷺ إنما يمنيهم الأماني الباطلة، ويعدهم بالوعود الكاذبة، وأنه إنما يغرر بوعوده على سفهاء الأحلام وذلك بما يعدهم من السيطرة، والاستيلاء على جميع البلاد، وفي الحقيقة أنه ﷺ إنما يدعوهم إلى الهلاك والخزي.

﴿عَلَيْهِمْ[2] دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾[3] الخزي والهلاك والعاقبة المخزية هي للمنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ولهم مع ذلك غضب الله ولعنته في الدنيا وأعد لهم جهنم خالدين فيها يوم القيامة.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «ظن السوء»؟ ومن أي باب تكون إضافة الظن إلى السوء؟

الجواب: «ظن السوء» مفعول مطلق مبين لنوع الظن وإضافة الظن إلى السوء من باب إضافة الموصوف إلى صفته. «السَّوء» بفتح السين: الذم، و«السُّوء» بضمها العذاب والهزيمة والشر ونحو ذلك.

(٢)- **سؤال:** هل هذا إخبار عنهم أو دعاء بالدائرة السيئة؟

الجواب: الجمل كلها إخبار عما يحل بهم، وهي صالحة للدعاء لولا قوله: «وأعد لهم» فإنه خبر لا إنشاء فلو حملنا الجمل الأولى على الدعاء للزم عطف الخبر وهو «وأعد لهم» على الإنشاء، وذلك مما يمنعه أهل البيان والبلاغة.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «وساءت مصيراً»؟

الجواب: «ساءت» فعل ماض لإنشاء الذم والفاعل مستتر وجوباً. «مصيراً» تمييز يبين به نوع الفاعل.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1] فليثق المؤمن بنصره فجنود السماوات والأرض من الملائكة والريح وغير ذلك كلها بيده وتحت سيطرته وقبضته، ومن كان الله سبحانه وتعالى معه فالنصر حليفه.

وقد نزلت هذه السورة في عام الحديبية، وكان الشرك مطبقاً على جميع بلاد الجزيرة العربية، والمشركون محيطون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من كل جهة، فنزلت هذه السورة تبشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالظهور والنصر، وكان المنافقون والذين في قلوبهم مرض يظنون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ظن السوء فقالوا: إن المشركين سوف يتكالبون عليهم من كل جهة حتى يقضوا على الإسلام وأهله، وكانوا يرجفون

---

(١)- **سؤال:** هل يظهر سر في تذييل الآية هنا بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، وفي الآية السابقة: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾؟

الجواب: السر -والله أعلم- في التذييل لهذه الآية بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ هو التأكيد للكلام الذي قبله وتقريره في ذهن السامع، فإن معنى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ هو معنى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهذا هو السر والحكمة في التذييل بمثل ذلك، والزمخشري يسمي ذلك اعتراضاً والواو اعتراضية، وفي الأولى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ اعتراض أيضاً وتذييل والسر هو التأكيد كما في الآية الأخرى، والفرق بين الآيتين هو أن مقام هذه غير مقام تلك فالأولى وردت بعد قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا..﴾ والسكينة هي جند من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو، فاقتضى المقام أن يؤكد ذلك بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ حيث أنه تعالى علم ما في قلب كل مؤمن وعلم ما هو الذي يثبته فجاء تعالى بجند من جنوده وهو السكينة فجعلها في قلب كل مؤمن وذلك لا يكون إلا من الذي أحاط بكل شيء علماً.

والآية الثانية جاءت بعد قوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ فالآية تتحدث عن عزة وقوة عظيمة، فاقتضى المقام تأكيد ذلك بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

بذلك بين أوساط المسلمين، وينشرون الرعب بينهم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴿٨﴾﴾ ثم أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ بأنه أرسله شاهداً يشهد له يوم القيامة بأنه قد بلغ الناس رسالة ربه وتلا عليهم آياته، وكذلك كل نبي أرسله الله سبحانه وتعالى سوف يشهد يوم القيامة على أمته، وذلك حين ينكر المكذبون يوم القيامة تبليغهم(١) رسالة ربهم.

وأرسل الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ ليبشر من أطاع الله ورسوله بالجنة والفوز بثواب الله تعالى، وينذر الذين كفروا وكذبوا بالله ورسوله وجحدوا بآياته ورسله بعذاب شديد في جهنم خالدين فيها أبداً إن هم استمروا على ما هم عليه من الكفر والتكذيب.

﴿لِتُؤْمِنُوا(٢) بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ(٣) وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

---

(١)- **سؤال:** لو تفضلتم بدلالة واضحة على إنكارهم للتبليغ؟ وكيف نجمع بينه وبين قولهم: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا...﴾ [الملك:٩]؟

الجواب: تختلف مقامات المشركين يوم القيامة فمقام يقرون فيه ومقام ينكرون فيه بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى في المنافقين: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة]، فيجمع بين الآية التي ذكرتم وبين الآيتين اللتين ذكرناهما بما ذكرنا من مقامات يوم القيامة يقرون في مقام وينكرون في مقام آخر.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن نجعل هذا علة لقوله: «ومبشراً ونذيراً» لا لقوله: «أرسلناك» أم هو الراجح؟

الجواب: «لتؤمنوا..» علة لقوله: «أرسلناك» في حال كونه مقيداً بقوله: ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴿٨﴾﴾.

(٣)- **سؤال:** هل الضمير في «تعزروه وتوقروه» يعود للنبي ﷺ أم إلى الباري تعالى مع التعليل؟

الجواب: يعود الضمير للباري عز وجل بدليل كون الضمير فيما بعده «تسبحوه» لله تعالى، والظاهر اتحاد مرجع الضمائر المتعاطفة.

وَأَصِيلًا۝﴾[١] وكذلك أرسله الله تعالىٰ ليدعو الناس إلىٰ الإيمان والتصديق بالله ورسوله، ومعنىٰ «تعزروه»: تنصرونه، و«توقروه»: تعطونه حقه من التوقير والتعظيم، وأرسله أيضاً لأجل أن يأمرهم بتنزيه الله تعالىٰ عن الشريك والولد وتقديسه وتعظيمه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ[٢] اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن أولئك الذين بايعوا النبي ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة في غزوة الحديبية.

وذلك أن النبي ﷺ دعا الناس إلىٰ الخروج معه لأداء العمرة ثم لما وصل بهم إلىٰ ناحية الحديبية -قريباً من مسجد عائشة المعروف- أرسل عندها رسوله إلىٰ أهل مكة ليخبرهم بقدومهم، وأنهم لم يأتوهم مقاتلين وإنما أتوا قاصدين زيارة البيت الحرام، فوصل الخبر إلىٰ النبي ﷺ بأن أهل مكة قتلوا رسوله، فجمع عندها المسلمين وطلب منهم البيعة علىٰ السمع والطاعة والجهاد معه حتىٰ الموت فبايعه المسلمون، وبقي قلة من المنافقين تهربوا من تلك البيعة؛ فأخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن هؤلاء الذين بايعوا النبي ﷺ بأنهم إنما يعاهدون الله تعالىٰ ببيعتهم هذه، وكانت هذه البيعة قبل فتح مكة بنحو سنتين.

---

(١)- **سؤال:** ما فائدة التقييد بقوله: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا۝﴾ هنا؟

الجواب: الفائدة هي بيان استمرار تسبيح الله وتنزيهه في جميع الأوقات، لا وجود مطلق التسبيح من المرسل إليهم ثم يعودون إلىٰ شركهم.

(٢)- **سؤال:** ما السر في فصل هذه الجملة عما قبلها؟ وما نوع المجازية فيها؟

الجواب: فصلت لأنها تعليل لما قبلها، والمعنىٰ: إنما يبايعون الله، فليحذروا من النكث والخيانة؛ لأن قوة الله أعظم من قوتهم ولا قوة لهم ولا طاقة علىٰ رد نقمة الله إذا أراد الانتقام منهم. والمجاز في قوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ هو من المجاز المرسل.

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ[1] اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا۝١٠﴾ فمن نقض عهده هذا ونكث بيعته فهو بذلك إنما جنى على نفسه، وعرض نفسه لسخط الله سبحانه وتعالى وغضبه، وأما من أوفى بعهده وبيعته فسينال رضا الله تعالى وجزيل ثوابه.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ[2] بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[3] ثم أخبر سبحانه وتعالى نبيه ﷺ عن الذين تخلفوا عنه من المنافقين ولم يخرجوا معه في هذه العمرة بأنهم سوف

(١)- **سؤال:** يقال: ما الوجه في ضم الضمير في «عليه» دون جره كما هو السائد المعروف؟

الجواب: قد يكون الوجه في ذلك هو المحافظة على تفخيم لفظ الجلالة.

(٢)- **سؤال:** لطفاً هل لهذه الجملة محل من الإعراب؟

الجواب: يظهر أن الجملة معترضة فلا محل لها من الإعراب.

(٣)- **سؤال:** هل عرف أن النبي ﷺ حرّج على كل واحد ممن شهد الشهادتين في الخروج هنا كما في غزوة تبوك؟ أم لم يعرف إلا من ذم هؤلاء المتخلفين؟

الجواب: الذي عرف من السيرة أن النبي ﷺ استنفر الناس جميعاً للخروج معه إلى مكة للعمرة بمن فيهم الأعراب الذين حول المدينة، غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم ونخع والدئل، وساق الهدي لئلا يظن به نية القتال، وكان ﷺ قد رأى في المنام فتح مكة فكأنه ﷺ أراد أن يحشر معه المسلمين؛ لأنه ربما تهيأ له فتح مكة، إلا أن نيته هي العمرة؛ لذلك ساق الهدي.

هذا، وذم الله تعالى للمتخلفين من الأعراب دليل على أنه ﷺ أمر المسلمين جميعاً بالخروج معه للعمرة.

سؤال: هل يفهم من هذه الآية أنهم لو كانوا صادقين في شغلة أهلهم وأموالهم عن خروجهم لكانوا معذورين؟ وهل يعمل بهذا المفهوم أم لا؟

الجواب: شغلة الأموال والأهل هي شغلة عامة يشترك فيها الناس جميعاً ؛ لذلك فليست عذراً في ترك الخروج، فلو كانوا صادقين في حصول شغل غير الشغل العام يعذرون به لعذرهم الله فقد عذر هنا الأعرج والأعمى والمريض.

يعتذرون إليه عند رجوعه إلى المدينة بأموالهم وأولادهم أنها شغلتهم ومنعتهم عن الخروج معه، وسيطلبون منه السماح وقبول العذر، وهم في الحقيقة كاذبون، فقلوبهم مليئة بالكفر والكذب والنفاق، وهؤلاء هم المنافقون الذين كانوا حول المدينة من الأعراب والبدو.

﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا۝١١ بَلْ[1] ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يجيب على أعذارهم تلك بأنها لن تنفعهم عند الله تعالى، ولن تدفع[2] عنهم شيئاً من عذابه وسخطه، وأن يخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى قد أطلعه على مكنون ما يسرونه ويضمرونه من أنه لن يرجع إلى المدينة بعد خروجه هذا، وأنها ستكون النهاية، وأن هذا في الحقيقة هو الذي منعهم عن الخروج معه لا ما يعتذرون به من انشغالهم بأموالهم وأولادهم.

﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا۝١٢﴾ وظنكم ذلك الذي ظننتموه من هلاك النبي ﷺ ومن معه، وأنها ستكون النهاية ظنُّ سَوءٍ، وظنُّ أهل الخسارة والبوار المكذبين بوعد الله تعالى ورسوله، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بذلك الحدث وما سيكون من المنافقين قبل أن يرجع ويصل إليهم.

﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا۝١٣﴾ وتخلف

---

(١)- **سؤال:** ما الذي يفيده الإضراب في قوله: ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا۝١١﴾ وقوله: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ...﴾؟

الجواب: يفيد الانتقال من خبر إلى خبر من غير إبطال.

(٢)- **سؤال:** يقال: فما فائدة قوله: ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ في الآية إذاً؟

الجواب: قالوا: إن الفائدة تكميل التقسيم الحاصر مع إفادة أن الشر والخير بيد الله وبإرادته ومشيئته.

المنافقين عن الخروج مع النبي ﷺ إنما هو لكونهم على الكفر[١]، ولم يكونوا قد ترطبوا بالإيمان كما يزعمون ويدعون، وقد أعد الله سبحانه وتعالى لهم بسبب ذلك العذاب الشديد في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ[٢] لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا۝١٤﴾ ملك السماوات والأرض وما بينهما لله وحده يحكم في ملكه بما شاء لا معقب لحكمه، يغفر لمن يشاء حسب[٣] ما تقضي به الحكمة، ويعذب من يشاء على حسب ما تقضي به الحكمة، وقد قضت حكمته بالمغفرة ﴿لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى۝٨٢﴾ [طه]، وبالعذاب للكافرين والمنافقين والظالمين الذين ماتوا وهم مصرون على الكفر والنفاق والظلم.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ[٤]

---

(١)- **سؤال:** يقال: من أين فهمنا هذا هل من إقامة الظاهر «للكافرين» مقام الضمير؟ أم من غيره؟

الجواب: فهمنا ذلك مما ذكرتم ومن قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

(٢)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٣)- **سؤال:** بأي دلالة نفهم لزوم هذا القيد هنا؟

الجواب: لزم التقييد هنا بما ذكر لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى۝٨٢﴾ [طه]، وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ۝٣٨ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ۝٣٩﴾ [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ۝٥٤﴾ [الأنعام]، والآيات في هذا كثيرة.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما وجه جزم هذا الفعل مفصلاً؟ وأين جواب «إذا» هنا؟ وما محل جملة: «يريدون»؟ وهل جملة: «قل لن تتبعونا» بدل من كلام الله أم ماذا؟

الجواب: «نتبعكم» مجزوم في جواب الأمر «ذرونا» وقيل: إنه في الأصل مجزوم بأداة شرط جازم =

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ[1]﴾ إذا أراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن ينطلق هو وأصحابه إلىٰ مغانم[2] ليأخذوها فإن المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معه إلىٰ مكة يقولون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه: اسمحوا لنا بالمسير معكم، فيقول لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأمر الله: لن تتبعونا ولن تصحبونا؛ لأن الله تعالىٰ قد حظر خروجكم معي.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ١٥﴾ فسيقول المنافقون الذين منعهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الخروج معه: لقد حسدتنا يا محمد أنت وأصحابك من أن نشارككم في المغانم، ولولا الحسد لسمحتم لنا ولما منعتمونا من الخروج معكم، هكذا يكون جواب المنافقين لأنهم لم يفهموا السبب الذي حرموا لأجله من الخروج مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أما المؤمنون فقد علموا أن الله منع المتخلفين من الخروج معهم لأجل أنهم عصوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين دعاهم إلىٰ الخروج معه إلىٰ

وأن الأصل: إن تذرونا نتبعكم.

وجواب «إذا» محذوف لوجود ما يدل عليه وهو قوله: «سيقول المخلفون...» أي: إذا انطلقتم فسيقول المخلفون. وجملة «يريدون» في محل نصب حال من مفعول «ذرونا»، وجملة «قل لن تتبعونا» مستأنفة استئنافاً بيانياً كأنه قيل: فإذا سألونا فماذا نقول لهم.

(١)- **سؤال:** ما السر في تقييد القول بكونه من قبل؟

الجواب: السر هو أن الله تعالىٰ كان قد وعد أهل الحديبية بفتح قريب قبل فتح مكة ومغانم كثيرة في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح]، وسؤال المنافقين الذين تخلفوا عن الحديبية سيقولون: «ذرونا نتبعكم...» سيكون بعد عودة أهل الحديبية من غزوتهم عندما يتوجهون إلىٰ خيبر، والآية نزلت قبل ذلك فوعد الله سابق لسؤالهم.

(٢)- **سؤال:** فضلاً هل عرفت هذه المغانم في أي غزوة أو خرجةٍ كانت؟

الجواب: أول غزوة تحقق فيها لهم وعد الله بالمغانم كانت بعد رجوعهم من الحديبية وهي غزوة خيبر.

مكة فعصوه وقعدوا، بالإضافة إلى أنهم أهل كيد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلو خرجوا معه لأفسدوا بين المؤمنين وأرجفوا وخذلوا وحاولوا إفساد الغزوة.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ[١] أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ وأمره سبحانه أن يخبر هؤلاء المخلفين بأنه سوف يدعوهم بعد مدة من الزمان إلى قتال قوم أولي بأس وقوة وشدة، وأهل خبرة وكفاءة بفنون القتال، وقد أراد بهم أهل ثقيف والطائف، ثم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعاهم فعلاً بعد فتح مكة للخروج إلى حنين[٢] لقتال أولئك القوم.

---

(١)- **سؤال:** هل الوجه في فصلها كونها جواباً لسؤال مقدر مما قبلها أم ماذا؟

الجواب: الوجه في فصلها كونها صفة لقوم.

(٢)- **سؤال:** قد يقال: لِـمَ لم يختبرهم بالخروج إلى مكة؟ وما الحامل لفارس البيان الزمخشري أن يحمله على دعائهم إلى حروب الردة؟

الجواب: قد يكون السبب أن فتح مكة قد كان أمراً محققاً لسبق الوعد به من الله فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون واثقين بالفتح لمكة، وكان قد اشتهر ذلك بين جميع المسلمين؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر المسلمين بفتح مكة في غزوة الحديبية فلم يتحقق لهم وعد الله فيها، وفي غزوة الفتح كانوا متحققين للفتح لا يشكون في ذلك ثقة بوعد الله.

والحامل للزمخشري -في ظني- هو تلفيق دليل على خلافة أبي بكر؛ لأنه إذا فسر ﴿قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ﴾ بأهل الردة، فأهل الردة إنما كانوا بعد موت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأبو بكر هو الذي دعا المسلمين إلى قتالهم، والداعي لا يكون إلا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو من يقوم مقامه؛ فيكون حينئذ أبو بكر هو الخليفة بهذا الدليل القرآني، هكذا خيل لصاحب الكشاف، وهو خيال كاذب؛ إذ لو كانت دليلاً أو على الأقل شبهة لاستدل بها أبو بكر وعمر يوم السقيفة على الأنصار، بل استدل أبو بكر يومئذ بالقرابة من الرسول فقال: «نحن بيضة رسول الله التي تفقأت عنه» ثم استدل بعد ذلك أهل السنة بالإجماع وبالشورى، ولم يستدلوا بالآية التي حاول الزمخشري أن ينحت منها دليلاً على خلافة أبي بكر.

﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ[١] اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ فإن تطيعوا نبيكم أيها المتخلفون عن الحديبية فإن الله سبحانه وتعالى سيكفر عنكم ما مضى من تخلفكم وتمردكم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن الخروج معه، وسيثيبكم.

وأما إن رفضتم وتمردتم واختلقتم الأعذار كما فعلتم فيما سبق فاعلموا أن الله سبحانه وتعالى سوف ينزل بكم العذاب الشديد في الدنيا والآخرة.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ[٢] وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ لم يحرج الله سبحانه وتعالى في القتال إلا على الأصحاء الأقوياء ذوي القدرة على القتال دون أهل الأعذار المانعة عن الكر والفر وحسن القتال.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾[٣] يبشر الله سبحانه وتعالى الذين يستجيبون لنداء نبيهم

---

(١)- **سؤال:** هل أراد الله تعالى بهذا أن يفتح لهم المجال إلى التوبة وكما يقال: «خط رجعة»؟ أم له أيضاً حكمة أخرى فما هي؟

الجواب: أراد الله تعالى بهذا أن يبين لهم أن باب التوبة مفتوح وطريق رحمته شارعة للمذنبين إن هم تراجعوا عن غيهم وأنابوا إلى ربهم.

(٢)- **سؤال:** قد يقال: إذا كان الأعرج يمكنه ممارسة بعض أنواع القتال فهل يجب عليه؟ أم قد سقط عنه بالكلية؟

الجواب: العرج الذي يعذر به صاحبه هو الذي يعيق عن الكر والفر وعن مصارعة الرجال ومقارعتهم، وإذا كان الأعرج كذلك فيسقط عنه القتال بالكلية ولو استطاع بعض القتال كالرمي من مترس وهو جالس أو قائم، وذلك أنه وإن استطاع ذلك فقد يرى القائد الانتقال من ذلك الموقع إلى موقع آخر لا يستطيع الأعرج أن ينتقل بخفة، أو إلى مكان وعر، أو نحو ذلك.

(٣)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذه الآية الوعيد على ترك الجهاد مطلقاً فكيف نجمع بينها وبين الآيات الدالة على كونه فرض كفاية نحو آية النساء: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [النساء:٩٥]؟

الجواب: قد يكون الجهاد فرض عين على كل رجل قادر بنفسه وماله، وذلك بدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجميع إلى الجهاد أو بدعوة الإمام إذا دعت الحاجة إلى تجييش الجميع، وفي هذه الآيات كان =

ويهبون لنصرته ونجدته والدفاع عنه بأنه سيثيبهم على ذلك بأجزل الثواب وأحسنه في دار كرامته ومستقر رحمته، وأما من يعرض عن دعوة الله ولا يستجيب لنداء نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فسيعذبه الله سبحانه وتعالى عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ[1] يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ[2] مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٩﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يبشر أولئك الذين بايعوه بيعة الرضوان بأنه قد رضي عنهم وأحبهم، وأنه قد علم بصدق نياتهم في الثبات مع نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، والقتال بين يديه حتى الموت فأنزل بسبب ذلك الثقة والطمأنينة في قلوبهم حتى لا يلحقهم الخوف أو الرعب، وأيضاً بشرهم بفتح سيفتحه على أيديهم ويصيبون من ورائه الغنائم والأموال الطائلة حتى يصبحوا من

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا الجميع إلى الخروج معه فتخلف الأعراب عن دعوته وطاعته وعصوه فيما أمرهم به؛ لذلك قال الله هنا: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ فوجب هنا على الأعراب وغيرهم بدعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الخروج معه فتولوا عن طاعته، وقد كان ذلك وفي المسلمين قلة.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «إذ»؟ وهل يفيد شيئاً هذا القيد؟

الجواب: «إذ» ظرف لما مضى من الزمان، و«يبايعونك» بمعنى الماضي، ويفيد أن رضوان الله عنهم قد كان في وقت مبايعتهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم تحت الشجرة لا في جميع الأوقات؛ لذلك قال تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾.

(٢)- **سؤال:** ما وجه العطف بالفاء هنا، فلم يظهر لنا السببية فيها كما في قوله: «فأنزل»؟

الجواب: لم يظهر لي الوجه في ذلك إلا إذا حملنا الآية على التقديم والتأخير أي: علم الله ما في قلوبهم من الإخلاص والنية الصالحة فرضي عنهم، وتكون الفائدة من التقديم والتأخير هي ترتيب قوله: ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ على قوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ والله أعلم.

بعد فقرهم أغنياء، وكان ذلك الذي بشرهم به هو فتح خيبر، وقد حصل لهم بعد رجوعهم من الحديبية فتح خيبر ثواباً منه سبحانه وتعالى عندما علم بصدق نياتهم.

وأما السبب في ترك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لقتال المشركين من قريش فلأنه عقد معهم الصلح بعد هذه البيعة ورجعوا جميعاً سالمين غانمين، وعندما رجعوا توجه بهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى خيبر وكان ما كان من الفتح والمغانم الكثيرة.

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ[1] لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ ووعدهم الله تعالى أيضاً بأنه سيثيبهم بمغانم كثيرة وأموال طائلة يصيبونها فيما يستقبل من زمانهم غير ما عجله لهم من مغانم خيبر، وكذلك أثابهم بأن كف أيدي المشركين عن قتالهم ثواباً عجله لهم، وجزاءً على صدقهم مع نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ[2] وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢٠﴾ وأيضاً قد جعل الله سبحانه وتعالى ذلك الذي عجله لهم آية بينة لهم ليتيقنوا صدق وعد الله

---

(١)- **سؤال:** يقال: إذا كانت الفاء للتفصيل لما تقدم فيقتضي أن كف الأيدي عنهم في المستقبل غير كفها يوم الحديبية فما رأيكم، مع تعليله؟ وهل يصح أن يحمل على ما حصل في فتح مكة؟

الجواب: حصلت بيعة الرضوان خشية وتحسباً للمواجهة مع قريش وخلصت نيات المبايعين وصدقت عزائمهم ثم إنه لم يحصل ما خشيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمون أي: أن الله تعالى كف أيدي قريش يومئذ، وكفه لأيديهم مستقبل بالنسبة لوقت المبايعة تحت الشجرة، ولا تعظم النعمة في نفوسهم إلا إذا كفاهم الله شر عدوهم الذي توقعوا أن يصبحهم أو يمسيهم في الحديبية، ورأوا أنه لا يخلصهم منه إلا الأيمان والعهود الوثيقة على مواجهته ومقاتلته حتى الموت، والفرار عار وخزي؛ فبايعوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحلفوا له على الثبات والقتال معه حتى الموت، فشكر الله تعالى لهم هذا الجد وتلك العزيمة الصادقة.

(٢)- **سؤال:** فضلاً علام عطف هذا التعليل؟ وكيف تكون الهداية علة للتعجيل أو الوعد؟

الجواب: عطف على تعليل مقدر أي: لكذا وكذا ولتكون آية للمؤمنين أي: آية دالة على صدق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيما حدثهم به من وعد الله لهم، وبتحقق وعد الله لهم يزداودن ثباتاً وبصيرة في دينهم، والهدى هو زيادة البصيرة في الدين.

تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا[(١)] قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا۝٢١﴾ وأخبرهم أيضاً أن هناك مغانم أخرى تنتظرهم، وقد سبق في علمه أنها ستكون لهم، غير أن وقتها لم يَحِنْ بعدُ، وهي غنائم فارس والروم، أخبرهم الله تعالى ووعدهم بها قبل حصولها بزمان، والسبب في أنه لم يحن وقتها أنهم لم يكن لهم في ذلك الوقت من العدد والعدة والقوة والتمكن ما يكفي لغزو فارس والروم.

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ[(٢)] ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا۝٢٢﴾ وأخبرهم أنهم لو كانوا قاتلوا المشركين بعد بيعتهم تلك للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لهزم الله سبحانه وتعالى المشركين من أهل مكة على أيديهم ولقتلوهم شر قتلة.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا۝٢٣﴾ وأخبرهم أن هذه هي سنته في السابقين واللاحقين وهي أن ينصر رسله والمؤمنين في آخر الأمر وأن يجعل العاقبة والظفر لهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ[(٣)] بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ

---

(١)- **سؤال:** ما يكون إعراب «أخرى» بالتفصيل؟ وهل نفى قدرتهم على هذه الغنائم في الحال أم في الزمان الماضي؟

الجواب: «وأخرى» معطوفة على «مغانم» أي: ومغانم أخرى، ونفى قدرتهم على هذه المغانم الأخرى في الماضي، والأصل بقاء النفي واستمراره، وقوله: ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ يدل على ذلك.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «الأدبار»؟ وكذا «سنة الله» مفصلاً؟

الجواب: الأدبار مفعول به لـ«ولوا»، و«سنة الله» مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في ذكر كف أيدي المسلمين عن المشركين هنا في موضع التمنن على المسلمين؟

الجواب: قد بين الله تعالى الوجه بعد هذه الآية بقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ

=

أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴿٢٤﴾﴾ نزلت هذه الآية بعد الحديبية بنحو من سنتين وذلك عندما دخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مكة فاتحاً لها، وقد ألقى الله سبحانه وتعالى عند ذلك في قلوب المشركين الخوف والرعب من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه حتى استسلموا لهم من دون قتل أو قتال، وقيل إن ذلك يوم الحديبية[1].

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾[2] أراد الله سبحانه وتعالى بهم أهل مكة، فهم الذين قاموا في وجه دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومنعوه وأصحابه من زيارة البيت الحرام في يوم الحديبية، ومنعوا الهدي الذي ساقه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى مكة، وكان قد ساق سبعين جملاً هدايا للبيت، فمنع المشركون الهدي أن يصل مكة، فأخبر[3] الله سبحانه وتعالى بأن المشركين قد استحقوا بذلك القتل غير أن حكمة الله تعالى قد اقتضت أن لا يقاتلهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في مكة.

تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴿٢٥﴾﴾.

(١)- **سؤال:** يقال: قد يشكل على هذا قوله: «ببطن مكة» ويوافقه أنهم منعوا الهدى عن الوصول إلى مكة المفهوم مما بعد ذلك فكيف ذلك؟

الجواب: هذه الآية جاءت لبيان أن المشركين قد كانوا مستحقين للقتل والقتال لولا ما علمه الله تعالى من المصلحة في كف أيدي المسلمين عن قتالهم وقتلهم.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب قوله : «والهدي معكوفاً أن يبلغ محله»؟

الجواب: والهدي: منصوب بالعطف على مفعول «صدوكم» أي: وصدوا الهدي. معكوفاً: حال من الهدي. أن يبلغ محله: في محل جر أي: عن بلوغ محله متعلق بـ«صدوكم» أو بـ«معكوفاً» أي: محبوساً عن بلوغ محله.

(٣)- **سؤال:** من أين نستنتج هذا؟

الجواب: الآية هذه جاءت لبيان العلة والسبب الذي يستحقون به القتل ولولا ما علمه الله من المصلحة لسلط رسوله والمؤمنين على قتلهم، وقد بين بعدها العلة في كف أيدي المؤمنين: «ولولا..».

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ(١) بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٢) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن السبب في كف أيدي المسلمين عن قتال أهل مكة، فذكر أن بين أوساط مشركي مكة رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمنات لا يعلمهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه فكف الله تعالى أيديهم عنهم مخافة أن يطئوهم بخيلهم ورجالهم، ويقتلوهم عن طريق الخطأ فيلحقهم تبعات ذلك، والذي منع هؤلاء المؤمنين عن الخروج من بين أوساط المشركين والهجرة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فهو(٣) ما كانوا عليه من الضعف وقلة الحيلة، وعدم تمكنهم من التخلص من بين أيدي المشركين.

﴿لِيُدْخِلَ(٤) اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ(٥) تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن هؤلاء المؤمنين لو كانوا خرجوا من بين أوساط المشركين أو انحازوا منهم إلى ناحية وجانب لعذب

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما نوع اسمية «معرة»؟ وممّ أخذت؟

الجواب: «معرة» مأخوذ من معرة الجيش إذا دخلوا فأفسدوا، وفعلها عره يعره، وهي مصدر.

(٢)- **سؤال:** لو تكرمتم بإعراب هذه الآية مع إعراب جملها وبيان جواب «لولا»؟

الجواب: «لولا» حرف امتناع لوجود، «رجال» مبتدأ، «مؤمنون» صفة للمبتدأ، «ونساء مؤمنات» عطف على المبتدأ وصفته، «لم تعلموهم» في محل رفع صفة لرجال ونساء جميعاً غلب فيه الرجال، «أن تطؤوهم» في تأويل مصدر مرفوع بدل من المبتدأ، وخبر المبتدأ محذوف أي: موجودون، وجواب «لولا» محذوف أيضاً أي: لعذبناهم بالقتل والجرح والأسر. «فتصيبكم» معطوف على «أن تطؤوهم». «معرة» فاعل. «بغير علم» متعلق بمحذوف صفة لمعرة.

(٣)- **سؤال:** فضلاً من أين فهمنا هذا؟

الجواب: فهم ذلك من حيث أن الله قد قال فيمن ليس له عذر في ترك الهجرة: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال:٧٢]؛ لذلك فلا حرمة إلا للمعذور.

(٤)- **سؤال:** بمَ تعلق هذا التعليل؟

الجواب: هذا علة لمقدر وهو ما دل عليه كف الأيدي أي: كان انتفاء تسليطكم عليهم ليدخل الله.

(٥)- **سؤال:** هل هذه بدل من «لولا» ومدخولها أم ماذا؟

الجواب: «لو تزيلوا لعذبنا ...» جملة مستأنفة، وليست «لو» بدلاً من «لولا» لاختلاف مدلوليهما.

المشركين وقتلهم بسيوف النبي ﷺ وأصحابه شر قتلة.

﴿إِذْ(١) جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ(٢)﴾ كان هؤلاء المشركون قد استكبروا وأخذتهم الحمية والعصبية الجاهلية عندما سمعوا بقدوم محمد ﷺ وأصحابه إليهم، وعزموا على منعه، ولكن إرادة الله سبحانه وتعالى كانت فوق إرادتهم، وقد أراد الله سبحانه وتعالى قهرهم وإذلالهم.

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴿٢٦﴾﴾ ولما أراد الله تعالى أن يذل المشركين ويقهرهم أنزل السكينة ورباطة الجأش على قلوب المؤمنين، وزرع في أنفسهم الثبات وعدم المبالاة بالمشركين، ومنحهم الحمية على الدين، والعزم على تطهير مكة من المشركين حتى دخلوا مكة، وقهروا المشركين وأذلوهم وأخزوهم، وطهروا مكة من دنس الشرك والكفر. ومعنى: «وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها»: وفقهم للثبات والتمسك بالإيمان وشهادة الحق وكانوا أحق من غيرهم والمستأهلين لها.

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ(٣) فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما معنى «إذ» هذه؟ وبماذا تعلقت؟

الجواب: «إذ» ظرف لما مضى من الزمان متعلق بقوله: «لعذبنا».

(٢)- **سؤال:** هل قوله: «في قلوبهم» متعلق بمحذوف في محل نصب مفعول ثان لـ«جعل» أم أنها ليست بمعنى الصيرورة؟ وهل «حمية الجاهلية» بدل من الحمية؟ أو ماذا؟

الجواب: الظاهر أن الجار والمجرور هو المفعول الثاني لجعل. «حمية الجاهلية» بدل أو عطف بيان.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم بم تعلق الجار والمجرور «بالحق»؟ وما موضع «لتدخلن»؟ وما محل جملة: «لا تخافون»؟

الجواب: «بالحق» متعلق بمحذوف حال من الرؤيا، وجملة «لتدخلن» لا محل لها جواب قسم مقدر، وجملة «لا تخافون» في محل نصب حال مقدرة من فاعل «لتدخلن».

سؤال: كيف يكون تحليقهم وتقصيرهم حالاً لدخولهم وهم لا يحلقون إلا بعد إتمام العمرة؟

=

دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴿٢٧﴾ بعد خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة قاصداً مكة لأداء العمرة عام الحديبية بشر المؤمنين عند مبايعتهم له بالبيعة المسماة بيعة الرضوان بأنه قد أراه الله سبحانه وتعالى في المنام بأنهم سيدخلون مكة معتمرين.

وبعد بيعتهم هذه تم الصلح بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمشركين على عدم دخول مكة تلك السنة فرجعوا إلى المدينة لينتظروا إلى العام القادم حسبما اتفق النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المشركين، فدخل من عدم تحقق تلك الرؤيا شيء في قلوب بعض المسلمين حتى سألوه عن وعده هذا لهم بدخول مكة أين هو؟ فأجاب عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لم يعدهم في نفس ذلك العام، وأنه لا زال على وعده ولا بد أن يتحقق، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر المسلمين أن لا يرتابوا ولا يدخل في قلوبهم شيء من الشك أو الريبة في مصداقية ما وعدهم به، وأنهم لا بد أن يدخلوها غير أن حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن يتأخروا عن ذلك العام لمصلحة قد علمها لهم، وفعلاً فقد فتح الله تعالى على أيديهم في ذلك العام خيبر[1]، وأصابوا منها خيراً كثيراً

ويشكل علينا الفاء في قوله: «فعلم» فظاهرها وقوع العلم بمصلحة فتح خيبر بعد الرؤيا فكيف؟ وأيضاً هل يلزم منه وقوع النسخ قبل التمكن من فعل المنسوخ أم كيف؟

الجواب: «محلقين ومقصرين» حال مقدرة أي: مقدرين الحلق والتقصير كالحال في قوله تعالى: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر]، فخالدين حال مقدرة أي: مقدرين الخلود.

لم يحدد الله تعالى ولا نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن دخولهم المسجد الحرام يكون في عام الحديبية، وقد استنكر بعض المسلمين على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما معناه: ((هل وعدتكم بدخوله في عامي هذا؟...)) وقد كان المسلمون استعجلوا حصول الوعد بدخولهم المسجد الحرام في سفرتهم تلك غزوة الحديبية ولم يحبوا تأخيره، فجاءت هذه الآية تؤكد لهم الوعد بدخولهم المسجد الحرام، فعلم الله تعالى أن المصلحة هي فتح خيبر قبل حصول الوعد بفتح مكة. والفاء لترتيب الخبر؛ لأن الله تعالى عالم في الأزل، فلم يحصل نسخ، وليس ذلك مما يصح نسخه؛ لأنه خبر من الله، وأخباره لا تنسخ، وإنما تنسخ الأحكام المتعلقة بأفعال المكلفين.

(١)- **سؤال:** قد يقال: ظاهر كلامكم أن فتح خيبر كان قبل عمرة القضاء فمتى كانت عمرة القضاء؟ وكم بينها وبين فتح خيبر؟ وهل يصح أن يحمل الفتح القريب على صلح الحديبية؛
=

وغنموا الأموال الكثيرة الطائلة، وبساتين النخيل والأعناب حتى أصبحوا بعد فقرهم أغنياء، ودخل في الإسلام في فترة الصلح أفواج كثيرة، وتصديق الله لرؤيا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قد وقع حقاً بدخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مكة في عمرة القضاء.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا۝٢٨ (١) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه قد أنعم على عباده وامتن عليهم بأن أرسل إليهم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليخرجهم من ظلمات الجهل والشرك إلى نور الحق والهدى، وقد أرسله الله تعالى بهذا الدين لأنه قد أراد أن يظهره على جميع الديانات، وأن يكون هو الدين السائد المهيمن، ثم خاطب الله سبحانه وتعالى عباده بأن هذا الرسول الذي أرسله إليهم رسول صادق مرسل من عنده.

﴿وَالَّذِينَ(٢) مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ(٣) رُكَّعًا سُجَّدًا

لنسلم من الإشكالات أم لا؟

الجواب: في السير أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجع من الحديبية في ذي القعدة وأقام في المدينة بقية ذي القعدة وذي الحجة ثم خرج في المحرم سنة سبع إلى خيبر فحصل الفتح لخيبر وحسمت الحرب في خيبر بالنصر والغنائم والخير الكثير، ثم خرج في ذي القعدة لعمرة القضاء فاعتمر هو وأصحابه على حسب بنود الصلح، فكان بين فتح خيبر وعمرة القضاء تسعة أشهر تقريباً، أي: أن فتح خيبر في أول سنة سبع وعمرة القضاء في آخرها أي آخر سنة سبع فليس هناك إشكال فحصل تصديق رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه العمرة فدخلوا مكة آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، وليس المراد فتح مكة؛ لأن دخول مكة يوم الفتح قد حصل بغير إحرام.

(١)- **سؤال:** ما الحكمة في تذييل الآية بقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا۝٢٨﴾؟

الجواب: السر هو تأكيد الكلام السابق وتقريره.

(٢)- **سؤال:** هل هذا مبتدأ خبر «أشداء»؟ وهل يصح أن نجعله معطوفاً على «محمد» وتكون أشداء خبر للجميع أم لا؟

الجواب: «محمد رسول الله» جملة، «والذين معه أشداء» جملة أخرى من مبتدأ وخبر، ولا يصح ما ذكرتم؛ لأن العطف هنا من عطف الجمل.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما محل هذه الجملة من الإعراب؟ وما محل جملة «يبتغون» أيضاً؟

الجواب: جملة «تراهم» و«يبتغون» كل منهما في محل رفع خبر بعد خبر.

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ وأخبر أن المؤمنين الذين أخلصوا في إيمانهم معه هم من أهل الشدة والبأس على المشركين، ومن أهل اللين والتواضع والتسامح فيما بينهم، ومن صفتهم أيضاً أنهم يقطعون ليلهم ساجدين وراكعين، وذاكرين لله تعالى وباكين خوفاً من غضبه وسخطه.

﴿سِيمَاهُمْ(١) فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ(٢) مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ وأخبر أن وجوههم تشع نوراً من كثرة ركوعهم وسجودهم لله تعالى، ثم أخبر الله تعالى أنه قد وصفهم في التوراة بهذا الوصف.

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ(٣) فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ووصفهم في الإنجيل وشبههم بزرع نابت قد أخرج ثمره وخرجت أوراقه واستغلظت سيقانه واستقام عليها، يعجب بنظره أهل الزراعة لما يرون من صلاح الزرع وقوته ونضارته وكثرة حبه، فهكذا(٤) أراد الله أن يكون المؤمنون ليقهروا أهل الكفر ويخزوهم ويرهبوهم ويرعبوهم، ومعنى «شطأه» : ورقه، و«آزره» : قوّاه.

---

(١)- **سؤال:** هل هذه الجملة في محل رفع خبر أيضاً لقوله: «الذين معه» أم ماذا؟

الجواب: وهذه أيضاً في محل رفع خبر خامس.

(٢)- **سؤال:** ما السر في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لأنها مستأنفة لتعظيم صفتهم.

(٣)- **سؤال:** مم اشتقت هذه اللفظة؟

الجواب: «شطأه» اسم جنس لفراخ النخل أو الزرع أو ورقه وليس مشتقاً.

(٤)- **سؤال:** لم يظهر لنا ما المراد من هذا المثل؟ وما هي الصفة التي أراد الله أن يكون عليها المؤمنين حتى يغيظوا الكفار؟

الجواب: المراد بالصفة القوة في الإيمان واليقين والصدق في العمل بأحكام الإسلام والالتزام بشرائعه مع الصديق والعدو وفي السلم والحرب ومع القريب والبعيد يؤدون ما يجب عليهم وينتهون عما نهوا عنه مع الصدق والوفاء و..إلخ.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ[١] مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[٢] ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يخبرهم بأنه قد وعد أهل الإيمان والأعمال الصالحة من أصحابه مغفرة وأجراً عظيماً على صبرهم وثباتهم على إيمانهم.



(١)- **سؤال:** فضلاً ما السر في التقييد بهذا القيد؟

الجواب: السر هو إخراج من أخل منهم بالإيمان أو أخل بالعمل الصالح من هذا الوعد أي: أنه لا حظ لمن عصى الله منهم وفسق عن أمر ربه في هذا الوعد.

(٢)- **سؤال:** ما هي مناسبة جعل هذه الآية خاتمة للسورة؟

الجواب: في هذه الآية التنبيه إلى تمام السورة ونهايتها وذلك من حيث أن المغفرة والأجر العظيم هو الغاية من الدين والعمل الصالح.

سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ[١] وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ كان الصحابة لا يراعون بعض الآداب في مجالس النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويكثرون عليه في الكلام، ويفرضون آراءهم واقتراحاتهم عليه، ويطلبون منه تنفيذ ما يقترحونه عليه من دون أي مبالاة منهم به أو مراعاة لحرمته ومقامه، فنهاهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك، وأمرهم بمراعاة مقامه، وحفظ حرمته، وعدم فرض أي رأي أو مشورة عليه، وأن يجعلوا كلمته فوق كلمتهم، وأن يكون هو الآمر والناهي بينهم، وأن عليهم فرض السمع والطاعة فيما اقترح أو أشار من دون أي جدال أو مراجعة، وأما أن يعرضوا آراءهم ومشوراتهم عليه إن طلب منهم فلا بأس، ولكن من دون أي اقتراح أو فرض.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن ذلك معصية كبيرة[٢] عنده فلا يتهاونوا بنبيهم صلى الله عليه وآله وسلم أو يقللوا من قدره، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان صاحب أخلاق عالية ومروءة وسماحة وكرم ولين، فلا يقهر أحداً أو يقلل من شأن أحد أو يستنقصه أو يجفوه بكلمة، أو يرد إساءة من أساء إليه في الكلام أو لم يتأدب في حضرته.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ[٣] أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾

---

(١)- **سؤال:** لطفاً هل الحكمة في ذكر النهي عن التقدم بين يدي الله إعلامهم أن التقدم على رسول الله برأي أو مشورة تقدم على الله سبحانه أم ماذا؟

الجواب: نعم ذلك هو المقصود؛ لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو المبلغ عن الله والمتحدث عنه.

(٢)- **سؤال:** من أين استنتجنا ذلك؟

الجواب: أخذ ذلك من الآية التي بعدها: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «كجهر بعضكم»؟ وكذا ما محل المصدر: «أن تحبط»؟

=

ثم زاد الله سبحانه وتعالى على ذلك بأنهم إذا تكلموا في حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو سمح لهم بالكلام أو طلب منهم المشورة في شيء فينبغي أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته، وأن يتكلموا وعليهم السكينة والوقار وكأن على رؤوسهم الطير من شدة الحياء، وأن يكونوا في غاية التأدب في حضرته، وأن يعظموه حق تعظيمه، وأن يكون كلامهم معه من نوع خاص، أي: كما علمهم الله سبحانه وتعالى وأرشدهم، لا كما يتكلم بعضهم مع بعض، وأخبرهم أن من رفع صوته على صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد اقترف معصية كبيرة وإثماً عظيماً يحبط(١) ثواب ما عمل من الأعمال الصالحة.

وقد نزلت هذه الآية في الشيخين أبي بكر وعمر عندما تخاصما وارتفعت أصواتهما في حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كل منهما يقترح على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويدلي برأيه ومشورته، ويريد أن يكون رأيه هو الذي يمضي عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتى علت أصواتهما وارتفعت، وكثر الشجار بينهما، وفي الحديث كما في البخاري: «كاد الخيران

الجواب: «كجهر بعضكم» جار ومجرور واقع موقع المصدر أي: لا تجهروا جهراً كجهر، فالجار والمجرور صفة لمصدر محذوف فهو في محل نصب. والمصدر «أن تحبط» في محل جر حلَّ محل المفعول لأجله أي: كراهة إحباط أعمالكم.

(١)- **سؤال:** هل يصح القياس على هذه المعصية في إثبات إحباطها للحسنات؟

الجواب: هناك معاص موجبة للنار وهي الكبائر، وما أوجب النار من المعاصي فقد أحبط الحسنات؛ لأنه لا حسنات لأهل النار، والكبائر: هي ما توعد الله فاعلها بالنار أو وصفت بالكبر أو العظم أو شرع فيها الحد أو..إلخ، فلا داعي للقياس فيها مع وجود الدليل على كبرها، وأما ما سوى الكبائر من المعاصي فقد حصل الخلاف فيها هل هي كبائر أو صغائر، وقد جاء الدليل القرآني على خطر المعاصي عموماً كقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ۝٨١﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا۝١٢٣﴾ [سورة النساء]، ففي ذلك دليل على أن كل المعاصي محبطة سواء أكانت كبيرة أم صغيرة إذا أقدم على فعلها المكلف وتعمد فعلها وهو يعلم أنها معصية لله.

أن يهلكا أبو بكر وعمر رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم.. إلى آخر الحديث».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ[١] مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴿٣﴾﴾ ثم أثنى الله سبحانه وتعالى على أهل الأدب في الكلام في حضرة النبي[٢] ﷺ، وأخبر عنهم بأنهم أهل التقوى الذين يستحقون المغفرة والأجر العظيم عند الله سبحانه وتعالى. ومعنى «امتحن الله قلوبهم»: علم تقوى قلوبهم وصدقها في الإخلاص لله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ[٣] لَا يَعْقِلُونَ﴿٤﴾﴾ وهؤلاء هم وفد بني تميم حين أقبلوا إلى النبي ﷺ ونادوه بأرفع أصواتهم أن يخرج إليهم من دون أي حياء أو مراعاة لمقامه وحضرته، ونادوه أن يستعجل في الخروج فقد أقبل إليه كبارهم وشعراؤهم، فذمهم الله سبحانه وتعالى على ذلك ولامهم ووبخهم ووصفهم بأنهم أهل جفاء وسوء أدب وخفة عقل.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: محلها الرفع خبر ثان.

(٢)- **سؤال:** ما الذي يؤخذ من الآيات السابقة من آداب في مجالس العلماء العاملين؟

الجواب: الذي يؤخذ من ذلك عدة آداب منها:

١ – أن يترك الحاضر مجالسهم الاعتراض عليهم فيما يأمرون به أو فيما يشيرون وينصحون، وأن يترك تخطئتهم في ذلك ونحوه.

٢ – أن لا يقترح عليهم خلاف ما رأوه أو قالوه.

(٣)- **سؤال:** هل يصح في قوله: «أكثرهم» أن يكون بدلاً من الاسم الموصول أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: «أكثرهم لا يعقلون» جملة في محل رفع خبر «إن»، ولا تصح بدلاً؛ لأن «أكثرهم» مرفوع والموصول منصوب، ولا بد في البدل أن يكون تابعاً للمبدل منه في إعرابه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ[١] صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٥﴾ ولو صبروا وانتظروا حتى يخرج إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكان ذلك أفضل عند الله تعالى وعند خلقه.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد تجاوز عن ذلك ورفع عنهم المؤاخذة فيه؛ لأنهم أعراب ذوو جهل وجفاء، لم يكونوا قد عرفوا دين الإسلام ولا أخلاق المسلمين ولا تأدبوا بآدابه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا[٢] أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ[٣] فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝٦﴾[٤] يعلم الله سبحانه وتعالى عباده

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما يكون موقع المصدر المؤول من «أن» واسمها وخبرها؟

الجواب: يكون موقعه الرفع فاعل لفعل محذوف تقديره: ثبت.

(٢)- **سؤال:** يقال بأن الآية إنما أمرت بالتبين في خبر الفاسق لا رده، فلماذا القاعدة المتفق عليها برد خبر غير العدل والرمي به عرض الحائط؟

الجواب: رمي به عرض الحائط بدلالة هذه الآية، حيث سمى خبر الفاسق جهالة تتبعها ندامة، وما كان جهالة تتبعها ندامة فيرمى به عرض الحائط وخلفه، بل وفي مرمى الزبالة.

(٣)- **سؤال:** ما محل: «أن تصيبوا»؟ وهل الباء سببية في قوله: «بجهالة»؟

الجواب: «أن تصيبوا» محله الجر أي: كراهة أن تصيبوا، أو النصب على نزع الخافض، والباء للملابسة، والجار والمجرور حال أي: متلبسين بجهالة.

(٤)- **سؤال:** هل نفهم من الآية قبول خبر المستور أو الذي لم يعرف عنه الفسق أم لا؟ وهل نفهم منها جواز العمل بخبر المؤمن العدل ولو في جرح قوم والحكم بعدم عدالتهم الذي يبتني عليه معاداتهم فتنتقض قاعدة الأصحاب في قولهم: «ولا في عملي يترتب على علمي»؟ أم كيف؟

الجواب: نعم، يفهم من الآية قبول خبر المستور أو الذي لم يعرف عنه الفسق، هكذا يفيد مفهوم الصفة. ويؤخذ منها: جواز العمل بخبر المؤمن العدل في الجرح، والحكم بعدم العدالة والموالاة والمعاداة، وقول الأصحاب: «ولا في عملي يترتب على علمي» يراد به -كما يظهر لي- أنه لا يجوز تقليد المجتهد الذي يرى أن أكل القات مثلاً معصية كبيرة توجب الفسق، أو

=

ويرشدهم إلى أن يتبينوا ويتحققوا من صحة خبر الفاسق إن نقل إليهم خبراً.

والسبب في ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط – وكان رجلاً فاسقاً– لجمع صدقات بني المصطلق، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بأنهم رفضوا تسليم صدقاتهم له، وهو في الحقيقة لم يسألهم ولم يصل إليهم، بينما كان بنو المصطلق في انتظار رسول النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ ليكرموه ويعطوه صدقات أموالهم كذب هذه الكذبة عليهم، وكاد أن يشعل فتنة بسبب كذبته هذه، والسبب في كذبته أنه عندما رآهم مجتمعين لاستقباله خاف منهم وهرب لثارات قديمة كانت بينهم، وقد هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب كذبته أن يخرج إليهم، فنزلت هذه الآية يأمر الله سبحانه وتعالى فيها عباده أن يتثبتوا ويتبينوا من صحة ما يسمعون أو ما ينقل إليهم من الأخبار خشية أن يأخذوا أحداً أو ينالوا عرضه بسبب كذبة، وأن لا يتسرعوا في الحكم على أحد حتى يتبينوا؛ لئلا يندموا فيما بعد.

وقد وصف الله سبحانه وتعالى خبر الفاسق بأنه جهالة[١]، وأخبر أن هذه الجهالة سوف تعقبها الندامة.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ[٢] رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهركم، وأنه لو أخذ بآرائكم واقتراحاتكم لهلكتم،

من يرى تفسيق من يبيع الأرز والعدس والسمسم بعضه ببعض متفاضلاً، فلا يجوز تقليد المجتهد في مثل هذا؛ لأن المفروض أن التكفير والتفسيق يترتب ويستند إلى دليل قطعي.

وخبر المؤمن العدل هو شيء آخر غير داخل في هذه المسألة، فيقبل خبره إذا أخبر أن فلاناً فاسق لأنه يشرب الخمر، ولا يقبل خبره إذا قال: إن فلاناً فاسق لأنه يجمع بين الصلاتين.

(١)- **سؤال:** هل المراد بالجهالة عدم المعرفة أم لها مقصود آخر فما هو؟

الجواب: الجهالة هي عدم المعرفة.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما السر في تقديم الجار والمجرور هنا؟

الجواب: قدم «فيكم» لأنه الأهم الذي قصد الإخبار به والتنبيه عليه.

ولوقعتم في الشدائد والمصائب، فلا يكبر عليكم أيها المؤمنون إن كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يعمل بآرائكم أو يأخذ بنصائحكم واقتراحاتكم؛ لأن ذلك ليس منه إلا لمصلحتكم وحرصاً عليكم أن تقعوا في المهالك، أراد الله سبحانه وتعالى أن لا يقترحوا عليه في أي شيء، أو يفرضوا عليه أي رأي أو مشورة(١).

﴿وَلَكِنَّ(٢) اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ(٣) ۝٧ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: كيف يجمع بين هذا وبين أمثال قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨]؟

الجواب: لا تعارض بين ذلك فإذا شاور النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أصحابه فيجب عليهم بعد سماع آرائهم ومشوراتهم أن يستجيبوا لما عزم عليه ولا يعترضوه ولا يخطئوه ولا يكبر عليهم إن لم يعمل بمشورتهم ولا يصروا على أن أراءهم هي الصواب.

(٢)- **سؤال:** فضلاً مِمَّ هذا الاستدراك؟ وماذا يفيد؟

الجواب: كان الصحابة قد أشاروا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالإيقاع ببني المصطلق وكأنهم ألحوا عليه ولم يراعوا مكانة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما ينبغي فنزل قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ واستهجن الله عليهم جسارتهم على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثم جاءت «لكن» لبيان عذر بعضهم فيما أشاروا به على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الإيقاع ببني المصطلق وهو أنه إنما حملهم على ذلك هو حبهم للإيمان وكراهتهم للكفر والفسوق والعصيان، ولعل المقصود بذلك هو من أشار منهم على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالإيقاع من غير جسارة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإلحاح مع مراعاتهم لمكانة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(٣)- **سؤال:** إلام الإشارة بقوله: «أولئك هم الراشدون»؟ وما الوجه في إقحامها هنا؟ وما «فضلاً»؟

الجواب: الإشارة تعود إلى المخاطبين في قوله: «ولكن الله حبب إليكم الإيمان..» وهم الذين استثناهم الله واستدركهم من الاستهجان والاستنكار، وجيء بها للتنويه بفضلهم واختصاصهم بالرشد والتعريض بالذين ألحوا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولم يراعوا مكانته وحرمته.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ۝٨﴾ واعلموا أن الله سبحانه وتعالىٰ قد تفضل عليكم بأن زين لكم الإيمان وجعله محبباً إلىٰ قلوبكم، وبغض الكفر والفسوق والمعاصي إلىٰ قلوبكم وجعلكم تكرهونها نعمة منه تعالىٰ وتفضلاً تفضل به عليكم.

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ[١] اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[٢] ثم ألزم الله المؤمنين إذا رأوا طائفتين أو فئتين من المسلمين يتقاتلون أو أشرفوا علىٰ القتال أن يسعوا جهدهم في الصلح بينهما، وأخبرهم أن ذلك فرض محتوم عليهم حتىٰ يتم الصلح بينهما.

﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «طائفتان»؟ وهل يعمل بالمفهوم من القيد بقوله: «من المؤمنين»؟ وهل يصلح قيداً للعموم في قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:١١٤]، أم لا؟

الجواب: «طائفتان» فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده؛ لأن «إن» الشرطية لا تدخل إلا علىٰ الأفعال.

ودلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ﴾ علىٰ وجوب الإصلاح بين المؤمنين دون الكافرين والفاسقين، ودلت الآية الأخرىٰ: ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ علىٰ ندبية الإصلاح بين عموم الناس، دون وجوبه؛ لأن إثبات الخيرية لأمر والترغيب في فعله يحتمل وجوبه وندبه، فيحمل علىٰ الندب؛ لأنه المحقق، والأصل براءة الذمة من الوجوب، واقتران الإصلاح بين الناس بالأمر بالمعروف والصدقة وهما واجبان لا يدل علىٰ وجوب الإصلاح؛ لضعف دلالة الاقتران، يؤيد ما ذكرنا قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة:٤٢]، والمراد اليهود.

(٢)- **سؤال:** فضلاً هل هناك فرق بين هذا الصلح المذكور في الآية أولاً والصلح الثاني المدلول عليه بقوله: «فأصلحوا بينهما بالعدل»؟

الجواب: نعم هناك فرق فالصلح الأول يراد به الحجز بين الطرفين المتقاتلين وتوقيف القتال بينهما ومنع بعضهم من بعض، وفرض الأمن بينهم من غير تعرض لما حصل من قتل وجرح وتلف أموال، والصلح الثاني يراد به الحجز بينهما مع تضمين كل طرف كل ما حصل منه جناية كبيرة أو صغيرة علىٰ نفس أو مال وعلىٰ المصلحين أن لا يتجاوزوا عن شيء من ذلك ويوفوا كل طرف ما يستحقه علىٰ الطرف الآخر.

﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا[١] إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾[٢] وذلك بعد أن سعيتم في الصلح وفصلتم بينهما، فإذا بغت إحداهما بعد ذلك واعتدت على الأخرى فإنه يجب عليكم أن تقوموا في نحر الباغي منهما، وأن تدفعوا عدوانه حتى يستجيب لحكم الله تعالى، ثم تنظروا في أمرهما وتسعوا في الصلح بينهما والانتصاف للمظلوم منهما، ويجب عليكم أن تتحروا في العدل والحكم بالقسط بينهما.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ[٣] وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾[٤] وأن الواجب على المؤمنين السعي في الصلح بين المتخاصمين منهم وإصلاح شأنهم؛ لأن الله تعالى أراد أن يكون المؤمنون إخوة متحابين، وأن لا يكون

---

(١)- **سؤال:** هل قوله: «وأقسطوا» تكرير لمفاد قوله: «بالعدل» فما علته؟ أم له فائدة أخرى فما هي؟

الجواب: «وأقسطوا» أي: في كل الأمور والصلح بالعدل الأول هو خاص بالأمر بالعدل بين الطرفين المتقاتلين.

(٢)- **سؤال:** هل يشترط تمكن الفئة المؤمنة من الصلح والفصل بينهما بإيقاف من تسول له نفسه الاعتداء على خصمه أم كيف؟ وهل خشية حدوث فوضى وانتشار عداوات بين المصلحين والفئة المعتدية يسقط هذا الواجب مع حصول أكثر وسائل التمكن أم لا يسقطه؟

الجواب: يلحق هذا بباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في شروطه.

(٣)- **سؤال:** لطفاً أين المحصور وأين المحصور فيه في قوله: «إنما المؤمنون إخوة»؟ وهل قوله: «بين أخويكم» أصرح في التقييد أنه لا يلزم المصالحة إلا بين المؤمنين دون الفسقة والمجرمين؟

الجواب: المحصور هو المؤمنون والمحصور عليه «إخوة» أي: لا أعداء، والخطاب موجه لمن يعتقد أن الأوس والخزرج أعداء، فهو قصر قلب من قصر الموصوف على الصفة، وقوله: «بين أخويكم» يدل على أن وجوب المصالحة إنما هي بين المؤمنين دون الفسقة والمجرمين.

(٤)- **سؤال:** ما السر في تذييل هذه الآية بقوله: «لعلكم ترحمون»؟

الجواب: السر -والله أعلم- هو بيان أن رحمة الله للمؤمنين مرهونة بامتثال أمره والانتهاء عند نهيه، و«لعل» هنا للتعليل.

بينهم ما ينافي الأخوة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ[١] وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾[٢] ثم أمر الله سبحانه وتعالى عباده مرشداً لهم ومعلماً ومؤدباً أن لا يحتقروا أحداً أو يتنقصوه أو يقللوا من شأن أحد فقد يكون من تنقصوه خيراً منهم وأفضل عند الله، وكذلك النساء فلا يتنقصن أحداً منهن أو يسخرن منها، إما لأجل فقر أو ضعف أو قلة حيلة، أو دمامة، فقد تكون خيراً منهن عند الله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ولا يعب بعضكم بعضاً، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن لا يعيب الأخ أخاه[٣]، وقد عبر عن الأخ بالنفس لشدة رابط الأخوة بين المؤمنين.

---

(١)- **سؤال:** هل تحريم السخرية والاحتقار مطلق؟ أم أنه مقيد بكون المسخور منه من أهل الدين والصلاح؟ وما الدليل على ذلك؟ وبناء على ذلك هل يجوز للمؤمن أن يتنقص مجروح العدالة بعيب في خلقته أو في طبائعه أو نحو ذلك؟ أم لا يذكره إلا بما ينقص دينه مما سقطت عدالته به؟

الجواب: تحريم السخرية والاحتقار مقيد بكون المسخور منه من أهل الدين والصلاح أو ممن ظاهره الإيمان، ودليل ذلك قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ ولا خير في غير المؤمن، ولا يقال في أهل النار أنهم خير من أحد.

ويجوز للمؤمن السخرية والاحتقار لمجروح العدالة بفعل كبيرة موجبة للنار غير تائب منها فيعاب بعيوبه الخلقية والطبيعية ويعاب بأعماله الخبيثة؛ إذ لا خير في أهل النار ولا تجرى فيهم الخيرية.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾؟

الجواب: «عسى» فعل ماض من أفعال الرجاء، وهي هنا تامة. «أن يكن» أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل عسى، «خيراً» خبر يكن ونون النسوة اسمها.

(٣)- **سؤال:** استشكل بعض الإخوان ما يصدر من بعض الكلمات بين الأصدقاء المؤمنين أو بين المدرس وطلابه نحو: يا لعبي، يا بليد، فلان مسكين (غير حاذق)، فلان جواد (ليس بنبيه)، عديم، حرق، متساهل، و.. و.. و...، هل هي من اللمز أو التنابز أو الغيبة في حال غياب صاحبها أم لا؟ وهذا كله مع عدم اعتقاد المتكلم لنقص دين من يتكلم عنه؟

الجواب: ما ذكرتم من الكلمات ونحوها مما دخل في لهجة المتكلم ولغته منذ الصغر وانعقد عليها لسانه فهو ينطقها ويتكلم بها عند حصول سبب من غير قصد منه إلى تنقيص أو عيب أو

=

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ ونهاهم أن ينادي أحد منهم أخاه وصاحبه إلا بأحب الأسماء إليه، وأن لا يدعوه بما يكره من الأسماء.

﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴿١١﴾﴾ أراد الله سبحانه وتعالى أن لا يدعو المسلم أخاه بـ: «يا فاسق»، أو يكون[1] المراد أن الذي يعيب الناس ويسخر منهم يستحق اسم الفاسق، ويعد عاصياً عند الله تعالى تجب عليه التوبة من ذلك؛ لأنه خرج عن حدود الله، وظلم نفسه بما جنى عليها من استحقاق العذاب.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا[2] مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[3] ثم أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يحسنوا ظنهم بإخوانهم، وأن يحملوهم على السلامة في جميع أمورهم، وأن لا يصدقوا ما نقل عنهم من الكلام، وأن لا يأخذوهم بالتهمة، وقد أراد الله تعالى بالظن هنا ما لا بينة له عليه،

سخرية فإنه يلحق باللغو الذي لا يؤاخذ به قائله. يؤيد ما ذكرنا: أن المخاطب بمثل ذلك لا يكبر عليه ذلك ولا يتأذى به؛ لعلمه بحسن نية المتكلم، وهذا في حين ينبغي للمؤمن أن يتحرز عن قول مثل تلك الكلمات، وأن يتعود على إبعادها عن لسانه.

(١)- **سؤال:** من أين يظهر لنا هذا الاحتمال الآخر؟

الجواب: يظهر لنا ذلك من ورود الذم: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ ...﴾ بعد قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: أن جملة الذم كالتعليل للنهي فكأنه قال: لأنه يوجب الفسق، إلا أن جملة الذم حلت محل ذلك لزيادة تقبيح التنابز والتنفير عنه.

(٢)- **سؤال:** قد يقال: لم قال الله في النهي: «كثيراً من الظن» وفي تعليله: «بعض الظن إثم»؟

الجواب: المراد ببعض الظن هو المراد بـ«كثيراً من الظن» إلا أن التكرير غير مرضي عند أهل البلاغة لذلك خالف هنا بين العبارتين للتفنن.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في عطف الماضي «فكرهتموه» على المضارع «يأكل»، مع عدم التناسب بينهما في الظاهر؟

الجواب: الفاء في قوله «فكرهتموه» هي الفصيحة أي: إن صح هذا فكرهتموه أي: فقد كرهتموه.

ونهاهم عن التجسس على إخوانهم[1] المؤمنين، وتتبع عوراتهم، ومحاولة كشف سترهم وأسرارهم، ونهاهم أيضاً أن لا يذكروا إخوانهم في ظهر الغيب بما يكرهون[2]، وقد شبه الله سبحانه وتعالى من يغتاب أخاه بمن يأكل لحمه وهو ميت

---

(١)- **سؤال:** من أين نفهم هذا القيد؟ وما الذي يدل على جواز التجسس على الفساق والكافرين؟ وما الذي يدعونا إلى التجسس عليهم ونحن نقطع بسوء حالهم وكثرة معايبهم؟

الجواب: فهم القيد من حيث أن سياق هذه الآيات هو المحافظة على روابط الأخوة بين المؤمنين وترك الأسباب التي تفسدها، فقوله: «ولا تجسسوا» هو مقيد أي: لا يتجسس بعضكم على بعض بدليل قوله تعالى في الجملة التي بعدها: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ فالسياق واحد والمعنى المطلوب واحد ابتداء من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ إلى هذا الموضع، وما دام قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ مقيداً في المعنى فيفهم منه جواز التجسس على غير المؤمنين، ويتأيد ذلك بما اشتهر في سيرة الرسول ﷺ أنه كان يبعث العيون على أهل الحرب، والذي يدعو إلى التجسس على الكافرين والبغاة هو الاحتراز من شرهم والأمن من غدرهم، ومعرفة عددهم وعدتهم.

(٢)- **سؤال:** ما الذي جعل أهل المذهب يزيدون هذا القيد في تعريف الغيبة «بما لا ينقص دينه»؟ وما الذي يجوز ويستثنى من مواضع الغيبة؟ وهل أدلة ذلك قوية؟

الجواب: كأنهم زادوا القيد للاحتراز عن ذكره بما ينقص دينه فإنه يجوز عيبه بترك الصلاة عمداً من غير عذر وبعقوقه لوالديه وقطعه لرحمه وبأكله لأموال اليتامى ظلماً ونحو ذلك.

ويستثنى من مواضع الغيبة حالات:

١ – يجوز للمظلوم أن يشكو من ظالمه فيذكره بأنه ظالم محتال أخذ مالي بغير حق وسرقه وكذب علي فهو كذاب...، فإن كان ظالمه كذلك فلا إثم عليه ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨]، وحديث: ((لَيُّ الواجد يُحِلُّ عرضه وعقوبته))، ومعنى الحديث: أن مطل الغني عن تسديد الدين مع مطالبة صاحبه يحل عرضه وعقوبته أي: أن لصاحب الدين أن يقول: إنه مماطل ظالم خائن...، وللحاكم أيضاً أن يعاقبه بحبس أو نحوه.

٢ – ويجوز عند التعريف برجل لمن لا يعرفه أن تقول مثلاً: هو ذلك الرجل الأعور ذو البشرة السوداء

=

دلالة على شناعة ذلك وقبحه عند الله سبحانه وتعالى.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ۝١٢﴾ واجتنبوا معاصي الله تعالى من ظن السوء والتجسس والغيبة.

ثم بعد أن أرشد الله سبحانه وتعالى عباده إلى هذه الآداب أخبرهم أنه سيغفر لهم ما مضى إن هم تابوا وتركوا ما نهاهم الله عنه.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الذكر والأنثى هما آدم وحواء، ثم بعد ذلك تكاثر نسلهما، وخرج منهما الذراري الكثيرة حتى صارت شعوباً وقبائل متفرقة، والشعب أكبر من القبيلة فهو يضم عدداً من القبائل؛ ليتم التعارف فيما بينهم، لا ليتفاخر[1] بعضهم على بعض، ويترفع بعضهم على بعض.

قصير القامة، فيه عرجه في رجله اليسرى، وفيه إذا تحدث فأفأة؛ يدل على جواز ذلك ما نجده في كتب السير عند ذكرهم لصفات من يكتبون عنه كقولهم في ذكر الإمام محمد بن عبدالله النفس الزكية عليه السلام: كان آدم شديد الأدمة، ونحو ذلك كذكرهم لقصر القامة، وحِدّة الطبع وهو ما نسميه في لغتنا بـ«الحَرَق»، وكذكرهم للعمى والعور و..إلخ، ولم يستنكر ذلك عليهم على طول التأريخ، وليست العلة والسبب في ذلك إلا أنهم إنما أرادوا التعريف لا العيب والتنقيص.

٣- ويجوز غيبة الفاسق والكافر ليحذرهم الناس.

٤- ويجوز عند الاستشارة في رجل مثلاً لمعرفتك به فتقول لمن يريد أن يشاركه أو لمن يريد أن يزوجه أو يجاوره أو... إلخ: هو رجل ذو أوهام يؤذي جيرانه وأهله وكذا وكذا.. إلخ، ودليل هذا هو دليل التعريف الذي ذكرناه، وفي الحديث: ((المستشار مؤتمن)) فلا يجوز له أن يغش الذي استشاره، وفي الحديث أن فاطمة بنت قيس استشارت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاثة رجال خطبوها فذكر لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم معائب كل واحد منهم وأشار عليها بأن ترد خطبتهم وتتزوج بغير واحد منهم وهو أسامة بن زيد.

(١)- **سؤال:** كيف يحمل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل قوله: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))؟

الجواب: قد احترز النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ((ولا فخر)) عن أنه لم يقل هذا القول ليفخر على الناس ويترفع به عليهم، وإنما قاله ليبين به مكانته التي وضعه الله فيها بين البشر؛ ليقتدوا به وليطيعوه وليوقروه و..إلخ.

﴿إِنَّ(١) أَكْرَمَكُمْ(٢) عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٣) ثم رد الله تعالى على من يدعي الفضل والشرف بنسبه ومن يفتخر لكونه من آل فلان بأن الأمر ليس كما يدعي ويظن، بل الكريم عند الله تعالى والرفيع هو من اتقى الله، ومن كانت قدمه أرسخ في تقوى الله تعالى فهو أفضل عنده وأشرف وأكرم عليه، فكرم الإنسان ورفعته وشرفه على قدر منزلته عند الله سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ فاتركوا الترفع على الناس واستحقارهم فهو عليم

---

(١)- **سؤال:** هل هذا الاستئناف بيان علة لمحذوف تقديره: لا لتفاخروا؟ أم ماذا؟

الجواب: استئناف في جواب سؤال مقدر.

(٢)- **سؤال:** قوله: «أكرمكم» مأخوذ من الكرم وهو الجود في العطاء فما السر في التعبير به عن الرفيع مطلقاً؟

الجواب: عبر به عن الرفيع عند الله لأنه يؤدي جميع ما أوجب الله عليه ومنها الواجبات المالية.

(٣)- **سؤال:** يقال: كيف نجمع بين الآية ومدلول الحديث الذي رواه البخاري وغيره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام..)) ونحوه، ((...ثم اصطفى من كنانة قريشاً، ثم اصطفى من قريش بني هاشم، ثم اصطفاني من بني هاشم...))؟

الجواب: لا تقع خيرة الله من عباده الذين تتغلب عليهم طبائع العدوان والرذيلة وطبائع الكبر والفخر والميل إلى الشر، ويختار الله من تميل طبائعه إلى التواضع والإنصاف والعدل وكراهة الرذيلة والفواحش، ومن يميل إلى نصرة المظلوم والرحمة بالضعيف واليتيم والبر والصلة، فتقع خيرة الله على من يحمل هذه الطبائع؛ لذلك جاء الحديث الذي أوردتموه: ((خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام))؛ لذلك اختار الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه بلغ في الكمال والخير الغاية والنهاية في الطبائع الخيرية عند البشر، واصطفاء الله تعالى لكنانة ثم لقريش ثم... إلخ إنما هو لما تحمله من تلك الفضائل الرفيعة في الجاهلية، وأهل التقوى هم أهل الكرامة عند الله لما هم عليه من الصفات الحميدة الجامعة لمحامد كنانة وقريش و... وللمحامد التي جاء بها الإسلام؛ لذلك فلا منافاة بين الآية وبين ما ذكرتم.

بكل أعمالكم، ومطلع على كل أسراركم، وسيجازيكم على ذلك.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ[(١)] وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ أقبل قوم من الأعراب إلى النبي ﷺ رافعين أصواتهم معلنين أنهم قد دخلوا في الإيمان وأصبحوا مؤمنين، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يجيب عليهم أنهم لم يستحقوا اسم المؤمنين بَعْدُ؛ لأنهم[(٢)] لم يعرفوا حقيقة الإيمان، ولا زالوا على مراحل من هذا الاسم، ولا بد أن يعرفوا أولاً حقيقة الإيمان وشرائطه، وليقولوا: أسلمنا واستسلمنا، وانقدنا لله ورسوله، ثم يتعلمون بعد ذلك شرائع الإسلام ويعملون بها، فإذا فعلوا ذلك فقد استحقوا اسم الإيمان، وأمره أن يخبرهم أنهم إن أسلموا ثم عملوا بشرائع الإسلام وأحكامه فإن الله تعالى سيوفيهم أجور أعمالهم، وسيثيبهم عليها ولن ينقص[(٣)] من أجور أعمالهم شيئاً، وأن يخبرهم أنهم إن التزموا بشرائع الإسلام فإن الله تعالى سوف يتجاوز عن سيئات أعمالهم، وسيغفرها لهم.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «ولما يدخل الإيمان»؟ وهل الواو فيها عاطفة؟

الجواب: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ الواو للحال، والجملة في محل نصب حال من فاعل «تؤمنوا».

(٢)- **سؤال:** لطفاً من أين ظهر لنا أن هذا هو السبب في عدم استحقاقهم للإيمان أو أن تعلمهم شرائع الإسلام شرط في استحقاقهم لهذا الاسم؟

الجواب: ظهر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فإنه يدل على أن الإيمان لم يدخل في قلوبهم حينذاك.

(٣)- **سؤال:** مم اشتقت كلمة «يلتكم» حتى صارت بمعنى: «ينقصكم»؟

الجواب: كلمة «يلتكم» مشتقة من: «لاته يليته» كباعه يبيعه، وقيل: هو من: «ولته يلته» كوعده يعده، وهي بمعنى: ينقصكم ويظلمكم، وقرئ: «لا يألتكم» وهي لغة غطفان وأسد، والمعنى واحد.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝١٥﴾[١] وأخبرهم أنه لا يسمى مؤمناً، ولا يستحق هذا الاسم إلا من آمن بالله تعالى، وأخلص في إيمانه وثبت عليه، واستقام ولم يترك مجالاً للشك والريبة في قلبه في صدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وصحة ما جاء به، واستقام على دينه ولم يتراجع عنه، ثم بعد إيمانهم بالله تعالى ورسوله يبذلون أموالهم وأنفسهم في سبيل الله وإعلاء كلمته فهؤلاء هم المؤمنون الصادقون في إيمانهم عند الله تعالى.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ[٢] وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٦﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يسأل الأعراب مستنكراً عليهم إقبالهم عليه، مخبرين له أنهم قد آمنوا بالله ورسوله: وكانوا بدواً أجلافاً لا أدب فيهم ولا مراعاة لحرمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فأخبرهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن

---

(١)- **سؤال:** يقال: كيف يصح الحصر هنا –مع كونه في بيان حقيقة الإيمان– في أهل هذه الصفات، وفي آية الأنفال في صفات أخرى غير هذه؟ وكيف تم لنا حقيقة الإيمان فيمن أتى بجميع الواجبات واجتنب المقبحات مع هذا؟

الجواب: القصر هنا هو لقلب اعتقاد المخاطب، فإن الأعراب أقبلوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مسلمين منقادين وقالوا: آمنا، فرد الله عليهم بأن يقولوا: أسلمنا؛ لأن الإيمان لم يكن قد دخل قلوبهم، ثم قال الله لهم: «إنما المؤمنون...» أي: لا من ارتاب ولم يجاهد بماله ونفسه في سبيل الله فلم يرد في هذه الآية إلا نفي هذا لا نفي غيره من صفات المؤمنين الواردة في غير هذا الموضع؛ لذلك فلا معارضة ولا مخالفة لما ذكرتم.

(٢)- **سؤال:** هل المراد المصدر أي: تدينهم ودخولهم في الدين؟ أم الاسم والمراد أجزاء الدين؟

الجواب: المراد دخولهم في الدين أي: أن الله استنكر عليهم إعلانهم الإسلام بصورة منافية للأدب عند بيت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾.

الله تعالىٰ عالم بهم وبنياتهم، وليس محتاجاً إلىٰ أن يتنقلوا بين شوارع المدينة، معلنين بين الناس عن إيمانهم، ولا أن يحدثوا تلك الضجة التي صدرت منهم.

﴿يَمُنُّونَ[(١)] عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾[(٢)] ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أنّ هؤلاء الأعراب بإقبالهم إليه في تلك الهيئة يتمننون عليه بإسلامهم، وأنهم إنما يريدون بذلك أن يرتفع شأنهم ويعلو ذكرهم بين الناس، وأن ينوه النبي ﷺ بذكرهم بين المسلمين.

﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[(٣)] فأمره الله تعالىٰ أن يجيبهم بأن لا يأتوا إليه متمننين عليه بإسلامهم، وأن يقبلوا إلىٰ الله تعالىٰ فهو الذي هداهم وأنعم عليهم بنعمة الإسلام، وهو الذي يستحق أن يتوجهوا إليه ويشكروه ويطيعوه جزاء هدايته لهم، لا أن يكون الله هو الذي يشكرهم أو رسوله ﷺ.

---

(١)- **سؤال:** هل نفهم من هذا أنه السبب في إنكار الله عليهم إعلان إسلامهم؟ أم أنه عدم الاعتقاد للإيمان بقلوبهم كما في أول الآيات؟ أم الجميع أسباب في ذلك؟

الجواب: يضاف هذا إلىٰ قلة أدبهم مع النبي ﷺ وجلافتهم عليه، وهو غير ما تقدم.

(٢)- **سؤال:** ما محل المصدر: «أن أسلموا»؟ وهل يتعدىٰ الفعل «يمن» بنفسه؟ أم بواسطة حرف الجر؟

الجواب: «أن أسلموا» في تأويل مصدر مجرور بباء مقدرة «بأن أسلموا» أو منصوب بنزع الخافض، ويتعدىٰ «يَمُنُّ» بحرف الجر كما ذكرنا، وقد يتعدىٰ بنفسه.

(٣)- **سؤال:** ما محل المصدر «أن هداكم»؟ وبماذا تعلق الشرط: «إن كنتم صادقين»؟ وكيف يكون المعنىٰ حسب ذلك؟

الجواب: «أن هداكم» مثل: «أن أسلموا»، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله والتقدير: إن كنتم صادقين فالله المانّ عليكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾[1]

واعلموا أن الله تعالى وحده هو الذي يختص بعلم ما خفي في السماوات وما في الأرض، وهو العالم بما في ضمائركم أيها الأعراب، والعالم بنياتكم والمطلع على حقيقة إيمانكم، فأقبلوا إليه وتوجهوا بقلوبكم له، وأدوا حق شكره بأداء ما افترض عليكم من طاعته وامتثال أوامره.



(١)- **سؤال:** هل ظهرت لكم مناسبة في ختم هذه السورة بهذه الآية الكريمة؟

الجواب: بعد أن أتم الله تعالى التوصية للصحابة وللأعراب ختمها بالوعيد المبطن؛ ليكونوا على حذر من سوء أدبهم مع النبي ﷺ، وليلتزموا طاعته وطاعة رسوله ﷺ، وذلك يؤذن بتمام السورة ونهايتها.

سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ق[١] وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ①﴾ أقسم[٢] الله سبحانه وتعالى بالقرآن المجيد ليلفت انتباه المشركين وأسماعهم إلى النظر في حقيقة ما أقسم الله سبحانه وتعالى به؛ لأن العادة أن لا يحلف أحد إلا بشيء عظيم القدر والشأن، وذلك أن المشركين كانوا يعرضون عن النبي ÷ أشد الإعراض، ويرفضون السماع منه أو الاستماع إليه، فكان هذا القسم مما سيشد انتباههم إلى سماع هذا الشيء العظيم الذي أقسم الله سبحانه وتعالى به، وقد ابتدأ الله تعالى هذه السورة بهذا الحرف -والله أعلم- للتنبيه على أن هذه السورة قد كثر فيها ذكره. والمجيد: هو ذو الشرف والرفعة، أي: أن هذا الكلام الذي اشتمل عليه القرآن له شرف ومزية على سائر الكلام، وأنه فوق كل كلام في البلاغة والفصاحة والسلامة من الاختلاف والتناقض والتبديل.

﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ[٣] مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ②﴾

---

(١)- **سؤال:** ما رأيكم -حفظكم الله- في جعل (ق) اسماً للقرآن الكريم؟ أو اسماً لجبل مشهور بجبل قاف أقسم الله به؟

الجواب: الخلاف في المراد بـ(ق) كالخلاف في الحروف المقطعة في أوائل السور «ألم، ألر، حم، ن، ص، يس...»، وكل ما قالوه في ذلك تجويزات واحتمالات أو روايات عن بعض الصحابة أو بعض التابعين الله أعلم بصحتها، والمحقق أنها حروف هجائية لا غير، إما أن الله تعالى سمى بها تلك السور أو أقسم بها في بعض وسمى بها في بعض.

(٢)- **سؤال:** فضلاً أين جواب هذا القسم؟

الجواب: يمكن تقديره بنحو: إن ما توعدون لواقع، يدل عليه: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ②﴾.

(٣)- **سؤال:** ما محل هذا المصدر من الإعراب؟

الجواب: محله الجر بـ«من» مقدرة.

ولكن المشركين كفروا بهذا القرآن المجيد الذي أقسم الله سبحانه وتعالى به، وأعرضوا عنه أشد الإعراض، وكفروا بهذا النبي الذي أرسله الله سبحانه وتعالى إليهم وتعجبوا كيف يكون رسولاً وهو واحد منهم؛ وكانوا يزعمون أنه لا يصح أن يرسل الله تعالى نبياً إلا من الملائكة أو من جنس غير جنس البشر.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ[١] رَجْعٌ بَعِيدٌ۝٣﴾ ثم استنكروا عليه وتعجبوا مما جاءهم به وحذرهم منه، من أمر البعث والحساب، وقالوا كيف يصح أن ترجع تلك العظام البالية إلى الحياة مرة أخرى وتحيا من جديد؟ وزعموا أن ذلك مستحيل.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ۝٤﴾ ثم رد الله سبحانه وتعالى عليهم بأن باطلهم وشركهم قد أوشك على الزوال والاضمحلال، وأن الأرض ستطهر منهم ومن شركهم شيئاً فشيئاً، وأن الإسلام سيقضي[٢] عليهم ويطهر الأرض منهم.

﴿بَلْ[٣] كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ۝٥﴾ وطبيعتهم التكذيب

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في سقوط الفاء من جواب الشرط؟ وما الوجه في حذف عطف البيان والبدل بعد اسم الإشارة «ذلك»؟

الجواب: الجواب محذوف غير مذكور تقديره: نبعث. ولم يستدع الكلام عطف البيان بعد الإشارة؛ لأن الخبر يدل على المشار إليه ولو ذكر لكان: ذلك الرجع رجع بعيد؛ فيحصل تكرار لا فائدة منه، وذلك مستكره في البيان.

(٢)- **سؤال:** قد يقال: فما الوجه في إسناد النقص إلى الأرض بخلاف قوله: ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد:٤١]؟

الجواب: الإسناد إلى المكان فن من فنون الكلام وباب من أبواب البلاغة، وهاهنا قد أسند الفعل إلى المكان للوجه الذي ذكرنا، وفي الواقع أن الله تعالى هو الفاعل للنقص.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما معنى الإضراب هنا؟ وما إعراب «لما»؟

الجواب: الإضراب يدل على أنهم جاءوا بأعجب مما عجبوا منه في قوله: «بل عجبوا..». «لما» ظرف لما مضى من الزمان أي: حين جاءهم.

والتمرد فهم قوم متمردون على الله تعالى وعلى رسوله، وقد كذبوا بما جاءهم به النبي ﷺ من القرآن، حتى اختلط عليهم الأمر، وتاهوا بسبب تكذيبهم وتمردهم.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ[(١)]﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا[(٢)] فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴿٧﴾﴾ ثم استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم ما هو الذي دعاهم إلى الشك والريبة مع ما يرون أمامهم من آيات الله سبحانه وتعالى؟ فالسماء فوقهم يقلّبون فيها أعينهم، وينظرون إلى ما فيها من آيات قدرة الله وعظمته وربوبيته، والأرض أمامهم يتقلبون على ظهرها ويرون ما جعل الله عليها من الجبال الراسيات، وما يخرج منها من الأشجار والثمار وأصناف النبات، وما جعل الله تعالى لهم فيها من الأرزاق والأرفاق والمنافع التي لا

---

(١)- **سؤال:** فضلاً هل الاستفهام في الآية تقريري أم إنكاري؟ وبماذا تعلق الظرف «فوقهم»؟ وما إعراب: «كيف بنيناها»؟ وعلام عطفت: «وما لها من فروج»؟ وكذا ما إعراب: «والأرض مددناها»؟

الجواب: الاستفهام إنكاري فقد استنكر عليهم غفلتهم وعدم النظر إلى آيات السماء. «فوقهم» ظرف مكان متعلق بمحذوف حال من السماء أي: حال كونها فوقهم وقريبة منهم ومصاحبة لهم لا تفارقهم آياتها ليلاً ولا نهاراً. «كيف» اسم استفهام في محل نصب حال من ضمير «بنيناها»، وجملة «كيف بنيناها» بدل من السماء أي: أفلم ينظروا إلى كيفية بناء السماء. «وما لها من فروج» الواو للحال والجملة في محل نصب حال من السماء أو من ضميرها. «والأرض مددناها» الأرض: مفعول به لفعل محذوف يفسره «مددناها» ويمكن أن يقال: إن الأرض منصوبة بالعطف على محل قوله: «إلى السماء» و«مددناها» جملة في محل نصب على الحال من الأرض.

(٢)- **سؤال:** ما نوع المجازية في «ألقينا»؟ وما يفيدنا ذلك من معنى؟

الجواب: في «ألقينا» استعارة تبعية حيث استعار الإلقاء للخلق، وفي هذا التعبير «ألقينا» دلالة على عظمة الله وقوة سلطانه ونفوذ قدرته، وهوان خلق الجبال عليه؛ لأن المعهود من نحو هذه الكلمة أنها تقال لمن ألقى ما في يده لهوانه عليه ولعدم مبالاته به لحقارته.

تعد ولا تحصى، ومعنى «وما لها من فروج» : ليس فيها شقوق.

﴿تَبْصِرَةً[١] وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ۝٨﴾ وكل ذلك جعله الله سبحانه وتعالى آية تُبَصِّرُ الناظرَ إليها، وتدله إلى معرفته واستحقاق إلهيته وربوبيته ووحدانيته، وتذكيراً لعباده المؤمنين ليزدادوا بها إيماناً وإنابة إلى الله تعالى.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ[٢] لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ۝١٠ رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ ثم ذكر الله تعالى عباده بأنه الذي أنعم عليهم بالمطر، وجعل لهم فيه البركة والمنافع الكثيرة، وحب الحصيد: حب النبات المحصود مثل حب الذرة وحب البر و.. إلخ، والباسقات : أراد الله سبحانه وتعالى بها العالية المرتفعة في السماء، والطلع النضيد هو ما تخرجه النخل من التمر الكثير المرصوص في مطوه، وكل ذلك خلقه الله سبحانه وتعالى رحمة لعباده، ورزقاً[٣] لهم، ويحتمل أن يكون الرزق هو المطر الذي ينزله الله تعالى من السماء والذي يتسبب في إخراج نبات الأرض الذي يأكلونه، وهذا المعنى هو الأرجح، ولذلك قال بعده:

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ۝١١﴾ لا تستبعدوا أيها المشركون أن يحيي الله تعالى الموتى يوم القيامة فقد رأيتم كيف يحيي تعالى الأرض بعد موتها بقدرته، وقد رد الله سبحانه وتعالى بذلك على المشركين المنكرين للبعث والنشور حين أمرهم أن ينظروا في الماء الذي يحيي به الأرض الميتة ويكسوها بالخضرة بعد

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «تبصرة»؟

الجواب: تعرب مفعولاً من أجله.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «باسقات»؟

الجواب: تعرب حالاً من النخل.

(٣)- **سؤال:** لطفاً ما يكون إعراب «رزقاً» على هذا المعنى؟ وما يكون إعرابه على المعنى الأرجح؟

الجواب: يعرب على الأول مصدراً من معنى «أنبتنا»، وعلى الثاني: مفعولاً من أجله.

اليباس كذلك سيحيي الموتى، وأمرهم أن يقيسوا حياتهم بعد موتهم على حياة الأرض بعد موتها.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ[١] وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ[٢] كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ[٣] فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾ يخاطب الله تعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن لا يكْبُر عليه تكذيب قومه واستهزاؤهم به، فتلك الأمم الماضية قد كذبت جميعاً بأنبيائها، وقد استحقوا نزول عذاب الله وسخطه عليهم بسبب تكذيبهم وتمردهم، وقد أهلكهم الله سبحانه وتعالى ودمرهم، فكذلك قومك يا محمد، فشأنهم كشأن أولئك القوم سواء.

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥﴾ ثم رجع الله

---

(١)- **سؤال:** ما زال الإشكال حاصلاً عندنا في أصحاب الرس من هم؟ ولماذا سموا بهذا الاسم؟ وما حقيقة خبرهم؟

الجواب: ذكر أصحاب الرس هنا بعد ذكر نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكروا في سورة الفرقان بعد ذكر نوح وعاد وثمود، ولم يذكر الله تعالى في القرآن نبيهم الذي أرسل إليهم وإنما قال هنا: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ وفي الفرقان: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ۝٣٩﴾، ولم يرد عنهم في القرآن غير هذا، وفي التفسير حكايات عن هذا الاسم «الرس» وعن أصحاب الرس وعن خبرهم بقيل وقيل و.. إلخ؛ لذلك فإن سائر أخبارهم لا زالت مجهولة، والمتحقق من خبرهم هو ما حكاه الله تعالى هنا وفي الفرقان من أن الله تعالى أرسل إليهم رسولاً فكذبوه فأهلكهم الله وتبرهم تتبيراً.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بتبع أسعد الكامل؟ وما شأنه وخبره؟

الجواب: «تبع» اسم عام لكل من أجلسوه على كرسي الملك في اليمن كما أن «فرعون» اسم لكل من ملك سلطان مصر، وأشهر ملوك اليمن هو أسعد الكامل، وليس هناك خبر موثوق به أن تبعاً المذكور هنا هو أسعد الكامل.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما السر في فصل «كل كذب الرسل» عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لأنها بمنزلة البيان أو البدل من الجملة الأولى.

تعالى إلى الاستنكار على المشركين استبعادهم للحياة والبعث بعد الموت، وسألهم هل أعياه تعالى أو أعجزه أو تعسر خلقهم وإيجادهم أول مرة؟ ولن يجدوا بداً من الاعتراف لله تعالى بالقدرة على ذلك، فمهما قد قدر على خلقهم من العدم فخلقهم مرة أخرى بعد الموت أيسر وأهون عليه في الظاهر، وأما في الحقيقة فكما قال سبحانه: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨].

ثم أخبر الله تعالى بأنهم متمردون ومعاندون، وأن طبيعتهم التكذيب والاستهزاء والتمرد، وأنهم لا زالوا في شكهم وتشكيكهم وريبهم في أمر البعث والنشور على الرغم من معرفتهم بآيات قدرة خالقهم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴿١٦﴾﴾ يؤكد الله سبحانه وتعالى هنا على عظيم قدرته وسعة علمه وإحاطته بما ظهر وما بطن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، واستيلاء قدرته على كل شيء فمتى أراد أن يأخذ الإنسان أخذه وهو تعالى أقرب إليه من نفسه، وهذا أيضاً رد من الله تعالى على المشركين في إنكارهم للبعث والحياة مرة أخرى بأنه قد خلق الإنسان وأوجده من العدم فهو قادر على خلقه وإيجاده مرة أخرى، وأخبرهم بأنه عالم بما يدور من الخواطر في أنفسهم، ومحص لجميع الوساوس والخواطر التي قد مرت على الإنسان في حياته لا يخفى عليه من ذلك شيء، وأنهم في قبضته وتحت قدرته وسيطرته، وأنه متى أراد أن يأخذهم فلن يعجزوه فهم أقرب إليه من أنفسهم، وعبر عن قربهم منه بحبل الوريد العرق الموجود في العنق كناية عن شدة قربهم إليه وتمكنه منهم.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ[1]﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ

---

(١)- **سؤال:** ما معنى «إذ» في الآية هذه؟ وما هو العامل فيها؟ وما محل جملة: «عن اليمين وعن الشمال قعيد»؟

=

﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ[(١)]﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه قد وكل بكل امرئ ملكين يراقبانه، ويحصيان عليه جميع أقواله وأعماله، وهما حاضران عنده لا يفارقانه، لا يتكلم بكلمة إلا كتباها ولا يعمل عملاً صغيراً كان أو كبيراً إلا سجلاه.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ عندما تحضر ملائكة الموت لانتزاع أرواح الكافرين[(٢)] سيعلمون حقيقة ما كانوا ينكرونه، وسينكشف لهم حينئذ الغطاء فحينئذ يعلمون العلم اليقين الضروري الذي لا شك معه ولا ريبة أن ما وعدهم الله حق وصدق، وأن الله علىٰ كل شيء قدير.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[(٣)] ثم أخبر الله تعالىٰ عن يوم الوعيد الذي ينكرونه ويكذبون به بأنه يوم ينفخ الله في صورهم الروح فيحييهم من جديد، فيأتي كل واحد إلىٰ أرض المحشر والحساب والجزاء ومعه

الجواب: «إذ» منصوبة بـ«اذكر» محذوفاً أو بـ﴿أَقْرَبُ﴾، وهي بمعنىٰ «حين» أو «وقت». «عن اليمين وعن الشمال قعيد» في محل نصب حال من المتلقيان.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما محل جملة: «لديه رقيب عتيد»؟ وممَّ أخذت لفظة «عتيد»؟

الجواب: «لديه رقيب عتيد» في محل نصب من فاعل «يلفظ». «عتيد» صفة مشبهة (فعيل) بمعنىٰ (فاعل)، وهو مأخوذ من: عَتُدَ بوزن كَرُمَ يعتُد بوزن يكرُم بضم الراء، وعتيد بمعنىٰ: حاضر.

(٢)- **سؤال:** يقال: هل هذه خاصة بالكافرين؟ فما وجه خصوصها؟ أم يدخل فيها المسلمون؟

الجواب: الخطاب في هذه الآية للكافر المنكر للبعث، فإنها إذا جاءت الكافر سكرة الموت علم عندها أن وعد الله حق، أما المؤمن فإنه مؤمن بوعد الله فتأتيه سكرة الموت وهو موقن بما تأتي به من الحق.

(٣)- **سؤال:** هل هذا علىٰ حقيقته أم مجاز؟ وما نوعه؟

الجواب: «حديد» صفة مشبهة من حددت السكين باب ضرب، وهو استعارة مبنية علىٰ التشبيه استعار حد السكين لنفوذ البصر ومضيه في المرئيات كمضي السكين ونفوذه في قطع اللحم ونحوه.

سائق يسوقه وشهيد يشهد عليه بما عمل، فعندها سيصدقون بما كانوا ينكرونه ويشككون فيه من الحق[١] والقرآن الذي جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، وسيعلمونه العلم الضروري الذي لا ينتفي بشك ولا شبهة بعد أن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يريهم إياه في الدنيا فيتعامون عنه ويعرضون عن تصديقه.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ[٢] عَتِيدٌ۝٢٣ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ۝٢٤ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ۝٢٥ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ۝٢٦﴾ ثم أخبر الله تعالى عن القرين الذي يغوي صاحبه ويصده عن الهدى بأنه سيتكلم يوم القيامة عند الله تعالى بأن هذا يا رب قريني[٣] الذي كنت أغويه في الدنيا وأضله، فعندها سيأمر الله سبحانه وتعالى ملائكة العذاب بسوقهم جميعاً إلى جهنم جزاء على كفرهم وتمردهم.

وقوله: «ألقيا» -بلفظ التثنية- فإن المراد به الواحد إذ تستعمل العرب ذلك كثيراً. **والمناع**: هو الذي يبخل بما أعطاه الله سبحانه وتعالى من النعم ولا يخرج زكاة أمواله. **ومعتد**: صفة للكفار أيضاً يعني أن طبيعته العدوان على الناس. **والمريب**: هو الذي يكثر التشكيك في آيات الله تعالى، ومن صفته أيضاً أنه اتخذ له إلهاً يعبده من دون الله تعالى.

---

(١)- **سؤال:** من أين فهمنا هذا؟

الجواب: من قوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ وسبب الغفلة هو الكفر بيوم الوعيد والشك في صدقه.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما محل الظرف هذا؟

الجواب: محله النصب متعلق بـ«استقر» محذوفاً صلة الموصول.

(٣)- **سؤال:** هل يمكن أن يحمل على أنها شكاية بالمغوي (اسم الفاعل) ممن تابعه ليقابل رده بقوله: «ربنا ما أطغيته»؟ أم ترونه مخالفاً للصواب؟

الجواب: القرين هو الذي يغوي صاحبه في هذه الآية وفي التي قبلها.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴿٢٧﴾﴾ وذلك عندما يلقي التابع اللوم على متبوعه، والقرين على قرينه، فعند ذلك سيجيب ذلك القرين والمتبوع بأنه الذي استجاب لهوى نفسه، وأنه الذي تسبب في ضلال نفسه وإغوائها عن الحق، وأن نفسه هي التي مالت به، وجرته إلى الضلال.

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ[1] إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴿٢٩﴾﴾ فيرد الله سبحانه وتعالى عليهم بأنه لا ينفعهم الجدال والتخاصم عنده، فقد سبق أن حذرهم وأنذرهم على ألسنة رسله وأنبيائه، وقد أبلغهم الحجة، ولم يبق لهم مجال اليوم إلا دخول جهنم؛ لأن هذا هو ما كان قد وعدهم به ولا خلف لوعده وقوله ولا تبديل.

﴿يَوْمَ[2] نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴿٣٠﴾﴾ ويذكِّرهم اللهُ سبحانه وتعالى أيضاً يوم القيامة حين تلقي بهم زبانية العذاب في نار جهنم- عظمَ جهنم وسعتها وسعيرها، وشدة حنقها على المجرمين، وطلبها للمزيد.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ[3] لِكُلِّ أَوَّابٍ

---

(١)- **سؤال:** لطفاً هل هذه الجملة حالية أم ماذا؟ وما محل جملة: «ما يبدل القول لدي»؟

الجواب: الجملة حالية، وجملة «ما يبدل القول لدي..» مستأنفة للتعليل.

(٢)- **سؤال:** ما هو العامل في هذا الظرف؟ وهل المقاولة بين الباري وجهنم على حقيقتها أم مجازية؟ ومن أي أنواع المجاز؟

الجواب: العامل في «يوم» هو «اذكر» محذوفاً أو ﴿بِظَلَّامٍ﴾، والظاهر أن المقاولة مجازية وليست حقيقية أي: أنها مقاولة بلسان الحال وليست بلسان المقال فهي جارية مجرى المثل المبني على التشبيه المركب أي: أنها من باب الاستعارة.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب «غير بعيد»؟ وهل جملة «هذا ما توعدون» مقول لقول محذوف؟ فلم استعمل المضارع «توعدون» ولم يستعمل الماضي؟ وهل يصح حملها على ابتداء كلام جديد جواباً على سؤال مقدر أم لا؟

الجواب: «غير بعيد» ظرف؛ لأن المراد: مكاناً غير بعيد، ويجوز أن يكون حالاً من الجنة، «هذا ما توعدون..» جملة معترضة بين البدل والمبدل منه «لكل أواب..» فإنه بدل من «للمتقين..» فلا محل لها من الإعراب.

حَفِيظٍ۝٣٢ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ۝٣٣﴾[1] في ذلك اليوم سوف تقرب الجنة للمتقين حتى يروها ماثلةً أمام أعينهم، فيخبرهم الله سبحانه وتعالى عندما يرونها بأن هذه هي الجنة التي كان يعدهم الله بها في الدنيا، ويخبرهم أنها دار المتقين الذين كانوا يكثرون من الإنابة والرجوع إليه والذين يتحفظون من الوقوع في معاصي الله سبحانه وتعالى وما يوجب غضبه وسخطه، والذين كانوا يخافونه ويخافون عذابه، ويؤمنون بلقاء الله تعالى وباليوم الآخر على الرغم من عدم رؤيتهم ومشاهدتهم له، بل آمنوا تصديقاً منهم لأنبيائه ورسله عليهم السلام.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ[2]۝٣٤ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ۝٣٥﴾

تقول[3] لهم الملائكة: ادخلوا الجنة سالمين آمنين من كل شر وسوء ومكروه، وستسلم عليهم الملائكة وتبشرهم بالخلود في النعيم الدائم، وستخبرهم بأن ما يتمنونه سوف يجدونه ماثلاً بين أيديهم من دون أي تعب أو مشقة، وتخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى سوف يزيدهم على ما يشتهونه نعماً أخرى يمتعهم بها ليست

---

(١)- **سؤال:** هل في قوله: «وجاء بقلب منيب» تكرير لقوله: «أواب» أم فيها زيادة فما هي؟

الجواب: في ذلك زيادة هي: بيان أن الوعد الجميل لمن مات وهو تائب راجع إلى الله، وهذا المعنى ليس موجوداً في أواب.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما معنى الباء في قوله: «بسلام»؟ ولم فصلت الجملة «ذلك يوم الخلود» عن سابقتها؟ وما الوجه في فصل ما بعدها أيضاً؟

الجواب: معنى الباء المصاحبة والملابسة أي: ادخلوها حال كونكم متلبسين بسلام ومصاحبين له. وفصلت «ذلك يوم الخلود» عن سابقتها لاختلافهما إنشاءً وخبراً فبينهما كمال الانقطاع. «لهم ما يشاءون» في محل نصب حال من فاعل ادخلوها، وفيها التفات من الخطاب إلى الغيبة، ويجوز أن تكون مستأنفة فلا محل لها من الإعراب.

(٣)- **سؤال:** لِـمَ لم نجعله تابعاً لمقول الله السابق «هذا ما توعدون»؟

الجواب: لأنه تعالى يقول لأهل النار قولاً، ويقول لأهل الجنة قولاً غير متصل بقوله لأهل النار.

في حسبانهم[١].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا[٢] فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ۝٣٦ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ۝٣٧﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه لن يتعسر أو يصعب عليه إهلاك قومه من قريش، وأنهم لن يعزوا عليه فكم من القرون والأمم قبلهم أهلكهم وعذبهم على الرغم من أنهم كانوا أكثر منهم عدداً وأشد بطشاً وأعظم قوة وعدة فلم تنفعهم قوتهم من الله سبحانه وتعالى شيئاً، ولم يجدوا لهم أي مفر أو مهرب منه عندما أنزل بهم عذابه؛ وقريش فلا تستبعد نزول عذاب الله تعالى بهم جزاء تكذيبهم وتمردهم على نبيهم.

ومعنى «فنقبوا في البلاد» : جالوا في الأرض وأبعدوا السير فيها.

يحذرهم الله سبحانه وتعالى بذلك ويتأنى بهم عسى أن يؤثر فيهم فيعتبروا ويرجعوا عن تكذيبهم وتمردهم.

---

(١)- **سؤال:** فسر الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام المزيد بحورية عظيمة لها صفات بالغة فهل يحمل كلامه على الرفع إلى أمير المؤمنين أو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ لا مساغ للاجتهاد في المغيبات؟

الجواب: قد روي عن أبي سعيد الخدري رَفَعَه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن المزيد من يزوج بهن من الحور العين، وهذا يقوي احتمال أن تفسير الإمام زيد مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أمير المؤمنين، ويحتمل أيضاً أن الإمام زيداً عليه السلام أخذ ذلك من القرآن.

(٢)- **سؤال:** كيف نفهم التنقيب هنا؟ وهل قوله: «هل من محيص» من تساؤلهم أم من رد الله عليهم؟

الجواب: «فنقبوا» معطوفة على «هم أشد...» وليست معطوفة على «أهلكنا». «هل من محيص» من قول المهلكين أي: قائلين هل من محيص.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يتذكر بذلك إلا أهل[(١)] العقول الذين يصغون إلى الذكرى بأسماعهم، ويفتحون لها آذان قلوبهم ولا يغفلون عنها.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴿٣٨﴾﴾[(٢)] يُطْلِعُ الله سبحانه وتعالى المشركين على عظيم قدرته وخلقه، كيف خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام من دون أن يلحقه أي تعب أو نصب أو مشقة في ذلك، إذاً فهو قادر على خلقهم وإحيائهم مرة أخرى، وقادر على أخذهم وتعذيبهم من دون أن يعجزوه أو يهربوا أو يفروا من قبضته وقدرته.

﴿فَاصْبِرْ[(٣)] عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ بعد أن أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما جرى على تلك الأمم المكذبة، وما لاقى الأنبياء قبله منهم من التكذيب والاستهزاء أمره أن يصبر على ما يلاقيه من قومه من التكذيب والاستهزاء، وأن يمضي في تبليغ دعوته وما أمر به، غير مبال بشركهم وباطلهم.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ[(٤)] رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: فما فائدة العطف لإلقاء السمع بـ«أو» مع أنه بمعنى ما قبلها؟

الجواب: جاء العطف بـ«أو» ليدل على أن الذكرى واضحة بل في غاية الوضوح لا تحتاج كثير فكر، بل يكفي سماعها أي: أن الذكرى واضحة لمن كان له عقل ولو قل أو لمن فتح سمعه وأصغى، فجاءت «أو» للترقي من الأعلى إلى الأدنى كأنه قال: أو على الأقل فتح أذنه وأصغى.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «من لغوب»؟

الجواب: «لغوب» فاعل مرفوع محلاً مجرور لفظاً بـ«من» الزائدة لتأكيد النفي.

(٣)- **سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟

الجواب: هي الفصيحة أي: أنها سببية رابطة.

(٤)- **سؤال:** ما معنى الباء هنا؟ وما هو المعطوف في قوله: «ومن الليل» فلم يظهر لنا، مع أن المعطوف عليه «قبل طلوع»؟

الجواب: معنى الباء هنا التلبس والمصاحبة أي: فسبح الله حال كونك متلبساً بحمده ومصاحباً له.

=

فَسَبِّحْهُ[١] وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴿٤٠﴾ وأمره أن يستمر على المداومة على ذكر الله تعالى وعلى حمده وتنزيهه عن الشريك، وأن يداوم على أداء ما افترض عليه من الصلوات[٢] في هذه الأوقات المذكورة. وقبل طلوع الشمس: أراد به صلاة الفجر، وقبل الغروب: أراد صلاة الظهر والعصر، ومن الليل: أراد به صلاة المغرب والعشاء، وأدبار السجود: فقد قيل إن المراد بها ركعتا المغرب[٣] كما قد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴿٤١﴾ يَوْمَ[٤] يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ

«ومن الليل فسبحه» من الليل متعلق بقوله: «فسبحه» والجملة معطوفة على جملة «وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب».

(١)- **سؤال:** فضلاً ما معنى الفاء هنا؟وما عملها؟ وهل قوله «أدبار» ظرف زمان؟ وما الفرق بينها وبين «إدبار» بكسر الهمزة في قراءة بعض السبعة؟

الجواب: قد قالوا: إن الفاء في مثل هذا الموضع زائدة لتزيين اللفظ، وليس لها عمل. «أدبار» ظرف زمان جمع «دُبُر» بمعنى: بعد دبر كل صلاة أي: بعد كل صلاة. «إدبار» مصدر: أدبر يدبر إدباراً.

(٢)- **سؤال:** هل تريدون هنا أنه يصح الجمع بين المعنى الحقيقي والمجازي للتسبيح؟ أم كيف؟

الجواب: المراد في هذه الآية هو التسبيح والذكر والحمد الذي تتضمنه الصلاة؛ لأن تقييده بقبل طلوع الشمس و.... دليل على أن المراد صلاة ذلك الوقت.

(٣)- **سؤال:** وما الوجه في إطلاق أدبار السجود عليها؟

الجواب: الوجه هو -والله أعلم- كونها تصلى عقب صلاة المغرب.

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في حذف الياء من «المناد»؟ وكذا من «يناد» وهي لا تحذف خطاً؟ ولم أطلق عليه المكان القريب؟ وهل قوله: «يوم يسمعون» بدل من «يوم يناد»؟

الجواب: وحذفت الياء من المنادي للتخفيف، وحذفت من «ينادي» خطاً في المصحف، وحذفت لفظاً لالتقاء الساكنين. ووصف المكان بالقرب للإشارة إلى أن الصوت لا يخفى على أحد. و«يوم يسمعون» بدل من «يوم يناد المنادي» كما ذكرتم.

﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ۝٤٢﴾ وانتظر[١] يا محمد بقومك يوم القيامة عندما ينادي بهم منادي الرحمن للبعث والحساب الذي كانوا ينكرونه، وذلك عندما يخلق الله سبحانه وتعالى صيحة تخرجهم أحياءً من قبورهم.

﴿إِنَّا نَحْنُ[٢] نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ۝٤٣ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ۝٤٤﴾ ثم أكد الله سبحانه وتعالى للمشركين بأنه هو الذي بيده حياتهم وموتهم، ثم بعد ذلك بعثهم ونشورهم، وذلك يوم تتشقق الأرض فيخرجون من جوفها مسرعين إلى إجابة داعي الرحمن للحساب.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنه أعلم بكل ما يقولون من التكذيب والهزء والسخرية بدعوته، وسيجازيهم على ذلك، وذلك أن النبي ﷺ كان قد امتلأ غيظاً من قومه عندما لم ير منهم أي استجابة له أو قبول، وإنما كانوا يقابلونه بالسب والسخط والأذى والاستهزاء والاحتقار، فأنزل الله تعالى عليه هذه الآية ليخفف من غيظه ذلك، ويخبره أنه سينتصف لدينه

---

(١)- **سؤال:** من أي ناحية كانت بمعنى «انتظر»؟ وهل يمكن أن نستدل من قوله: «الصيحة بالحق» على أن النفخ في الصور في آلة لا بمعنى النفخ في الصُّوَر جمع صورة أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: حصل ذلك المعنى «انتظر» من مجموع «استمع» و«يوم ينادي المنادي» وذلك من حيث أن المأمور باستماعه أمر مستقبل لم يحصل وقت الأمر فيكون المعنى حينئذ توقع سماع ذلك وانتظره، والظاهر هنا وفي قوله: ﴿النَّاقُورِ۝٨﴾ [المدثر]، دليل على حصول صوت مسموع، والخلاف هنا واسع لا يترتب عليه ما يخل بالإيمان.

(٢)- **سؤال:** ما عمل هذا الضمير؟

الجواب: عمل هذا الضمير عمل معنوي فهو يفيد:

١ - أن ما بعده خبر لا صفة.

٢ - اختصاص المبتدأ بالخبر أي: القصر والحصر.

٣ - تأكيد إسناد المبتدأ إلى الخبر.

ولنبيه منهم.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ[١] بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴿٤٥﴾﴾[٢] وأخبره أنه ليس مسلطاً على إدخالهم في الهدى رغماً عنهم وأنه ليس مكلفاً بهدايتهم، فما عليه إلا تبليغهم وتذكيرهم بآيات الله تعالى قبلوا أم لم يقبلوا، ولكنه لن ينفع تذكيرك يا محمد إلا فيمن يخاف الله تعالى ويخاف غضبه وسخطه.



---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما معنى الفاء هنا؟ وهل يستفاد من تعليق التذكير بمن يخاف وعيد الله أنه لا يلزم النبي صلى الله عليه وآله وسلم تذكير من لا يخافه، أم لا؟ وما وجه تأويله بالانتفاع؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة، أي: أنها تدل على شرط محذوف، وقيد التذكير بمن يخاف وعيد لأنهم هم الذين تنفعهم الذكرى، والواجب على النبي أن يذكر من يخاف ومن لا يخاف، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴿١١﴾﴾ [الأعلى].

(٢)- **سؤال:** ما السر في حذف ياء المتكلم من قوله: «وعيد»؟

الجواب: حذفت للتخفيف وللمناسبة لرؤوس الآي؛ إذ ليس فيها حرف لين.

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا۝٣[١] فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ۝٦﴾ أقسم الله سبحانه وتعالىٰ بالرياح التي تذرو الرمال والتراب وتلقح به الأشجار، وهي آية من عظيم آياته الدالة علىٰ قدرته وعلىٰ ربوبيته، وقد أقسم الله سبحانه وتعالىٰ بها ليلفت انتباههم إلىٰ آيته العظيمة هذه وينظروا ويتفكروا فيها.

ومعنىٰ «الحاملات وقراً، فالجاريات يسرا»: الرياح التي تحمل السحاب المحمل بالماء ثم تجري به في السماء وتسوقه بقدرته تعالىٰ إلىٰ مختلف البلاد التي أراد الله سبحانه وتعالىٰ أن يسقيها[٢].

وقد أقسم الله تعالىٰ بذلك للمشركين ليؤكد لهم صدق ما وعدهم من البعث والحساب والجزاء.

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم هل قوله: «وقراً» مفعول به للحاملات؟ أم صفة لمصدر محذوف؟ وهل الثاني منهما هو إعراب «يسراً»؟ وما فائدة الفاء في دخولها علىٰ الثلاثة المقسم بها؟

الجواب: «وقراً» مفعول به للحاملات، «يسراً» مفعول مطلق أي: جرياً يسراً كما ذكر في السؤال، وجاءت الفاء في الثلاثة للترتيب والتعقيب فتأتي الريح أولاً فتذرو الغبار وبخار الماء فيتكون بعد ذلك بمشيئة الله وحكمته السحاب الحامل للماء، فيعقب ذلك سير السحاب الحامل للماء في السماء وأخيراً يُنْزِل الله الماء من السحاب حيث يشاء من البقاع، والريح هي التي تذرو وتحمل السحاب وتسوقه، وتخرج منه المطر بإرادة الله ومشيئته.

(٢)- **سؤال:** يظهر من كلامكم أن «المقسمات أمراً» لا زال من أوصاف الريح، فما المرجع لذلك؟ وهل يصح أن يحمل علىٰ الملائكة التي تنفذ إرادة الله بتوزيع وتدبير أمور الخلق أم لا؟

الجواب: اخترنا تفسير المقسمات بالريح للتناسب والتلاؤم بين المتعاطفات وقد فسرت أيضاً بالملائكة كما ذكرتم، وليس ثمة مانع من تفسيرها بالتفسيرين.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ۝٨﴾ ثم أقسم الله تعالى للمشركين مرة أخرى بالسماء ذات الحبك أي المحكمة في بنائها[١] إنهم مكذبون بأمر البعث والحساب، وبالتوحيد وبأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كلاً منهم يقول فيه بقول من التكذيب كقولهم: كيف يحيي العظام وهي رميم؟ وفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ساحر أو مجنون أو...، ولو نظروا وتفكروا في السماء وما فيها من آيات قدرة الله وقوته لعلموا أن الله قادر على بعث الناس بعد موتهم ولما استبعدوا ذلك.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ۝٩﴾[٢] يعني يصرف عن أمر البعث والحساب من صرف ويعرض عنه من أعرض فالله[٣] سبحانه وتعالى غير مبال بتكذيبهم، ولا محتاج إلى تصديقهم، وإنما هم الذين سيتحملون إثم تكذيبهم على ظهورهم.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ[٤] سَاهُونَ۝١١﴾ أي: لعن الخراصون وهم الكذابون، وقد شبه الله سبحانه وتعالى حالهم في غفلتهم عما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم من التحذير والإنذار بمن هو مغمور وسط الماء فلا يسمع ما يحصل حوله من الكلام.

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر الـحُبُك أنها جمع فهل من المناسب حملها على ذات الطرائق للكواكب؟

الجواب: قد فسر في مختار الصحاح الحبك بما ذكرتم وفسرها أيضاً أي: مادة (ح ب ك) يحبك الثوب أجاد نسجه وبابه ضرب، وقال ابن الأعرابي: كل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته وفي الحديث: أن عائشة كانت تحتبك تحت الدرع في الصلاة أي: تشد الإزار وتحكمه. اهـ(مختار الصحاح). فهذا هو الذي دعانا إلى تفسير الحبك بإحكام الصنعة؛ لأنه لا يظهر في السماء خطوط كخطوط الرمل والماء إذا ضربته الرياح.

(٢)- **سؤال:** هل يستعمل «أفك» مبنياً للمعلوم أم لا يستعمل إلا مغير صيغة؟

الجواب: الظاهر أنه يستعمل بالوجهين يقال كما في مختار الصحاح: أَفِك يأفَك «لتأفكنا».

(٣)- **سؤال:** فضلاً من أين نفهم نحو هذا المقدر؟

الجواب: فهم من مواضع أخرى نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت:٤٦].

(٤)- **سؤال:** ما يكون محل الجار والمجرور هنا؟

الجواب: يكون محله الرفع خبر ثان.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ[١]۝ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ۝﴾[٢] وأنهم يسألون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سؤال تهكم واستهزاء وسخرية عن موعد يوم الدين والبعث والحساب، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يجيبهم بأن يوم الدين الذي يكذبون به هو ذلك اليوم الذي سيعرضهم الله سبحانه وتعالى فيه على نار جهنم ثم يعذبهم فيها. ومعنى «يفتنون»: يعذبون.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ۝﴾ وسيقول[٣] لهم في ذلك اليوم: ذوقوا العذاب الذي كنتم تكذبون به، وتستعجلون نزوله وحلوله في الدنيا.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ۝ ءَاخِذِينَ[٤] مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ۝ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ۝ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ۝﴾[٥] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال

---

(١)- **سؤال:** تكرماً ما يكون محل جملة «يسألون» من الإعراب؟ وما إعراب: «أيان يوم الدين»؟

الجواب: جملة «يسألون» في محل نصب حال من «الخراصون». «أيان» خبر مقدم متعلق بمحذوف. «يوم الدين» مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب مفعول به لفعل السؤال المعلق بالاستفهام.

(٢)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة «يفتنون»؟ ومامحل الجار والمجرور «على النار»؟ وهل «على» فيه على بابها أم لها معنى آخر فما هو؟

الجواب: «يفتنون» في محل رفع خبر «هم». «على النار» متعلق بـ«يفتنون»، و«على» على بابها الذي هو الاستعلاء أي: يعذبون فوق جمر جهنم.

(٣)- **سؤال:** على هذا فقوله: «ذوقوا فتنتكم» مقول لقول محذوف؟ فهل قوله: «هذا الذي كنتم.. إلخ» مقول آخر فما وجه فصله؟ أم أنه تابع لما قبله فما وجه تذكير «هذا»؟

الجواب: الكل مقول لقول محذوف، وفصلت الجملة الثانية عن الأولى لتخالفهما إنشاءً وخبراً، وذكَّر «هذا» لأن المشار إليه هو العذاب المسبب عن الفتنة، فالفتنة وقعت هنا مجازاً مرسلاً.

(٤)- **سؤال:** فضلاً أين صاحب الحال هذا؟

الجواب: هو الضمير المرفوع المستقر في الجار والمجرور.

(٥)- **سؤال:** هل قوله: «كانوا قليلاً..» بدل من «كانوا قبل ذلك محسنين»؟ وما إعراب «قليلاً من الليل ما يهجعون»؟ وبماذا تعلق الجار والمجرور «بالأسحار»؟ وعلام عطفت جملة «وفي أموالهم.. إلخ»؟

=

عباده المتقين في ذلك اليوم بأنهم يتنعمون في بساتين الثمار والأنهار ويتلذذون بما أعطاهم ربهم من النعيم.

ثم وصفهم الله تعالىٰ بأنهم الذين أحسنوا إلىٰ أنفسهم حين كانوا يقطعون أوقاتهم ولياليهم في ذكر الله تعالىٰ وتسبيحه والتضرع إليه، ويستغفرونه ويتوسلون إليه أن يغفر لهم ذنوبهم وما مضىٰ من سيئاتهم، وقد جعلوا نصيباً من أموالهم للسائل والمحروم، والسائل: هو من يسأل الناس، والمحروم: أراد به الذي يتعفف عن سؤال الناس.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾[1] ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه قد جعل للناس آيات وعلامات في الأرض تهديهم إلىٰ معرفته حق المعرفة وإلىٰ توحيده.

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يحثهم الله تعالىٰ أن ينظروا في الآيات التي جعلها لهم في أنفسهم والتي توصلهم إلىٰ معرفته والعلم به إن هم نظروا وتفكروا فيها.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ[2] وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ثم أخبر الله تعالىٰ عباده بأنه جعل رزقهم فيما ينزل من المطر، فلو أنه انقطع عنهم الماء الذي ينزله الله لهم من السماء لماتوا جوعاً.

الجواب: الجملة «كانوا...» بدل كما ذكرتم، أو عطف بيان؛ لذلك فصلت. «قليلاً» ظرف زمان أو مصدر، أي: وقتاً قليلاً أو هجوعاً قليلاً. «من الليل» صفة. «ما» صلة لتأكيد القلة. «يهجعون» فعل مضارع والواو فاعل وهو العامل في «قليلاً». «بالأسحار» متعلق بـ«يستغفرون». و«في أموالهم حق» معطوف علىٰ «هم يستغفرون»، وكلتا الجملتين في محل نصب بالعطف علىٰ خبر كانوا.

(١)- **سؤال:** من فضلكم أوضحوا بم تعلق الجار والمجرور هنا؟

الجواب: متعلق بمحذوف صفة لآيات.

(٢)- **سؤال:** هل يستفاد العموم هنا؟ وممَ؟

الجواب: المراد العموم وذلك من إضافة «رزق» إلىٰ الضمير.

وقد أراد الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ أن عذابه أيضاً الذي ينزله على المكذبين كالصيحات والصواعق والحجارة ونحو ذلك يكون من السماء.

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ۝٢٣﴾[1] ثم أقسم الله سبحانه وتعالى بأن ما أخبرهم به من أمر الرزق والعذاب حق وصدق لا شك فيه ولا ريب.

﴿هَلْ[2] أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ۝٢٤ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ[3] قَوْمٌ مُنْكَرُونَ۝٢٥﴾ ثم خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ

---

(١)- **سؤال:** بينوا لنا إعراب «مثل ما أنكم تنطقون» مفصلاً أيدكم الله؟

الجواب: «مثل» مفعول مطلق أي: صفة لمفعول مطلق، والتقدير: إنه لحق حقاً مثل...، أو يكون «مثل» حالاً من ضمير «لحق» حال كونه مثل...، «ما» صلة للتوكيد دخلت بين المضاف والمضاف إليه. «أنكم تنطقون» في تأويل مصدر مجرور بالإضافة، وقد أعربوا «ما» نكرة موصوفة مضافة إلى مثل أي: مثل شيء، والجملة التي بعد «ما» في محل جر صفة لـ«ما» أي: مثل شيء «هو أنكم تنطقون» فجملة «هو أنكم تنطقون» في محل جر صفة لـ«ما» هكذا قرروا الإعراب، والوجه الأول أسهل.

(٢)- **سؤال:** ما معنى الاستفهام هنا؟ وهل يصح حملها على «قد» كما في قوله: «هل أتى على الإنسان»؟

الجواب: معنى الاستفهام هنا التفخيم والتعظيم لحديث ضيف إبراهيم عليه السلام، وليس لحملها على معنى «قد» وجه؛ إذ لم يكن النبي ﷺ يعرف حديث ضيف إبراهيم من قبل، وقد ورد ذكر هذه القصة في سورة الحجر أولها قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ۝٥١﴾ [الحجر]، فكأن هذه البداية تشير إلى أن القصة التي في سورة الذاريات هي الأولى نزولاً؛ لأنها لإعلام النبي ﷺ بحديث ضيف إبراهيم، وقصة هود هي المتأخرة نزولاً؛ لأنها لإعلام قريش.

(٣)- **سؤال:** ما الفرق بين تسليم الملائكة عليهم السلام وتسليم إبراهيم عليه السلام؟

الجواب: الفرق بين سلام الملائكة عليهم السلام وسلام إبراهيم عليه السلام أن سلام إبراهيم عليه السلام أبلغ من حيث أن سلامه بالجملة الاسمية وسلام الملائكة بالجملة الفعلية.

أن يذكر لقومه قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ضيوفه عندما أقبلوا عليه من السماء بالسلام، وكانوا من الملائكة، فسلم عليهم واستنكر في نفسه من هيئتهم التي رآهم عليها.

﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ[١] أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ[٢] بِغُلَامٍ عَلِيمٍ[٣] ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ[٤] وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ[٥] قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ يعني مال بخفية وخلسة إلى أهله -وهذه عادة الكرام مع ضيوفهم- فأقبل عليهم بعجل قد ذبحه وطبخه، فلما رآهم لا يأكلون استنكر وداخله الخوف فقد عرف[٦] أنهم من الملائكة، وأنهم لا ينزلون إلا لأمر عظيم،

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في فصلها عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لأنها استئناف بياني أي: في جواب سؤال مقدر.

(٢)- **سؤال:** فضلاً علام عطف قوله: «وبشروه...»؟

الجواب: «وبشروه» في محل نصب حال، والواو للربط وليست للعطف.

(٣)- **سؤال:** ما هو التحقيق في الغلام المبشر به هل إسماعيل أم إسحاق؟

الجواب: الغلام المبشر به هنا هو إسحاق بدليل ما جاء في سورة هود: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾، والذي في الصافات: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ...﴾، هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٤)- **سؤال:** هل يؤخذ من القصة جواز لطم الوجه عند حصول نعمة أو التبشير بنعمة؟ وإذا كان فهل نسخ ذلك في شريعتنا؟

الجواب: صكت وجهها صكاً خفيفاً غير مؤلم، تفعله النساء عند سماعهن لما فيه غرابة وسرور وليس ذلك مما نهي عنه في شريعتنا.

(٥)- **سؤال:** هل قوله «عجوز» خبر لمبتدأ محذوف؟ وما إعمال «كذلك»؟

الجواب: «عجوز» خبر لمبتدأ محذوف أي: أنا عجوز عقيم. «كذلك» خبر لمبتدأ محذوف، أي: الأمر كذلك الذي سمعت.

(٦)- **سؤال:** قد يقال: من أين فهمنا هذا؟

الجواب: فهم ذلك من عدم أكلهم.

ولكنهم طمأنوه وأخبروه أنهم أتوا مبشرين بغلام سيولد له ويكون من أهل العلم والحكمة والنبوة، فتعجبت امرأته عندما سمعت بذلك الخبر واستنكرت كيف تلد بعد هذا العمر وهذا السن؟ فأخبروها بأن هذا حكم من الله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء، وأن حكمته اقتضت أن تحمل وتأتي بالولد.

ومعنى «في صرة» : في صوت صوتت به تعجباً واستغراباً، وقد فسر ذلك في سورة هود في قوله : ﴿قَالَتْ يَاوَيْلَتَى...﴾ [هود:٧٢].

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ۝٣١ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ۝٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ۝٣٣ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ[١]۝٣٤ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ۝٣٦﴾[٢] ثم سألهم مرة أخرى لأنه قد علم[٣] أن لهم غرضاً وشأناً غير تلك البشارة،

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب «مسومة»؟ وبماذا تعلق: «للمسرفين»؟ وما إعراب «غير بيت»؟

الجواب: «مسومة» صفة ثانية لحجارة أو حال من حجارة؛ لأنها قد وصفت. «للمسرفين» متعلق بمسومة. «غير بيت» مفعول أول لوجدنا. «فيها» المفعول الثاني.

(٢)- **سؤال:** التعبير بالمسلمين بدل المؤمنين في الآية السابقة يدل بوضوح أنهما بمعنى واحد، وظاهر استعمالات أئمتنا والعدلية التفريق بين اللفظين، وبه وردت آيات الحجرات ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤]، فكيف نعمل مع هذه الآية؟

الجواب: للمسلم وأسلمنا وما تفرع من ذلك استعمالات فيستعمل بمعنى الإيمان، ودليله ما في هذه الآية وفي قوله تعالى: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ۝١٢٦﴾ [الأعراف]، ويستعمل بمعنى الاستسلام والانقياد أو بمعنى دخل في الإسلام، ولا مانع في لغة العرب من أن يكون للكلمة الواحدة عدة معاني مختلفة.

(٣)- **سؤال:** فضلاً من أين علم ذلك؟

الجواب: من قرائن نزول عدد من كبار الملائكة غير جبريل عليه السلام وهم لا ينزلون إلا لأمر عظيم، وجبريل عليه السلام وهو أمين الوحي الذي اصطفاه الله رسولاً إلى أنبيائه، فحين رأى إبراهيم عليه السلام مع جبريل عدداً من كبار الملائكة استنكر مهمتهم.

فأخبروه بأن الله سبحانه وتعالىٰ أرسلهم إلىٰ تعذيب قوم لوط، والمسومة: هي المُعْلَمَة بعلامة قد وسمها الله تعالىٰ بها، وخصصها لتعذيب أولئك القوم، وأخبروه بأن الله سبحانه وتعالىٰ قد أمرهم أن يخرجوا المؤمنين من تلك القرية ليدمروا القرية بمن فيها، ولكنه لم يكن هناك من بين جميع القوم إلا لوطٌ وأهل بيته فقط إلا امرأة لوط عليه السلام فكانت كافرة مثلهم، عذبها الله تعالىٰ معهم.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ۝٣٧﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه قد ترك آثار تلك القرية المعذبة باقية، ولم يطمسها لأجل أن تكون عبرة لمن يراها بعدهم.

﴿وَفِي[1] مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ۝٣٨﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن ينظر في قصة موسىٰ ويقصها علىٰ قومه؛ لعلهم يعتبرون بما جرىٰ بأولئك القوم وما حل عليهم من عذاب الله جزاءً علىٰ كفرهم وتكذيبهم وتمردهم، فأخبره أنه أرسل موسىٰ عليه السلام إلىٰ فرعون وقومه بالآيات والحجج الواضحة القاطعة التي تدل علىٰ صدق رسالته.

﴿فَتَوَلَّى[2] بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ۝٣٩﴾ ولكنه أعرض مستكبراً عن قبول ما جاءه به، ورماه بالسحر واتهمه بالجنون.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ۝٤٠﴾ ولكن الله سبحانه وتعالىٰ

---

(١)- **سؤال:** علام عطف هذا؟ وبم تعلق الجار والمجرور؟ وما إعراب «إذ» في الآية؟

الجواب: «وفي موسىٰ» معطوف علىٰ «فيها» في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ أي: وتركنا في موسىٰ آية أي: في قصته؛ لذلك فيتعلق الجار والمجرور بتركنا، و«إذ» ظرف لما مضىٰ من الزمان لتركنا.

(٢)- **سؤال:** هل هذا من باب الكناية أم من باب المجاز؟ ومن أي أنواعه؟ وضحوا ذلك رفع الله مقامكم.

الجواب: فتولىٰ بركنه: أي بقوته وجنوده أي: مع قوته وجنوده، فالركن وقع هنا استعارة لقوته وجنوده؛ لأن الركن هو الجانب الأقوىٰ، ﴿أَوْ ءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ۝٨٠﴾ [هود].

أخذه وقومه وعذبهم بأن أطبق عليهم البحر وأغرقهم جزاءً علىٰ تكذيبهم وتمردهم. **والمليم**[(١)]: هو المذموم عند الله تعالىٰ.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ۝ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ۝﴾[(٢)] وجعل الله تعالىٰ للناس في عادٍ عبرة وعظة فلعل المكذبين يرعوون عن غيهم إذا عرفوا ما جرىٰ علىٰ عاد حين أصروا علىٰ الكفر بنبيهم هود عليه السلام وتكذيبه فيما جاءهم به من عند ربه، فقد عذبهم الله تعالىٰ بأن أرسل عليهم ريحاً مدمرة، فلا تمر هذه الريح علىٰ شيء إلا طحنته ودمرته وأهلكته.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ[(٣)] لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ۝ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ۝ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ۝﴾ وكذلك لتنظر قريش في قصة ثمود ففيها آية وعبرة لعلهم يعتبرون بما جرىٰ عليهم، ويقلعون عن تمردهم وتكذيبهم، وذلك أن الله سبحانه وتعالىٰ أرسل إليهم صالحاً يبلغهم ويحذرهم وينذرهم ويدعوهم إلىٰ الإيمان بالله تعالىٰ وإخلاص العبادة له وحده، ولكنهم أعرضوا وتمردوا عليه، فأنزل الله تعالىٰ عليهم صاعقة[(٤)] من السماء صعقتهم وأهلكتهم ودمرتهم، ولم يستطيعوا حراكاً بعدها، ولم

---

(١)- **سؤال:** هل هذا من باب اسم الفاعل الواقع موقع اسم المفعول؟ وهل له مماثل؟

الجواب: مليم اسم فاعل من «ألام» إذا أتىٰ ما يلام عليه، كأغرب إذا أتىٰ أمراً غريباً فهو مغرب أي: آت أمراً غريباً، و«مليم» أي: آت أمراً يلام عليه.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في تسمية الريح بالعقيم؟ وما محل جملة «جعلته كالرميم»؟

الجواب: سميت بالعقيم لأنه لا خير فهيا لا تحمل مطراً ولا تلقح شجراً ولا برد فيها ولا رَوْح. «جعلناه كالرميم» في محل نصب صفة لـ«شيء» المجرور لفظاً والمنصوب محلاً.

(٣)- **سؤال:** هل المراد بهذا القيل قول صالح عليه السلام: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ۝﴾ [هود]، أم ماذا؟

الجواب: نعم المراد ذلك.

(٤)- **سؤال:** من فضلكم هل «صاعقة» مفرد صواعق التي تزامن المطر؟ وهل الفعل منها =

يقدروا أن يدفعوا عن أنفسهم شيئاً من ذلك العذاب النازل بهم[١].

وقوله: ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ يعني: أنها نزلت عليهم في وضح النهار وهم يرونها ويشاهدونها نازلة بهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ[٢] مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ۝٤٦﴾ وذكر الله تعالى ما جرى على قوم نوح قبل أولئك القوم من العذاب والهلاك بسبب كفرهم وتكذيبهم بنبيهم.

﴿[٣]وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ۝٤٧﴾ ذكر الله تعالى عظيم آيته في السماء حيث بناها سبحانه وتعالى وأحكم بناءها بقوته وقدرته، فالأيدي: كناية عن القوة والقدرة. ومعنى «موسعون[٤]»: أن ملكه واسع ولا نهاية له.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ۝٤٨﴾ والأرض مهدها لهم وأصلحها

«صعقتهم» بمعنى: ماتوا بالصاعقة؟

الجواب: «صاعقة» مفرد صواعق، والفعل منها «صعقتهم» بمعنى: ماتوا بالصاعقة، والصاعقة هي التي تزامن المطر.

(١)- **سؤال:** هل صح لكم ما يذكر عن صالح عليه السلام أنه جعل لقومه علامة لهلاكهم في اليوم الأول من الثلاثة الأيام وأخرى في اليوم الثاني وثالثة في اليوم الثالث أم لا؟

الجواب: الصحيح هو ما ورد ذكره في القرآن وهو قوله تعالى حكاية عن صالح عليه السلام في سورة هود: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ۝٦٥﴾ [هود].

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «وقوم نوح»؟

الجواب: «قوم نوح» منصوب بفعل محذوف أي: أهلكنا قوم نوح.

(٣)- **سؤال:** يا حبذا لو أعربتم «والسماء بنيناها بأيدٍ»؟

الجواب: «السماء» مفعول به لفعل محذوف يفسره ما بعده أي: وبنينا السماء. «بنيناها» جملة لا محل لها من الإعراب مفسرة. «بأيد» جار ومجرور متعلق بالفعل الذي قبله.

(٤)- **سؤال:** هل يصح تقييده بكون الإيساع في السماء بقرينة السياق؟ فإذا صح هذا فينتج أن السماء لا تزال في زيادة وتوسع؟

الجواب: يصح ذلك أي: وإنا لموسعون في السماء بقرينة السياق كما ذكرتم، وقد يكون هذا التفسير أولى مما ذكرنا؛ لأن «موسعون» مأخوذ من أوسع والتفسير الذي ذكرنا هو تفسير لـ«واسع» المأخوذ من الثلاثي «وسع».

لمعيشتهم وسكنهم، فانظروا في عجيب حكمة الله فيما خلق لكم من سمائه وأرضه.

﴿وَمِنْ[١] كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴿٤٩﴾﴾ وانظروا فيما خلق الله سبحانه وتعالى من أصناف المخلوقات، ففي ذلك آية دالة شاهدة لله سبحانه وتعالى بالوحدانية والقدرة. ومعنى «زوجين» : صنفين.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ[٢] نَذِيرٌ مُبِينٌ﴿٥١﴾﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم -بعد أن قص على قومه ما جرى على قوم لوط عليه السلام وعلى عاد وثمود وفرعون وقومه من عذاب الله تعالى- أن يحذرهم من أن يصيبهم من عذاب الله مثل ما أصاب هؤلاء المكذبين الذين أصروا على تكذيب أنبيائهم، فإن أحبوا السلامة والنجاة من عذاب الله فليفروا إلى الله مستسلمين منقادين له وحده، تاركين لعبادة غيره، فلا مفر لهم

---

(١)- **سؤال:** يقال: ما السر في تقديم المتعلق هنا؟ وهل تفيدنا هذه الآية أنه لا بد أن يكون في جميع أصناف النباتات والحيوانات نوعان مختلفان ذكر وأنثى؟ أم كيف؟ وهل يصح هذا في شيء آخر من المخلوقات أم لا؟

الجواب: السر في تقديم الجار والمجرور هو الاهتمام به من حيث أنه المراد بالتحدث عنه، وهنا أراد الله تعالى التحدث عن آية من آياته الظاهرة في كل شيء، ولم يقصد التحدث عن الفعل وهو الخلق.

وتفيد أن كل ما خلقه الله من حيوان ونبات وجماد صنفان مختلفان فالجبال سود وبيض والبيض مختلفة والسود مختلفة، والماء صنفان عذب فرات وملح أجاج، والأرض كذلك مختلفة منبتة وغير منبتة والتمر أسود وأبيض، والأسود منه مختلف والأبيض مختلف، وهكذا كل مخلوقات الله، وكل نوع من الحيوان ذكر وأنثى، والذكر نوعان سود وبيض و..إلخ، والرياح زوجان شرقية وغربية لكل منهما طبيعة تخصها، وكل زوج يتفرع إلى زوجين و..إلخ.

(٢)- **سؤال:** بماذا تعلق الجار والمجرور «منه» في هاتين الآيتين؟

الجواب: «لكم» متعلق بنذير. «منه» كذلك متعلق بنذير، ويصح أن يكون حالاً من «نذير» لتقدمه عليه.

ولا مهرب من الله تعالىٰ ومن عذابه إلا إليه، فإنهم إن لم يطيعوه ويعملوا ما يرضيه فإنه سيحل بهم عذابه وسخطه الذي أوشك أن ينزله بهم.

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ[1] إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴿٥٢﴾﴾ دأب كل أمة من الأمم قبل قومك يا محمد أنهم إذا أرسل الله تعالىٰ إليهم رسولاً فإنهم يكذبونه ويستهزئون به ويتمردون عليه، وقد لاقت الأنبياء قبلك مثل ما لقيت من قومك من الرمي بالسحر والجنون والتكذيب والاستهزاء.

﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ[2] هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴿٥٣﴾﴾ إن رسل الله جميعاً لقوا من أممهم التكذيب والاستهزاء والاتهام بالسحر والجنون فلا يكبر عليك يا رسول الله ما لقيت من قومك فكل رسول من قبلك قد لقي مثل ما لقيت، واتهمه قومه بمثل ما اتهمك قومك من السحر والجنون، حتىٰ كأن الأول منهم يوصي بذلك الآخر، والسبب الذي دعىٰ الأمم السابقة واللاحقة إلىٰ التكذيب والاستهزاء بأنبيائهم ورسلهم واتهامهم بالسحر والجنون هو أنهم توغلوا في الكفر واسترسلوا في طاعة الشيطان واتباع الأهواء.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ مفصلاً رفع الله شأنكم؟

الجواب: «كذلك» خبر لمبتدأ محذوف أي: الأمر كذلك. «ما أتىٰ الذين من قبلهم من رسول» لا محل لهذه الجملة من الإعراب؛ لأنها استئناف في جواب سؤال مقدر يبين به المراد بجملة الأمر «كذلك». «ما» نافية، «أتىٰ» فعل ماض، «الذين» موصول في محل نصب مفعول به، «من قبلهم» متعلق باستقر صلة الموصول، «من رسول» فاعل مجرور لفظاً مرفوع محلاً فاعل «أتىٰ».

(٢)- **سؤال:** يقال ما فائدة الاستفهام في هذه الآية؟ وما تفيد «بل» التي بعده؟

الجواب: الاستفهام هو يفيد الاستنكار والتعجب أي: أن الاستفهام إنكاري توبيخي تعجبي، وتفيد «بل» الإضراب عن الاستفهام الذي قبلها والإخبار بما هو أعجب وأنكر وأدهىٰ من غير إبطال لما قبلها.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ(١)۝٥٤ وَذَكِّرْ(٢) فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ۝٥٥﴾ فأعرض عنهم يا محمد، فقد أديت ما عليك من التبليغ، ولم يبق عليك أي لوم بعد أن قد بلغتهم، وتذكيرك لن ينتفع به إلا أولئك الذين آمنوا بك فهم الذين سيستمعون إليك، وينتفعون بمواعظك.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(٣)۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ(٤) وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ۝٥٨﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لم يخلق المكلفين من الإنس والجن إلا لعبادته والإخلاص له وحده، وأنه لم يطلب منهم شيئاً غير ذلك، فهو غير محتاج إليهم في شيء، وهم المحتاجون إليه والفقراء إلى ما عنده؛ فهو الذي يرزقهم ويعطيهم. ومعنى «المتين» في حق الله : القوي.

---

(١)- **سؤال:** هل للعلماء الدعاة ومن حذا حذوهم أن يتولوا عند هذه الحالة أم كيف؟ وهل حدد مقدار تبليغهم بحد حتى يجوز معه تركهم؟

الجواب: الواجب على الدعاة والمصلحين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يبينوا الحق ويوضحوه فإذا علموا أن الجاهل قد علم الحق وعرفه ولكنه أعرض ولم يمتثل ولم يستجب فقد جاز لهم أن يتولوا عنه؛ لأن حجة الله قد بلغته، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [النور:٥٤]، وليس هناك حد محدود إلا تعريف الحق والهدى والتوضيح والتبيين فإذا حصل ذلك فقد فعلوا ما يجب عليهم وجاز لهم بعده أن يتولوا عنهم، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:٤٢].

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في حذف مفعول «ذكر»؟

الجواب: حذف لوجود القرينة عليه أي: وذكر المؤمنين، فإن قوله «فتول عنهم» وقوله: «تنفع المؤمنين» قرينة واضحة على أن المراد المؤمنين.

(٣)- **سؤال:** فضلاً أين المستثنى منه في «إلا ليعبدون»؟ وبم نصب الفعل «ليعبدون»؟ وما وجه حذف ياء المتكلم منه؟

الجواب: المستثنى منه محذوف، والتقدير: وما خلقت الجن والإنس لأي غرض من الأغراض إلا لعبادتي، ونصب «ليعبدون» بأن مضمرة بعد لام التعليل وعلامة نصبه حذف النون، والنون الموجودة فيه هي نون الوقاية، وحذفت ياء المتكلم لتناسب رؤوس الآي.

(٤)- **سؤال:** ما فائدة دخول من على «رزق»؟

الجواب: الفائدة هي تأكيد التنكير، كأنه قال:أي رزق كان.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ۝٥٩﴾[1] ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يخبر قومه أن لا يستعجلوا ما قد وعدهم من العذاب، فإن لهم نصيباً من العذاب مثل نصيب من سبقهم من مكذبي الأمم السابقة.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ[2] الَّذِي يُوعَدُونَ۝٦٠﴾ ولهم بعد عذاب[3] الدنيا عذاب عظيم يوم القيامة جزاءً على كفرهم بآيات الله وتكذيبهم لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

❁❁❁❁❁

---

(١)- **سؤال:** ما معنى الفاء في «فإنَّ»؟ وما إعراب قوله: «فلا يستعجلون»؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة أي أنها تفصح عن شرط مقدر قبلها والتقدير: إذا عرفت ما حل بالكفرة من العذاب المتقدم ذكرهم مثل عاد وثمود وقوم نوح فإن لهلاك الكفرة المكذبين نصيباً مثل نصيبهم من العذاب. «فلا يستعجلون» الفاء عاطفة والجملة بعدها معطوفة على قوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا..﴾، و«لا» ناهية. «يستعجلون» مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف نون الرفع، والنون الموجودة فيه هي نون الوقاية، وياء المتكلم حذفت لتناسب رؤوس الآي، ومحلها النصب مفعول «يستعجلون».

(٢)- **سؤال:** تفضلاً هل «من» في قوله: «من يومهم» على بابها؟ فكيف يكون معناها؟ أم لا؛ فبمعنى ماذا؟

الجواب: قد ذكروا أن «من» قد تكون بمعنى «في» في نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة:٩]، أي: في يوم الجمعة، وعلى هذا المعنى فتكون «من» متعلقة بما تعلق به «للذين» أي: الويل كائن مستقر للذين كفروا في يومهم، وإذا أبقيناها على أصلها وهو معنى الابتداء فتتعلق بالمصدر «ويل» أي: أن الويل متبدئ من يوم القيامة.

(٣)- **سؤال:** من أين نستفيد هذا حفظكم الله؟

الجواب: «يومهم الذي يوعدون» هو يوم القيامة بدليل: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ۝٢﴾ [البروج]، واستفيدت البعدية من الفاء في قوله: «فويل» بعد الآية التي قبلها.

سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ۝٢ فِي رَقٍّ[١] مَنْشُورٍ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ۝٦﴾ الطور اسم جبل طور سيناء الذي كلم موسى عنده، وقد أقسم الله سبحانه وتعالى به لما جعل فيه من البركة والحرمة، ثم ثنى قسمه بكتابه العزيز المكتوب في الأوراق وهو هذا الذي نقرأه بين أيدينا، ويقال: إنه الكتاب الذي في السماء، الذي سماه الله تعالى اللوح المحفوظ في قوله تعالى: ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ۝٢٢﴾ [البروج]، وسماه في آية أخرى بأم الكتاب فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ۝٤﴾ [الزخرف]، وقال تعالى في آية: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ۝٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ۝٧٩﴾ [الواقعة].

ثم أقسم الله سبحانه وتعالى بالبيت المعمور، وقد قيل: إنه بيت في السماء تطوف حوله الملائكة كما يطوف المؤمنون بالبيت الحرام في مكة، وقد يكون المراد به الكعبة نفسها، والسقف المرفوع هو السماء، والمسجور هو المملوء ماءً[٢].

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ۝٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ۝٨﴾[٣] وهذا هو جواب القسم، أقسم الله سبحانه وتعالى أنه لا بد أن يقع عذابه بالمكذبين من الكفار والمنافقين

---

(١)- **سؤال:** هل الرق مقصور على الجلد؟ أم يطلق عليه وعلى الأوراق التي يكتب فيها؟

الجواب: الرق: هو ما يكتب فيه كما في مختار الصحاح. فيعم الرق والأوراق.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن نحمله على الْمُوْقَدِ يوم القيامة نظراً إلى أن أصل السجر الإيقاد للنار؟ أم كيف؟

الجواب: في مختار الصحاح: سجر التنور: أحماه، وسجر النهر: ملأه؛ لذلك فيصح التفسير بالوجهين.

(٣)- **سؤال:** ما السر في فصل جملة ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ۝٨﴾ عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لأنها خبر ثان فهي في محل رفع.

والمشركين يوم القيامة، وأنهم لن يجدوا من يدفعه عنهم أو يصرفه.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا۝٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ۝١٢ [١]﴾ وذلك العذاب واقع بهم في يوم القيامة الذي سيختل فيه نظام هذا الكون وتتهاوى أجرامه[٢]، وتتفتت فيه الجبال حتى تصير كالغبار المتطاير، فعندها سيحل عذاب الله تعالى وسخطه.

ثم وصف الله سبحانه وتعالى المكذبين الذين حق عليهم العذاب بأنهم الذين لا شغل لهم إلا الخوض في الباطل واللهو واللعب والزور والبهتان، والاستهزاء بالحق وأهله.

﴿يَوْمَ[٣] يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا۝١٣ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ۝١٤﴾ ستسوقهم ملائكة العذاب يوم القيامة إلى نار جهنم سوقاً عنيفاً، وتزج بهم فيها، وتقول لهم ملائكة العذاب عند ذلك: هذه النار التي كنتم بها تكذبون.

﴿أَفَسِحْرٌ[٤] هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ۝١٥﴾ وستسأل الملائكة أهل النار سؤال سخرية: هل هذا العذاب الذي ترونه سحر، كما كنتم تقولون في الدنيا؟ أم أنكم عمي لا تبصرونه كما كنتم عمياً في الدنيا؟

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ماذا تفيد الفاء في «فويل»؟ وبم تعلق «في خوض»؟ وما محل جملة «يلعبون»؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة رابطة لما بعدها بشرط مقدر، والتقدير: إذا كان ما ذكر فويل يومئذ. «في خوض» متعلق بمحذوف خبر «هم». «يلعبون» في محل رفع خبر ثان.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم هل هذا هو معنى مور السماء أم كيف؟

الجواب: المور: هو التحرك والذهاب، وفي آية: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ۝٢﴾ [الانفطار]، ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ۝٩﴾ [القيامة].

(٣)- **سؤال:** ما الناصب لهذا الظرف؟ وما محل جملة: «يدعون..»؟

الجواب: «يوم» بدل من «يومئذ» أو من «يوم تمور»، وجملة «يدعون» في محل جر بالإضافة.

(٤)- **سؤال:** فضلاً أين المبتدأ والخبر هنا؟

الجواب: «هذا» هو المبتدأ»، و«سحر» خبر مقدم.

﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا[١] سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[٢] فادخلوا بين أطباقها الآن، وسواء عليكم صبرتم أم لم تصبروا فلا فرج لكم ولا مخرج، وأنتم الذين أوقعتم أنفسكم في هذا العذاب بكفركم وتكذيبكم وتمردكم.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا[٣] بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ وأما المتقون في ذلك اليوم فهم في روضات الجنات يتلذذون ويتفكهون بما أعد الله تعالى لهم من النعيم في الجنة، وقد فازوا بالسلامة من عذاب الجحيم وتقول لهم الملائكة: كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون.

﴿مُتَّكِئِينَ[٤] عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ[٥] بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ متكئين على الكراسي المصفوفة مع ندمائهم وأصحابهم، ولهم في الجنة أزواج من الحور العين.

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في حذف النون هنا وظاهر «لا» النفي؟

الجواب: «لا» للنهي فحذفت النون لذلك.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب «سواء عليكم»؟ وهل يتعدى «تجزون» إلى مفعوله الثاني بدون حرف أم كيف؟

الجواب: «سواء» خبر لمبتدأ محذوف أي: الصبر وعدمه سواء، ويتعدى «تجزون» بدون حرف جر، نحو: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان]، ونحو: «جزاك الله خيراً».

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: «فاكهين»؟ وكذا «هنيئاً»؟ وعلام عطف قوله: «ووقاهم ربهم»؟ وكيف المناسبة في ذلك؟

الجواب: «فاكهين» حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور «هنيئاً» مفعول مطلق أي: أكلاً هنيئاً وشرباً هنيئاً، «ووقاهم» معطوف على «في جنات» أو أن تكون الواو للحال، وقيل غير ذلك.

(٤)- **سؤال:** فضلاً أين صاحب الحال هنا؟

الجواب: هو الضمير المستكن في قوله: «في جنات» ويجوز أن يكون ضمير الفاعل في «كلوا واشربوا».

(٥)- **سؤال:** لطفاً ما السر في تسميتها زواجة وهن مُعَدَّات كالجواري التي يتسرى بهن؟

الجواب: «زوجناهم» بمعنى: قَرَنَّاهم.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ[1] أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِنْ عَمَلِهِم مِنْ شَيْءٍ﴾ من تمام فضل الله سبحانه وتعالى على عبده المؤمن أنه إذا كان من أهل المنازل الرفيعة وله ذرية صالحة فإنه تعالى سوف يجعل الذرية مع أبيهم في منزلته، ويرفعهم في درجته، وهذا من ثواب الله سبحانه وتعالى للأب أن يجمعه مع أولاده في الجنة[2]، ويجعلهم في درجة واحدة، من دون أن ينقص شيئاً من ثواب الأب مقابل رفعه لولده.

﴿كُلُّ[3] امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن كل إنسان مرهون بعمله، وأنه وحده الذي سيتحمل وزر نفسه على ظهره.

﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ[4] وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ[5] فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ

---

(١)- **سؤال:** تكرماً ما معنى الباء هنا؟ وما محل الجار والمجرور؟

الجواب: الباء للسببية، والجار والمجرور متعلق بـ«ألحقنا».

(٢)- **سؤال:** وهل يصح أن نجعله من إثابة الله للابن الصالح حيث يرفعه تفضلاً إلى درجة فوق درجته أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: هو أيضاً تفضل على الابن المؤمن تابع للتفضل على الأب.

(٣)- **سؤال:** هل الوجه في فصل هذه الجملة كونها جواباً لسؤال مقدر مما قبلها؟ إن كان فكيف نفهمها جواباً مفيداً على ذلك السؤال؟

الجواب: فصلت الجملة لأنها علة لما قبلها، والسؤال المقدر هو عن العلة.

(٤)- **سؤال:** هل المراد الإفراد أم الجنس؟

الجواب: المراد الجنس بدليل قوله: ﴿وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾، فقوله: «مما يشتهون» بعد ذكر «ولحم» وهو مفرد لفظاً يدل على أن المراد به الجنس الجامع لأنواع كثيرة.

(٥)- **سؤال:** ما محل جملة «يتنازعون»؟ وما السر في تنازعهم الخمر؟

الجواب: محل جملة «يتنازعون ..» النصب على الحالية من مفعول «وأمددناهم»، وليس ثمة تنازع للخمر، وإنما حالهم عند الشرب كحال المتنازعين من حيث أن هذا يأخذ كأساً وذلك يأخذ كاساً وآخر يأخذ كأساً، وكلهم يأخذ من مكان واحد؛ فأشبهوا في هيئة شربهم المتنازعين
=

فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ[(١)] ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾[(٢)] يُتِمُّ الله سبحانه وتعالى وصفه لنعيم أهل الجنة بأنهم يتلذذون بأنواع الفواكه وأصناف المأكولات التي يشتهونها، ويشربون من خمر الجنة الذي لا ضرر فيه أو إخلال بالعقل كما هو شأن خمر الدنيا، ويطوف عليهم بهذه المأكولات والمشروبات غلمان سخرهم الله تعالى في القيام على خدمتهم، وشبههم الله سبحانه وتعالى لشدة صفائهم باللؤلؤ الصافي الذي لم تلمسه الأيدي.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ[(٣)] فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ ثم وصف الله سبحانه

لشيء كل واحد يريد أن يأخذه لنفسه.

(١)- **سؤال:** ما السر في رفع «لغو» بعد «لا»؟ وما نوع اسمية «تأثيم»؟ وكيف نفهمها مع ما قبلها؟

الجواب: الفرق بين رفع الاسم بعد «لا» وبين بنائه على الفتح هو أن النفي يكون نصاً مع البناء على الفتح في جميع أفراد الجنس ومع الرفع يكون ظاهراً في العموم، ويحتمل مع ذلك نفي الوحدة، وقد قرئي في السبعة بالفتح والرفع. «تأثيم» مصدر أَثَّمَ أي: لا ينسب بعضهم بعضاً إلى إثم، كما هو الحال في خمر الدنيا فإن من شأن شاربها أن يفعل المنكرات والمعاصي فينسب إلى الفسوق والعصيان (الإثم).

(٢)- **سؤال:** هل لقوله: «كأنهم لؤلؤ مكنون» محل من الإعراب أم لا؟

الجواب: الجملة في محل رفع صفة لغلمان أو في محل نصب حال؛ لأن النكرة قد وصفت فساغ مجيء الحال منها.

(٣)- **سؤال:** ما محل جملة «يتساءلون»؟ وما فائدة القيد «في أهلنا» بعد قوله: «قبل»؟ وما إعراب «قبل»؟

الجواب: «يتساءلون» في محل نصب حال من فاعل أقبل. والفائدة من قوله: «في أهلنا» أن كون المرء بين أهله سبب للراحة والاطمئنان والسكون، فيشير هذا القيد «في أهلنا» إلى أنه لم تشغلهم أهلهم وأولادهم عن ذكر الله وخشيته والقيام بما أوجبه الله عليهم. «قبل» ظرف زمان مبني على الضم في محل نصب متعلق بـ«مشفقين».

وتعالىٰ حالتهم وما يدور بينهم من الكلام في مجالسهم بأنهم يتساءلون فيما بينهم عما كانوا عليه في الدنيا من شدة الخوف من الله تعالىٰ ومن عذابه، ثم يحمدون الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ أن نجاهم من العذاب وخلَّصهم منه بسبب ذلك الخوف، وعلىٰ ما أوصلهم فيه من النعيم. ومعنىٰ «عذاب السموم» : عذاب النار لأنها تدخل في مسام الجسد.

ومن شأن المؤمن في الدنيا أن يكون في خوف دائم من عذاب الله تعالىٰ، وأن لا يأمن علىٰ نفسه أو يعتقد أنه من أهل رضوان الله سبحانه وتعالىٰ ومن الفائزين لديه، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: (لا يمسي المؤمن ولا يصبح إلا ونفسه عنده ضنون) أي أن المؤمن لا ينفك عن اتهام نفسه بالتفريط في طاعة الله والتقصير في تقواه، وبالغفلة عن ذكره تعالىٰ وتعظيمه.

﴿إِنَّا[1] كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ۝٢٨﴾ ويحمدون الله تعالىٰ علىٰ ما من به عليهم من الاستجابة لدعائهم في الدنيا. و«البر» معناه: المحسن الصادق في وعده.

﴿فَذَكِّرْ[2] فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ۝٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ

(١)- **سؤال:** ما الوجه في فصل هذا الكلام عن سابقه؟

الجواب: فصل لأنه في جواب سؤال مقدر عن السبب والعلة.

(٢)- **سؤال:** يقال: هل هناك شيء من المعارضة بين هذه الآية وبين آية الذاريات: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الصافات:١٧٤]، أم لا؟

الجواب: لا معارضة؛ لأن المراد هنا: لا يصدنك قول المشركين إنك كاهن ومجنون عن تبليغ رسالة ربك فاستمر في تبليغ رسالتك، وفي آية الذاريات أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يعرض عن دعوة أولئك الذين بلغهم رسالة ربه حتىٰ عقلوها وعلموها وتيقنوها أما من لم يكن قد بلغهم رسالة ربه فلم يؤمر بالإعراض عنهم بل ما زال مكلفاً بتبليغ الرسالة إلىٰ غير من أمر بالإعراض والتولي عنهم فكان صلى الله عليه وآله وسلم يستعرض الحجيج بدعوته والعمار وخرج إلىٰ الطائف واستمر في الدعوة حين هاجر إلىٰ المدينة ثم واصل الدعوة بعد الهجرة حتىٰ دخل الناس في دين الله أفواجاً وعم الإسلام جزيرة العرب صلوات الله ورحمته وبركاته عليه وعلىٰ آله الطاهرين.

نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴿٣٠﴾﴾[١] ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يُذَكِّر قومه بمواعظ الله تعالى ويواصل تبليغ رسالة ربه إليهم، ولا يفتر عزمه ويقل نشاطه بسبب ما يلقى من قومه من الرد والتكذيب والأذى وبسبب قولهم له: إنه كاهن ومجنون وشاعر، وإنه عما قريب يموت[٢] ويموت معه شعره وكهانته وما جاءنا به، فلست يا محمد كاهناً ولا مجنوناً بسبب إنعام الله عليك بالنبوة والرسالة.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴿٣١﴾﴾ وأمره الله بأن يجيبهم بأنه منتظر[٣] لهلاكهم كما أنهم منتظرون لهلاكه، وسوف يعلم ويعلمون لمن ستكون العاقبة في النهاية له أم لهم.

---

(١)- **سؤال:** ما معنى «أم» في هذه الآية؟ وما إعراب «شاعر»؟ وما محل الجملة بعده؟

الجواب: معنى «أم» هنا هو الإضراب مع الاستفهام الإنكاري التوبيخي أي: بل أيقولون شاعر، وهذا الإضراب معطوف على قولهم إن النبي ﷺ كاهن ومجنون المدلول عليه بقوله: ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴿٢٩﴾﴾ وفائدة الإضراب هي التنبيه على أن ما بعد «أم» أنكر مما قبله وأخبث، ووجه كونه أنكر وأخبث أن قول المشركين: إن النبي ﷺ شاعر ستصادف قبولاً أكثر عند أتباع المشركين ورعاياهم، وسيكون لها رواج أكبر لمعرفة الأتباع والرعايا للشعر وبلاغته وحسنه وجودته؛ لذلك سيقول الرؤساء للأتباع: إن القرآن الذي تسمعونه من محمد إنما هو من جنس الشعر البليغ الذي تعرفونه كلام مرصف متسق مقطع مسجوع و..إلخ. و«شاعر» خبر لمبتدأ محذوف أي: هو (محمد) شاعر. «نتربص به..» الجملة في محل رفع نعت لشاعر.

(٢)- **سؤال:** مم أخذت لفظة «ريب المنون» إذا كان معناها الموت؟

الجواب: «ريب» هو الشك استعير هنا للحوادث المدهشة، و«المنون» هو الموت فعول مِنْ «مَنَّه» إذا قطعه؛ لأن الموت قطوع للأعمار، فريب المنون معنا حوادث الموت.

(٣)- **سؤال:** إذاً فما معنى الأمر في الآية؟

الجواب: معناه التحدي والتهديد.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا[1] أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ۝٣٢﴾ ثم سألهم الله سبحانه وتعالىٰ مستنكراً عليهم أهي عقولهم التي أمرتهم بأن يقولوا عن نبيهم تلك الأقوال ويرمونه بتلك الافتراءات؟ فبئس الأحلام والعقول التي أمرتهم ودعتهم إلىٰ ذلك؟

أم أن أحلامهم قد عرفت الحق وتيقنته، وإنما[2] هو طغيانهم وشدة تمردهم وتكبرهم وعنادهم هو الذي منعهم عن اتباع الحق وقبوله.

﴿أَمْ[3] يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ[4] لَا يُؤْمِنُونَ۝٣٣﴾ فكان بعضهم يقول: إن النبي ﷺ تقوَّل القرآن واختلقه من عند نفسه، وأما في الحقيقة فقد عرفوا النبي ﷺ وصِدْقَ ما جاء به ولكن طبيعتهم الكفر والجحود.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا[5] صَادِقِينَ۝٣٤﴾ ثم تحداهم الله سبحانه وتعالىٰ أن يأتوا بمثل ما جاء به وتقوَّله، فإن جاءوا بمثله فهم صادقون فيما نسبوه إلىٰ النبي ﷺ

---

(١)- **سؤال:** هل يمكن للأشعري أن يستنتج من هذه الآية ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾ احتمال أن العقول لا تقبح القبيح؟ أم لا؟

الجواب: بل يؤخذ من الآية العكس أي أن طبيعة العقول أن تستقبح القبيح وذلك من حيث أن الله تعالىٰ استنكر عليهم حين اختاروا ما تستنكره العقول ولا تقبله؛ لذلك جاء عقب ذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ۝٣٢﴾ أي: أنهم قوم تجاوزوا المعروف المقرر في العقول إلىٰ القبيح المستنكر في العقول وتركوا الحسن وتجاوزوه إلىٰ القبيح.

(٢)- **سؤال:** فضلاً فهل الاستفهام لا زال هنا إنكارياً؟ أم لا؟ فما معناه؟

الجواب: هو هنا تقريري، أي في قوله: «بل هم قوم طاغون».

(٣)- **سؤال:** ما فائدة الإضراب والترقي هنا وقد وصل غايته بالحكم عليهم بالطغيان فيما قبله؟

الجواب: فائدته هو التسجيل عليهم بسخافة عقولهم فيما قالوه في النبي ﷺ وفي القرآن.

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في العدول عن «أم» إلىٰ «بل» هنا؟

الجواب: الوجه أن ما بعد «بل» خبر غير مستنكر بل خبر صادق حق.

(٥)- **سؤال:** فضلاً أين جواب هذا الشرط؟ وهل الفاء في قوله: «فليأتوا» رابطة أم فصيحة؟

الجواب: جواب هذا الشرط محذوف لوجود ما يدل عليه، والتقدير: إن كانوا صادقين فليأتوا بحديث مثله، والفاء في قوله: «فليأتوا» هي فصيحة أي: أنها واقعة في جواب شرط مقدر والتقدير: إن صدقوا بقولهم اختلقه فليأتوا...

من أنه مفتر وكذاب.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ[(١)] الْخَالِقُونَ﴿٣٥﴾﴾ ما هو السبب الذي جعلهم يصرون على الكفر والجحود بالله تعالى وتكذيب آياته ورسوله ﷺ، هل هو لأنهم خلقوا من غير خالقٍ خلَقَهم؟؟ أم أنهم هم الذين خلقوا أنفسهم؟ فلماذا لا يتفكرون في خلق أنفسهم ويؤمنوا ويصدقوا بالإله الذي خلقهم وأوجدهم ويتركوا شركهم وباطلهم؟ وهذا السؤال سيحجهم ويحجرهم وسيكون جوابهم حتماً بالنفي ولا بد أن يعترفوا ويقروا بأن خالقاً خلقهم بقدرته.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ﴿٣٦﴾﴾[(٢)] أم أنهم هم الذين خلقوا السماوات والأرض حتى جعلوا لأنفسهم هذه المنزلة من العناد لله تعالى والتكبر عن الإقرار بربوبيته ووحدانيته، وهم قد عروفا أنه لم يكن شيء مما سبق غير أنهم لا يوقنون بوحدانية الله.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴿٣٧﴾﴾ أم أن ملك السماوات والأرض وما فيهما من أرزاق الله ورحمته وعطائه بأيديهم حتى يتحكموا على الله تعالى ويختاروا ويقترحوا للنبوة من أرادوا، ويعترضوا على الله سبحانه وتعالى فيما اختار

---

(١)- **سؤال:** هل في عطف الجملة الاسمية هنا مناسبة على الجملة الفعلية أم كيف؟

الجواب: اقتضى الحال في قوله: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴿٣٥﴾﴾ العدول عن الفعلية إلى الاسمية وذلك من حيث أن المقصود الاستفهام عن الفاعل (المسند إليه) فلزم تقديمه؛ لأن المستفهم عنه يجب أن يلي الهمزة.

(٢)- **سؤال:** ظاهر الاستفهامات السابقة أنهم قد عرفوا جميع ما تقدم فكيف نفى سبحانه عنهم اليقين في آخر هذه الآية؟

الجواب: نفى عنهم اليقين مع معرفتهم بما تقدم؛ لأنهم لا يوقنون بوحدانية الله، وقد كان من المفروض بعد إيقانهم بما تقدم أن يؤمنوا بالله وحده، إلا أنه لا يحصل منهم ذلك فقال: «بل لا يوقنون».

وأراد، أم أن ولاية الكون وسلطانه لهم فيقولوا ما أرادوا وعلى الناس السمع والطاعة.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ۝٣٨﴾

أم أن لهم سلماً يصعدون فيه إلى السماء فيأخذون دين الشرك وشرائع الجاهلية منها وينزلون بها إلى الأرض، فليأتوا بدليل على ذلك.

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ۝٣٩﴾ واستنكر عليهم أيضاً ما ينسبونه إلى الله سبحانه وتعالى من البنات مع أنهم ينزهون أنفسهم عنهن، وذلك أنهم كانوا يقولون بأن الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ[1] مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ۝٤٠﴾ أم أنهم قد امتنعوا وأعرضوا عن دينك لأنك سألتهم أن يدفعوا أجرة تبليغك لهم فاستثقلوا دفعها ولم يستطيعوا.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ۝٤١﴾ أم أن أحداً غيرك[2] يا محمد قد أطلعهم على ما أراد الله سبحانه وتعالى منهم وأخبرهم أنهم على الدين الحق وأن ما جئت به كذب وباطل وبهتان.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ۝٤٢﴾[3] أم أنهم لا يريدون بعنادهم وشركهم إلا الكيد للإسلام وأهله، فليعلموا أن كيدهم في نحورهم، وأن

---

(١)- **سؤال:** هل معنى «من» هنا السببية أم ماذا؟ وما نوع اسمية «مغرم»؟

الجواب: «من» للسببية والتعليل، و«مغرم» مصدر «غَرِمَ».

(٢)- **سؤال:** قد يقال: من أين استوحينا هذا المعنى؟ وما فائدة الفاء في قوله: «فهم»؟

الجواب: استوحيناه من حيث أن علم الغيب لا يأتي إلا عن طريق رسول من عند الله يخبرهم به فهم يكتبون عنه ما يمليه عليهم، والفاء عاطفة لربط المسبب بالسبب.

(٣)- **سؤال:** ما نوع اسمية «المكيدون»؟

الجواب: «المكيدون» جمع مكيد اسم مفعول، وأصله مكيود من: كاد يكيد، استثقلوا الضمة على الياء فنقلت إلى الكاف وسكنت الياء، ثم حذفت الواو لأنها زائدة، ثم قلبت ضمة الكاف كسرة لمناسبة الياء.

الله تعالى سوف يهلكهم ويدمرهم.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿٤٣﴾﴾ أم أن سبب إصرارهم على شركهم أن لهم إلهاً غير الله تعالى يدعوهم إليه وإلى عبادته، تعالى الله وتقدس وتنزه عن الشريك في الإلهية والربوبية.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴿٤٤﴾﴾ ومن شدة عنادهم وتمردهم أنهم ينكرون حتى الأمور الضرورية، وقد بلغ بهم عنادهم أنهم لو رأوا قطعة[١] من السماء نازلة بالعذاب عليهم لما ارتدعوا عن كفرهم وشركهم ولأنكروا ذلك الذي يرونه نازلاً بهم، ولقالوا: إنما هو سحاب مركوم.

﴿فَذَرْهُمْ[٢] حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴿٤٥﴾﴾[٣] فاتركهم يا محمد يخوضوا في باطلهم وشركهم وضلالهم -فقد علم الله تعالى أنهم لن يتعظوا ولن يتذكروا بما تأتيهم به من الآيات- حتى يأتيهم الله تعالى بعذابه.

﴿يَوْمَ[٤] لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴿٤٦﴾﴾ فإذا نزل بهم

---

(١)- **سؤال:** إذا كان الكسف بمعنى القطعة فلم ذكر صفته «ساقطاً»؟

الجواب: ذكر «ساقطاً» لأن لفظ «كسف» مذكر فروعي اللفظ.

(٢)- **سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة أي: إن لم يستجيبوا فذرهم.

(٣)- **سؤال:** هل المراد باليوم الذي يصعقون فيه يوم القيامة فكيف صعوقهم فيه؟ أم المراد يوم بدر كما قال بعضهم؟ فما هي الصعقة التي حلت عليهم فيه؟

الجواب: صعوقهم يوم القيامة هو موتهم بسبب يشبه الصواعق أي: يشبه أعظم ما عرفوه من أسباب الهلاك، والصعقة التي حلت بهم في يوم بدر هي قتلهم بسيوف المسلمين، وشبه ذلك بالصواعق لحلولها بهم بغتة وفعلها فيهم مثل ما تفعله الصواعق.

(٤)- **سؤال:** ما هو العامل في «يوم» النصب؟

الجواب: «يوم ...» هو بدل من : ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴿٤٥﴾﴾ والعامل في البدل هو العامل في المبدل منه.

عذاب الله فلا محيص لهم عنه ولا مخرج لهم منه، ولا يجدون من يدفعه عنهم.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ[١] ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴿٤٧﴾﴾ لا بد أن يعذبهم الله تعالى بشيء من العذاب قبل[٢] ذلك العذاب الذي سيستأصلهم.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ وأمر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يصبر على تبليغ دعوته، وأن لا يكبر عليه ما يواجهه من العناء الشديد وما يلقاه منهم من الأذى والتكذيب، وطمأنه بأنهم لن يستطيعوا أن ينالوه بسوء أو مكروه، وأنه تحت حراسته وحفظه[٣].

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴿٤٩﴾﴾[٤]

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «دون ذلك»؟

الجواب: يعرب «دون ذلك» صفة لـ«عذاباً» فهو متعلق بمحذوف أي: عذاباً كائناً دون ذلك.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن نحمل هذا العذاب على يوم بدر وتكون هذه قرينة على أن المراد بالسابق القيامة؟ أم أن المراد القحط الذي أصيبت به قريش؟

الجواب: يحمل على ما أصابهم يوم بدر أو على القحط أو عليهما معاً.

(٣)- **سؤال:** فعلى هذا ما يكون معنى الباء في قوله: «بأعيننا»؟

الجواب: يكون معناها الظرفية أي: في أعيننا، أي: في حراستنا وحفظنا.

(٤)- **سؤال:** يا حبذا لو أعربتم هاتين الآيتين؟

الجواب: «سبح» فعل أمر وفاعله مستتر وجوباً، «بحمد» جار ومجرور متعلق بمحذوف أي: سبح حال كونك متلبساً بحمد ربك. وحمد مضاف «ربك» مضاف إليه والكاف مضاف إلى رب. «حين تقوم» حين ظرف زمان متعلق بسبح المقيد بما بعده أي: أن التسبيح والحمد يكون في وقت القيام لصلاة الليل، و«حين» مضاف، و«تقوم» جملة في محل جر بإضافة حين إليها. «ومن الليل» جار ومجرور متعلق بقوله: «فسبحه»، وسبحه: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة «وسبح بحمد ربك حين تقوم»، والفاء في قوله «فسبحه» صلة لتحسين الكلام وليست للعطف؛ لأن الواو قد أغنت عنها. «وإدبار النجوم» إدبار: ظرف منصوب عطفاً على «ومن الليل» من العطف على المعنى و«النجوم» مضاف إليه.

=

وداوم على ملازمة ذكر الله سبحانه وتعالى وتسبيحه.



سؤال: إذا كان إدبار النجوم هو وقت غيابها مع الفجر فهل هو تكرير لقوله: «حين تقوم»؟ أم ماذا؟

الجواب: ليس ذلك تكرير؛ لأن المراد بقوله: «حين تقوم» هو حين تقوم لصلاة الليل، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ...﴾ [المزمل:٢٠]، قوله: «ومن الليل» المراد صلاة المغرب والعشاء، ولم يبين هنا صلاة الظهر والعصر، وقد يكون ذلك لأن الخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فأمره الله تعالى بالصبر وبصلاة الليل ليستروح بذلك من الضيق والمشاق والأعباء من عناد قومه وشدة شكيمتهم في الكفر واستهزائهم وتكذيبهم وأذاهم، فلا ينقضي النهار إلا وقد امتلأ صدره ضيقاً منهم وحزناً وهماً وتعباً.

سؤال: هل هناك من مناسبة في ختم هذه السورة بهذه الآية العظيمة؟

الجواب: ختم الله تعالى هذه السورة بالآيات هذه: «فاصبر لحكم ربك...» لأن الصبر هو الحل الأخير الذي يواجه به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قومه، وأمره بالتسبيح والحمد مع الصبر لأن ذكر الله عون كبير على التحمل؛ لأن ذكر الله سبب للطمأنينة وسكون القلب ولذهاب القلق والهم والحزن، وفي هذه الآيات أيضاً الإشارة إلى نهاية السورة وتمامها، وذلك من حيث أن الصبر هو الحل الأخير، ومن حيث ذكره لإدبار النجوم وإدبار النجوم هو نهاية الليل والمراد صلاة الفجر وركعتي الفجر أي: سنة الفجر.

سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى[١]۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى[٢]۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى۝٩﴾[٣] أقسم الله سبحانه وتعالى بالنجم حال هويه وسقوطه، وقد أقسم الله سبحانه وتعالى به ليلفت الانتباه إلى التفكر والنظر فيه؛ ليعلموا أنه آية من آياته الدالة على عظمته وربوبيته وقدرته التي يدعوهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى الإيمان بها، وذلك أن المشركين كانوا يرمون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويتهمونه بالضلال والسحر والجنون، وأنه قد غير وبدل في دين آبائه وأجداده وسار في غير طريقهم، فأقسم الله سبحانه وتعالى لهم بالنجم أن صاحبهم هذا ليس بضال ولا غاو، وأن ما جاءهم به من القرآن والدين هو الحق والهدى،

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما معنى «عن» في قوله: «عن الهوى»؟ وهل «هو» في قوله: «إن هو» عائد إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ فكيف أخبر بالمعنى وهو «وحي» عن الذات؟

الجواب: «عن» للمجاوزة فهي على بابها أي: ما يصدر نطقه عن هوى نفسه. و«هو» في قوله: «إن هو» عائد إلى القرآن المدلول عليه بقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى۝٣﴾ وليس عائداً على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(٢)- **سؤال:** يقال: من هو فاعل الاستواء هل هو جبريل أم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب: فاعل الاستواء هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يدل على ذلك الجملة الحالية التي بعده أي: فاستوى حال كونه في الأفق الأعلى.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «قاب قوسين»؟ ومم أخذت لفظة «قاب»؟

الجواب: «قاب» خبر كان، و«قاب» بمعنى قدر أو مقدار أي: أن مقدار مسافة ما بين محمد وجبريل عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مثل مقدار طول القوسين أو أقل، وكأن لفظة «قاب» غير مأخوذة من الفعل.

وأنهم هم أهل الباطل والضلال، وأما محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فهو رسول من عند الله يأتيهم بما يوحى إليه من الهدى والبينات، وأن ما يتلوه عليهم من القرآن منزل من عنده بالوحي من ملائكته، وشديد القوى هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان ينزل عليه بالقرآن من عند الله تعالى. ومعنى «ذو مرة» : ذو قوة.

ثم أخبرهم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على صورته الحقيقية في أفق السماء ثم دنا منه واقترب إليه حتى لم يبق بينه وبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا مقدار ذراعين أو أقل من ذلك.

﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى۝١٠﴾[(١)] أخبر الله سبحانه وتعالى المشركين أن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نبي مرسل من عنده بالوحي الذي ينزل به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من السماء، وأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قد نزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذه الحالة على هيئته وصورته الحقيقية، وكان ينزل عليه في غيرها في صورة رجل من الصحابة اسمه دحية بن خليفة الكلبي.

﴿مَا كَذَبَ[(٢)] الْفُؤَادُ مَا رَأَى۝١١ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى[(٣)]۝١٢﴾ ثم أخبر الله تعالى المشركين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد رآه على صورته الحقيقية، فما بالهم يكذبونه

---

(١)- **سؤال:** ما السر في إبهام الموحى بقوله: «ما أوحى»؟

الجواب: أبهم لتفخيم شأن الموحى وتعظيمه.

(٢)- **سؤال:** هل يتعدى «كذب» بنفسه إلى المفعول؟

الجواب: يتعدى بنفسه كما في هذه الآية وكما في قول الأخطل:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط ... غلس الظلام من الرباب خيالا

وقيل: لا يتعدى فيكون نصب «ما» هنا على إسقاط الخافض أي: فيما رآه.

(٣)- **سؤال:** ما السر في تعليقه بالحال دون الماضي؟ أي في قوله: «يرى»؟

الجواب: قد يكون ذلك لأن رؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لجبريل تتجدد ولم تنقطع حتى مات صلوات الله عليه وآله.

ويمارونه ويجادلونه في ذلك، وهو لم يكذب عليهم، وهم يعرفون أن الكذب ليس من طبيعته، وأنه لم يكذب كذبة قط منذ أن عرفوه.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى۝ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى۝ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى۝﴾[١]

وأخبرهم أن النبي ﷺ قد رآه على صورته الحقيقية مرة[٢] أخرى غير هذه، وذلك فوق السماء السابعة عند شجرة اسمها سدرة المنتهى، والسبب في تسميتها بهذا الاسم أن علم الخلائق ينتهي عندها.

ثم أخبر الله تعالى أن جنة المأوى عند هذه الشجرة، وهي التي[٣] تأوي إليها أرواح عباده المؤمنين عندما يتوفاهم الله سبحانه وتعالى في الدنيا.

﴿إِذْ[٤] يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى۝ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى۝﴾ وذلك عندما أعرج بالنبي ﷺ إلى السماء السابعة رأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية عند سدرة المنتهى، ورأى عليها جلالاً وهيبة وعظمة.

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما السر في فصل جملة «عندها جنة المأوى» عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لوقوعها حالاً من سدرة المنتهى.

(٢)- **سؤال:** مم اشتقت «نزلة» حتى صارت بمعنى المرة؟

الجواب: «نزلة» مصدر للمرة الواحدة من: نزل ينزل نزولاً، ونزلة للمرة الواحدة فتوسعوا في هذا المصدر حتى استعمل للمرة الواحدة من أي فعل كما في هذه الآية.

(٣)- **سؤال:** هل يمكن أن يستدل من هذا أن الجنة قد وجدت إذا كانت جنة المأوى إحدى الجنات العامة أو بالقياس عليها إذا كانت غيرها؟

الجواب: ليس في ذلك دليل على ما ذكرتم فجنة المأوى هي غير جنة الخلد، ولا يلزم من خلق جنة المأوى ووجودها في هذه الحياة الدنيا أن تكون جنة الخلد التي وعد المتقون موجودة مخلوقة اليوم في هذه الحياة الدنيا.

(٤)- **سؤال:** ما هو العامل في «إذ» الظرفية هذه؟

الجواب: «إذ» متعلقة بقوله: «رآه..».

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى۝١٨﴾[1] وقد رأى ﷺ بعض آيات الله الكبرى.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى۝٢٠﴾[2] ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يسأل المشركين عن آلهتهم التي يعبدونها من دون الله تعالى التي هي اللات والعزى ومناة: ما هي الآيات التي جاءتهم بها حتى عظموها هذا التعظيم وقدسوها[3] هذا التقديس؟ وأن يروه آثارها الدالة على إلهيتها ويخبروه بخلقها وملكها؟

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى۝٢٢﴾[4] ثم استنكر عليهم

---

(١)- **سؤال:** هل عُرِف شيء من هذه الآيات التي قد رآها النبي ﷺ ليلة المعراج؟

الجواب: رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام في صورته الحقيقية مرتين كما ذكر هنا في سورة النجم،وهو المراد بقوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى۝١٨﴾.

(٢)- **سؤال:** يا حبذا لو أعربتم: «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى»، وفصلتم الكلام في مفعول: «أفرأيتم»؟

الجواب: الهمزة للاستفهام الإنكاري التفريعي وهي داخلة على جملة مقدرة أي: أعرفتم آيات الله وآيات عظمته وربوبيته فرأيتم... فالفاء عاطفة على هذا المقدر. «رأيتم» فعل وفاعل «اللات» مفعول به أول «والعزى ومناة» معطوفان على اللات. «الثالثة الأخرى» صفتان والمفعول الثاني مقدر أي: شركاء لله أو قادرة.

(٣)- **سؤال:** يقال: من أين نعرف هذا المقدر؟

الجواب: يعرف ذلك من قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ...﴾؛ إذ معنى ذلك: أخبروني خبر اللات والعزى بم استحقت التعظيم والإلهية والتقديس حتى عبدتموها وهي كما ترون أحجار منحوتة لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «تلك إذاً قسمة ضيزى»؟

الجواب: «تلك» اسم إشارة مبتدأ، «إذن» حرف جواب، «قسمة» خبر المبتدأ، «ضيزى» صفة لقسمة.

كيف ينسبون البنات إلى الله سبحانه وتعالى وينزهون أنفسهم عن اتخاذها، ويستنكفون منها أشد الاستنكاف حتى أن من ولدت له بنت فإنه يدفنها حية خوفاً من الفضيحة بين قومه، فهذا ليس من الإنصاف والعدل في شيء بل هو عين الجور والباطل إذ ينسبون إلى الله سبحانه وتعالى ما يستنكفون من نسبته إليهم.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ[1] اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ وهذه الآلهة التي تعبدونها لا تملك من صفات الإلهية شيئاً إلا الاسم الذي تسمونها به لا غير، ولم ينزل الله سبحانه وتعالى بهذه التسمية أي دليل على إلهيتها، وإنما وسوس لكم الشيطان وزينها في أعينكم حتى توهمتم إلهيتها وعبدتموها من دون الله، وصادف ذلك أهواءكم وما تميل إليه شهواتكم.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴿٢٣﴾﴾[2] على لسان نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى عرفوا الحق والهدى، وعرفوا أن ما جاءهم به هو الدين الحق حتى لم يبق لهم أي عذر في جهالتهم وشركهم وباطلهم.

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴿٢٥﴾﴾[3] ثم أخبرهم الله سبحانه

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب «إن هي إلا أسماء»؟ وما الوجه في فصل جملة: «ما أنزل الله بها...» عن سابقتها؟

الجواب: «إن» حرف نفي، «هي» مبتدأ، «إلا» أداة استثناء، «أسماء» خبر المبتدأ، والاستثناء مفرغ، وفصلت الجملة عن سابقتها لأنها علة لما قبلها.

(٢)- **سؤال:** كيف نستدل من هذه الآية على إبطال مذهب المجبرة؟

الجواب: تدل هذه الآية: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴿٢٣﴾﴾ على أنهم تركوا الهدى واتبعوا هوى أنفسهم باختيارهم، وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى..﴾ [فصلت:١٧]، فهذه نصوص قرآنية صريحة تكذب المجبرة وتهدم مذهبهم.

(٣)- **سؤال:** لم نفهم التعلق والترابط بين الاستفهام في قوله: «أم للإنسان ..» وبين اختصاص

=

وتعالى أنه هو المالك المسيطر على ما في السماوات والأرض يتصرف في ملكه كيفما شاء، وليس لهم أن يقترحوا عليه شيئاً أو يفرضوا عليه رأياً أو يختاروا للنبوة من أرادوا، فهو وحده الذي له أن يختار لنبوته ورسالته من أراد.

﴿وَكَمْ(١) مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴿٢٦﴾﴾(٢) وهو تعالى المالك والمسيطر والمتصرف في ملك

الباري بالآخرة والأولى، فلو وضحتم ذلك حفظكم الله؟

الجواب: الاستفهام إنكاري فقد كان المشركون يعترضون على الله في اختياره للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للنبوة، واتخذوا لهم آلهة من دون الله وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، فصنيعهم هذا هو صنيع من يرى أن الملك ملكه وسلطان الأرض حق له، لا يحق لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يشرع الشرائع وينشر الدين، وليس لله أن يختار محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للنبوة، بل هم الذين يختارون لها من يشاءون فاستنكر الله تعالى عليهم ذلك الصنيع الذي منتهم به أنفسهم وزينته لهم، فالله تعالى هو المالك للدنيا والآخرة، فله أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

(١)- **سؤال:** فضلاً هل «كم» هذه خبرية أم استفهامية؟ وما محلها من الإعراب؟ وما محل جملة «لا تغني شفاعتهم»؟

الجواب: «كم» هذه خبرية، وهي في محل رفع مبتدأ، وجملة: «لا تغني شفاعتهم..» في محل رفع خبر والتقدير: ملائكة كثيرون في السموات لا تغني شفاعتهم.

(٢)- **سؤال:** هل نأخذ من هذه الآية دليلاً على أنه لا شفاعة للعصاة من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: الآية ترد على المشركين الذين قالوا: إن معبوداتهم التي يعبدونها من دون الله سيشفعون لهم عند الله ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، فرد الله تعالى عليهم بأن في السماء ملائكة ذوي عدد كثير لا تغني شفاعتهم ولا تنفع أي نفع إلا من بعد أن يأذن الله تعالى لمن شاء من الملائكة والأنبياء والصالحين. فإذا أذن لهم في الشفاعة ورضيها فستنفع وتغني المشفوع له. ولكن يمكننا بمعونة قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة]، أن نقول: إن الله تعالى لن يأذن للملائكة والأنبياء وغيرهم بأن يشفعوا للفاسقين المرتكبين للكبائر من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن غيرهم.

السماوات والأرض، والعظمة والجلال له وحده فلا ينبغي لأحد من الملائكة ولا من البشر أن يقترح عليه أو يفرض عليه رأياً، أو يشفع لأحد عنده، إلا من أذن تعالىٰ بشفاعتهم من ملائكته ورسله، وهو وحده الذي له أن يحكم ما يشاء ويختار ما يريد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا[1] لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ وهؤلاء هم المشركون من قريش كانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله -تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً- رجماً بالغيب عن غير دليل معهم أو حجة في ذلك، وإنما يتبعون في ذلك أهوائهم وأوهامهم[2] التي أوحاها لهم الشيطان وزينها في قلوبهم.

﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾﴾ لا قيمة للأوهام والظنون إذا تصادمت[3] مع الحق المعلوم، فالحق أحق أن يتبع، ومن اتبع الظن فقد اتبع الباطل.

---

(١)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟ وما الوجه في فصل الجملة التي بعدها عنها؟

الجواب: «ما لهم به من علم» في محل نصب حال من فاعل «ليسمون» وفصلت «إن يتبعون إلا الظن» لأنها مستأنفة في جواب سؤال مقدر.

(٢)- **سؤال:** هل تقصدون أن الظن هنا بمعنىٰ الوهم أي: الجانب المرجوح عند الأصوليين؟ أم أنه الجانب الراجح بمثابة ٦٠٪ فكم يكون نسبة العلم؟ وهل كان الحاصل عندهم من الظن بمقدار هذه النسبة؟

الجواب: المراد أن الظن هنا بمعنىٰ الوهم أي الجانب المرجوح عند الأصوليين؛ لأنه ليس لهم دلائل وأمارات وقرائن تدعوهم إلىٰ ترجيح معتقدهم الفاسد؛ لذلك قلنا إن الظن هنا بمعنىٰ الوهم.

(٣)- **سؤال:** لعلكم أخذتم هذا من معنىٰ «من» في قوله: «من الحق» فما معناها؟ أو مم أخذتموه؟

الجواب: «من» بمعنىٰ البدل أي: بدل الحق، فالمعنىٰ مأخوذ من هذا، فالباطل لا يسد مسد الحق ولا يغني مغناه ولا يقوم مقامه.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا[١]۝ ذَلِكَ[٢] مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا[٣] عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى۝﴾ بعد أن أطلع الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على معتقدات المشركين، وبعد أن بلغهم الحجة فأعرضوا عنه وتمردوا عليه أمره أن يعرض عنهم وعن باطلهم وشركهم ومعتقداتهم، وأن يتركهم في خوضهم وباطلهم يلعبون؛ لأنهم كفروا بلقاء الله تعالى وأنكروا البعث والحساب والجزاء، وتوجهوا بقلوبهم إلى الدنيا وشهواتها وقصروا علمهم على ذلك، وأخبر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه عالم بهم وبأعمالهم، وعالم بالضال والمهتدي من عباده وسيجازي كلاً منهم بما يستحقه، فهم في قبضته وقدرته وتحت سيطرته، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما إلا لغرض عظيم[٤]، وهو ما يترتب على خلقهما من البعث والحساب والجزاء

---

(١)- **سؤال:** هل تصلح الآية دليلاً على وجوب ترك مصاحبة المعرض عن العمل بآيات القرآن المنهمك في الدنيا المرتكب لبعض المعاصي أم لا، مع تعليله؟

الجواب: نعم، في الآية دليل على ما ذكرتم؛ لأن الأمر بالإعراض عمن تولى... يقتضي الإعراض عن مصاحبته ومجالسته ومخالطته ومعاملته ومناكحته... وإلى آخر ما يقدر، والمراد بمن تولى عن ذكر الله هو الذي قد عرف الحق وتبين له ثم تولى عنه إلى الباطل والتمرد، ولكن بعد تذكيره ومراجعته والتلطف به... وإلى آخر ما يتأتى من المحاولات لرده إلى الحق.

(٢)- **سؤال:** فضلاً إلام الإشارة بذلك؟

الجواب: الإشارة هي إلى أمر الحياة الدنيا.

(٣)- **سؤال:** هل الباء هنا سببية أم معدية؟ فكيف نفهم معناها على ذلك؟

الجواب: الباء للتعدية أي: بجزاء ما عملوا أو بمثل ما عملوا.

(٤)- **سؤال:** من أين نفهم هذا والظاهر أن إثبات ملكية الله لما فيهما هي المعللة بذلك؟

الجواب: هذا مما بني على المعنى الذي يسمى في علم النحو بالتوهم فكأنه قال: خلق الله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين.. بدليل نحو قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ...﴾ [الجاثية:٢٢].

للمسيئين والمحسنين.

والمراد بـ«الحسنى» : بالمثوبة الحسنى.

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ[1] إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ ثم وصف الله سبحانه وتعالى عباده الذين أحسنوا وأخبر عنهم بأنهم الذين يتقون الوقوع في معاصيه، ويتجنبون ما يغضبه ويوجب سخطه من كبائر المعاصي والفواحش، وقد أخرج من ذلك اللمم وهي صغائر المعاصي التي لا يخلو منها أي إنسان كالنظرة أو فلتات اللسان أو كذبة عن غير[2] عمد أو إلحاق ضرر

---

(١)- **سؤال:** هل عطف الفواحش على كبائر الإثم تفسيري أم ماذا؟ وهل استثناء اللمم متصل أم منقطع؟ وما قرينة ذلك؟

الجواب: «الفواحش» هي نوع من الكبائر تستفحشها العقول وتنفر عنها وتنكرها من قبل الإسلام ومن قبل نزول القرآن كالزنا ونكاح زوجة الأب وظلم الضعيف وقتل الأولاد ونقض العهد والخيانة والغدر ونحو ذلك، و«كبائر الإثم» هي نوع آخر لم يظهر فحشه في العقول كظهور النوع الأول كربا النسيئة وربا الفضل والقمار والذبح على النصب والاستقسام بالأزلام وأكل الميتة التي لم تتعفن، أما المتعفنة فأكلها مستفحش في العقل ونحو ذلك. «إلا اللمم» استثناء منقطع؛ لأنه لم يدخل في عموم الفواحش والكبائر، وقد ورد تفسيره عن أئمتنا بالخطأ وبما هم به المكلف ثم أقلع عنه ولم يعمله وما ألم به الإنسان مما لا يعتمل له ولا يقصد.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم هل يناسب هذا القيد معنى «اللمم» لغة؟ وهل يلزم من ظاهر هذا الوصف اشتراط اجتناب الكبائر في تكفير هذه الصغائر؟ إن لزم ذلك فما هو الدليل على مؤاخذة غير المجتنب للكبائر على الخطأ والنسيان؟

الجواب: المراد بقولنا عن غير عمد ما فعله المكلف بغير نية ولا إقدام على معصية الله، وهذا معنى قول الإمام محمد بن يحيى المرتضى عليه السلام كما في المصابيح: ومن اللمم ما ألم به الإنسان مما لا يعتمل (لا يتكلف) ولا يقصد له.اهـ أي: ليس له نية في فعل المعصية ولا عزم ولا إقدام على فعلها، وليس في هذه الآية أنه يشترط اجتناب الكبائر في تكفير الصغائر، بل يؤخذ ذلك

=

بأحد عن غير قصد أو شعور فإن الله سبحانه وتعالى سيتجاوز عنها ويغفرها، فهو ذو رحمة واسعة لا يؤاخذ المؤمن الذي حبس نفسه عن اقتراف المآثم ولم يصر على ارتكاب المعاصي وقد وطن نفسه على طاعة الله تعالى وفعل ما يرضيه، فمهما كان محافظاً كذلك فإن الله تعالى سوف يتجاوز عنه ويغفر له.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ(١) أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ فهو عالم بخلقه من بني آدم وعالم بضعفهم وبنيتهم التي بناهم عليها، وأنهم لا يستطيعون أن يتحرزوا عن الوقوع في مثل تلك الهفوات والزلات.

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾(٢) فلا تحكموا لأنفسكم أيها الناس بالصلاح والتقوى، فأنتم محل الخطأ والزلل والهفوات والنسيان والتقصير والتفريط، ولن يخلو أحدكم من الوقوع في مثل ذلك، فليحذر كل امرئ أن يظن(٣)

الاشتراط في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١]، ففي هذه الآية اشتراط اجتناب الكبائر لتكفير الصغائر ومنها يؤخذ الدليل على أن فاعلي الكبائر لا تكفر عنهم الصغائر.

أما الخطأ والنسيان فالظاهر أن الله تعالى لا يؤاخذ عليهما مطلقاً سواء أصدرا عن مؤمن أم غير مؤمن؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وليس في وسع الإنسان أن يتحرز عن أن يصدر منه خطأ بقول أو فعل أو أن يحفظ نفسه عن النسيان؛ لأن الإنسان بفطرته وطبيعته يقع منه الخطأ والنسيان.

(١)- **سؤال:** ما هو العامل في «إذ» الظرفية في هذه الآية؟

الجواب: العامل في الظرف هو «أعلم».

(٢)- **سؤال:** هل يناسب مدلول هذه الآية ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ القول بأن الصغائر المكفرة هي الخطأ والنسيان؟

الجواب: بل تدل على أن الصغائر المكفرة هي غير الخطأ والنسيان؛ لأنه لا يمكن أن يتقي المكلف الوقوع في الخطأ والنسيان.

(٣)- **سؤال:** قد يصدر من بعض الأولياء والصالحين كلمات ظاهرها التزكية فكيف نحمل ذلك؟

=

بنفسه خيراً، وأنه قد بلغ رتبة الكمال عند الله تعالىٰ، وقد حاز وسام الرضا والرضوان، واستحق الجنة فإن ذلك من المهلكات.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ۝٣٤ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ(١) ۝٣٥ أَمْ(٢) لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ

وهل حَلِف بعضهم بأنه لم يعص الله منذ بلغ التكليف أو نحو ذلك من هذا؟ فكيف محمله أم ليس منه؟

الجواب: يحمل ذلك على أنهم أرادوا أن يقتدي بهم الناس وأن يأخذوا عنهم ويقبلوا منهم، أو أنهم قالوا ذلك رداً على من تنقصهم وحقر من شأنهم ولم يصدر ذلك منهم لإعجاب منهم بأنفسهم وبكثرة أعمالهم، ولم يقطعوا أنهم من أهل التقوىٰ والدرجات عند الله.

والتزكية للنفس -كما يظهر لي والله أعلم- هي أن يعجب الإنسان بأعماله الصالحات ويعتقد أنه لذلك من أهل الطهارة عند الله ومن أهل الدرجات ثم يمدح نفسه ويثني عليها بذلك.

وحلف بعضهم إنه لم يعص الله منذ بلغ التكليف ليس من التزكية، وكذا لو قال المسلم: إنه يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويحج ويعتمر ولا يشرب الخمر ولا يكلم ولا.. إلخ، فإن ذلك ليس من التزكية للنفس، إلا إذا صحبه إعجاب واعتقاد أنه من المتقين المقربين.

(١)- **سؤال:** ما هو معمول «يرىٰ» في قوله: «فهو يرىٰ»؟

الجواب: معمول «يرىٰ» محذوف؛ لوجود القرينة الدالة عليه وهي قوله: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾ أي: فهو يرىٰ ما في علم الغيب.

(٢)- **سؤال:** فضلاً هل الاستفهام هنا تقريري كما هو ظاهر كلامكم؟ فهل فهمنا أنه قد علم كل ذلك من جوابه المقدر أم ماذا؟

الجواب: الاستفهام لتقرير ما بعد النفي، وذلك يدل على أن الموجه إليه الكلام قد كان علم أنه لا تزر وازرة وزر أخرىٰ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعىٰ بما كان قد نزل قبل ذلك من القرآن نحو: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت:٤٦]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدثر]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل]، وأمثال هذا كثير.

وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى[(١)]﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى[(٢)]﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما معنى «أن» في قوله: «ألا تزر»؟ وما الوجه في وصلها بـ«لا» النافية وفصلها عن «ليس» وظاهر معناهما متحد وهو التفسير؟

الجواب: «أن» مخففة من الثقيلة، وهي وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بدل من «ما» في قوله: ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴿٣٦﴾﴾ والوجه في وصل «أن» بلا النافية قد يكون بسبب أن النون لما أدغمت في «لا» صارت «أن» و«لا» كلمة واحدة في النطق أي: حرفاً واحداً، فأتبعوا الكتابة النطق. وبعد، فخط المصحف سنة لا تقاس. و«ليس»: كلمة مستقلة برأسها وليس هناك علة لاتصالها كما في نون «أن» فتركت على الأصل وهو الانفصال، ولا تحتاج إلى دليل لماذا لم تتصل؛ لأن الأصل الانفصال.

(٢)- **سؤال:** قد يستدل البعض بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴿٣٩﴾﴾ على عدم لحوق البر والأعمال الصالحة المهداة من الصالحين للأموات، فما هو أقرب وأخصر جواب يجيب به المرشدون على ذلك؟

الجواب: «المؤمنون بعضهم من بعض»، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١]، يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، بل جعل الله المؤمنين نفساً واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات:١١]، فمن هنا يصح لحوق البر من المؤمن لأخيه المؤمن الميت أو الحي بحج أو عمرة أو صدقة أو تلاوة قرآن أو ذكر أو... إلخ، وصح أن يقال إن ذلك من سعيه فإن نفس المتصدق والمتصدق عليه (الميت) نفس واحدة، والمؤمن هو بعض للمؤمن الآخر وجزء منه.

زيادة بيان:

الإيمان والإخلاص وحسن العمل والتزام التقوى هو العمل والسعي الذي ربطه بالمتقين وجعله منهم وجعلهم نفساً واحدة؛ لذلك كان ما ألحقه بعضهم لبعض من البر والصدقة من سعي المتصدق عليه، وقد صح كما في مسند الإمام زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمع رجلاً يلبي عن شبرمة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ومن شبرمة؟)) فقال: أخ لي، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن كنت حججت فلب عن شبرمة، وإن كنت لم تحج فحج عن نفسك))، وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: بينا أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية وإنها ماتت، قال: فقال: ((وجب أجرك، وردها عليك الميراث)) قالت: يا رسول الله إنه كان عليها صوم

=

يُرَى۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى۝٤١﴾[1] معنى «أكدى» : منع عطاءه بخلاً، وذلك أن رجلاً من المسلمين يقال: إنه عثمان بن عفان كان يخرج صدقة أمواله وينفقها على الفقراء والمساكين والمحتاجين فرآه رجل من المشركين، ثم عرض عليه أن يترك إخراج صدقته مقابل أن يتحمل عنه وزره وذنبه، فاستساغ عثمان ذلك، وقَبِلَ عَرْضَهُ، وتولى عما كان يعمله من الخير، فاستنكر الله تعالى عليه قبوله عرض ذلك المشرك، وسأله من أين علم صحة ما قاله المشرك حتى يصدقه؟ هل وجد ذلك مكتوباً فيما أنزل الله تعالى من الكتب على رسله؟ وهل رأى مكتوباً في صحفهم أنه يصح أن تتحمل نفس وزر نفس أخرى؟ أما علم أن كل امرئ سوف يتحمل وزر نفسه على ظهره وحده؟ وأن الله تعالى لا يكتب لأحد إلا سعيه وعمله الذي عمله ثم إنه سيراه يوم القيامة، ثم يجزى بحسبه جزاءً وافياً؟!! بلى قد علم كل ذلك، ولكن عرض ذلك المشرك قد وافق ما في نفسه.

﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى۝٤٢﴾ ألم يعلم أن أمور الخلائق ستنتهي يوم القيامة إلى الله فيجازي كلاً بما عمل.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى۝٤٣ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا۝٤٤﴾ أَوَلَم يعلم أيضاً أن ما يصيب الإنسان من الفرح والسرور[2] والحزن والنفع والضر بيد الله سبحانه وتعالى

شهر أفأصوم عنها؟ قال: ((صومي عنها)) قالت: إنها لم تحج قط أفأحج عنها؟ قال: ((حجي عنها)). اهـ ومثل حديث مسند الإمام زيد في صحيح ابن خزيمة.

(١)- **سؤال:** هل يقدر حرف الجر في المفعول الثاني لـ«يجزاه»؟ وما السر في دخول «أل» على المصدر في قوله: «الجزاء الأوفى»؟

الجواب: لا يلزم تقدير حرف الجر في المفعول به الثاني؛ لأن الفعل جزى ويجزي يتعدى بنفسه وبحرف الجر كما في قوله تعالى: ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٢٩]، «جزاك الله خيراً» وقد تقدم قريباً جواب مثل هذا السؤال. وقد أعربوا «الجزاء الأوفى» مفعولاً به ثانياً ليجزاه، وقالوا: إن الهاء ضمير السعي، وقدروا حرف جر لهذا الضمير، وهذا الإعراب جيد وأولى من جعل «الجزاء» مفعولاً مطلقاً، وبهذا يرتفع الإشكال.

(٢)- **سؤال:** هل المراد السرور والضحك الذي يحصل عند حصول أسبابه أم كيف؟ فظاهر بعض =

وحده، وكذلك الموت والحياة بيده تعالى وحده، فالخليق به أن يحذر ربه وأن يرجع عما استساغه وما تدعو إليه نفسه، وأن يجعل أكبر همه في طاعة ربه وفعل ما يرضيه.

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ لا زال الله سبحانه وتعالى يعاتب ذلك الذي منع صدقة ماله تصديقاً لما عرضه عليه ذلك المشرك، ألم يعلم أن ربه سبحانه هو الخالق وحده للذكور والإناث من ذلك الماء المهين الذي يراق في رحم المرأة أن البعث والحساب أمر معلوم وحتم محتوم؟؟ فلا بد أن يبعث تعالى جميع الخلائق إليه يوم القيامة.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾[1] أولم يعلم أيضاً أن الأرزاق بيد الله تعالى؟ وأنه الذي يفتح أبواب الرزق على عباده؟ وأنه الذي يعطيهم الأموال؟ وأنه الذي سهل لهم سبيل ادخارها واقتنائها لوقت حاجتهم وفاقتهم؟

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ أولم يعلم أولئك المشركون[2] أن الله تعالى هو الذي خلق الشعرى[3] التي يعبدونها من دونه، فلماذا لا يرجعون إلى عبادته ويتركون المعبودات التي لا تنفعهم ولا تضرهم؟

الضحك والبكاء من فعل الإنسان واختياره؟

الجواب: المراد أن الله تعالى هو الذي خلق طبيعة الضحك والبكاء في الإنسان أي: طبعه على السرور والضحك عند حصول أسباب ذلك وعلى الحزن والبكاء عند حدوث أسبابه.

(١)- **سؤال:** فضلاً مم أخذت كلمة «أقنى»؟ وما معناها؟

الجواب: «أقنى» مأخوذ من القنية وهي المال الذي يتخذه المرء لنفسه ولا يخرجه من يده.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في تغيير العتاب إلى المشركين، وقد كان للذي منع صدقته مع أن السياق واحد؟

الجواب: بعدما ذكر الله تعالى أنه هو الذي أغنى وأقنى ذكر أنه رب الشعرى الذي كان يعبده المشركون ويعتقدون أن الرزق يأتي من النجوم (الشعرى) فذكرها الله تعالى لينبههم على أنه الرازق دون الشعرى ثم استطرد تعالى في ذكر المشركين، والاستطراد فن بديع من فنون البلاغة.

(٣)- **سؤال:** هل الشعرى نجم أم صنم؟

الجواب: الشعرى نجم كانت تعبده حمير وخزاعة.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى[1]۝٥٠ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى۝٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى۝٥٢ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى۝٥٣ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى۝٥٤﴾ وأيضاً ألم يعلموا أن الله تعالى قد أهلك من كان قبلهم من المكذبين بأنبيائهم جزاء كفرهم وتكذيبهم؟ كقوم عاد وثمود، وقوم نوح وأصحاب المؤتفكة الذين هم قوم لوط عليه السلام، والمؤتفكة: اسم بلادهم، ومعنى «أهوى»: أراد بذلك أهلكهم بعذابه واستأصلهم، ومعنى «أطغى»: يعني تجاوزوا الحد في الطغيان والتمرد.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى۝٥٥﴾[2] بعد أن عدد الله تعالى آياته ونعمه سألهم هل يستطيعون أن ينكروا واحدة منها أو يشككوا في أنها ليست من عنده أو يكذبوا بها؟ فلن يستطيعوا أن يجدوا سبيلاً إلى الإنكار أو التكذيب، ولن يجدوا بداً من الاعتراف والإقرار بأنها من آياته ونعمه، وأنها منه وحده، ومعنى «تتمارى»: تتشكك.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى۝٥٦﴾ أراد الله تعالى به محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فقد أرسله بمثل[3] ما أرسل به الأنبياء قبله، لينذر قومه عذاب الله تعالى وسخطه إن هم كذبوا به وتمردوا عليه وأصروا على كفرهم وتكذيبهم، كما كان أولئك الأنبياء ينذرون أقوامهم، ويحذرهم أنه سيهلكهم إن كذبوا كما أهلك من كان قبلهم.

﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ۝٥٨﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن موعد القيامة والساعة قد اقترب، فليستعدوا للقائه فإن هذا الموعد لا يعلمه إلا هو[4].

---

(١)- **سؤال:** لطفاً ما السر في وصف عاد بالأولى؟ وما يكون معناها على قراءة نافع؟

الجواب: وصفت عاد بالأولى؛ لأنه جاء بعدهم عاد الأخرى، والأولى هم قوم هود الذين أهلكوا بريح صرصر عاتية والأخرى قيل: هم عاد إرم ذات العماد، وقيل غير ذلك، والله أعلم، ومعنى الأولى في قراءة نافع هو معناه في قراءة غيره.

(٢)- **سؤال:** من المخاطب هنا في هذه الآية؟

الجواب: المخاطب هو كل كافر على البدل.

(٣)- **سؤال:** فما معنى «مِنْ» إذاً؟

الجواب: «من» لابتداء الغاية أي: أنه واحد منهم جاء بمثل ما جاءوا به.

(٤)- **سؤال:** فضلاً وهل يصح أن تحمل الآية على أنه لا يوجد نفس دافعة لأهوال القيامة =

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ۝٥٩﴾ ثم استنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين تعجبهم مما يقرأه عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من القرآن، فكيف يتعجبون منه وقد أنزله الله سبحانه وتعالى آيات واضحات بيناتٍ ظاهراً صدقها وحجيتها؟ ولماذا التعجب مما هذا شأنه؟ ولأنه لا يدعو للعجب إلا ما كان غريباً لا تستسيغه العقول ولا تصدقه.

﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ۝٦٠﴾ واستنكر عليهم استهزاءهم به وضحكهم منه، وليس فيه ما يدعو إلى ذلك لوضوح آياته وحججه وبيناته.

﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ۝٦١﴾(١) لماذا تضحكون وتتعجبون وأنتم لاهون غافلون مع ما ينتظركم من لقاء الله تعالى وعذابه وسخطه وانتقامه.

﴿فَاسْجُدُوا(٢) لِلَّهِ وَاعْبُدُوا۝٦٢﴾(٣) فاتركوا ما أنتم فيه من الغفلة وتوجهوا بعبادتكم إلى الله سبحانه وتعالى وحده، واتركوا عبادة غيره من الآلهة التي لا تستطيع أن تدفع عنكم شيئاً أو تنفعكم بشيء وقت حاجتكم إليها.



وشدائدها؟

الجواب: يصح أن تحمل الآية على ما ذكرتم وقد فسرت الآية بذلك وبما ذكرنا.

(١)- **سؤال:** مم أخذت هذه اللفظة؟ وما رأيكم في حملها على «مغنّون» بلغة حمير كما في بعض الآثار؟

الجواب: «سامدون» اسم فاعل من «سمد» الثلاثي بمعنى «لها»، والغناء هو نوع من اللهو.

(٢)- **سؤال:** ما معنى الفاء هذه؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة واقعة في جواب شرط مقدر.

(٣)- **سؤال:** هل في ختم هذه السورة بهذه الآية مناسبة ظاهرة، فما هي؟

الجواب: في ذلك إشارة إلى نهاية السورة وتمامها وذلك من حيث أن السجود لله وعبادته هي العلة الغائية لما أنزل الله تعالى من القرآن.

سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾ اقتربت الساعة وأوشكت على الحلول ومن أماراتها أن تنشق القمر فانتبهوا من غفلتكم أيها الناس[1].

﴿وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ[2] مُسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن المشركين بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كلما أطلعهم على آية من آيات الله الدالة على وحدانية الله وعلى قدرته وعظمته فإنهم يعرضون عنها أشد الإعراض، ويستكبرون عن التصديق والإذعان بعد أن يعرفوا صحتها، ثم يرمون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالسحر والافتراء والجنون، وكلما جاءهم بآية من آيات الله كذبوا بها وركضوا وراء شهواتهم وأهوائهم وشركهم وباطلهم، ولكن فليعلم أولئك المكذبون أن كل ما توعدهم به ربهم قد حق عليهم، ولا بد أن يقع بهم.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾[3] وقد أعذر الله

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذا أن الانشقاق سيقع في المستقبل فهل هو كذلك؟ أم أنه قد وقع في عصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب: الانشقاق سيقع في المستقبل وإنما عبر بالفعل الماضي لتحقق وقوعه في المستقبل أي ليشير به إلى أن وقوعه أمر محقق، ولو أنها قد انشقت في عصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ انشقاقاً ظاهراً للناس لاشتهر الخبر في الدنيا وتناقلت الأجيال خبر انشقاقها ولذكرها المؤرخون من أهل الملل وغيرهم من مؤرخي الأمم المختلفة.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «سحر»؟

الجواب: يعرب خبراً لمبتدأ محذوف أي: هي سحر مستمر أي: الآية سحر مستمر.

(٣)- **سؤال:** ما معنى «من» في قوله: «من الأنباء»؟ وبماذا تعلق؟ وما إعراب: «حكمة بالغة»؟

الجواب: «من» لبيان الجنس المبهم الذي في «ما» وهو متعلق بمحذوف حال من «ما» في قوله: «ما فيه». «حكمة» بدل من «ما». «بالغة» صفة.

إليهم وأنذرهم بما أنزل لهم من آياته ومواعظه، وأعطاهم من الآيات ما ينزجروا عندها عن شركهم وباطلهم، والحكمة البالغة: هي آيات القرآن التي تزجرهم وتردعهم.

﴿فَمَا[١] تُغْنِ النُّذُرُ۝﴾[٢] ولكنهم لم ينزجروا ولم ينتفعوا بها ولم يتعظوا بشيء من تلك المواعظ والعبر والآيات، وأصروا على إعراضهم وتكذيبهم.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ بعد أن بلغهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آيات الله سبحانه وتعالى وحججه وأعذر إليهم وأنذر- أمره الله تعالى أن يتركهم ويتولى عنهم ويذرهم في شركهم وباطلهم يرتعون ويلعبون، فقد علم الله سبحانه وتعالى أنهم لن يؤمنوا أبداً، وأنهم لن ينتفعوا بشيء من آياته ومواعظه.

﴿يَوْمَ[٣] يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ۝ خُشَّعًا[٤] أَبْصَارُهُمْ﴾ سيلقون جزاءهم الشديد فيجيبون الداعي وهم في ذلة وخزي ورعب من هول الموقف، يوم يبعثهم الله سبحانه وتعالى من قبورهم، ثم يدعوهم إلى الحساب، ثم يأمر بهم بعدها إلى جهنم.

---

(١)- **سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟

الجواب: هي للعطف هنا أي: جاءتهم النذر فما نفعتهم.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بالنذر الرسل المنذرون أم الآيات المنذرة؟

الجواب: هي الحكمة البالغة التي جاءتهم بها رسل الله عَلَيْهِم السَّلَام، ويصح أن تكون النذر رسل الله الذين جاءوا بالحكمة البالغة.

(٣)- **سؤال:** ما هو العامل في هذا الظرف؟وما الوجه في حذف واو «يدع» وهي لا تحذف خطاً؟ وما هو الوجه في حذف ياء «الداعي» لفظاً وخطاً؟ وما نوع اسمية «نكر»؟

الجواب: العامل فيه «اذكر» محذوفاً فهو مفعول به. وحذفت واو «يدع» خطاً تبعاً لحذفها لفظاً لالتقائها بساكن، وكان القياس إتيانها ولكن خط المصحف سنة لا يقاس عليها، وحذفت ياء الداعي لفظاً وخطاً للتخفيف. «نكر» صفة مشبهة بمعنى المنكر أو الأمر الشديد وزنه (فُعُل) بضمتين.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «خشعاً أبصارهم»؟

الجواب: «خشعاً» حال من المفعول المقدر ليدع. «أبصارهم» فاعل خشعاً.

﴿يَخْرُجُونَ[١] مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۝٧﴾ يخرجون وعليهم الذلة والخزي والهوان؛ وقد شبههم الله سبحانه وتعالى بالجراد في الكثرة والانتشار.

﴿مُهْطِعِينَ[٢] إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ والمهطع: المترقب لسماع شيء، فسيكونون في ذلك اليوم فاتحين لآذانهم مترقبين لداعي الرحمن، ومقبلين إليه منادين بعسر ذلك اليوم وعظم أهواله.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ[٣] السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ۝١٤﴾[٤] فليست أمتك هي الوحيدة يا محمد من بين

---

(١)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة؟ وكذا: «كأنهم جراد منتشر»؟

الجواب: «يخرجون» لا محل لها مستأنفة. «كأنهم جراد منتشر» جملة حالية في محل نصب من فاعل «يخرجون».

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «مهطعين»؟ وما محل جملة «يقول الكافرون»؟ وما الوجه في فصلها عما قبلها؟

الجواب: «مهطعين» حال أيضاً من فاعل «يخرجون»، ولا محل لجملة «يقول الكافرون»؛ لأنها مستأنفة استئنافاً بيانياً والوجه في فصلها كونها مستأنفة في جواب سؤال مقدر.

(٣)- **سؤال:** ما السر في هذه التسمية «أبواب السماء»؟

الجواب: السر هو تصوير نزول المطر من السحاب بصورة تبلغ من الحسن في أذن السامع كل مبلغ وتسمى مثل هذه الصورة بالاستعارة التمثيلية وهي مبنية على التشبيه المركب.

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في تكرير التكذيب في قوله: «كذبوا»؟ وما محل المصدر «أني مغلوب»؟ وما إعراب «عيوناً» و«جزاءً»؟ وما الوجه في الإتيان بالمبني للمجهول في قوله: «كُفِر»؟

الجواب: التكذيب الثاني هو تفصيل للأول؛ لذلك عطف بالفاء التي تختص بذلك.

«أني مغلوب» في محل جر بحرف جر مقدر أي: بأني مغلوب أو في محل نصب بنزع الخافض.

«عيوناً» تمييز نسبة، «جزاءً» مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة. وقوله «لمن كان كفر» واقع موقع «نوح» أي: جزاءً لنوح إلا أنه عدل إلى قوله: «لمن كان كفر» ليفيد أن العلة والسبب في وقوع ذلك الجزاء بقوم نوح هو كفرهم به وبما جاء به. وغيرت صيغة «كُفِر» إلى المبني للمجهول للعلم بفاعل الكفر.

الأمم، فقد لقي الأنبياء قبلك من أممهم مثل ما لقيته من قومك من التكذيب والأذى، فلا يكبر عليك تكذيبهم وإعراضهم، فقد رمي نوح عليه السلام بالجنون حين جاء قومه برسالة الله، وزجروه وطردوه من بينهم، ثم دعا الله سبحانه وتعالى أن ينتصر له وينتقم منهم بعد أن مكث يدعوهم إلى الله مئات السنين، فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاءه فأمر السماء بأن تنزل ماءها، والأرض بأن تفجر عيونها حتى اجتمع ذلك الماء وتكاثر إلى أن غطى الأرض والجبال إلا نوحاً ومن آمن معه فإن الله تعالى أمره أن يصنع سفينة ويركب فيها هو ومن آمن معه. والدسر: هي المسامير التي تثبت الألواح بعضها في بعض.

وقد نزل جبريل عليه السلام بأمر من الله تعالى ليعلمه كيفية صنع هذه السفينة.

وقد أراد الله تعالى بقوله ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾: في حراستنا وحفظنا من الغرق في تلك الأمواج العظيمة بين السماء والأرض، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن ذلك العذاب الذي أنزله بقومه كان جزاءً لهم على كفرهم وتكذيبهم بنبيهم نوح عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا ءَايَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ١٥﴾[1] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد ترك هذه السفينة آية لمن يأتي بعدهم من الأمم ليعتبروا بها ويتعظوا بما جرى على أهلها، وكيف كانت عاقبة المكذبين، وقد حفظها الله سبحانه وتعالى قرناً بعد قرن إلى عهد[2] نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويقال: إن آثارها باقية حتى يومنا هذا.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦﴾[3] تعظيم لشدة العذاب الذي أنزله الله تعالى

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب «مدكر»؟ ومم اشتقت؟

الجواب: «مدكر» خبر مبتدأ محذوف، أي: موجود. و«مدكر» أصلها: مذتكر اسم فاعل من اذتكر الخماسي فقلبت التاء دالاً لتؤاخي الذال ثم أدغمت الذال في الدال فصار «مدكر».

(٢)- **سؤال:** من فضلكم هل هناك دلالةواضحة على هذا؟

الجواب: ليس هناك دلالة واضحة.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب هذه الآية مفصلاً حفظكم الله ورعاكم.

=

بقوم نوح، فقد كان عذاب استئصال للحرث والنسل ولكل دابة على وجه الأرض بسبب شؤم أولئك المكذبين إلا من حمله نوح عليه السلام على السفينة، وقد أمره الله سبحانه وتعالى أن يحمل فيها من كل زوج اثنين من جميع أصناف حيوانات الأرض حتى لا تنقرض.

﴿وَلَقَدْ(١) يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۝١٧﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر قومه بأنه قد يسر لهم القرآن وسهل فهم معانيه، واستيضاح حججه وبيناته، إلا أن قريشاً لم تتعظ ولم تتذكر، وأصرت على الكفر والتكذيب.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ(٢) ۝١٩ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۝٢٢﴾ أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه هوداً عليه السلام إلى قومه عاد فكذبوا به وتمردوا عليه فأنزل الله تعالى عليهم

الجواب: «فكيف» اسم استفهام خبر «كان» مقدم، و«عذابي» اسمها، «ونذر» معطوف، والمراد بالاستفهام هنا تعظيم العذاب أي: كان عذاباً عظيماً لا يكتنه كنهه لعظمته وكبره.

(١)- **سؤال:** قد يقال: كيف هذا التيسير ونحن نعاني من فهم أغلب الآيات وأكثرها ولم يعرف أكثرنا مفرداتها ولا تركيبها دع عنك معرفة الأحكام الشرعية منها؟

الجواب: لا زالت آيات القرآن الدالة على التوحيد ونفي الشرك وعلى إحاطة علم الله وقدرته وعلى الوعد والوعيد ميسرة مفهومة إلى اليوم وهذا بالنسبة لعرب اليوم أما غير العرب فتقوم عليهم الحجة بالترجمة. أما ما سوى ذلك فليست العوام مكلفة بمعرفته فيكفيها التقليد، ووجوب معرفة المفردات واستنباط الأحكام هو على العلماء.

(٢)- **سؤال:** كيف وصف اليوم بأنه مستمر؟ وكيف نجمع بين هذه الآية وقوله سبحانه: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة:٧]؟

الجواب: المراد أن شؤمه مستمر في جميع ساعاته، لا أنه مستمر دائماً، وأراد باليوم الجنس لذلك فتكون آية «سخرها...» قيد لهذا.

عذابه وسخطه فأهلكهم ودمرهم بريح شديدة، والصرصر: هو الصوت الشديد، فكان لهذه الريح صوت شديد وصفير من شدة سرعتها وقوتها، فأهلكتهم عن بكرة أبيهم، وأتت على آخرهم حتى الذين كانوا في بيوتهم، فقد كانت تنزعهم منها وتهلكهم، ولم يرفعها الله تعالى إلا بعد أن أهلكتهم. ومعنى: «كأنهم أعجاز نخل منقعر» : جذوع نخل ذهبت أعاليها وماتت وسقطت على الأرض.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ(١)۝٢٣ فَقَالُوا أَبَشَرًا(٢) مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ(٣) إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ۝٢٤﴾ وكذلك قبيلة ثمود فقد أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم صالحاً عليه السلام فكذبوا به وتمردوا عليه، وأعرضوا عما حذرهم وأنذرهم، واستنكروا عليه كيف يتبعونه ويستجيبون له وليس إلا واحداً من أقلهم؟ وزعموا أنهم إن اتبعوه وكفروا بآلهتهم فقد خسروا دينهم وضلوا عن طريق الهدى والصواب. والمراد بالسعر : العذاب أو الجنون أو البعد عن الصواب.

﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ۝٢٥﴾ واستنكروا على الله سبحانه وتعالى حين اختاره للنبوة واصطفاه لرسالته من بينهم، واعترضوا على الله تعالى ورموا نبيه بالسحر والكذب، والأشر يعني أنه جاء بكذبة كبيرة وفظيعة.

---

(١)- **سؤال:** هل أطلق اسم الجمع هنا على الواحد أم كيف؟

الجواب: أطلق على جميع الرسل؛ لأن تكذيبهم نبيهم يكون تكذيباً لجميع الرسل.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «أبشراً منا واحداً نتبعه»؟

الجواب: «بشراً» مفعول به لفعل محذوف يفسره ما بعده أي قوله: «نتبعه» والتقدير: أنتبع بشراً منا واحداً. «منا» متعلق بمحذوف صفة، «واحداً» صفة أيضاً، «نتبعه» فعل وفاعل ومفعول، ولا محل للجملة من الإعراب والاستفهام للإنكار.

(٣)- **سؤال:** هل يؤخذ من هذه الآية أن استحقار الدعاة والمرشدين وإنكار فضلهم سبب كبير في الامتناع عن قبول الهدى؟

الجواب: نعم يؤخذ من الآية ما ذكرتم، وذلك هو الكبر نفسه.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ۝٢٦﴾[١] فأجاب الله سبحانه وتعالىٰ عليهم بأنهم سيعلمون من هو الكذاب عندما يحل بهم عذابه، ويرون نزوله بهم.

﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۝٢٧﴾ ثم أوحىٰ الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ نبيه صالح عليه السلام بأنه قد اقترب موعد نزول عذابه بهم، وأنه سيبتليهم[٢] بناقة ويمتحنهم بها، فلينظر ويترقب ليرىٰ كيف يكون موقفهم مع الناقة.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ[٣] بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ۝٢٨﴾ وأمره أن يخبرهم يجب عليهم أن يجعلوا لهذه الناقة نصيباً في مائهم، وأن يقتسموه معها بالسوية فيكون لها شرب يوم، ولهم شرب يوم معلوم، وفي ذلك دلالة علىٰ كبر هذه الناقة، ومعنىٰ الشرب: النصيب، ومعنىٰ «محتضر»: يحضره صاحبه في نوبته.

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ[٤] فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ[٥] ۝٣٠ إِنَّا

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «من الكذاب الأشر»؟

الجواب: «من» استفهام مبتدأ، «الكذاب» خبره، «الأشر» صفة للكذاب، والجملة في محل نصب لأنها معلقة بالاستفهام فعمل يعلمون في محلها النصب.

(٢)- **سؤال:** هل كانت الناقة بطلب من قوم صالح أم من الله ابتداءً للامتحان؟

الجواب: قد تدل لام العهد في الناقة علىٰ أنهم قد كانوا طلبوها من صالح عليه السلام، والله أعلم.

(٣)- **سؤال:** ما نوع اسميته؟ وهل حل محل اسم المفعول؟ وما الوجه في فصل جملة: «كل شرب محتضر» عن السابقة المؤكدة؟

الجواب: «قسمة» مصدر أي: ذو قسمة، أو بمعنىٰ مقسوم كما ذكرتم، وفصلت «كل شرب محتضر» لأنها مستأنفة في جواب سؤال مقدر.

(٤)- **سؤال:** هل يدل قوله: «فنادوا صاحبهم» علىٰ أن لهم مشاركة في قتلها غير الرضا بقتلها؟ أم كيف؟

الجواب: نعم يدل هذا علىٰ أن لهم مشاركة في قتل الناقة غير الرضا.

(٥)- **سؤال:** ما الوجه في تقديم قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٠﴾ علىٰ الآية التي تحكي تعذيبهم وهي: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا...﴾؟

الجواب: قد يكون ذلك من أجل تعظيم العذاب المذكور بعده وهو قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

=

أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴿٣١﴾[1] وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴿٣٢﴾﴾ فلم يصبروا على هذه الناقة وعلى ما أمرهم الله سبحانه وتعالى فيها فتشاوروا فيما بينهم وعزموا على قتلها فاجترأ على قتلها قدار بن سالف؛ فعندها أنزل الله سبحانه وتعالى عليهم عذابه وسخطه، وأهلكهم بصيحة لم تحتملها قواهم وأجسامهم من شدتها وقوتها فصعقتهم وأهلكتهم جميعاً، ولم يصبح عليهم الصباح إلا وهم صرعى مشتتون في كل مكان، وقد شبههم الله سبحانه وتعالى في ذلك بكسارة القصب المبعثرة المتناثرة التي داستها الأنعام وأكلت أعاليها وفروعها.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ[2]﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴿٣٥﴾﴾[3] ثم أتبع ذلك بقصة قوم لوط وما جرى عليهم من العذاب والهلاك جزاء تكذيبهم وتمردهم على نبي الله لوط عليه السلام، وقد عذبهم الله سبحانه وتعالى بأن أرسل عليهم حجارة من السماء

صَيْحَةً﴾ فقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴿٣٠﴾﴾ تهويل وتفخيم لعذاب مبهم، وقوله: «صيحة» تهويل آخر بعذاب منكر مبهم، فتقديم قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴿٣٠﴾﴾ يزيد في تعظيم العذاب «صيحة» وتهويله فيتضاعف التهويل بـ«صيحة» بسبب تقدم التهويل والتفخيم له.

(١)- **سؤال:** هل المراد بالمحتظر الشخص؟ أم تعريف الهشيم نفسه؟

الجواب: المحتظر: هو صاحب حظيرة الغنم ونحوها، والهشيم: هو البقايا التي تبقى بعد أكل الحيوانات من القصب المتكسر المتناثر الذي داسته الحيوانات أو يكون الهشيم هو ما تكسر وتفتت عند بناء المرء للحظيرة التي تبنى من القصب والعيدان.

(٢)- **سؤال:** ما معنى الباء في قوله: «بسحر»؟ وما إعراب: «نعمة من عندنا»؟

الجواب: معنى الباء هنا الظرفية «في». «نعمة» مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله.

(٣)- **سؤال:** ما الذي يفيدنا قوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴿٣٥﴾﴾؟

الجواب: يفيدنا أن الله تعالى إذا غضب على قوم فسلط بعضهم على بعض فإنه تعالى سينجي المؤمنين من ويلات غضبه، وهذا وعد صادق، وقد رأينا صدق ذلك الوعد وعشناه.

فأهلكهم ودمرهم وأبادهم جميعاً، ولم يُبْقِ على أحد منهم، بعد أن أمر لوطاً وأهله أن يخرجوا من تلك القرية التي أنزل بها عذابه، وكانت نجاة لوط عليه السلام وأهله نعمة عظيمة عليه.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴿٣٦﴾﴾ وكان لوط عليه السلام قد أنذرهم وحذرهم غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه إن هم أصروا على كفرهم وتكذيبهم، وسوء أعمالهم، ولكنهم أصروا على كفرهم وتكذيبهم فأخذهم الله سبحانه وتعالى بعذابه، ومعنى «تماروا بالنذر»: تجادلوا شاكين مكذبين.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴿٣٨﴾[1] فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ[2]﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴿٤٠﴾﴾ وكانوا قد بلغوا النهاية في الكفر وارتكاب المعاصي وقد اشتهروا من بين الناس جميعاً بفعل فاحشة اللواط وانتشاره فيهم، وقد استرسلوا فيه إلى أن صار لهم خلقاً وعادة، وكان من أقبل إليهم فلا بد أن يمارسوا معه هذه الرذيلة.

وعندما علموا بقدوم الضيوف على لوط عليه السلام أقبلوا إليه يريدون الفاحشة بهم، ولكن الله سبحانه وتعالى أعمى أبصارهم عنهم وطمسها حتى لا يرونهم، وكان ذلك بداية نزول غضب الله سبحانه وتعالى عليهم وعذابه، ولم يصبح عليهم الصباح إلا وقد أنزل بهم ذلك العذاب الذي كان يحذرهم من نزوله وينذرهم من حلوله.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «بكرة عذاب مستقر»؟

الجواب: «بكرة» ظرف زمان. «عذاب» فاعل صبحهم. «مستقر» صفة لعذاب.

(٢)- **سؤال:** ما المراد بـ«نذر» التي أمروا بذوقها في قوله: «فذوقوا عذابي ونذر»؟

الجواب: المراد ما أنذركم به لوط عليه السلام من العذاب.

مُقْتَدِرٍ﴿٤٢﴾﴾[١] وقد أرسل الله تعالى إلى فرعون وأتباعه موسى وأخاه هارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وأيدهما بالمعجزات الظاهرة، والآيات المتتالية آية بعد آية، ولكنهم كذبوا بها جميعاً واستكبروا وتمردوا بعد أن عرفوا صدقها وحجيتها، فأنزل الله سبحانه وتعالى بهم عذابه وسخطه، وأهلكهم ودمرهم جميعاً، وقد وصف الله تعالى أخذه بالقوة، وأراد به قوة العذاب الذي أنزله بهم وشدته.

وقد قص الله سبحانه وتعالى على قريش أخبار هذه الأمم لعلهم ينتفعون بها ويعتبرون بما جرى على تلك الأمم من العذاب والدمار، وأخبرهم أنه قد يسر لهم الذكر ليتذكروا بآياته وينتفعوا بعبره ومواعظه.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾[٢] ثم سأل قريشاً بعد أن قص عليهم ما جرى على مكذبي تلك الأمم أن لا يظنوا أنهم أفضل عنده من كفار تلك الأمم أو أنهم أعز عليه منهم، فلا يأمنوا مكر الله تعالى بهم ونزول عذابه عليهم، فسوف يحل بهم كما حل بمن كان قبلهم.

﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴿٤٣﴾﴾ أم أنكم واثقون بعدم نزول عذابه بكم، أو أنكم قد أخذتم صكاً مصكوكاً فيما أنزله من الكتب ينص على براءتكم، وحصانتكم، يقول فيه: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴿٤٤﴾﴾[٣] أم أنكم اغتررتم بكثرتكم وقوتكم

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «أخذ عزيز»؟

الجواب: «أخذ مفعول مطلق مضاف. «عزيز» مضاف إليه. «مقتدر» صفة لعزيز.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «خير من أولئكم»؟ وعلام عطفت: «أم لكم براءة في الزبر»؟

الجواب: «خير» اسم تفضيل وهو خبر المبتدأ «أكفاركم». «من أولئكم» جار ومجرور متعلق بخير.

«أم لكم براءة» معطوف على الجملة التي قبله. «أكفاركم خير» إضراب انتقالي.

(٣)- **سؤال:** هل «جميع» بمعنى مجموع (فعيل بمعنى مفعول)؟ أم ماذا؟ ولماذا أفرد «منتصر»؟

الجواب: «جميع» بمعنى: مجموع، أي: جماعة، كما ذكرتم. وأفرد «منتصر» لأن لفظ جميع مفرد.

فظننتم أنكم ستغلبون أي قوة تواجهكم.

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝٤٥﴾[(١)] فرد الله سبحانه وتعالىٰ عليهم بأن كثرتهم وجموعهم لن تغني عنهم شيئاً ولا تستطيع أن تقف في وجه دعوة النبي ﷺ ودينه، فسيهزمهم[(٢)] ويقهرهم ويولون أدبارهم فارين من قوة النبي ﷺ وجيشه.

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ وسيلقون في الآخرة بعد خزي الدنيا وذل الهزيمة الذي لحقهم من رسول الله ﷺ ما هو أدهىٰ وأشد مرارة من عذاب الدنيا وذلك ألوان العذاب في جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾[(٣)] أعد الله سبحانه وتعالىٰ للمجرمين العذاب الشديد بين أطباق جهنم، وستسحبهم الملائكة علىٰ وجوههم في النار وتقول لهم الملائكة: ذوقوا أليم العذاب.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾[(٤)] خلق الله كل شيء علىٰ حسب ما تقتضيه

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «الدبر»؟

الجواب: «الدبر» مفعول به.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بهزيمتهم هنا ما وقع لهم يوم بدر أم كيف؟

الجواب: المراد هزيمتهم يوم بدر كما ذكرتم.

(٣)- **سؤال:** ما المراد بالضلال الذي يكون فيه المجرمون؟ وما هو العامل في الظرف «يوم»؟ وما إعراب: «مس سقر»؟

الجواب: المراد بالضلال الذي يكون فيه المجرمون هو الضلال عن الحق في الدنيا وعذاب السعير في الآخرة. «يوم» متعلق بـ«سُعُر» علىٰ أنه صفة له، وقيل: بـ«ذوقوا مس سقر» الذي بعده، وقيل: منصوب بـ«اذكر»، والقول الذي ذكرنا أحسن. «مس سقر» مفعول لذوقوا.

(٤)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم هذه الآية كاملة؟

الجواب: «إنا» حرف توكيد ونصب و«نا» اسمها، «كل شيء» مفعول به لفعل محذوف أي: خلقنا

=

الحكمة والمصلحة وعلى حسب ما تدعو إليه الحاجة، فخلق الله تعالى الشمس على قَدْرٍ من الكِبَرِ مناسب للحكمة والحاجة، وقَدَّر ضياءها وحرارتها على قَدْرٍ معلوم متناسب مع الحكمة وحاجة المخلوقات، وقَدَّر منازلها على حسب الحكمة والمصلحة، وخلق الهواء على حسب ما تدعو إليه حاجة المخلوقات الحيوانية والنباتية التي لا تعيش إلا على نسيم الهواء.

كل شيء. «خلقنا كل شيء»: فعل وفاعل ومفعول،والجملة مفسرة لا محل لها من الإعراب. «بقدر» جار ومجرور متعلق بخلقناه. ومعنى هذه الآية مثل معنى قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴿٢﴾﴾ [الفرقان].

سؤال: كيف يرد المرشد بجواب مختصر على من استدل بهذه الآية على بدعة القدر؟

الجواب: ينبغي أن يجيب المرشد بجواب الاستفسار فيقول: ما هو القدر؟ هل هو قدرة الله؟ فالله على كل شيء قدير، أم هو علمه؟ فالله بكل شيء عليم، فنحن لا ننكر قدرة الله وعلمه، أم أن القدر شيء آخر؟ فما هو؟ فالقدر يأتي لعدة معان كقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴿٢٢﴾﴾ [المرسلات]، ثم يستفسر: هل قَدَر وقَدَّر مخففاً ومشدداً سواء؟ وإذا كان للقدر عدة معانٍ فهات الدليل على المعنى المقصود منها؟ ونحو هذه الاستفسارات التي لا يمكن الاستدلال بالآية إلا بعد الإجابة المقنعة عليها.

سؤال: يقال: كيف نفهم المراد برواية المجموع الشريف عن علي عليه السلام: (والله ما كذبت ولا كذبت، ما نزلت هذه الآية إلا في القدرية: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴿٤٩﴾﴾)؟

الجواب: اسم القدرية مذموم، فالقدرية مجوس هذه الأمة، صحت بذلك الرواية بين المسلمين، إلا أن المسلمين حين اختلفوا رمى كل فريق هذا الاسم على الفريق الآخر، فشيعة معاوية يرمون شيعة علي بهذا الاسم، وشيعة علي يرمون شيعة معاوية به، ولا زال الناس على هذا إلى اليوم. وقد نص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المجمع على صحته بين الفريقين وذلك حديث: ((عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار))، وقد كان عمار من شيعة علي وقاتل معه الفئة الباغية حتى قتلته الفئة الباغية.

وخلق الرياح وصَرَّفها على حسب الحكمة والحاجة من غير زيادة ولا نقصان، وينزل الله الأمطار على حسب الحكمة والحاجة.

وخلق الله تعالى الإنسان، وخلق له أعضاء وحواس على حسب ما تدعو إليه الحكمة والمصلحة، فعدد الأسنان لحكمة، وعدد الأصابع، وعدد مفاصلها وأظافرها وطولها وقصرها وكبرها وصغرها ونعومتها وغلظها وظاهرها وباطنها و...إلخ كل ذلك خلقه الله تعالى بقدر على حسب مقتضى الحكمة والحاجة.

وكل شيء خلقه الله تعالى في الكون فهو على حسب مقتضى الحكمة والمصلحة.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ۝٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ۝٥١﴾ فإذا أراد الله سبحانه وتعالى شيئاً فإنه كائن كلمح البصر أو هو أهون وأسرع، لا يعسر عليه شيء أو يعجزه، وما أراده فهو كائن لا محالة، وإذا أراد إهلاك قوم أو إحياء أحد أو إنزال أمر بأحد أو إحداث رزق فإن ذلك كائن في لمح البصر، وكل ذلك يُذَكِّر به المشركين ليحذروا أخذه وانتقامه، ويقلعوا عن شركهم وضلالهم، وإلا فإنه سيهلكهم كما أهلك من كان قبلهم من المكذبين، ومعنى «واحدة» : فعلة واحدة أو رجفة واحدة، ومعنى «أشياعكم» : أشباهكم وأمثالكم في الكفر.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ[1] فِي الزُّبُرِ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ۝٥٣﴾ وأخبرهم أن كل ما عملوه من الأعمال صغيرها وكبيرها مسجل عنده ومسطور في صحائف أعمالهم، وسيبرزها لهم يوم القيامة حتى يروها بأعينهم، ثم يحاسبهم عليها ويعذبهم.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ۝٥٤[2] فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ

---

(١)- **سؤال:** ما محل جملة «فعلوه»؟ وأين الخبر هنا؟

الجواب: جملة «فعلوه» في محل جر صفة لـ«شيء»، والخبر هو قوله: «في الزبر».

(٢)- **سؤال:** هل المراد بها جمع «نَهْر» أم ماذا؟

الجواب: «نَهَر» بفتحتين مفرد كـ«نهر» بسكون الهاء، والمراد الجنس.

مُقْتَدِرٍ﴿٥٥﴾﴾(١) وأما المتقون فهم في أمن وأمان من كل خوف وفزع، وحسابهم عند الله تعالى سيكون يسيراً، وقد أعد لهم مقعد صدق عنده لا انتقال لهم عنه ولا ارتحال، ولا يزول عنهم النعيم الذي أعده لهم في ذلك المقعد والمقام الكريم في جنات النعيم، بخلاف المشركين فسيحاسبهم الله تعالى حساباً عسيراً على كل صغيرة وكبيرة من أعمالهم السيئة.



(١)- **سؤال:** ما هو «مقعد صدق» المذكور في الآية؟

الجواب: هو المقعد الحسن المرضي الذي لا لغو فيه ولا تأثيم ولا تنغيص بخلاف مقاعد الدنيا فإنها لا تخلو من ذلك.

سؤال: ما مناسبة جعل هاتين الآيتين خاتمة لهذه السورة المباركة؟

الجواب: وجه المناسبة الإشارة إلى ختم السورة ونهايتها من حيث أن نهاية الدنيا بالنسبة للمتقين هي دخول الجنة والدرجات الرفيعة وقرب المنزلة من الله.

سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ الرحمن: اسم من أسماء الله تعالى معناه أن الله عظيم الرحمة بعباده مسبغ عليهم النعم الظاهرة المكشوفة.

وقوله ﴿عَلَّمَ الْقُرْءَانَ﴾[1]: يفيد أن القرآن من أعظم النعم الجلية والظاهرة التي لا خفاء فيها.

ومن نعمه الظاهرة الجلية خلقه للإنسان فهو من النعم العظيمة المكشوفة، ومنها نعمة الكلام الذي يبين به الإنسان ما في ضميره.

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ[2] ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ سخر الله تعالى لمصالح عباده الشمس والقمر في نعمة منه عليهم، وما جعل فيهما من الحساب المبني على منازل الشمس والقمر.

النجم[3]: هو الشجرة الصغيرة، فأخبر الله تعالى أن الأشجار الصغيرة والكبيرة كلها منقادة لإرادته ومشيئته لا تتخلف عن ذلك من بداية نشأتها إلى أن تستوفي مدتها، فهذا هو معنى سجودها.

---

(١)- **سؤال:** هل «علم القرآن» خبر لقوله: «الرحمن»؟ أم ماذا؟

الجواب: «علم القرآن» هو خبر المبتدأ «الرحمن».

(٢)- **سؤال:** ما معنى الباء هنا؟ وما محل الجار والمجرور من الإعراب في «بحسبان»؟ وما نوع اسمية «حسبان»؟

الجواب: قد تكون الباء للظرفية، ومحل الجار والمجرور الرفع خبر المبتدأ «الشمس والقمر». و«حسبان» مصدر حسب يحسب حساباً وحسباناً.

(٣)- **سؤال:** مم أخذت هذه اللفظة؟

الجواب: أخذت من نجوم الشجر إذا طلعت من الأرض.

﴿وَالسَّمَاءَ[1] رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ۝٧ أَلَّا[2] تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ۝٨﴾ والله تعالى هو الذي بنى هذه السماء التي فوقنا ورفعها، وهو الذي وضع لعباده العدل بما أنزل لهم من الشرائع السماوية، لئلا يقع بينهم التظالم والفساد، والقرآن[3] هو ميزان يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ۝٩﴾ أراد بالوزن والميزان هنا: ذلك الوزن المعروف في البيع والشراء، فأمر الله تعالى بإيفاء الوزن ونهى عن نقصه عند المعاملة.

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ۝١٠ فِيهَا[4] فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ[5] ذَاتُ الْأَكْمَامِ۝١١﴾ وهو تعالى الذي وضع الأرض ومهدها لعباده ليعيشوا فيها ويسعوا على ظهرها، وهو الذي أخرج لهم منها الفواكه والثمار الكثيرة التي يتنعمون بها ويتلذذون

---

(١)- **سؤال:** فضلاً علام عطفت هذه الجملة؟ وهل السماء مفعول لفعل محذوف يفسره المذكور أم كيف؟

الجواب: «والسماء رفعها»: معطوفة على جملة «علم القرآن» فهو في محل رفع، والسماء مفعول به لفعل محذوف كما ذكرتم.

(٢)- **سؤال:** ما محل: «ألا تطغوا..» من الإعراب؟

الجواب: محلها الجر بلام مقدرة أي: لئلا تطغوا، ويمكن أن تكون «أن» مفسرة، و«لا» ناهية لتقدم قوله: «ووضع الميزان» وذلك متضمن للأمر بالعدل.

(٣)- **سؤال:** هل تريدون أن معناه أن الله نهاهم عن التجاوز في القرآن بنقص أحكامه أو الزيادة فيها؟ أم ماذا؟

الجواب: الذي أردناه أن القرآن قد تضمن الأحكام العادلة والشرائع الحقة.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما محل الجملة الاسمية هنا؟

الجواب: محلها النصب على الحال من الأرض.

(٥)- **سؤال:** هل يتناسب عطف المعرفة هنا على النكرة؟ أم لا؟

الجواب: لا مانع -كما يظهر لي- من عطف المعرفة على النكرة أو العكس.

بأكلها، وقد خص النخل لما له من المزية على سائر الفواكه. والكِمّ: هو الغلاف الذي تكون ثمار النخل فيه.

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ۝١٢﴾ وهو الذي أخرج لهم منها أنواع الحبوب التي يقتاتون بها ويعيشون عليها، وذو العصف[١]: هو قوت البهائم، والريحان: هو قوت الناس[٢]، وهذا على أحد التفاسير؛ إذ قد فسرت بتفاسير عدة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ۝١٣﴾[٣] فأخبروني عن نعمة من هذه النعم هل تستطيعون أن تنكروها أو تكذبوا بها؟ وضمير التثنية للإنس والجن، فلن يستطيعوا أن يكذبوا أو ينكروا أي نعمة من هذه النعم التي عددها.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ[٤] مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ۝١٤ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ[٥] مِنْ نَارٍ۝١٥ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ۝١٦﴾ خلق الله آدم عليه السلام من الطين اليابس

---

(١)- **سؤال:** لطفاً مم أخذت هذه الكلمة؟

الجواب: العصف هو: بقل الزرع، وليس مأخوذاً من عصفت الريح أي: اشتدت.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في تسمية الحب المقتات للإنسان بالريحان؟

الجواب: ما ذكرناه هو أحد المعاني التي تطلق عليه كلمة «ريحان»، وقد قالوا: إن الأسماء لا تعلل.

(٣)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم هذه الآية مفصلاً؟

الجواب: الفاء فصيحة «بأي» جار ومجرور متعلق بتكذبان، والاستفهام تقريري وهو مضاف إلى آلاء، وآلاء مضاف إلى «رب» ورب مضاف إلى الضمير، و«تكذبان» مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والألف فاعل.

(٤)- **سؤال:** هل تدل هذه الآية على أن المراد بالإنسان في الآية الثالثة «خلق الإنسان» آدم عليه السلام فقط لا جنس الإنسان؟ أم لا؟

الجواب: الإنسان في قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ هو عموم بني آدم: آدم وذريته؛ لأن الظاهر العموم.

(٥)- **سؤال:** ما المراد بقوله: «كالفخار»؟ وهل معنى «مارج» لهب النار؟ ومم أخذت؟

الجواب: «الفخار» هو الطين المطبوخ كالتنانير والأدوات المصنوعة من الطين. و«ما رج» يعني: مختلط مأخوذ من مرج الشيء إذا اختلط واضطرب، أفاد ذلك في الكشاف.

المتحجر، وخلق تعالى الجن من لهب النار، فتناسل الإنس والجن[1] وتكاثروا، وتلك نعمة على الإنس والجن لا ينكرونها، ونعمة عظيمة لا تخفى.

﴿رَبُّ[2] الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ۝١٧ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ۝١٨﴾ للشمس مشرقان في الشتاء والصيف، وكذلك لها مغربان، ويتسبب ذلك في اختلاف المواسم الزراعية ومواعيد الأمطار وصلاح الثمار، إذاً فذلك نعمة عظيمة ظاهرة لا تخفى ينبغي أن يشكروا الله سبحانه وتعالى عليها ويتوجهوا إلى موليها بالشكر.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ[3]۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ۝٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ۝٢٢ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ۝٢٣﴾ وأيضاً هو الذي خلط البحرين بتدبيره وجعل بينهما حاجزاً خفياً بقدرته حتى لا يمتزج ماؤهما أو يختلط أحدهما بالآخر، فكل واحد منهما قد انفرد بطبيعة مختلفة عن الآخر ولكل بحر منهما حيواناته التي لا تعيش إلا فيه، ولم يكتشف أحد ذلك الفرق الذي بينهما والحاجز الذي يمنعهما من الاختلاط إلا بعد عدة قرون من نزول هذه الآية.

---

(١)- **سؤال:** في ذهني كلام لبعض أئمتنا أن الجن لا يتناكحون ولا يتوالدون؟ أم لكم وجهة نظر في ذلك فكيف؟

الجواب: ظاهر قول الله تعالى في إبليس الرجيم: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ...﴾ [الكهف:٥٠]، أن الجن يتوالدون؛ لأن إبليس من الجن.

(٢)- **سؤال:** هل هذا خبر لمبتدأ محذوف أم ماذا؟

الجواب: نعم هو خبر لمبتدأ محذوف أي: هو رب.

(٣)- **سؤال:** ما محل الجملة هذه؟ وكذا الجملتان بعدها؟

الجواب: الجمل الثلاث كلها أحوال من «البحرين».

فمثلاً البحر الأحمر والمحيط الهندي[١] لكل واحد منهما مميزاته وطبيعته وحيواناته و..إلخ[٢]، وعلى الرغم من اختلافهما فإنه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان[٣]، وكل ذلك من آياته العظيمة الدالة على عظمته وقدرته وربوبيته، والبحر نعمة من نعمه العظيمة على عباده فيحمل السفن العظيمة على ظهره فيحملون عليها التجارات والأثقال الثقيلة، ويستخرجون منه اللؤلؤ والمرجان، ويأكلون منه لحماً طرياً، و...إلخ، لا يستطيعون أن ينكروا ذلك، والآلاء هي النعم.

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ[٤] ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾ يذكرهم الله تعالى بنعمته عليهم بالسفن التي يرونها جارية في البحار أمامهم كأنها الجبال ويحثهم على النظر والتفكر فيها وفي كيفية جريها وسيرها على ظهر الماء، فمن الذي يسيرها لهم ويسخرها لحمل أثقالهم وبضائعهم والسفر بها إلى البلاد البعيدة؟ ومعنى «المنشآت»: السفن المصنوعات.

فلو نظروا فيها وتفكروا لعرفوا أنها من نعمه العظيمة التي لا يستطيعون أن

---

(١)- **سؤال:** هل هما المقصودان في الآية؟ أم أن الذي في الآية مطلق غير معين؟

الجواب: الذي في الآية مطلق غير معين وإنما مثلنا.

(٢)- **سؤال:** وأين يلتقيان؟

الجواب: يلتقي المتوسط والمحيط الأطلسي في مضيق جبل طارق، والبحر الأحمر والمحيط الهندي في باب المندب.

(٣)- **سؤال:** هل ثبت علمياً استخراج اللؤلؤ والمرجان من كليهما جميعاً؟ وكيف بقول جمهور المفسرين إنهما لا يخرجان إلا من البحر المالح هل هو عن استقراء أم عن ماذا؟ وما رأيكم في حمل استخراجهما من البحرين على موضع التقاء البحرين فقط؟

الجواب: ما ذكرتم من استخراج اللؤلؤ والمرجان من موضع التقاء البحرين توجيه وجيه في تفسير الآية غير خارج عن ظاهرها وليس فيه رد لقول المفسرين.

(٤)- **سؤال:** بم تعلق الجار والمجرور «كالأعلام»؟

الجواب: يتعلق بمحذوف لأنه حال من ضمير المنشآت العائد على الجوار.

ينكروها أو يكذبوا بها لجلائها وظهورها.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَى وَجْهُ[1] رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٨﴾ كل ما خلق الله سبحانه وتعالىٰ في السماوات والأرض لا بد أن يفنىٰ ويموت وينتهي، ولن يبقىٰ إلا الله تعالىٰ وحده.

وفي إهلاكهم ثم بعثهم للبعث والحساب نعمة عظيمة عليهم إذ بذلك يحصل التناصف فيما بينهم، وينال المحسنون جزاء أعمالهم وإحسانهم، وينال الظالمون جزاء أعمالهم الإجرامية.

﴿يَسْأَلُهُ[2] مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠﴾ يرزق الله تعالىٰ كل من في السماوات والأرض ويعطيهم من

---

(١)- **سؤال:** هل يصح أن نجعل هذا من المجاز المرسل أم لا؟

الجواب: يصح أن يجعل من مجاز الزيادة وهو من المجاز المرسل ولا يصح أن نجعله من المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية؛ لأن الله تعالىٰ ليس بذي أجزاء حتىٰ نقول: أطلق الجزء وأريد الكل تعالىٰ الله عن مشابهة المخلوقات، ليس كمثله شيء فلا يوصف بكل ولا بجزء.

(٢)- **سؤال:** هل هذه الجملة لا محل لها من الإعراب؟ وما وجه ذلك؟ وما السر في حذف متعلق «يسأله»؟ وعلام انتصب قوله: «كل يوم»؟ وما السر في فصل جملته عن جملة: «يسأله من في السموات..»؟

الجواب: جملة «يسأله..» لا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة؛ لذكر منة أخرىٰ علىٰ سبيل التعديد، وذلك مثل تعديده في أول السورة لنعم الله: علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان. ونظير هذا التعديد في المفردات: بيت، مسجد، جبل، سوق.. إلخ. ونحو ما يعدده المذيع في نشرة الأخبار فإنه لا يعطف خبر علىٰ خبر لما كان المقصود التعديد.

«كل يوم» ظرف زمان متعلق بما تعلق به خبر المبتدأ «هو» و«في شأن» خبره، وجملة «كل يوم هو في شأن» مستأنفة لا محل لها من الإعراب في جواب سؤال مقدر، وحذف متعلق «يسأله» ليعم مطالب السائلين الرزق والصحة والسلامة والأمن والحفظ والانتقام من عدو، والأولاد و..إلخ، والمغفرة والرحمة والهداية و..إلخ.

خزائنه من دون أن تنقص أو تنفد، وكلهم يسألونه إما بلسان المقال كأهل العقول من الإنس والجن والملائكة أو بلسان الحال كبقية الحيوانات.

وله تعالى في كل يوم شأن معهم وأمر من القضاء والخلق والرزق والموت والحياة والأخذ والعطاء والصحة والسقم و...إلخ[1].

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ[2]﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٣٢﴾﴾ يتهدد الله سبحانه وتعالى المكلفين من الإنس والجن بأنه لا بد أن يفرغ لهم يوماً يحاسبهم فيه ويحكم بينهم، وقد عبر بما يعرفونه في تخاطبهم، وإلا فهو ليس بحاجة إلى أن يفرغ له وقتاً، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴿٥٠﴾﴾ [القمر]، ويوم الحساب والجزاء هو من نعم الله العظيمة فيوفي الله تعالى العاملين المحسنين أجورهم، وينتصف فيه للمظلوم من ظالمه، وذلك نعمة عظيمة[3].

﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

---

(١)- **سؤال:** هل تعود هذه إلى أنها أفعال له سبحانه ينشئها فتعود إلى كونها صفة فعل الباري أم كيف؟

الجواب: يعود ذلك إلى كونه صفة فعل ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴿١٦﴾﴾ [البروج].

(٢)- **سؤال:** ما رأيكم فيما يقال: إن هذه الآية أعظم وعيد في القرآن؟

الجواب: ذلك قول صحيح، وذلك من حيث أن هذه العبارة هي مستعارة من قول الرجل لمن يتهدده: سأفرغ لك، أي: سأتجرد للإيقاع بك من كل شغل حتى يكون الانتقام منك هو شغلي الشاغل لا يشغلني شيء آخر سواه، والله تعالى لا يشغله شيء عن شيء، وإنما المراد أن الله تعالى سينتقم منهم غاية الانتقام ويعذبهم غاية العذاب الذي يستحقونه.

(٣)- **سؤال:** هل يصح أن نحمل النعمة هنا على تهديد الله تعالى للثقلين؛ لأن ذلك يقودهم إلى الخوف منه والحذر من الوقوع فيما هددهم به؟

الجواب: ما ذكرناه نعمة، وما ذكرتموه نعمة أخرى، فيكون ذلك كله مراداً ؛ لأن كلا النعمتين من آلاء الرب المنعم تبارك وتعالى.

فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ[١]﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٣٤﴾﴾ ثم تحدى[٢] الله سبحانه وتعالى الإنس والجن أن يهربوا من مملكته وسلطانه، وأنهم إن استطاعوا أن يفعلوا ذلك فليفعلوا وليهربوا من عذابه وسخطه، ولكن هيهات أن يستطيعوا ذلك، فلن يخرجوا إلا بقوة تمكنهم من ذلك الخروج، وأين هي القوة التي تمكنهم؟

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٣٦﴾﴾ يرسل الله تعالى على الجن والإنس -على فرض أنهم حاولوا أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض- لهبَ نارٍ شديداً ونحاساً مذاباً لا يقدرون على دفعه عن أنفسهم.

﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ[٣]﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ[٤] إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا

---

(١)- **سؤال:** ما موضع المصدر «أن تنفذوا» الإعرابي؟ وما محل جملة: «لا تنفذون إلا بسلطان»؟

الجواب: محل المصدر النصب مفعول به. «لا تنفذون» لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب سؤال مقدر، أو في جواب شرط مقدر أي: إذا نفذتم لا تنفذون إلا بسلطان.

(٢)- **سؤال:** ما مناسبة هذا التحدي لكونه نعمة لا تجحد؟

الجواب: قد يكون وجه النعمة في ذلك هو ما ذكرتم من حمل الثقلين على الخوف والحذر والحيطة.

(٣)- **سؤال:** ما السر في تكرير ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٣٨﴾﴾ في هذا المقطع خاصة، وفي جميع السورة عامة؟

الجواب: السر في التكرير هو التقرير للنعمة التي تذكر عند التكرير والتأكيد على التذكير بها، وهذا نحو ما يقال: أعطيتك يوم كذا كذا وكذا، أفتنكر هذا؟ وفعلت لك كذا وكذا أفتنكر ذلك؟ و..إلخ، تقرره على نعمتك عليه وتؤكد التذكير له بها. وهذا هو الوجه في التكرير في أولها وآخرها.

(٤)- **سؤال:** يقال: ظاهر الضمير في «ذنبه» يعود إلى ما بعده فهل يسوغ ذلك؟ وما وجهه؟

الجواب: عود الضمير هنا إلى ما بعده سائغ، والوجه هو عوده إلى ما رتبته التقديم؛ لكونه عاد إلى

=

﴿تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾ ثم يذكِّر الله سبحانه وتعالىٰ عباده من الجن والإنس بيوم القيامة عندما تنشق السماء وتتهاوىٰ أجرامها وكواكبها حتىٰ ينقلب لونها إلىٰ الوردي بعد زرقتها، ومعنىٰ «كالدهان»: كالزيت الذي يغلي، فكيف يكون موقفهم حينها؟

ففي ذلك اليوم سوف يختم الله تعالىٰ علىٰ أفواههم جميعاً فلا يتكلمون بكلمة واحدة بل ينتظرون حكم الله تعالىٰ فيهم، ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه]، وقد خيم عليهم السكون جميعاً فلا تسمع إلا وقع أقدامهم فقط، ولا يتكلم حينها أحد إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً. ومعنىٰ عدم سؤالهم عن ذنوبهم: هو قطع آمالهم بالسلامة وقبول العذر.

﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ

الفاعل المتأخر في اللفظ، والفاعل مقدم في الرتبة، فكأنه لذلك عاد إلىٰ متقدم.

سؤال: إذا قلنا بأن عدم السؤال عن الذنوب هنا هو في موقف من مواقف القيامة ويجري السؤال في موقف آخر فما هو الدليل علىٰ هذا مع أن الله تعالىٰ لم يشر إليه أي إشارة؟ وهل يتناسب ذلك مع حكمته سبحانه وتعالىٰ؟

الجواب: الأمر كذلك فيسألون في موقف ولا يسألون في موقف آخر، ودليل ذلك ما ورد في عدة آيات عن السؤال للمجرمين يوم القيامة من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات]، ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف]، ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا...﴾ [الملك]، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى﴾ [الزمر:٧١]، وآيات غير هذه كثيرة تدل علىٰ وقوع السؤال للمجرمين في يوم القيامة.

وهناك آيات تدل علىٰ أنهم لا يسألون كما ورد هنا في سورة الرحمن، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ...﴾ [يس:٦٥]، فيدل ما ذكرنا أنه يقع في يوم القيامة الأمران، ولا يمكن وقوعهما في موقف واحد فدل ذلك علىٰ أنهم يسألون في موقف ولا يسألون في موقف آخر.

ءَانٍ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٤٥﴾﴾[(١)] وفي ذلك اليوم سيكون للمجرمين هيئة وصورة تميزهم، وستكون وجوههم كقطع الليل المظلم من شدة سوادها والخزي الذي يعلوها، فعندها تأخذهم ملائكة العذاب بنواصيهم[(٢)] وأقدامهم ثم تقذف بهم إلى جهنم، وستقول لهم حينها موبخة: هذه جهنم التي كنتم تنكرونها وتكذبون بها في الدنيا، ثم تطوف بهم بين أرجائها وأطباقها ساحبة لهم على وجوههم، ثم تغمسهم بين ماء الحميم، وسيكونون على هذه الحال[(٣)] دائماً وأبداً.

ومعنى «آن» : متناه في الحرارة والشدة.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ[(٤)]﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما مناسبة هذا العذاب وذكره لكونه نعمة ظاهرة؟

الجواب: الوجه هو ما تقدم من كون ذلك زاجراً للناس عن الوقوع في معصية الله.

(٢)- **سؤال:** هل المراد أنها تجمع بين نواصيهم وأقدامهم عاكفة لهم أو ماذا؟

الجواب: المراد –والله أعلم– أن الزبانية تحمل المرجوم بناصيته وقدميه فترمي به في النار، وليس المراد كما يظهر لي أنها تجمع بين رأسه وقدميه فيكون معكوفاً.

(٣)- **سؤال:** من أين نستفيد هذا؟

الجواب: يستفاد ذلك من قوله: «يطوفون بينها وبين حميم آن» فإن المضارع يدل على ما ذكرنا.

(٤)- **سؤال:** هل يؤخذ من قوله: «لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان» أن الجن يتناكحون ويتزاوجون أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: فيها إشارة إلى ما ذكرتم من أن الجن يتناكحون.

ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٥٩﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عما أعد من النعيم لمن خافه واتقاه، وحاذر مقام الوقوف بين يديه للحساب، فأخبر أنه أعد له جنتين(١) فيهما أنواع البساتين والثمار. والأفنان: هي الأغصان، وقد أراد الله سبحانه وتعالى بها هنا كثرة أشجارها وما تحمله من الثمار، وفيهما عيون الماء تجري من خلال هذه البساتين التي اشتملت على أصناف الفواكه والثمار، ومعنى «زوجان» : صنفان. مع ما أعد لهم من الفرش التي يجلسون عليها بطائنها من الحرير الفاخر الغليظ فناهيك عن ظاهر هذه الفرش كيف سيكون؟

ثم وصف ثمارها بأنها ستكون سهلة المنال قريبة من أيديهم، وحولهم قاصرات الطرف من حور العين جالسات بين أيديهم لا ترفع إحداهن نظرها إلا إلى زوجها لا تتعداه، لم يمسها أحد قبله لا من الإنس ولا من الجن، وهن في غاية الحسن والجمال ونهايته، لم تقع أعينهم على مثل ذلك الجمال قط، وقد شبههن الله سبحانه وتعالى باللؤلؤ والمرجان دلالة على صفاء أجسامهن وتناهي جمالهن وبياضهن.

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿٦١﴾﴾ ثم

---

(١)- **سؤال:** ما السر في جعلهما جنتين هنا وفي آخر الوصف جنات وذلك في قوله: «فيهن قاصرات»؟ وما المراد بتنويع الجنان لهذا الخائف؟ وهل قوله: «ذواتا» تثنية للجمع فلماذا؟ أم أنها مثنى فقط فكيف تركيبها؟ وأين صاحب الحال في قوله: «متكئين على فرش»؟ وما محل جملة «لم يطمثهن» و«كأنهن الياقوت» من الإعراب؟

الجواب: يجوز جمع ضمير المثنى كما في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم:٥]، وكما هنا. و«ذواتا...» تثنية للجمع وساغت تثنيته لأن كل جنة تشمل عدة جنات، وتنويع الجنان للخائف مقام ربه تفضُّل من الله وثواب وترغيب للمؤمنين في المسارعة إلى أسباب الوصول إلى تلك الجنات. «متكئين» حال وصاحبها والعامل فيها محذوف دل عليه السياق والتقدير: يتنعمون متكئين فإن ذكره للجنان وأوصافها وما فيها من النعيم لمن خاف مقام ربه قد تضمن معنى: يتنعمون فيها. وجملة «لم يطمثهن» في محل رفع صفة لقاصرات، و«كأنهن الياقوت..» في محل رفع صفة أخرى لقاصرات.

أخبرهم الله سبحانه وتعالىٰ أن هذا النعيم الذي هم فيه جزاء علىٰ إحسانهم في الدنيا بفعل ما يرضي الله، واجتنابهم لما يسخطه.

﴿وَمِنْ[1] دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ[2] مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِئِينَ[3] عَلَىٰ رَفْرَفٍ[4] خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾ الجنة درجات ومنازل، فأخبر تعالىٰ أنه قد أعد للذين هم دون[5] الذين يخافون مقام ربهم والذين هم أقل فضلاً وعملاً

---

(١)- **سؤال:** ما السر في دخول حرف الجر هنا مع أنه يستقيم الكلام لو انحذف؟

الجواب: لو قال: «دونهما جنتان» لفهم أنهما دونهما في المكان لا في الصفة، ولما كان المقصود دونهما في الصفة جاء بـ«من» فقال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾.

(٢)- **سؤال:** هل هذا بدل من خيرات أم ماذا؟ إن كان بدلاً فما وجه وصفهن بالخيرات؟

الجواب: «حور» بدل من «خيرات». ووصفهن بالخيرات ليدل علىٰ أنهن حسان الوجوه مستحسنات الأخلاق.

(٣)- **سؤال:** أين صاحب الحال هذا؟

الجواب: صاحب الحال مقدر مدلول عليه بقوله: «ومن دونهما جنتان» أي: لمن هو دون من خاف مقام ربه.

(٤)- **سؤال:** فضلاً مم اشتقت كلمة «رفرف»؟ وهل هو جمع ليناسب وصفه «خضر»؟ أم ماذا؟ وهل هو نفس العبقري أم كيف؟

الجواب: «رفرف» اسم جنس وواحده رفرفة، وصح وصفه بالجمع لأن اسم الجنس يطلق علىٰ الجمع وعلىٰ غيره، وقد يكون العبقري هو الرفرف الموشىٰ. هكذا فهمت والله أعلم.

(٥)- **سؤال:** من أين استفدنا هذا؟

الجواب: استفيد ذلك من حيث أنه تعالىٰ جعل الثواب أقل هنا من ثواب من خاف مقام ربه، فكان من خاف مقام ربه هم السابقون وأهل الثواب هذا هم أصحاب اليمين.

منهم- جنتين كذلك، ولكن أدون من نعيم أهل المرتبة السابقة؛ فأخبر عن هاتين الجنتين بأنهما قد اسودتا من شدة خضرة أشجارهما وكثرتها وجمالها، وأن في كل جنة عيناً تضخ الماء ضخاً، وفيهما من أنواع الفواكه والثمار، وقد خص النخل والرمان لما لهما من المزية والفضل على سائر الفواكه، مع ما أعد لهم من الحور العين التي لا تبرح إحداهن من خيمتها ولا تنظر إلى غير زوجها، لم يمسسهن أحد من الإنس ولا من الجن وهن جالسات على الفراش الذي خلقه الله سبحانه وتعالى لهم من الحرير الخالص ومن أفخر أنواعه. والعبقري: أجود أنواع الحرير المنسوج، وقد تقول العرب لما كان حمرته غالبة على غيره من الألوان : عبقري.

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ۝٧٨﴾[1] يعني كثر خيره وإحسانه، وتكاثر فضله وثوابه في الآخرة لأهل طاعته والإحسان إليه في الدنيا، وقد وصف نفسه بالجلال والعظمة والإكرام ليدل بذلك على عظم ذلك النعيم الذي أعده لعباده المتقين وأنه النعيم الذي لا نعيم يساويه أو يدانيه؛ لأنه كلما عظم المنعم وكبر شأنه كان نعيمه أفضل وأحسن.



---

(١)- **سؤال:** فضلاً اذكروا لنا شيئاً من المناسبة بين أوائل هذه السورة وهذه الآية المباركة التي ختمت بها؟

الجواب: معنى «تبارك اسم ربك» كثر خير ربك وفشت نعمه في السموات والأرض وظهرت في الخلق، وهذا المعنى هو معنى الرحمن، وقد فصل تعالى فيما بين أول السورة وآخرها نعمه العظيمة الظاهرة المنتشرة المكشوفة التي ليس فيها خفاء ولا غموض.

وفي هذه الآية «تبارك اسم ربك..» إشارة إلى تمام السورة ونهايتها وذلك من حيث أن من يعدد نعم الله فإنه لا يزال يعد حتى يقول: نعم الله كثيرة لا تحصى، أو ما أكثر نعم الله، أو تبارك الله، أو نحو ذلك مما يشير إلى أنه قد أضرب عن العد.

سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ[1] لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ الواقعة هي القيامة، فإذا حلت ووقعت على المكذبين المنكرين لها فعندها سيحصل لهم العلم الضروري الذي لا يستطيعون أن ينكروا معه أو يشككوا في أمرها كما كانوا عليه في الدنيا من التكذيب بها. ومعنى «كاذبة» : نفس مكذبة بحصولها.

﴿خَافِضَةٌ[2] رَافِعَةٌ ۝٣﴾ ثم وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها تخفض قوماً في جهنم وتخزيهم في عذابها، وترفع قوماً آخرين إلى أعلى عليين في المنازل الرفيعة والدرجات العالية في جنات النعيم.

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ۝٦﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى أن الأرض حين تقع الواقعة سترتج والجبال ستهتز[3] حتى يصيرا فتاتاً وغباراً متطايراً، ثم بعد ذلك ستتساقط ذرات الغبار تلك حتى تتكاثف وتجتمع وتصير أرضاً مستوية وقاعاً واحداً، ثم يحشر الله سبحانه وتعالى الخلائق

---

(١)- **سؤال:** هل هذا جواب الشرط؟ فلم سقطت الفاء منه؟ ولم عُدِّيَ الكذب باللام مع أنه يقال: كذب بكذا؟

الجواب: جواب الشرط محذوف أي: كان كيت وكيت، وحذف للتهويل. «لوقعتها» خبر «ليس» متعلق بمحذوف، وليس بمتعلق بكاذبة.

(٢)- **سؤال:** هل هذا خبر لمبتدأ محذوف أم ماذا؟

الجواب: خبر لمبتدأ محذوف كما ذكرتم أي: هي خافضة.

(٣)- **سؤال:** فضلاً هل البسّ نفس الاهتزاز؟ أو هو مع التفتيت؟ ومم اشتقت لفظته؟ وأين جواب «إذا رجت»؟

الجواب: البس: هو الفت، وليست الحركة داخلة في معناه، وهي مأخوذة من بسست الحنطة بساً من باب قتل، وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله أي: خافضة رافعة، أو ما بعده.

عليها للحساب.

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ[1] ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝١٢﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن بني آدم في ذلك اليوم بأنهم سينقسمون إلى ثلاثة أصناف: فالصنف الأول هم أصحاب الميمنة، والاستفهام عنهم يوحي بأن لهم شأناً عظيماً عند الله تعالى ومنازل رفيعة عنده، والصنف الثاني هم أصحاب المشأمة الذين هم أهل الشؤم والعذاب[2]، والصنف الثالث والأفضل عند الله سبحانه وتعالى هم السباقون إلى طاعة الله تعالى المبادرون إلى فعل الخيرات الذين استجابوا لداعي الله وآمنوا برسله، وكانوا أسبق[3] الناس إيماناً وأسرعهم إلى فعل الطاعات، فهؤلاء قد خصهم الله تعالى بالمنازل الرفيعة، وجعل لهم مزية وفضلاً على من ذكر قبلهم من أصحاب اليمين.

---

(١)- **سؤال:** لو أعربتم هذه الآية فنحن محتاجون لذلك؟

الجواب: الفاء تفريعية، «أصحاب» مبتدأ مضاف إلى الميمنة، «ما» اسم استفهام مبتدأ، «أصحاب» خبر المبتدأ، و«الميمنة» مضاف إلى أصحاب، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والرابط هو إعادة المبتدأ بلفظه. والاستفهام «ما» يراد به التعظيم، ولا يستعمل هذا التركيب إلا في التعظيم أو التحقير، ومن أمثلته: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢﴾ [الحاقة]، ﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢﴾ [القارعة]، ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩﴾.

(٢)- **سؤال:** وعلام يدل الاستفهام في حقهم؟

الجواب: يدل على التحقير.

(٣)- **سؤال:** ورد في بعض الأحاديث أن السباقين ثلاثة: حبيب النجار ومؤمن آل فرعون لعله (حزقيل) وعلي بن أبي طالب، فهل يقتصر على ما في هذا الخبر أم يعمم مع تعليله من فضلكم؟

الجواب: الثلاثة السابقون هم من السابقين ولا يقصر السبق عليهم بل هم وغيرهم بدليل قوله: «ثلة من الأولين» والثلة: هي الجماعة الكبيرة كما في الكشاف.

﴿ثُلَّةٌ[1] مِنَ الْأَوَّلِينَ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ۝١٤﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم جماعة كثيرة من الأولين وقلة من الآخرين، والثلة: معناها الجماعة الكثيرة.

﴿عَلَى سُرُرٍ[2] مَوْضُونَةٍ۝١٥ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ۝١٨ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا[3] وَلَا يُنْزِفُونَ۝١٩ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ[4]۝٢٢ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ۝٢٣ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ۝٢٤﴾ لهم من النعيم الذي أعده الله لهم في الجنة أنهم يقعدون على سرر محبوكة ومزخرفة بأنواع الجواهر والحلي،

---

(١)- **سؤال:** فهل هذا خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هم؟

الجواب: «ثلة» خبر لمبتدأ محذوف، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٢)- **سؤال:** بم تعلق الجار والمجرور هذا؟

الجواب: متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أي: هم على سرر موضونة، والجملة مستأنفة في جواب سؤال مقدر.

(٣)- **سؤال:** ما الفرق بين الأكواب والأباريق؟ وهل يفهم الخمر من قوله: «كأس» أم لا يفهم إلا من قوله: «من معين»؟ وما الوجه في بناء «لا يصدعون» للمجهول؟ وهل «عن» على بابها أم أنها بمعنى الباء؟

الجواب: الكوب هو الذي لا عروة له ولا خرطوم، والإبريق هو الذي له عروة وخرطوم. ولا يقال كأس إلا لما فيه خمر، فيفهم الخمر من لفظ «كأس». وبني «يصدعون» للمجهول لأن المقصود لا يحصل لهم صداع من شرب الخمر، ولأن الفاعل السببي معلوم وهو الخمر، و«عن» للمجاوزة فهي على بابها أي: أن الصداع صادر عن الخمر أي: متجاوز منها إليهم. ولا داعي لجعل «عن» بمعنى الباء مع استقامة المعنى الظاهر لها وهو المجاوزة.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما الوجه في رفع «حور عين»؟

الجواب: «حور عين» بالرفع معطوف على «ولدان» في قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ۝١٧﴾ أي: ويطوف عليهم حور عين للتنعم لا للخدمة، ويصح أن تكون «حور..» مبتدأ، والخبر محذوف أي: ولهم حور، أو خبر لمبتدأ محذوف أي: ونساؤهم حور.

متقابلين يتبادلون الأحاديث، يطوف عليهم ولدان لا يصيبهم الهرم أبداً بما يشتهون من النعيم فيوزعون عليهم أنواع المشروبات في أكواب من زجاج ومن فضة، وفي أباريق، وفي كأس من خمر لذيذ لا يُصَدِّعُ الرأسَ ولا يغير العقل، ويدورون عليهم بأنواع الفواكه التي طلبوها وتمنوها، ويقبلون إليهم بما يحبون من لحم الطير، ولهم حور عين كأمثال اللؤلؤ الذي لم يتعرض للشمس ولا للهواء، وكل ذلك استحقوه بأعمالهم الصالحة في الحياة الدنيا.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا۝٢٦﴾[1] فلا شيء يسمعونه فيها من لغو الكلام وباطله وفاحشه، ولا يسمعون فيها إلا التكريم والتسليم من الملائكة ومن أولياء الله تعالى وإخوانهم من المؤمنين.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ۝٢٧ فِي سِدْرٍ[2] مَخْضُودٍ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ۝٢٩ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ۝٣٠ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ۝٣١ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ۝٣٢ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ۝٣٣ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ۝٣٤ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً[3]۝٣٥ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا۝٣٧ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ۝٣٨ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ۝٤٠﴾ ثم بعد أن ذكر الله تعالى السابقين وما يلقونه من النعيم والكرامة عند الله، أعقبهم بمن هم

---

(١)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم الآية «إلا قيلاً سلاماً سلاماً»؟

الجواب: «إلا» أداة استثناء، «قيلاً» مستثنى، والاستثناء منقطع؛ لذلك وجب النصب، «سلاماً» بدل من «قيلاً»، «سلاماً» كذلك، وقيل: «سلاماً سلاماً» منصوبان بـ«قيلاً» لأنه مصدر عامل.

(٢)- **سؤال:** بم تعلق هذا الجار والمجرور؟

الجواب: تعلق بمحذوف خبر ثان لأصحاب، أو خبر لمبتدأ محذوف أي: هم في سدر.

(٣)- **سؤال:** يقال: كيف انتقل من ذكر الفرش إلى وصف الحور العين بقوله: «إنا أنشأناهن إنشاءً» دون أن يذكرهن؟

الجواب: قد دل عليهن بذكر الفرش المرفوعة (الأسِرَّة) التي لا يتم جمالها والرغبة فيها في أعين الرجال إلا إذا كانت الحسان عليها.

دونهم في الفضل من أصحاب اليمين وما يلقونه مما أعد لهم من النعيم؛ فأخبر بأنهم في بساتين من السدر الذي لا شوك فيه والموز المثمرة أشجاره من أسفلها إلى أعلاها.

وقد أشار بقوله ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ...﴾إلخ: إلى كبر تلك البساتين وكثرة أشجارها وكثافتها واستمرار ثمارها التي لا تنقطع ولا تزول أبداً، وعظم الأنهار التي تجري خلال هذه البساتين، وليست منقطعة ولا ممنوعة كما في بساتين الدنيا، وكذلك ما أعد الله سبحانه وتعالى لهم من أنواع الفرش التي تنتظرهم فوقها أزواجهم من الحور العين اللواتي خلقهن الله وابتدعهن لأهل الجنة أبكاراً متدللات لأزواجهن في سن واحدة.

والعُرب: هن اللواتي يتوددن إلى أزواجهن ويتلطفن لهم. والأتراب: هن المستويات في السن، فهذا هو نعيم أصحاب اليمين.

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ[1] ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[2] ثم ذكر تعالى أصحاب الشمال، وما أعد لهم من العذاب الذي ينتظرهم، فأخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم يوم القيامة بين لهيب جهنم وسعيرها يتقلبون، ولا يشربون إلا من قيح جهنم وصديد أهلها الذي يغلي في بطونهم ويقطع أمعاءهم. ومعنى «سموم» : الريح الحارة التي تدخل في مسام

---

(١)- **سؤال:** يقال: ما الوجه في وصف الظل بقوله: «لا بارد ولا كريم»؟

الجواب: وصف بذلك للاحتراس عن توهم أن يكون للظل المذكور برودة وراحة كما هو الحال في الظل في الدنيا.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما هو إعراب ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾؟ مع ذكر السر في فتح الواو في «أو»؟

الجواب: الهمزة للاستفهام والواو حرف عطف. «آباؤنا» معطوف بالواو على مرفوع «المبعوثون» أي: على فاعله، فهمزة الاستفهام دخلت على الواو العاطفة.

الإنسان، و«اليحموم» : هو الدخان الأسود.

ثم ذكر الله سبحانه وتعالىٰ أن السبب الذي أوجب لهم العذاب هو الترف والإصرار علىٰ الشرك والكفر والتكذيب باليوم الآخر، واستبعادهم أن يقدر الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ خلقهم وبعثهم مرة أخرىٰ بعد موتهم، وأن يجمعهم مع آبائهم وأجدادهم يوم القيامة.

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ[1] يَوْمٍ مَعْلُومٍ۝٥٠﴾ قل لهم يا محمد: لا بد أن يبعث الله تعالىٰ جميع الأولين والآخرين ويجمعهم للحساب والجزاء في يوم القيامة.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ۝٥١ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ[2]۝٥٢ فَمَالِئُونَ مِنْهَا[3] الْبُطُونَ۝٥٣ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ۝٥٤ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ۝٥٥ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ۝٥٦﴾ وأن يخبرهم بأن الملائكة الموكلة بتعذيبهم منتظرة لبعثهم وحسابهم لتسوق بهم إلىٰ النار التي لا يكون طعامهم فيها إلا الزقوم الذي يملأون منه بطونهم علىٰ مرارته وحرارته ثم يشربون عليه من الحميم الذي

---

(١)- **سؤال:** هل هو اسم زمان أو ماذا؟

الجواب: هو اسم زمان.

(٢)- **سؤال:** هل عرف للزقوم تحديد أو تعريف؟

الجواب: قد شرحها الله تعالىٰ في القرآن بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ۝٦٥﴾ [الصافات]، وقد قيل: إن الزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم من أخبث الشجر قيل إنها تكون بأفريقيا وقيل باليمن وقيل... إلخ، وكثرة القيل فيها يدل علىٰ أنها شجرة غير معروفة علىٰ وجه الأرض.

(٣)- **سؤال:** لطفاً ما السر في تأنيث الضمير في قوله: «منها» مع تذكيره في قوله: «عليه» ومرجعهما واحد؟

الجواب: أنث أولاً نظراً لمعنىٰ الزقوم؛ إذ هوشجرة، وذكر ثانياً نظراً للفظ الزقوم إذ هو مذكر، ومثل ذلك جائز، وفي القرآن منه كثير.

يشوي وجوههم، ويغلي في بطونهم من شدة حرارته، يشربونه كشرب الإبل العاطشة، هذا هو ضيافتهم في تلك الدار الآخرة.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ[١] ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ ولا خفاء أيها المشركون في أن الله تعالى هو الذي خلقكم لقيام الحجة ووضوحها فأخبروني عن المني الذي تلقونه في أرحام نسائكم من الذي يخلقه ويكونه؟ هل أنتم الذين تخلقونه، أم هو الله تعالى الذي يخلقه؟

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ وهو تعالى وحده الذي يستوفي آجالهم وأعمارهم، ولن يستطيعوا أن يفروا من الموت ومن قدرته عليهم.

﴿عَلَى[٢] أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾[٣] وهو قادر على أن يميتكم أيها المشركون ويأتي بغيركم يخلفونكم ويحلون مكانكم، وهو قادر على إنشائكم خلقاً آخر، وبعثكم من جديد يوم القيامة.

---

(١)- **سؤال:** ما معنى «لولا» في قوله: «فلولا تصدقون»؟ والفاء الداخلة على «لولا»؟

الجواب: للتحضيض أي: لطلب التصديق والفاء عاطفة لربط المسبب بالسبب.

(٢)- **سؤال:** بماذا تعلق الجار والمجرور هنا؟ وكيف يكون المعنى بحسبه؟ وما محل المصدر «أن نبدل»؟

الجواب: «على» متعلقة بـ«مسبوقين»، وجاءت «على» لأن من شأن المسابقة أن تكون على شيء لذلك كانت التعدية هنا بـ«على». ويجوز أن يتعلق الجار والمجرور بـ«قدرنا» ويكون المعنى: نحن قدرنا بينكم الموت على وجه التبديل لا على وجه قطع النسل، كما يقول القائل: خرج فلان على أن يرجع أي: على هذا الوجه، وعلى هذا فجملة: «وما نحن بمسبوقين» اعتراضية. «أن نبدل» في محل جر بـ«على».

(٣)- **سؤال:** فضلاً هل المراد بـ«ما لا تعلمون» يوم القيامة كما هو ظاهر تفسيركم أم له مقصود آخر؟

الجواب: قد فسروا ذلك بيوم القيامة أي: ننشئكم في وقت لا يعلمه أحد إلا الله، وقد فسر بغير ذلك فقيل: ننشئكم في صورة قردة أو صورة خنازير.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فما بالكم تنكرون البعث بعد الموت، وتنكرون قدرة الله سبحانه وتعالى على إحيائكم بعد موتكم، فلو أنكم تفكرتم في بداية خلقكم كيف قدر سبحانه وتعالى على ذلك؟ لعلمتم أنه قادر على إنشائكم وإحيائكم مرة أخرى.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ[(١)] ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾[(٢)] ثم سألهم الله سبحانه وتعالى عما يبذرونه في الأرض من الذي يخرجه وينبته من الأرض؟ ومن الذي يخرج لهم ثمره؟ واستنكر عليهم لماذا لا يتفكرون وينظرون في هذه الآية العظيمة الدالة على أنه لا بد من قادر متمكن من ذلك؟ فلن يجدوا إلا الله سبحانه وتعالى وحده فهو القادر على كل ذلك.

ثم أخبرهم أنه لو شاء أن يحرق هذا الزرع ويصيبه بآفة تفسده لفعل من غير أن يقدروا على دفع ذلك عن زروعهم ثم يتحسرون[(٣)] ويبكي بعضهم إلى بعض.

أولا يعلمون أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يذهب برزقهم أو يحبسه عنهم فلا يستطيعون أن يكسبوا لأنفسهم بعد ذلك خيراً أو يجلبوا لأنفسهم رزقاً، فلماذا

---

(١)- **سؤال:** يقال: كيف أطلق الحرث على البذر وظاهره أنه إثارة الأرض وتسويتها أو نحو ذلك؟

الجواب: التقدير: أرأيتم زرع ما تحرثون، فَحُذِف لوجود القرينة الدالة عليه وهي قوله: «أأنتم تزرعونه» فعلم أنه أراد الزرع.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: «إنا لمغرمون..» إلخ، مقول لقول محذوف لهم؟ إن كان فما محله؟

الجواب: قوله: «إنا لمغرمون» مقول لقول محذوف أي: قائلين إنا لمغرمون... فتحسرهم وتندمهم و.. إلخ هو تفكه أي تنقل في الحديث، وقد ذكر الله تنقلهم في الحديث بقوله: «إنا لمغرمون بل نحن محرومون».

(٣)- **سؤال:** لم نستوعب كون التحسر من معاني التفكه هنا، فكيف؟

الجواب: التفكه هو التنقل بصنوف الفاكهة استعير للتنقل بالحديث.

لا يشكرون الله تعالى ويعترفون بنعمه عليهم؟ ولماذا لا يعترفون بأنه لا حول لهم ولا قوة إلا به؟ ومعنى «المغرمون» : لزمهم ذهاب المال.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۞ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ۞﴾ أخبرونا عن الماء الذي تشربونه أأنتم أيها المشركون أنزلتموه من السحب أم أن الله هو الذي أنزله؟ وكيف إذا حبسه عنهم هل يستطيعون أن يجلبوه لأنفسهم؟ فلماذا لا يشكرون الله سبحانه وتعالى على نعمه العظيمة عليهم ويتواضعون لعظمته ويعترفون بمننه عليهم؟

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۞﴾ أولا يعلمون أن الله سبحانه وتعالى لو شاء أن يجعله ملحاً أجاجاً[1] كماء البحر لما وجدوا ما يشربونه أو يروون به عطشهم وظمأ نفوسهم، فلماذا لا يشكرون الله تعالى على نعمته العظيمة عليهم؟

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۞ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ۞ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ۞﴾ أخبرونا أيها المشركون عن النار التي توقدونها أأنتم خلقتم شجرتها، أم الله هو الذي خلقها؟

ثم أخبرهم الله سبحانه وتعالى أنه خلق لهم النار لحكمة عظيمة وغرض عظيم ومنافع كثيرة جعلها لهم في الدنيا، وليتعظوا بها ويعتبروا إذا رأوها فإن فيها تذكرة بنار الآخرة التي أعدها الله تعالى للمجرمين، وجعلها تعالى نعمة للمسافرين[2] يستدفئون بها في أسفارهم، ويصلحون بها طعامهم، وتجعل منارة في طرق

---

(١)- **سؤال:** ما نوع اسميتها؟ ومم أخذت؟

الجواب: «أجاج» صفة مشبهة وفيها شيء من المبالغة، وهي مثل طوال وزعاق، وأجاج مأخوذة من: أج يؤج، بمعنى: ملح يملح.

(٢)- **سؤال:** ما العلاقة بين السفر والإقواء حتى أصبحت بمعناها؟

الجواب: المقوون: هم الذين نزلوا القواء أي: القفر الخالي من الناس، أي: المسافرون الداخلون من القواء أي: الخلاء، ويقال: أقوت الدار أي: خلت من سكانها.

المسافرين تعرف بها الطرق، ويهتدي بها الضُّلَّال عن الطريق، وتنفر عنها السباع، فيوقدها المسافرون إذا ناموا لتطرد عنهم السباع.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ۝٧٤﴾[١] بعد أن عدد الله سبحانه وتعالىٰ لعباده تلك النعم العظيمة أمرهم أن ينزهوه تعالىٰ عن الشريك وأن يخصوه بعبادتهم ويتوجهوا إليه وحده لا يشركون به شيئا؛ لأنه الذي يستحق ذلك لما أعطاهم من نعمه وأوسع عليهم من رزقه.

﴿فَلَا[٢] أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ۝٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ[٣] عَظِيمٌ۝٧٦﴾ أقسم الله تعالىٰ بالنجوم في أماكنها من السماء وقال: إنه قسم عظيم لو كنتم تعلمون عظمة خلق النجوم ولا خفاء في أن علم البشر بما خلق الله في السماء من النجوم مقصور[٤] علىٰ ما يرون من وميضها في السماء وسيرها فيها، وقد أعلن علماء النجوم في هذا العصر بأن علم ما وراء الشمس وكواكبها مجهول لبعد المسافة حيث أن أقرب نجم إلىٰ الشمس يبعد عنها مسافة ثلاثمائة سنة ضوئية.

﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ۝٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ۝٧٩﴾[٥]

---

(١)- **سؤال:** هل هنا سر في وصف الله تعالىٰ بالعظيم هنا؟

الجواب: يمكن أن يقال: إنه تعالىٰ بعدما عدد نعمه العظيمة وقدرته البالغة مع إصرار المشركين علىٰ التكذيب والكفر بالله والإعراض عن آياته وعلىٰ الكفر بنعمته حسن أن يقول بعد ذلك: «فسبح باسم ربك العظيم» لتقدم ذكر آيات عظمته وآيات نعمه العظيمة.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما الوجه في زيادة «لا» هنا؟

الجواب: الوجه هو تأكيد القسم.

(٣)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة؟

الجواب: لا محل لها اعتراضية بين المبتدأ وخبره.

(٤)- **سؤال:** يقال: أليسوا قد عرفوا في هذا العصر أحجام النجوم وأمكنتها والأبعاد فيما بينها؟

الجواب: يقال: تلك معرفة خيالية ليس إلا.

(٥)- **سؤال:** ما محل جملة: «لا يمسه إلا المطهرون»؟ وعلام رفع «المطهرون»؟ وما إعراب «تنزيل»؟

الجواب: جملة «لا يمسه إلا المطهرون» في محل رفع صفة. «تنزيل» صفة أيضاً، والصفة الأولىٰ «كريم». «المطهرون» فاعل يمسه.

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٨٠﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى لهم بالنجوم على أن ما يتلوه عليهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من القرآن هو كلامه الذي أنزله على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وجعل لهم فيه المنافع والخير الكثير في دنياهم وآخرتهم.

ثم أخبر عنه بأنه قبل(١) أن ينزله إليهم كان مكنوناً ومحفوظاً في السماء لا يمسه أحد إلا ملائكته المطهرون(٢).

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴿٨١﴾﴾(٣) يستنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين تكذيبهم(٤) بهذا القرآن الذي أنزله من كتابه المكنون حيث أن الحق فيه

---

(١)- **سؤال:** من أين استفدنا هذه القبلية؟ وهل يصح أن يحمل على أن نسخته الأصلية في لوح محفوظ عند الله سبحانه وتعالى كما سبق لكم وكما سيأتي؟

الجواب: كان القرآن الكريم في لوح محفوظ عند الله تعالى ثم أنزله الله تعالى على نبيه منجماً، والمعنى واحد سواء قلنا: في كتاب مكنون أو في لوح محفوظ أو في أمِّ الكتاب، وقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴿٧٩﴾﴾ أي: لا تمسه الشياطين ولا تقربه: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء]، ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴿٢١٠﴾﴾ [الشعراء].

(٢)- **سؤال:** من أين أخذ أصحابنا الدليل من هذه الآية على تحريم مس الجنب ونحوه للمصحف؟

الجواب: أخذوا ذلك من قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴿٧٩﴾﴾ فجعلوا «لا» ناهية، إلا أن هذا الإعراب متكلَّف وغير متسق ولا متناسب مع ما قبله وما بعده.

(٣)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم هذه الآية؟

الجواب: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة للمسبب على السبب، والتقدير: أتتلى عليكم آيات القرآن التي هي حق واضح مبين فتخصونها بالتكذيب. «بهذا» جار ومجرور متعلق بمدهنون. «الحديث» نعت لهذا أو بدل. «أنتم» مبتدأ. «مدهنون» خبر المبتدأ.

(٤)- **سؤال:** فضلاً هل من معاني الإدهان التكذيب في أصل اللغة أم كيف؟

الجواب: في الكشاف: مدهنون أي: متهاونون به، وفي تفسير الرازي ما لفظه: أن المدهن المراد به المكذب قال الزجاج: معناه أفبالقرآن أنتم تكذبون. اهـ هذا وجه من وجهين ذكرهما الرازي

=

واضح وحجته فيه قائمة وليس فيه ما يستدعي الشك والتكذيب.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ[١] أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴿٨٢﴾﴾ ويستنكر عليهم عدم اعترافهم بنعمة الله عليهم، وجحدهم لما ينزل عليهم من الأرزاق ونسبتهم لها إلى النجوم والأفلاك، فلا يقرون لله تعالى بنعمه أو يعترفون له بفضل استكباراً وعناداً وجحوداً.

﴿فَلَوْلَا[٢] إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ[٣] مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴿٨٥﴾﴾ فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يذكرهم بوقت نزول الموت عليهم، عندما يكون أحدهم مسجى على فراش الموت يعالج خروج روحه وقد بلغت الحلقوم، والناس حوله ينتظرون ويترقبون خروجها وانتزاعها لا يستطيعون إمساك روحه، ولا يملكون قوة ردها عن الخروج، وقد أصبح ملائكة الموت في تلك اللحظة يعالجون خروج روحه من دون

في تفسير المدهن ثم قال: والوجه الثاني: المدهن هو الذي يلين في الكلام ويوافق باللسان وهو مصر على الخلاف.. إلى أن قال: والأول عليه أكثر المفسرين.اهـ

(١)- **سؤال:** هل هذا على حذف مضاف تقديره: شكر رزقكم؟ وما يكون محل: «أنكم تكذبون»؟

الجواب: المعنى يقتضي تقدير ما ذكرتم. «أنكم تكذبون» في تأويل مصدر منصوب، وهو المفعول به الثاني لـ«تجعلون».

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما معنى الفاء هنا؟ وما معنى «لولا»؟ وهل ما دخلت عليه محذوف أم كيف؟ وما وجه إضمار الروح مع عدم تقدم ذكره؟

الجواب: الفاء فصيحة أي: إن أصررتم على التكذيب بالله وبقدرته فأرجعوا الروح ولا تدعوها تخرج من الجسد. «لولا» للتحضيض والمراد هنا التوبيخ، والفعل المحضض عليه محذوف أي: فلولا ترجعون الروح إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم، ووجه إضمار الروح مع عدم تقدم ذكره وجود القرائن الدالة عليها.

(٣)- **سؤال:** ما وجه التجوز هنا أو ما نوعه؟

الجواب: المجاز هو مرسل عبر بالقرب عن العلم والقدرة؛ لأنهما مسببان عن القرب.

أن يشعر بهم من حوله؛ فأي حيلة لهم في تلك اللحظة؟ وكيف سيكون حالة المحتضر في ذلك الوقت؟

﴿فَلَوْلَا[١] إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝٨٧﴾ فلو كان الأمر على ما تقولون أيها المنكرون للبعث والحساب والجزاء فلماذا لا تردون هذه الروح وتمنعونها عن الخروج؟ وقد كانوا ينكرون أن يكون الله تعالى هو الذي ينتزع أرواحهم، وينكرون أنه تعالى سوف يبعثهم ويجازيهم، ومعنى «غير مدينين»: غير مجازين ولا محاسبين.

بعد ذلك يستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم لماذا لا يتفكرون في أمر أرواحهم وانتزاعها؟ وفي عدم قدرتهم على التحكم فيها ساعة خروجها؟ ولو أنهم تفكروا ونظروا لعرفوا أنه لا بد أن يكون هناك قدرة خفيه محيطة بهم، وإرادة تتصرف فيهم لا يملكون معها أي حول أو قوة.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ[٢]۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ۝٨٩﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن ذلك الذي أوشكت روحه على الخروج بأنه إن كان من المقربين

---

(١)- **سؤال:** هل هذه تكرير لـ«لولا» السابقة أم كيف؟ وكيف يكون تحليل الآيتين حسب إعرابها؟

الجواب: «فلولا» مكررة للتأكيد، أي: فلولا ترجعون الروح إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم، ثم كرر للتأكيد: فلولا ترجعونها إن كنتم صادقين في اعتقادكم الباطل، وكنتم غير مجزيين ومحاسبين.

(٢)- **سؤال:** تفضلوا بإعراب هذه الآية بالتفصيل؟ وهل قوله: «فروح» جواب لـ«أما»؟ أم لـ«إن» الشرطية؟

الجواب: الفاء للتفريع، «أما» حرف شرط وتفصيل وتوكيد، وجملة الشرط محذوفة والتقدير: مهما يكن من شيء فإن كان....

«إن كان من المقربين» جملة شرطية. «فروح» الفاء رابطة، روح: خبر مبتدأ محذوف أي: فله روح، وهذه الجملة هي جواب الشرط الأول «فأما». وجواب الشرط الثاني محذوف يدل عليه جواب الشرط الأول. «وريحان وجنة نعيم» معطوف على «روح».

عند الله تعالىٰ ومن أهل الزلفىٰ لديه فإن الملائكة ستبشره[1] بالراحة والأمن والسلامة من عذاب الله تعالىٰ وسخطه، وستريه منزله الذي أعده الله سبحانه وتعالىٰ له في جنات النعيم.

وأراد تعالىٰ بالمقربين أهل المنازل العالية والدرجات الرفيعة من الأنبياء والصديقين والأئمة والشهداء ومن أشبههم، وهم السابقون المذكورون في أول السورة.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ۝٩٠ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ۝٩١﴾ وإن كان دون أولئك المقربين رتبة في الإيمان، يعني في المرتبة الثانية فستتلقاه الملائكة بالبشرىٰ أيضاً من[2] الله سبحانه وتعالىٰ بالأمن والسلامة من عذابه وسخطه والنعيم الدائم في جنات النعيم، وسيقابل بالتسليم من أصحاب اليمين الذين تقدموه.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ۝٩٤﴾ وأما إن كان هذا الميت من المكذبين بالله ورسوله وآياته والصادين عن سبيله، فستتلقاه الملائكة بأهوال ما أعد الله سبحانه وتعالىٰ له من العذاب، ويرونه منزله الذي يصير إليه في جهنم نعوذ بالله منها. ومعنىٰ «فنزل» : فله ضيافة.

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما الوجه في جعله في التبشير دون حصول النعيم رغم وجود الفاء التعقيبية وكذا لام الاختصاص المقدرة هي ومجرورها خبراً لروح؟

الجواب: أردنا في التفسير أن الملائكة تبشر المؤمن بما سيصير إليه مما حكم الله له به من ذلك؛ لأن الجنة لا يدخلها إلا يوم القيامة.

(٢)- **سؤال:** لطفاً من أين نستفيد أن التسليم من الله مع قوله: «من أصحاب اليمين»؟

الجواب: استفدنا ذلك من موضع آخر: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ۝٣٠﴾ [فصلت]، وبتسليم أصحاب اليمين عليهم من هذه الآية: ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ۝٩١﴾.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ۝﴾[١] ثم أقسم[٢] الله سبحانه وتعالىٰ لهم أن ما أخبرهم به من أمر البعث والحساب والثواب والعقاب حق وصدق، ولا بد أن يقعوا فيه.

﴿فَسَبِّحْ[٣] بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ۝﴾[٤] فداوم يا محمد علىٰ تنزيه الله تعالىٰ وتوحيده، ولا يصدنك عن ذلك إصرار قومك علىٰ الشرك بالله والكفر به وبآياته ورسله وباليوم الآخر.



---

(١)- **سؤال:** فضلاً من أي أنواع الإضافة إضافة «حق» إلىٰ « اليقين » ؟ وماذا تفيدنا؟

الجواب: من إضافة الموصوف إلىٰ صفته، وتفيد التأكيد.

(٢)- **سؤال:** فضلاً من أين يظهر لنا هذا القسم؟

الجواب: ينزل هذا الكلام منزلة القسم لكثرة مؤكداته:

١ - إنَّ.

٢ - اسمية الجملة.

٣ - لام التوكيد (المزحلقة).

٤ - ضمير الفصل، فهذه أربعة مؤكدات.

(٣)- **سؤال:** ماذا تعني الفاء هنا؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة أي: إن كان أمر الله في الثواب والعقاب كما ذكر فسبح.

(٤)- **سؤال:** ما هي المناسبة في جعل هذه الآية خاتمةً للسورة الكريمة؟

الجواب: تسبيح الله تعالىٰ وتنزيهه هو الغاية من إنزال القرآن فمن هنا كان ذلك إشارة إلىٰ تمام السورة ونهايتها.

سورة الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①﴾ ابتدأ الله سبحانه وتعالى هذه السورة بالحث على تسبيحه وتقديسه إذ كل ما في السماوات والأرض ناطق بتنزيهه وتقديسه وشاهد بوحدانيته بلا شريك أو مثيل أو مكافئ، فكل مخلوق في السماوات والأرض آية ناطقة دالة على أن مدبراً دبره، وخالقاً خلقه وابتدعه، لا كفؤ له ولا مثيل في القدرة والعظمة والحكمة، وهذا هو المراد بتسبيح هذه المخلوقات.

ولو نظر العاقل وتفكر في كل ما يراه أمامه في هذا الكون لعلم أنه بأسره لحكمة بالغة وغرض واحد، مما يدل على أنه لا يصح أن يكون هناك إلا إله واحد، وأنه لو كان هناك خالق مع الله تعالى لانفرد كل إله بخلقه، ولحصل بينهما التنازع والتخاصم والتشاجر؛ إذاً فترابط هذه الأشياء التي نراها ونرى إحكامها واشتراكها في مصلحة واحدة دلالة قاطعة على إله ومدبر واحد في غاية الحكمة والقدرة والعلم وهو الله رب العالمين.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن صفات الإله الذي تشهد له كل المخلوقات بالربوبية، بأنه يختص بملك السماوات والأرض لا يشاركه في ملكها أحد.

﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ②﴾ وبيده وحده حياة الكائنات وموتها؛ لأنه المالك لأمرهم والمتصرف فيهم لا يعجزه شيء وكل شيء تحت قدرته وفي قبضته.

---

(١)- **سؤال:** هل هذه الجملة استئنافية أم صفة؟

الجواب: هذه الجملة وما بعدها من الجمل مستأنفات لبيان أنه المستحق للتسبيح دون ما يعبد من دونه وأنه أهل الطاعة والعبادة فسرد عدداً من الجمل على سبيل التعداد تتضمن تلك الجمل المعدودة ما له من الكمال والجلال والقوة والعلم والسلطان و.. إلخ.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ[١] وَالْآخِرُ﴾ وهو الأول الذي لا شيء قبله[٢]، والآخر الذي لا يبقى شيء معه، وسيفنى كل شيء ويزول ولن يبقى إلا هو وحده.

﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ هو الظاهر لأهل العقول بما بثه من الآيات التي من نظر فيها عرف وتيقن أنه لا بد من إله خالق ومدبر حكيم، وبآثار قدرته التي نراها تدل عليه وتشهد بوجوده وتنادي بظهوره؛ ومهما وهناك أثر فلا بد له من مؤثر أثر فيه ومدبر دبره.

وهو الباطن عن رؤية الأبصار له، فلا تستطيع أن تدركه أو تراه؛ لأنه ليس مما يرى أو يدرك، ولن يعرف إلا بآياته، وآثار قدرته ومظاهر رحمته وآيات علمه وحكمته.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴿٣﴾﴾ وعلمه محيط بكل شيء فلا تخفى عليه خافية، أو يغيب عن علمه شيء، لا في السماء ولا في الأرض.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وهو وحده المتفرد بخلق السماوات والأرض، وقد أراد بخلقه لهما في ستة أيام- أنه خلقهما على مراحل عدة على حسب مقتضى[٣] الحكمة، وإلا فهو قادر على خلقهما وإيجادهما في لحظة واحدة.

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في فصل هذه الجملة الاسمية عن سابقتها؟

الجواب: هو ما ذكرناه أولاً.

(٢)- **سؤال:** كيف نرد على من قال : اللازم الاقتصار على هذا الوصف في حق الله ، ولا نستبدله بما يؤدي معناه مثل: «قديم، لا أول لوجوده»، ونحو ذلك؟

الجواب: يقال له: لا نريد بقولنا: «قديم، لا أول لوجوده» إلا الشرح والترجمة لمعنى «الأول»، فإذا صح وجاز إطلاق الأول عليه تعالى فيصح إطلاق ما هو بمعناه وما هو بمنزلة التفسير له والترجمة عنه.

(٣)- **سؤال:** هل يظهر لنا شيء من الحكمة التي روعيت في مدة الستة الأيام فأوردوا لنا شيئاً من ذلك جزيتم خيراً؟

الجواب: قد ظهر شيء من الحكمة في قوله تعالى في سورة (ق): ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ...﴾ الآية، فأمر الله تعالى =

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ يعني سيطر على خلقه وملكه ذلك بقدرته؛ إذ لم يخلق ذلك ثم يتركه هملاً، وقد استولى عليه بعلمه وقدرته، ولذا قال بعد ذلك[1]: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ فهو عالم بكل ما اختفى وتوارى في باطن الأرض، وكذلك عالم بما يخرج من باطنها من الأشجار والأثمار، وكذلك عالم بكل ما ينزل من السماء من قطر الأمطار قطرة قطرة، وأين تنزل؟ وكذلك عالم بكل ما يصعد إلى السماء ويعرج فيها من الأعمال والملائكة، وما يدور في أرجائها، وكذلك أنتم أيها الخلق فهو عالم بكل واحد منكم أينما كان في ظاهر الأرض أم في باطنها، وهو مطلع على أعمالكم، وما في ضمائركم لا تخفى عليه منكم خافية وسيجازيكم على كل صغيرة وكبيرة من أعمالكم.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝٥﴾ ومرجع الخلائق جميعاً سيكون إليه يوم القيامة، ولا بد أن يبعثكم أيها الناس ويحاسبكم ويجازيكم.

﴿يُولِجُ[2] اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٦﴾[3] وهو الذي يدخل بقدرته الليل في النهار، يدخل ساعات منه في

نبيه ﷺ بالصبر وعدم الاستعجال ورتب ذلك الأمر على سنته في عدم الاستعجال في خلقه للسموات والأرض وما بينهما.

(١)- **سؤال:** لعلكم تريدون أن جملة «يعلم ما يلج.. إلخ» استئنافية مسوقة لبيان كيفية استيلائه على العرش؟ أم ماذا؟

الجواب: نعم، جملة «يعلم..» مسوقة لبيان استيلائه وسيطرته على الملك.

(٢)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة المضارعية؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب، وهي من الجمل المعدودة التي ذكرنا سابقاً.

(٣)- **سؤال:** ما الحكمة في تذييل هذه الآية بقوله: «هو عليم بذات الصدور»؟

الجواب: يمكن أن تكون من أجل أن يردف عظيم قدرته بنفوذ علمه في البواطن والأسرار مع ما في ذلك من التحذير للمنافقين والتهديد لهم.

النهار في بعض فصول السنة، ثم تبدأ ساعات الليل في التناقص حتى تدخل بعض أجزائه في النهار في الفصول الأخرى.

ثم بعد أن أطلعهم على عظيم ملكه وآياته الدالة على علمه وقدرته- أمرهم فقال: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى بذلك المؤمنين، وهذه السورة نزلت بخطابهم وعتابهم وذلك أن الكثرة منهم كانوا ضعاف الإيمان لم يكتمل الإيمان في قلوبهم، فأمرهم الله سبحانه وتعالى بأن يَصْدُقُوا في إيمانهم ويخلصوا فيه، وأن يؤمنوا حق الإيمان، وأن يخرجوا صدقة أموالهم وما يجب عليهم فيها حيث أمرهم، وأخبرهم أنهم ليسوا إلا مستخلفين عليها، فالمال ماله وقد استخلفهم عليها كما استخلف الذين من قبلهم.

﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ ثم أثنى الله سبحانه وتعالى على من أخلص في إيمانه وأنفق شيئاً[١] من ماله فيما أوجب الله سبحانه وتعالى عليه، ووعدهم بأنه سوف يجزل لهم في ثوابه وعطائه وسيعوضهم خيراً مما أنفقوا ويزيدهم من فضله.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا[٢] تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ[٣] يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ

---

(١)- **سؤال:** يقال: من أين فهمنا هذا وظاهره الإطلاق؟

الجواب: أخذ ذلك من حيث أن الإنفاق لا يكون إلا من مال المنفق أي: الإنفاق المحمود الذي يثاب فاعله ويؤجر عليه.

(٢)- **سؤال:** فضلاً لو فصلتم لنا محل هذه الجملة بما يفهم معه معناها فهي تشكل كثيراً؟

الجواب: هذه الجملة «لا تؤمنون» مستأنفة لبيان الأمر المستنكر الذي يفيده الاستفهام «وما لكم» أي: انها واقعة في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: وما الذي تستنكر؟ ويصح أن تكون في محل نصب حال من ضمير المخاطبين.

(٣)- **سؤال:** هل هذه الجملة والتي بعدها حاليتان أم ماذا؟ وما فائدة القيد بقوله: «إن كنتم مؤمنين»؟

الجواب: جملة «والرسول..» حال من فاعل «تؤمنون»، وجملة «وقد أخذ...» حال من «ربكم». وجاء بالشرط ليدل على أن من لازم الإيمان طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

﴿أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ۝٨﴾ ثم استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم لماذا لا يخلصون في إيمانهم، والرسول بين أيديهم يدعوهم إلى ذلك؟ وقد أخذ عليهم البيعة على السمع والطاعة لله وللرسول؛ فأين ذلك العهد والميثاق الذي واثقتموه في منشطكم ومكرهكم ويسركم وعسركم؟

ووبخهم على تقصيرهم في إيمانهم وتكاسلهم وتباطئهم في الاستجابة لله وللرسول، وعن سرعة المبادرة إلى ما يدعوهم إليه الله تعالى ورسوله، وعدم إخلاصهم في الوفاء بما بايعوا عليه.

﴿هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ۝٩﴾ يعاتبهم على عدم وفائهم بما بايعوا[1] عليه الله تعالى ورسوله وهم يعلمون أنه الذي ينزل القرآن على محمد ﷺ ليدعوهم إلى ما فيه صلاحهم وخير دينهم ودنياهم، لم يرسل إليهم محمداً ﷺ إلا رحمة منه لهم ليستنقذهم من ظلمات الجهل والشرك إلى نور الحق والهدى.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا[2] تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ[3] السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وكذلك يوبخهم على تقصيرهم وبخلهم بإنفاق شيء مما أعطاهم الله تعالى في سبيل

---

(١)- **سؤال:** فهل جملة «هو الذي ينزل...» استئنافية مسوقة لجواب سؤال مقدر؟ أم ماذا؟

الجواب: كأنها مستأنفة استئنافاً نحوياً ليبين رحمته وعظم منته بما أنزل على رسوله من القرآن، ولعل في ذلك ما ينبه الغافلين إلى الالتزام بالطاعة وترك الإعراض.

(٢)- **سؤال:** ما محل المصدر المؤول هنا؟

الجواب: محله الجر بـ«في» مقدرة متعلقة بمحذوف حال من ضمير المخاطبين أي: ما لكم متمادين في عدم الإنفاق.

(٣)- **سؤال:** ما نوع اسميتها؟

الجواب: «ميراث» اسم لما يتركه الميت من مال مأخوذة من: ورث يرث من باب وثق، وعلى هذا فميراث بمعنى: موروث، ويصح أن يكون هذا مصدراً أي: إرث السموات.

نشر دينه وإعلاء كلمته وهم يعلمون أن الملك ملك الله والمال ماله، وأنهم لن يأخذوا شيئاً منه إلى قبورهم.

﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً[1] مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ[2] اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يخبر أصحابه أنه لا يستوي عنده الذين أسلموا قبل فتح مكة وقاتلوا مع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هم والذين لم يدخلوا في الإسلام إلا بعد فتح مكة، فالسابقون أعظم درجة عند الله وأفضل عنده من أولئك اللاحقين، ولو كان الله تعالى راضياً عنهم جميعاً، لكن درجات السابقين أرفع وأعظم عنده.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا[3] فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١ يَوْمَ

---

(١)- **سؤال:** يقال: فهل هذه المديحة تمحو ما تقدم من التوبيخ بقلة الإيمان أم لا؟ وهل تدل على مديحة مسلمة الفتح؟ أو أن الغالب منهم حسن إسلامهم؟ وهل فيها رائحة دلالة على الموازنة؟

الجواب: من استجاب لله تعالى ولرسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من مسلمة الفتح وأنفق وقاتل في سبيل الله فهو من أهل هذا الوعد الحسن، والحسنات تذهب السيئات، والذين حسن إسلامهم من مسلمة قريش قلة قليلة، يظهر ذلك في موقفهم من علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد موت النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم من محاربتهم له في حرب الجمل وصفين، وكان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يكثر الشكوى من قريش كما في نهج البلاغة.

أما الموازنة فلم يظهر لي ما يشير إليها في هذه الآية.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾؟

الجواب: «كلاً» مفعول به مقدم، «وعد الله الحسنى» فعل وفاعل ومفعول به ثان لوعد و«كلاً» هو المفعول الأول.

(٣)- **سؤال:** ما السر في وصف القرض بالحسن؟

الجواب: وصف القرض بالحسن ليبين أن المطلوب هو القرض الذي لا يتبعه مناً ولا أذى ولا يخالطه رياء.

تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ[١] تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴿١٢﴾﴾ بعد أن حث الله تعالى المؤمنين على البذل والعطاء والإنفاق في سبيله زاد على ذلك أن رغبهم في الإنفاق، وجعله على سبيل القرض[٢] عنده، ووعدهم بأنه سوف يقضيهم وسيزيدهم على ما بذلوا وأنفقوا أضعافاً مضاعفة، وسيعطيهم على الحسنة عشر أمثالها، ويضاعف ذلك إلى سبعمائة ضعف، ووعدهم أيضاً أنه سوف يوفيهم أجر قرضهم ذلك يوم القيامة بالأجر الكريم النافع لهم في ذلك اليوم.

وقد رغبهم الله سبحانه وتعالى هذا الترغيب لأنهم كانوا قد وصلوا إلى غاية الوهن والضعف والتكاسل عن نصرة النبي ﷺ، وقد أصابهم الفتور الشديد وابتعدوا عن فعل الخير والإنفاق في سبيل الله، فأنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ هذا العرض المغري ليجدد به من نشاطهم ويزيد من عزمهم وسرعة مبادرتهم إلى

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾؟ وما العامل في: ﴿يَوْمَ تَرَى﴾؟ وما محل جملة: ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴿١١﴾﴾؟ وجملة ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ﴾؟ وجملة: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾؟

الجواب: «من» اسم استفهام مبتدأ، «ذا» اسم إشارة خبر المبتدأ، «الذي» اسم موصول بدل من «ذا» أو صفة له، وجملة «يقرض الله قرضاً حسناً» صلة الموصول لا محل لها من الإعراب. «فيضاعفه» مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء لوقوعه في جواب الاستفهام، والعامل في «يوم...» الاستقرار العامل في «وله أجر». «وله أجر كريم» في محل نصب حال من الضمير في «له»، وجملة «يسعى نورهم..» في محل نصب حال من مفعول «ترى»؛ لأن الرؤية بصرية، وجملة «بشراكم اليوم جنات» في محل نصب مقول لقول محذوف.

(٢)- **سؤال:** ما نوع المجاز في ذلك؟

الجواب: نوع المجاز في «يقرض» استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الإنفاق في سبيل الله بالإقراض فحذف المشبه وبقي المشبه به، والجامع: إعطاء الشيء بعوض.

البذل والعطاء في سبيل الله تعالىٰ خالصاً لوجهه لا يريدون علىٰ ذلك جزاءً ولا شكوراً من أحد.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه سوف يجعل لأهل(١) هذه الصفة نوراً يوم القيامة يسعىٰ بين أيديهم وبأيمانهم، وأن ملائكة الرحمة سوف تزف إليهم البشرىٰ من الله سبحانه وتعالىٰ بما أعد لهم من النعيم الذي ينتظرهم في الجنة.

﴿يَوْمَ(٢) يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا(٣) فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ

---

(١)- **سؤال:** يقال: من أين نفهم أن النور لأهل هذه الصفة؟

الجواب: من وعد الله تعالىٰ لمن أقرض الله قرضاً حسناً، والقرض الحسن هو السالم من الرياء والمنة حيث قال: فيضاعفه له وله أجر كريم «في» يوم ترىٰ المؤمنين والمؤمنات، ولا ريب أن من كان من أصحاب المضاعفة والأجر الكريم يكون من الذين يسعىٰ نورهم بين أيديهم، وقد ذكر الله تعالىٰ قوله: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ ليرغب في الإخلاص لله والإنفاق في سبيله.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما هو العامل في «يوم»؟ وما هو ضابط النفاق هنا؟ وهل وجه المقابلة بينه وبين الإيمان أنه لا ثالث لهما أم كيف؟

الجواب: «يوم» بدل من «يوم ترىٰ المؤمنين..» والمراد بالنفاق هنا: هو إظهار الإيمان مع إبطان الكفر وإسراره بدليل قوله تعالىٰ في الآية التالية: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ...﴾ الآية، فتدل علىٰ أنهم كانوا معادين للنبي ﷺ من قوله: «تربصتم» وأنهم غير مصدقين بدين الإسلام من قوله: «وارتبتم»، وذكر الله تعالىٰ للمؤمنين المخلصين وللمرتابين المفتونين «المنافقين» لا يدل علىٰ وجود قسم ثالث. والقسم الثالث هم عصاة الجوارح الذين يعصون الله بجوارحهم من غير شك في الإيمان ومن غير عداوة للدين وأهله وذلك كالزناة والسرق وأهل الخمر ونحوهم فإنهم يعصون الله لا لعداوة في الدين بخلاف المنافقين.

(٣)- **سؤال:** هل المقصود بقول المؤمنين: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ التهكم بهؤلاء المنافقين أم ماذا؟ وما المقصود بـ«وراءكم»؟

الجواب: نعم المقصود هو التهكم والتخييب، والمقصود بـ«وراءكم» الدنيا، أي: ارجعوا إلىٰ الدنيا =

﴿الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ⑬﴾[1] ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن سوء حال المنافقين والمنافقات يوم القيامة وما سيكون عليهم من الخزي والذلة وهم يصيحون بالمؤمنين الذين كانوا معهم في الدنيا ويطلبون منهم أن يشركوهم في نورهم، وأن ينتظروهم ليسيروا معهم ويستضيئوا بنورهم، لما أحاط بهم من الظلمة الشديدة التي أطبقت عليهم، ولكن المؤمنين سيجيبون عليهم بأنه لا حظ لكم ولا نصيب في شيء من هذا النور، وأنه مختص بالصادقين في إيمانهم الباذلين أنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالىٰ، ثم يضرب الله سبحانه وتعالىٰ بينهم بحاجز وسور يفصل بينهم وبين المنافقين. وقوله ﴿بَاطِنُهُ﴾: يعني ما يلي المؤمنين، ﴿وَظَاهِرُهُ﴾: يعني به ما يلي المنافقين.

﴿يُنَادُونَهُمْ[2] أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ⑭﴾ وعندما يناديهم المنافقون ويسألونهم ألم نكن بينكم مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وقد صدقناه معكم وآمنا به فلماذا تمنعوننا أن ندخل معكم في نوركم؟ يرد عليهم المؤمنون الصادقون: بلىٰ قد كنتم معنا، غير أنكم استجبتم لهوىٰ أنفسكم، ودخلتم

فاكتسبوا الإيمان والأعمال الصالحة، أو ارجعوا إلىٰ الموقف، وكل ذلك تهكم وتخييب للمنافقين.

(١)- **سؤال:** إذا كان المراد بـ«سور» التمييز لهما فما فائدة وجود الباب فيه؟ وما الوجه في القيد بقوله: «من قبله»؟

الجواب: فائدة وجود الباب ليتم التخاطب منه بين الفريقين وليرىٰ المنافقون آثار كرامة الله علىٰ المؤمنين فيزدادوا حسرة بما يسمعون ويرون، وفائدة قوله: «من قبله...» تظهر من معرفة إعرابه فقوله: «من قبله» خبر مقدم، «العذاب» مبتدأ مؤخر والجملة في محل رفع خبر قوله «وظاهره»، ومعنىٰ: من قبله أي: من جهته العذاب أي: النار، كما أن باطن الباب هو في جهة الجنة.

(٢)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة المضارعية؟

الجواب: لا محل لها استئناف بياني.

في الفتنة والضلال، وانتظرتم هلاك النبي ﷺ، وارتبتم في صدقه وفيما جاء به من عند الله، وغرتكم الأماني الباطلة(١)، ولم ترعووا حتى جاء أمر الله وأنتم في الفتنة والضلال، وغركم الشيطان وأبعدكم عن الإيمان بالله(٢).

﴿فَالْيَوْمَ(٣) لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ فقد انقطع الأمل والرجاء يوم القيامة، فلا فدية تنفعهم أو تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله الذي وجب عليهم، ولم يبق لهم إلا دخول جهنم، فقد صاروا من أهلها والأولى بها.

﴿أَلَمْ يَأْنِ(٤) لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم هل يوجد تمثيل لهذه الأماني الباطلة؟

الجواب: أمانيهم الباطلة هي ما كانوا يتخيلونه في أنفسهم سيتفرق أصحاب محمد ﷺ عنه ويتركونه ويتركون دينه، وستنكشف خدعه وحيله، وأن العرب لا تقبل دينه وستتألب عليه وسيقتل ويبطل دينه، وستطرده الأوس والخزرج من المدينة، وما هي إلا أيام قليلة وكفينا شره، وما هي إلا رياح عصفت وسرعان ما تذهب أو سحابة أظلت ثم أقشعت ونحو هذا مما كانوا يحدثون أنفسهم به ويزينه لهم الشيطان.

(٢)- **سؤال:** قد تتوفر هذه الصفات الأربع في بعض فساق المسلمين بحيث لا يرفعون رأساً لمعالم الدين فهل يستحقون هذا الوعيد؟ وهل يصدق عليهم اسم النفاق ولو لم يبطنوا الكفر ولا أحبوا أهله؟ أم كيف؟

الجواب: فسقة المسلمين قسمان، فقسم منهم يحكم عليهم بالنفاق مع الفسق وهم الذين يعادون الدين وأهل الدين، ويكرهون الحق وأهل الحق، فمثل هؤلاء هم فسقة منافقون أي: أنهم جمعوا بين الأمرين. وقسم منهم يعصون الله بجوارحهم من غير اعتقاد كراهة للدين وعداوة للحق والمحقين فهؤلاء هم فسقة وليسوا منافقين.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب «فاليوم»؟

الجواب: هو ظرف لـ«يؤخذ» الذي بعده.

(٤)- **سؤال:** من فضلكم ما إعرابها؟ وما أصلها؟ وما إعراب «أن تخشع»؟ وهل «يكونوا» =

يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ(١) فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴿١٦﴾﴾ أما آن لقلوبكم أيها المؤمنون بعد كل ما قد جاءكم من البينات ورأيتم من الآيات وبعدما أنزل الله عليكم من القرآن أن تلين لما نزل إليها من البينات والهدى، وأن لا تفعلوا كفعل أهل الكتاب من تحريف توراتهم وإنجيلهم، ونسيانهم لما جاءت به أنبياؤهم ورسلهم. ومعنى «يأن»: يحِن الوقت.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا(٢) لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴿١٧﴾﴾ ثم يخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين لا زالت قلوبهم قاسية

معطوف على «تخشع» أم ماذا؟

الجواب: «يأن» مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف آخره أي الياء، وأصل «يأن»: أنى يأني مثل: رمى يرمي. «أن تخشع» في محل رفع فاعل يأن. «ويكونوا» معطوف على «أن تخشع».

(١)- **سؤال:** ما الذي تفيده هذه الآية في أوصاف أهل الكتاب؟ وما الذي نأخذه منها؟

الجواب: تفيد أن أهل الكتاب قست قلوبهم فأصبحوا لا يخافون الله ولا يخشون عذابه ولا يتعظون إن وعظوا ولا يتذكرون إن ذكروا وكثير منهم فسقوا عن أمر الله وخرجوا من طاعته فلا يبالون بفعل طاعة ولا يتورعون عن معصية، هكذا وصف الله تعالى ما صار إليه أهل الكتاب بسبب طول عهدهم بأنبيائهم وبسبب ابتعادهم عن طاعة ربهم وامتثال أمره، فنهانا الله تعالى نحن المسلمين في كتابه الكريم أن نكون مثلهم وأن نفعل مثل فعلهم وأن نبتعد عن ديننا كما ابتعدوا وأن نتمرد عن طاعة الله كما تمردوا وأن نفسق كما فسقوا، ويكون ذلك بمعاهدة قلوبنا بالمواعظ والتذكير بالله وحضور مجالس الصالحين الذين يرشدون الناس إلى الدين ويعلمونهم شرائع الإسلام ويذكرونهم بالله وبعذابه وبعظيم رحمته، ويعلمونهم الحلال والحرام ويبينون لهم الحق وأهله والباطل وحزبه، ويعلمونهم كيفية التوبة والتخلص من حقوق الله وحقوق الناس و..إلخ.

(٢)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب مستأنفة.

مستنكراً عليهم لماذا لا تلين قلوبهم لتلك الآيات التي جاءتهم؟ وأخبرهم[١] أن من شأنها أن تحيا بما أنزل لها من الآيات، والبينات كما أن الماء يحيي الأرض بعد موتها وجفافها.

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ[٢] وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴿١٨﴾﴾ بعد أن حثهم الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة على الإنفاق في سبيله أكد ذلك هنا وزاد في الحث على ذلك بـ«إن» التي تفيد زيادة التأكيد على أنه لا بد أن يضاعف لهم أجر قرضهم بالثواب العظيم والنافع لهم يوم القيامة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰٓئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴿١٩﴾﴾ الذين صدقوا في إيمانهم بالله تعالى ورسوله وأخلصوا في إيمانهم ذلك فقد جعل الله سبحانه وتعالى لهم المنازل الرفيعة مع الصديقين والشهداء[٣]، وأما الذين كفروا

---

(١)- **سؤال:** فضلاً من أين نفهم هذا؟

الجواب: فهم من قوله: «أن الله يحيي الأرض بعد موتها» فقد فسرت بما ذكرنا، ولم يذكر صاحب الكشاف غير ما ذكرنا أي: أن الآية تمثيل لحياة القلوب الغافلة بالمواعظ والتذكير بحياة الأرض بالمطر، وفسرت في غير الكشاف بما ذكرنا، أو بأنها تمثيل لحياة الموتى وحشرهم للحساب بحياة الأرض بالمطر، وكلا الوجهين صحيح، غير أن الأول أنسب بالسياق والله أعلم.

(٢)- **سؤال:** ما أصل: «المصدقين»؟ وعلام عطف قوله: «وأقرضوا»؟

الجواب: أصل المصدقين: المتصدقين فأدغمت التاء في الصاد فصار: المصدقين. وقوله: «وأقرضوا الله قرضاً حسناً» جملة معترضة لا محل لها من الإعراب، وهي معترضة بين اسم «إن» وخبرها.

(٣)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذا أن لهؤلاء مرتبة الشهادة عند الله سبحانه فهل بنيتم ذلك على عطف الشهداء على «الصديقون»؟ إن كان فما يكون محل جملة «لهم أجرهم»؟ وهل حمله على الابتداء وجملة «لهم أجرهم» خبره أولى؟ أم الأول أولى فما مرجحاته؟

الجواب: ذلك مبني على العطف، والمعنى على التشبيه أي: مثل الصديقين والشهداء، ويشهد لهذا ما في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ

=

بآيات الله تعالىٰ واستكبروا عنها فليس لهم إلا النار مثوى لهم خالدين فيها وبئس المصير، ولا حظ لهم أو نصيب في شيء من رحمة الله تعالىٰ.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ(١) غَيْثٍ(٢) أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي(٣) الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ...﴾ الآية [النساء:٦٩]، وعلىٰ هذا فجملة «لهم أجرهم» خبر ثان، ولعل هذا أولىٰ من جعل الشهداء مبتدأ وجملة «لهم أجرهم» خبره، وذلك لأمرين:

١ – ما ذكرناه من سورة النساء.

٢ – أن الظاهر العطف ولا مانع من الحمل عليه.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعرابها مفصلاً؟

الجواب: تعرب «كمثل» خبراً ثانياً للحياة ، أو خبراً لمبتدأ محذوف أي: هي كمثل.

(٢)- **سؤال:** هل في كلمة «غيث» مجاز أم أنها علىٰ الحقيقة في المشبَّه به؟

الجواب: الظاهر الحقيقة فيها والمراد تشبيه صفة الدنيا بصفة الغيث..إلخ .

(٣)- **سؤال:** ما معنىٰ الواو هنا؟ وما الذي يفيدنا الابتداء بالعذاب الشديد؟ وكيف نوفق بينه وبين الابتداء بالمغفرة في قوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٤٩﴾ [الحجر]؟

الجواب: أقرب ما ظهر لي أن الواو واو الحال أو أن تكون لعطف صفة الآخرة علىٰ صفة الحياة الدنيا ويكون ذلك من عطف الجمل.

والذي نستفيده من الابتداء بالعذاب الشديد هو أنه ينبغي أن يكون الخوف من العذاب الشديد وأخذ الحيطة منه وشدة التحرز من الوقوع فيه هو المقدم في العناية عند المسلم، وذلك لأن الخوف والحذر منه هو الذي يقود إلىٰ فعل الطاعات واكتساب الأعمال الصالحات ويحجز المسلم عن المحرمات والتورع عن الوقوع في المشتبهات.

ووجه الموافقة أن نقول: إن آية ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾ وردت في سياق دعوة المجرمين إلىٰ الله وإلىٰ ترك الكفر والمعاصي فاقتضىٰ ذلك أن يرغبهم في مغفرته وعظيم رحمته، فسياقها مثل سياق قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر].

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴿٢٠﴾﴾ يكرر الله سبحانه وتعالى خطابه لضعاف الإيمان الذين هم المنافقون الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يعظهم ويحذرهم من الدنيا فلا يغتروا بزينتها وشهواتها فليست إلا كلعبة أطفال يتناولونها بين أيديهم ساعة ثم يملون منها وينبذونها، وأن حالهم في الدنيا كحال أولي اللهو واللعب[١] سرعان ما سيرحلون عنها تاركين وراءهم ما قد جمعوا من حطامها ومتاعها، وأن طبيعة الدنيا أن تجر الإنسان إلى زينتها وشهواتها ولذاتها والتفاخر على الآخرين[٢] بحطامها ومتاعها، ثم سرعان ما تزول وتنتهي وكأن شيئاً لم يكن.

وقد شبهها الله سبحانه وتعالى بزرع سقاه الله تعالى حتى ارتوى واستكمل نموه

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذا اختلاف أوجه التشبيه للدنيا بهذه الأشياء الخمسة من حقيقتها إلى حال أصحابها إلى طبيعتها أو نحو ذلك، فهل يصح حملها على مشبه واحد فقط؟ وهل يصح حمل «زينة وتفاخر» على أنها أخبار حقيقية للدنيا لا مشبه بها أم لا؟

الجواب: وجه الشبه هو واحد في الجميع وهو حصول اللعب ثم ينقضي ويزول، وحصول اللهو ثم ينقضي، وحصول الزينة والتفاخر والتكاثر ثم يزول كل ذلك.

وقد أوضح الله حال الدنيا بما فيها من لعب ولهو و..إلخ بأنها مثل النبات الذي يخضر ويزهو بالماء ثم سرعان ما يذبل ويصفر ثم يجف ويتفتت وينتهي، فهذه حقيقة الدنيا بما في ذلك التفاخر والزينة كل ذلك يحصل ثم يذهب.

(٢)- **سؤال:** ما الفرق بين التفاخر والتكاثر؟ وهل هما محرمان على الإطلاق أم كيف؟ وهل ثمة ضابط؟

الجواب: التكاثر هو نوع من التفاخر فهو معطوف على التفاخر من باب عطف الخاص على العام، والتفاخر والتكاثر محرمان إذا صحبهما العجب ونسيان نعمة الله، أما إذا ذكر المؤمن وعدد نعم الله عليه معترفاً بمنة الله عليه وإحسانه إليه كقول نبي الله سليمان وهو يتحدث عما أعطاه الله: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠]، فإذا تحدث المؤمن عن نعم الله عليه وكثرتها لديه ولم يرد أن يترفع على أحد أو يتنقص أحداً فلا حرج.

وأخرج ثمره فأعجب الزراع منظره ولكن ما إن يكتمل نموه ذلك حتى يبدأ في الاصفرار والذبول إلى أن تفتته الريح وتطيره، فهذه حال الدنيا، فلا تغتروا بها، ولتكن همتكم في الجمع والادخار لآخرتكم لتسلموا مما أعد الله سبحانه وتعالى من العذاب الشديد لمن عصاه واتبع شهوات الدنيا ولذاتها.

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[١] سارعوا وبادروا إلى فعل أسباب المغفرة من ربكم بتقوى الله سبحانه وتعالى وفعل ما يرضيه لتظفروا بما أعد من النعيم، وتفوزوا بثوابه الذي لا ينقطع ولا يزول، وأخلصوا إيمانكم بالله تعالى ورسوله بفعل ما أمركم واجتناب ما نهاكم عنه، والمخلص في إيمانه: هو المصدق بلسانه وقلبه مع العمل بجوارحه وأركانه، وما سوى ذلك فليس بإيمان على الحقيقة، ولا ينطبق عليه اسم الإيمان.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما الوجه في تقديم المغفرة على الجنة؟ وهل قوله: «كعرض السماء والأرض» يقتضي أنها كمجموع عرضيهما؟ وما الوجه في فصل جملة «أعدت للذين..»، وكذا «ذلك فضل الله»؟ وهل دلالتها صريحة على أن الثواب تفضل من الله لا على وجه المجازاة والاستحقاق أم كيف؟

الجواب: قدمت المغفرة لأنها سبب في دخول الجنة، والسبب مقدم على المسبب. «كعرض السماء والأرض» يقتضي أن عرض الجنة كمجموع العرضين. وجملة «أعدت للذين..» فصلت لأنها نعت ثان للجنة والنعت الأول: «عرضها كعرض..». وفصلت جملة «ذلك فضل الله» لأنها تعليلية لما قبلها. ودلالة هذه الآية «ذلك فضل الله..» صريحة في أن الثواب تفضل من الله وليس مستحقاً على الأعمال الصالحة، إلا أن الله تعالى لعظيم فضله جعل ذلك جزاءً على الأعمال وأجراً وثواباً عليه تفضلاً منه، ويلوح بخاطري أن الله تعالى فعل ذلك لطفاً بالمؤمنين ورحمة بهم ليزدادوا من أعمال الخير فإن المؤمن إذا علم أن الله سيثيبه على كل عمل صالح ولو قل وعلى كل مثقال ذرة من الخير استزاد وأكثر من صغير البر وكبيره، وحمله ذلك على عدم التهاون بعمل مثقال الذرة من الخير.

﴿مَا أَصَابَ[١] مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا[٢] عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ لا تكبر في أنفسكم المصائب التي تنزل بكم أيها المؤمنون من نقص الأموال والأولاد والأمراض وغيرها فما من مصيبة تنزل على أحد إلا والله تعالى يعلمها، وقد كتبها وقدرها في علمه من قبل خلقكم وخلق السماوات والأرض، فإذا علم المؤمن ذلك وعلم أن ما فاته أو نقص عليه فإنه مكتوب عند الله تعالى مقدر منه تبارك وتعالى فإن ذلك سَيُهَوِّن عليه مصيبته وسيخفف ذلك عنه وقع المصيبة ويحمله على الرضا والصبر[٣].

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ[٤] ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ ثم ذم الله سبحانه وتعالى الذين إذا أنعم عليهم بنعمه أو أسبغ عليهم رزقه أصابهم العجب الشديد وافتخروا بأنفسهم وتكبروا على الناس، وبطروا بنعم الله تعالى عليهم غافلين عن شكر الله

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في حذف المفعول هنا؟ ودخول «مِنْ» على الفاعل؟ وهل يعود الضمير في «نبرأها» على الأنفس أم على الأرض؟ أم عليهما جميعاً؟

الجواب: حذف المفعول للعلم به، ودخلت «من» على الفاعل لتأكيد العموم فيه، والضمير يحتمل أن يعود على الأرض وعلى الأنفس وعليهما جميعاً.

(٢)- **سؤال:** ما هو الأسى والحزن الذي ذمه الله سبحانه؟

الجواب: الأسى والحزن الذي ذمه الله تعالى هو الذي يخرج صاحبه عن الرضا بما قدره الله عليه وقضاه، وليس المراد الألم الذي يحصل بالمصيبة فلا بد منه، وإنما المراد ما يصحبه من السخط وعدم الرضا.

(٣)- **سؤال:** قد يقال: ظهر لنا التعليل في عدم الأسى، ولم يظهر لنا في عدم الفرح، فكيف ذلك؟

الجواب: المراد بالفرح فرح البطر.

(٤)- **سؤال:** ما السر في الجمع بعد الإفراد في «مختال فخور»؟

الجواب: السر في الجمع هو نظراً لمراعاة معنى «كل» فمعناها الجمع.

تعالىٰ وعن أداء ما افترض عليهم، فهؤلاء لا يحبهم الله وليس لهم نصيب من رحمة الله وثوابه، فينبغي إذا أنعم الله تعالىٰ علىٰ عبده بنعمة أن لا يفرح فرح بطر وعجب، وأن يشكر الله تعالىٰ علىٰ ما أعطاه، وأن يضع ما أعطاه في مواضعه وحيث أمره ربه، وأن يتواضع ويخشع ويستكين.

وأما فرح السرور مع أداء شكر نعم الله تعالىٰ عليه فذلك محمود[1] عند الله تعالىٰ، ثم وصف الله تعالىٰ المختالين بأنهم الذين يبخلون[2] بإخراج ما يجب عليهم في أموالهم ويمنعون غيرهم عن إنفاقه فيما يجب، وأخبر أن من كان كذلك فإنه تعالىٰ غني عنه غير محتاج إليه ولا إلىٰ ماله، فالملك ملكه وخزائن السماوات والأرض بيده، وإذا أنفقوا أموالهم فنفعها عائد إليهم.

وقوله ﴿الْحَمِيدُ﴾: يعني أنه غير محتاج إلىٰ شكرهم ولا إلىٰ حمدهم فهو محمود من دونهم، وله الفضل علىٰ أهل السماوات والأرض غير محتاج إلىٰ شيء مما عندهم.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً لو أوردتم لنا شيئاً من الأدلة علىٰ هذا لكان مناسباً؟

الجواب: قال تعالىٰ: ﴿الم۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ۝٢...﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ۝٥٨﴾ [يونس]، وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ [الرعد:٣٦].

وبعد، فالفرح والسرور طبيعة بشرية تحصل إذا حصل السبب، وهكذا الأسىٰ والحسرة يحصل إذا حصل سببه،ولا يمكن المرء أن يتخلص من هذه الطبيعة البشرية، كذلك لا يحسن المدح أو الذم عليها؛ لأنه ليس في وسع المكلف أن يتخلص من طبيعته، والمدح والذم لا يحسن إلا علىٰ الأفعال الاختيارية المصاحبة للفرح والحزن، فالمؤمن إن حدثت له نعمة فرح وشكر الله وحمده، وإن أصابته ضراء حزن وصبر ورضي واسترجع، ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ۝١٥٧﴾ [البقرة]، والغافل إن حدث له نعمة فرح واستر وامتلأت نفسه عجباً وفخراً وتطاولاً غير معترف لله بنعمة ولا مقر له بمنة، وإن أصابته مصيبة حزن وسخط وكفر، ليس له أمل في الله ولا فيما عند الله.

(٢)-**سؤال:** ما المناسبة في اجتماع الخيلاء والبخل مع أن ظاهر الخيلاء يناسب العطاء مباهاة أو تطاولاً؟

الجواب: الخيلاء صفة للمشي، وليس من صفات البذل والعطاء، والخيلاء هي إظهار التكبر في المشي؛ لذلك فتكون المناسبة ظاهرة بين المختال والفخور فكلاهما من فروع الكبر.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ قد أبلغ الله سبحانه وتعالى حججه الواضحة إلى عباده بما أرسل إليهم من الرسل وأنزل إليهم من الكتب، وبما شرع لهم من الشرائع والأحكام التي بها يقام الحق والعدل فيما بينهم[(١)].

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ[(٢)] بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[(٣)] وأنعم تعالى على عباده بأن خلق لهم الحديد الذي يصنعون منه السيوف الفتاكة والرماح القتالة والدروع وآلات الحراثة والصناعة و..إلخ، ومنافع الحديد كثيرة ولا سيما في عصرنا هذا الذي تطورت فيه الصناعة، ومعنى «فيه بأس» : قوة شديدة.

﴿وَلِيَعْلَمَ[(٤)] اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٢٥﴾ كلف الله سبحانه وتعالى عباده بالجهاد والقتال في سبيله، وأنزل لهم الحديد ليقاتلوا به بين أيدي أنبيائهم وأئمتهم، وبذلك التكليف يظهر المخلص من المنافق.

---

(١)- **سؤال:** يقال: إذا كان معنى الميزان العدل صار المعنى: أنزلنا العدل ليقوم الناس بالعدل، فهل يستقيم ذلك، أم له توجيه آخر؟

الجواب: نعم، المعنى مستقيم فقد أنزل الله العدل ليقوم الناس بالعدل في الأرض، وأنزل الحق ليقوم الناس بالحق في الأرض، وأنزل الكتاب ليقوم الناس بأحكام الكتاب.

(٢)- **سؤال:** ما محل الجملة الاسمية هذه؟

الجواب: في محل نصب حال من «الحديد».

(٣)- **سؤال:** هل ترون بفهمكم الثاقب قوة استدلال الأصحاب بـ«أنزلنا الحديد» على أن إنزال القرآن بمعنى خلقه وإحداثه؟ أم كيف؟

الجواب: ليس ما ذكرتم من الاستدلال بقوي، ولكن يمكن الاستدلال على حدوث القرآن بكونه منزلاً والنزول من صفات المحدثات، وذلك من حيث أن النزول لا يصح إلا في الأجسام والأعراض.

(٤)- **سؤال:** علام عطف قوله: «ليعلم الله» مفصلاً؟

الجواب: هو معطوف على المعنى كأنه قيل: وأنزلنا الحديد لينفع الناس بباسه ولينتفعوا بمصنوعاته وليعلم الله.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه أرسل نوحاً وإبراهيم، واصطفاهما وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب، فلا يبعث الله نبياً إلا من ذريتهما.

﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ[1] وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ۝٢٦﴾ فقليل من ذريتهما ثبتوا على الهدى، وأما الكثرة فهم فاسقون خارجون عن حدود الله تعالى ومواثيقه.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى ءَاثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا[2] فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ۝٢٧﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى أرسل رسلاً كثيرة بعدهما وكان آخرهم عيسى عليه السلام، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى عليه الإنجيل وجعل أتباعه أهل رحمة ولين ولطافة، ولا زال طبعهم ذلك إلى يومنا هذا.

ثم إنهم تعبدوا لله تعالى وأوجبوا على أنفسهم أشياء لم يكتبها الله سبحانه وتعالى أو يوجبها عليهم، وابتدعوا ذلك من عند أنفسهم ابتداعاً، ولكن الله تعالى أوجبها عليهم وكتبها فيما بعد[3] عقوبة لهم، فكان أحدهم يوجب على نفسه أن لا يتزوج

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «مهتد»؟

الجواب: «مهتد» مبتدأ والجار والمجرور خبره.

(٢)- **سؤال:** مم اشتقت لفظة «قفينا»؟ وما أصل معناها؟ وما إعراب «ابتغاء» و«حق رعايتها»؟

الجواب: «قفينا» مأخوذة من القفا الذي هو الخلف، وأصل معنى «قفينا» جعلنا عيسى في قفا الرسل السابقين أي: خلفهم. «ابتغاء» مفعول من أجله. «حق رعايتها» مفعول مطلق.

(٣)- **سؤال:** فضلاً من أين فهمنا الفرضية فيما بعد؟ وكذا العقوبة مع قوله: «ابتغاء رضوان الله»؟ وهل يصح أن تحمل على أن الله فرض عليهم شيئاً من تلك الرهبنة ابتداء ثم إنهم غالوا فيها وزادوا عليها حتى أطلق الله عليهم اسم الابتداع فيكون معنى «ابتدعوها» نفس: «فما رعوها حق رعايتها»؟ وليستقيم الاستثناء متصلاً، ووصل «رهبانية» بما قبلها من دون وقف على

=

وأن لا يظله سقف أو يفترش تحته فراشاً وغير ذلك من الأشياء التي يتنسكون بها ابتداعاً من عند أنفسهم، ثم بعد أن أوجبها الله سبحانه وتعالى عليهم أخل بها الكثير منهم، وقصروا في أدائها وتركوها، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن الذين ثبتوا على إيمانهم من أولئك واستقاموا على دينهم وما أمرهم ربهم، فإنه سيوفيهم أجورهم يوم القيامة، وهم قلة، وأكثرهم خرجوا عن الدين وفسقوا عن أمر الله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٢٨﴾﴾ ثم وجه الله سبحانه وتعالى خطابه للمؤمنين من أتباع[1] النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمرهم أن يتقوا الله تعالى حق تقاته، وأن يؤمنوا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ووعدهم بأنه سيضاعف لهم أجرهم على ذلك مرتين، ويجعل لهم تنويراً في قلوبهم، وعلماً يفرقون به بين الحق والباطل، ويكفر عنهم سيئاتهم ويغفر لهم ذنوبهم.

«رحمة» في المصاحف المتبعة قراءتها؟ أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: فهمنا الفرضية فيما بعد من قوله: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ وقد يكون ذلك أن الله تعالى لم يوجب عليهم الرهبانية التي ابتدعوها في الكتاب إلا أنهم أوجبوها على أنفسهم بعد نزول الكتاب بالنذر فأوجبها الله عليهم حين أوجبوها على أنفسهم.

وأصل الرهبانية هي الخوف من الله بفعل طاعته واجتناب معصيته، وهذا مكتوب عليهم، والابتداع الذي كتب عليهم هو ما زادوه من عند أنفسهم كتبه الله عليهم حين أوجبوه على أنفسهم بالنذر، وعلى هذا فالمعنى واحد فيما ذكرتموه وفيما ذكرناه، ومعنى: ابتدعوها أي الزيادة، فما رعوا الزيادة التي أوجبوها على أنفسهم.

(١)- **سؤال:** هل يصح أن تحمل على المؤمنين من أهل الكتاب ليوافق: «كفلين من رحمته» قوله في آية القصص: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [القصص:٥٤]، أم كيف؟

الجواب: الظاهر أن المقصود المؤمنون من أهل الملة الإسلامية، يزيد ذلك ظهوراً قوله بعدها: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ...﴾، ولا يصح أن يكون المراد به المؤمنين من أهل الكتاب لوقوعها في سياقهم، وقد فسرت بالوجهين.

﴿لِئَلَّا[1] يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴿٢٩﴾﴾ كان أهل الكتاب يزعمون أنه لا يصح أن يرسل الله سبحانه وتعالى نبياً إلا منهم، وأنه لا يصح أن يجعلها في غير بني إسرائيل، وأن مغفرة الله وفضله حكر عليهم، فرد الله سبحانه وتعالى عليهم أن الأمر ليس كما يزعمون فقد أخرج النبوة منهم وجعلها في العرب، وتفضل بها عليهم، وقد اصطفاكم أيها المؤمنون وفضلكم عليهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأجزل لكم المثوبة والعطاء، واختصكم بفضله ورحمته، ليعلم أهل الكتاب أن الملك بيد الله وحده، وأن له أن يختار لنبوته ويصطفي لها من أراد من خلقه، وليعلم أهل الكتاب أنه لا يصح لهم أن يعترضوا على الله سبحانه وتعالى أو يقترحوا عليه أو يتحكموا في ملكه.



(١)- **سؤال:** فضلاً أين المعلول هنا؟ وما إعراب «لئلا»؟ وكذا «ألا يقدرون» مفصلاً؟ وعلام عطف «أن الفضل بيد الله»؟ وما محل جملة «يؤتيه من يشاء»؟

الجواب: المعلول هو قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ وما عطف عليه. «لئلا» اللام للتعليل، «أن» مصدرية، و«لا» صلة للتأكيد. «ألا يقدرون»: «أن» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن مقدر، «لا يقدرون» في محل رفع خبر «أن» المخففة. «وأن الفضل بيد الله» معطوف على «ألا يقدرون». «يؤتيه من يشاء» في محل رفع خبر ثان لـ«أن».

سورة المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١﴾ المجادلة هي زوجة أوس بن الصامت وكان اسمها خولة بنت ثعلبة أقبلت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تشكو إليه زوجها أوساً بأنه قد ظاهر منها وهجرها بعد كل السنين الطويلة التي عاشرته؛ وكان الظهار نوعاً من أنواع الطلاق، وطلبت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ينتصف لها منه؛ فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قد سمع جدال هذه المرأة في زوجها، وما دار بينها وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنزل في أحكام الظهار آيات بينات.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ[1] أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ[2] غَفُورٌ ۝٢﴾ كانوا يقولون في ظهارهم: أنت علي كظهر أمي، أو أنت عليَّ كأمي؛ فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن الأمر ليس كما يقولون، وليست الزوجة أماً، وإنما أمه هي من ولدته دون زوجته، وما يلفظون به من الظهار مِنْ أنكر الأقوال وأقبحها، وكلام زور وبهتان لا يجوز.

ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يمسكوا[3] ألسنتهم عن الظهار

---

(١)- **سؤال:** هل هذه الجملة مستأنفة أم هي الخبر؟ فكيف ينتظم المعنى؟

الجواب: قد قالوا: إن تلك الجملة هي الخبر، والذي يظهر لي –والله أعلم– أن الخبر مقدر أي جاهلون أو ضالون أو نحوهما، وجملة «ما هن أمهاتهم» مستأنفة لبيان علة جهلهم وسبب ضلالهم.

(٢)- **سؤال:** ما زنة «عفو» وما نوعها؟

الجواب: زنتها «فعول» وهي من صيغ المبالغة.

(٣)- **سؤال:** من أين فهمنا هذا؟ أمن الذم للظهار أم من ذكر العفو ولو كان مطلقاً؟

=

ويتنبهوا فيما يستقبل من زمانهم، وأنه عفا عنهم فيما مضى فلا يعودوا للظهار.

﴿وَالَّذِينَ(١) يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ ثم بين الله تعالى كفارة من عاد إلى ما حرّم -أي: إلى المظاهر منها- بعد أن نهى الله تعالى عنه، فقال: إن كفارة ذلك إعتاق رقبة من العبيد من قبل أن يمس زوجته، ولا يصح له الرجوع والمسيس إلا بعد الإعتاق، وقد شدد الله سبحانه وتعالى عليهم في ذلك لينزجروا ويرتدعوا عن الوقوع في ذلك الإثم، فإذا عرف ما يلزمه من الغرامة فإنه سيمسك لسانه ويكف عن ظهار زوجته؛ إذ قد علم الله سبحانه وتعالى أنه لن يصلح عباده ويزجرهم عن ذلك إلا هذا الإلزام.

الجواب: فهم ذلك من قوله: ﴿مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ فإن ذلك يقتضي تحريمه ووجوب الانتهاء عنه.

(١)- **سؤال:** فضلاً أين خبر الاسم الموصول هذا؟ وهل «ما» في قوله: «لما قالوا» موصولة أو مصدرية؟ وما ينبني على ذلك من فوائد؟ وما الوجه في الإشارة بـ«ذلكم»؟ وما وجه إطلاق الوعظ على العقوبة؟

الجواب: خبر الاسم الموصول هو قوله: «فتحرير رقبة» ودخلت الفاء في الخبر لتضمن الموصول معنى الشرط. والأولى في «ما» أن تكون موصولة بمعنى «الذي» وقد جوزوا أن تكون مصدرية، ويتأول المصدر بالمقول أي: إلى مقولهم فيكون المعنى واحداً في التقديرين، وكونها موصولة هو الأولى لسلامته من التأويل. وقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ دليل على أن العود لما قالوا هو العود إلى جماع الزوجة التي قد كان حرمها بالظهار أي: إرادة العود إلى جماعها وإضرابه عن تحريمها. والإشارة بـ«ذلكم» للتنبيه على أهمية المشار إليه من حيث أنه لا بد من تأديته وأنه لا يجوز التهاون به أو التفريط فيه، وأطلق الوعظ على العقوبة لأنها تزجر عن المعصية كالوعظ.

﴿فَمَنْ[١] لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا[٢] فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٤﴾﴾ فإذا لم يجد[٣] المظاهر رقبة يعتقها فيجب عليه صيام شهرين متتابعين لا[٤] يتخللهما إفطار، ولا يمسها إلا بعد إتمام الصيام[٥]، فإن تعذر عليه الصوم لضعف أو عجز أو نحو ذلك فيجب عليه إطعام ستين مسكيناً نصف

---

(١)- **سؤال:** لو أعربتم الآية إلى قوله: «يتماسا»؟

الجواب: الفاء: عاطفة. من: اسم شرط مبتدأ. لم: جازمة. يجد: مضارع مجزوم وفاعله ضمير عائد إلى «من»، والجملة في محل رفع خبر، ويصح أن يكون الخبر مجموع جملتي الشرط والجواب، وقيل: إن الخبر هو جملة الجواب، وكل ذلك واسع. فصيام: الفاء رابطة، صيام: مبتدأ وخبره محذوف أي: فعليه صيام. شهرين: مضاف إلى صيام. متتابعين: صفة لشهرين. من قبل: جار ومجرور متعلق بصيام. أن يتماسا: في تأويل مصدر مجرور بإضافته إلى «قبل».

(٢)- **سؤال:** ما هو تعريف المماسة هنا؟ وما هو اللازم على من مس زوجته قبل التكفير؟

الجواب: المماسة هي الوطء ومقدماته: اللمس والتقبيل والنظر لشهوة. ومن مس قبل التكفير أثم ولزمه التوبة والاستغفار.

(٣)- **سؤال:** ما هو ضابط عدم الوجدان؟

الجواب: ضابطه : أن لا يكون في ملكه رقبة ولا يملك قيمتها أو يملك قيمتها ولا توجد كما هو الحال في وقتنا هذا.

(٤)- **سؤال:** فضلاً من أي الدلالات نفهم هذا؟

الجواب: فهم التتابع من ظاهر قوله: «متتابعين» فظاهر ذلك يدل على أن صيام الشهر الثاني متصل بصيام الشهر الأول، وإذا تخلل الإفطار في الأول أو في الثاني لم يصح ولم يصدق أنه صام شهرين متتابعين.

(٥)- **سؤال:** ما وجه تفريق أهل المذهب بين صيام هذه الكفارة ورمضان في أنه لا يصح الترخص فيها لسفر أو نحوه؟

الجواب: وجه الفرق أن هذا الصيام عقوبة شدد الله تعالى فيها: «متتابعين» «تلك حدود الله» «وللكافرين عذاب أليم».

صاع لكل مسكين، وقد فرض الله سبحانه وتعالىٰ ذلك عليكم وأدبكم بذلك لتطيعوا الله ورسوله وتلتزموا حدوده وما أمركم به.

ثم أخبرهم أن ذلك التكفير حد من الله تعالىٰ حده[١] لهم وفرضه عليهم لئلا يعودوا في ذلك الإثم، وأن من تجاوز حدود الله تعالىٰ هذه فقد خرج عن طاعة الله تعالىٰ ورسوله واستحق نار جهنم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا[٢] ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ[٣] اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ۝٦﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن من تجاوز[٤] حدوده بعد ما جاءته حجج الله وبيناته وعرف

---

(١)- **سؤال:** هل يصح أن نحمل الحد على أنه المعلم من معالم الشريعة دون العقوبة المفروضة المشتقة من قولهم: حد الخمر، ونحوه؟ أم لا ترونه مناسباً؟

الجواب: لم نرد في التفسير إلا أنه معلم من معالم الشريعة ولم نرد أنه من جنس حد الخمر وحد الزنا والقذف والحرابة والسرق...

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما محل هذه الجملة؟

الجواب: في محل نصب حال.

(٣)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب تعليلية.

(٤)- **سؤال:** هل التجاوز لحدود الله يعتبر محادة لله ولو فعلت من دون جرأة على المخالفة؟ مع التعليل.

الجواب: إذا أقدم المكلف على معصية الله عمداً وهو يعلم أن الله تعالىٰ قد نهى عنها وتوعد عليها فيعتبر محادداً لله، وذلك أنه تجاوز حد الله الذي حده لعباده وصار في حد آخر غير حد الله، وقد لعن الله تعالىٰ في هذه الآية من خرج عن حد الله وتجاوزه «كبتوا»، أما من أقدم على معصية الله متعمداً لفعلها وهو لا يعلم أنها معصية لله ولا يعلم أن الله قد نهى عنها، أو فعلها خطأً أو متأولاً؛ فلا نحكم عليه بأنه محادد لله؛ لأنه لم يفعلها جرأة على المخالفة.

شرائعه وأحكامه فهو محارب لله تعالىٰ ورسوله، وقد استحق اللعن والطرد من رحمته والعذاب الأليم يوم القيامة، ثم أمرهم الله تعالىٰ أن يتذكروا[١] يوم القيامة عندما يبعثهم الله تعالىٰ للحساب والجزاء علىٰ كل ما عملوا من الأعمال صغيرها وكبيرها، وأخبرهم أنهم سيجدون كل شيء مكتوباً في صحائف أعمالهم، وسيحصيها الله سبحانه وتعالىٰ عليهم حتىٰ ما نسوه منها فيذكرهم الله تعالىٰ بها في ذلك اليوم، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ[٢] مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ[٣] رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا[٤] ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ ألم تعلم أيها السامع بأن الله سبحانه وتعالىٰ عالم بكل كائن في السماوات أو في الأرض حتىٰ إنه لا يتناجىٰ اثنان أو ثلاثة أو.. إلخ أو يتسارُّون حديثاً بينهم إلا كان سبحانه وتعالىٰ حاضر معهم بعلمه وشاهد علىٰ كل شيء من أعمال عباده لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ثم إنه تعالىٰ سيحاسبهم عليها يوم القيامة ويعرضها عليهم صغيرها وكبيرها وظاهرها وخفيها لا يغادر

---

(١)- **سؤال:** هذا مبني علىٰ أن «يوم» معمول لفعل محذوف فهل يصح أن نجعله ظرفاً لقوله: «عذاب مهين» أم لا؟

الجواب: نعم يصح ذلك بل يكون هذا هو الأولىٰ لعدم الحامل إلىٰ التقدير.

(٢)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها مستأنفة لتقرير ما سبق.

(٣)- **سؤال:** ما موقع هذه الجملة إعرابياً؟

الجواب: موقعها النصب علىٰ الحالية.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «أكثر»، و«أين ما كانوا»؟

الجواب: أكثر: مجرور عطفاً علىٰ «نجوىٰ» أو علىٰ «ثلاثة». أين: ظرف مكان للمستقر في «معهم». ما: صلة للتأكيد. كانوا: فعل تام وفاعله.

صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

﴿أَلَمْ تَرَ[(١)] إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ[(٢)] الرَّسُولِ﴾ كان في المدينة أناس ممن يسمون أنفسهم بالمؤمنين وما هم بمؤمنين يتحينون الفرص ليزرعوا الخوف في قلوب المؤمنين، ويبثوا الرعب بين صفوفهم، فكانوا ينعزلون أمام المؤمنين ويتهامسون فيما بينهم ليوهموا من يراهم ممن حولهم أنهم يدبرون أمراً، ويضمرون فيما بينهم مكروهاً أو مكيدة يحيكونها ضدهم، فنهاهم الله سبحانه وتعالى عن هذا الصنيع وزجرهم، ولكنهم لم ينتهوا عن ذلك، واستمروا في نجواهم.

وقد فضحهم الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره أنهم يتناجون بالإثم والعدوان على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين.

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا[(٣)] يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٨﴾ ومن صفتهم أنهم كانوا إذا أقبلوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم يحيونه بعبارات[(٤)] موهمة غير تحية الدين والإسلام التي أمرهم الله سبحانه وتعالى ورسوله بها، وقد فضحهم الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم يضمرون في أنفسهم الكفر، ويحدثون أنفسهم بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو

---

(١)- **سؤال:** ما معنى الاستفهام هنا؟ وأيضاً ما معنى الباء في قوله: «بالإثم»؟

الجواب: الاستفهام لتقرير ما بعد النفي، والباء للآلة مثلها في «كتبت بالقلم».

(٢)- **سؤال:** هل دخلت معصية الرسول في «الإثم»؟ فلم خصت بالذكر؟

الجواب: خصت بالذكر لتعظيم معصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على غيرها مما يتناجون.

(٣)- **سؤال:** ما معنى «لولا» هنا؟ وما محل جملة «يصلونها»؟

الجواب: معنى «لولا» التحضيض والحث لاعتقادهم كذب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما يتوعد به المنافقين والكافرين، وجملة «يصلونها» في محل نصب حال، وقد تكون معترضة لا محل لها من الإعراب؛ إذا جعلنا «وبئس المصير» معطوفاً على قوله: «حسبهم جهنم» أي: فتكون الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه.

(٤)- **سؤال:** هل عرف شيء من هذه العبارات التي كانوا يقولونها؟

الجواب: روي في هذا أنهم كانوا إذا حيوا الرسول قالوا: السام عليك يا رسول الله. والسام هو الموت.

كان صادقاً فلماذا لا ينزل الله تعالى بهم عذابه[١]، ويجازيهم على ما يبرمونه ويدبرونه، وما يتكلمون به في النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بأن لا يستعجلوا نزول عذاب الله تعالى فقد وجب عليهم، وقد أعد لهم جهنم وبئس المصير.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ[٢] فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ۝٩﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يلقن أصحابه ويرشدهم ويؤدبهم بأن لا يتناجوا فيما بينهم أو يختلي بعضهم ببعض إلا بالخير، وأن لا يتسارُّوا فيما بينهم إلا بما فيه البر والتقوى وصلاح الشأن، وأن يخافوا الله تعالى ويحذروه ويراقبوه في سرهم وعلانيتهم فهو مراقب لهم وهو معهم أينما كانوا فمرجعهم إليه وسيجازي كلاً على عمله.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ[٣] لِيَحْزُنَ الَّذِينَ[٤] ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ۝١٠﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى أن ما

---

(١)- **سؤال:** هل يصح حمل القول الذي أرادوا أن يعذبهم الله به على هذه التحية المخالفة التي يحيون بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم لا؟

الجواب: نعم يصح؛ لأن التحية التي كانوا يحيون بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «السام عليك» يتضمن الكفر والتكذيب.

(٢)- **سؤال:** هل تدل الآية على أنه لا صحة لما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يتناجى اثنان دون ثالث فإن ذلك يحزنه))؟ أم كيف؟

الجواب: يمكننا أن نحمل ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الإرشاد والأدب دون التحريم؛ لأن هذه الآية صريحة في جواز التناجي بالبر والتقوى، ولا ينبغي طرح الحديث مهما وجد له محمل صحيح.

(٣)- **سؤال:** هل نسبة النجوى إلى الشيطان لأنه المعين لهم والسبب في الوساوس بتلك التدبيرات الكيدية فمن أي أنواع المجاز ذلك؟ أم لعلة أخرى فما هي؟

الجواب: نسبة النجوى إلى الشيطان لأنه المسبب، والمجاز مرسل والعلاقة السببية.

(٤)- **سؤال:** هل هذا مفعول به؟ فكيف تعدى «يحزن» الثلاثي إلى المفعول به بنفسه؟

الجواب: «الذين» فاعل «ليحزُن» وليس مفعولاً به، وقيل: إن حزن وأحزن بمعنى واحد، فعلى هذا يكون «الذين» مفعولاً به، وفاعل «يحزن» ضمير الشيطان.

يتناجى به المنافقون فيما بينهم ضد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه إنما هو من عمل الشيطان، وما يدبرونه إنما هو مكائد شيطانية، وليسوا إلا مدسوسين على الإسلام والمسلمين ليبثوا الرعب بين أوساط المسلمين، وينشروا الفزع والخوف في قلوبهم، وليفرقوا بين صفوفهم، وأعلم سبحانه المؤمنين أن ما يدبره ويحيكه المنافقون ضدهم لن يضرهم شيئاً ما داموا متوكلين على الله سبحانه وتعالى، ومفوضين أمورهم إليه، وأن من توكل على الله تعالى كفاه شر الكائدين، ودفع عنه ضر المنافقين(١).

وقد كان المنافقون في زمان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كثرة في المدينة، وقد عانى منهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعظم مما لقي من المشركين، ولذلك أكثر الله سبحانه وتعالى من ذكرهم والتحذير منهم في القرآن الكريم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ(٢) لَكُمْ﴾ كان أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يزدحمون على مجلسه ليستمعوا إلى حديثه، ويستفيدوا منه؛ فكان إذا أقبل أحد من خارج المدينة يريد الاستماع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يجد له مكاناً يجلس فيه من شدة الزحام، فأرشدهم الله تعالى إلى أن يفسحوا في

---

(١)- **سؤال:** يقال: فما يصيب المؤمنين من تآمرات وكيد أعداء الدين علام يخرَّج مع هذا؟

الجواب: المراد أنهم لن يضروا الدين ولن يبلغوا بمكائدهم إلى إبطال دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولن يقدروا أن يمنعوا انتشار الدين وتوسعه وتكاثر المسلمين، أما ما يلحق أفراد المؤمنين فقد قال الله تعالى في مكان آخر: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ [آل عمران:١١١]، وقال تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ [الأنفال:١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ...﴾ الآية [البقرة:١٥٥]؛ لهذا يتوجه تفسير هذه الآية في سورة المجادلة بأن المراد بالضر هو ما ذكرنا في هذا التعليق.

(٢)- **سؤال:** ما هو الفسح الذي وعده الله للمتفسحين؟

الجواب: هو الفسح لهم في رحمته، أي: يفسح لهم مضائق في الدنيا وفي الآخرة.

مجالسهم لمن أقبل إليهم، ويوسعوا فيها لهم[١].

﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ[٢] اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ[٣] دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ۝﴾ وإذا دعاكم النبي ﷺ إلى النهوض من مجلسه[٤] فانهضوا ولا تتثاقلوا.

ثم أثنى الله تعالى على المؤمنين الذين يستجيبون لله تعالى ورسوله ويلتزمون بهذه الأوامر وأخبرهم بأنه سوف يرفع منازلهم عنده، ثم أخبر عن أهل العلم منهم بأنهم أرفع عنده من غيرهم وأعلى[٥] رتبة لديه.

---

(١)- **سؤال:** هل التفسح بمعنى أن يتقاربوا ويتضايقوا ليجد المقبل مكاناً يجلس فيه؟ أم بمعنى القيام عن المجلس؟

الجواب: هو بمعنى أن يتقاربوا بعضهم إلى بعض ويوسعوا الحلقة حتى يجد المقبل مكاناً يجلس فيه، وليس بمعنى أن يقوم أحدهم من مكانه ليقعد فيه الداخل؛ وذلك لأن الآية وردت في مجالس النبي ﷺ التي كان يجلس فيها ليعلمهم الدين، والله تعالى يريد أن يسمع الحاضرون جميعاً هم والداخل عليهم، وتدخل مجالس الذكر والإرشاد والتعليم والوعظ في هذا الأمر.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعرابها؟ وكذا ما إعراب «درجات»؟

الجواب: «يرفع» مجزوم في جواب الطلب، و«درجات» ظرف مكان أو منصوب بنزع الخافض.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في التعبير عن أخذهم وتلقيهم للعلم بأنهم أوتوه؟

الجواب: لينبه على أن المنة لله تعالى الذي آتاهم العلم، وترك التصريح بالفاعل للعلم به من آيات كثيرة صرح فيها بالفاعل: ﴿ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾ [الأعراف:١٧٥]، ﴿ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ [الجاثية:١٦]، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف:٢٢].

(٤)- **سؤال:** هل يصح حملها على الانتشار من مجلس النبي ﷺ ليترك المجال للوافدين ليتناسب مع سياق الآية؟ أم كيف؟

الجواب: نعم يصح حملها على ذلك أي: على الانتشار من مجلس النبي ﷺ.

(٥)- **سؤال:** يقال: من أين نفهم أنهم أرفع من سائر المؤمنين من هذه الآية؟

الجواب: يفهم ذلك من قوله: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فقوله «درجات» هي خاصة بالذين =

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ كان المؤمنون يكثرون على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الأسئلة، ويتزاحمون عليه حتى يتسببوا في إلحاق الأذى والضيق عليه، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يخفف عن نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذا الزحام؛ فأوجب على من أراد أن يناجيه أو يسأله أن لا يفعل ذلك إلا بعد أن يخرج صدقة من ماله، ويتصدق بها في سبيل الله تعالى أو على الفقراء والمساكين، وليس المراد أن يعطيها النبي[1] صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأخبرهم أن ذلك أفضل لهم عند الله تعالى وأسلم من اقتراف المآثم، وتسبيب الأذى للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿١٢﴾﴾ وأما من لم يجد شيئاً يخرجه فلا حرج عليه أن يسأل النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبعد أن فرض الله تعالى عليهم ذلك وأوجبه- امتنعوا عن الازدحام على نبيهم، وتركوا مساءلته، ولم يسأله في هذه الفترة إلا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد قدم ديناراً وقسمه أرباعاً[2] فكان يخرج عند كل سؤال يسأله ربعاً.

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا[3] بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا

أوتوا العلم كأنه قال: ويرفع الذين أوتوا العلم درجات، وذلك أن ذكر الذين أوتوا العلم بعد ذكر المؤمنين مع دخولهم فيهم يدل على اختصاصهم بمزية ومكانة فوق مكانة المؤمنين.

(١)- **سؤال:** فضلاً من اين نفهم هذا وما بعده؟

الجواب: فهم ذلك من تسميتها صدقة، والصدقة لا تحل لمحمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا لآل محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومن آية: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [التوبة:٦٠].

(٢)- **سؤال:** هل يؤخذ من هذا تحديد مقدار الصدقة؟ أم أنها على إطلاقها؟

الجواب: الأولى أن تبقى على إطلاقها كما أنزلت.

(٣)- **سؤال:** ما محل المصدر «أن تقدموا»؟ وما معنى «الفاء» و«إذ» وإعرابها في قوله: «فإذ لم تفعلوا»؟ وكذا الفاء في قوله: «فأقيموا»؟

الجواب: محل المصدر الجر بـ«من» مقدرة، والفاء عاطفة، و«إذ» ظرف لما مضى من الزمان، وفيها رائحة التعليل متعلقة بقوله: «فأقيموا»، والفاء في «فأقيموا» رابطة لتقدم معنى الشرط.

تَعْمَلُونَ﴿١٣﴾﴾ ثم حين امتنعوا استنكر الله تعالىٰ عليهم بخلهم بأموالهم أن يتصدقوا بها وينفقوها في سبيل الله، ثم إن الله سبحانه وتعالىٰ نسخ هذا الحكم وتاب[١] عليهم، وسمح لهم أن يسألوا النبي ﷺ، ولكن ليتأدبوا في حضرته ويحترموا مجلسه، وأمرهم الله تعالىٰ أن يقيموا الصلوات ويؤدوا فرائض الزكاة ويطيعوا أمر الله تعالىٰ وأمر رسوله ﷺ، وليحرصوا علىٰ تقوىٰ الله في سرهم وجهرهم، فإن الله تعالىٰ مطلع علىٰ جميع أعمالهم ظاهرها وخفيها وسيجازيهم عليها.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى[٢] الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ[٣] مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ[٤] وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[٥]﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴿١٦﴾﴾ يعجب الله سبحانه وتعالىٰ هنا نبيه ﷺ من بعض أصحابه

---

(١)- **سؤال:** هل فُهِم النسخ من «وتاب الله عليكم»؟ فما المناسبة بينهما؟

الجواب: فهم النسخ من قوله: «فأقيموا الصلاة...» حيث رتب هذا الأمر علىٰ تركهم لما أمروا به حال كونه مقيداً بالعفو عنهم فيما فرطوا فيه.

(٢)- **سؤال:** ما وجه دخول «إلىٰ» هنا؟

الجواب: كأن «ترىٰ» ضُمِّنت معنىٰ «نظر» فعديت تعديتها، والتضمين في القرآن كثير.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لكونها صلة ثانية لـ«قوماً».

(٤)- **سؤال:** إلام يعود الضمير هذا؟ وهل في قوله: «ولا منهم» توضيح علىٰ أن المتولين غير مشركين أو كالذين تولوهم؟

الجواب: يعود الضمير إلىٰ المنافقين؛ لأنهم وإن كانوا مؤمنين بألسنتهم كفار بقلوبهم، وقوله: «ولا منهم» يدل علىٰ أنهم غير مشركين بل مذبذبين بين ذلك لا إلىٰ هؤلاء ولا إلىٰ هؤلاء.

(٥)- **سؤال:** أين الخبر في قوله: «إنهم ساء ما كانوا يعملون»؟

الجواب: الخبر هو جملة «ساء ما كانوا يعملون» فهي في محل رفع أي: مقول فيهم ذلك.

وهم المنافقون الذين يتولون[1] المشركين ويوادونهم ويناصحونهم مع أنهم في الحقيقة غير مسلمين، ثم يأتون إليه منكرين لما فعلوا، ويحلفون على ذلك الأيمان الغليظة والفاجرة، فهؤلاء قد أعد الله تعالى لهم العذاب الشديد جزاء صنيعهم ذلك، ولهم عذاب مهين على الأيمان الفاجرة التي أقدموا عليها ليتخلصوا بها من عقوبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ[2] فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ لن تفيدهم أموالهم ولا أولادهم بأي فائدة من عذاب الله تعالى، ولا مخلص لهم منه، وهم أصحاب النار خالدين فيها أبداً.

﴿يَوْمَ[3] يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾[4] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن هؤلاء المنافقين الذين كانوا يعتذرون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالأيمان الفاجرة بأنهم يوم القيامة

---

(١)- **سؤال:** هل يصح أن نحمل القوم المغضوب عليهم هنا على اليهود أم لا؟

الجواب: يصح بل قد يكون أقرب لمخالطة المنافقين لليهود في المدينة.

(٢)- **سؤال:** ما فائدة الضمير هذا؟

الجواب: فائدته التأكيد والحصر الادعائي.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما هو العامل في هذا الظرف؟ وما إعراب «كما يحلفون»؟ وأين مفعولا «يحسبون»؟

الجواب: العامل في الظرف قوله «خالدون» أو «اذكر» محذوفاً. «كما يحلفون» جار ومجرور صفة لمصدر محذوف أي: حلفاً مثل حلفهم لكم. «أنهم على شيء» في تأويل مصدر ساد مسد المفعولين.

(٤)- **سؤال:** يقال: كيف نجمع بين مدلول هذه الآية وقوله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ [الملك:١١]، ونحوه؟

الجواب: يجمع بين ذلك بأن يقال: هذه الآية خاصة في المنافقين، وتلك ونحوها في غيرهم من المشركين والكافرين، وذلك أن المنافقين كانوا في الدنيا أهل حيل وخبث ودهاء ومكر ولهم ملكة في التلبيس والتغرير وقلب الحقائق و..إلخ فظنوا يوم القيامة أن ذلك ينفعهم كما كان ينفعهم في الدنيا.

سيحلفون لله تعالى، وسينكرون أعمالهم الخبيثة ظناً منهم أن أيمانهم هذه ستنفعهم عند الله تعالى، وأنها ستخلصهم من عقابه.

﴿اسْتَحْوَذَ[١] عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ۝١٩﴾ سيطر عليهم الشيطان، واستولى عليهم بوساوسه وما يزينه لهم حتى أنساهم الخوف من الله تعالى، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم حزب الشيطان وجنوده، وحكم عليهم بالخسارة وعدم الفلاح في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي[٢] الْأَذَلِّينَ۝٢٠﴾ الذين يحاربون الله تعالى ورسوله، وينصبون العداء لله ورسوله فهم أهل الذلة والخزي في الدنيا والآخرة، كتب الله ذلك عليهم، وأوجب لهم العذاب الشديد في نار جهنم.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي[٣] إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ۝٢١﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنه قد كتب وقضى وقدر بأن الغلبة تكون لله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين، وأن العاقبة سوف تكون لهم[٤].

---

(١)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة وموقعها؟

الجواب: ليس لها محل من الإعراب استئناف بياني في جواب سؤال مقدر عن العلة والسبب في إصرارهم على النفاق وتصلبهم فيه.

(٢)- **سؤال:** ما معنى «في» هنا؟

الجواب: معناها الظرفية أي: في جملة الأذلين.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: «أنا ورسلي»؟

الجواب: «أنا» ضمير فصل مؤكد. «رسلي» معطوف على ضمير الفاعل.

(٤)- **سؤال:** كيف يفسر ما يحصل على بعض الأنبياء والمؤمنين من تغلب أعدائهم عليهم؟

الجواب: المراد بالنصر والغلبة هو أن تكون كلمة الله هي العليا وأن تقوم حجة الله على الناس ولو كره المجرمون، أما الغلبة العسكرية والسياسية فليست مقصودة هنا فقد يتغلب الظالم والكافر على القلة المؤمنة في ساحة القتال وفي الساحة السياسية، ويكون الحق ظاهراً بحجته =

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ[(١)] مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الذين يذيعون أسرار النبي ﷺ وأصحابه وينقلونها إلى الكفار ليسوا مؤمنين بالله تعالى ولا باليوم الآخر، والإسلام منهم بريئ، نهى[(٢)] الله تعالى المسلمين عن مناصحة المشركين وإطلاعهم على أسرار المسلمين من أمور الحرب وخطط الغزو ونحو ذلك مما يعود ضرره على الإسلام والمسلمين[(٣)] ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو من أقرب أقربائهم.

منادياً بعزته وغلبته، فمن هنا ما زال الحق ظاهراً إلى اليوم مع ما تعرض له من المحاولات المتواصلة لطمسه، وما زالت المحاولات لطمسه إلى اليوم محاولات جادة حثيثة، ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾.

(١)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: محلها النصب مفعول به ثان لـ«تجد».

(٢)- **سؤال:** يقال: من أين نفهم هذا النهي؟

الجواب: ليس هناك نهي صريح، ولكن الموادة للمشركين لما كانت منافية للإيمان دل على أن الله نهى عنها وحرمها، والموادة هي مناصحة المشركين وإخبارهم بعوراة المسلمين وإطلاعهم على أسرارهم ونقل أخبارهم ونحو ذلك.

(٣)- **سؤال:** هل هذا ضابط للموادة لهم؟ أم لا زال لها معنى أوسع مع تعليل ما أوردتموه؟

الجواب: «من حاد الله ورسوله» هم الذين نصبوا أنفسهم لحرب الله ورسوله معلنين الحرب، وقد كانت قريش هي العدو الأول الذي نصب نفسه لحرب الله ورسوله ﷺ، وسلوا سيوفهم على النبي ﷺ وعلى دينه وأتباع دينه، فنهى الله تعالى المؤمنين عن تقديم أي خدمة لهؤلاء أو منفعة يمكن أن ينتفعوا بها في حربهم على الإسلام ودين الإسلام سواء أكانت مادية كبيعهم السلاح أو الكراع أو إقراضهم المال أو توفير الطعام والشراب لهم ولدوابهم، أم غير مادية كالبعث لهم بأسرار المسلمين وأعداد جيشهم ونوع سلاحهم وكميته وأسماء قواده وحراسه... وإلى آخره، وتماماً كما تفعل المخابرات في هذا الزمن، وعملها واسع في الداخل أي: في صفوف المسلمين من بث الإشاعات المرجفة ونشر الذعر والتفريق بين المسلمين وزرع العداوات بينهم، والتغلغل في المناصب الحساسة، ونشر الدعايات ضد المخلصين، والترويج للمفسدين، والسعي في إفشال كل عمل صالح سياسي أو عسكري، ومحاولة نشر الفوضى ودعم المفسدين وقطاع الطرق وتشجيع النهابين والسرق وحمايتهم، وإلى آخر ما يمكن من إفساد عام أو خاص. وفي الخارج يبعثون أسرار الدولة وأخبارها ورجالها =

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ[(١)] اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿٢٢﴾[(٢)]﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن المسلمين[(٣)] الذين لا يوادون المشركين ولا يناصحونهم بأنه قد ملأ[(٤)] قلوبهم إيماناً، وزادهم تنويراً[(٥)] وهدى في قلوبهم، وأنهم حزب الله تعالى وجنده الذين سيظفرون ويفوزون بثواب الدنيا والآخرة.



وسياستها وقوة رجالها وضعفهم وكل معلوماتهم ونقاط ضعفهم و.. إلخ.

(١)- **سؤال:** ما الوجه في فصل هذه الجملة عما قبلها مع قوله: «ورضوا عنه»؟

الجواب: فصلت لأنها استئناف بياني أي: في جواب سؤال مقدر. «ورضوا عنه» معطوفة على ما قبلها.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في جعل هذه الآية خاتمة للسورة؟

الجواب: في الآية إشارة إلى تمام السورة ونهايتها وذلك من حيث أن دخول الجنة ورضوان الله هو الغاية من إنزال القرآن والنهاية التي ينتهي إليها المؤمنون.

(٣)- **سؤال:** من أين نفهم بأن هذا هو المشار إليه في سياق الآية؟

الجواب: نفهم ذلك من ورود الإشارة عقيب ذكره للمؤمنين بالله واليوم الآخر.

(٤)- **سؤال:** إذا كان هذا هو زيادة الهدى والتوفيق فقد أفاده «بروح منه» فكيف؟

الجواب: «كتب في قلوبهم الإيمان» بمعنى: ملأها إيماناً أي: لم يبق فيها مكان للنفاق. «وأيدهم بروح منه» هو التنوير والبصيرة والتوفيق.

(٥)- **سؤال:** ما الوجه في إطلاق الروح على التنوير؟

الجواب: لأن القلوب تحيا بالروح فتبصر مراشدها وتهتدي في طريقها.

سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝١﴾ كل ما خلقه الله سبحانه وتعالىٰ في السماوات والأرض فهو يشهد له بالربوبية والعلم والحكمة والقدرة، وتنزهه عن الشريك والمثيل، وما في كل ذلك من الإتقان والإبداع آية ناطقة بذلك.

والله تعالىٰ هو العزيز الغالب الحكيم الذي لا يظلم العباد ولا يفعل الفساد وأفعاله كلها حسنة مبنية علىٰ الحكمة.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ[1] أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ[2] اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ۝٢﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه هو الذي أخرج بقوته وقدرته بني النضير من ديارهم، وألقىٰ في قلوبهم الرعب حتىٰ

---

(١)- **سؤال:** فضلاً بماذا تعلق الجار والمجرور هنا؟ وما معنىٰ اللام في قوله: «لأول الحشر»؟ وأين مفعولا «ظننتم»؟ وما إعراب: «ما نعتهم حصونهم»؟ وما محل جملة: «يخربون بيوتهم»؟

الجواب: «من أهل الكتاب» متعلق بمحذوف حال من الموصول. واللام في قوله: «لأول الحشر» هي لام التوقيت أي: عند أول الحشر، وهي كاللام في قولك: جئت لوقت كذا. «أن يخرجوا» تأويل مصدر مفعول ظننتم، وهو ساد مسد المفعولين. «مانعتهم» خبر «أن»، و«حصونهم» فاعل مانعتهم، ويجوز كون «حصونهم» مبتدأ مؤخر، و«مانعتهم» خبر مقدم والجملة رفع خبر «أن». «يخربون بيوتهم» قد تكون في محل نصب حال من الضمير في قلوبهم، ويصح أن تكون مستأنفة.

(٢)- **سؤال:** ما المراد بقوله: «فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا»؟

الجواب: المراد أن الله تعالىٰ أتاهم بنكاله من حيث لم يتوقعوا.

خرجوا وتركوا أموالهم وديارهم.

وكان سبب خروجهم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حاصرهم بعد غزوة الخندق عندما نقضوا العهد والصلح الذي كان بينهم وبين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكانوا قد اتخذوا لهم حصوناً منيعة حول قراهم ليدافعوا عن أنفسهم من ورائها، ولكن بعد أن ضيق عليهم المسلمون واشتد عليهم الحصار اتفقوا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يخرجوا من ديارهم وأموالهم ويتركوها للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمين مقابل سلامة أرواحهم، وقد شرط عليهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن لا يأخذ أحد من أمواله إلا ما يحمله بعيره، ثم خرجوا إلى بلاد الشام، وقد كانوا أهل ثراء وغنى وأموال طائلة فتركوا بعدهم كل أموالهم وثرواتهم؛ فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه هو الذي قذف في قلوبهم الرعب، وقد كانوا أهل شدة وبأس وقتل وقتال، ولا يتصور أحد أو يكون في حسبانه أنهم سيخرجون بكل تلك السهولة مخلفين وراءهم كل ما يملكون.

وقد أراد الله سبحانه وتعالى بأول[1] الحشر: هو حشرهم ونفيرهم إلى بلاد الشام، وأما الحشر الثاني: فهو عندما يحشرهم الله سبحانه وتعالى يوم القيامة.

وقد خربوا بيوتهم وقطعوا أشجارهم قبل خروجهم لئلا ينتفع بها المسلمون بعدهم، وكان المسلمون كذلك يخربون[2] بيوت اليهود ويقطعون نخيلهم وأشجارهم من شدة ما يجدون من الكراهية لهم والحقد عليهم.

ثم أمر الله سبحانه وتعالى عباده أهل العقول أن يعتبروا بما جرى عليهم، وأن

---

(١)- **سؤال:** هل يمكن أن يفسر أوله ببداية الحشر فيقابل نهايته وذلك إخراج بقية أهل القرى إلى الشام فما رأيكم؟

الجواب: قد فسر الحشر الثاني بما ذكرنا وفسر أيضاً بما ذكر في السؤال وهو إخراج بقية اليهود من جزيرة العرب وترحيلهم إلى الشام.

(٢)- **سؤال:** هل باشر المسلمون التخريب حال الحصار أم كيف؟

الجواب: نعم باشروا الخراب لقوله تعالى: ﴿بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ينظروا كيف كانت عاقبة المكذبين بأنبياء الله تعالى ورسله[(١)].

﴿وَلَوْلَا أَنْ[(٢)] كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ[(٣)] فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ۝٣﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لولا ما سبق من قضائه وكتب في علمه من إجلائهم من المدينة -ولم يقض الله تعالى الجلاء إلا لحكمة ومصلحة[(٤)]-

---

(١)- **سؤال:** من أين أخذ أصحابنا أن هذه الآية دليل على حجية القياس؟

الجواب: أخذوا ذلك من قوله: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ۝٢﴾ وذلك من حيث أن المعنى: اعتبروا فلا تفعلوا مثل فعل هؤلاء اليهود فيلحقكم من العقوبة مثل ما لحقهم، وذلك متضمن للأصل والفرع والعلة والحكم.

(٢)- **سؤال:** ما موضع المصدر المؤول هنا؟

الجواب: موضعه الرفع مبتدأ والخبر محذوف أي: موجود.

(٣)- **سؤال:** ما محل الجملة الاسمية هذه؟

الجواب: لا محل لها؛ لأنها مستأنفة والواو للاستئناف والعطف على ما قبلها لا يصح؛ لأن الواو لو كانت عاطفة لامتنع العذاب لهم في الآخرة؛ لأن الواو للجمع في الحكم، وما قبلها ممتنع وهو قوله: ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾.

(٤)- **سؤال:** هل يمكن أن يعرف المرشد شيئاً من الحكمة والمصلحة هذه؟

الجواب: ليس هناك ما يمكن تحديده من أسرار الحكمة والمصلحة حتى نجزم بأن الحكمة والمصلحة هي كيت وكيت إلا أنه يمكننا في هذا العصر أن نقول: يحتمل أن يكون من أسرار الحكمة والمصلحة هو ما أراده الله تعالى من استخراج ما أودعه الله تعالى في الأرض من أسرار ومنافع للناس تم اكتشافها منذ قرن تقريباً أو أكثر، وكان لليهود دور في تقدم الصناعة وتطورها، وقد كانوا ذوي مهارة في الصناعة منذ القدم، ففي عهد موسى عليه السلام صنع السامري عجلاً جسداً له خوار، وهذا مع ما يريده الله تعالى من ابتلاء اليهود والابتلاء بهم في الأرض؛ فهذا قد يكون بعضاً من أسرار الحكمة والمصلحة، والله أعلم. وعلينا أن نعلم أن أفعال الله تعالى مبنية على الحكمة والمصلحة وإن جهلنا وجهها، وقد قال تعالى للملائكة حين سألوا واعترضوا على خلقه تعالى لآدم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ۝٣٠﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ۝٢١٦﴾ [البقرة].

لعذبهم في الدنيا بالقتل كما عذب إخوانهم من بني قريظة.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ۝﴾ وسبب خروجهم وإجلائهم إلى بلاد الشام هو أنهم عاندوا الله سبحانه وتعالى ورسوله، ونصبوا الحرب والعداء لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وللإسلام والمسلمين، ومن يعاد الله فإن الله شديد العقاب.

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ۝﴾[1] في حال حصار بني النضير كان ناس من المسلمين يقطعون أشجار نخيلهم واعترض عليهم أناس آخرون ونهوهم عن ذلك، وأمروهم أن يتركوها لينتفع بها المسلمون بعدهم؛ فنزلت هذه الآية تخبرهم أنهم قد أحسنوا جميعاً، وأن كلاً من الفريقين مصيب[2] فيما رأى، وأن القطع والترك كلاً بإذن الله

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «ما قطعتم» و«قائمة»؟ وعلام عطف «وليخزي الفاسقين»؟ ومم اشتقت «لينة» حتى صار معناها نخلة؟

الجواب: «ما» اسم شرط مفعول به مقدم، «قطعتم» فعل ماض وفاعل، «من لينة» متعلق بمحذوف وهو لبيان الإبهام الذي تحمله «ما» والتقدير: أي لينة قطعتم، «قائمة» حال، و«ليخزي» معطوف على «بإذن الله» على المعنى فالفاء سببية، «لينة» اسم للنخلة مأخوذة من اللين.

(٢)- **سؤال:** هل يؤخذ من هنا صحة القاعدة «كل مجتهد مصيب» حيث التبست على المؤمنين المحاصرين الأمارات ولم يعلموا إرادة الله للأمرين إلا بعد نزول الآية، كما تلتبس على المجتهد الأمارتان فيعمل بما رجح له منهما؟ وهل يمكن أن يقال بأن فيه رائحة دلالة على إمكان تعدد الحق في المسألة الواحدة؛ إذ أخبر سبحانه أن الضدين القطع والترك بإرادته ولو كان العقل يستبعد ذلك في المسائل الشرعية؟

الجواب: الذي يؤخذ من الآية صحة الاجتهاد فيما لا دليل عليه، وجواز الاختلاف في المسائل الاجتهادية؛ لأن الله تعالى أقرهم على الاجتهاد والاختلاف ولم ينكر عليهم، والحق متعدد في هذه المسألة فهو مع الفريقين جميعاً ، فمن قطع النخل فمن أجل إغاظة العدو وإغاظة العدو مطلوبة ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ [التوبة:١٢٠]، واستبقاء النخل وتغنمها مطلوب لله
=

تعالى وإرادته، أما القطع فلما في ذلك من الإغاظة لليهود وإخزائهم، وأما الترك فلما سيحصل في بقائها من الفائدة والنفع فيها بعد للمسلمين.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا(١) أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ لا تطمعوا أيها المسلمون في غنائم بني النضير فهي لرسوله ولا نصيب لكم ولا حظ في شيء منها؛ لأنكم لم تغيروا عليها بخيلكم وإبلكم ورجالكم(٢) حتى تستحقوا شيئاً

وشرع مشروع في الإسلام كما ذلك معلوم.

ويمكن أيضاً تعدد الحق في نحو جزاء قتل الصيد ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة:٩٥]، فلم يحدد الله فيه مقدار الجزاء بل وكله إلى حكمين فإذا حكم حكمان في قتل ثعلب مثلاً بمقدار من الجزاء ثم حدث لقوم آخرين فحكم فيه حكمان منهم بمقدار من الجزاء مخالف لحكم صدر من حكمين فكل ذلك حق، وهكذا في أروش الجنايات التي لم يرد فيها دليل، وفي قيم المتلفات، أما ما ورد فيه أمارات فلا يتعدد الحق تبعاً لتعدد المجتهدين.

(١)- **سؤال:** هل الخبر هنا مقدر وهذا إنما هو الدليل عليه أم كيف؟ ومم أخذت لفظة «أوجفتم»؟وما معناها بالتدقيق؟ وهل «من» في قوله: «من خيل» زائدة صلة وتأكيد أم لا؟

الجواب: «فما أوجفتم..» هو الخبر من قيام السبب مقام المسبب، والأصل: فهو لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنكم لم توجفوا عليه، ويصح أن يكون: «فما أوجفتم» جواب للشرط وتكون «ما» في: «وما أفاء الله..» شرطية فتكون الجملة في محل جزم. «أوجفتم» مأخوذة من الوجيف يقال: وجف الفرس والبعير وجيفاً أي: اسرع وعدا، و«من» صلة وتأكيد في قوله: «من خيل».

(٢)- **سؤال:** قد يقال: بأن المسلمين جيشوا عليهم وحاصروهم وهم مدججون بأسلحتهم وعتادهم؛ فكيف؟

الجواب: كانت بنو النضير على ميلين من المدينة سار المسلمون إليها على أقدامهم، وقد كان بنو النضير تحصنوا في حصونهم وأغلقوا أبوابها، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فصالحوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غير قتال ولا طول حصار فأجراها الله تعالى مجرى القرى التي أجلي أهلها منها من غير حرب ولا حصار، وقد قيل إن هذه الآية نزلت في غنائم القرى التي أجلي أهلها عنها قبل أن يصل إليها المسلمون كفدك و...، وعليه فيرتفع الإشكال.

منها، وأمرهم أن يتركوها للنبي ﷺ فهي فيء من الله تعالىٰ لنبيه ﷺ.
ومعنىٰ «وما أفاء الله» : والذي ردّه الله وأعاده.

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً[1] بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾[2] ما أفاء الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ رسوله من أموال بني النضير فهو مختص به وحده لا نصيب لأحد فيه، وأما ما أفاءه الله تعالىٰ علىٰ رسوله من بقية قرىٰ[3] اليهود ومساكنهم فهو لهؤلاء

---

(١)- **سؤال:** مم اشتقت كلمة «دولة»؟ وما نوع اسميتها؟

الجواب: «دولة» مأخوذة من قولهم: دال المال أو الملك لفلان بمعنىٰ: دار، و«دولة» اسم مصدر بمعنىٰ الشيء المتداول.

(٢)- **سؤال:** يقال هذه الآية ذكرت مصارف الخمس التي في آية الأنفال فهل هي علىٰ إطلاقها بمعنىٰ أن يصرف جميع الفيء في هؤلاء الأصناف؟ أم أنها مقيدة بما في الأنفال فيصح صرف الأربعة الأخماس في غيرهم من المسلمين؟

الجواب: هي علىٰ إطلاقها فتصرف المغانم كلها في هؤلاء المصارف المذكورين فقد صرفت للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، ولم يأخذ منها الأنصار شيئاً، وقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ الأنصار في الآية التالية بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا...﴾ الآية فطابت نفوس الأنصار ولم تضق صدورهم بما أخذه المهاجرون من المغانم دونهم.

(٣)- **سؤال:** يقال: ما الفرق بين هذا وبين بني النضير حتىٰ يختلف حكماهما؟ بل الذي يفهم أن بقية القرىٰ كفدك والعوالي وغيرها هي التي استسلمت بهيبة رسول الله ومن معه دون القتال فكيف؟ أم أن المراد بأهل القرىٰ خيبر ونحوها مما احتيج فيها إلىٰ قتال؟

الجواب: قرىٰ اليهود بالنسبة للغنائم ثلاثة أقسام:

١- خيبر وما حولها قسمت علىٰ جميع الغانمين بلا إشكال.

٢- قسم استسلموا وفروا خوفاً ورعباً مثل فدك والعوالي فهذا خاص لرسول الله ﷺ.

٣- بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع و.. حوصروا وقوتلوا فهم أهل هذه الآية فقسم النبي ﷺ غنائمها علىٰ المهاجرين ولم يقسم للأنصار إلا لرجلين كانا فقيرين كما ذكر، =

الأصناف الذين قد أراد الله تعالىٰ أن يجعلها فيهم وأن لا يملكها أحد غيرهم.

وذوو القربىٰ: هم قرابة النبي ﷺ، واليتامىٰ والمساكين: هم من الذين هاجروا مع النبي ﷺ، وابن السبيل: المسافرون المنقطعون عن أهلهم وأموالهم وديارهم، ومعنىٰ «دولة بين الأغنياء» : أي يتداوله الأغنياء.

﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ۝٧﴾[1] فإن أعطاكم النبي ﷺ شيئاً فخذوه فهو حلال لكم، وما نهاكم عنه فانتهوا[2].

ثم أمرهم الله سبحانه وتعالىٰ أن يتقوه، وألا يخالفوا تعاليمه أو يطمعوا فيما ليس لهم فيه حق من المغانم وغيرها.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ[3] فَضْلًا

ولعل رسول الله ﷺ لم يقسم لجميع المسلمين بل قسم للمهاجرين؛ لأن الغنائم كانت غنائم باردة، لم يسل فيها سيف ، ولم يتكلف لها سفر ولا زاد؛ لقربها من المدينة، والله أعلم.

(١)- **سؤال:** فضلاً إلام يرشدنا تذييل الآية بقوله: «إن الله شديد العقاب»؟

الجواب: يرشدنا ذلك ويحملنا علىٰ امتثال ما أمرنا به الرسول ﷺ وترك ما نهانا عنه، وفيه التحذير من مخالفته ومعصيته.

(٢)- **سؤال:** هل يصح تعميم الاستدلال بهذه الآية علىٰ لزوم الأخذ بما أمرنا به رسول الله ﷺ أو نهانا عنه؟ ومن أي دلالة؟ أم أنها مقصورة علىٰ النهي في الأموال أو إعطائها؟

الجواب: الآية عامة فتعم الأموال وغيرها من الأوامر والنواهي فـ«ما» من ألفاظ العموم أي: أي شيء آتاكم الرسول فخذوه، والإتيان والأخذ غير مختص بالمال فقد جاء في الشرائع والأوامر والنواهي: ﴿ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾ [الأعراف:١٧٥]، ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ [الجاثية:١٧]، ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة:٦٣]، والذي آتاهم الله هي أوامر التوراة ونواهيها وشرائعها وأحكامها ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢].

(٣)- **سؤال:** ما محل جملة «يبتغون»؟ وهل جملة «أولئك هم الصادقون»؟ استئنافية أم ماذا؟

الجواب: «يبتغون» نصب علىٰ الحالية. «أولئك هم الصادقون» مستأنفة لتأكيد ما قبلها وتقريره.

مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴿٨﴾﴾[(١)] هذا تفسير للفقراء الذين ذكرهم في الآية السابقة: ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، فأخبر أنهم من الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة، وطردهم المشركون من ديارهم وجردوهم من جميع أموالهم حتى أصبحوا لا يملكون شيئاً من متاع الدنيا، وقد اتخذوا لهم ناحية في المسجد يسكنونها لا يجدون[(٢)] لهم مسكناً غيرها فسموا

---

(١)- **سؤال:** ما الذي يستفاد من هذه الآية من أحكام فقهية؟

الجواب: يستفاد منها:

١- أن الكفار الحربيين يملكون ما استولوا عليه من أموال المسلمين المنقولة وغير المنقولة.

٢- أن الكفار لا يطالبون بما استولوا عليه؛ لأنهم قد ملكوها.

٣- أنهم إذا ملكوها على المسلم الغني صار فقيراً تصرف فيه الزكاة ونحوها.

٤- أنه ينبغي أن يحظى الفقير الذي افتقر بعد غنى بعناية خاصة زائدة على سائر الفقراء، ومثله الفقير الذي هجر وطنه لطلب العلم.

(٢)- **سؤال:** يقال: ألم يكن بعض المهاجرين أو أغلبهم قد سكن في بيوت الأنصار كما ذكرتموه في الآية التالية؟ وأيضاً يصدق على هؤلاء الذين سكنوا البيوت الأوصاف التي ذكرتها الآية فكيف؟ وهل يقتضي عطف «والذين تبوءوا الدار» عليهم استحقاق الأنصار للصرف فيهم؟ أم ترون الواو استئنافية فما المرجح لذلك؟ وفي ذهني استدلال الإمام الهادي عليه السلام بهذه الآيات الثلاث على لزوم ترتيب الصرف بين المهاجرين ثم الأنصار ثم أخلاط المسلمين، فما رأيكم؟

الجواب: نعم قد كان بعض المهاجرين سكنوا في بيوت الأنصار مع أنهم من جملة الفقراء، وإنما كانت الصفة أكبر مجمع لفقراء المهاجرين، أما صفة الفقر فهي تعم أهل الصفة ومن سكن البيوت من المهاجرين.

الواو في قوله: «والذين تبوءوا الدار..» صالحة لأن تكون عاطفة لما بعدها على الفقراء فيكون للذين تبوءوا الدار والإيمان نصيباً وحقاً من الغنائم تلك (الفيء) إلا أنه يوجد موانع من العطف، وذلك قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ وأهل المدينة كانوا أغنياء بما

=

أهل الصُّفَّة، فأمر الله سبحانه وتعالى بقية المسلمين أن يتركوها لهؤلاء الفقراء المهاجرين الذين طردهم المشركون، والذين ضحوا بديارهم وأموالهم من أجل الحفاظ على دينهم، وآثروا طاعة الله تعالى ونصر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ[(١)] مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا[(٢)] أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ثم أثنى الله سبحانه وتعالى على أهل المدينة لما آووا النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو ومن هاجر معه وفتحوا لهم بيوتهم، وتحملوا في سبيل إيوائهم وسد فاقتهم المشاق، وآثروهم على أنفسهم بأموالهم من دون أن يحملوا في أنفسهم أي ضغينة عليهم أو يظهر عليهم شيء من علامات الكراهية أو التثاقل لهم، وأيضاً لأجل أنه لم تظهر عليهم أي أمارة من أمارات الحسد عندما آثرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم بالغنائم التي غنمها من اليهود، ولم يظهر منهم أي اعتراض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولأنهم ضحوا

عندهم من مزارع النخيل، وقوله تعالى في مدحه للأنصار: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فإن ذلك يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خص المهاجرين بالفيء دون الأنصار.

واستدلال الإمام الهادي عليه السلام صحيح، ولا يلزم منه أنهم شركاء مع المهاجرين في الفيء المذكور، ومراد الهادي عليه السلام أن استحقاق ذلك هو بالنصرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان المهاجرون هم السباقين في النصرة ثم الأنصار في الدرجة الثانية ثم..؛ لذلك فيخص المهاجرون بالخمس أو الفيء فإن لم يكن مهاجرون فيعطى للأنصار، فإن لم يكن أنصار فللمسلمين..

(١)- **سؤال:** يقال: قد نفهم التبوء للدار فكيف التبوء للإيمان؟

الجواب: يقال: المعنى تبوأوا الدار واعتقدوا الإيمان أي: أن هنا فعلاً مقدراً كقوله: علفتها تبناً وماءً بارداً أي: وسقيتها ماءً بارداً.

(٢)- **سؤال:** ما معنى «مما» هنا؟

الجواب: معنى «من» التعليل أي: من أجل ما أوتوا.

بأنفسهم وأموالهم من أجل من هاجر إليهم فكانوا يمسون جائعين ليشبعوا جوعتهم. ومعنى «تبوءوا الدار والإيمان» : توطنوا المدينة واعتقدوا الإيمان وتمكنوا فيه. ومعنى «خصاصة» : فقر وحاجة.

﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۝٩﴾ وكان أهل المدينة أهل كرم وسخاء وإيثار، فأثنى الله سبحانه وتعالى عليهم ومدحهم على ذلك، ومن تحلى بهذه الصفة وجنب نفسه البخل والحرص على المنع فهو الذي سيظفر بثواب الله تعالى والفوز بالنعيم الدائم.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ۝١٠﴾ وأثنى الله سبحانه وتعالى أيضاً على الذين أسلموا متأخرين وكانوا يدعون لمن سبقهم بالإيمان بالمغفرة، وأن يذهب ما في قلوبهم من الغل والحقد[1] عليهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ[2] الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

---

(١)- **سؤال:** هل تريدون الغل والحقد المتبقي من زمان كفرهم أم ماذا؟ وهل يصح أن يحمل على الوحشة وما قد يحصل بين الصالحين من التحسسات فيقال بأنها لا تخل بإيمانهم أم لا؟

الجواب: المراد الغل المتبقي من زمان الكفر بسبب القتل الذي حصل فيهم من المسلمين كقريش وأهل حنين وبني المصطلق وغيرهم ممن قاتل رسول الله ﷺ والمؤمنون، وليس المراد الوحشة والتحسسات فإنها عامة للجميع وليست خاصة بالذين جاءوا من بعد الأولين.

(٢)- **سؤال:** كيف نجمع بين هذه الآية والآية المتقدمة في المجادلة ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾؟ وهل يمكن أن نستفيد من هذه الآية أن القوم الذين غضب الله عليهم هناك هم اليهود أم لا؟

الجواب: لا معارضة بين الآيتين فالمراد هنا أنهم إخوانهم في الباطن؛ إذ يجمعهم الكفر دون الظاهر فظاهرهم أنهم مسلمون غير كافرين، وبسبب النفاق (كفر الباطن) كانوا مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

وفيها دليل على أن القوم الذين غضب الله عليهم هناك في آية المجادلة هم اليهود.

لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ[١] فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ[٢] يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝١١ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ۝١٢﴾ يعجب الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ من أمر المنافقين وما كانوا يعملونه مع اليهود من تشجيعهم على عقائدهم والدفع بهم على النبي ﷺ، وأن يتمسكوا بدينهم، وأن لا يتضعضعوا للنبي ﷺ أو يضعفوا أمامه، فلا يتفاوضوا معه ﷺ بالموافقة على الخروج من المدينة، وكيف كانوا يعدونهم بأنهم سوف ينصرونهم عليه، وسيقفون معهم ضد النبي ﷺ، وأنهم إن خرجوا ليخرجن معهم فأخبر سبحانه بحقيقتهم، وأن كل ما يمنون به اليهود ويعدونهم به كذب وأماني كاذبة، وأنهم لن يفعلوا مع اليهود أي شيء من ذلك الذي يعدونهم به فطبيعتهم الجبن والخوف.

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ[٣] بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝١٣ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى المسلمين أن طبيعة اليهود الخوف والجبن وأنهم لن يجرؤوا على مواجهتهم ومقاتلتهم، وأنهم إن قاتلوهم فلن يقاتلوهم إلا من وراء حصونهم[٤].

(١)- **سؤال:** علام عطف هذا الفعل؟

الجواب: عطف على «لنخرجن معكم» فلا محل له من الإعراب، وذلك من عطف الجمل لا الفعل وحده، ويصح أن تكون الجملة «ولا نطيع ..» معطوفة على جملة القسم وجوابه.

(٢)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: محلها النصب على الحال.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في جعل هذا سبباً في خوفهم من المسلمين وأنه أعظم من خوفهم من الله؟

الجواب: الوجه هو أنهم لا يؤمنون بالله فلا يشعرون بمخافته أما المؤمنون فإنهم يخافونهم؛ لأنهم يرونهم بأعينهم ويرون بأسهم بعدوهم.

(٤)- **سؤال:** هل نستفيد بهذا أن معنى «من وراء جدر» نفس معنى: «في قرى محصنة»؟ وما محل الجار والمجرور «في قرى»؟

الجواب: قد تكون القرى محصنة بسبب إحكام بناء البيوت والقصور، وهكذا كانت بيوت اليهود

=

﴿بَأْسُهُمْ(١) بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ(٢) جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴿١٤﴾﴾ وأما قتالهم فيما بينهم فهم أهل قتال وبأس شديد، وإذا رآهم الرائي حسبهم على كلمة واحدة والحال أنهم مختلفون فيما بينهم لا يجتمعون على رأي.

﴿كَمَثَلِ(٣) الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿١٥﴾﴾ ثم أخبر الله تعالى عن هؤلاء اليهود بأن صفتهم في عنادهم وحربهم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كصفة قريش، وقد أذاقهم الله وبال تكذيبهم، وسلط عليهم نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقتل صناديدهم وكبارهم جميعاً يوم بدر، وسيذوق اليهود وبال أمرهم وعاقبة(٤) كفرهم.

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ(٥) قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴿١٦﴾﴾ مثل المنافقين في تشجيعهم لليهود وتحريضهم

في المدينة، والمراد بالجدر الأسوار التي تبنى على مجموع البيوت أو على المزارع، وقوله : «في قرى» متعلق بمحذوف حال من فاعل « يقاتلونكم».

(١)- **سؤال:** ما وجه فصل هذه الجملة عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لأنها مستأنفة في جواب سؤال مقدر.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن تحمل هذه الجملة على التفسير لسابقتها أم لا؟

الجواب: هي مستأنفة كسابقتها لبيان أن أهواءهم مختلفة، والأولى لبيان أنهم ذوو شجاعة وفتك وتأثير كبير عند القتال وليسوا جبناء ولا ضعافاً إلا أمامكم أيها المؤمنون.

(٣)- **سؤال:** ما موضع الكاف ومجروره هنا؟ وما إعراب «قريباً»؟

الجواب: موضع الكاف ومجرورها الرفع خبر مبتدأ محذوف أي: هم كمثل. «قريباً» ظرف زمان أي: أنه صفة والتقدير: زمناً قريباً، فناب قريباً مناب الظرف.

(٤)- **سؤال:** هل الوبال بمعنى العاقبة فمم أخذ؟ أم له بالتحديد معنى آخر فما هو؟

الجواب: الوبال: هو سوء عاقبة أمرهم وهو مأخوذ من «وبُل» بضم الباء يوبل وبالاً، ويقال: كَلَأٌ وبيل، أي: وخيم ثقيل، ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴿١٦﴾﴾ [المزمل]، أي: شديداً.

(٥)- **سؤال:** ما العامل في «إذ» الظرفية هذه؟

الجواب: العامل فيه الاستقرار الذي تعلق به الجار والمجرور «كمثل...».

على النبي ﷺ كمثل الشيطان مع ابن آدم عندما ينصب حبائله وشباكه لإغواء الخلق حتى يتمكن منهم، ثم يتركهم يلقون جزاء غيهم وضلالهم، فالمنافقون كذلك تركوا اليهود للنبي ﷺ من دون أن يحركوا معهم ساكناً أو ينصروهم أو يدفعوا عنهم كما وعدوهم. ومعنى قول الشيطان «إني أخاف الله» : من أن يعذبني معك.

﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا(١) أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۝١٧﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن مصير المنافقين واليهود والشيطان ومن استجاب له واتبعه نار جهنم خالدين فيها.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ(٢) مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ(٣) وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾(٤) ثم بعد أن أخبر الله سبحانه وتعالى عن المنافقين بما أخبر- وجه خطابه إلى المؤمنين فأمرهم أن يعملوا لأنفسهم الأعمال الصالحة، ويحرسوها من الوقوع في الزلل، وأن لا يظنوا أنهم في مأمن من عذاب الله تعالى، فليحذروا أن يقعوا في مصائد الشيطان، وليحافظوا على تقوى الله، وأن يحاسبوا أنفسهم ولينظروا ما قد قدموا لآخرتهم من أعمال البر والإحسان، وقد كرر الله

---

(١)- **سؤال:** علام انتصب «عاقبتهما»؟ وما محل المصدر «أنهما في النار»؟ وما إعراب «خالدين»؟

الجواب: انتصب «عاقبتهما» على أنه خبر «كان». «أنهما في النار» في محل رفع اسم كان. ««خالدين» حال.

(٢)- **سؤال:** من أين نستفيد عموم الأنفس هنا؟

الجواب: «نفس» هنا ليست عامة إلا أن العموم يؤخذ ويستفاد من مكان آخر، وذلك من حيث أن التكليف عام لكل نفس بالغة، وترك لفظ العموم هنا للعلم به مما ذكرنا، ولنكتة بلاغية وسر بياني هي -والله أعلم- الإشارة إلى قلة النفوس الناظرة لأنفسها المستعدة بجميل أعمالها الصالحة ليوم لقاء الله.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في تسمية الآخرة بـ«غد»؟

الجواب: الوجه هو تقريبها للناس وأنها عند الله في قربها كاليوم وغده.

(٤)- **سؤال:** ما الحكمة في تذييل هذه الآية المباركة بقوله: «إن الله خبير بما تعملون»؟

الجواب: الحكمة هي التحذير من عاقبة ما يضمرونه في القلوب مما لا يرضي الله.

سبحانه وتعالى الأمر لهم بتقواه لينبههم ويشدد عليهم في الحرص والمحافظة على تقواه، وأن لا يتساهلوا في شيء من المعاصي مطلقاً أو يقصروا في شيء من الطاعات.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ۝١٩﴾ ونهاهم أن يكونوا كمن سبقهم من أهل[1] الكتاب الذين استرسلوا في أهوائهم وشهواتهم ناسين وغافلين عن طاعة الله تعالى.

ثم أخبر الله تعالى أنه بسبب نسيانهم وغفلتهم أنساهم أنفسهم[2]، وسلبهم ألطافه وتركهم في غيهم وضلالهم دون أن ينبههم أو يذكرهم بألطافه، وحكم عليهم بأنهم خارجون عن طاعته وحدود شريعته مستأهلون لعذابه وسخطه.

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ۝٢٠﴾[3] لا يظن المنكرون للبعث والحساب أن الأمر[4] كما يظنون من أنه

---

(١)- **سؤال:** يقال: من أين نستطيع أن نفهم أنهم من أهل الكتاب؟

الجواب: من حيث أن المخاطبين لا يعرفون غيرهم ممن ذكرهم الله بالرسل والكتب.

(٢)- **سؤال:** هل النسيان في «نسوا الله» حقيقة أم مجاز؟ وهل هو كذلك في: «فأنساهم أنفسهم»؟

الجواب: النسيان هنا هو حقيقة بدليل: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد:١٦]، فلم يعد في قلوبهم خوف من الله ولا ذكر لأمره ونهيه ووعده ووعيده فإذا عرضت لهم المعصية عملوها غير ذاكرين أن الله قد نهى عنها وحرمها وتوعد بالعذاب الشديد عليها، وأيضاً لا يذكرون أمر الله بما فرضه عليهم ولا وعيده على من ترك امتثال أمره، ولا ثوابه لمن عمل بطاعته فهم في حالة نسيان دائم مستحكم، مع أنهم أهل كتاب أنزله الله عليهم فيه أمر الله ونهيه ووعده ووعيده وفيه الهدى والنور. وقوله: «فأنساهم أنفسهم» فالمقصود أن الله تعالى سلبهم الألطاف والتوفيق والتنوير بسبب معاصيهم ونسيانهم لذكر ربهم.

(٣)- **سؤال:** ما السر في فصل جملة «أصحاب الجنة هم الفائزون» عما قبلها؟

الجواب: فصلت لأنها في جواب سؤال مقدر.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما الموجب أو الحامل على هذا التأويل؟

الجواب: قد استنكر الله تعالى على الكافرين تسويتهم بين المؤمن والفاسق المجرم فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ

=

لا بعث ولا حساب، فلا بد من أن يبعث الله سبحانه وتعالى الناس جميعاً ليثيب المحسنين على إحسانهم، ويعذب الكافرين والمنافقين على إساءتهم.

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ(١) خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴿٢١﴾﴾ لكم أيها الناس في هذا القرآن عظة وعبرة بالغة تلين لها القلوب القاسية لو أنكم تدبرتم آياته وتفكرتم فيها، ولو أنزل الله هذا القرآن على جبل لهبط وخشع لعظمة الله، ولتأثر بما نزل عليه من آياته العظيمة على الرغم من قساوته وصلابته(٢)، وهذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى ليصور لعباده عظمة القرآن وقوة تأثير آياته ومواعظه.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴿٢٢﴾﴾(٣)

الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴿٣٥﴾﴾ [القلم]، وقال منكراً عليهم: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴿١٨﴾﴾ [السجدة]، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية]، فجاءت هذه الآية كالرد عليهم وكالتذكير لهم بأنه لا بد من البعث والجزاء؛ إذ مقتضى الحكمة أن يجازي الله المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته وإنكارهم للبعث والحساب يقتضي نسبة العبث والظلم إلى الله.

(١)- **سؤال:** ما معنى «من» هذه؟ وما محل جملة «نضربها للناس»؟

الجواب: «من» للتعليل أي: من أجل خشية أو بسبب خشية الله. «نضربها للناس» في محل رفع خبر «تلك». و«الأمثال» نعت أو بدل من «تلك»، ويصح أن يكون «تلك الأمثال» مبتدأ وخبر، وجملة «نضربها..» في محل نصب حال أو لا محل لها مستأنفة في جواب سؤال مقدر.

(٢)- **سؤال:** هل يشترط لتمام المثل هذا أن نفرض لهذا الجبل عقلاً أم لا؟

الجواب: لا يشترط ذلك؛ لأن المقصود من المثل هو تصوير قوة بيان الحق في آيات القرآن ومدى وضوح حججه وبيناته، ومن الأمثلة في هذا الباب أن نقول: «فلان يناطح الجبال» لبيان شجاعته البالغة، ونحو أن نقول: «فلان يبكّي الحمير» لبيان لدادته في خصومته وتصوير مداها في ذهن المخاطب تقول ذلك من غير أن يكون لك نية ولا قصد في الجبال والحمير.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب «إلا هو»؟ وكذا «عالم الغيب»؟ وما نوع اسمية الشهادة؟ وما وجه فصل =

ثم يذكِّرهم الله سبحانه وتعالى بأنه الله المتفرد بصفات العظمة والجلال الذي لا إله في السماوات والأرض إلا هو، الذي لا يغيب عن علمه شيء أو تخفى عليه خافية، **والغيب**: هو ما سيكون من الأمور المستقبلية، وما اختفى وراء الحجب والأستار، وما سلف ومضى في غابر الأزمان. **والشهادة**: هي المعلومات المدركة بالحواس.

ومن صفاته أيضاً أنه عظيم الرحمة بعباده، **والرحمن**: الواهب لهم جلائل النعم الظاهرة، **والرحيم**: الواهب لهم دقائق النعم وخفيها.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ وهو وحده المسيطر على ملك السماوات والأرض. **والقدوس**(١): هو المنزه عن الشريك والمثيل الذي لا تحيط به الاوهام أو تتصوره. **والسلام**(٢): هو السالم عن كل عيب ونقيصة.

والمؤمن: قال في تفسير أهل البيت عليهم السلام: إنه المؤمِّن(٣) أولياءه من عذابه وسخطه. **والمهيمن**(٤): هو المسيطر بسلطانه وعلمه وقدرته. **والعزيز**: هو الممتنع

جملة «هو الرحمن الرحيم» عن سابقتها؟

الجواب: «إلا هو» إلا: أداة استثناء، وهو: بدل من الضمير المستتر في الخبر المحذوف أي: لا إله موجود إلا هو. و«عالم الغيب » نعت له أو خبر ثان للفظ الجلالة. «الشهادة» مصدر. «هو الرحمن الرحيم» جملة مستأنفة لبيان ما سبق وتقريره.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما زنة هذا الاسم؟ ومم أخذ واشتق؟

الجواب: هو على زنة «فعُّول» وهو مأخوذ من «قدس» بمعنى: طهّر.

(٢)- **سؤال:** ما نوع اسمية هذا الاسم؟

الجواب: هو مصدر وصف به للمبالغة.

(٣)- **سؤال:** هل يصح أن يحمل على المصدق للرسل بإظهار المعجزات؟ أم لا؟

الجواب: يصح أن يحمل على أنه المصدق رسله بالمعجزات.

(٤)- **سؤال:** يقال بأنه قد يطلق المهيمن على الرقيب كما في قوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨]، فكيف؟

=

الذي لا يستطيع أحد أن يناله أو يلحق به أي سوء أو مضرة أو مكروه، والغالب لكل شيء بقدرته. **والجبار**: هو العظيم الذي لا ينال لعظمته. **والمتكبر**: هو الذي كل شيء دونه صغير.

﴿**سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا**[١] **يُشْرِكُونَ**۝٢٣﴾ تعالى الله وتقدس عما ينسبه إليه المشركون من الشركاء وما لا يليق به من الباطل، فهو وحده المتفرد بصفات الإلهية والكمال.

﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ**[٢] **الْحُسْنَى**﴾ وهو وحده الذي خلق الخلائق وبرأهم[٣] وصورهم فأحسن صورهم، وقد اختص تعالى بالأسماء الحسنى[٤] ليس لما يُعْبَدُ من دون الله تعالى منها شيء، فكلها له، وأسماؤه الحسنى مذكورة في كتابه الكريم، ذكر الله تعالى بعضها في هذه الآيات وسائر أسمائه تعالى منشورة في القرآن

الجواب: ما ذكرناه يعود معناه كما ذكرتم؛ لأن المسيطر بعلمه وقدرته وسلطانه هو شرح لمعنى «رقيب».

(١)- **سؤال:** هل «ما» هنا موصولة فأين العائد فيها؟ أم لا فما هي؟

الجواب: يصح أن تكون «ما» موصولة ومصدرية، وإذا قدرناها موصولة فالعائد محذوف أي: يشركونه.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: هي مثل الجملة التي بعدها «يسبح له...».

(٣)- **سؤال:** ما معنى أن الله برأ الخلائق؟

الجواب: معناه: ميز كل مخلوق بصورة تميزه عن غيره وتبرئه منه.

(٤)- **سؤال:** هل تريدون قصر الأسماء الحسنى على الصفات المذكورة في القرآن فقط؟ وما رأيكم في التسعة والتسعين الاسم المروية عن النبي ÷ كما ذكر في سنن أبي داود على ما أظن والوسائل العظمى للسيد يحيى بن المهدي الزيدي؟

الجواب: لم نقصد الحصر، فإذا روي شيء من أسماء الله الحسنى وتضمن مدحاً وثناء على الله وليس فيه ما يوهم النقص أو التشبيه فيجوز إطلاقه على الله، ولو لم تصح الرواية.

الكريم. ومعنى «الحسنى» : التي تدل على المدح والثناء والعظمة والكمال[(١)].

﴿يُسَبِّحُ[(٢)] لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ فكل ما خلق الله في السماوات والأرض يشهد له بأنه منزه عن صفات خلقه، وكل ما في السماوات والأرض آية ناطقة ودالة على أن مدبرها خالق عظيم قادر حكيم وأنه على كل شيء قدير، متعال عن صفات النقص والعجز التي اتصف بها كل ما في السماوات والأرض دونه، وهو القوي الغالب وأفعاله كلها مبنية على الحكمة والرحمة.

❁❁❁❁❁

---

(١)- **سؤال:** ما الذي يؤخذ من الأحكام من قوله: «له الأسماء الحسنى»؟

الجواب: يؤخذ منها أنه لا يجوز تسمية شيء من المخلوقات باسم من أسماء الله الحسنى.

(٢)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: يصح أن تكون خبراً آخر لـ«هو»، ويصح أن تكون مستأنفة لبيان استحقاقه لما سبق من الأسماء الحسنى فتكون كالعلة والدليل.

سورة الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ[(١)] إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ[(٢)] وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ نزلت هذه السورة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم سائر بمن جمع معه من المسلمين لغزو مكة وفتحها، فعندما كان في بعض طريقه قام أحد جنوده ممن معه وهو حاطب بن أبي بلتعة بكتابة كتاب إلى قريش يخبرهم فيه بقدوم محمد لغزوهم ويحذرهم بأنه قد أوشك على الوصول إليهم، وأرسل كتابه هذا مع امرأة دفع لها أجراً على إيصاله، فأخفته في غرز رأسها وسارت به، فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخبره بأمر ذلك الكتاب، ويأمره بالإرسال في طلبها، ودله على مكانها؛ فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أثرها وعندما ظفروا بها فتشوها ولم يجدوا شيئاً، فبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم برسل غيرهم وفتشوها كذلك ولم يجدوا شيئاً وعادوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم خائبين، فأرسل الثالثة أمير المؤمنين ففتشها، وعندما لم يجد معها شيئاً تهددها وشهر سيفه في وجهها وهددها بالقتل إن لم تخرج الكتاب فخافت حينها وأخرجته من بين غرزها؛ فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية تنهى المؤمنين عن مناصحة أعدائهم أو إطلاعهم على شيء من أسرارهم وأخبارهم.

---

(١)- **سؤال:** ما موضع هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: في محل نصب حال من فاعل «تتخذوا»، أو نعت لـ«أولياء»، ويصح أن تكون مستأنفة في جواب سؤال مقدر.

(٢)- **سؤال:** بماذا تعلقت الباء هنا؟ وهل جملة «وقد كفروا بما جاءكم من الحق» حالية؟ لكن ما يكون موضع «يخرجون الرسول وإياكم»؟

الجواب: الباء متعلقة بمحذوف حال، أي: تلقون إليهم خبر الرسول حال كونكم متلبسين بالمودة، وجملة «يخرجون الرسول» في محل نصب حال من فاعل «كفروا»، ويصح أن تكون مستأنفة استئنافاً بيانياً.

﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ[١] وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ لماذا أيها المؤمنون تناصحون المشركين وتنصرونهم وقد أخرجوكم من مكة وطردوكم مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأجل إيمانكم بالله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن كنتم خرجتم مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تريدون وجه الله سبحانه وتعالى والدار الآخرة فاتركوا موادتهم، واتركوا النصح لهم؛ فالله سبحانه وتعالى مراقب لكم ومطلع على أعمالكم، وعالم بأسراركم وما في ضمائركم، وسيحاسبكم على كل صغيرة وكبيرة.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ۝١﴾ فمن ناصحهم[٢] أو أفشى إليهم بسر من أسرار المسلمين فقد خرج عن الحق والهدى وقد استحق العذاب الشديد.

﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ[٣] تَكْفُرُونَ۝٢﴾ فاحذروا مناصحتهم وموادتهم فلو أنهم تمكنوا منكم وأحكموا قبضتهم عليكم لما رأيتم منهم إلا كل سوء ومكروه، ولفعلوا بكم

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما محل المصدر «إيمانكم» من الإعراب؟ وأين جواب الشرط في الآية هذه؟ وما إعراب «جهاداً»؟ وما محل جملة «تسرون إليهم بالمودة»؟ أم أنها لا محل لها من الإعراب فلماذا؟

الجواب: «أن تؤمنوا» في محل جر بلام مقدرة أو في محل نصب بنزع الخافض، وجواب الشرط مقدر أي: فلا تتخذوهم أولياء دل عليه ما قبله. «جهاداً» مفعول من أجله. «تسرون» لا محل لها استئناف بياني أو بدل من «تلقون» فيكون حكمها حكمها.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في قصر الموادة على المناصحة أو إفشاء أسرار المسلمين؟

الجواب: المناصحة كلمة جامعة فالناصح ينصح بقلبه ويده ولسانه لا يترك مجالاً للنصيحة تصل إليه يده أو لسانه.

(٣)- **سؤال:** هل «لو» هنا مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر أم ماذا؟

الجواب: نعم هي مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر.

الأفاعيل من دون أن يراعوا فيكم أي عهد أو حرمة، ولا زالوا حريصين على إغوائكم وإضلالكم عن هذا الدين الذي جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ اعتذر حاطب عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين كشف الله ستره بأنه ليس من قريش، وأنه ليس إلا دخيلاً بينهم، وقد أراد أن يكون له يد عندهم يحفظ بها أهله الذين هم بين ظهراني المشركين في مكة، فأخبر تعالى أنها لن تنفعهم أرحامهم ولا أولادهم يوم القيامة[1]، وأن الله تعالى سوف يفصل بينهم يوم القيامة، ولن يجمع الله في ذلك اليوم إلا بين أوليائه المؤمنين، ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف].

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ[2] قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا[3] بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ وأخبرهم أن لهم أسوة حسنة في إبراهيم عليه السلام فقد جعله الله سبحانه وتعالى قدوة للمسلمين يقتدون به ويهتدون بهديه، وقد تبرأ إلى الله سبحانه وتعالى من قومه وأقاربه حين أصروا على عبادة الأصنام والكفر بالله، ونصب نفسه لعداوتهم وسعى جهده في إبطال دينهم،

---

(١)- **سؤال:** ظاهر هذا أن «يوم» معمول لـ«تنفعكم» فهل يصح أن يجعل معمولاً لـ«يفصل»؟ وما يكون محل جملة «يفصل»؟

الجواب: يصح أن يكون معمولاً لـ«يفصل» ولـ«تنفعكم»، وجملة «يفصل بينكم» مستأنفة للتعليل أي: تعليل عدم النفع.

(٢)- **سؤال:** أين العامل في «إذ» الظرفية هذه؟

الجواب: «إذ» بدل من إبراهيم بدل اشتمال، فهي في محل جر.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في فصل هذه الجملة عن سابقتها مع أنها في خبر قولهم؟

الجواب: فصلت لأنها بمثابة عطف البيان من الجملة التي قبلها.

فاقتدوا به في ذلك واقطعوا أي صلة تربطكم بالمشركين، واتركوا موادتهم ومناصحتهم.

﴿إِلَّا قَوْلَ[١] إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ثم استثنى الله سبحانه وتعالى هذه الخصلة فلا يقتدوا به فيها أو يتأسوا به عندما استغفر لأبيه، وذلك[٢] أنه إنما استغفر له عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٤﴾ فاسعوا جهدكم أيها المؤمنون في عداوة الكافرين ومقاطعتهم ولا تخافوهم وتوكلوا على الله واعتمدوا عليه فإنه سيكفيكم شرهم، وينصركم عليهم، وتوجهوا إلى الله وقولوا: ﴿رَبَّنَا[٣]

---

(١)- **سؤال:** أين المستثنى منه هنا؟

الجواب: المستنى منه هو قوله: «أسوة حسنة» فالأسوة الحسنة هي في جميع أفعال إبراهيم وأقواله فاستثنى قول إبراهيم لأبيه فلا أسوة فيه.

(٢)- **سؤال:** يقال: فإذا كانت بهذا القيد فما الوجه في عدم جواز الاقتداء به فيها؟ وما فائدة قوله: «وما أملك..»؟

الجواب: لم يذكر لنا في القرآن الوجه والحكمة في ذلك، ومن باب التجويز يمكننا أن نقول: إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم بالرسالة ولم ينزل عليه فيها النهي عن الاستغفار لأبيه وللمشركين فلعظيم شفقته بأبيه استغفر له ولا زال يستغفر له حتى تبين له أنه مصر على الشرك غير متوقع منه الإيمان عند ذلك تبرأ منه، ويمكن الاستدلال على ما ذكرنا بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ..﴾ [التوبة:١١٤]، ولم يقل: فلما نهيناه انتهى، ولو أن الله تعالى كان قد نهاه لما استغفر له.

وقوله: «وما أملك لك..» ولا أقدر أن أنفعك أو أستنقذك باستغفاري من غضب الله.

(٣)- **سؤال:** ظاهر الآية أنها مقول لقول محذوف منصوب على الحال فأين صاحب الحال؟ وأين العامل فيه؟

الجواب: قد قالوا: إن ذلك «ربنا عليك توكلنا..» من تمام قول إبراهيم والذين معه الذي قالوه، =

عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴿٤﴾رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴿٥﴾﴾، ومعنى «لا تجعلنا فتنة» : لا تسلط علينا الكافرين المتعطشين لدمائنا.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ[1] يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴿٦﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لن يتأسى بإبراهيم والذين معه إلا من كان صادق الإيمان بالله تعالى وبرسوله ومصدقاً باليوم الآخر، وأما من أعرض وتولى عن ذلك فإن الله سبحانه وتعالى غير محتاج له ولا إلى إيمانه وطاعته، ولن يضر بذلك إلا نفسه. ومعنى «يرجو الله» : يؤمن بالله وبثوابه وعقابه.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٧﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل مكة الذين هو خارج لغزوهم بأنهم في يوم من الأيام عسى[2] أن يدخلوا في الإسلام،

وإنما وقع الاعتراض بالاستثناء للاهتمام به، وبهذا يرتفع الإشكال وقد جوزوا أن يكون هذا مقولاً لأمر مقدر أي: قولوا ربنا...، فيكون من تمام التوصية للمخاطبين بقوله: قد كانت لكم أسوة، كأنه قال: تأسوا بإبراهيم وقولوا ربنا.

(١)- **سؤال:** هل قوله: «لمن كان» بدل من «لكم»؟ أم ماذا؟

الجواب: نعم هي بدل بإعادة الجار.

(٢)- **سؤال:** إذا كانت «عسى» بمعنى الإيجاب كما مر لكم فمعناها أن الله جعل بينهم مودة في الواقع فهل تحمل على الذين حسن إسلامهم دون الذين أسلموا خوفاً من حر السيوف أم كيف؟ وهل يدل قوله: «والله غفور رحيم» على أنه قد غفر لهم وأنه حسن إسلامهم؟

الجواب: قد جعل الله بينهم مودة فدخلوا في الإسلام وأعلنوا الطاعة والانقياد وأصبحوا إخواناً متوادين هذا في الظاهر وحسابهم على الله، وتماماً كما روي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله)) أو كما قال، وهذا الحكم عام للجميع لمن حسن إسلامه ولمن لم يحسن =

ويصبحوا بعد العداوة إخوانا، وأخبره أنه قادر على أن يظهره عليهم ويمكنه منهم حتى يسلموا مكرهين خوفاً من حر السيوف، وفعلاً كان كما بشر الله تعالى نبيه ﷺ فقد فتح مكة ودخلها عليهم عنوة، وقهرهم وأذلهم حتى ألجأهم إلى الإسلام مكرهين بعد أن تهددهم إن لم يسلموا بالقتل.

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ(١) تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا(٢) إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ

إسلامه فقد جمعهم الإسلام وإخوة الإسلام. وقوله: «والله غفور رحيم» أي: أن الله يغفر لمن أسلم ما سلف من كفره وفسوقه ((الإسلام يجب ما قبله))؛ لذلك فلا تدل على المغفرة لما يستقبل من الأعمال بعد الإسلام، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين الذين تابوا من الشرك والكفر بالاستقامة فقال: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ۝١١٢ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ...﴾ [هود].

(١)-**سؤال:** ما محل هذا المصدر من الإعراب؟

الجواب: المصدر في محل جر على البدلية من الاسم الموصول.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما مظاهر البر والإحسان إليهم؟ وهل يتعارض هذا مع موادتهم أم لا؟ مع تعليله؟

الجواب: يتمثل ذلك في بر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى من سبقت مجاورته ومكافأة من سبق منه إليك إحسان وبإرسال الهدية، وبمواساة المحتاج، وترك الأذى بالقول والفعل إلا ما أوجب الله قوله وفعله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ومعنى «وتقسطوا إليهم» تفضوا إليهم بالعدل أي: تنصفوهم ولا تظلموهم. وقبيلة خزاعة كانت على الشرك وتسكن مكة وليست من قريش، وكانت مسالمة للنبي ﷺ ومناصحة له، ولم تدخل مع قريش في حرب النبي ﷺ فنزلت فيهم وفيمن كان مثلهم. فالموادة التي نهى الله عنها المؤمنين هي مناصحة المحاربين للدين ونفعهم بقول أو فعل أو حتى بإشارة تضر بالمسلمين كأن يشير بأصبعه إلى الطريق التي ستوصلهم إلى معسكر المسلمين.

أما الرقة والشفقة القلبية فهي طبع في الإنسان لا يعذر على التخلص منها، فلا يؤاخذ بها ولا يسأل عنها: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وإنما يسأل المكلف عن أفعاله وأقواله الداعمة للعدو المحارب التي تصدر منه سواء أكانت بدافع المودة أم بدافع العداوة

=

قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ[١] وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴿٩﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أنه لا محذور في الإحسان إلى الذين لم يشهروا عليه سيفاً ولم يقاتلوه، وفي صلتهم والبر بهم، وإنما ينهاه عن بر الذين ناصبوا العداء للإسلام وحاربوا النبي ﷺ وأصحابه وأظهروا العداوة لهم وطردوهم وشردوهم عن أوطانهم كقريش ومن عاونهم. ومعنى «تقسطوا إليهم» : تقضوا بالعدل إليهم. ومعنى «وظاهروا على إخراجكم» : عاونوا على ذلك وشاركوا فيه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ[٢] أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ[٣] وَءَاتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ والمؤمنين أن يمتحنوا[٤] إيمان من أقبل إليهم من نساء الكفار، وكان النبي ﷺ

للمسلمين، وقد خص الله تعالى الكافرين المسالمين بجواز الإحسان إليهم وبرهم والعدل فيهم، والموالاة هي شيء آخر غير الموادة المذكورة، فالموادة إحسان وبر، والموالاة: هي التعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناصرة الله ورسوله ﷺ، وعلى إقامة الحق والعدل ونصر المظلوم والقبض على يد الظالم فالمؤمنون بعضهم من بعض يشد بعضهم بعضاً.

(١)- **سؤال:** هل هذا مضارع حذفت إحدى تائيه؟

الجواب: نعم هو مضارع حذفت إحدى تائيه تخفيفاً.

(٢)- **سؤال:** ما موضع هذه الجملة الاسمية إعرابياً؟

الجواب: لا محل لها تعليلية.

(٣)- **سؤال:** ما الذي يفيده قولهم: «ولا هم يحلون لهن» مع استفادة مدلوله مما قبله؟

الجواب: يستفاد من ذلك أن نكاح الكافرين ينفسخ بإسلام أحدهما.

(٤)- **سؤال:** كيف يكون الاختبار هذا؟

الجواب: يكون بالسؤال، وبالدخول من سؤال إلى سؤال، وبذلك يتبين الحال وينكشف المستور؛ =

قد عقد مع أهل مكة صلحاً وهو المسمى بصلح الحديبية، وكان من بنود الصلح أن من أقبل من أهل مكة إلى النبي ﷺ مسلماً فإنه لا يقبله ويرده إلى مكة، فنزلت هذه الآية تأمره بأن لا يرد من أقبل إليه من نساء الكفار ولكن بعد أن يختبر إيمانهن فيعرف صحته[1]، وقد شرط الله تعالى على النبي ﷺ أن يرد إلى أزواجهن إن كن ذوات أزواج ما دفعوا من مهورهن[2].

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ[3] إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا

لأن المسؤول كما ذكرنا لا يشعر إلا وهو محاصر في مضيق لا يجد بداً من البوح بحقيقة الأمر، ولا بد أن يكون السائل ذا نباهة وذكاء، وهذا عند مساءلة الذكي المحتاط، أما غيره فلا يحتاج إلى عناء كبير.

(١)- **سؤال:** هل المراد وصولهم إلى اليقين في معرفة إيمانهن أم ماذا؟

الجواب: المراد معرفة أن ليس هناك دوافع حملتهن إلى الهجرة غير الإيمان الذي ادعينه، ويمكن التحقق والعلم عند الامتحان أن ليس هناك دوافع، فمثلاً إذا كان الدافع هو كراهة الزوج وتريد انفساخ نكاحه فيقال لها في السؤال: من الممكن أو من المحتمل وصول زوجك غداً أو بعد غد أو بعد أسبوع أو في هذه الفترة مسلماً فيجمع الله بينكما وتتم لك النعمة بالإسلام وبقاء النكاح والزوج... ونحو هذا، ثم... ثم... إلخ، فإن كان الدافع ذلك فسيظهر عليها مباشرة تغير الصورة والتلعثم في الكلام و.. إلخ.

(٢)- **سؤال:** يقال: هل أمر الله نبيه بهذا الأمر ولا زال الصلح بينهم قائماً فهو مشكل لمخالفته العهد؟ أم بعد أن نقضت قريش بعض بنوده؟

الجواب: من بنود الصلح أن على النبي ﷺ أن يرد من جاءه من قريش مسلماً، هكذا من غير تصريح بذكر النساء، فمن هنا ساغ لقريش وأغمضوا حين حكم الله برد المهور بدلاً عن رد النساء المزوجات، وكأنه لم يخطر ببال الطرفين عند كتابة الصلح هجرة النساء؛ لعدم توقعها؛ لضعفهن وضعف قلوبهن، فلهذه الثلاثة الأمور أغمضت قريش من عدم رد النساء المؤمنات، بالإضافة إلى وفاء النبي ﷺ لقريش ببنود الصلح كلها.

(٣)- **سؤال:** ما محل المصدر المؤول من «أن تنكحوهن»؟ وما يكون إعراب «إذا»؟

الجواب: محله الجر بـ«في» مقدر أو النصب بنزع الخافض، و«إذا» ظرف منصوب بفعل الجواب =

بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ[١] وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴿١٠﴾﴾ ومن أراد أن يتزوج منهن فلا جناح عليه فقد انفسخ نكاحهن بإسلامهن. ومعنى ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ[٢] الْكَوَافِرِ﴾: فلا يحل لكم نكاحهن.

وإذا هربت امرأة منكم أيها المسلمون إلى الكفار أو العكس فلكل واحد منكم ومنهم أن يسترجع مهر امرأته من الطرف الآخر وهذا هو الحل الوسط بينكم والذي سيكون فيه صلاح شأنكم وحقن دمائكم.

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ[٣] فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴿١١﴾﴾ ثم أخرج الله تعالى هذه الحالة من ذلك الحكم الذي تقدم وهو أنه إذا هربت امرأة منكم أيها المسلمون إلى أهل مكة وفي المقابل هربت امرأة من المشركين إلى المدينة فادفعوا مهر[٤] هذه المرأة إذا

المقدر الذي دل عليه ما قبله.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما محل جملة «يحكم بينكم» إعرابياً؟

الجواب: تكون مستأنفة للتعليل، ويجوز أن تكون في محل نصب حال من حكم الله بتقدير الرابط أي: يحكم بينكم به.

(٢)- **سؤال:** ما المراد بالعصم بالتدقيق؟ وهل هو حقيقة أم مجاز؟

الجواب: العصم جمع عصمة والمراد بها هنا ما يعصم به الشيء أي: يربط، وهذا الاستعمال حقيقي، ويقال: دفعت إليه الشيء بعصمته أي: بربقته. اهـ من أساس البلاغة.

(٣)- **سؤال:** بم تعلق الجار والمجرور هنا؟

الجواب: متعلق بـ«فاتكم» أو يتعلق بمحذوف صفة لـ«شيء».

(٤)- **سؤال:** هل المراد أن المشركين أيضاً يدفعون مهر المسلمة الهاربة إلى المشرك الذي فاتت زوجته، وإلا فسيدعي الكفار الحيف عليهم في هذا فكيف؟ وما الوجه في إطلاق المعاقبة على هذه الحالة؟ وهل يصح حمله على غزوهم وما يحصل لهم من النساء المسبيات فيعوضون منهن أم لا؟

الجواب: ليس المراد أن يدفع المشركون مهر المسلمة وإنما المراد أنه إذا فرت زوجة المسلم إلى =

تزوجها أحد منكم لذلك الذي هربت امرأته إلى مكة بدل أن تدفعوه إلى الكفار.

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ[١] عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿١٢﴾﴾ ثم خاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه إذا أقبلت إليه امرأة تبايعه وتعاهده على الوفاء بهذه الشروط فيجب عليه أن يقبل بيعتها، وأن يسأل الله سبحانه وتعالى لها المغفرة فيما سلف ومضى من ذنوبها.

وقوله ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾: وذلك أنه كان من ولدت له بنت من المشركين[٢] فإنه يدفنها حية.

وقوله ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ[٣]﴾ يعني: لا تنسب ولداً من أولادها إلى زوج ليس أباه في الحقيقة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴿١٣﴾﴾ ثم أكد الله تعالى نهيه للمؤمنين وكرر

المشركين ثم تعقب ذلك أن فرت امرأة من نساء المشركين إلى المسلمين فلا يردوا مهر المسلمة إلى المشركين بل يعطوه للذي فرت زوجته إلى المشركين، فمن هنا يحصل التعادل والتساوي بين الطرفين، وقد ظهر وجه ذكر المعاقبة مما ذكرنا في هذا التفصيل.

(١)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة المضارعية؟ وما إعراب «يشركن»؟

الجواب: «يبايعنك» في محل نصب حال من المؤمنات. «يشركن» مضارع مبني على السكون في محل نصب.

(٢)- **سؤال:** يقال: كان هذا في الرجال فقط فما شأن النساء في ذلك؟

الجواب: ربما كانت النساء يشاركن أزواجهن في وأد البنات؛ لذلك لم يذكر المفسرون إلا وأد البنات هنا.

(٣)- **سؤال:** لم علق البهتان بكونه بين الأيدي؟

الجواب: لأن المرأة كانت تلتقط اللقيط فتربيه في حجرها ثم تنسبه إلى ناكحها.

عليهم النهي عن موالاة الذين استحقوا غضب الله وسخطه وأنكروا الآخرة والبعث والحساب، والقوم الذين غضب الله عليهم هم أهل مكة[١].

❁❁❁❁❁

(١)- **سؤال:** من أين نفهم هذا وأنهم أهل مكة فقط؟

الجواب: فهم ذلك من حيث أن قريشاً تصدرت حرب الإسلام وكان جل المهاجرين وأغلبهم من قريش فصدر من بعضهم إرسال بعض أسرار النبي ﷺ فنزلت هذه السورة ومن جملتها هذه الآية فهي خاصة لقريش أولاً وعامة لمن كان مثلهم من أعداء الإسلام إلى يوم القيامة.

سؤال: ما الوجه في تشبيه يأسهم بيأس أنفسهم إذا كان المراد بـ«الكفار» أهل مكة؟

الجواب: ليس في ذلك خلل أي: أن يأسهم من الآخرة كيأسهم من عودة أصحاب القبور إلى الدنيا.

سورة الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝١ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ[1] تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ۝٣﴾ كل ما خلق الله في السموات والأرض ناطق وشاهد بلسان حاله على عظمة خالقه ومبدعه وأنه الإله الحق الذي تحق له الطاعة والعبادة دون ما يعبده المشركون من الأصنام والشياطين وغيرها.

وفي الآية الثانية يستنكر الله سبحانه وتعالى على الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة وعاهدوه على نصرته في المنشط والمكره، ثم تخاذلوا[2] عن الوفاء بعهدهم وبيعتهم، وأخبرهم أن هذه معصية كبيرة عنده تعالى، وأنه يمقت ذلك أشد المقت، ويبغضه أشد البغض.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم «لم تقولون»؟ وكذا: «كبر مقتاً أن تقولوا»؟

الجواب: «لم» جار ومجرور متعلق بـ«تقولون»، والاستفهام إنكاري توبيخي. «تقولون» مضارع والواو فاعل. «كبر» فعل ماض للذم. «مقتاً» تمييز والفاعل مستتر أي: كبر المقت. «أن تقولوا» في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر وهو المخصوص بالذم، والجملة التي قبله في محل رفع خبر مقدم.

(٢)- **سؤال:** فضلاً من أين يمكن لنا الفهم أنه بسبب هذا الشيء؟ وهل يدخل فيه حديث الإنسان عن نفسه بأشياء لم يكن يفعلها؟ وكذا بأنه سيفعلها ثم لم يفعلها، أم لا؟ وضحوا لنا ذلك.

الجواب: الدليل على ما ذكرنا من أن المراد بهذا الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة والنصرة له ووعدوه القتال معه والجهاد بين يديه و.. إلخ هو ما جاء بعدها من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ۝٤﴾ ولا يدخل ما ذكرتم في هذا الذم الكبير الذي وصف بـ«كبر مقتاً» والمقت: أشد البغض عند الله، ولا ينبغي أن يدخل فيه إلا ذنب كبير كنقض العهد والبيعة أو كترك فريضة واجبة أو نحو ذلك من عظائم الدين، وما ذكرتم وإن كان معصية ليس بهذه المنزلة من العظم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ[١] بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ۝٤﴾ ثم أثنى الله سبحانه وتعالى على الذين أوفوا بما عاهدوا عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من نصرته بأموالهم وأنفسهم، وجهادهم بين يديه، وأنهم ثبتوا في مواطن القتال ولم يتزحزحوا ولم يغيروا ولم يبدلوا. ومعنى «بنيان مرصوص» : محكم ملتصق بعضه ببعض.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ[٢] أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ۝٥﴾ ثم يذكر الله سبحانه وتعالى المسلمين بما جرى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من قومه من الأذية، وما لاقاه منهم من التمرد والتكذيب والعصيان مع أنهم كانوا يعلمون أنه رسول إليهم من عند الله تعالى، ولكنهم عندما زاغوا وخرجوا عن طريق الحق والهدى خذلهم الله سبحانه وتعالى وأعمى قلوبهم، وسلبهم[٣] ألطافه وعنايته، وتركهم في ضلالهم يتخبطون، أراد الله سبحانه وتعالى بذلك أن يعتبر المسلمون فيحذروا أن يقعوا في مثل ما وقع فيه قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «صفاً كأنهم»؟

الجواب: «صفاً» حال من فاعل «يقاتلون» بمعنى: صافين أو مصفوفين. «كأنهم..» كأن واسمها وخبرها في محل نصب حال من الضمير المستتر في صفاً، فهي حال متداخلة.

(٢)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة؟

الجواب: في محل نصب حال من فاعل «تؤذونني» أو مفعوله.

(٣)- **سؤال:** يقال: هل يستطيعون مع هذا السلب معرفة الهدى والأخذ به لو اختاروه، أم لا؟ فكيف يجوز على الله ذلك؟

الجواب: سلبهم الله الهدى الزائد على عقولهم الفطرية الذي كان قد زاده لهم حين استجابوا لطاعته وطاعة رسوله فلما أعرضوا أخذه الله، أما عقولهم الأصلية فلا زالوا عقلاء، وإذا أحبوا الهدى فستوصلهم عقولهم إليه، وعقولهم هي حجة الله عليهم، وهي معهم ولا تزال تناديهم إلى الهدى وترك ما هم فيه من الكفر والفسوق والعصيان، إلا أنهم يؤثرون دواعي الشهوات والأهواء على نداء العقول ودواعيه.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا[١] لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝﴾ ثم ذكر الله تعالىٰ ما قاله نبيه عيسىٰ بن مريم عليه وعلىٰ أمه السلام لبني إسرائيل حيث قال لهم: إنه رسول من عند الله إليهم برسالة مصدقة للتوراة، ومؤيدة لها، وإنه مبشر لهم برسول يرسله الله تعالىٰ إليهم وإلىٰ غيرهم يأتي بعده، اسمه أحمد، فلما بعث الله أحمد صلوات الله عليه وآله كفروا به وقالوا إنه ساحر، وما جاء به من عند الله سحر، وقد أراد الله تعالىٰ من المسلمين أن يعتبروا فلا يفعلوا مثل ما فعله بنو إسرائيل من الكفر والتمرد.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ[٢] وَاللَّهُ لَا

---

(١)- **سؤال:** فضلاً إذا كانت حالاً فأين العامل فيها؟ وأين صاحبها؟ وما موضع جملة «يأتي من بعدي»؟ وكذا جملة «اسمه أحمد»؟

الجواب: «مصدقاً» حال من رسول الله والعامل فيها ما في «إنَّ» من معنىٰ الفعل، وجملة «يأتي من بعدي» في محل جر صفة لرسول. و«اسمه أحمد» صفة أخرىٰ لرسول فهي في محل جر.

(٢)- **سؤال:** ما محل جملة: ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾؟ وما ينبني عليها من معنىً؟

الجواب: جملة ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ في محل نصب حال من فاعل «افترىٰ». والذي يستفاد من ذلك: أن الذي يرد الحق والهدىٰ بعدما استبان له بالحجج والبينات ولا يكتفي بالرد بل يفتري علىٰ الله ويقول إن الحق الذي شرعه الله هو كذا وكذا ويصر علىٰ ذلك لا يكون أحد أظلم منه أي: أن ذنبه أكبر وأعظم من ذنب الكافر أو المشرك أو الفاسق، وبيان ذلك:

١ – أنه كذب بالحق الذي جاء من عند الله علىٰ لسان رسوله ﷺ.

٢ – أنه افترىٰ الكذب علىٰ الله حين قال: بل الحق كيت وكيت.

٣– أنه تكبر علىٰ الله وترفع عن قبول الحق الذي جاء من عند الله فلم يقبله بل استهان به وألقاه خلف ظهره أو تحت قدمه، وأبىٰ أن يكون الحق إلا ما افتراه من تلقاء نفسه، وقد كان المفروض أن يتواضع لله ويخشع ويخضع لقبول ما جاء من عند الله لا أن يأنف من قبوله ويترفع عن الأخذ به.

﴿يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ۝٧﴾ لا أحد أظلم ممن نسب إلى الله سبحانه وتعالى من القول ما لم يقل، وذلك أن المشركين كانوا يقولون: إن الله تعالى هو الذي يأمرهم بالشرك وعبادة الأصنام والاستقسام بالأزلام، وأنه الذي أمرهم بدين الجاهلية وكان النبي ﷺ يدعوهم[1] إلى الله تعالى وإلى الحق والهدى، فكانوا يتهمونه بالكذب والزور والبهتان، ويرمونه بالسحر والجنون؛ فأخبر الله سبحانه وتعالى أن هؤلاء قد بلغوا النهاية في الظلم والفساد، وأنهم قد استحقوا أشد العذاب.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ ثم أخبر الله تعالى عن سبب استحقاقهم أشد العذاب، وذلك أنهم يسعون جهدهم للقضاء على دين الإسلام وإنهاء دعوة النبي ﷺ.

﴿وَاللَّهُ[2] مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ۝٨﴾ ولكن الله تعالى لن يمكنهم، وسيرد كيدهم في نحورهم، وسيظهر دينه على رغم أنوفهم.

﴿هُوَ[3] الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ۝٩﴾ أرسل الله تعالى محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، وأراد أن يظهر

---

(١)- **سؤال:** لعلكم بنيتم تفسيركم على أن «يدعى» مأخوذ من دعوته إلى الإسلام فهل يصح أن نحمله على النسبة يعني: وهو منتسب إلى الإسلام فتكون دالة على نفي الكذب عن رسول الله ﷺ بطريق المبالغة فكأنه قال: فكيف تنسبونه إلى رسول الله ﷺ؟ أم ترون هذا بعيداً؟

الجواب: القريب هو ما ذكرنا، بل هو الظاهر المفهوم فلا يعدل عنه.

(٢)- **سؤال:** هل هذه الجملة حالية فماموضع: «ولو كره الكافرون»؟

الجواب: الجملة حالية «والله متم نوره»، وجملة: «ولو كره الكافرون» في موضع نصب حال من مرفوع «مُتِمّ..» فالحال متداخلة.

(٣)- **سؤال:** هل الجملة ابتدائية أم ماذا؟ وما الوجه في إفراد «الدين كله»؟

الجواب: الجملة ابتدائية مستأنفة، وأفرد «الدين» لأن المراد الجنس لذلك أتبع بلفظ «كله».

دينه على جميع الأديان، وأن يكون دين الإسلام هو السائد على كل الأديان ولو كره المشركون، فإرادة الله فوق إرادتهم، وقوته فوق قوتهم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ[١] أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ۝١٠ تُؤْمِنُونَ[٢] بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ۝١١﴾[٣] ثم خاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين مرشداً لهم إلى الطريق التي ستنقذهم من عذاب جهنم وهي أن يخلصوا إيمانهم بالله تعالى، ويصدقوا بنبيهم وبما جاءهم به من الدين والهدى، وأن يبذلوا أموالهم[٤] وأنفسهم

---

(١)-**سؤال:** هل الاستفهام هنا حقيقي؟ وما محل جملة «تنجيكم»؟ وما محل جملة «ذلكم خير لكم»؟

الجواب: الاستفهام هنا ليس حقيقياً وإنما هو بمعنى الخبر أي: سأدلكم، وجيء به على صورة الاستفهام للتشويق إلى الخبر والإلهاب للرغبة إلى استماعه. وجملة «تنجيكم» صفة لتجارة، وجملة «ذلكم خير لكم» لا محل لها من الإعراب تعليلية.

(٢)-**سؤال:** ما محل هذه الجملة أم أنه لا محل لها فلماذا؟

الجواب: محلها الرفع خبر مبتدأ محذوف والتقدير: هي تؤمنون ، والجملة من المبتدأ والخبر لا محل لها من الإعراب جواب سؤال مقدر.

(٣)-**سؤال:** ما الوجه في تسمية هذه الخصال «تجارة»؟

الجواب: الوجه هو مشابهتها لسلع التجارة التي يحصل للتاجر منها أرباح ومكاسب، فالإيمان والجهاد مثل سلع التجارة في ذلك فيحصل منهما مكاسب وأرباح هي ما ذكرها الله تعالى في آخر هذه الآية.

(٤)-**سؤال:** هل يفهم إنفاق جميع الأموال من الآية؟ أم ماذا؟

الجواب: لا يفهم ذلك، وإنما يفهم من الآية أن يخرج المسلم للجهاد بنفسه وبنفقته على نفسه وراحلته ولا يكون عالة في نفقته على غيره، وقد عذر الله تعالى الذين لا يجدون ما ينفقون عن الخروج للجهاد، فإذا فعل المسلمون كما ذكرنا فقد جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وسيقوم الجهاد إذا فعل كل مسلم كذلك إلا ما أوجبه الله تعالى من فريضة الزكاة، أو إلا أن يتطوع متطوع بشيء من المال أو ينذر نذراً في سبيل الله.

ويهبوها في سبيل الله تعالى ونصر دينه، فهذه هي التجارة التي ستنجيهم من عذاب الله تعالى (الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله).

﴿يَغْفِرْ(١) لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ(٢) طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ(٣) مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ وسيجازيكم على ذلك الجزاء الأوفى: سيغفر لكم جميع(٤) ذنوبكم، وسيدخلكم في رحمته ورضوانه، وستفوزون بجنته ونعيمه الأبدي، وأخبرهم أنه لا يزال هناك ثواب آخر ينتظرهم في الدنيا غير ذلك الثواب، وهو أنه سينصرهم على عدوهم، وسيفتح لهم البلدان، وسيظفرون بالغنائم الكثيرة والأموال الطائلة، وسيبدلهم غنى يغنيهم بعد فقرهم وفاقتهم، ثم أمر الله سبحانه نبيه أن يبشر المؤمنين بهذا الجزاء العظيم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا(٥) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في جزم هذا الفعل مفصلاً؟

الجواب: قوله : «تؤمنون» و«تجاهدون» خبر والمعنى على الأمر والطلب، أي: آمنوا ، وجاهدوا، فجزم «يغفر» في جواب الطلب أي: أن الجزم على المعنى، والإعراب على المعنى باب مفتوح.

(٢)- **سؤال:** ما وجه عطف المساكن على جنات؟

الجواب: هذا من عطف الخاص على العام لزيادة حسن فيه على عموم الجنة.

(٣)- **سؤال:** علام عطف قوله: «وأخرى»؟

الجواب: يصح في «وأخرى» عدة أوجه من الإعراب فيجوز أن تكون «أخرى» معطوفة على «تجارة» في قوله: «هل أدلكم على تجارة» فتكون «أخرى» مجرورة، وهذا الوجه أحسن ما يجوز فيها وأولى بالصحة والقبول.

(٤)- **سؤال:** يقال: من أين فهمنا جميع الذنوب؟

الجواب: الجمع المضاف يفيد العموم كما هو مقرر في أصول الفقه.

(٥)- **سؤال:** ما إعراب «كما قال عيسى بن مريم»؟ وما ينبني عليه من معنى؟

الجواب: قد وجهوا إعراب ذلك بعدة أوجه فيها بعض تكلف، وقد رأيت وجهاً آخر غير ما

=

لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ[1] فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴿١٤﴾﴾[2] ثم حث الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على المبادرة والجد في نصر دينه، وأن يبذلوا كل غال في سبيل ذلك، وأن يكونوا كأولئك الذين باعوا

ذكروه، وهو أن يكون «كما قال عيسى» خبراً ثانياً لـ«كونوا» أي: «كونوا مثل أنصار عيسى حين قال لهم من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله»، وليس المراد أن يكون مثل قول عيسى.

(١)- **سؤال:** هل المراد أن الحواريين انقسموا طائفتين مؤمنة وكافرة أم كيف؟

الجواب: المنقسمون هم بنو إسرائيل دون الحواريين.

(٢)- **سؤال:** روي عن الإمام الأعظم زيد بن علي في قوله: «فأيدنا الذين آمنوا.. إلخ» أنه قال بالعلم والحجة فهل ترونه مناسباً مع ظاهر الآية؟

الجواب: المناسبة مستقيمة بين تفسير الإمام والآية، ويمكن الاستدلال لذلك بحديث: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة..)).

سؤال: ما هي مظاهر نصرة الله في هذا الزمن؟

الجواب: أصبح اليوم نشر العلم وتعليم الناس من أكبر الفرائض –إن لم نقل أكبر الفرائض– على العلماء والمتعلمين حيث أن الجهل قد سيطر في البلدان فبَعُدَ عهدهم من العلم والعلماء، ومن أجل أن المذاهب الباطلة غزت البلاد مستغلة غياب العلم والعلماء فقد أصبح للنصرانية أتباع في العاصمة وسوف تنتشر، وللبهائية أتباع، ومذهب الاثني عشرية بدأ ينتشر في صنعاء وغيرها، وقد سيطرت السلفية على الكثير من بلاد الزيدية، والعلمانية الغربية لها نفوذ واسع، وهناك... وهناك.. كما لا يخفى، وكل أولئك يريدون طمس الدين الحق ومحوه من الوجود؛ لذلك قلنا: إن أوجب الواجبات أو من أهم الواجبات نشر العلم بين المجتمعات وتعليم الناس معالم دينهم، ولا يتم ذلك إلا بانتشار المعلمين وكل من له ملكة في الدين في البلدان والسكنى عندهم والمكث بينهم يعلم صغيرهم وكبيرهم ويرابط ثمة حتى يحيي بينهم العلم والهدى والدين، فهذا هو ما يلزم في هذا الزمان من النصر لله ولدينه، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴿٤٠﴾﴾ [الحج].

أنفسهم مع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعاهدوه على نصره وعلى السمع والطاعة له، فنصرهم الله تعالى عندما علم صدق نيتهم، وأيدهم على من كفر من اليهود ونصرهم عليهم، ومعنى «الحواريون» : الأنصار المخلصون.



سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ[(١)] لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ①﴾ كل ما في السماوات والأرض دائم التسبيح والتنزيه والتقديس لله تعالى؛ لكونه المالك لكل ما في الكون، والمتصرف فيه كيفما شاء، والدال بآثار رحمته ودلائل قدرته على قدسيته وتعاليه عن الشريك والشبيه.

﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ[(٢)] كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ②﴾ ثم يذكر

---

(١)- **سؤال:** هل يمكن أن ندرك علة للفرق بين التعبير بالمضارع «يسبح» في هذه السورة، والتعبير بالماضي في سابقتها «سبح»؟

الجواب: قد يكون الإتيان بالمضارع هنا في سورة الجمعة للإشارة إلى أنه يتواصل التسبيح لله في ليلتها ويومها، ويجدد ويستمر لفضلها؛ فيختصها عباد الرحمن بكثرة العبادة والذكر في ليلها ونهارها، وأيضاً في المضارع التنبيه للغافلين الذين لا يحضرون الجمعات لانشغالهم بالبيع والشراء والأعمال الأخرى، فالعاقل يلومه عقله عن شذوذه وخروجه عما عليه ما في السموات والأرض من استمرار التسبيح لله، ألا ترى أن أهل بلد إذا اعتادوا أن يصوموا مثلاً يوم عرفة أو ستاً بعد رمضان فإن الذي يفطر يلوم نفسه بعض اللوم على ترك الصيام.

وهذا فإن السور التي بدأت بتسبيح الله بالماضي «سبح» تفيد أن ذلك التسبيح في الماضي، والمبدوء بالمضارع يفيد أن التسبيح في الحاضر والمستقبل، فيحصل من الفعلين بيان أن تسبيح الله في الماضي والحاضر والمستقبل.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب هذه الجملة؟

الجواب: «إن» مخففة من الثقيلة وهي للتأكيد مثل المشددة واسمها ضمير الشأن محذوف. «كانوا» كان فعل ماض ناقص والواو اسمها. «من قبل» متعلق بمحذوف حال من «ضلال» واللام في «لفي ضلال» هي المزحلقة المؤكدة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر كانوا، «مبين» صفة لضلال.

الله سبحانه وتعالىٰ قريشاً ومن حولهم من العرب بأنه أنعم عليهم بأن أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم القرآن، فتلاوته آية بينة علىٰ صدقه وهو أمي، وينتزعهم ويرفعهم من بين أدناس الشرك وأقذار الجاهلية، ويطهرهم ويشرفهم بتعاليم الإسلام وآدابه وشرائعه. والمراد بالحكمة: السنة ومعاني القرآن.

﴿وَءَاخَرِينَ[١] مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝٣﴾ وهو رسول أيضاً إلىٰ قوم آخرين ستأتي بهم القرون.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ[٢] مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ۝٤﴾ وأخبرهم أن هذا فضل كبير تفضل به عليهم واختصهم به من بين سائر الناس، وفي هذا رد علىٰ اليهود والنصارىٰ عندما اعترضوا علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ لَمَّا حول النبوة عنهم واختار نبياً من العرب، فقد أخبرهم أن الملك ملكه، وله أن يختار لنبوته من أراد، ويتصرف في ملكه كيفما شاء، وليس لهم أن يعترضوا علىٰ الله تعالىٰ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[٣] ثم أخبر الله تعالىٰ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن صفة اليهود وحالهم عندما حملهم التوراة وجعلهم أهلاً لحملها وتبليغها، ثم تركوها ولم يحملوها كما ينبغي وكما يجب عليهم من العمل فقال: إن صفتهم كصفة الحمار الذي يحمل الكتب علىٰ ظهره، ويثقله حملها من دون أن يستفيد منها شيئاً[٤].

---

(١)- **سؤال:** علام عطف هذا الاسم؟

الجواب: هو معطوف علىٰ «في الأميين» ويصح أن يعطف علىٰ المفعول الأول في «يعلمهم».

(٢)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة المضارعية؟

الجواب: تكون خبراً ثانياً أو حالاً.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «مثل الذين»؟ وما محل جملة «يحمل أسفاراً»؟

الجواب: «مثل الذين» مثل: مبتدأ مضاف، والذين: مضاف إليه. «يحمل أسفاراً» في محل نصب حال من الحمار.

(٤)- **سؤال:** ما هو وجه الشبه في الآية؟ وما الذي يؤخذ منها من الأحكام الفقهية؟

الجواب: وجه الشبه هو استصحاب الشيء النافع مع عدم الانتفاع به. ويؤخذ منها من الأحكام الفقهية:

=

﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ۝﴾[(١)]
بئست الصفة التي اتصف بها اليهود عندما شبههم الله تعالى بالحمار في حمل كتب العلم.
﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[(٢)]۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ۝﴾[(٣)] يقول اليهود: إنهم شعب الله المختار، وصفوة الله في الأرض، وأهل العلم والحكمة، وإن الجنة لهم وحدهم وإن الله تعالى قد اختصهم بالنبوة

---

١ - أن كتم العلم عند الحاجة إليه محرم.
٢ - وأن بذله عند طلبه والحاجة إليه واجب.
٣ - أنه يجوز ذم من كتم العلم عند الحاجة إليه.
٤ - أن قول الحق واجب.
٥ - أن العالم الذي يعارض بعلمه الحق والمحقين مسلوب الفضل، بمنزلة الحمار في الانحطاط والخزي، وأنه عند الله مذموم ظالم.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «بئس مثل القوم الذين»؟ وما الوجه في تذييل الآيات بقوله: «والله لا يهدي القوم الظالمين»؟
الجواب: «بئس» فعل ماض للذم. «مثل القوم» فاعل مضاف. «الذين» نعت للقوم والمخصوص بالذم محذوف أي: هذا المثل، وفائدة التذييل بيان أنهم ليسوا من أهل التوفيق والتنوير والهداية.
(٢)- **سؤال:** أين جواب الشرط «إن كنتم صادقين» في الآية؟
الجواب: الجواب مقدر محذوف لدلالة ما قبله عليه أي: إن كنتم صادقين فتمنوا الموت.
(٣)- **سؤال:** يقال: قد يكون الإنسان مطيعاً لله سبحانه ولا يتمنى الموت، أو يخاف الموت ويهرب منه، فهل ذلك نقص في إيمانه؟
الجواب: كان اليهود يجزمون أو يقطعون بأنهم وحدهم أولياء الله وأهل جنته ورحمته يقولون ذلك على سبيل الجزم والقطع، ومن شأن من كان كذلك أن لا يخاف لقاء الله ولا يبالي بنزول الموت عليه، والخوف من الموت يضمحل أو يقل مع اليقين بالفوز عند الله، وهذا خاص باليهود؛ لأنهم ادعوا لأنفسهم مكانة عند الله عظيمة حتى قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه. أما المؤمن المطيع لله فغير جازم وقاطع برضوان الله والنجاة من عذابه بل هو بين الرجاء والمخافة فهو لذلك يخاف الموت وما بعد الموت، والعاقل لا يقدم على أمر ولا يتمنى الإقدام عليه إلا إذا تيقن النفع وأمن المكروه، أما إذا لم يحصل إلا التجويز وعسى ولعل فلا لوم ولا ذم، بل قد يلام على الإقدام في منافع الدنيا المحفوفة بالمخاطر.

وجعلها فيهم وحدهم، ولا يصح أن يحولها الله تعالى عنهم، فليس للعرب فيها أي نصيب، ولا حظ لهم في شيء من رحمة الله تعالى أو فضله؛ فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم: إن كنتم صادقين فتمنوا الموت، ولكنهم لن يتمنوه أبداً؛ لأنهم يعلمون أن محمداً نبي صادق، ويعلمون أنهم عاصون لله تعالى متمردون عليه وعلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وأنهم إن تمنوا الموت ماتوا، وهذا ما يهربون منه ولا يريدونه؛ لعلمهم بما يقدمون عليه من العذاب والنار وسخط الملك الجبار.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۝٨﴾ قل لهم يا محمد: إن الموت الذي يفرون منه لا بد أن يلاقيهم، ولا بد أن يبعثهم الله سبحانه وتعالى بعد موتهم، ثم يحاسبهم ويجازيهم على كفرهم وتكذيبهم وتمردهم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا[1] نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ[2] اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ[3] كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ۝٩﴾ ثم رجع الله سبحانه

---

(١)- **سؤال:** ما الذي يفهم من هذا الشرط؟ وما وجه قول أهل المذهب أن الأذان للجمعة ليس بشرط في صحة الخطبتين فلو أذن بعدهما لصحت؟

الجواب: يفهم من الشرط: أنه لا يجب الحضور لصلاة الجماعة التي ينادى لها في غير صلاة الجمعة، وفي هذا دليل على صحة القول بأن الصلاة جماعة سنة مؤكدة غير واجبة على كل مكلف، أما وجوبها على الكفاية -أي كونها فرض كفاية- فإنها واجبة كذلك على الكفاية؛ لأنها شعار الإسلام وأمارته وآيته.

ووجه قول أهل المذهب أن الأذان في الجمعة ليس بشرط في صحة الخطبتين- هو أنه لم يرد دليل على كونه شرطاً لصحة الخطبتين أو لصحة الصلاة.

(٢)- **سؤال:** هل يمكن أن نستدل من هنا أن الخطبة إذا لم تشتمل على ذكر الله فلا ينبغي السعي إليها؟ وكذا إذا اشتملت على شيء منافٍ لذكر الله أم كيف؟

الجواب: نعم يؤخذ منها ذلك فلا ينبغي السعي إلى خطبة ليس فيها ذكر الله، وهكذا لا يجب السعي إذا اشتملت على منكر وقول باطل.

(٣)- **سؤال:** ما فائدة التعليق بهذا الشرط؟

الجواب: الفائدة منه التجهيل للمخاطبين وبيان أنهم بمنزلة من لا يفرق بين الخير والشر.

وتعالى إلى خطاب المؤمنين يحثهم على الجد والاجتهاد في أداء ما افترض عليهم، وعلى سرعة المبادرة والإجابة لنداء الله تعالى لهم يوم الجمعة؛ وقد كانوا متهاونين ومقصرين في أداء الجمعات؛ لانشغالهم وحرصهم الشديد على الدنيا وعلى السعي وراءها، وانهماكهم في أعمال التجارة والبيع والشراء، وأخبرهم أن ثواب سعيهم في أداء الجمعة خير لهم من الأرباح الدنيوية التي تشغلهم عن المبادرة إلى حضور الجمعة.

﴿فَإِذَا(١) قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا(٢) فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا(٣) مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ ولن يضركم حضور الصلاة، ولا ينقص من أرزاقكم، فإذا قضيتم الصلاة فعودوا إلى تجارتكم وبيعكم وشرائكم؛ ولا ينبغي ولا يليق بكم أيها المؤمنون أن تتركوا نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتعرضوا عن ندائه لكم.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ وينبغي أن يكون ذكر الله دائماً على قلوبكم، وأن يكون ذكره شغلكم الشاغل، وأن تؤثروا طاعة الله تعالى على دنياكم،

---

(١)- **سؤال:** ما هي هذه الفاء؟

الجواب: الفاء هي عاطفة للتعقيب والترتيب.

(٢)- **سؤال:** ما هي القرينة في هذا الأمر أنه للإباحة؟

الجواب: من قرائن الإباحة أن صيغة الأمر إذا وقعت بعد المنع بأنه يكون للإباحة ومثلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة:٢]، وهذه الصيغة «ابتغوا» وردت بعد المنع، وهناك قرينة أخرى وهي أن طلب المكاسب والأرباح معلوم الحكم من قبل ورود الصيغة فهو مثل: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [البقرة:٦٠].

(٣)- **سؤال:** يروى عن الإمام زيد عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه أنه العبادة والفقه فكيف ذلك؟

الجواب: الفقه والعلم والازدياد من العبادة هي مما يصدق عليه أنه فضل من الله، إلا أن السياق يدل على أن المراد طلب المكاسب والرزق ولا مانع من دخول ما ذكره الإمام زيد بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذلك لعموم فضل الله لما ذكر حيث أن اسم الجنس المضاف يعم وهو معدود من ألفاظ العموم كما ذلك مقرر في الأصول.

وأن لا تكونوا من الغافلين عن ذكر الله تعالى، فاذكروا الله كثيراً لتفوزوا برضوان الله وثوابه.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا[١] قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ[٢] خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[٣] ثم ذمهم الله تعالى مرة أخرى بأنهم إذا حضروا الصلاة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم سمعوا خلالها بوصول قافلة تجارة إلى السوق أو سمعوا أصوات الطبول خرجوا من صلاتهم غير مبالين بتركهم لنبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وحده في الصلاة أو في الخطبة[٤].

والسبب في نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخطب في إحدى الجمع فوصلت قافلة تجارية فانفض إليها العدد الكثير من المسلمين، ولم يبق معه كما قيل إلا أربعون رجلاً من بين ذلك العدد الكبير من المسلمين فذمهم الله سبحانه وتعالى على ذلك وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبرهم بأن ما عند الله تعالى من ثواب سماعهم للخطبة وصلاتهم خير لهم من السعي وراء اللهو واللعب والتجارة، وأن الرزق بيد

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب «قائماً»؟

الجواب: يعرب مفعولاً به ثانياً، ويصح إعرابه حالاً.

(٢)- **سؤال:** هل هذه الجملة لا زالت من مقول القول أم ماذا؟

الجواب: هي من مقول القول الذي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقوله.

(٣)- **سؤال:** ما الذي يؤخذ من هذه الآية الأخيرة من أحكام فقهية؟

الجواب: يؤخذ منها:

١ - أن استماع الخطبة واجب.

٢ - أن الخروج من المسجد والإمام يخطب محرم.

٣ - أن الخطيب يكون قائماً مواجهاً في خطبته للمسلمين.

(٤)- **سؤال:** هل روي أنهم تركوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته وخرجوا لسماع الطبول كما ورد في التجارة أم كيف؟

الجواب: نعم روي ذلك والآية تُصَدِّق ما روي.

الله تعالىٰ لا ينقصه أداء فرائضه أو شيء من طاعاته، بل إن الطاعة من أكبر أسباب الرزق. وقوله ﴿اللَّهْوِ﴾: هو ما كان المسلمون يجتمعون[١] حوله من الغناء، وضرب الطبول غافلين عن الصلاة، وعن ذكر الله تعالىٰ.

❁❁❁❁❁

(١)- **سؤال:** هل تريدون بقايا أعمال الجاهلية؟ أم ما كان يفعله بعض الكفار من محاولة تجميعهم علىٰ القينات حتىٰ نزل فيه قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ...﴾ إلخ [لقمان:٦]، فهل يناسب هذا كون الآية مدنية أم ماذا تقصدون؟ وهل تدل الآية علىٰ تحريم ضرب الطبول أو الاستماع إلىٰ ذلك الذي جوَّزه بعض العلماء في الأعراس أم لا؟ فلماذا؟

الجواب: كأن المراد هنا باللهو ما يعم الجائز وغير الجائز؛ لأن الذم الموجه هنا للمنصرفين عن المسجد والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يخطب هو لتركهم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قائماً يخطب يوم الجمعة وإيثارهم الخروج إلىٰ اللهو أو التجارة، لا لكون ما خرجوا إليه محرماً؛ لذلك فلا تفيد الآية تحريم ما يسمىٰ لهواً فقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ...﴾ [محمد:٣٦]، ولا علىٰ تحريم ضرب الطبول علىٰ الإطلاق، والذي عرفته أن الطبل [الطاسة] كان يضرب بين يدي العلامة الكبير سيدي علي بن محمد العجري رَحِمَهُ اللهُ وبين يدي علماء ضحيان في يوم الغدير.

سورة المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ[(١)] يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١﴾[(٢)] يطلع الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على كذب المنافقين ومراوغتهم، وكيف يشهدون في وجهه بالنبوة، وقلوبهم كافرة بنبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ وكيف يقسمون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالأيمان المغلظة والفاجرة ليعتذروا بها عنده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مما اتُّهِمُوا به من الكفر، وليتحصنوا بها من سيوف المسلمين، غير مبالين بكذبهم على الله تعالى وعلى رسوله.

﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يخذلون الناس عن الدين وعن نصرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويرجفون بين صفوف المسلمين، ويبثون الرعب والفزع بينهم بما يهولون به عليهم من الأخبار الكاذبة.

---

(١)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة؟ وكذا جملة: «والله يشهد إن المنافقين..»؟

الجواب: جملة «والله يعلم إنك لرسوله» لا محل لها معترضة وجملة: «والله يشهد إن المنافقين لكاذبون» معطوفة على جملة: «يشهد إنك لرسول الله».

(٢)- **سؤال:** هل التكذيب وارد على شهادتهم أم أنه باعتبار القول كما هو الظاهر؟ وهل يستنبط ذلك قوة رأي بعض علمائنا أن الخبر قد يكون كذباً لمخالفته للواقع ولا يسمى صاحبه كاذباً لعدم مخالفته لاعتقاده والعكس كما في الآية، أم كيف؟

الجواب: التكذيب للمنافقين وارد على شهادتهم أي: على قولهم «نشهد..» حيث أن الشهادة لا تكون إلا عن علم محقق فقالوا: نشهد والواقع أن قلوبهم غير شاهدة بما نطقت به ألسنتهم؛ لذلك قال الله بعدها: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾.

وما ذكره بعض أئمتنا قوي من حيث الشرع فالخطأ معفو عنه فلا تلحقه أحكامه التي منها ذمه بإطلاق اسم الكاذب عليه ووصفه بالكذب.

﴿إِنَّهُمْ سَاءَ[(١)] مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ۝٢﴾ بلغوا الغاية في الفساد وفي مساوئ الأعمال.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ۝٣﴾ ساءت أعمال المنافقين بسبب أنهم آمنوا ودخلوا في الإسلام ثم إنهم بعد ذلك تشككوا وكفروا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبدينه وبما جاء به من رسالة ربه تعالى فقست قلوبهم وعميت بصائرهم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ۝٤﴾[(٢)] ثم وصف الله سبحانه وتعالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هؤلاء المنافقين بأن عليهم هيئة حسنة ومظهراً جميلاً يُعجِبُ من رآهم، ويعجبه كلامهم وحديثهم ومنطقهم الحسن الفصيح، يكادون يأخذون اللب بفصاحتهم وحسن كلامهم.

وإذا قرأ عليهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القرآن فلا يعون[(٣)] منه شيئاً ولا يفقهونه، ولا ينفذ إلى قلوبهم شيء مما يسمعونه من القرآن الذي يتلى عليهم، ومن صفتهم أنهم كانوا إذا سمعوا داعي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للجهاد فإنه يصيبهم الخوف الشديد وتأخذهم

---

(١)- **سؤال:** هل يمكن أن نعرف صحة الإخبار بالإنشاء (أسلوب الذم) أو تخريجه هنا؟

الجواب: لا يصح الإخبار بالإنشاء إلا أنه في هذا ونحوه متأول والتقدير إنهم مذمومون أو إنهم مقول فيهم ساء ما يعملون.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في فصل كل جملة في الآية عن سابقتها؟ وأين المفعول الثاني لـ«يحسبون»؟ وما معنى الفاء في قوله: «فاحذرهم»؟

الجواب: الجمل المذكورة أحوال مترادفة من الضمير المجرور «لقولهم» والمفعول الثاني لـ«يحسبون» هو قوله «عليهم» فهو متعلق بمحذوف، والفاء عاطفة للمسبب على السبب.

(٣)-**سؤال:** ما وجه التجوز عن هذا بقوله: «كأنهم خشب مسندة»؟ وما وجه التضعيف في «مسندة»؟

الجواب: وجه الشبه بين المنافقين والخشب المسندة عدم فهم الخطاب وتعقله، والتضعيف لإفادة الكثرة في الخشب الدال على كثرة المنافقين الذين كانوا يحضرون كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

القشعريرة ظناً منهم أن النبي ﷺ يقصدهم، ويؤلب الناس عليهم وعلى جهادهم، ويخافون أن يكون أمرهم قد افتضح عند النبي ﷺ.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنهم هم العدو الحقيقي(١) للإسلام والمسلمين، وأنهم الأشد خطراً على الإسلام وأهله، من المشركين ومن اليهود.

ومعنى ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾: لعنهم الله، و﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يصرفون عن الحق والهدى بعد أن عرفوه؟ وكيف يختارون طريق الغي والضلال ويتركون طريق الحق والهدى؟

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ(٢) رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا(٣) رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ۝﴾ وإذا دعاهم أحد إلى النبي ﷺ أو نصحهم

---

(١)- **سؤال:** يقال: من أي ناحية نفهم هذا؟

الجواب: فهم ذلك من قوله: «هم العدو» فإن التعريف للمسند والمسند إليه يفيد الحصر والقصر.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «تعالوا يستغفر لكم»؟ وما الذي نستفيده منها بالنسبة لنا؟

الجواب: «تعالوا» فعل أمر والواو فاعل. «يستغفر» مضارع مجزوم في جواب الأمر، «لكم» جار ومجرور متعلق بيستغفر، «رسول الله» فاعل.

والذي يستفاد منها بالنسبة لنا:

- معرفة علامة المنافقين.
- أخذ الحيطة القصوى والحذر الشديد منهم ومن مكائدهم.
- أن المنافقين العدو الأول ثم في الدرجة الثانية أهل الكفر.

ولا يتعارض هذا مع قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾ [المائدة:٨٢]، فالمنافقون إنما كانوا العدو الأول من حيث أنهم مندسون بين صفوف المؤمنين ومتمكنون من الإضرار بهم أكثر من اليهود والمشركين، فهم يثبطون المؤمنين عن نصرة النبي ﷺ والإسلام، وينشرون الإشاعات والإرجاف ويفرقون بين المؤمنين المتحابين، ويروجون الدعايات وإلصاق التهم بالمخلصين، ونحو ذلك مما لا يقدر على فعله اليهود والمشركون، وعلى هذا فاليهود والمشركون أشد عداوة من المنافقين، إلا أن المنافقين وإن كانوا أقل عداوة فهم العدو الفتاك الذي لا يؤبه له.

(٣)- **سؤال:** ما نوع المجاز هنا؟

الجواب: الظاهر أن ذلك «لووا رؤوسهم» حقيقة لا مجاز فإن العادة فيمن صدمه خبر لا يريده يلوي رأسه من يمين إلى شمال.

بالذهاب إليه لالتماس الدعاء بالمغفرة والرحمة من عنده فإنهم يعرضون[١] عنه، ويأبون الذهاب إليه، ظاهرة عليهم أمارات الكفر والتعالي والتعاظم الذي يملأ قلوبهم.

﴿سَوَاءٌ[٢] عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ۝٦﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قد أوجب عليهم عذابه وسخطه، وسلبهم توفيقه وتنويره، ولم يبق إلى هدايتهم سبيل، وقد حرموا من مغفرة الله لفسوقهم عن أمره وخروجهم من ولايته.

فلا تستغفر لهم يا محمد فسواء استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم.

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ۝٧﴾[٣] عندما آوى أهل

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في التنصيص على هذه الصفة التي دلت عليها الآية وربما أن لهم صفات أقبح منها؟

الجواب: كان المنافقون يفعلون الفعلة المنكرة فإذا انكشف أمرهم ذهبوا إليه وحلفوا له الأيمان المغلظة أنهم ما فعلوا ولا قالوا، فإذا دعوا إلى التوبة وإلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليستغفر لهم لووا رؤوسهم، فبين الله ذلك من صفتهم؛ ليعرفوا بها ولا يستطيعوا التخلص منها.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «سواء»؟ وما وجه فصل جملة «لن يغفر الله لهم»؟

الجواب: «سواء» خبر مقدم، «أستغفرت لهم» في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، وهذا من المواضع التي أوَّلوا الفعل فيها بمصدر من غير حرف مصدري، ومثله «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» فأولوا «تسمع» بالمصدر وجعلوه مبتدأ و«خير» خبره. ووجه فصل: «لن يغفر الله لهم» عن سابقتها كونها علة لسابقتها.

(٣)- **سؤال:** كرر الله وصف المنافقين في هذه السورة وغيرها بأنهم لا يفقهون ولا يعلمون مع أنهم أهل دهاء ومكر فكيف؟

الجواب: جاءت صفتهم بقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ۝٨﴾ بعد قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولا يصدق ذلك إلا المؤمن بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنهم قد صدقوا وعد الله بنصر دينه وإعزاز نبيه وأوليائه، أما المنافقون فهم غير مصدقين ولا مؤمنين

=

المدينة النبي ﷺ وأصحابه، وفتحوا لهم مساكنهم، وأطعموهم وكسوهم كان المنافقون ينهونهم عن أن ينفقوا عليهم أيَّ نفقةٍ أو يؤثروهم بشيء حتى لا يرغبوهم في البقاء حول النبي ﷺ؛ ظناً منهم أنهم إن تركوهم من النفقة والإيواء فسيتفرقون عن النبي ﷺ ويضمحل أمره، فأجاب الله تعالى عليهم بأن خزائن السماوات والأرض بيده، وأنهم لن يستطيعوا أن يمنعوا عنهم شيئاً قد كتبه الله تعالى لهم سواء كان من الأنصار أو من غيرهم، وأنهم مهما حاولوا في منعهم وقطع أرزاقهم فلن يستطيعوا ذلك أبداً.

﴿يَقُولُونَ[1] لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ۝٨﴾ حصل أن اعتدى في بعض الغزوات وهي غزوة بني المصطلق أحد عبيد المهاجرين على عبد لرجل من أهل المدينة، فأخذت المنافقين الحمية الشديدة والأنفة واستنكروا كيف أنهم يؤوون المهاجرين ثم في الأخير يريدون أن يسيطروا عليهم ويتحكموا فيهم ويذلوهم،

بوعد الله، فهم لا يعلمون صدق ذلك الوعد؛ لكفرهم وتكذيبهم بما وعد الله نبيه ﷺ من العزة والنصرة والتمكين والغلبة.

وجاء قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ۝٧﴾ بعد قوله: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ فلو كان المنافقون ذوي فهم ونظر لعلموا أن الرزق بيد الله فهو القادر على أن ينزل الأمطار ويجري الأنهار ويبارك في الزروع والأثمار والمراعي والحيوانات، ولما قالوا ما قالوا، وبإمكان المنافقين أن يفقهوا هذا وهم على نفاقهم إلا أنهم لم يفقهوه فوصفهم الله بقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ۝٧﴾ فجاءت هذه الصفة في مكانها المناسب وجاءت تلك ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ۝٨﴾ في مكانها المناسب.

(١)- **سؤال:** هل هذه الجملة استئنافية أم ماذا؟

الجواب: نعم، الجملة مستأنفة.

فتوعدوهم بأنهم سوف يخرجونهم من بلادهم أذلاء زاعمين أن العزة والشرف لهم لكونهم أهل البلاد، وأما المهاجرون فليسوا إلا دخلاء بينهم؛ فأجاب الله سبحانه وتعالى عليهم بأن العزة كل العزة لله تعالى ولرسوله ولأوليائه المؤمنين، لا نصيب لأحد غيرهم في شيء منها. ومعنى «العزة» : القهر والغلبة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ[1] وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ۝٩﴾ ينادي الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين ويحثهم على سرعة المبادرة إلى طاعته وطاعة رسوله، وأن لا يشتغلوا بشيء سواها من أمور الدنيا؛ وأخبرهم أن من شغله عن طاعة الله تعالى ورسوله شواغل من أمور الدنيا حتى[2] ضيع فرائض الله تعالى وما أوجب عليه فقد خسر الدنيا والآخرة.

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ۝١٠﴾[3] وأمرهم أن

---

(١)- **سؤال:** بم جزم الفعل «تلهكم»؟ وهل المراد بـ«ذكر الله» المصدر حتى يصير معناه عن تذكر الله كما يفهمه كلامكم أم أن المراد الاسم فكيف يكون معناه على التحقيق؟

الجواب: جزم بحذف حرف العلة الياء، وأصله: تلهيكم. والمراد بذكر الله فعل طاعته وما أوجب الله من أداء فرائضه، فالمراد به هنا كالمراد به في قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة:٩]، إلا أنه في هذه السورة عام في الجمعة وغيرها.

(٢)- **سؤال:** ما الذي يرشدنا إلى هذا القيد؟

الجواب: يرشدنا إليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ۝٩﴾ فمن ألهته أمواله وأولاده عن تأدية فرائض الله فقد خسر الدنيا والآخرة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ۝٩﴾.

(٣)- **سؤال:** لو تفضلتم بإعراب الآية كاملة لكان مناسباً لتوضيح ما فيها؟

الجواب: « الواو » عاطفة. « أنفقوا » : فعل أمر والواو فاعل. « من » : حرف جر. « ما »: اسم موصول. « رزقناكم » : فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول والعائد محذوف

=

يخرجوا ما افترض الله سبحانه وتعالىٰ عليهم في أموالهم من الصدقات، وأن يعطوها النبي ﷺ ليستعين بها على الجهاد والدفاع عن الإسلام وعن المسلمين، وأن يستغلوا الفرصة في ذلك حتىٰ لا يندموا حين لا ينفعهم الندم. ومعنىٰ «لولا أخرتني» : هلا أمهلتني.

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾[1] وأن لا يتساهلوا في الإنفاق ولا يؤخروا الإخراج لما أوجب الله سبحانه وتعالىٰ عليهم، وأن يسارعوا ما داموا في الفسحة والمهلة، فلن يستجيب الله لطلبهم التأخير لساعة موتهم حين حصولها وأخبرهم أنه عالم بأعمالهم مطلع عليها سرها وعلانيته.



تقديره: رزقناكموه. « من قبل »: جار ومجرور متعلق بـ«أنفقوا». « أن يأتي »: في تأويل مصدر مجرور بالإضافة. « أحدكم »: مفعول به مضاف إلىٰ الضمير. الموت: فاعل «يأتي». « فيقول »: مضارع منصوب بالعطف علىٰ «يأتي». «رب»: منادىٰ مضاف. « لولا »: للتحضيض وبدخولها علىٰ الماضي يفيد التنديم وهو للدعاء هنا. « أخرتني»: فعل وفاعل ومفعول. « إلىٰ أجل»: جار ومجرور متعلق بـ«أخرتني». قريب: صفة لـ«أجل». « فأصدق»: مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالتحضيض. « وأكن»: الواو للعطف، أكن: مضارع ناقص مجزوم عطفاً علىٰ المعنىٰ الذي يسمىٰ في النحو التوهم، فيقال في غير القرآن: إنه توهم سقوط الفاء في «فأصدق» فجزم المعطوف لتوهمه الجزم في المعطوف عليه إلا أنه يقال في القرآن العطف علىٰ المعنىٰ.

(١)- **سؤال:** ما وجه جعل هذه الآية خاتمة للسورة؟

الجواب: في ذكر التأخير والأجل والوعيد إيذان وإشارة إلىٰ تمام السورة ونهايتها.

سورة التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ[1] وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ ومعنى تسبيح ما في السماوات وما في الأرض هو تنزيهها وتقديسها وشهادتها بإلهية إله واحد، خلقها ودبرها وأحكم صنعها، لا ثاني معه ولا شريك ولا مثيل أو مكافئ في الربوبية والقدرة والعظمة، وأنه المالك والمسيطر على كل ما في السماوات والأرض، وأنه وحده الذي يستحق الحمد على ما أولى من النعم.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ثم يذكر الله سبحانه وتعالى المشركين وغيرهم بأنه الذي خلقهم وأوجدهم، فما بالهم يتوجهون إلى عبادة الأصنام من دونه؟ وما هو الذي دعاهم إلى عبادتها وهم يعلمون أنها لا تستطيع أن تخلق شيئاً أو تنزل لهم رزقاً؟

﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ ثم أخبرهم الله تعالى أنه بعد أن خلقهم انقسموا قسمين بمحض[2] إرادتهم واختيارهم: فمنهم من

---

(١)- **سؤال:** ما هو السر في فصل هذه الجملة؟

الجواب: فصلت لأنها علة لما قبلها.

(٢)- **سؤال:** ما الذي يدلنا على أن هذا القيد مراد هنا؟ وبم يرد المرشد على من حاول أن يجعل معناها هكذا: هو الذي خلق بعضكم كافرين وبعضكم مؤمنين؟

الجواب: كون حصول الإيمان والكفر عند المؤمن والكافر باختيار منهم تدل عليه دلائل أخرى عقلية ونقلية، وليس ذلك مأخوذاً من قوله: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ ويدل قوله تعالى بعدها: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ أن أعمال الكافرين والمؤمنين واقعة منهم باختيارهم؛ لذلك نسب الأعمال إليهم ومن جملة أعمالهم الإيمان والكفر.

ويجاب على من يقول: إن المعنى: خلق بعضكم كافرين وبعضكم مؤمنين بأنه لا يوجد دلالة في قوله: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ لا على أن الكفر والإيمان مخلوق فيه ولا على أنه من فعل الإنسان وباختياره، فالآية تدل على أن الله تعالى خلق بني آدم فبعدما خلقهم انقسموا

=

اختار طريق الضلال والكفر، ومنهم من اختار طريق الحق والهدى؛ وسيجازي كل فريق منهم على ما عمل، فهو مطلع على جميع أعمال عباده خفيها وظاهرها.

﴿خَلَقَ[١] السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ثم أخبرهم أنه لم يخلق لهم السماوات والأرض إلا لغرض عظيم وحكمة بالغة وهو ما يترتب على خلقهما من البعث بعد الموت للحياة الآخرة الأبدية والحساب والجزاء، وهذا معنى قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾، لا كما يزعم المنكرون للبعث من أن الموت نهاية حياة الإنسان، ولا بعث بعد ذلك ولا حساب ولا جزاء، ولو كان الأمر كذلك لكان خلق السماوات والأرض باطلاً.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ[٢] صُوَرَكُمْ﴾ وهو الذي خلقكم أيها الناس وأكرمكم بأن أحسن صوركم وميزكم عن بقية مخلوقاته بجمال الخلقة وحسن الطلعة، واعتدال القامة نعمة منه عليكم وفضلاً خصكم به.

﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ۝٣﴾ ومصيركم سيكون إليه يوم القيامة للحساب والجزاء، فاحذروا الله سبحانه وتعالى، وأدوا حق شكره، ولا تكفروا نعمه عليكم.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ۝٤﴾ فلا تخفى عليه خافية لا في السماء ولا في الأرض، وهو عالم

فبعضهم كافر وبعضهم مؤمن، فلو أن الله خلقهم كافرين ومؤمنين لما صح العطف بالفاء؛ إذ أن الفاء تدل على أن الكفر والإيمان لم يحصلا إلا بعد الخلق، وبعد فقد وردت الرواية المشهورة: ((كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه)) هذا معنى الحديث المشهور.

(١)- **سؤال:** هل هذا استئناف نحوي أم ماذا؟

الجواب: نعم هو استئناف نحوي.

(٢)- **سؤال:** يقال: كيف عطف الله حسن التصوير بالفاء على التصوير وهو نفسه؟

الجواب: الفاء العاطفة تأتي لعطف المفصل على المجمل، وهذه الآية من أمثلة ذلك، فالمعطوف والمعطوف عليه شيء واحد، وهذا المعنى مذكور بين معاني الفاء كما في مغني اللبيب.

بضمائركم وأسراركم، المطلع على ما أخفيتم وما أعلنتم؛ فاحذروا أن تقعوا فيما يغضبه ويوجب سخطه، فسيجازيكم على كل صغير وكبير.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ[١] نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ۝٥﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى المشركين من أهل مكة الذين تمردوا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأعرضوا عنه وكذبوا به وبما جاء به بعد أن عرفوا صدقه وتحققوا أنه رسول من عند الله تعالى أرسله إليهم بالحق والهدى، واستنكر عليهم عدم اتباعه على الرغم من كل ذلك، ومن معرفتهم بما جرى على الذين من قبلهم ممن كذبوا وتمردوا على أنبيائهم، وكيف عذبهم الله سبحانه وتعالى جزاءً على كفرهم وتكذيبهم وتمردهم، وقد بلغهم الله سبحانه وتعالى وقص عليهم أخبارهم ليعتبروا بهم فلا يقعوا فيما وقع فيه أولئك القوم، وعليهم أن يتداركوا أنفسهم قبل أن ينزل بهم العذاب الذي سيستأصلهم كما استأصل الذين من قبلهم فضلاً عما ينتظرهم من العذاب الأليم في نار جهنم.

﴿ذَلِكَ[٢] بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ۝٦﴾[٣] ثم ذكر الله سبحانه وتعالى لهم السبب

---

(١)- **سؤال:** هل الاستفهام استنكاري أم أنه تقريري؟ وعلام عطفت جملة «فذاقوا وبال أمرهم»؟

الجواب: قد أجبنا كثيراً على مثل هذا بأنه يصح أن نسميه تقريرياً نظراً لما بعد النفي، وأن نسميه استنكارياً نظراً للمنفي، أي: لما دخلت عليه الهمزة، وجملة «فذاقوا وبال أمرهم» لا محل لها معطوفة على جملة الصلة «كفروا».

(٢)- **سؤال:** أين خبر هذا المبتدأ؟

الجواب: خبره الجار والمجرور «بأنه».

(٣)- **سؤال:** هل قوله: «والله غني» نفس قوله: «واستغنى الله» فما السر في تكريره؟ أم ليس نفسه فلماذا؟

الجواب: معنى «واستغنى الله» ظهر استغناء الله عنهم حيث لم يعذبهم وهو قادر على تعذيبهم، «والله غني حميد» معترضة والواو اعتراضية لتأكيد ما قبلها.

في إنزال عذابه بتلك الأمم، وذلك أنه كانت تأتيهم رسل الله تعالى بالآيات والحجج الواضحة والمعجزات الدالة على صدقهم فيعرضون عنهم أشد الأعراض، ويستكبرون عن اتباعهم بعد أن يعرفوا صدقهم، ويستنكرون على الله سبحانه وتعالى ويتعجبون كيف يصح أن يبعث إليهم رسولاً من البشر، فيكفرون بهم ويتولون عن اتباعهم، ثم أخبرهم الله سبحانه وتعالى أنه غني عنهم غير محتاج إلى شيء من طاعتهم، وأنهم لن يضروا بتكذيبهم ذلك إلا أنفسهم. ومعنى «حميد» هنا: مستحق للحمد محمود.

﴿زَعَمَ[1] الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا[2] قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ كان أهل مكة ينكرون على النبي ﷺ حين أنذرهم عذاب الله يوم البعث والحساب وكذبوه وكذبوا بالبعث والحساب، فأمره الله سبحانه وتعالى أن يقسم لهم أنه لا بد أن يبعثهم الله سبحانه وتعالى للحساب والجزاء على جميع أعمالهم التي عملوها من الكفر والتكذيب والاستهزاء بالله تعالى وبرسوله، وأن أمر بعثهم ليس بالأمر المستحيل كما يزعمون لأن من قدر على خلقهم وإيجادهم من العدم قادر على إعادة خلقهم مرة أخرى، بل إن ذلك أيسر في الظاهر وأهون، وأن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يحاسبهم ويجازيهم على جميع أعمالهم صغيرها وكبيرها لا يضيع عنده مثقال ذرة من أعمالهم.

---

(١)- **سؤال:** ما مفهوم الزعم الذي عبر الله به في هذه الآية وضابطه؟

الجواب: معنى الزعم هنا: ادَّعوا دعوى باطلة، وقد يأتي قليلاً في دعوىً حقَّة كقول أبي طالب للنبي ﷺ:

فدعوتني وزعمت أنك ناصحي ... فلقد صدقت وكنت ثَـمَّ أمينا

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «أن لن يبعثوا»؟

الجواب: «أن» وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب على أنه مفعول به لفعل الزعم، وهو ساد مسد المفعولين.

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ[(١)] بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨﴾ آمنوا أيها المشركون بالله ورسوله وبالقرآن الذي أنزله الله إليكم لتسلموا من عذاب الله تعالى، فقد أحصى الله تعالى أعمالكم وعلم أسراركم وسيجازيكم عليها، ولا محيص لكم من عذاب الله إلا إذا آمنتم بالله ورسوله ﷺ وبالقرآن الذي أنزله إليكم.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ[(٢)] الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ سيبعثكم[(٣)] الله أيها المشركون في ذلك اليوم الذي سيجمع فيه الخلائق من الأولين والآخرين، والذي سيحصل فيه الغبن الحقيقي للذين[(٤)] خسروا أنفسهم بما جنوا عليها في الدنيا من ارتكاب المعاصي والسيئات.

وأما من كان من أهل الإيمان بالله سبحانه وتعالى والأعمال الصالحة في الدنيا فإن الله تعالى سيريه صحيفته يوم القيامة بيضاء ناصعة[(٥)] من الذنوب والمعاصي التي قد

---

(١)- **سؤال:** ما محل الجملة الاسمية هذه من الإعراب؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب استئناف.

(٢)- **سؤال:** ما معنى «اللام» هذه؟ وما محل جملة «ذلك يوم التغابن»؟

الجواب: اللام للانتهاء أي: بمعنى «إلى». «ذلك يوم التغابن»: لا محل لها من الإعراب استئناف بياني.

(٣)- **سؤال:** هل تريدون أن «يوم» معمول «لتبعثن» في الآية السابقة أم كيف؟

الجواب: لا نقصد ذلك، بل هو مفعول به لـ«اذكر» محذوفاً أي: اذكروا يوم يجمعكم.

(٤)- **سؤال:** فضلاً من أين يظهر لنا أنه خاص بالذين خسروا أنفسهم؟ وهل يصح أن نحمله على المؤمن بمعنى أنه يتمنى لو زاد في الصالحات؟ أم لا ترونه مناسباً فلماذا؟ وما الذي تفيدنا صيغة «التغابن» ووزنه؟

الجواب: التغابن يكون بين المؤمنين والفاجرين حيث يكون نصيب المؤمن الجنة، ونصيب المجرم نار جهنم، فالغابن هم أهل الجنة والمغبون أهل النار، أما أهل الجنة فلا تلحقهم حسرة ولا ندامة؛ لذلك عقب الله بقوله: «ومن يؤمن بالله...». والتغابن على زنة «تفاعل» ولا يكون إلا بين اثنين فأكثر.

(٥)- **سؤال:** يقال: أليس أدخل في الحكمة أن يطلع المؤمن على تلك السيئات التي كفرها الله عنه؛ ليعرف من خلال ذلك رحمة الله سبحانه وعظيم عفوه وكرمه أم كيف؟

=

كفرها سبحانه وتعالىٰ عنه بسبب إيمانه، ثم يدخله الله تعالىٰ الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴿٩﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن ذلك هو الفوز العظيم الذي ينبغي للإنسان أن يسعىٰ إليه ويطلبه.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴿١٠﴾﴾ وأما الذين كفروا وكذبوا بالله تعالىٰ ولقائه فسيريهم الله سبحانه وتعالىٰ صحائف أعمالهم مليئة بالمعاصي والسيئات التي عملوها في الدنيا قد أحصاها عليهم جميعاً صغيرها وكبيرها لا يفوت منها مثقال ذرة، وقد أعد الله سبحانه وتعالىٰ لهم نار جهنم، وجعلها دارهم ومسكنهم، خالدين فيها وبئس المصير.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه ما من مصيبة تصيب الإنسان في نفسه أو في أهله أو في ماله إلا بإذن الله تعالىٰ(١)، وهو الذي قضاها وقدرها، وقد يكون(٢) بعض ما يصيبه بسبب اقتراف معصية أو نحو

الجواب: بلىٰ سيطلعه الله تعالىٰ علىٰ سيئاته التي كفرها بدليل: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴿٨﴾﴾ [الانشقاق]، وذلك ليرىٰ فضل الله عليه وعظيم نعمته لديه من غير أن تظهر لأهل الموقف.

(١)- **سؤال:** قد يفهم بعض الطلاب أن المصائب التي تصيب الإنسان علىٰ أيدي الآدميين من جملة المصائب المقدرة من قِبل الله فكيف؟

الجواب: هناك فرق بين: ما أصاب الله من مصيبة، وبين: ما أصبتم أيها الناس من مصيبة، فما أصاب الناس بعضهم بعضاً من قتل وجرح و.. هو مصيبة من الناس لم يرضها الله ولا أذن فيها ولا أباحها بل نهىٰ عنها وتوعد عليها وحذر منها، وذلك معلوم، فلا يصح الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ علىٰ أن ما أصاب به الناس بعضهم بعضاً بإذن الله ورضاه وقضائه وقدره.

(٢)- **سؤال:** يقال: كيف نجمع بين هذا وبين التعميم المفهوم من قوله: «من مصيبة»؟

الجواب: المراد بما ذكرنا في التفسير أن بعض المصائب قد تكون بسبب معصية أي إنسان كالجدب والبرد والضريب و...؛ فالتعميم باق ولم نخصه.

ذلك فهو من الله سبحانه وتعالى أيضاً عقوبة وجزاء على معصيته.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١١﴾(١) ومن يؤمن بالله سبحانه وتعالى ويعمل الأعمال الصالحة فإن الله تعالى يمده بعونه ويزيده من أنواره وهدايته ويغمره بألطافه، ويبصره سبل الهداية والتوفيق.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا(٢) الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝١٢﴾ ثم حث الله سبحانه وتعالى على طاعته وطاعة رسوله، وأخبرهم أن من تولى عن طاعة الله تعالى ورسوله فإن الله سبحانه وتعالى سيحاسبه ويجازيه على ذلك، فقد أرسل إليهم رسله ليرشدوهم ويبصروهم طرق نجاتهم وهدايتهم، وليبلغوهم شرائع ربهم، وليعذروا إليهم وينذروهم، ثم وكلهم إلى اختيارهم ومشيئتهم ليختاروا أي الطريقين أرادوا.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝١٣﴾(٣) وأخبرهم أنه لا إله في هذا الكون إلا الله الواحد الأحد الذي ينبغي أن يتوكل عليه المؤمنون ويسندوا إليه

---

(١)- **سؤال:** ما المناسبة بين تمام هذه الآية وشطرها الأول؟

الجواب: المناسبة هي أن الله عليم بإيمان المؤمن وإيمان المنافق، وبالإيمان الضعيف والقوي، فهداية الله تعالى لقلب المؤمن تكون على حسب ما علم، فمن علم أن قلبه منافق لا يهدي قلبه ولا ينوره فلا يغتر المنافق بهذا الوعد فليس له فيه نصيب.

(٢)- **سؤال:** ما السر في تكرير الأمر بهذا الفعل؟ وما الذي نأخذه نحن من أحكام وفوائد من هنا؟

الجواب: أعيد العامل ليفيد التأكيد على طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. ونستفيد:

- أن طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واجبة فيما أمر به ونهى عنه.
- وأن الحديث الصحيح المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة يجب اتباعها والتدين بها؛ لنص القرآن على طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في تقديم المعمول «على الله»؟ وما معنى الفاء في قوله: «فليتوكل»؟

الجواب: قدم المعمول للاختصاص أي: فليتوكلوا على الله وحده لا على غيره، والفاء في هذا الموضع رابطة لشرط مقدر، أي: إذا حزب أمر فتوكلوا على الله.

ظهورهم، ولا يعتمدوا على أحد سواه، وذلك أن المؤمنين في أول الإسلام كانوا في ضعف وقلة، والمشركون محيطون بهم من كل جانب يضطهدونهم ويستذلونهم فامتلأت قلوبهم منهم رعباً وخوفاً مترقبين شرهم؛ فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يتوكلوا عليه، ويسندوا ظهورهم إليه، وهو سيكفيهم شرهم وأذاهم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ[١] وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ في أول الإسلام كان الرجل يسلم، وأولاده وزوجته على الكفر[٢]، فكان يلقى منهم التوبيخ والاستنكار، ويكثرون عليه من الإلحاح على ترك الإسلام والعودة إليهم، ولا يملّون من التودد إليه بشتى الوسائل رجاء أن يردوه إليهم؛ فأمرهم الله تعالى بالحذر منهم، ونهاهم أن يستمعوا إليهم؛ لأنهم من أهل العداوة لله تعالى ولرسوله، وقد صاروا لوالدهم أعداءً مهما وهم يريدون أن يفتنوه عن دينه، وأرشدهم تعالى إلى أن لا يؤاخذوهم بما يصدر منهم من الأذى والمضايقات، وأن يغفروا لهم ذلك فإن ذلك من أسباب مغفرة الله ورحمته[٣].

---

(١)- **سؤال:** هل هذه الفاء هي التي يقال لها (تفريعية)؛ لأن عداوتهم علة للتحذير منهم أم كيف؟

الجواب: الفاء في «فاحذروهم» عاطفة للمسبب على السبب.

(٢)- **سؤال:** هل يقصر على هذا السبب؟ أم يشمل كل سبب -من الأزواج والأولاد ولو كانوا مسلمين- يؤدي إلى افتتان الوالد عن بعض أمور دينه، وضحوا ذلك؟

الجواب: لا يقصر على هذا بل يشمل كل سبب من الأزواج والأولاد يؤدي إلى فتنة الزوج والأب عن بعض أمور دينه.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في أن العفو والمغفرة والصفح لا تعود إلى عداوتهم لآبائهم وفتنهم عن الدين مع أن السياق في ذلك؟

الجواب: المراد ما ذكرتم فلم نرد إلا عدم المؤاخذة للأولاد والأزواج.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(١) ثم أخبرهم الله سبحانه وتعالىٰ أنه ما رزقهم وأعطاهم الأموال والأولاد إلا فتنة واختباراً، هل سيحسنون تربية أولادهم؟ أم سيكونون سبباً في ضياعهم وافتتانهم عن دينهم؟ وهل سيضعون أموالهم في مواضعها التي أمرهم الله تعالىٰ؟ أم يبخلون بها عن ذلك؟ وليعلموا أنهم إن أنفقوا أموالهم ووضعوها في مواضعها فإن الله تعالىٰ سيعوضهم في الدنيا خيراً منها فضلاً عما يدخر لهم من الثواب العظيم في الآخرة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(٢) ثم أمرهم الله تعالىٰ أن يجهدوا جهدهم، ويعملوا ما في وسعهم في تقوىٰ الله تعالىٰ والحرص علىٰ طاعته، فهذا هو الذي أمرهم به وكلفهم به، فلم يكلف أحداً إلا علىٰ قدر طاقته واستطاعته، ولكن ليبالغ المرء في طاعة ربه، وليجهد جهده في كسب رضاه.

﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ وليتحروا في السؤال عن مراشد دينهم فما عصي الله تعالىٰ بأعظم من الجهل، وليمتثلوا ما أمرهم ربهم، ولا يقصروا في شيء من واجب طاعته.

---

(١)- **سؤال:** ما موضع جملة «والله عنده أجر عظيم»؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب معطوفة علىٰ جملة «إنما أموالكم وأولادكم فتنة» ووجه المناسبة بين الجملتين كون الأولىٰ متاع الدنيا والثانية متاع الآخرة.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «ما استطعتم»؟ وما المعنىٰ الذي ينبني علىٰ ذلك؟

الجواب: «ما» مصدرية مسبوكة مع ما بعدها بمصدر، والمصدر في محل نصب مفعول مطلق لـ«اتقوا الله» أو لفعل مقدر من لفظه أي: فاتقوا الله استطاعتكم وجهدكم.

ويستفاد من ذلك أنه يسقط عن المكلف ما لا يقدر علىٰ فعله من الواجبات نحو المريض الذي لا يقدر علىٰ القيام في الصلاة فيسقط وجوب القيام عنه فيصلي من قعود، ويسقط وجوب الصيام علىٰ المريض الذي لا يستطيع الصيام في رمضان، ثم يقضيه عند الاستطاعة، وأمثلة هذا كثيرة.

سؤال: هل في هذه الآية تخفيف عما في قوله: «حق تقاته»؟ أم أنها بمعناها فكيف؟

الجواب: قوله: «حق تقاته» مطلق مقيد بهذه الآية، فحق تقاته يكون في حدود الاستطاعة لا فوقها.

﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ[(١)] شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿١٦﴾﴾ ولينفقوا من أموالهم في سبيل نصر دينهم والدفاع عنه، ولم يرد بذلك إلا ما يجب عليهم من الزكاة[(٢)] في أموالهم، ثم أثنى الله تعالى على المنفقين عندما لم يبخلوا بإخراج ما يجب عليهم، وتغلبوا على غريزة[(٣)] البخل ووقوا أنفسهم منها، ووصفهم بأنهم من أهل الفلاح والفوز بنعيمه ورضوانه.

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴿١٧﴾﴾[(٤)] والقرض هو: ما يخرجه العبد من ماله يريد به وجه الله تعالى والدار

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب «خيراً»؟ وما السر في بناء «يوق» للمجهول مع أن فاعل الوقاية هو المنفق؟

الجواب: «خيراً» خبر لكان محذوفة مع اسمها والتقدير: وأنفقوا يكن الإنفاق خيراً لأنفسكم. وبني «يوق» للمجهول للعلم بالفاعل مع أن الغرض المسوق له الكلام هو الثناء على السالم من الشح.

(٢)- **سؤال:** يقال: فكيف بظاهر سياق: «إن تقرضوا الله...» فقد يستفاد منه أنه في التطوع في كل ما فيه مرضاة لله سبحانه؟

الجواب: يقال: السياق من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ...﴾ يشير إلى الإنفاق الواجب ألا ترى إلى قوله بعد ذلك: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا﴾ ومن الإنفاق الواجب أن ينفق الرجل على نفسه في الخروج للجهاد، وقد يكون هو المراد بالآية: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ...﴾ فإن الذي يحمل الرجل على القعود عن الجهاد هو محبة المال والأولاد.

(٣)- **سؤال:** هل استنتجتم أن البخل غريزة من إضافة الشح إلى النفس أم من ماذا؟

الجواب: الإضافة تدل على ما ذكرتم من أن البخل طبيعة.

(٤)- **سؤال:** لو عددتم لنا صوراً من مظاهر القرض الحسن أو العكس لكان مناسباً؟ وهل ما يخرجه الإنسان من واجب أو تطوع مع محاولته أن يري الآخرين أنه كثير أو أن يعظم في أعينهم من غير الحسن أم من الحسن؟

الجواب: القرض الحسن: هو الذي لا يتبعه صاحبه مناً ولا أذى ولم يصحبه الرياء، ويشمل الواجب =

الآخرة لا يشوبه شيء من مصالح الدنيا، فإن الله سبحانه وتعالى سيقضيه أضعافاً مضاعفة، وسيثيبه عليه الثواب العظيم، ويجعل الحسنة بعشر أمثالها ثم يضاعف ذلك إلى سبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك ما سيكفره عنه من الذنوب والسيئات.

وإذا كان المعطي والمكافئ هو الله سبحانه وتعالى فكيف سيكون عطاؤه؟

ثم وصف نفسه بأنه شكور وأن عادته وسنته قد جرت على أن يشكر سعي من أطاعه بمضاعفته الأضعاف المضاعفة، وأنه حليم فلا يعجل بعقوبة من عصاه بل يتأنى بهم ويمهلهم فعسى أن يندموا ويرجعوا إلى هداهم وصوابهم.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝١٨﴾[1] ومن صفاته العليا أيضاً أنه وحده

والتطوع. ومن صور القرض الحسن: الإنفاق في سبيل نشر الدين وتعليمه الناس، وذلك لأن الأوامر الواردة في القرآن بالإنفاق في سبيل الله قد كانت من أجل نصر الرسول ﷺ لتبليغ رسالة ربه وإرشاد الناس إلى الدين الحق، والإنفاق في هذا السبيل أفضل الإنفاق كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة:٢٦١]، ومن صور القرض الحسن في الوالدين والأرحام والجيران والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، وبالنسبة لبقية السؤال فإذا كانت نية المعطي والدافع له على العطاء والحامل له عليه هي من أجل أن يراه الناس فليس من القرض الحسن حتى ولو كان يريد مع ذلك القربة إلى الله، وإن كان الحامل له على العطاء هو قضاء حاجة المسكين أو بر الوالدين أو صلة الرحم أو لإعلاء كلمة الله ونشر دينه لا حامل له على العطاء سوى ذلك، ثم عرض له بعد ذلك محبة مراءاة الناس أو محبة أن يعظم في نفوسهم فعليه أن يدافع ذلك ولا يستجيب لدواعي نفسه، وحينئذ فيكون من القرض الحسن، ولا يضره ثناء الناس عليه ما دام أنه كما ذكرنا ووصفنا.

(١)-**سؤال:** ما نوع اسمية «الشهادة»؟ وما المناسبة في جعل هذه الآية أو الآيتين خاتمة للسورة المباركة؟

الجواب: «الشهادة» مصدر: شهد يشهد شهادة. قوله: «عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم» هو من تمام الآية السابقة «إن تقرضوا الله.. إلى: شكور حليم» وفي ذلك إشارة إلى تمام السورة من حيث مغفرة الله وشكره –أي: ثوابه– هو غاية شريعته والمقصود من إرسال رسله عليهم السلام.

المختص بعلم ما خفي ودق وغاب، وما سيكون وسيحدث في الزمان المستقبل، وما كان في الزمان الماضي. وقوله: «الشهادة»: هو ما كان في الوقت الحاضر.

وهو الغالب بعزته والقاهر بقدرته، والذي أفعاله أفعال رحمة ومصلحة، لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها، ويؤت من لدنه أجراً عظيماً.



سورة الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأمته، وإنما خص الله تعالى خطابه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم تشريفاً له لكونه كبير الأمة وقائدها؛ فإذا أراد أحدكم أن يطلق امرأته فليطلقها مستقبلة[(١)] لعدتها، وذلك في طهر لم يطأها فيه[(٢)]، ثم تعتد بعده بثلاث حيض؛ لأنه إذا طلقها وهي في حيضها فسيتسبب ذلك في تطويل عدتها بأن تحتاج إلى ثلاث حيض بعد هذه الحيضة التي وقع فيها الطلاق فتطول عدتها، فمن خالف تعليم الله وطلق زوجته وهي حائض فإنه يقع طلاقه[(٣)]، ويأثم لمخالفته لأمر الله تعالى.

والمراد بقوله: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾: احسبوا لها ثلاث حيض تعتد بها.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ ولا تخالفوا تعاليمه في الطلاق، ولا تقعوا في بدعي الطلاق وهو أن يطلقها في طهر قد[(٤)] جامعها فيه، أو يطلقها وهي حائض، أو

---

(١)- **سؤال:** من أين نفهم هذا التقدير؟

الجواب: فهم ذلك من اللام في قوله: «لعدتهن» أي: لوقت عدتهن بحيث يكون وقت عدتهن مستقبلاً وهذه اللام مثل اللام التي في نحو قولهم: «لخمس بقين من شهر كذا» فالخمس في هذا مستقبلة.

(٢)- **سؤال:** ما وجه اشتراط أصحابنا لعدم الوطء والطلاق في حيضته المتقدمة؟ وكذا ما وجه اشتراط كونه واحدة في الطلاق السني؟ أم أنه أخذ من أدلة أخرى غير الآية؟

الجواب: اشتراط ما ذكرتم مأخوذ من السنة.

(٣)- **سؤال:** يقال: وكيف نتأول الحديث المشهور: ((ما لم يكن عليه أمرنا فهو رد))؟

الجواب: يمكن تخصيص هذا الحديث بآثار كثيرة رويت عن أئمتنا عليهم السلام أولهم علي عليه السلام ظاهرها القول بوقوع الطلاق البدعي باستثناء الإمام الناصر الأطروش عليه السلام فإنه قد اشتهر عنه القول بعدم وقوع الطلاق البدعي.

(٤)- **سؤال:** يقال: من أين أخذ هذا القيد مع أنه يصدق عليها أنها مستقبلة لعدتها ولو قد جومعت =

يطلقها أكثر من واحدة.

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ[١] مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ وإذا طلقتموهن فلا تخرجوهن من بيوتهن، وأنفقوا[٢] عليهن حتى تنتهي عدتهن، وهن فلا يخرجن[٣] من بيوتهن حتى تنتهي عدتهن إلا إذا كانت تؤذي أهل زوجها أو ترميهم بالكلام الفاحش والبذيء[٤] فإنها تخرج في هذه الحالة من بيت زوجها.

في ذلك الطهر؟

الجواب: ذلك مأخوذ من السنة وليس من هذه الآية.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعرابها؟ وما إعراب «لا يخرجن»؟ وما موضع المصدر «أن يأتين»؟ وبم نصب الفعل هذا؟

الجواب: «لا» ناهية. «تخرجوهن» مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وضمير النسوة مفعول به. «لا يخرجن» لا: ناهية، يخرجن: فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم والنون فاعل مبني على الفتح في محل رفع. «أن يأتين» موضعه النصب على الظرفية، والتقدير: ولا يخرجن في أي وقت من الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة مبينة، ونصب الفعل بأن المصدرية، والفعل مبني على السكون في محل نصب.

(٢)- **سؤال:** من أين نستفيد وجوب النفقة؟

الجواب: النفقة تابعة للسكنى؛ لأنها إذا كانت محبوسة في بيت الزوج بأمر الله فتلزم لها النفقة.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في تقييد عدم جواز خروجهن بكونه في التطليقة الأولى والثانية فقط في كلام أهل الفقه؟

الجواب: الوجه هو ما ذكره الله تعالى من العلة والسبب في نهيه عن خروج الزوجات المطلقات من بيوت أزواجهن بقوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا۝﴾ أي: لعل الله يحدث رغبة في قلب الزوج أو قلبيهما فيراجع زوجته، وهذا إنما يكون في الطلاق الرجعي الأول والثاني.

(٤)- **سؤال:** يقال: ظاهر الفاحشة المبينة في الزنا فما وجه صرفه إلى البذاءة في الكلام؟

الجواب: قد فسرت الفاحشة بالزنا، وفسرت بما ذكرنا، وإنما ذكرنا البذاءة لأنها هي المتوقع حصولها من المطلقة خلال العدة، ويكثر حصول ذلك من المطلقات فيحصل منها أذى كثير لأهل بيت الزوج، والزنا غير متوقع خلال العدة وهي في بيت الزوج.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[1] فهذه حدود الله سبحانه وتعالى وتعاليمه فالتزموا بها ولا تتجاوزوها، ومن خرج عن هذه الحدود وتعداها فقد ارتكب معصية الله تعالى واستوجب سخطه.

﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا[2] ①﴾ فالتزموا بهذه الحدود من

---

(١)- **سؤال:** هل الإشارة بقوله: «تلك حدود الله» تعود إلى كل مسألة مما تقدم كعدم جواز الخروج وغيرها؟ أم أنها متوجهة إلى الطلاق السني فقط؟ وما الذي يستفاد من هذه الآية؟

الجواب: تعود الإشارة إلى كل ما تقدم من أحكام الطلاق وتوابعه؛ لأنها في موضوع واحد متصل بعضها ببعض ولم يقع في الكلام إضراب وانتقال.

ويستفاد من هذه الآية عدة أحكام شرعية:

١ – لا يجوز تطليق الزوجة وقت الحيض، بل يكون كما أمر الله وشرع في طهر، وهذا من قوله: «لعدتهن»، أي: مستقبلات لعدتهن.

٢ – يجب على الأزواج إحصاء عدة المطلقات، وذلك لما يترتب على إحصائها من بدايتها إلى نهايتها من أحكام كوجوب النفقة والسكنى وجواز الرجعة، وجواز الخروج، ثم جواز نكاح المعتدة.

٣– وجوب السكن والنفقة للمعتدة رجعياً.

٤ – تحريم خروجها من بيت زوجها حتى تنقضي العدة في الرجعية.

٥– جواز خروجها من بيت زوجها إذا حصل منها أذى كبير لأهل بيت زوجها، وجواز خروجها للحد.

٦ – جواز الرجعة في خلال العدة في الرجعية.

(٢)- **سؤال:** ما موضع هذه الجملة «لا تدري..»؟ وما إعراب مفرداتها؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب لأنها تعليل لما تقدمها. و«لا» نافية «تدري» مضارع وفاعله ضمير مستتر فيه. «لعل الله» لعل للترجي ولفظ الجلالة اسمها. «يحدث بعد ذلك أمراً» الجملة في محل رفع خبر «لعل»، ولا محل لهذه الجملة لأنها استئناف لبيان العلة في عدم دراية المخاطب، كأنه قيل: لا تدري ما يكون في المستقبل؛ لأنه غيب محجوب علمه، والله وحده المختص بعلم الغيب.

السكنى والنفقة والتربص هذه المدة لعل الله تعالى أن يحدث في هذه المدة ما يوجب المودة ويرد المحبة والألفة فيتصالحا ويتراجعا.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ[1] بِمَعْرُوفٍ﴾ فإذا أوشكت[2] عدة المطلقة على الانقضاء فإن كان للزوج رغبة في مراجعتها وظنٌّ في حسن العشرة معها والقيام بحقوقها الزوجية فليراجعها وإلا فليتركها وليفارقها من دون أي إضرار بها كأن يتركها إلى أن توشك عدتها على الانتهاء، ثم يراجعها ثم يطلقها، وهكذا لأجل أن يُطَوِّل عليها، فهذا لا ينبغي ولا يجوز.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أشهدوا عدلين على الطلاق وعلى المراجعة، والإشهاد واجب[3] إذا خيف التناكر.

---

(١)- **سؤال:** هل المراد إتمام المفارقة بالتطليق السابق أم إحداث مفارقة جديدة؟ ولماذا؟

الجواب: المراد المفارقة بالطلاق السابق، فلا يراجعها ليطول عليها العدة.

(٢)- **سؤال:** يقال: ما الذي يرشدنا أن معنى «بلغن»: قاربن بلوغ الأجل؟

الجواب: الذي أرشدنا إلى ذلك هو قوله بعد ذلك: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وإمساك الزوج للمطلقة لا يصح إلا إذا كانت في بقية من العدة، ولا يصح له إمساكها ومراجعتها بعد انقضائها.

(٣)- **سؤال:** فضلاً من أين نعرف أنه لا يجب الإشهاد إلا في هذه الحالة؟

الجواب: قد أمر الله الزوجات المطلقات بالبقاء في بيوت أزواجهن ونهى الأزواج أن يخرجوهن لعل الله أن يبدل الكره بمحبة والنفور برغبة وألفة، فإذا حدث ذلك رجع بعضهما إلى بعض من غير عقد، وسيظهر أمرهما إذا تراجعا وسيعلم الناس ذلك، ومن شأن الشهادة أن تكون على العقود، وبعد فلا يحصل بالمراجعة بين الزوجين واجتماعهما وبالخلوة بينهما فساد، ولا يترتب على ذلك خلاف، وإنما يحصل الفساد والخلاف فيما إذا كانت الزوجة المطلقة في غير بيت زوجها لا يراها ولا تراه، ثم يراجعها من غير علمها في العدة مراجعة بالقول ثم تنقضي العدة فتتزوج الزوجة فيعترض زوجها الأول ويدعي أنه قد راجعها، فدعواه هذه بعد العدة أنه كان قد راجع في العدة غير مقبولة إلا ببينة وإلا فهي مردودة عليه في وجهه وغاية ما يلزم

=

﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لن يمتثل لأوامره تعالى وتعاليمه[1] إلا من كان يؤمن بالله تعالى، ويصدق باليوم الآخر.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا[2]۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا۝﴾[3] ومن اتقى الله سبحانه وتعالى وامتثل أوامره فإنه تعالى سيجعل له مخرجاً من كل ضيق وشدة في الدنيا، ومن الوقوع في المصائب والفتن، ويسهل أرزاقه، ويكفيه ما أهمه من أمور دنياه من حيث لا يتوقع ولا يحتسب، وسيصلح له جميع أموره، ومن اعتمد على الله سبحانه وتعالى ووكل جميع أموره إليه فإن الله تعالى حسيبه وكافيه، وهذا وعد من الله سبحانه وتعالى، وإذا وعد الله تعالى بوعد فلا بد أن ينفذ وعده، غير أن حكمته

يمين من الزوجة أنها ما تعلم أنه راجع.

(١)- **سؤال:** يقال: ما الوجه في إطلاق الوعظ على المسائل الفقهية؟

الجواب: أطلقت العظة هنا لأن ما ورد من أحكام جاءت بالأمر والنهي والتحذير والتذكير وليست العظة شيئاً آخر غير ما ذكرنا.

(٢)- **سؤال:** هل من جملة المخرج توفيقه إلى عدم الدخول في الورطات في مسائل الطلاق المتقدمة ونحوها؟ أم أنه ابتداء كلام جديد؟

الجواب: نعم من جملة المخرج التوفيق لمن امتثل أمر الله في الطلاق وحدوده بعدم الدخول في الورطات والسلامة من الندم والتوفيق إلى ما فيه الخير في الدنيا والاخرة، وهذه الآية وإن وردت في موضوع الطلاق فإنها عامة لكل من يتقي الله ويمتثل أمره وينتهي عند نهيه ولا يتجاوز حدوده في الطلاق وفي غيره من أبواب الدين.

(٣)- **سؤال:** ما الفرق بين القراءتين «بالغ أمره» بالإضافة وبغير إضافة؟ وما محل جملة «قد جعل الله لكل شيء قدراً»؟ وهل القدْر بمعنى التقدير أم بمعنى الأجل والمدة؟

الجواب: الفرق بين القراءتين هو لفظي والمعنى واحد، فالإضافة إنما تفيد تخفيف اللفظ، وجملة «قد جعل الله لكل شيء قدراً» لا محل لها من الإعراب تعليلية، و«قدراً» بمعنى: تقديراً لأجَلَه ومدته وكيفيته أي: كون البلاء النازل بالإنسان بلاء بالغاً أو بلاء صغيراً أو بينهما.

تعالىٰ اقتضت أن يجعل لمواعيده مواقيت محددة علىٰ حسب الحاجة والمصلحة.

﴿وَاللَّائِي[(١)] يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾[(٢)] ثم ذكر الله سبحانه وتعالىٰ لعباده عدة المرأة التي قد بلغت سن اليأس وأمنت[(٣)] عود الحيض عليها، وعدة التي لم يأتها الحيض بعدُ كالصغيرة والضهياء فعدة هاتين والآيسة ثلاثة أشهر.

﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وتعتد المطلقة[(٤)] الحامل بوضع

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعرابها مفصلاً؟ وما نوع اسمية «المحيض»؟ وما فائدة التقييد بقوله: «من نسائكم» وهو معلوم؟

الجواب: «اللائي» اسم موصول لجمع المؤنث وهو في محل رفع مبتدأ، وجملة «يئسن من المحيض» صلة الموصول والعائد ضمير النسوة الذي هو النون في قوله: «يئسن»، و«المحيض» مصدر ميمي بمعنىٰ الحيض، وجاء التقييد بقوله: «من نسائكم» كموافقة سؤال السائلين الذين ارتابوا في عدة الزوجات الآيسات وذلك أنهم عرفوا عدة الحائض والحامل فتحيروا وارتابوا في عدة الزوجة الآيسة فسألوا النبي ﷺ فنزل قوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ...﴾.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾؟ وهل قوله: ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ مبتدأ فأين خبره؟ أم أنه معطوف علىٰ ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ...﴾ فهل يصح؟

الجواب: «فعدتهن» مبتدأ مضاف إلىٰ الضمير. «ثلاثة أشهر» خبر مضاف إلىٰ أشهر والجملة في محل رفع خبر «اللائي»، وجاءت الفاء لتضمن المبتدأ معنىٰ الشرط فهي رابطة، ويجوز في قوله: ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ أن يكون مبتدأ وخبره محذوف دل عليه ما قبله، فيكون من عطف الجمل، ويجوز أن يكون معطوفاً علىٰ المبتدأ فيكون من عطف المفردات.

(٣)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن هذا مع وقوع الريبة والشك «إن ارتبتم»؛ فكيف؟

الجواب: القيد بقوله: «إن ارتبتم» و«من نسائكم» إنما كان لموافقة السائلين كما أفدنا في الجواب الذي قبل هذا.

(٤)- **سؤال:** من أين نستخرج هذا القيد؟

الجواب: يستخرج ذلك القيد من سياق السورة فإنها في ذكر أحكام الطلاق من أولها إلىٰ ما بعد هذا الموضع كما ترىٰ.

حملها، فمتى ما وضعت حملها فقد انقضت عدتها ولو كان وضعها بعد طلاقها بساعة.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ومن يحافظ على تقوى الله تعالى ويقف عند حدوده ويمتثل ما أمره- فإنه سييسر له جميع[1] أمور دينه ودنياه.

﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عباده بأن هذه تعاليمه[2] وشرائعه التي يجب العمل والالتزام بها، ومن التزم بها فإنه سيكفر عنه سيئاته[3] وسيجزل له الثواب ويضاعف له الأجر.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ[4] حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ أراد الله سبحانه وتعالى

---

(١)- **سؤال:** من أين فهمنا التعميم هنا؟

الجواب: فهم من الإضافة أي: من إضافة أمر إلى الضمير واسم الجنس المضاف يعم كقوله تعالى: ﴿بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة:١]، وهذا إذا لم يكن هناك قرينة تدل على العهد.

(٢)- **سؤال:** وما الوجه في إفراد «أمر» في قوله: «أمر الله»؟

الجواب: «أمر الله» وإن كان مفرداً فهو اسم جنس مضاف فيعم جميع المفردات، وعموم مثل هذا يكون بشرط أن لا توجد قرينة دالة على العهد؛ لأن الإضافة قد تكون للعهد.

(٣)- **سؤال:** هل هذه السيئات مثل المذكورة في سورة النساء: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١]، أم لا؟ فكيف تبقى السيئات مع التقوى المشروطة؟

الجواب: هذه الآية وآية النساء سواء في السيئات، ولا تبقى السيئات مع التقوى؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات.

(٤)- **سؤال:** ما معنى «من» هنا؟ وبم تعلقت؟ وما معنى «من» في «من وجدكم»؟

الجواب: معنى «من» التبعيض في «من حيث سكنتم» وهي متعلقة بـ«أسكنوهن»، و«من» في قوله: «من وجدكم» بيان لقوله: «من حيث سكنتم» فهي متعلقة بمحذوف أي: حال كون ذلك المكان من وجدكم أي: مما وجدتم، أي: على قدر الحال والمال والسعة والضيق، فلو لم يكن للزوج إلا موضع واحد فليسكنها في جزء منه.

بالضمير الزوجات[١] والمطلقات اللاتي في العدة فيجب لهن على الأزواج السكنى[٢] والنفقة على حسب ظروف الزوج في اليسر والعسر.

﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾[٣] ونهاهم أن يلحقوا بهن أي ضرر أو أذى يتسبب في خروجهن من سكنهن.

﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى[٤] يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وإن كانت الزوجة ذات حمل فالواجب على الزوج إن طلقها أن ينفق عليها حتى تضع ما في بطنها من الحمل.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ[٥] أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ وإن

---

(١)- **سؤال:** يقال: من أين نعرف دخول الزوجات والسياق في المطلقات؟

الجواب: السياق في المطلقات كما ذكرتم والكلام فيهن، وإنما تدخل الزوجات لأنه إنما ثبت للمطلقات الرجعيات السكنى والنفقة لأن الزوجية لم تنقطع بل بقي للزوج في حال العدة الخيار، ولم تنقطع أحكام الزواج فله أن ينظر إليها وله أن يخلو بها وله أن... و..إلخ؛ لذلك قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ...﴾.

(٢)- **سؤال:** هل يمكن أن نأخذ من هنا أن السكنى واجبة للمطلقة المبتوتة؟ أم كيف؟

الجواب: خرجت المبتوتة بدليل يخصها وهو ما علم من أنه لا تجوز الخلوة بالمبتوتة؛ لذلك لا يجوز للزوج أن يسكنها عنده، وهذا مع أن السياق في الرجعيات.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب هذه الآية؟

الجواب: «لا» ناهية، «تضاروهن» مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل. «لتضيقوا» اللام للتعليل وتضيقوا مضارع منصوب بأن مضمرة والواو فاعل. «عليهن» جار ومجرور متعلق بتضيقوا.

(٤)- **سؤال:** هل يمكن أن يقال بأن هذه الآية قرينة على أن الضمير في «أسكنوهن» للمطلقات فقط؟

الجواب: نعم، وقد بينا سبب دخول الزوجات في جواب السؤال الأول.

(٥)- **سؤال:** هل يمكن أن نقول بأن السياق في المطلقات فقط فلا تدل الآية إلا على وجوب أجرة رضاع المطلقة لا التي تحت الزوج فلا يجب لها أجرة؟أم أنه قد دل عليها دليل آخر فما هو؟

الجواب: نعم السياق في المطلقة فلا تجب الأجرة لمن هي تحت الزوج.

أخذت ولدها لترضعه فيجب عليه أن يسلم لها أجرة الرضاع إن طلبت[١] ذلك، وتكون الأجرة بالمعروف وسطاً فلا تجحف به بأن تطلب فوق المعتاد، ولا يجحف بها بأن يعطيها أقل من المعتاد. ومعنى «وأتمروا» : ليقبل بعضكم من بعض ما طلبه فإذا دفع الزوج قدراً مناسباً فلتقبله الزوجة، وإذا طلبت الزوجة قدراً من الأجرة مناسبة فليقبل الزوج.

﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ[٢] فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى۝﴾ وإن طلبت هذه الأم ما يعسر على الزوج دفعه من أجرة الرضاع فليبحث لولده عن مرضعة غيرها.

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ[٣] سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا[٤]﴾ لا يجب على الزوج الإنفاق إلا على قدر حالته وظروفه المعيشية، فمن ضُيّق عليه الرزق فلا يجب عليه أن ينفق إلا مما يسره الله تعالى وسهله له، وإن لم يجد شيئاً ينفقه فلا حرج عليه، ولا يلزمه أن يقترض

---

(١)- **سؤال:** من أين نأخذ هذا الشرط ولزومه؟

الجواب: إن وقع عقد إجارة بين الطرفين الزوج والزوجة فالواجب تسليم الأجرة المتفق عليها، وإن طلقت الزوجة وهي ترضع ولدها فسكتت وسكت الزوج فلا تجب لها أجرة إلا إذا طلبتها، والمقصود في التفسير هو هذا القسم الأخير.

(٢)- **سؤال:** ظاهر صيغة «تعاسرتم» الدلالة على المفاعلة فهل حصول العسر من الزوج وارد في ذلك الحكم؟

الجواب: نعم يدخل الزوج ولو كان التعاسر من جهته فقط.

(٣)- **سؤال:** هل «من» على بابها أم لا؟ فما معناها؟

الجواب: هي على بابها وهو ابتداء الغاية.

(٤)- **سؤال:** إذا كان الزوج ذا غنى مفرط فهل يجب عليه الإنفاق حسب حالته ولو أدى به إلى البذخ ونحوه أم كيف؟

الجواب: يجب عليه الإنفاق حسب حالته وحسب عادته المعتادة ولو كثرت النفقة إلا ما لا يبيحه الدين.

للنفقة فلا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها[١].

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا۝٧﴾ هذا وعد من الله سبحانه وتعالى لمن ضُيّق عليه رزقه بأنه لا بد أن يفرج عليه، وأن ييسر له أموره؛ فلتصبر هذه الزوجة والمعتدة حتى يفرج الله تعالى عن هذا الزوج المعسر.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا[٢]۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا۝٩﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن كثيراً من القرى والأمم كذبت أنبياء الله تعالى ورسله، وكفرت بآياته وباليوم الآخر، فعذبهم ودمرهم في الدنيا[٣] جزاءً على تكذيبهم وتمردهم؛ فانظروا كيف كانت عاقبة هذه الأمم عندما كذبت وتمردت، واعتبروا بما جرى عليهم، واحذروا أن تفعلوا كفعلهم فتقعوا فيما وقعوا فيه من عذاب الله وسخطه. ومعنى «عتت» : تجبرت وتكبرت، و«نكراً» : منكراً فظيعاً.

---

(١)- **سؤال:** هل يؤخذ من هنا أنه لا يجب على الزوج التكسب لأجل نفقة الزوجة؟ إن كان ذلك فكيف نعمل بالحديث المشهور: ((كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول)) ونحوه؟ وهل يختلف الحكم لو كان عرف القرية التكسب للإنفاق أم لا؟

الجواب: إذا كانت عادة الزوج التكسب للنفقة أو كانت عادته الزراعة، فعليه أن ينفق مما اكتسبه، أما التكسب والزراعة فلا يحتاج إلى أمر شرعي لإيجابه فالفطرة البشرية مندفعة بطبيعتها إلى كسب المال من حيثما تيسر، فكل امرئ ميسر لما خلق له، أما من لا يعتاد التكسب كالعلماء والمشغولين بطلب العلم فلا يجب عليهم التكسب بل إن الاشتغال بالعلم وطلبه باب من أبواب الرزق.

(٢)- **سؤال:** ما نوع اسمية «نكرا»، و«كأين من قرية»؟

الجواب: «نكراً» الظاهر أنه مصدر وصف به للمبالغة فهو بمعنى منكر و«كأين» خبرية للتكثير وهي بمعنى «كم» الخبرية.

(٣)- **سؤال:** هل تطلق المحاسبة في قوله: «فحاسبناها حساباً شديداً» على تعذيب الدنيا أم كيف؟

الجواب: المحاسبة هنا هي الاستقصاء بالمجازاة في الدنيا على كل ما فعلوه من صغير أو كبير.

﴿أَعَدَّ[١] اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا[٢] اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَسُولًا[٣] يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ

---

(١)- **سؤال:** هل هذه الجملة ابتدائية أم ماذا؟

الجواب: نعم هي مستأنفة لتأكيد ما سبق.

(٢)- **سؤال:** ما السر في تكرير الأمر بالتقوى في هذه السورة أكثر من خمس مرات؟وما الوجه في أمر المؤمنين أن يحذروا مثل فعال هذه القرى المهلكة وهم قد آمنوا؟

الجواب: السر في تكرير التقوى هو من أجل أن لا يتهاونوا بما أمرهم الله به من أحكام الطلاق وما يتبعه من النفقة والعدة والسكنى فكررت التقوى ليأخذوا بكل التعاليم مأخذ الجد ولا يتهاونوا بشيء منها أو كلها، وذلك لأن بعض هذه الأحكام المتعلقة بالطلاق وتوابعه في هذه السورة قد يبدوا في نظر المخاطبين صغيراً غير ذي أهمية، فاقتضى الحال لذلك أن يذكرهم الله بالتقوى أربع مرات بين تلك الأحكام ليعلموا أنها عند الله عظيمة فلا يعرضوا أنفسهم لغضب الله بمخالفتها أو التهاون بها، ثم ختم تلك الأحكام المتعلقة بالطلاق وتوابعه بتذكيرهم بما حل بالقرى الكثيرة التي تجاوزت حدود ربها وعصته وتمردت عن طاعته، وأنه حاسبها حساباً شديداً وعذبها عذاباً عظيماً وذلك من أجل أن يعظم للمخاطبين أمر تلك الأحكام وأنهم إن تهاونوا بها فسيعرضوا أنفسهم لغضب الله وحسابه وعذابه، فليحذروا أن يحل بهم مثل ما حل بأهل تلك القرى الكثيرة التي أحل الله بها غضبه وعذابه لما عصوه ولم يمتثلوا أمره.

(٣)- **سؤال:** ما موضع «الذين آمنوا» بعد قوله: «يا أولي الألباب»؟ وما إعراب «رسولاً» فلم يتضح لنا كونه بدلاً من «ذكراً» لعدم فهم المعنى فهل توافقونا في ذلك؟ وما وجه استدلال بعض أصحابنا بها على أن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم أهل الذكر إذا قلنا بفساد المعنى على البدلية؟

الجواب: موضع «الذين آمنوا..» النصب على أنه نعت للمنادى المضاف أو عطف بيان. «رسولاً» مفعول به لأرسلنا محذوفاً أي: أرسلنا رسولاً يتلو عليكم، وتكون هذه الجملة مستأنفة لبيان كيفية إنزال الذكر إلينا في جواب سؤال مقدر، وهذا الإيجاز غير مخل، وليس فيه تلبيس ولا توهيم عند التأمل لوجود ما يدفع توهم البدلية، فالذكر شيء والرسول شيء آخر، فلا يصح

=

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ وقد أعد الله سبحانه وتعالى لهم العذاب الشديد في الآخرة، فاحذروا أن تفعلوا أفعالهم وقد أنعم الله سبحانه وتعالى عليكم بأن أرسل إليكم رسولاً من أنفسكم، وأنزل معه القرآن ليقرأه عليكم، ويذكركم بآياته وبيناته الواضحة التي يخرجكم بها من ظلمات الشرك والجهل إلى نور الحق والهدى.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴿١١﴾﴾[١] ثم أخبرهم أن من آمن بالله تعالى، وعمل الأعمال الصالحة- فإنه سيثيبه بالنعيم الدائم في جنات النعيم والبساتين المثمرة التي تجري الأنهار من تحتها.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴿١٢﴾﴾[٢]

فيه بدل الكل من الكل ولا بدل الاشتمال؛ لأن الذكر غير مشتمل على الرسول، وهذا مع أن قوله: «أنزلنا» مانع من صحة البدلية، فلا يصح: أنزلنا رسولاً إلا بتأويل، ولا داعي للتأويل مع إمكان توجيه الكلام بوجه صحيح من غير تأويل، وغاية ما يعترض على ما ذكرنا هو حذف الفعل، وهو جائز مع ورود القرينة.

وإذا فسد القول بالبدلية فلا يصح الاستدلال بها على ما قاله بعض علمائنا، ولو فسد الاستدلال بالآية فأهل البيت هم أهل الذكر وأهل القرآن وأهل الحق بدليل حديث الثقلين المجمع على صحته.

(١)- **سؤال:** ما موضع جملة «قد أحسن الله له رزقاً»؟ وما وجه تنكير «رزقاً»؟ وهل يؤخذ من الآية أن الثواب يسمى رزقاً؟

الجواب: «قد أحسن الله له رزقاً» في محل نصب حال ثانية، والأولى «خالدين» فهي في محل نصب. ونكر «رزقاً» للتعظيم. ويؤخذ من الآية أن نعيم الجنة يسمى رزقاً.

(٢)- **سؤال:** هل جملة «الله الذي خلق..» ابتدائية أم لها موضع فما هو؟ وما محل «يتنزل الأمر بينهن»؟ وإلام يعود الضمير في «بينهن»؟ ولم أسند التنزل إلى الأمر لا إلى الباري تعالى؟ وما

=

ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عباده بأنه وحده الذي يستحق الإلهية، وأن يخصوه بعبادتهم؛ لأنه الذي خلق هذه السماوات السبع والأرضين السبع، ثم أخبرهم بأنه ينزل القرآن من السماء إلىٰ الأرض؛ ليطلعهم علىٰ عظيم قدرته وإحاطة علمه[1].

❁❁❁❁❁

الوجه في تضعيف الفعل «يتنزل الأمر» إذا كان المراد بالأمر القرآن؟ وما وجه تقديم الجار والمجرور «من الأرض» وهل يحتاج «لتعلموا» مفعولين فأين هما؟ أم يكفي فيه مفعول واحد فأين هو؟ وما إعراب «علماً»؟

الجواب: جملة «الله الذي خلق» ابتدائية، وجملة «يتنزل الأمر» في محل نصب حال، وضمير «بينهن» يعود إلىٰ «سبع سموات ومن الأرض». وإسناد التنزل إلىٰ الأمر مجاز عقلي، والفاعل الحقيقي معلوم. وجاء التضعيف «يتنزل» لنزول الأمر شيئاً فشيئاً وجزءاً فجزءاً وآية فآية وسورة فسورة ولم ينزل دفعة واحدة. وقدم «من الأرض» لأن الأرض هي المقصودة بالذكر. أما قوله: «مثلهن» فليس إلا كالصفة للأرض. و«أن» وما دخلت عليه في قوله: «إن الله علىٰ كل شيء قدير» علىٰ تأويل مصدر ساد مسد مفعولي «لتعلموا». وقوله: «علماً» تمييز نسبة أي: أنه محول عن فاعل وكان الأصل: أحاط علمه بكل شيء.

(١)- **سؤال:** هل يؤخذ من الآية صحة الاستدلال علىٰ أن الله قادر وعالم بالسمع؟ وعدم الاحتياج إلىٰ العقل في ذلك؟ أم كيف؟

الجواب: خلق الله السموات والأرض ليكونا آية علىٰ عظمة الله وقدرته وسعة علمه؛ فالناظر في آياتهما سيعلم أن الله علىٰ كل شيء قدير وأنه بكل شيء عليم، ولا يحتاج المكلف للحصول علىٰ النتيجة إلا لمن ينبهه إلىٰ النظر والتفكر.

سؤال: ما المناسبة في ختم سورة الطلاق المشتملة علىٰ أحكامه ومسائله بآية التوحيد هذه: «الله الذي خلق سبع سموات...»؟

الجواب: في هذه الآية التنويه بأهمية أحكام هذه السورة بقوله: «يتنزل الأمر بينهن» وهذا مع ما فيها من الإشارة إلىٰ تمام السورة ونهايتها، وهذا من حيث ذكر الغرض والغاية من خلق السموات والأرض.

سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ۝١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ[1] أَيْمَانِكُمْ﴾ كان للنبي ﷺ جارية وكان اسمها مارية القبطية، ثم إنه حرم أن يقربها، وكان ذلك التحريم بسبب غيرة عائشة وحفصة واعتراضهما على ذهابه إليها.

وذلك أنه ﷺ دخل على مارية وهي في بيت إحداهما فحصل ما حصل من حفصة وعائشة من الأذى للنبي ﷺ، فحرم ﷺ مارية على نفسه ليرضيهما[2]؛ فاستنكر الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ أن يحرم شيئاً قد أحله الله تعالى له لأجل أن يرضي عائشة وحفصة بذلك التحريم، وأخبره أنه قد عفا عنه وأرشده إلى أن يُكَفِّر عن يمينه هذه بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة.

﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ۝٢﴾ ثم أخبره الله سبحانه وتعالى بأنه ناصره ومؤيده على مؤامرة حفصة وعائشة وعلى كل من يريد أن يؤذيه.

﴿وَإِذْ[3] أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما محل جملة «تبتغي مرضاة أزواجك»؟ وممَّ أخذت لفظة «تحلة»؟

الجواب: «تبتغي مرضاة» في محل نصب حال من فاعل «تحرم». «تحلة» مصدر حلَّل يحلل تحلة، والأصل: تَحْلِلَة، مثل: زكّى يزكي تزكيةً، نقلت كسرة اللام الأولى للحاء وأدغمت اللام في اللام فصار «تَحِلَّة».

(٢)- **سؤال:** يا حبذا لو ذكرتم الرواة لسبب النزول هذا؟

الجواب: سبب نزول ذلك فيمن ذكرنا هو مشهور وهو مذكور في البخاري، وهو في تفسير ابن كثير بطرق في أول سورة التحريم.

(٣)- **سؤال:** ما هو العامل في «إذ» الظرفية هذه؟

الجواب: العامل في «إذ» هو فعل مقدر أي: واذكر إذ...

عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ وأخبره أيضاً أنه استكتمها على بعض أسراره، وأمرها أن لا تطلع عليه أحداً فخالفت أمره وأذاعت سره، فاستنكر النبي ﷺ على حفصة إذاعتها لسره هذا، وعاتبها وأطلعها على بعض ما أفشته وتغاضى وسكت عن بعضه مراعاة لها. ومعنى «وأظهره الله عليه» : أطلعه الله على إفشائه.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ[1] هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ۝٣﴾ وذلك استغربت وتعجبت عندما أطلعها النبي ﷺ على ما أذاعته من سره، فسألته من الذي أخبرك بكل ذلك؟ فأجابها بأنه الله العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافية.

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ثم أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ أن يخبرهما بأنهما قد زاغتا عن الحق، وقد خرجتا عن طريق الصواب، وأنه يجب عليهما التوبة من ذلك.

﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ۝٤﴾[2] وأن يخبرهما بأنهما إن تشاركا على ما يسوؤه وتعاونتا على أذيته وإلحاق الضرر به فإن الله تعالى لن يمكنهما منه وسيظهره عليهما، فهو ناصره وحافظه، وسيؤيده بجبريل والملائكة تحرسه، وسيجعل حوله من ينصره ويدافع

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في تسليط «أنبأ» على المفعول الثاني «هذا» وفي «نبّأها» بواسطة حرف الجر «به»؟

الجواب: في ذلك دليل على جواز تعدية «نبأ» إلى المفعول الثاني بالباء، والذي رجح المجيء بالباء هنا هو تحسين اللفظ؛ إذ لولا الباء لاجتمعت الهاء عند الهاء فتكون «نبأهاه» فيحصل الثقل لاجتماع ثلاثة من حروف الحلق: الهمزة والهاءان، والألف فاصل ضعيف.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «تظاهرا»؟ وما محل جملة «والملائكة بعد ذلك ظهير»؟

الجواب: «تظاهرا» مضارع مجزوم بـ«إن» الشرطية وعلامة جزمه حذف النون والألف فاعل، وجملة: ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ۝٤﴾ لا محل لها من الإعراب معطوفة على جملة: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ وهذه الجملة ليست جواب الشرط «إن تظاهرا عليه» بل الجواب محذوف أي: يجد ناصراً.

عنه من عباده المؤمنين، أراد الله سبحانه وتعالى أن يعلم أزواجه أنهن لن يستطعن أن ينلن من نبيه ﷺ، أو يلحقن به أي ضرر أو مكروه مهما حاولن. ومعنى «ظهير»: معاونون وحارسون.

﴿عَسَى[1] رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا۝٥﴾ والمعني بذلك هما عائشة وحفصة، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن تعلما أن النبي ﷺ في غنى عنهما، وأنهما إن لم تقلعا عما هما عليه فإنه سيبدله بأزواج خير منهما بعد أن يطلقهما. والقانتات: هن المطيعات. وتائبات: إلى الله تعالى، والسائحات: المداومات على الصيام.

وفي ذلك تعريض بعائشة وحفصة أنهما ليستا على هذه الصفة.

وبعد، فالمرأة وإن تنسكت وتعبدت فطبيعتها لا تتغير، وتماماً كما روي عن النبي ﷺ أنهن خلقن من ضلع أعوج، فإن ذهبت تقيمه كسرته..إلخ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ[2] شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

---

(١)- **سؤال:** كيف يقال في «عسى» هنا فلم تكن للإيجاب؟ والمشهور أنها للحتم والإيجاب؟ وما إعراب: «أن يبدله» و«مسلمات»؟

الجواب: «عسى» من الله للإيجاب، وهي هنا كذلك إلا أنها هنا وقعت معلقة بشرط ولم يحصل الشرط ولو أنه حصل الطلاق لحصل حتماً وعد الله. «أن يبدله» في تأويل مصدر مرفوع «عسى» وهي هنا تامة. «مسلمات» نعت لـ«أزواجاً».

(٢)- **سؤال:** ما محل جملة «وقودها الناس والحجارة»؟ وما نوع اسمية «وقود»؟ وما نوع اسمية «غلاظ»؟ وما الوجه في فصل جملة: «عليها ملائكة» عن سابقتها؟

الجواب: جملة «وقودها الناس..» في محل نصب صفة لناراً، وكلمة «وقودها» اسم لما تتقد به النار كالحطب، فإذا ضمت الواو كانت مصدراً، و«غلاظ» جمع غليظ وغليظ صفة مشبهة. وفصلت جملة «عليها ملائكة» لكونها صفة للنار ثانية.

﴿يُؤْمَرُونَ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأن يتخذوا لأنفسهم وأهاليهم وأولادهم وقاية من النار التي أعدها للمجرمين، وأفهمهم أن كل واحد مسؤول عن أهل بيته فعليه أن يعرفهم[١] ما يقيهم من عذاب جهنم التي سيكون وقودها الناس والحجارة، ثم وصفها الله تعالى أيضاً بأن القائمين عليها والموكلين بتعذيب أهلها ملائكة جبلهم الله تعالى على الشدة والقسوة والغلظة لا تعرف الرحمة واللين طريقاً إلى قلوبهم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾ سوف يقطع الله تعالى طمع الكفار والمجرمين عن الاعتذار يوم القيامة وليس إلا الجزاء على الأعمال.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[٢] ثم دعا الله

---

(١)- **سؤال:** هل يجب على الإنسان تعريفهم كل الأحكام الشرعية التي يرى أنهم قد يخطئوا فيها، فهذا يشق عليه؟ أم أن لذلك حداً؟

الجواب: لا يجب على المكلف أن يعلم أهله إلا الواجبات التي تجب عليهم كالوضوء والتيمم والصلاة والصيام والحيض، وإذا كان للزوجة تجارة فيعلمها الزكاة، ومن القرآن الفاتحة وسورة أو سورتين، وحكم الجنابة والغسل، ومن معرفة الله تعالى ما يظن جهلهم به.

سؤال: هل يكتفى في وقاية الأهل حملهم على الذهاب إلى المرشدين والمرشدات لتلقي العلم؟

الجواب: نعم يكفي ذلك؛ لأن عمل المرشدين الأول والأهم تعليم الصلاة والطهارة ثم سائر العبادات بعد ذلك.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ﴾ ؟ وما محل جملة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾؟

الجواب: «يوم» ظرف زمان ليدخلكم وهو مضاف إلى الجملة التي بعده وهي في محل جر بالإضافة. «نورهم يسعى..» في محل نصب على الحالية.

سبحانه وتعالى عباده المؤمنين إلى إخلاص توبتهم، والإكثار من الرجوع إليه، وأن يكونوا متهمين لأنفسهم بالتقصير لديه، وأن يعلموا أنه لا بد لكل امرئ من الوقوع في الزلات والهفوات والأخطاء، فمهما حرص المؤمن على تقوى الله والمحافظة على طاعته فإن غاية ما يصل إليه هو الرجاء لمغفرة ربه دون القطع واليقين.

والتوبة النصوح: هي أن يندم على ما فرط منه من معاص ندماً صادقاً، ويعزم عزماً صادقاً على عدم العود، ويرد المظالم.

وحثهم على المحافظة على التوبة في كل أوقاتهم ليكفر عنهم الزلات والأخطاء والهفوات، وليسلموا من أليم عذابه في اليوم الذي سيؤمن فيه أولياءه من كل خوف وفزع وحزن، والذي سيجعل لهم فيه نوراً يستضيئون به في أرض المحشر، وليحرصوا أشد الحرص على أن يكونوا منهم.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ[1] لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ۝٨﴾ ثم وصف الله سبحانه وتعالى أهل ذلك النور والنعيم الذي سيلقونه يوم القيامة بأنهم الذين كانوا يتوسلون إليه في الدنيا[2] ويدعونه بأن يزيدهم من توفيقه وتسديده وهداه، ويكثرون من الرجوع والتوبة إليه، ويطلبون منه أن يغفر لهم ما بدر منهم من التقصير والخطأ في جنب طاعته.

---

(١)- **سؤال:** ما محل جملة «يقولون ربنا أتمم..»؟

الجواب: الجملة في محل نصب حال متعاقبة أو مترادفة.

(٢)- **سؤال:** من أين نستوحي أن توسلهم هذا كان في الدنيا؟

الجواب: الظاهر أن الدعاء في يوم القيامة، وإنما عدلنا عن الظاهر لأن يوم القيامة ليس يوم تكليف وطلب وتوسل، ولعل البقاء على الظاهر أولى، ويكون قولهم ودعاؤهم صادراً على وجه السرور والغبطة لا على وجه الطلب والتوسل.

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ(١) عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ(٢) وَبِئْسَ الْمَصِيرُ۝٩﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يستمر في جهاد الكفار وتطهير الأرض منهم، ومقارعة المنافقين الذين أسلموا وصاروا في أوساط المسلمين يكيدون الإسلام والمسلمين ويُخَذِّلونهم عن نصرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويرجفون بينهم ويفرقون بين صفوفهم وينفرونهم عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقد لاقى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منهم أعظم مما لاقاه من المشركين، وأما جهادهم فلم يحمل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عليهم سيفاً، ولم يجيش عليهم جيشاً، وإنما جاهدهم بالحجة والموعظة،

---

(١)- **سؤال:** ما المراد بالإغلاظ عليهم؟ وهل يعارض أمثال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ [المائدة:١٣]، فكيف نجمع بينهما؟

الجواب: الإغلاظ عليهم هو القسوة والشدة في معاملته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لهم فالكفار بالسيف والمنافقون بالقول إذ لم يؤثر أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قاتل المنافقين إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى. أما الأمر للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالعفو والصفح عن الكافرين بنحو قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ فقد كان ذلك قبل الهجرة يوم كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في قلة من المؤمنين المقهورين بجبروت قريش، فلما هاجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكثر أتباعه وأنصاره أذن الله تعالى له في سل السيف على الكفار المحاربين؛ لذلك فيمكننا أن نقول: إن نحو قوله: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ...﴾ قد نسخ الأوامر التي أمر بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في مكة يوم كان تحت جبروت قريش، ويمكننا أن نقول: إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمر بالعفو والصفح في حال ضعفه وقلة أصحابه، وأمر بالقتال في حال قوته وكثرة أنصاره، مع غير نسخ، فيكون الأمر بالعفو والصفح والصبر معمولاً به في الإسلام في حالة الضعف والقلة.

(٢)-**سؤال:** يقال: كيف ساغ عطف الجملة الاسمية «ومأواهم جهنم» على الجملة الإنشائية قبلها؟

الجواب: «ومأواهم جهنم» ليست معطوفة على «جاهد» و«اغلظ»، ويمكن في إعراب الواو وجهان:

١ – أن تكون الواو عاطفة ويكون المعطوف عليه مقدر أي: واغلظ عليهم غلظة يتعجلونها في الدنيا أو يجزونها في الدنيا.

٢ – أن تكون الواو للاستئناف لا للعطف.

وحذر الناس منهم، وفضحهم وبين للناس أعمالهم، وكان إذا قيل له: اقتل فلاناً المنافق، يجيب: ((لا يتحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه)).

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا[1] فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ۝﴾ ضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل لعائشة وحفصة[2] ليعلمهما أنه لن ينفعهما كونهما من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتلك امرأة نوح وامرأة لوط أوجب الله تعالى لهما دخول نار جهنم مع الكافرين، ولم ينفعهما كونهما زوجتي نوح ولوط عليهما السلام، ولم يشفع لهما ذلك، ولم يغن عنهما شيئاً من عذاب الله.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ[3] قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ۝﴾ وضرب

---

(١)- **سؤال:** بم حصلت الخيانة من امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام؟

الجواب: حصلت الخيانة بنقل أخبارهما وأسرارهما إلى القوم الكافرين المعادين لهما، وحاشا زوجات أنبياء الله صلوات الله عليهم من الوقوع في الفاحشة أو الدنو منها فهن في أعلى درجات العفة والطهارة من الفاحشة، فما كان الله تعالى ليختار لأنبيائه ورسله صلوات الله عليهم إلا أعف الزوجات وأطهرهن.

(٢)- **سؤال:** يقال: صريح الآية أن المثل مضروب للذين كفروا فكيف يكون لزوجتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: لا شك أن نصب الحرب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفر، ولولا نعمة الله عليهما بفتح باب التوبة: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا...﴾ لم يكونا بعدما صدر منهما من أمهات المؤمنين، وعلى هذا فالمثل مضروب لهما إن أصرتا على التمرد والعصيان ثم لمن يصنع مثل صنعهما من زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو من زوجات أولياء الله الصالحين.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: «امرأة فرعون إذ قالت»؟

الجواب: «امرأة فرعون» مفعول به أول لضرب. «مثلاً» المفعول الثاني. «فرعون» مضاف إلى امرأة. «إذ» بدل من مثلاً.

الله سبحانه وتعالى هذا المثل للمرأة المؤمنة تكون تحت زوج كافر بأن كفره لن يضرها(١) أو يجرح في إيمانها ما دامت متمسكة بإيمانها.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ(٢) وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾(٣) ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مريم بنت عمران مثلاً وقدوة للنساء لأجل أن يقتدين بها في إيمانها وانقطاعها إلى الله تعالى، ويقتدين بها أيضاً في عفتها وطهارتها، وأن ينظرن كيف نفخ الله سبحانه وتعالى الروح في بطنها من غير زوج ليطلع الناس على عظيم قدرته؛ وقوله: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ يعني صدقت برسالة عيسى عليه السلام وآمنت به وبما نزل عليه من عند الله تعالى، وكانت قانتة مطيعة لله سبحانه وتعالى.



(١)- **سؤال:** يقال: فكيف بقوله سبحانه: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [الممتحنة:١٠]؟

الجواب: يقال: قد كان ذلك غير محرم في زمن فرعون، بل وفي أول الإسلام، ولم ينزل التحريم إلا عام الحديبية تقريباً، وبعد التحريم يخرج الكافر فلا يضر المؤمنة البقاء تحت زوج ظالم أو فاسق.

(٢)- **سؤال:** علام عطف قوله: «ومريم»؟ ولم قال: «من القانتين» دون «القانتات»؟ وما الفرق بين قراءة الإفراد «وكتابه»، والجمع «وكتبه»؟

الجواب: «ومريم» معطوفة على امرأة فرعون. وقال: «من القانتين» دون القانتات تغليباً للمذكر على المؤنث. ولا فرق بين «كتابه» و«كتبه» فالمفرد يراد به الجنس لا العهد فيعم، ويدل لذلك قراءة «وكتبه» بالجمع.

(٣)- **سؤال:** ما المناسبة في ختم هذه السورة بهذه الآية الكريمة؟

الجواب: في هذه الآية بيان الغاية المقصودة مما ورد في هذه السورة من أوامر وإرشادات لنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي ذلك إشارة إلى تمام السورة ونهايتها.

سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ①﴾ تكاثر خير الله وتظاهرت نعمه على عباده، وكثرت منافعه ومواهبه عليهم التي لا تعد ولا تحصى، وهو الذي بيده ملك خزائن السماوات والأرض ومفاتيحها بيده وحده وهو المتصرف فيها كيف يشاء، ولا يعجزه شيء أو يفوته لإحاطة قدرته.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ(١) لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ②﴾(٢) ثم تحدث الله سبحانه وتعالى لعباده عن الحكمة في خلقهم وخلق السماوات والأرض فذكر تعالى أنها اختبارهم بما ينزله عليهم من التكاليف على ألسنة أنبيائه وفي كتبه من هو الذي يطيع؟ ومن هو الذي يتمرد ويعصي؟؟

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾(٣) خلق الله تعالى السماوات متطابقة بعضها فوق بعض، ثم أخبرهم أنه لم يخلق شيئاً يتصف بالنقص وعدم الإحكام، فكل ما خلق الله سبحانه وتعالى فهو في غاية

---

(١)- **سؤال:** هل المراد بخلقه للموت والحياة: الإحياء والإماتة أم ماذا؟

الجواب: نعم، المراد بخلق الموت والحياة الإحياء والإماتة.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «أيكم أحسن عملاً»؟ وعلام عطف «وهو العزيز الغفور»؟

الجواب: «أيكم» مبتدأ، «أحسن» خبره، «عملاً» تمييز، والجملة في محل نصب مفعول ثان لـ«يبلوكم». «وهو العزيز الغفور» في محل نصب حال من فاعل خلق.

(٣)- **سؤال:** هل قوله: «الذي خلق سبع» على الابتداء أم أنه خبر ثان لقوله «وهو» في الآية قبله؟ وما إعراب «طباقاً» و«تفاوت»؟ وما وجه فصل الجملة «ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت» عن سابقتها؟

الجواب: «الذي» خبر ثالث لـ«هو» في قوله: «هو العزيز». «طباقاً» صفة لسبع سماوات. و«تفاوت» مجرور لفظاً منصوب محلاً مفعول به لترى. وفصلت «ما ترى في..» لكونها كالتعليل لما سبق.

الإتقان والإحكام من أصغر مخلوق إلى أكبر مخلوق في السماوات والأرض.

﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ -أو يكون المأمور أنت أيها المكلف- بأن يردد بصره وينظر في السماء هل سيجد فيها أي فطور أو تشقق، أم أنها في غاية الإحكام والإبداع؟

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ[1] يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ وأمر تعالى أيضاً بتكرير النظر في السماوات هل يجد فيها نقصاً أو عيباً؟ ولكن مهما كرر الناظر نظره فلن يجد عيباً أو نقصاً. ومعنى «خاسئاً» : صاغراً منكسراً لعدم وجدان أي عيب، و«هو حسير»: أي: كليل قد نفدت قواه من التعب.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا[2] بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾[3] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عباده بأنه الذي زين لهم السماء بتلك الكواكب والنجوم الزاهرة والمضيئة كالقمر والشمس والزهرة والمشتري وعطارد، وأخبرهم أنه خلقها في السماء الدنيا زينة لها، ولحراسة السماء من الشياطين التي تصعد لاستراق السمع وما يجري بين الملائكة في الملكوت الأعلى، فإذا هَمّ شيطان بذلك قذفه الله تعالى بقطعة نار من تلك النجوم حتى تدحره وتطرده.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «كرتين»؟ وهل المراد العدد نفسه (مرتين) أم المرة بعد المرة ولو كثيراً؟

الجواب: «كرتين» مفعول مطلق مبين للعدد، والمراد التكرار لا مرتين اثنتين.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بالدنيا السفلى التي نراها كالقبة على أرضنا أم ماذا؟

الجواب: نعم المراد بها السفلى من السماوات الدانية إلى الأرض التي ترى في العين كالقبة.

(٣)- **سؤال:** ظاهر الآية أن الكواكب (الشمس والزهرة.. إلخ) هي الرجوم للشياطين ولم يعهد أنها ترجم بالكوكب نفسه فكيف؟ وما نوع اسمية «رجوماً» إذا كان ذلك يساعدنا في فهم المعنى؟

الجواب: «رُجُوماً» سمي به ما يُرْجَم به، وهو في الأصل جمع رَجْم، ورَجْمٌ مصدر، ولا يرمى بالكوكب نفسه وإنما يقتبس منه شعلة من نار فيرمى بها الشياطين بدليل: ﴿يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ [الملك]، والشهاب شعلة من نار، ويطلق الشهاب أيضاً على الكوكب أي: أنه يطلق على الشعلة وعلى الكوكب كما ذكروا.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ۝٥﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ بأنه قد أعد لهؤلاء الشياطين العذاب الشديد في نار جهنم لتمردهم عليه وخروجهم عن طاعة أوامره، وجزاءً علىٰ ما يسترقونه من السمع.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ۝٦ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا[(١)] وَهِيَ تَفُورُ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ[(٢)]۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ[(٣)] أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ۝٩ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ[(٤)] مَا كُنَّا

---

(١)- **سؤال:** كيف نجمع بين هذا المدلول ومفهوم قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا۝١٢﴾ [الفرقان]، فظاهره أنهم يسمعون أصواتها قبل إلقائهم فيها؟

الجواب: تعارض مفهوم: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا...﴾ مع منطوق: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ...﴾ وفي مثل هذا التعارض يعمل بالمنطوق ويترك المفهوم ولا يعمل به حيث أن المنطوق أقوىٰ دلالة من المفهوم.

سؤال: هل هناك معنىً حقيقي لشهيق النار الذي هو سحب النفس وإخراجه بشدة؟ أم أنه تشبيه؟

الجواب: شبه صوت لهب النار بشهيق نحو الحمار الذي هو شدة صوت نَفَسِه عند التنفس فحذف المشبه وأقيم المشبه به مكانه، ويسمىٰ هذا بالاستعارة التصريحية.

(٢)-**سؤال:** هل يشمل قوله: «ألم يأتكم نذير» الواعظين والدعاة إلىٰ الله من غير الأنبياء أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: نعم يشملهم اسم النذير، وتقوم بهم الحجة علىٰ الناس، «وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر» وبعد فالدعاة إلىٰ الله إنما يبلغون أحكام الله وشرائعه ومواعظه التي جاء بها رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من عند الله.

(٣)- **سؤال:** ما وجه فصل: «إن أنتم إلا في ضلال» عن سابقتها؟

الجواب: كأنها فصلت لأنها تأكيد للجملة السابقة؛ لأن المعنىٰ واحد في الجملتين.

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في التخيير بين السمع والعقل ولعلهما بمعنىً واحد؟

الجواب: وجه التخيير أنه لو حصل أحد الأمرين إما أنهم سمعوا ما أنذروا به سماع تدبر وتفهم لما كانوا من أصحاب السعير، وإما أنهم نظروا بعقولهم فيما هم عليه من الشرك والباطل والفحشاء والمنكر لعلموا بطلانه وتركوه ومالوا إلىٰ الدين الحق.

﴿فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ(١) فَسُحْقًا(٢) لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١١﴾ أعد الله تعالى للذين كفروا العذاب الشديد في نار جهنم؛ فإذا ألقاهم الله تعالى يوم القيامة في النار سمعوا لها صوتاً شديداً حين تغلي بهم كغليان القدر بما فيها حتى إنها تكاد أن تتقطع من غيظها عليهم، وكلما وصل مجموعة من أهل النار إليها فإن خزنتها سيسألونهم: ألم يرسل الله سبحانه وتعالى إليكم رسولاً يحذركم وينذركم لقاء يومكم هذا؟ فلا يجدون بداً من الجواب بالإقرار، والاعتراف بتكذيبهم وتمردهم ورميهم لأنبيائهم بالضلال والجهالة، والندم يكاد أن يقطع أوصالهم لو أنهم سمعوا واستجابوا لدعوة أنبيائهم لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه، ويعترفون حينها بسيئاتهم وإقدامهم على المعاصي والفساد. ومعنى «سحقاً»: بعداً شديداً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢﴾ ثم أثنى الله سبحانه وتعالى على الذين يؤمنون بالغيب، ويخافون ربهم من دون أن يروه، ويؤمنون بالجنة وأنها حق وصدق ولم يشاهدوها، ويخشون عذاب النار من دون أن يكونوا قد رأوا شيئاً من ذلك، وإنما تصديقاً بما أخبرتهم به أنبياؤهم عن الله سبحانه وتعالى، وأخبر بأنه قد أعد لهم الثواب الكبير على ذلك، وقد كفر عنهم سيئاتهم وذنوبهم.

---

(١)- **سؤال:** إذا كانوا يعترفون بذنوبهم كما هنا فما فائدة إقامة شهادة الأنبياء عليهم؟

الجواب: قد يكون اعترافهم إنما كان بعد شهادة الأنبياء عليهم بدليل ما حكى الله من قول المشركين: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣﴾ [الأنعام]، وقد تكون الفائدة إظهار منتهى العدل والحق لأهل الموقف: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف]، فسيحضر كل رسول هو وأمته وتوجه إليهم الأسئلة أمام أهل الموقف.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «فسحقاً»؟

الجواب: «فسحقاً» الفاء عاطفة للمسبب على السبب، «سحقاً»: مصدر منصوب بفعل من لفظه مقدر، وهو للدعاء بالإبعاد لهم من الرحمة.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ۝١٣﴾ ثم خاطب الله سبحانه وتعالى جميع المكلفين بأنه سواء عنده جهروا بأقوالهم وأعمالهم، أم أسروا بها، فهو عالم بجميعها، ومطلع على خفيها وظاهرها، وعالم بما في صدورهم وضمائرهم، لا تخفى عليه خافية.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ۝١٤﴾[(١)] كيف لا يعلم الله ما أسروا وما جهروا وما تخفيه الصدور وهو الذي خلق كل شيء وأوجده؟ وهو عالم بدقائق الأمور وخفيها، وعالم بما في بواطن الأشياء وظواهرها، أفلا يستحق اسم اللطيف، وهو الذي يتغلغل علمه في باطن كل شيء، حتى داخل الذرة التي تكاد أن لا ترى بالعين؟

وأيضاً ألا يستحق اسم الخبير وهو الذي يتحكم بعلمه وقدرته وتدبيره في جميع الأجهزة الداخلية لذلك الحيوان البسيط، من المخ والأعصاب والدورة الدموية والجهاز الهضمي والجهاز التنفسي والتناسلي، وغير ذلك من الأجهزة والأعضاء التي بداخلها على الرغم من صغرها؟ وقد نفذ علمه إليها، وقدر على تشغيل جميع تلك الأجهزة بعلمه وقدرته، ناهيك عما تحمله في بطنها من صغارها التي تحمل مثل ما تحمل أمهاتها من الصفات؛ فانظر إلى أين وصل علم الله سبحانه وتعالى، وانظر إلى عجيب خلقه وعظيم قدرته التي يتوقف عندها العقل، وتتحير عندها الفطرة، ولو غاب علم الله وقدرته وتدبيره عما في بواطن مخلوقاته لماتت، ولو غاب علمه وقدرته وتدبيره عن السماوات لتهاوت أجرامها واختل نظامها وتصادمت نجومها وفسد الكون كله.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما معنى الاستفهام «ألا يعلم»؟ وهل «من خلق» في موضع الفاعل أو المفعول؟ حققوا ذلك وما ينبني عليه من معنى؟ وما موضع جملة «وهو اللطيف الخبير»؟

الجواب: الاستفهام إنكاري أي: كيف لا يعلم من خلق، ومن: فاعل، وليس مفعولاً جاءت هذه الجملة «ألا يعلم» بعد قوله: «وأسروا قولكم أو اجهروا به» أي: كيف لا يعلم الخالق ما تسره الضمائر وهو اللطيف الخبير. وجملة «وهو اللطيف الخبير» حالية من «مَنْ».

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾[١] ثم يُذكِّر الله سبحانه وتعالىٰ عباده بنعمه عليهم إذ ذلل لهم الأرض وسخرها في خدمتهم ومنفعتهم، ومهدها لسكناهم والحياة عليها.

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا[٢] مِنْ رِزْقِهِ﴾ وحثهم وأذن لهم أن يمشوا علىٰ ظهرها، ويسعوا وراء أرزاقهم ومصالحهم التي أباحها لهم. ومعنىٰ «مناكبها» : مرتفعاتها.

﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾[٣] فاحذروا الفساد في الأرض، وأحسنوا كما علمكم ربكم؛ لأن مرجعكم سيكون إليه، ولا بد أن يحاسبكم ثم يجازيكم علىٰ جميع أعمالكم.

﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾[٤] ثم استنكر الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ العاصين والمتمردين استمرارهم في فسادهم وإصرارهم علىٰ كفرهم وضلالهم كيف أمنوا مكر الله تعالىٰ وعذابه أن ينزل بهم؟ وكيف لو أنه خسف بهم الأرض وهم في غيهم وضلالهم؟ فأين عقولكم أيها

---

(١)- **سؤال:** هل التذليل في الأرض حقيقة أم مجاز؟ ومن أي أنواع القسمين هي؟

الجواب: التذليل حقيقة فالذل هو اللين ضد الصعوبة فهي حقيقة لغوية.

(٢)- **سؤال:** هل الإذن والإباحة تناول في الآية الأكل من الرزق أم البحث عنه والسعي وراءه وضحوا ذلك؟

الجواب: المشي في مناكبها هو لطلب الرزق من تجارة أو صيد أو حطب أو نحو ذلك، وقوله: «كلوا من رزقه» أي: مما طلبتم وكسبتم مما أذن الله في طلبه وكسبه فلا يدخل الحرام في هذا كمن يمشي في الأرض لقطع الطريق ونهب أموال الناس ونحو ذلك مما حرمه الله.

(٣)- **سؤال:** هل هذا الجملة معطوفة فعلىٰ ماذا؟ أم لا فما محلها؟

الجواب: «وإليه النشور» لا محل لها معطوفة علىٰ جملة الصلة «هو الذي جعل لكم الأرض».

(٤)- **سؤال:** ما محل المصدر «أن يخسف»؟ وما إعراب «فإذا هي تمور»؟

الجواب: «أن يخسف» في محل نصب بدل من مفعول «أمنتم» أي: من «من في السماء». «فإذا هي تمور» الفاء عاطفة للمسبب علىٰ السبب، إذا: هي الفجائية لا محل لها من الإعراب، هي تمور: مبتدأ وخبر.

الكافرون فمن شأن العاقل أن يأخذ حذره من المخاوف المعلومة والمظنونة، وقد أرسل الله إليكم رسولاً كريماً، وأنزل إليكم كتاباً مبيناً، حججه واضحة وآياته نيرة لو كان لكم عقول. ومعنى «تمور» : تتحرك وتضطرب.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ[1] أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ۝١٧﴾[2] أم أنكم في مأمن من الله سبحانه وتعالى أن ينزل عليكم ريحاً عاصفة تهلككم وتبيد خضراءكم، فعندها ستعلمون صدق ما ينذركم به نبيكم ﷺ.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ۝١٨﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ أن لا يكبر في نفسه تكذيب قومه وتمردهم عليه، فالأمم السالفة قبله قد كذبوا أنبياءهم كذلك، فعذبهم وأهلكهم ودمرهم جزاء تكذيبهم وتمردهم، وأخبره أن قومه ليسوا ببعيد منهم، وقد أوشك أن ينزل عليهم عذاباً يدمرهم ويبيدهم ويهلكهم، كما أهلك من كان قبلهم. ومعنى «فكيف كان نكير» : فكيف كان إنكاري عليهم بإنزال العذاب عليهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ[3] إِنَّهُ

---

(١)- **سؤال:** كيف يرد المرشد بجواب مختصر على من حاول أن يستدل بهذه الآية على أن الله في السماء؟

الجواب: المعنى: من في السماء أمره وسلطانه؛ إذ لا تقول أي طائفة من طوائف المسلمين أن الله تعالى في السماء؛ فطوائف المسلمين في هذا فريقان: فأهل البيت والمعتزلة والأشاعرة ينزهون الله تعالى عن الحلول في مكان لا في السماء ولا في غيرها. والحنابلة ومن سلك مسلكهم كالسلفية يقولون: إن الله تعالى فوق العرش، والعرش أكبر من السموات والأرض.

(٢)- **سؤال:** هل المراد به الاسم على صيغته أم المصدر؟ وما إعراب «فستعلمون كيف نذير»؟

الجواب: المراد بنذير المصدر أي: إنذاري، «فستعلمون» مضارع مرفوع والواو فاعل، «كيف نذير» كيف خبر مقدم ونذيري مبتدأ مضاف، والجملة في محل نصب مفعول به.

(٣)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم هذا المقطع من الآية لكان مناسباً؟

الجواب: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو حرف عطف، والمعطوف عليه مقدر بعد الهمزة، =

بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴿١٩﴾ ثم استنكر الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ قريش تكذيبهم وتمردهم مع أنهم يرون آثار قدرة الله سبحانه وتعالىٰ حولهم، وكيف لم ينظروا إلىٰ آية الطير العجيبة فوقهم من الذي يمسكها عن السقوط مع أنها صافات لأجنحتها أو قابضات[(١)] لها لا تحركها؟

﴿أَمَّنْ[(٢)] هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴿٢٠﴾ واستنكر عليهم أيضاً إصرارهم علىٰ كفرهم وتكذيبهم، وكيف يأمنون مكر الله تعالىٰ بهم، فهل معهم من القوة ما يدفعون به عنهم عذاب الله تعالىٰ؟ أو يملكون ما يحميهم من بأس الله إن نزل بهم؟

ثم أجاب الله سبحانه وتعالىٰ عن ذلك بأنهم لا يملكون أي شيء من ذلك وإنما أخذهم الكبر والغرور بأنفسهم، وقد غطىٰ الباطل علىٰ قلوبهم حتىٰ أعماهم عن الخوف من الله تعالىٰ وأمنوا مكره وعذابه.

أي: أغفلوا ولم يروا. «إلىٰ الطير»: متعلق بيروا بمعنىٰ ينظروا. «فوقهم»: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال من الطير. «صافات»: حال ثانية. «ويقبضن»: جملة حالية من الطير أيضاً. «ما يمسكهن إلا الرحمن» ما: نافية. يمسكهن: مضارع مرفوع والضمير مفعول به. إلا: أداة استثناء مفرغ. الرحمن: فاعل.

(١)- **سؤال:** هل المراد قبضهن للأجنحة في حال طيرانها أم ماذا؟ وما الوجه في تذييل الآية بقوله: «إنه بكل شيء بصير»؟

الجواب: نعم، المراد قبضها لأجنحتها حال طيرانها. وقوله «إنه بكل شيء بصير» تذييل ليفيد أنه عالم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب التي تتحير العقول في بديع خلقها.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: «أمن هذا» بمعنىٰ: بل من هذا؟ أو أن «أم» أدغمت في «من»؟ وما إعرابها؟ وما محل جملة «ينصركم»؟

الجواب: «أمَّن» أصلها: أم من بمعنىٰ: بل من، كما ذكرتم، أدغمت ميم «أم» في ميم «من» فصار: أمَّن. «أم» بمعنىٰ بل، و«من» اسم استفهام مبتدأ، «هذا» خبره، «الذي» صفة لهذا، «هو جند لكم» صلة الموصول، «ينصركم» صفة لجند فهي في محل رفع.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ[1] لَجُّوا فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴿٢١﴾﴾ من الذي سيرزقهم إن حبس الله تعالىٰ عنهم رزقه، ومنعهم بركات السماء وخيرات الأرض؟ فما بالهم يعدلون عن عبادته إلىٰ عبادة غيره من الآلهة التي لا تنفع ولا تضر؟

ولكنهم غرقوا في الباطل والكبر وتوغلوا في الضلال والشرك والاستهزاء بآيات الله تعالىٰ، والنفور عن الهدىٰ وعن سماع نبيهم ﷺ.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِى مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِى سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴿٢٢﴾﴾ من هو الأهدىٰ؟ أذلك الذي يمشي ساقطاً علىٰ وجهه لا ينظر أمامه ولا يستقيم في طريق، أم الذي يمشي علىٰ رجلين في سواء الطريق رافعاً رأسه وفاتحاً عينيه ينظر أمامه؟

شبه الله سبحانه وتعالىٰ المشركين في تخبطهم في ظلمات الجهل والضلال بمن يمشي مكباً علىٰ وجهه، لا يبصر ما الذي أمامه، ولا يهتدي إلىٰ طريق، وشبه المؤمنين بمن يمشي منتصباً علىٰ رجليه رافعاً رأسه ناظراً أمامه، فهو يهتدي إلىٰ سواء السبيل.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴿٢٣﴾﴾[2] ثم أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أن يخبر المشركين بأن الله سبحانه وتعالىٰ هو الذي خلقهم في أحسن الصور وجعل لهم السمع والأبصار والعقول التي يميزون بها الحسن من القبيح، والحق من الباطل، فكان من المفروض

---

(١)- **سؤال:** ما فائدة الإضراب في قوله: «بل لجوا في عتو..»؟

الجواب: فائدتها الانتقال عن ذكر ما يتلىٰ عليهم من الحجج والبينات إلىٰ الإخبار بتماديهم في النفور والتمرد وتجاوز الحق.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «قليلاً ما تشكرون»؟ وما الوجه في فصلها عن سابقتها؟

الجواب: «قليلاً» : صفة لمصدر محذوف أو لظرف محذوف أي: شكراً قليلاً أو زمناً قليلاً. «ما»: صلة وتوكيد. «تشكرون»: مضارع والواو فاعل وهو العامل في «قليلاً». وفصلت الجملة «قليلاً ما تشكرون» لكونها مستأنفة.

أن يشكروا الله سبحانه وتعالى على نعمه العظيمة، وأن يتوجهوا بعبادتهم إليه، ويتركوا تلك الأصنام التي لم تفعل لهم أي شيء من ذلك.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴿٢٤﴾﴾ الله سبحانه وتعالى هو الذي ذرأهم في الأرض في قبورهم، وسينبتهم يوم القيامة كما ينبت الحب الذي يذرأ في الأرض(١)، وهو الذي سيحييهم ويبعثهم من جديد للحساب والجزاء.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴿٢٦﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن المشركين سوف يستنكرون عليه أمر البعث والحساب والجزاء، وأنهم لن يصدقوا ذلك أبداً، وأمره أن يجيب عليهم بأن الوقت الذي يحشر الله تعالى فيه الأموات ويجمعهم فيه للحساب لا يعلمه إلا الله تعالى وحده وأنه لم يرسل الله تعالى نبيه محمداً ﷺ إلا ليبلغهم وينذرهم عذاب الله تعالى وسخطه الذي أوشك أن ينزل بهم إن أصروا على كفرهم وشركهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً(٢) سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴿٢٧﴾﴾ عندما يرى المشركون العذاب قريباً منهم يوم القيامة ستظهر على وجوههم أمارات الفزع والهلع الشديد، ثم تخبرهم الملائكة وتبكتهم بأن هذا العذاب الذي ترونه أمامكم هو العذاب الذي كنتم تطلبون تعجيله في الدنيا تكذيباً به.

---

(١)- **سؤال:** هل من قرينة على أن الذرء بهذا المعنى؟

الجواب: في أساس البلاغة: ذرأنا الأرض وذروناها بمعنى: بذرناها، فهذا هو حقيقة الذرء والذرو لغة.

(٢)- **سؤال:** ما نوع اسمية «زلفة»؟ وهل هي مؤنثة؟ فما وجه تأنيثها؟

الجواب: «زلفة» مصدر للرباعي أزلف، وزلفة بمعنى اسم الفاعل أي: مزلفاً أي: قريباً، والتاء لتأنيث اللفظ.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴿٢٨﴾﴾ هلاك النبي ﷺ والمؤمنين الذي تتوقعونه أيها المشركون إن حصل على سبيل الفرض فمن هو الذي سيدفع عنكم عذاب الله الشديد حين ينزل بكم، فلا مجال لكم ولا منجا ولا مهرب من عذاب الله تعالى حتى ولو توفاه الله تعالى إليه، ولا بد أن يلحقكم ذلك العذاب.

﴿قُلْ هُوَ[(١)] الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين لن يعبدوا غير الله تعالى، ولن يسندوا ظهورهم إلا إليه، ولن يتوكلوا إلا عليه؛ لأنه وحده المختص بالرحمة الواسعة بعباده.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴿٢٩﴾﴾ كانوا يقولون بأن محمداً قد ضل وخرج عن الهدى؛ فأمره الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم بأن ينتظروا ويتمهلوا، وسيعلمون عما قريب من الذي ضل عن الحق، وخرج عن سواء الطريق.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا[(٢)] فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴿٣٠﴾﴾[(٣)]

---

(١)- **سؤال:** إلام يعود هذا الضمير؟ وما محل جملة «آمنا به»؟

الجواب: هو عائد إلى مبهم في الذهن يبينه الخبر «الرحمن»، فالرحمن بيان للمبهم في الذهن. ومحل «آمنا به» الرفع خبر ثان.

(٢)- **سؤال:** ما نوع اسمية «غوراً»؟ وكيف أخبر بها وهي معنىً عن الذات (ماؤكم)؟

الجواب: «غوراً» مصدر. وصح الإخبار به للمبالغة والأصل: غائراً.

(٣)- **سؤال:** ما المناسبة في ختم هذه السورة المباركة بهذا السؤال الذي قد يبدو مُقْتَضَباً بالنسبة لما قبله؟

الجواب: هذا السؤال الذي ختمت به السورة ليس مُقْتَضَباً عما قبله بل هو متصل ومربوط بما قبله، فالسورة من أولها إلى آخرها تهاجم بحججها المشركين ودين الشرك، فقبل هذه الآية قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ﴾ وقبلها: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ﴾ ..إلخ، فكلها سياق واحد وإن تنوعت الحجج واختلفت فكلها براهين وحجج على المشركين قوية ومقنعة للعقل، وكان آخرها هذا السؤال المناسب لتمام السورة ونهايتها من حيث أن في غور الماء نهاية الحياة.

كيف لو أن ذلك الماء الذي يشربون منه غار عليهم وذهب في باطن الأرض فمن الذي سيخرجه لهم؟ فما بالهم معرضين عن الله تعالى أشد الإعراض وهم يعلمون أن بيده وحده أرزاقهم، وأنه الذي يسبغ عليهم النعم؟ ومعنى «بماء معين»: ظاهر.



سورة القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ۝١[(١)]﴾ أقسم الله سبحانه وتعالىٰ بالقلم الذي يكتبون به، وذلك أنه آية من آيات الله تعالىٰ، ونعمة من نعمه العظيمة عليهم؛ إذ علمهم كيف يكتبون وكيف يبينون مكنون نفوسهم بالكتابة، وكذا أقسم سبحانه بالكتابات التي يكتبونها بأقلامهم لأهميتها.

ولم يقسم الله تعالىٰ بالقلم إلا ليتفكروا ويتدبروا في هذه النعمة العظيمة، وليبعثهم علىٰ أداء شكرها، ولأجل أن يبحثوا عن السر العظيم وراء هذا القسم، وهكذا كل ما أقسم الله تعالىٰ به في كتابه، وأما قوله : «ن» : فالمراد به حرف الهجاء فهو مثل «ص» و«ق» و«حم».

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ۝٢﴾ هذا هو المقسم عليه. أقسم الله سبحانه وتعالىٰ للمشركين بأن محمداً ﷺ ليس بمجنون بسبب إنعام الله عليه بالنبوة واصطفائه للرسالة.

﴿وَإِنَّ لَكَ[(٢)] لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ۝٣﴾ وأقسم لنبيه أيضاً أن ثواب تبليغه رسالة ربه مستمر، ولن ينقطع ما دام التكليف.

﴿وَإِنَّكَ[(٣)] لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ۝٤﴾ وصف الله تعالىٰ نبيه ﷺ بالخلق العظيم

---

(١)- **سؤال:** هل هذا الفعل لازم فأين العائد علىٰ «ما»؟ أم متعد فلم حذف مفعوله؟

الجواب: الفعل متعد ومفعوله ضمير محذوف وهو عائد علىٰ «ما»، وحذف العائد المنصوب قياس.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في تقديم الجار والمجرور (الخبر) هنا؟

الجواب: قدم لكون الاسم نكرة مع أن «لك» هو الأهم في سياق الجملة.

(٣)- **سؤال:** هل هذا من جملة جواب القسم؟ وما وجه دخول اللام علىٰ حرف الجر في قوله «لعلىٰ»؟ وما هي المعاني التي يمكن أن نستوحيها من التعبير بقوله: «لعلىٰ خلق»؟

الجواب: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ۝٤﴾ هو من ضمن جواب القسم، والوجه في دخول لام

=

لما كان يتحلى به من الصبر وقوة التحمل وكظم الغيظ، وما تحلى به من الخلق العظيم والحلم عمن أساء إليه أو آذاه، من دون أن ينهره أو يرد عليه، أو حتى يُقَطِّب وجهه فيه، ولما كان عليه من التواضع والرفق والرحمة بعموم الناس، ولما كان عليه من حسن المعاملة ومداراة الناس والإحسان إلى الخاصة والعامة.

﴿فَسَتُبْصِرُ[1] وَيُبْصِرُونَ۝٥﴾ فستبصر يا محمد نصر الله تعالى وتأييده لك، وإظهار دينك على جميع أديانهم، وهم سيبصرون جزاء كفرهم وتكذيبهم وتمردهم، وسيرون عاقبة أمرهم، وسيشهدون نصر الله يقهرهم ويذلهم.

﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ۝٦﴾ وستعلم يا محمد وسيعلم أولئك المشركون من الذي دخل في الفتنة وافتتن عن دينه، أنت أم هم؟

التوكيد على الجار والمجرور بعد أن كانت داخلة على الاسم الذي قبلها هو مجيء «إن» فلما تزاحمت اللام وإنّ بدخولهما على الاسم تزحلق اللام إلى الجار والمجرور.

والذي يمكن أن نستوحيه من هذه الآية:

١ – الصبر في الدعوة إلى الله.

٢ – تحمل الأذى في سبيل الدعوة، وتحمل التعب والنصب.

٣ – يتدرع الدعاة إلى الله ثوب الحلم والعفو، بل يكون شأنه الإحسان إلى المسيء والمحسن.

٤ – أن يكون في الغاية من التواضع للصغير والكبير وللشريف والوضيع، ولا يطلب لنفسه مكانة أو رفعة.

٥ – أن يستعمل الرفق والشفقة والرحمة، ويعود المريض ويشهد الجنازة، ويجيب الدعوة، ويغمض عما يرى من هفوات.

(١)- **سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟ وهل المعمول في الآية محذوف أم له تعلق بقوله: «بأيكم المفتون»؟ وهل الباء في قوله «بأييكم» على بابها فكيف تحليل المعنى؟ أم لا فما معناها؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة، وقوله «فستبصر» معلق عن العمل بالاستفهام. «بأيكم المفتون» جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب بالفعل المعلق. والباء ظرفية أي: في أيكم الفتنة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ۝٧ فَلَا[1] تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ۝٨ وَدُّوا لَوْ[2] تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ[3]۝٩﴾ كانت قريش تدعي أنهم على الهدى وفي سواء الصراط، وأن محمداً وأصحابه ضالون وخارجون عن طريق الحق والهدى، وأنهم قد صبئوا عن دين آبائهم وأجدادهم؛ فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يبالي بهم ولا بما يقولون، وأن يستمر على ما هو عليه، فهو عالم بمن هو على الهدى ودين الحق، ومن هو من أهل الضلال والغواية، وأن لا يطيعهم أو يميل إليهم في شيء من اعتقاداتهم، أو يجاملهم ولو في بعض شيء من ذلك.

وأخبره أنهم يتمنون لو أنه جاملهم وداهنهم لداهنوه واتبعوه، ولكن الله سبحانه وتعالى يريد أن يكون الدين خالصاً لا يشوبه شيء من اعتقاداتهم وضلالات الشرك والجاهلية، وأن لا يكون فيه شيء من المجاملات أو التغاضي آمن من آمن وكفر من كفر.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ۝١٠ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ۝١١ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ

---

(١)- **سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟ وهل لها ضابط في هذا المعنى؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة وليس لها ضابط تعرف به وإنما تعرف بالسياق.

(٢)- **سؤال:** ما هو الوجه في كون «لو» في الآية مصدرية؟

الجواب: إذا وردت «لو» بعد «ود» أو «يود» أو بعد ما هو بمعناهما كانت مصدرية.

(٣)- **سؤال:** هل يوجد شيء من التعارض بين النهي عن المداهنة وبين ما أوردتموه في شرح «وإنك لعلى خلق عظيم» من مداراة الناس والإحسان إليهم ونحو ذلك مما ورد في بعض الأدلة؟ أم لا؟

الجواب: ليس هناك تعارض فالمداهنة أن يتنازل المسلم عن شيء من دينه كترك فريضة أو يرضى بمعصية الله كشرب الخمر أو قتل بغير حق من أجل الملاينة للطرف الآخر والمصانعة لهم ليرضوا عنه. أما ما ذكرنا في تفسير الآية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ۝٤﴾ فليس من باب المداهنة، فمثلاً الإغضاء عن الهفوات والزلات إنما هو من باب الرفق، فلو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم باشر بالاستنكار والتبكيت لربما نفروا عنه ولكنه يغضي كأنه لم ير شيئاً، ثم يبين بعد ذلك بياناً عاماً في مواعظه وخطبه بحيث لا يشعر أهل الزلات والهفوات أنهم هم المرادون.

أَثِيمٍ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ[(١)] زَنِيمٍ۝١٣ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ[(٢)] وَبَنِينَ۝١٤﴾ يقال إن الحلاف المهين هو الوليد بن المغيرة المخزومي، وسمي بذلك لكثرة أيمانه الفاجرة، ووصف أيضاً بالهمَّاز لإكثاره من التنقيص في الناس والوخز في أعراضهم، وسماه نماماً لما كان يعتاده من المشي بالنميمة بين الناس، ومناعاً للخير لبخله بالأموال وحرصه الشديد على جمعها، وسمي معتدياً أثيماً لأن عادته كانت التعدي على الناس وارتكاب المآثم، وعتلاً لأن طبيعته كانت القسوة والغلظة والشدة، وكان قلبه لا يعرف الرحمة للأيتام والفقراء والمساكين، والزنيم هو: ولد الزنا؛ فنهى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ عن طاعته لكونه من أصحاب الأموال الطائلة والأولاد الكثيرين. ويقال: كان له من الأولاد سبعة عشر ولداً.

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ[(٣)] الْأَوَّلِينَ۝١٥﴾ ومن صفته أيضاً أنه كان إذا سمع آيات الله تعالى تتلى عليه أعرض عنها واستكبر عن سماعها ويقول ليست إلا خرافات الأولين.

﴿سَنَسِمُهُ[(٤)] عَلَى الْخُرْطُومِ۝١٦﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنه سيسمه بعلامة على أنفه بضربة سيف فلما تواجه المسلمون وقريش في بدر ضرب

---

(١)- **سؤال:** فضلاً بم تعلق الظرف «بعد ذلك»؟ وما الفائدة فيه بعد إيراد معناه؟

الجواب: الظرف متعلق بـ«زنيم»، والفائدة فيه هي الإشارة إلى أن ما بعده من صفات الذم هنا أبعد في الشناعة وأعظم فهو كـ«ثم» التي تفيد التراخي في الرتبة.

(٢)- **سؤال:** ما محل «أن كان ذا مالٍ» من الإعراب؟

الجواب: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ﴾ في محل جر بلام محذوفة أو نصب على نزع الخافض.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في حذف المسند إليه هنا؟

الجواب: الوجه هو العلم به بالقرينة مع الإيجاز.

(٤)- **سؤال:** هل هذه اللفظة مأخوذة من الوسم بمعنى العلامة أم ماذا؟

الجواب: نعم، هي كذلك.

الوليد على أنفه ولم يقتل كما قتلت الصناديد من قريش.

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ[(١)] ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ[(٢)] إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ ابتلى[(٣)]

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «كما بلونا» و«إذ أقسموا»؟ وما موضع «ليصرمنها»؟ وعلام عطفت «ولا يستثنون»؟

الجواب: «كما بلونا» في الأصل هو جار ومجرور صفة لمصدر محذوف، فلما حذف المصدر ناب الجار والمجرور منابه فهو حينئذ في محل نصب والتقدير: إنا بلوناهم بلاءً مثل بلائنا أصحاب الجنة. و«إذ» ظرف لما مضى من الزمان متعلق ببلونا أصحاب الجنة، وجملة «أقسموا» في محل جر بإضافة «إذ» إليها. وجملة «ليصرمنها» جواب القسم فلا محل لها من الإعراب. «ولا يستثنون» في محل نصب على الحالية من فاعل «أقسموا».

(٢)- **سؤال:** ما معنى «أن» في قوله: «أن اغدوا»؟ وما وجه تسمية الزرع حرثاً؟ وما إعراب «أن لا يدخلنها»؟

الجواب: معنى «أن» التفسير أي أنها بمعنى «أي». ووجه تسمية الزرع حرثاً هو كون الزرع حالًّا في الحرث ونابتاً فيه فهو مجاز مرسل.

أما إعراب «أن لا يدخلنها» فـ«أن» تفسيرية لا محل لها لتقدم معنى القول دون حروفه «يتخافتون». و«لا» ناهية ، و«يدخلنها» فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد ، والهاء ضمير عائد إلى الجنة في محل نصب مفعول به.

(٣)- **سؤال:** ما وجه تسميته ابتلاءً؟ وما رأيكم في كون البلوى على قريش بالقحط والحاجة التي حملتهم على الخروج بصناديدهم؟

الجواب: قد ظهر أن العلة والسبب في خيبة أمل أهل الجنة هو عزمهم وتصميمهم مع الحلف ليصرمنها مصبحين، وأيضاً مع اعتقادهم ويقينهم أن يصرموا الجنة ويحرموا المساكين، فخيب الله آمالهم فيما عزموا عليه وصمموا، وفيما حلفوا عليه، وعلى هذا فيكون الابتلاء لقريش هو بمثل ما ابتلي به أصحاب الجنة.

=

الله سبحانه وتعالى المشركين يوم بدر وذلك أنهم جمعوا صناديدهم وكبارهم لاستنقاذ تجارتهم في طريقها من الشام إلى مكة، وكانوا قد خافوا عليها من محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فنهض منهم للخروج ما يقارب ألف رجل، وكان قد بلغهم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خرج لاعتراض القافلة التي تحمل تجارتهم، وفي حسبانهم أن الفرصة قد حانت لهم للقضاء على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه من المسلمين، ولكن الدائرة كانت عليهم فانكسرت شوكتهم، وقتلهم المسلمون شر قتلة، وقتلوا صناديدهم وكبارهم، وألحقوا بهم شر هزيمة.

وقد شبههم الله سبحانه وتعالى بأصحاب الجنة الذين رزقهم الله سبحانه وتعالى البساتين الواسعة التي جعل لهم فيها ما لذ وطاب من الفواكه والثمار، وعندما حان وقت قطافها وجني ثمرها تعاهدوا فيما بينهم وأقسموا على أن يبكروا إليها ويقطفوها جميعاً، ولا يبقوا على شيء منها، وأن يحرموا الفقراء والمساكين.

ومعنى ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾[1]: لم يخطر ببالهم أن سلطان الله وقدرته فوق قدرتهم وفوق سلطانهم فلم يقولوا: إن شاء الله؛ فأرسل الله سبحانه وتعالى عليها ضربة ثلج ليلاً أتلفتها وأحرقتها، فلما طلع عليهم الصبح اجتمعوا وانطلقوا وهم يتهامسون فيما بينهم؛ لئلا يسمعهم أحد من المساكين أو غيرهم.

والوجه في تسمية ذلك ابتلاءً هو كون نعم الله تعالى على عباده ابتلاءً واختباراً، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥﴾ [الفجر]، فابتلى الله تعالى قريشاً بكثرة العدد وقوة الأبدان وكثرة الأموال والأولاد وبسكنى مكة ومجاورة البيت الحرام والمشاعر المحرمة وبالشرف الكبير بين قبائل العرب وأرسل إليهم رسولاً منهم يدعوهم إلى الإيمان والدين الحق وترك الشرك والباطل، فكفروا بنعم الله هذه العظيمة ولم يشكروها بل صمموا وعزموا على حرب الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فخيب الله أملهم كما خيب أمل أصحاب الجنة.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما رأيكم في حملها على عدم استثناء حق الفقراء ليوافق القصة وظاهرها؟

الجواب: المناسب هو ما ذكرنا كما يبدو.

﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ۝٢٥﴾[(١)] انطلقوا وفي عزمهم الإصرار على منع العطاء والصدقة.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ۝٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ۝٢٧﴾ ولكنهم عندما وصلوا اندهشوا لما رأوا وأصابتهم الحيرة، وظنوا أنهم ضلوا عن طريقها، وعندما تحققوا وتأكدوا أنهم في الطريق الصحيح عرفوا أن الله سبحانه وتعالى قد حرمهم بساتينهم وثمارهم لسوء نياتهم.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ۝٢٨﴾[(٢)] وكان أحدهم وهو أفضلهم قد نصحهم وأمرهم بترك ما عزموا عليه وذكّرهم بالله فلم يلتفتوا إليه.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ۝٢٩ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ۝٣٠ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ۝٣١ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ۝٣٢﴾ فاعترفوا بجرمهم منزهين الله عن أن يكون قد ظلمهم في ذلك، ولكن بعد أن فات الأوان، ولم يبق لهم إلا إلقاء المسؤولية واللوم على بعضهم البعض، ثم عرفوا بعد ذلك سوء أفعالهم، وأنهم قد طغوا وتكبروا حتى تسببوا في زوال نعيمهم وحرمان أنفسهم، وندموا على ما فرط منهم، واستغفروا الله تعالى على ذلك راجين منه أن يعوضهم.

---

(١)- **سؤال:** هل تحليل الآية: أنهم بكَّروا قادرين على المنع وحرمان المساكين فيكون «على حرد» معلق بـ«قادرين» فما وجه تقدم المعمول؟

الجواب: تحليل الآية كما ذكرتم «على حرد» متعلق بقادرين، ووجه تقدمه كونه المقصود الأهم الذي سيقت له الجملة.

(٢)- **سؤال:** ما معنى الاستفهام هنا «ألم أقل لكم»؟ وما معنى «لولا» في قوله: «لولا تسبحون»؟ وهل هي في محل نصب مقول القول؟

الجواب: الاستفهام لتقرير ما بعد النفي، و«لولا» للتحضيض، والجملة: «ألم أقل لكم لولا تسبحون» في محل نصب مقول القول.

وهكذا كان المشركون يوم بدر ظنوا أنهم قادرون[(١)] على استئصال محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، ولكن الله تعالى خيب ظنهم كما خيب ظن أصحاب الجنة.

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴿٣٣﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى المشركين أن عذابه في الدنيا يأتي المرء من حيث لا يدري ولا يتوقع كما فعل بأصحاب الجنة، وأنهم لو كانوا يعتبرون ويتفكرون بعقولهم لاعتبروا بما جاءهم به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من العبر، ولارتدعوا عن غيهم وضلالهم، ولاتقوا عذاب الآخرة الذي ينتظرهم[(٢)].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴿٣٤﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن الذين يتقونه ويحذرون الوقوع فيما يغضبه ويوجب سخطه لهم جنات النعيم

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر القصة في نية السوء بحرمان المساكين فكيف ذلك بالنسبة لقريش؟ وما قرائن حملها على ظن القدرة فيما يريدون؟

الجواب: المشبه به هو أصحاب الجنة في تصميمهم وعزمهم وحلفهم على الصرم مصبحين وعلى منع المساكين والمشبه هم قريش في تصميمهم وعزمهم على استئصال النبي وأصحابه الذين خرجوا لاعتراض القافلة وقد عذلهم بعض عقلائهم من التعرض لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولأصحابه ونصحوهم بالرجوع إلى مكة وحصل بينهم وبين عقلائهم جدال ومراجعة في هذا طويلة فلم يرعووا وأصروا على استئصال النبي وأصحابه، وهؤلاء الناصحون هم أوسط رجال قريش الذين كانوا في النفير، وكان من جملة الناصحين لقريش بترك القتال عتبة بن ربيعة وجرى بينه وبين أبي جهل كلام بذيء فغضب عتبة غضباً شديداً وهو سيد قريش الحليم فضرب بسيفه عرقوب فرس أبي جهل عند خروجه للقتال.

ووجه الحمل على ظن القدرة أو العلم بالقدرة على استئصال المسلمين هو قوله في أصحاب الجنة: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴿١٧﴾﴾، وقوله: ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴿٢٥﴾﴾.

(٢)- **سؤال:** هل تقصدون أن جملة «ولعذاب الآخرة أكبر» معترضة، وأن «لو كانوا يعلمون» متعلق بـ«كذلك العذاب» أم ماذا؟

الجواب: يبدو أن قوله: «ولعذاب الآخرة أكبر» جملة معطوفة على ما قبلها.

يأكلون ويتمتعون فيما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم.

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ۝٣٦﴾[١] يخاطب الله تعالى المشركين الذين أنكروا البعث والحساب والجزاء في يوم القيامة، ويستنكر عليهم الإصرار على إنكار ذلك، وكيف ساغ لهم الجحود للبعث مع ما يلزم منه من اتهام الله تعالى بالظلم حيث يسوي بين الممتثلين لأوامره والمتمردين عنها، ونسبته للعبث والباطل، تعالى الله عن ذلك.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ۝٣٧ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ[٢]۝٣٨﴾ ومن أين

---

(١)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم الآية «ما لكم كيف تحكمون»؟ وكيف يمكن لنا الاستدلال بهذه الآية على أن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها؟

الجواب: «ما» اسم استفهام مبتدأ. «لكم» خبر متعلق بمحذوف. «كيف» اسم استفهام في محل نصب حال أو مفعول مطلق. «تحكمون» فعل وفاعل وهو العامل في «كيف»، والجملة مستأنفة لبيان الإبهام في الجملة الأولى «ما لكم».

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ۝٣٦﴾ دليل على أن العقل يفرق بين الحسن والقبيح والحق والباطل بفطرته، والدليل هذا نقلي من السمع، فالاستدلال يكون بالآية هذه من حيث أن الله تعالى استنكر على المشركين اعتقادهم أن الله يسوي بين المجرمين والمسلمين استنكاراً بعد استنكار ووبخهم على ذلك، وما ذلك إلا لأنهم قالوا وحكموا بخلاف ما تعرفه العقول وتستحسنه الفطرة.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «لما تخيرون»؟

الجواب: اللام هي المزحلقة، و«ما» اسم موصول في محل نصب اسم «إن»، و«تخيرون» مضارع، والواو فاعل، والعائد ضمير محذوف.

سؤال: هل قوله: «إن لكم لما تخيرون» في حيز الاستفهام الذي قبله؟ أم أنه على جهة الجواب من الباري تعالى على مضمونه؟

الجواب: نعم هو في حيز الاستفهام حيث أنه معمول لـ«تدرسون» على أنه مفعول به، وكان المفروض فتح همزة «إنّ» ولكن لام الابتداء منعت ذلك وعلقت الفعل «تدرسون» عن العمل في اللفظ، وهو بمعنى تعلمون فيكون من أفعال القلوب.

لكم حتى تنكروا ذلك الإنكار؟ هل أتاكم به رسول من عند الله تعالى وأخبركم أن لكم أن تختاروا ما شئتم وأردتم من الأديان؟

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴿٣٩﴾﴾(١) أم أن معكم عهوداً ومواثيق أخذتموها على الله تعالى حتى تنكروا هذا الإنكار، وتتمسكوا بعقائدكم هذا التمسك، وتأمنوا عذاب الله تعالى هذا الأمان؟

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ(٢) بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴿٤٠﴾﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يسألهم من المسؤول عن ذلك العهد، إن كان ثَمَّ عهد؟ ومن هو الكفيل به؟

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا(٣) بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴿٤١﴾﴾ أم أن لهم آلهة غير الله تعالى قد أتتهم بذلك؟ فإن كان كذلك فأمرهم يا محمد: أن يأتوا بآلهتهم، وأن يُروك آثار قدرتها وخلقها، وأن يأتوك بدلائل إلهيتها وشرائعها.

﴿يَوْمَ(٤) يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ(٥)﴿٤٢﴾

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما موضع: «إن لكم لما تحكمون» إعرابياً؟

الجواب: لا موضع لذلك من الإعراب لكون الجملة جواباً للقسم.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «أيهم»؟ وما محل جملته؟

الجواب: أيهم: استفهام مبتدأ، وجملته في محل نصب المفعول الثاني لسل.

(٣)- **سؤال:** فما يكون معنى هذه الفاء؟

الجواب: هي الفصيحة.

(٤)- **سؤال:** ما هو العامل في هذا الظرف؟ وما محل جملة «يكشف»؟ وجملة «ترهقهم ذلة» وجملة «وقد كانوا يدعون»؟

الجواب: العامل في الظرف «اذكر» محذوفاً، وجملة «يكشف عن ساق» في محل جر بإضافة يوم إليها، وجملة «ترهقهم ذلة» في محل نصب حال ثانية من نائب الفاعل في «يدعون» وجملة «وقد كانوا يدعون» في محل نصب من فاعل «يستطيعون».

(٥)- **سؤال:** هل المراد بقوله: «فلا يستطيعون» نفي الاستطاعة عنهم؟ أم نفي نفع السجود لهم؟

الجواب: الظاهر أن المراد نفي الاستطاعة؛ لأن الملائكة هي التي تسيرهم وتقف بهم وتحركهم فهم محكومون بأوامر الملائكة، ودعوتهم إلى السجود لا يراد بها إلا السخرية والاستهزاء وزيادة الحسرة وعلى سبيل التقريع والتوبيخ والتعنيف.

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴿٤٣﴾﴾[١]
ثم أمره الله سبحانه وتعالى أن يذكرهم بيوم القيامة يوم يشتد عليهم الأمر ويحين وقت الجد والعذاب، فعندها سيدعوهم الله تعالى إلى السجود له تهكماً بهم، ولكن حين لا ينفعهم السجود، وقد كانت رسل الله تعالى تدعوهم إلى عبادة الله وحده والسجود له جل وعلا فتمردوا وأعرضوا وهم متمكنون من ذلك لسلامة أعضائهم وصحة أبدانهم وعقولهم.

ومعنى ﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ يعني: يشتد الأمر[٢]، فعندها ستكون آثار

---

(١)- **سؤال:** ما الذي نستوحيه من قوله: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴿٤٣﴾﴾ مما يهدم مذهب من نفى الاختيار من العبد في الدنيا؟

الجواب: نستوحي من هذه الآية أن المشركين الذين ذكرهم الله تعالى هنا كانوا في الدنيا مستطيعين للسجود يوم دعاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى توحيد الله تعالى والسجود له وحده، فقوله تعالى: ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴿٤٣﴾﴾ أي: سالمون من الموانع التي تمنعهم من السجود، أما يوم القيامة فلا يستطيعون السجود لوجود موانع من أمر الله وهذا المعنى ظاهر.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما هي القرائن على أنه لا يفسر إلا بهذا؟

الجواب: الدلائل على صحة ما ذكرنا:

- أن الله سبحانه وتعالى ليس بجسم لما ثبت من حدوث الأجسام بالدليل القاطع، فدلائل الحدوث وآثار الصنعة داخلة في ماهية كل جسم؛ لذلك استحال مصداقية قول من يقول إن المراد ساق الرحمن عز وجل.
- قد اشتهر في لغة العرب استعمال كشف الساق في التعبير عن حدوث الشدة الشديدة قال جرير:

ألا رب سـام الطـرف مـن آل مـازن ... إذا شـمرت عـن سـاقها الحـرب شـمرا

وقال غيره:

في سـنة قـد شـمرت عـن سـاقها ... حمـراء تـبري اللحـم عـن عراقهـا

وقال آخر:

قـد شـمرت عـن سـاقها فشـدوا ... وجـدت الحـرب بكـم فجـدوا

والشواهد على هذا كثيرة من شعر العرب، ويمكن البحث عنها في دواوين شعراء العرب بواسطة الباحث الآلي.

الذلة والخزي والصغار ظاهرة على وجوههم بعد أن كانوا في الدنيا من أهل التعالي والمقامات الرفيعة وذوي الشرف والرياسة.

﴿فَذَرْنِي[(١)] وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴿٤٥﴾﴾[(٢)] هذا تهديد من الله سبحانه وتعالى لأولئك المشركين عندما أعرضوا عن دعوة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، يعني: فاتركهم يا محمد،

---

(١)- **سؤال:** ما معنى الفاء هذه؟ وما الوجه في توجيه الفعل إلى ضمير الباري تعالى في قوله: «فذرني»؟ وهل الواو للمعية في قوله: «ومن يكذب» وما بعدها مفعول معه؟ أم ماذا؟ وما موضع جملة «سنستدرجهم»؟ وهل هناك وجه فرق بين ضمير الجمع في «سنستدرجهم» وضمير الواحد في المعطوف عليه «أملي»؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة، والوجه في إيقاع الفعل على ضمير الباري تعالى في قوله: «فذرني» هو زيادة التخويف للمكذبين بالانتقام الشديد منهم كأنه قال: لا تطلب يا محمد الانتقام من المكذبين ذرني وإياهم فأنا سأكفيكهم وأنتقم لك منهم، والواو للعطف في قوله: «ومن يكذب» ويصح أن تكون للمعية، ولعل العطف أرجح، وجملة «سنستدرجهم..» استئناف بياني في جواب سؤال مقدر، ولا فرق في المعنى بين الضميرين فالمراد بهما واحد وهو الواحد القهار إلا أن الأول فيه زيادة تعظيم لله تعالى أكثر من الثاني، والله أعلم.

(٢)- **سؤال:** ما وجه نسبة الاستدراج والكيد لله سبحانه وتعالى في الآية؟ وما معنى متانة الكيد في حق الله تعالى؟

الجواب: نسبة الاستدراج إلى الله تعالى هي نسبة مجازية أي: أن لفظ الاستدراج والكيد هنا استعارة مبنية على التشبيه من حيث أن ما يفعله الله تعالى بالمشركين من إغداق النعم وإمدادهم بالصحة والسلامة وطول الأعمار وكثرة الأموال والأولاد مع كفرهم وفسوقهم عن أمره وتكذيبهم لرسله وإعلانهم الحرب على أهل دينه من حيث أن هذا الصنيع والإحسان يشبه في ظاهره صنيع من يتقرب بالإحسان وصنائع المعروف إلى عدوه ويتودد له بالرفق والملاطفة إلى أن يطمئن عدوه ثم يقتله وهذا معنى: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴿٤٥﴾﴾، والله تعالى متمكن من المشركين قادر على أخذهم بنقمته وهو أقرب إليهم من حبل الوريد، وليس محتاجاً إلى الاستدراج لهم إلى أن يجد غرة ثم يأخذهم، فلا يحتاج إلى الاستدراج إلا الضعيف العاجز.

وخل بيني وبينهم فسأنتقم لك منهم شر انتقام، وسنجرهم إلى ما فيه هلاكهم ودمارهم من حيث لا يعلمون، وسأمهلهم في الدنيا وأتأنى بهم إلى أن يحين موعد عذابهم فآخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴿٤٦﴾﴾ فهل تسألهم الأجرة على تبليغهم حتى يعجزوا عن اتباعك لتعذر دفعها ومشقتها عليهم.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴿٤٧﴾﴾ أم قد أنزل الله تعالى عليهم كتاباً يدينون[1] به حتى يتمسكوا بشركهم هذا التمسك، ويصروا على ضلالهم هذا الإصرار.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ[2] رَبِّكَ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يصبر على أذى قومه وتكذيبهم له، وأن يستمر على مواصلة تبليغهم رسالة ربه، وأن لا يستعجل نزول العذاب بهم فهم في قبضته ولا بد أن يحكم فيهم بحكمه.

﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴿٤٨﴾﴾[3] لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ

---

(١)- **سؤال:** يقال: من أين نفهم أن هذا المراد بالغيب؟

الجواب: المراد بالغيب هو ما في اللوح المحفوظ بدليل: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران:٤٤]، ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ [هود:٤٩]، فاستنكر الله تعالى على المشركين ما كانوا عليه في دينهم من عبادة الأصنام وتحريم السائبة والوصيلة والحام والبحيرة و..إلى آخر أحكام التحليل والتحريم في دينهم الجاهلي، فوجه الله تعالى إليهم ذلك السؤال التوبيخي التفريعي: أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون منه الدين الذي هم عليه.

(٢)- **سؤال:** هل اللام هذه على بابها أم لها معنى آخر فما هو؟

الجواب: اللام للتعليل أي: فاصبر لأجل حكم ربك، وليست للتعدية، فإن «صبر» يتعدى بـ«على» أو «عن» يقال: صبرت على كذا، وصبرت عما أحب.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب «إذ نادى وهو مكظوم»؟ وما محل «أن تداركه»؟

الجواب: «إذ» ظرف لما مضى من الزمان متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الفعل أي: مشابهاً لصاحب الحوت في حين مناداته وهو مكظوم. و«أن تداركه..» في محل رفع مبتدأ.

نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ(١)﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴿٥٠﴾﴾ وذلك أن نبي الله يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يدعو قومه إلى عبادة الله والرجوع إليه وعندما لم ير منهم أي استجابة أو قبول أصابه الكلل والملل، وغضب عليهم، وخرج عنهم وتركهم، فعاتبه الله تعالى على ذلك وعاقبه بالسجن في بطن الحوت مدة من الزمان، فتداركه برحمته وشمله بلطفه لما أنه تاب إلى ربه واعترف بخطئه مناجياً لخالقه تلك المناجاة العظيمة، وقد امتلأ قلبه هماً وغماً، فحفظه حياً ثم أخرجه وبعثه إليهم مرة أخرى، فنهى الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحذره أن يفعل كفعله، وأن يمل من تبليغ رسالة ربه وإنذار قومه.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ(٢)﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴿٥٢﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن قريش، وعن شدة تمردهم وعنادهم بأن أبصارهم تكاد أن تقذف(٣) بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية ومعنى «لولا» وشرطها وجزائها أن يونس لم ينبذ بالعراء والآيات الأخرى في الصافات وغيرها أنه نبذ بالعراء وهو سقيم، فكيف ذلك؟

الجواب: نفي النبذ هنا متوجه إلى القيد «وهو مذموم» فلم ينبذ بالعراء في حال كونه مذموماً، فلا يعارض الآيات الدالة على أنه نبذ في العراء.

(٢)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم هذه الآية كاملة لكان مناسباً؟

الجواب: «وإن» إن مخففة من الثقيلة (مؤكدة) تنصب الاسم وترفع الخبر أو تكون مهملة، واسمها ضمير الشأن مقدر، «يكاد» مضارع من أفعال المقاربة، «الذين» في محل رفع اسم يكاد، «كفروا» جملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول والعائد الواو، «ليزلقونك» اللام لام التوكيد المزحلقة، «يزلقونك» فعل وفاعل ومفعول به، «بأبصارهم» جار ومجرور متعلق بـ«يزلقونك»، وضمير الجمع مجرور بالإضافة، «لما» ظرف زمان منصوب بـ«يزلقونك». «سمعوا الذكر» جملة من فعل وفاعل ومفعول، وهي في محل جر بإضافة «لما» إليها. «ويقولون إنه لمجنون» الجملة في محل نصب حالية من فاعل «يزلقونك»، وجملة إن واسمها وخبرها في محل نصب مقول القول.

(٣)- **سؤال:** ما رأيكم في حمل البعض لقوله: «ليزلقونك» على العين التي تصدر من خبث النفس =

من مكانه وترمي به منه، من شدة نفرتهم وحقدهم وغضبهم عليه إذا سمعوه يتلو عليهم آيات القرآن، وكانوا يرمونه لأجل ذلك بالجنون، ويزعمون أنه لا يقول مثل ذلك الكلام إلا من قد أصابه المس والجنون، وأنه لا ينبغي لعاقل أن يقول مثل ذلك القول فرد الله عليهم بتنزيه نبيه عن ذلك وأن القرآن ليس من كلام البشر بل هو من كلام الله سبحانه أنزله رحمة ومواعظ تذكر عباده وتوقظهم عن غفلتهم وتهديهم إلى سواء السبيل(١).



فتؤثر في الإنسان بمشيئة الله تعالى؟

الجواب: قد اشتهر بين الناس تأثير العين والله أعلم.

(١)- **سؤال:** ما السر في ختم السورة بهذه الآية المباركة؟

الجواب: الآية تفيد أن آيات الله وحججه وبيناته الواضحة لم تردعهم عن باطلهم ولم تؤثر فيهم، بل إن الغاية التي حصلت من تلاوة آيات الله عليهم والنهاية التي انتهوا إليها هي شدة الحنق عليك يا محمد وشدة التغيظ مما تتلوه ورميهم لك بالجنون والهذيان بكلام المجانين «وما هو إلا ذكر للعالمين» وذلك يشير إلى نهاية السورة وخاتمتها.

سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣﴾(١) الحاقة: هي القيامة؛ لأنها حق واقع لا محالة كما وعد الله، وسيحق فيها الحق من الحساب والجزاء، وفي الاستفهام عنها من التفخيم والتعظيم ما ينبئ أنها أمر هائل عظيم سيحل بأهل السماوات والأرض.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ(٢) بِالْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ(٣) عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا(٤) فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَى لَهُم

---

(١)- **سؤال:** ما هو الفعل الذي اشتقت منه الحاقة؟

الجواب: الحاقة اسم فاعل من حق يحق حقاً فهو حاق للمذكر وحاقة للمؤنث.

(٢)- **سؤال:** ما السر في صرف «عاد» وعدم صرف «ثمود»؟

الجواب: صرف « عاد » لكونه ثلاثياً ساكن الوسط فصرف لخفته، ولم يصرف « ثمود » لأنه اسم للبلدة سميت باسم جدهم ، ففيه العلمية والتأنيث، وهو على تأويل: فأما أهل ثمود. والله أعلم.

(٣)- **سؤال:** ما نوع اسمية «صرصر»؟ وما زنتها؟

الجواب: صرصر: اسم للريح الشديدة، وهي صفة مشبهة من الصر وهو البرد، أو من صرّ بمعنى: صَوَّت وصاح شديداً من باب ضرب.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾؟ وما الذي نستفيده منها بالنسبة لليالي والأيام؟ وما إعراب «فهل ترى لهم من باقية»؟ وما الوجه في تأنيث «باقية»؟

الجواب: «سبع ليال» ظرف زمان لسخرها، «وثمانية أيام» معطوف على سبع ليال، «حسوماً» نعت لسبع ليال وثمانية..، ويجوز أن يكون «حسوماً» حال من مفعول سخرها.

ويؤخذ من ذلك: أن الليل اسم للوقت المعروف الذي أوله غروب الشمس وآخره طلوع الفجر، واليوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فلا يدخل أحدهما في مسمى الآخر، هذا هو المعنى الحقيقي لليوم والليلة بدليل ما ذكر هنا، وشواهد هذا كثيرة من القرآن نحو: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا

=

مِنْ بَاقِيَةٍ﴿٨﴾﴾ ثم أخبر الله تعالى أن قوم صالح وقوم هود قد كذبوا بها وأنكروا البعث والحساب والجزاء، فأهلكهم الله وعذبهم جزاء تكذيبهم وتمردهم على أنبيائهم؛ وقد أهلك الله سبحانه وتعالى ثموداً بصيحة(١) من السماء لم تتحملها أجسامهم فصعقتهم جميعاً، وأما عاد فقد أهلكهم الله سبحانه وتعالى بريح عظيمة لها صوت وصرير من شدتها وقوتها، وقد استمرت تعصف بهم سبع ليال وثمانية أيام حتى حسمتهم وأبادتهم، ونثرت(٢) أجسادهم كجذوع النخل في كل مكان، ولم تبق على أحد منهم، وقد شبههم الله سبحانه وتعالى بأعجاز النخل؛ لما كانوا عليه من القوة والأجسام الكبيرة، ومعنى «حسوماً» : مستأصِلة قاطعة لدابرهم.

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴿١٠﴾﴾ وكذلك فرعون وجنوده، وأيضاً من كان قبله من الأمم،

يَغْشَى﴿١﴾﴾ [الليل]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴿٢﴾﴾ [الضحى]، ﴿فَمَحَوْنَا ءَايَةَ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء:١٢]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴿٤﴾﴾ [الشمس]، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الجاثية:٥]، ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام:٩٦]، ونحو ذلك. «فهل» الفاء عاطفة للمسبب على السبب، هل: حرف استفهام بمعنى النفي، «ترى» مضارع وفاعله مستتر، «لهم» متعلق بمحذوف حال من باقية، «من باقية» باقية: مفعول به مجرور لفظاً منصوب محلاً. وأنث «باقية» لأن المراد نفس باقية والنفس مؤنث، وتقدير النفس هو المناسب لأن الريح أهلكت الرجال والنساء والذراري.

(١)- **سؤال:** وما وجه تسميتها طاغية؟

الجواب: الوجه هو أن الصاعقة أو الصيحة التي أهلكتهم كانت شدتها زائدة كبيرة فالمعهود أن الصاعقة إذا نزلت في قرية فلا يتجاوز ضرها أهل مجلس أو أهل بيت، أما صاعقة ثمود فإنها أهلكتهم جميعاً وهم أمة كبيرة.

(٢)- **سؤال:** هل نفهم هذا من قوله: «خاوية» أم من ماذا؟

الجواب: بل فهم ذلك من قوله: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ فيرى الناظر القوم في بلاد ثمود صرعى والمفروض أن يكونوا مشتتين في بلادهم إما لأنهم كانوا مشتتين في جوانب بلادهم، وإما لأن الريح نثرتهم وشتتهم.

وكذا المؤتفكات وهي قرى قوم لوط عندما كذبوا برسلهم وتمردوا عليهم، وأصروا على كفرهم وضلالهم، وأنكروا البعث والحساب- أخذهم الله سبحانه وتعالى بالعذاب الشديد، ودمرهم وأهلكهم، والرابية: الزائدة التي لا قدرة لأحد على تحمل شدتها؛ لأن أخذ الله ليس كأخذ غيره. ومعنى «بالخاطئة» : بالمعصية الكبيرة.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ۝١٢﴾ ثم تمنن الله سبحانه وتعالى على بني آدم حين حفظ لهم أباهم[(١)] نوحاً عليه السلام وأولاده عندما حملهم في السفينة، ونجاهم من الغرق حين غطى جميع الأرض بالماء، وجعل لهم أيضاً فيما جرى على قوم نوح عظة وعبرة ليعتبروا ويتعظوا بها، ويحذروا أن يفعلوا كفعلهم، ثم أخبر الله تعالى أنه لن يعي ذلك ويعتبر به إلا من كان ذا عقل راجح يعي ما سمع[(٢)].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ۝١٣﴾[(٣)] ثم أمر الله سبحانه وتعالى عباده بأن يتذكروا يوم القيامة، وأنه عندما يحين موعدها فسيرسل عليهم صيحة واحدة تقضي على كل من في الأرض والسماء من الأحياء، والصور أراد به صور المخلوقات[(٤)].

---

(١)- **سؤال:** هل تقصدون أن هناك مضافاً محذوفاً في «حملناكم» أي: حملنا آباءكم أم كيف؟

الجواب: المعنى هو على تقدير المضاف الذي ذكرتم.

(٢)- **سؤال:** هل تقصر الأذن الواعية على ما ورد في الروايات المتظافرة أنها أذن علي عليه السلام أم ترون تعميمها؟

الجواب: علي عليه السلام هو المراد أولاً فلم يكن في أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أوعى منه وأحفظ لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولورود الروايات الكثيرة أنه المراد في هذه الآية، ثم يدخل بعد ذلك من كان ذا أذن واعية من الصحابة وغيرهم.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب «نفخة واحدة»؟

الجواب: «نفخة» نائب فاعل لنفخ، «واحدة» صفة مؤكدة.

(٤)- **سؤال:** يقال: كيف صور المخلوقات وهم لا زالوا أحياء فهو غير متعقل؟ وما المانع من جعله آلة كما مر في «الناقور» ويكون علمها عند الله؟

=

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١٥﴾[1] وفي ذلك اليوم ستنفجر الأرض والجبال فتدك جميعاً في لحظة واحدة، وتصير هباءً متطايراً في وقت واحد فعند ذلك قامت القيامة وحان موعدها.

﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ[2] يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ١٦﴾ وفي ذلك اليوم ستنشق السماء أيضاً، وتتهاوى أجرامها بعد أن كانت متماسكة.

﴿وَالْمَلَكُ[3] عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ١٧﴾ وسيتولى أمر الخلائق من الحساب والعقاب وحشر الناس وعرض أعمالهم وتعذيب أهل النار وتنعيم أهل الجنة ثمانية أصناف[4] من الملائكة، ومعنى «الملك

الجواب: النفخ في الصور المراد به هنا النفخ الأول وهو لإماتة الأحياء، والمانع من جعله آلة أن الله تعالى غير محتاج لآلة يصوت فيها ملك الموت، فهو تعالى قادر على خلق الأصوات ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس].

(١)- **سؤال:** هل يفهم أيضاً من حمل الأرض والجبال رفعهما؟ وما وجه التأنيث في «فدكتا»؟

الجواب: نعم يفهم حملهما. والأرض مؤنثة بدليل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦﴾ [الرحمن]، وجمع التكسير مؤنث.

(٢)- **سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟ ومم أخذت لفظة «واهية»؟

الجواب: الفاء لعطف المسبب على السبب وأخذت لفظة «واهية» من: وهي الحائط يهي.

(٣)- **سؤال:** فضلاً علام عطفت هذه الجملة؟ أم أن الواو ليست عاطفة فما هي؟

الجواب: «والملك..» محتملة لأن تكون معطوفة على جملة: «وحملت الأرض» ولأن تكون حالية من السماء.

(٤)- **سؤال:** من أين يمكن أن نستوحي أن الثمانية بمعنى ثمانية أصناف من الملائكة؟

الجواب: قد ذكر الله تعالى خزنة جهنم في القرآن فهؤلاء صنف أوكل الله تعالى إليهم عذاب أهل النار، وذكر الله تعالى في ذكره لنعيم أهل الجنة قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ٢٣ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد]، وسماهم في آية أخرى «خزنة» في سورة الزمر: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ٧٣﴾، وهؤلاء صنف وتصنيف الملائكة إنما هو باعتبار ما وكل إليهم من أعمال وإلا

=

على أرجائها» : أطرافها وجوانبها.

و﴿عَرْشَ رَبِّكَ﴾: سلطانه وملكه[١].

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى[٢] مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ وفي ذلك اليوم ستعرض جميع أعمال المكلفين من بني آدم صغيرها وكبيرها لا يضيع منها شيء.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ[٣] فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ[٤] ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي

فهم صنف واحد تجمعهم طاعة الله فهم بأمره يعملون ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

ويمكن تعديد الأصناف الباقية:

- الكرام الكاتبين الذين وكل الله إليهم كتابة أعمال المكلفين في الدنيا، وحتماً سيحضرون ما كتبوا يوم القيامة وسيرى كل مكلف ما كتبوا من أعماله ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].
- وصنف هم المأمورون في قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات]، و.. إلخ.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما قرائن هذا التأويل؟

الجواب: القرائن هي ذكره لأعمال يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ...﴾ إلى آخر الآيات، وهذا مع استحالة أن يحاسب الله الخلائق مباشرة؛ لأنه تعالى ليس بجسم ولا يحل في مكان تعالى الله عن الجسمية وعن الحلول في مكان، ومع أنه تفسير مشهور من تفاسير أهل البيت عليهم السلام.

(٢)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟ أو ما وجه فصلها؟

الجواب: محلها النصب على الحالية من فاعل «تعرضون»، وبذلك يظهر وجه فصلها.

(٣)- **سؤال:** هل إيتاء الكتب بالأيمان والشمائل حقيقة أم مجاز وضحوا ذلك؟

الجواب: ظاهر تفسير أهل البيت كما في المصابيح أن اليمين كناية عن اليمن والبركة والشمال كناية عن السوء والهلكة، ولكن لم يظهر لي مانع من الحمل على الحقيقة، مع أن الحمل عليها هو الأصل والواجب إلا لمانع.

(٤)- **سؤال:** ما إعراب «هاؤم»؟ وهل قوله «اقرأوا» بدل منه؟ وما هي الهاء الأخيرة في قوله: «كتابيه، حسابيه»؟

الجواب: «هاؤم» اسم فعل أمر بمعنى: خذوا، والميم للجمع، ويقال في التثنية: هاؤما يا رجلان =

مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ[١] عَالِيَةٍ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴿٢٣﴾﴾ وهؤلاء هم المؤمنون أهل الأعمال الصالحة فعندما يرون ما كتب في صحائفهم من الحسنات فسيتملكهم الفرح الشديد، وستملأ البهجة وجوههم، ومن عظيم ما سيكون عليهم من الفرح سيبادرون بعرض كتبهم على من حولهم مخبرين لهم بفوزهم، وبما كانوا عليه في الدنيا من اليقين[٢] في الإيمان بالله تعالى والتصديق برسله واليوم الآخر وما فيه، ومعنى «هاؤم»: خذوا.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأن هؤلاء هم أهل العيشة المرضية ومن أهل النعيم الدائم في الجنة. ومعنى «قطوفها دانية»: ثمارها سهلة المنال لا يلحقهم تعب ولا مشقة في تناولها.

﴿كُلُوا[٣] وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴿٢٤﴾﴾ ويخبرهم الله

و.. إلخ، وجملة «اقرأوا» بدل من هاؤم. والهاء الأخيرة هي هاء السكت.

(١)- **سؤال:** بم تعلق الجار والمجرور هذا؟ وما محل جملة «قطوفها دانية»؟

الجواب: الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر ثان، وجملة «قطوفها» في محل جر صفة ثانية لـ«جنة».

(٢)- **سؤال:** يقال: وما وجه التعبير بالظن في ذلك مع تباين اليقين والظن وضحوا ذلك فكثيراً ما يشكل؟

الجواب: قد قالوا: إن الظن يطلق ويراد به العلم، كما في هذه الآية، والدليل على أنه يراد به العلم المدح والثناء من الله لصاحبه في هذه الآية، وهذا الإطلاق مجازي. وجواب آخر هو: أن العلم بيوم الحساب علم استدلالي نظري، وهو دون العلم الضروري، والعلم الضروري بيوم الحساب لا يكاد يحصل إلا للأنبياء والمرسلين ولخواص من عباد الله الصالحين كأمير المؤمنين عليه السلام الذي قال: (والله لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)، فعلى هذا سمي العلم الاستدلالي ظناً تسمية حقيقية من حيث أن العلم الاستدلالي بيوم القيامة لا يصل عند عامة المسلمين ١٠٠٪ وإذا لم يبلغ إلى هذه الدرجة فإنما هو ظن راجح. وقد تقدم لنا هذا الجواب.

(٣)- **سؤال:** هل هذا مقول قول محذوف؟ وما محل القول المحذوف؟ وما إعراب «هنيئاً»؟

الجواب: هو مقول لقول محذوف، ويمكن أن يكون القول المحذوف مرفوعاً خبراً ثالثاً لـ«هو»
=

سبحانه وتعالىٰ بأن هذا النعيم الذي وصلوا إليه هو جزاء أعمالهم الصالحة في الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ[(١)] ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ وهؤلاء هم أهل المعاصي والمنكرات فعندما يأخذون صحائف أعمالهم ويرون ما كتب فيها فسيصيبهم الندم الشديد، وسيتمنون لو أنهم لم يخلقوا أو أنهم لم يبعثوا ولم يعرفوا أعمالهم والجزاء عليها، وما لهم الذي كانوا قد جمعوه في الدنيا لم ينفعهم ولم يغن عنهم شيئاً، وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالىٰ ضلت وضاعت عنهم، وقوتهم بادت وتسلطهم في الدنيا ذهب، وسيعترفون بذلك كله وقد أبدلهم الله سبحانه وتعالىٰ مكان العز والشرف الذلة والمهانة والخزي الدائم.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾[(٢)] وعند ذلك سيأمر الله سبحانه وتعالىٰ ملائكة العذاب بأن يغلوا

وجمع نظراً للمعنى، وإنما جعلناه خبراً ثالثاً ؛ لأن القول ذلك من جملة التكريم والثواب، و«هنيئاً» صفة لمصدر محذوف أي: أكلاً وشرباً هنيئاً.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «يا ليتني»، «ولم أدر ما حسابيه»؟ وإلام يرجع التأنيث في «ليتها»؟ وما الفرق بين الهاء في القاضية والهاء في ماليه؟

الجواب: «يا» حرف نداء، والمنادىٰ مقدر أي: يا قوم، «ليتني» ليت حرف تمني ينصب الاسم ويرفع الخبر والنون للوقاية والياء اسم ليت في محل نصب. «ولم أدر ما حسابيه» الجملة في محل رفع معطوفة علىٰ جملة خبر ليت، «لم» حرف جزم، «أوت» مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الألف من آخره، ونائب الفاعل ضمير المتكلم مستتر، «كتابيه» مفعول به مضاف إلىٰ ياء المتكلم والهاء للسكت، والضمير في «ليتها» يعود إلىٰ الموتة التي كان فيها قبل البعث وهي ليست مذكورة ولكن السياق يدل عليها. وهاء «القاضية» للتأنيث، وهاء «ماليه» للسكت.

(٢)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ لكان مناسباً؟

الجواب: «ثم» حرف عطف وهو هنا للتراخي في الرتبة، «الجحيم» مفعول به ثاني لصلوه، «صلوه»
=

أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل، ثم يسحبوهم على وجوههم إلى جهنم فيسلكوهم في سلسلة من نار طولها سبعون ذراعاً، ويَشُكُّونهم فيها كما تسلك الجراد في الفتيل.

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ۝٣٤﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى السبب فيما صار إليه ذلك العاصي من العذاب وهو أنه كان لا يؤمن بالله تعالى، وبما أنزله من الآيات الواضحة والحجج المنيرة، ولا يحث على عمل الخير والبر، ويمنع طعام اليتامى والمساكين وإعطاءهم.

﴿فَلَيْسَ[1] لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ۝٣٦ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ۝٣٧﴾ فلم يعد له في ذلك اليوم صديق ينفعه أو طعام يقتاته إلا ما يخرج من الصديد وقيح أهل النار الذي جعله الله تعالى لإطعام أهل جهنم.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ۝٣٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ[2]۝٤٢ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٤٣﴾ أقسم الله للمشركين بكل ما يبصرونه ويشاهدونه[3]

فعل وفاعل ومفعول به، «ثم» حرف عطف كذلك، «في سلسلة» جار ومجرور متعلق بقوله: «فاسلكوه»، «ذرعها سبعون» مبتدأ وخبر، «ذراعاً» تمييز للعدد، والفاء عاطفة لجملة مقدرة بعد «ثم» أي: ثم زيدوا في عذابه فاسلكوه.

(١)- **سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟ وما إعراب «هاهنا»؟ وما العامل فيها؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة أي: إن شئت تعرف مصيره؟ «حميم» اسم ليس وخبرها «له» متعلق بمحذوف. «هاهنا» ظرف مكان للإنسان متعلق بما تعلق به الخبر.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في فصل «قليلاً ما تذكرون»؟ وما وجه رفع قوله «تنزيل»؟

الجواب: «قليلاً ما تذكرون» جملة معترضة، ووجه الفصل كونها معترضة، «تنزيل» رفع لكونه خبراً لمبتدأ محذوف.

(٣)- **سؤال:** يقال: ما الوجه في القسم بالأشياء المشاهدة كلها؟

الجواب: الوجه هو التنبيه إلى آيات الله الموجودة فيها فإنهم لو نظروا حق النظر فيها لعلموا صحة ما جاءهم به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في القرآن وتيقنوا أنه حق.

في الدنيا من الآيات، وبما لا يبصرونه مما غاب عنهم من خلقه وآياته بأن هذا القرآن الذي يتلوه عليكم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كلام جاء به رسول كريم من عند الله تعالى وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا كما تقولون أيها المشركون إنه كلام شاعر وكلام ساحر[١]، فلو أنكم تفكرتم بعقولكم وتدبرتم لعرفتم أنه على خلاف ما تقولون وتدعون، فحجته قائمة فيه ملازمة له، إلا أنهم كما أخبر الله عنهم ضعيفو الإيمان والتصديق قليلو التذكر والتدبر.

﴿وَلَوْ[٢] تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ۝٤٦ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ۝٤٧﴾[٣] ثم أخبرهم الله سبحانه وتعالى أن محمداً لو افترى ولو شيئاً يسيراً من القرآن لأخذه الله أخذ قوي مقتدر ولعذبه عذاباً شديداً. والوتين: هو الودج، يعني: لَقَطَع رقبه وعذبه، ولما قدر أحد على منعه عنه أو الدفع عنه.

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ۝٤٨﴾[٤] وأخبرهم أن ما جاءهم به من القرآن إنما هو

---

(١)- **سؤال:** هل الكهانة نفس السحر أم بينهما فرق فما هو؟

الجواب: السحر شيء والكهانة شيء آخر، فالكهانة هي الإخبار بما سيقع في المستقبل، وموضوع السحر ما يشوش رؤية العين فترى الشيء على غير صورته فيرى الزوج مثلاً صورة زوجته على صورة منفرة ونحو ذلك.

(٢)- **سؤال:** هل يمكن أن نأخذ من هنا أن الرسول الكريم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا جبريل؟

الجواب: ولو أمكن ما ذكرتم إلا أن ما في التكوير يمنع ما ذكرتم ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ۝٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ۝٢٢﴾ والقرآن يبين بعضه بعضاً.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «بعض الأقاويل» و«من أحد» و«حاجزين»؟

الجواب: «بعض الأقاويل» مفعول به مضاف للأقاويل، «من أحد» مجرور لفظاً مرفوع محلاً اسم «ما»، «حاجزين» خبر «ما» منصوب.

(٤)- **سؤال:** علام عطفت هذه الجملة؟

الجواب: تكون معطوفة على جواب القسم.

لمصلحتهم ومنفعتهم؛ ليتذكروا بمواعظه، ويعتبروا بقصصه وأخباره، ويتدبروا آياته، ولكنه لا ينتفع به إلا المتقون.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ[1] مُكَذِّبِينَ۝٤٩ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ۝٥٠﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى قريشاً بأنهم لن يؤمنوا بالقرآن ولن يصدقوا آياته، وأنه يكون حسرة عليهم يوم القيامة وذلك على ما فاتهم من الإيمان به.

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ۝٥١﴾ وأخبرهم أيضاً إن آياته كلها حق وصدق لا كذب فيها أو افتراء، ولا تغيير فيها أو تبديل.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ[2] رَبِّكَ الْعَظِيمِ۝٥٢﴾ فنزه الله سبحانه وتعالى يا محمد عن الشريك وما ينسبه إليه المشركون من الباطل، واستمر في تبليغ دعوتك وما أمرت به، ولا تبال بتكذيبهم وإعراضهم عنك.

۞۞۞۞۞

---

(١)- **سؤال:** هل يفيد هذا بعضية المكذبين من المخاطبين أو لا؟

الجواب: نعم، يفيد بعضية المكذبين من المخاطبين ويراد بهم المشركون.

(٢)- **سؤال:** ما معنى الباء هنا؟ وكذا ما الذي تفيده الفاء في قوله «فسبح»؟

الجواب: الباء هنا للآلة كالتي في «كتبت بالقلم» ومفعول «سبح» محذوف أي: فسبح الله بذكر اسمه العظيم، والفاء هي الفصيحة كما يظهر.

سورة المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ[1] بِعَذَابٍ وَاقِعٍ۝١ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ۝٢ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ۝٣ تَعْرُجُ[2] الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما وجه التنكير في «سائل»؟ وهل عرف بعينه؟ أم ترون عمومه؟ وما وجه دخول الباء على «عذاب»؟ وهل اللام الداخلة على الكافرين على بابها فكيف ذلك أم أنها بمعنى «على» وضحوا ذلك؟ وما موضع جملة «تعرج الملائكة..»؟

الجواب: وجه التنكير في «سائل» أن المقام اقتضى الإفراد الشخصي وقد روي في ذلك اسم السائل والله أعلم، والأولى أنه سائل من المشركين قال كما حكى الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ۝٣٢﴾، ووجه دخول الباء في قوله: «بعذاب» هو تضمين سأل معنى دعا، أو استعجل. واللام في قوله: «للكافرين» تكون للتعليل أو بمعنى «على»، وهذا بناء على أن «للكافرين» متعلق بواقع، ويجوز أن يكون «للكافرين» صفة ثانية لعذاب فتكون اللام للاختصاص متعلق بمحذوف، وجملة «تعرج» لا محل لها استئنافية.

(٢)- **سؤال:** يقال: ما فائدة صعود الملائكة للتنفيذ في الآخرة وهم على صعيد واحد في أرض المحشر؟ وهل يمكن أن نحمل عروج الملائكة على أن يكون في الدنيا في مدة يوم وعلى غيرهم من البشر لا يتأتى إلا في مدة خمسين ألف سنة أم لا ترونه مناسباً؟

الجواب: الفائدة من عروج الملائكة في يوم المحشر هو تلقي الأحكام القضائية من ذي العزة والجلال في أهل المحشر، وكأنه سيكثر العروج يومئذ والنزول، بدليل جمع «المعارج» والفعل المضارع «تعرج» الذي يدل على تجدد العروج عروجاً بعد عروج.

ولا يصح حمل عروج الملائكة المذكور هنا على عروجهم في الدنيا من الأرض إلى السماء في يوم..، وذلك لما ذكر الله تعالى هنا من صفة ذلك اليوم: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا۝٧ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ۝٨...﴾ الآيات، فهذه صفات اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة.

هذا، وقد ذكر الله تعالى في سورة السجدة عروجاً آخر: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ

=

سَنَةٍ﴿٤﴾ كان المشركون يستعجلون من النبي ﷺ إنزال عذاب الله تعالى الذي يتوعدهم به، ويزعمون أنه إن كان صادقاً فليأتهم به، وكل ذلك سخرية منهم واستهزاء بمحمد ﷺ، فتحدث الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم يسألون شراً واقعاً بهم لا محالة، ويطلبون عذاباً لا راحة لهم فيه وسينزله الله بهم ولا يملك أحد دفعه عنهم.

ثم وصف نفسه بأنه مالك الأمر(١) يوم القيامة الذي تعرج فيه الملائكة وعلى رأسهم جبريل عليه السلام لتنفيذ أحكام الله في عباده من الحساب والجزاء وغير ذلك، والذي سيكون طوله خمسين ألف سنة من سني الدنيا.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴿٥﴾﴾ فاصبر يا محمد ولا تستعجل نزول العذاب بهم؛ لأنه ﷺ كان يتمنى أن يعجل الله سبحانه وتعالى إنزال عذابه بهم حين طالت مدة أذيتهم وتكذيبهم واستهزائهم به مع ما هم عليه من النعمة والترف والثراء وسعة الأموال، والصبر الجميل: أن لا يتشكى منهم أو يبدي التضجر من أذيتهم.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴿٧﴾﴾ كانوا يستبعدون يوم القيامة، وينكرونه أشد الإنكار بينما هو قريب عند الله سبحانه وتعالى، فكل آت قريب مهما طال الزمن.

فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴿٥﴾﴾، فهذا العروج هو من الدنيا فيرسل الله تعالى جبريل بالوحي إلى الأرض ثم يعرج إلى السماء فيقطع جبريل عليه السلام مسافة النزول والعروج في وقت في حساب البشر بألف سنة.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما نوع اسمية «المعارج»؟ وهل تريدون أن معنى « ذي المعارج » مالك الأمر ؟ أم ماذا؟

الجواب: المعارج جمع: مِعْرج أو معراج، وحذفت في الجمع الألف ولم تقلب ياء. هذا ولم نقصد أن «ذي المعارج» بمعنى مالك الأمر، وإنما قصدنا أن المراد بالكلام كله يوم القيامة حيث يجازي الله المشركين والمؤمنين كلاً بما يستحقه بدليل قوله في آخر الآية: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴿٥﴾﴾ أي: انتظر يا محمد ولا تستعجل نزول العذاب بقومك واصبر فسيلقون جزاءهم يوم القيامة ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴿٧﴾﴾.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ۝٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ۝٩ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا۝١٠﴾ وسيحل[١] موعد القيامة الذي أنكروه حين يختل نظام الكون وتتهاوى أجرام السماء، وتصير السماء فيه كالزيت الذي يغلي، والجبال كالصوف المتطاير في الهواء، وإذا حلت القيامة انشغل كل واحد بنفسه فلا يلتفت إلى صديقه ولا يكلمه[٢].

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾[٣] من شدة الهول فإن الملائكة ستُبَصِّرُ المجرمَ أخاه وصاحبه وتُعرِّفه إياه، ولكنه لا يلتفت إليه أو ينتبه له من الدهشة التي امتلأ بها قلبه والفزع الذي يعتريه.

﴿يَوَدُّ[٤] الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ[٥] بِبَنِيهِ۝١١ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ۝١٣ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ۝١٤﴾[٦] ثم وصف الله

---

(١)- **سؤال:** فما هو العامل اللفظي في «يوم»؟

الجواب: قد يكون بدلاً من الهاء في «نراه» أو معمولاً لـ«يقع» محذوفاً.

(٢)- **سؤال:** هل هذا بالنسبة للمجرمين أم أنه عام فكيف نجمع بينه وبين أمثال: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ۝٥٥ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ۝٥٦﴾ [الصافات]؟

الجواب: المراد هنا المجرمون إذ السياق فيهم؛ لذلك قال: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي..﴾ وحينئذ فلا إشكال ولا تعارض بين هذا وبين ما ذكرتم.

(٣)- **سؤال:** هل الجملة هذه ابتدائية أم لها محل فما هو؟ وما إعراب أجزائها؟

الجواب: «يبصرونهم» مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعل، والهاء مفعول به ثان، ولا محل للجملة من الإعراب؛ لأنها مستأنفة في جواب سؤال مقدر.

(٤)- **سؤال:** ما موضع هذه الجملة؟

الجواب: يصح أن تكون في موضع نصب حالاً من نائب فاعل «يبصرونهم» أو من مفعوله، والرابط مقدر أي: منهم. ويصح أن تكون مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٥)- **سؤال:** ما إعراب «يومئذ» على قراءة نافع بنصب «يوم»؟

الجواب: نصب اليوم في قراءة نافع هو فتحة بناء، وبني لإضافته إلى مبني، ومثل هذا يجوز فيه الإعراب والبناء.

(٦)- **سؤال:** علام عطف «ثم ينجيه»؟ وأين فاعل «ينجيه»؟

الجواب: عطف قوله: «ثم ينجيه» على «لو يفتدي من عذاب..» أي: ثم لو ينجيه، و«ثم» لاستبعاد الإنجاء، وفاعل ينجيه هو الافتداء أي: ثم لو ينجيه الافتداء.

سبحانه وتعالى حال المجرمين والعصاة بأنهم سيتمنون ذلك اليوم لو أن الفدية تنفعهم لافتدوا بها عز عليهم من الأموال والأولاد والزوجات، ولو استطاع المجرم أن يفتدي نفسه بأهل الأرض لما تردد في ذلك من هول ما يرى مما هو مقبل عليه من العذاب. والفصيلة هي: العشيرة وهي فرع من القبيلة.

﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى﴿١٥﴾﴾ يزجر الله تعالى يومئذ المجرمين، ويخبرهم أنه لن ينفعهم فدية يفتدون بها، ولم يبق لهم إلا النار يعذبون فيها.

﴿نَزَّاعَةً[1] لِلشَّوَى﴿١٦﴾﴾ والشوى: هي فروة الرأس، يعني تنزع فروة الرأس من شدة لهيبها.

﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴿١٧﴾﴾ تطلب وتنادي إليها الذين قد أعرضوا في الدنيا عن الله سبحانه وتعالى، وكفروا بأنبيائه ورسله وكذبوا بهم.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴿١٨﴾﴾ وجمعوا المال في أوعية وكنزوها دون أن يخرجوا ما يجب عليهم فيها من الزكاة.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ[2] هَلُوعًا﴿١٩﴾ ....

(١)- **سؤال:** علام نُصِبَ «نزاعة»؟

الجواب: نصب على أنه حال من مرفوع «لظى»، والعامل فيها ما في «لظى» من معنى الفعل أي: تتلظى، ويجوز أن تنصب بتقدير أعني.

(٢)- **سؤال:** يقال: إذا خلق الله الإنسان حال كونه متلبساً بهذه الصفة (الهلع) فما ذنبه حتى يذمه الله تعالى؟

الجواب: يقال: الهلع طبيعة في الإنسان فطره الله تعالى عليها لا تفارق الإنسان حتى يموت فتموت بموته، إلا أنه يصاحبها طبيعة حكيمة هي العقل موازية لتلك الطبيعة (الهلع) تدعو إلى خلاف ما تدعو إليه طبيعة الهلع، فيتصارع في الإنسان طبيعتان تدعو كل منهما إلى خلاف ما تدعو إليه الأخرى، ويكون الإنسان هو الذي يختار إما الاستجابة لداعي الحكمة (العقل) وإما الاستجابة لداعي (الهلع)، وعلى هذا فالإنسان مختار غير مجبر على الأخذ بأي من الجانبين؛ لذلك استثنى الله تعالى المصلين؛ لأنهم لم يستجيبوا لداعي الهلع؛ لأن الإيمان جاء معززاً لداعي الحكمة مؤيداً له ومحركاً من فاعليته من حيث أن الإيمان والدين جاء بما تعرفه العقول وتدعو إليه الحكمة، ولم يأت بما تستنكره العقول ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف:١٥٧].

إِذَا مَسَّهُ[1] الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ[2] ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ[3] ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾[4] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن طبيعة الإنسان

---

(١)- **سؤال:** هل «إذا» في قوله: «إذا مسه..» شرطية فأين جوابها؟ أم ظرفية فعلام انتصب «جزوعاً»؟

الجواب: يجوز في «إذا» أن تكون شرطية وغير شرطية، فإذا كانت شرطية فالتقدير: إذا مسه الشر كان جزوعاً وإذا مسه الخير كان منوعاً، ولعل هذا الإعراب أولى؛ لما فيه من إبقاء «إذا» على أصلها. وإذا كانت غير شرطية فـ«إذا» معمولة لجزوعاً ومنوعاً.

(٢)- **سؤال:** هل يؤخذ من الآية «للسائل والمحروم» جواز سؤال الزكاة؟ وكيف نعمل بالتقييدات الواردة في السنة؟

الجواب: نعم يؤخذ جواز السؤال للزكاةمن الآية، ويخص عموم السائل المذكور في هذه الآية بما ورد في السنة، فيكون المراد هنا بالسائل هو الذي لا يجد ما يغنيه عن السؤال أي: الفقير المعدم الذي لا يجد ما يأكله هو ومن يعول.

(٣)- **سؤال:** هل هناك وجه في الإتيان بجملة الصلة فعلية مضارعية في قوله: «والذين يصدقون بيوم الدين» دون البقية فإنها اسمية؟

الجواب: «والذين يصدقون بيوم الدين» جاءت بالفعل المضارع دون سائر الصلات في هذه الآيات لأن المراد التصديق بأعمالهم فهم لإيمانهم بيوم الجزاء والثواب والعقاب يتجدد منهم فعل الخير والبر والإحسان، فإذا عرض بر فعلوه وإذا عرض خير قصدوه و..إلخ، ودليل ما ذكرنا من أن المقصود التصديق بأعمالهم هو توسط هذه الصفة بين صفات المصلين، ولو كان المقصود الإيمان والاعتقاد لتصدرت الصفات، وأيضاً ذكره لـ«بيوم الدين» فإن التصديق به سبب؛ لأن يتجدد فعل الطاعات والخيرات والبر والإحسان.

(٤)- **سؤال:** هل يمكن أن نستفيد من قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ أن اللازم أن يكون خوف المؤمن أبلغ وأكثر من رجائه أم كيف؟

الجواب: ليس في الآية ما يفيد ذلك، والذي يستفاد من الآية أن المؤمنين –وإن عظم رجاؤهم–
=

بأنه هلوع، ثم فَسّر الهلوع بأنه الذي إن مسه شر أو نزل به مكروه أصابه اليأس من رحمة الله تعالى، وإن نزل به خير وأسبغ الله سبحانه وتعالى عليه رزقه بخل بها عنده، ومنع الفقراء حقوقهم.

ثم استثنى الله سبحانه وتعالى من بني الإنسان أولئك الذين يحافظون على أداء ما افترض الله عليهم من الواجبات، ويؤدون زكاة أموالهم، ويصرفونها حيث أمرهم الله سبحانه وتعالى.

والسائل: هو الذي يسأل الناس الصدقة، والمحروم: هو الذي يتعفف عن السؤال.

ومن صفتهم أيضاً أنهم يؤمنون بالغيب، ويصدقون باليوم الآخر، ويخافون عذاب الله تعالى، ولا يزالون متهمين لأنفسهم بالتقصير في حق الله تعالى إلى أن يأتيهم الموت.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ۝٢٩ إِلَّا عَلَى[1] أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ۝٣٠ فَمَنِ[2] ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ۝٣١﴾[3] ومن

خائفون مشفقون. وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ۝٢٨﴾ يدل على ما ذكرنا وأن هذا لا يقال إلا لمن كثرت أعماله وعظم رجاؤه.

(١)-**سؤال:** ما الوجه في استخدام حرف الجر «على» في الاستثناء وكان القياس «مع» أو «عن» أو «في»؟

الجواب: في ذلك أوجه من الإعراب ذكرها المعربون:

١ – الفراء: «على» بمعنى «من» أي: إلا من أزواجهم.

٢ – «على أزواجهم» متعلق بمحذوف حال أي: إلا والين أو قوامين على أزواجهم، فهذان وجهان مما ذكروا.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في استخدام الفاء هنا؟

الجواب: جاءت الفاء لعطف الجملة: «فمن ابتغى وراء ذلك..» على جملة «فإنهم غير ملومين».

(٣)-**سؤال:** لو قال أحد الإمامية لمرشد: المرأة المتمتَّع بها عندنا زوجة من سائر الزوجات، فلا يصح أن تستدلوا على تحريمها بقوله: ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ...﴾، فكيف يجيب عليه المرشد؟

=

صفتهم أيضاً أنهم يحفظون فروجهم ولا يضعونها في الحرام، ثم وصف الله سبحانه وتعالى من وضع فرجه في غير ما أباحه له بأنه من المعتدين على حرمه والمتجاوزين لحدوده.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ[1] وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ۝٣٢﴾ والذين يحفظون الأمانة ويصونونها ويوفون بعهودهم ولا ينقضونها بأي وجه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ[2] قَائِمُونَ۝٣٣﴾ ويؤدون ما يجب عليهم من الشهادة بالحق.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ۝٣٤﴾ بدأ الله سبحانه وتعالى في وصفهم بذكر الصلاة وختم أوصافهم بها دلالة على أن لها مزيد أهمية وفضل عنده تعالى.

﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ۝٣٥﴾ فمن كان على تلك الصفات فقد فاز

الجواب: يجيب عليه بأن يقول: إن الله تعالى قد فرض وحكم للزوجة من تركة زوجها إذا مات الربع أو الثمن وفرض للزوج إذا ماتت زوجته النصف أو الربع فرضاً منصوصاً عليه في سورة النساء، وحينئذ فلو كانت المتمتع بها زوجة لورثت من زوجها إذا مات والعكس، وأنتم معاشر الإمامية لا تورثون المتمتع بها فمن هنا جزمنا بأن المتمتع بها ليست زوجة، وحينئذ فلا يصح لكم الاستدلال بهذه الآية: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ...﴾.

(١)- **سؤال:** هل المراد بالأمانات الوديعة ونحوها؟ أم تحمل على جميع التكاليف؟ وما وجه ذلك؟ وما قولكم في العهد؟

الجواب: تحمل الأمانات على جميع التكاليف، ووجه ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ...﴾ [الأحزاب:٧٢]، فيدخل في ذلك الوديعة؛ لأنها مما أمر الله تعالى بردها، والعهد هو من جملة الأمانات وخص بالذكر لعظم التكليف به.

سؤال: هل الوجه في تقديم «لأماناتهم» هو مراعاة الفواصل في آخر الآية أم له وجه آخر؟

الجواب: وجه التقديم أنهم يخصون الأمانات بالعناية والاهتمام أكثر من غيرها.

(٢)- **سؤال:** هل لجمعها وجه يظهر؟

الجواب: جمعت الشهادات لتعددها في الواقع.

برضوان الله وثوابه في جنات النعيم.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ[١]﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴿٣٨﴾ كَلَّا﴾[٢] كان المشركون إذا قرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن يسرعون إليه ليستمعوا إلى قراءته ويقفون عن يمينه وشماله جماعات جماعات يستهزئون به ويسخرون منه ومن قراءته، ويظنون في أنفسهم أنهم أهل الكرامة عند الله وأهل الزلفى لديه، فاستنكر[٣] الله تعالى عليهم طمعهم ذلك وزجرهم عنه لكفرهم بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وتكذيبهم بآياته.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴿٣٩﴾﴾ ثم أجاب الله تعالى عنهم بأن الأمر ليس كما يعتقدون، وأخبرهم أن الناس سواسية عنده قد خلقوا من النطفة، ولا كرامة[٤]

---

(١)- **سؤال:** ما الذي تفيدنا هذه الآية من معنى هنا؟

الجواب: الذي نستفيده من هنا العبرة والعظة والصبر الذي يلقاه الدعاة إلى الله الذين يرشدون الناس إلى الدين الحق فإذا علموا ما لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تبليغ رسالة الله من الأذى والسخرية والاستهزاء وغير ذلك فإنه يهون عليهم ما يلقون ويبعث في نفوسهم الصبر والقوة والتحمل.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب هاتين الآيتين؟ وما محل المصدر «أن يدخل»؟

الجواب: «فمال الذين» الفاء عاطفة، و«ما» اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، «للذين» متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، «كفروا» صلة الموصول، «قِبَلَكَ» ظرف مكان متعلق بمهطعين، «مهطعين» حال من «الذين»، «عن اليمين وعن الشمال» متعلق بمحذوف حال أيضاً من الذين، «عزين» حال أيضاً من الذين، «أن يدخل» في تأويل مصدر مجرور بفي، أو منصوب على نزع الخافض.

(٣)- **سؤال:** إذا كان الاستفهام للإنكار فما فائدة «كلا» بعده؟

الجواب: فائدتها الزجر عن الطمع والردع عنه.

(٤)- **سؤال:** هل احتجنا هذا التقدير لأجل تتمة المعنى؟

الجواب: نعم، ذلك من أجل بيان المعنى المراد، وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو أتقى الناس، ثم تفاضل الناس بعده فكان علي عليه السلام أتقى الناس وأكرمهم على الله بعد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، نطقت

=

لأحد على أحد عنده إلا بالتقوى والعمل الصالح.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ۝٤٠ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ[١] خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١﴾ ثم أقسم الله سبحانه وتعالى لأولئك المشركين بأنه قادر على أن يعذبهم ويهلكهم ويأتي بقوم غيرهم، وأنهم لن يستطيعوا أن يفوتوه أو يهربوا من قبضته وقدرته، وأنه سيدركهم ويأخذهم أينما كانوا.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوْمَ[٢] يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣﴾ فاتركهم يا محمد يخوضوا في غيهم وضلالهم حتى يحين موعد أخذهم وتعذيبهم، وهو يوم يبعثهم الله تعالى من قبورهم مسرعين إلى إجابة داعي الرحمن للحساب والجزاء، لا يلوون

بذلك النصوص النبوية الصحيحة كحديث المنزلة المروي في البخاري: ((علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))، وحديث الراية يوم خيبر الذي روي في البخاري: ((لأبعثن بالراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله...))، ثم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنزلتهم في التقوى فوق منازل القرابة والصحابة رضوان الله عليهم لحديث الكساء الذي رواه مسلم وغيره حيث جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة والحسن والحسين ثم قال: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً))، وحديث الثقلين المروي في مسلم: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)).

(١)- **سؤال:** ما وجه حذف أحد المفعولين لـ«نبدل»؟

الجواب: حذف للعلم به من السياق أي: نبدلهم خيراً منهم، والإيجاز بالحذف باب من أبواب البلاغة.

(٢)- **سؤال:** هل هذا بدل من قوله «يومهم» أم ماذا؟ وما إعراب «سراعاً»؟ ومم أخذت لفظة «يوفضون»؟

الجواب: نعم هو بدل من «يومهم». سراعاً: حال من فاعل «يخرجون». ويوفضون: مأخوذ من أوفض يوفض إيفاضاً.

على شيء أو يلتفتون إليه، وقد شبه الله تعالى سرعة إجابتهم بحال[١] جماعة قد نصبوا لهم نصباً وتسابقوا على الجري إليه، كل منهم يريد أن يكون هو الأول.

﴿خَاشِعَةً[٢] أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ[٣] الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ۝٤٤﴾ ثم وصف الله سبحانه وتعالى حالهم وقت مبعثهم إلى الحساب والجزاء بأنهم يبعثون وعليهم الذلة والخزي، والخوف والجزع، ويستولي عليهم الذهول والحيرة، ثم أخبرهم أن ذلك الوقت هو موعد القيامة التي وعدهم الله بها فكانوا يكذبون بها ويستهزئون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حين يخبرهم عنها.



(١)- **سؤال:** هل يمكن أن نحملها على التشبيه بسرعتهم إلى أصنامهم التي صنعوها من الأحجار ونصبوها معظمين لها أم لا؟

الجواب: لا مانع مما ذكرتم، والمراد تشبيه سرعتهم بسرعة قوم يركضون إلى شيء منصوب يريد كل منهم أن يكون هو الذي يفوز بالوصول إليه أولاً.

(٢)- **سؤال:** هل هذا حال من فاعل «يخرجون»؟

الجواب: نعم ذلك حال أخرى.

(٣)- **سؤال:** ما وجه فصل هذه الجملة عن الجمل السابقة لها؟

الجواب: فصلت لأنها مستأنفة لتفسير ما قبلها.

سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ[(١)] أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿١﴾﴾ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ قصة نوح عليه السلام مع قومه لما فيها من العظة والعبرة لقومه من قريش لعلهم يعتبرون بما جرى عليهم فيرتدعوا عن كفرهم وضلالهم، وليتسلى النبي ﷺ عما هو فيه من تكذيب قومه وأذاهم؛ فأخبره أنه قد أرسل إليهم نوحاً عليه السلام، وأمره أن ينذرهم ويحذرهم من تماديهم في الكفر والطغيان والفساد، ويخبرهم أنه قد أوشك أن يحل عذاب الله تعالى وسخطه عليهم إن لم يقلعوا عما هم عليه.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٤﴾﴾ فدعا قومه إلى الإيمان بالله تعالى وإلى عبادته، وترك عبادة ما دونه من الآلهة التي ينحتونها بأيديهم، وأمرهم أن يتقوا الله تعالى ويتقوا عذابه وسخطه أن يحل بهم.

وأخبرهم أنهم إن أطاعوه واتقوه فإنه سيغفر لهم ما قد سلف من شركهم وسيئاتهم، وسيرفع عنهم العذاب الذي قد استحقوه وقد أوشك أن يحل بهم ويقطع آجالهم، وأنه سيؤخرهم إلى أن يستوفي كل منهم أجله الذي كتبه الله تعالى له، وأخبرهم بأن يحذروا نزول عذاب الله تعالى بهم؛ لأنه إن نزل[(٢)] بهم فلا راد له

---

(١)- **سؤال:** ما معنى «أن» في قوله: «أن أنذر»؟ وبم تعلق قوله «من قبل»؟

الجواب: «أن» مفسرة لأن في الإرسال معنى القول، و«من قبل» متعلق بأنذر.

(٢)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذا أن معنى قوله «أجل الله» وقت عذابه فهلا أمكننا أن نجعله وقت قبضه لأرواحهم موافقة لقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف]، وهل ستحل إشكالات المسألة في كونه أجلاً أم أجلين لو قلنا إن أجل قوم نوح واحد وهو وقت قبض أرواحهم لكنه مشروط إن اتقوا وأطاعوا بلغوا إلى كذا وكذا وإن لم يتقوا ويطيعوا أخذوا في كذا وكذا وهو في علم الله واحد فقط وهو ما انتهت إليه حالهم فإذا حصل هذا =

ولا مفر لهم منه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ(١) وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا(٢)۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا۝٩﴾(٣) وقد حاول نوح عليه السلام فيهم وتحيل في إدخال الإيمان إلى قلوبهم،

الوقت لم يؤخروا ولم يقدموا عنه؟ وكذا لأجل الأعمال؛ للأحاديث الصحيحة في صلة الأرحام وغيرها أم لا ترونه مناسباً فلماذا؟

الجواب: «أجل الله» هو وقت نزول العذاب عليهم إن لم يستجيبوا لدعوة نوح عليه السلام، وإذا استجابوا فإنه تعالى سيؤخرهم إلى آجالهم المسماة، والأجل الأول والثاني هو وقت قبض أرواحهم فإذا جاء وقت الأجل الأول لا يستأخرون. وأجل قوم نوح عليه السلام واحد هو وقت قبض أرواحهم لا أجل لهم سواه في الواقع، أما الأجل الآخر فهو مشروط مقدر، ولكن لو أنهم آمنوا واستجابوا لأخرهم الله تعالى إلى الأجل المسمى قطعاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أما في علم الله فليس لهم إلا أجل واحد وهو وقت قبض أرواحهم، والأمر كما ذكرتم وفصَّلتم.

(١)- **سؤال:** هل كانوا يجعلون أناملهم في آذانهم حقيقة أم ذلك مجاز؟ وكذا تغطيهم بالثياب هل هو حقيقة أم مجاز؟

الجواب: الظاهر الحقيقة، ويصح أن يكون ذلك كناية عن كراهتهم لسماع قوله ونفورهم منه فكانوا بمنزلة من لا يسمع. واستغشوا ثيابهم: كناية عن كراهتهم لرؤيته ونفورهم من صورته، فلا مانع من التفسير بالوجهين.

(٢)- **سؤال:** ما السر في التعبير بـ«ثم» في قوله: «ثم إني دعوتهم جهاراً» وفي الآية التي بعدها؟

الجواب: السر هو أن ما بعد «ثم» الأولى والثانية أبلغ في الدعوة مما قبلها وأعظم تأثيراً، فـ«ثم» للتراخي في قوة الدعوة.

(٣)- **سؤال:** ما الذي يستفيده المرشد من كيفية إرشاد نوح عليه السلام لقومه؟

الجواب: يستفاد من ذلك كيفية الدعوة إلى الله والتدرج فيها:

١ – الدعوة إلى عبادة الله والتحذير من معصيته مبيناً ما يترتب على طاعة الله من زيادة الأعمار =

ودخل عليهم من كل الطرق، وجرب فيهم كل الوسائل فدعاهم جماعات وأفراداً، وسراً وعلانية وفي الليل والنهار، ولكنهم لم يزدادوا مع ذلك إلا طغياناً وتمرداً وابتعاداً عن الله تعالىٰ، ثم في الأخير شكاهم إلىٰ الله تعالىٰ، وشكا إليه إصرارهم الشديد وتمردهم عليه.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا(١) ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ وأوضح في شكواه أنه كان يدعوهم إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ويرغبهم بأنهم إن استغفروه ورجعوا إليه فإنه سيغفر لهم ويقبلهم، وسيسبغ عليهم نعمه، وسينزل عليهم بركات السماء، وسيخرج لهم خيرات الأرض، وسيمدهم بالأموال

وصلاح الأموال والأولاد والبركة في الأرزاق ونحو ذلك، وما يترتب علىٰ معصية الله من اخترام الأعمار وبخس الأموال والذرية وحصول المصائب في الأنفس والأهل والولد والمال ونحو ذلك.

٢- الجد في الدعوة والنصيحة في كل وقت في الليل والنهار أي: عند حصول الفرصة وسنوحها في ليل أو نهار.

٣- لا ييأس المرشد إن لم يستجيبوا له فيحاول في هداية القوم مرة بعد مرة ومرة في المجالس العامة، ومرة لدعوة كل شخص وحده إن أمكن، من غير أن يظهر منه غضب، بل لا يظهر منه إلا الهدوء والطمأنينة.

٤- يرغب في التوبة والاستغفار والرجوع إلىٰ الله بما يعطيه الله للتائبين في نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾.

(١)- **سؤال:** هل إيقاع الإرسال علىٰ السماء مجاز أم حقيقة؟ ومن أي الأقسام هي؟ وما إعراب «مدراراً»؟ وما نوع اسميتها؟

الجواب: إيقاع الإرسال علىٰ السماء هو مجاز مرسل أي: أن السماء في هذا المكان مجاز مرسل عن المطر من تسمية الشيء باسم محله، و«مدراراً» حال من السماء وهي علىٰ زنة مفعال من أمثلة المبالغة.

من الذهب والفضة، وسيرزقهم الأولاد الصالحين، وسيصلح أراضيهم وبلادهم.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا۝﴾[١] وكان يستنكر عليهم عدم مبالاتهم بالله تعالىٰ، وعدم إعطائه ما يستحقه من الإجلال والتعظيم وهم يعرفون أنه الذي خلقهم أطواراً، يعني: علىٰ مراحل متعددة من النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، وهكذا إلىٰ أن يصير بشراً سوياً.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا[٢]۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا۝﴾ ويستنكر عليهم لماذا لا ينظرون ويتفكرون فيما حولهم من السماوات؟ ومن الذي قدر علىٰ ذلك الخلق العظيم وأحكمها ذلك الإحكام؟ ومن الذي زينها بالشمس الوهاجة والأقمار المنيرة؟ ألا يدل ذلك علىٰ إله واحد، وقادر مدبر حكيم؟ ثم أليس يستحق من كان كذلك أن يخص بالعبادة وحده؟ ومعنىٰ «طباقاً»: سماء فوق سماء.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا[٣]۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ

---

(١)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم هاتين الآيتين لكان مناسباً؟ وما هو التحقيق في معنىٰ «لا ترجون»؟ ومم أخذ؟

الجواب: «ما» اسم استفهام مبتدأ، «لكم» متعلق بمحذوف خبر، «لا ترجون لله وقاراً» الجملة في محل نصب حال من الضمير المجرور. «لا» نافية، «ترجون» فعل وفاعل، «لله» متعلق بمحذوف حال من المفعول «وقاراً». «وقد خلقكم أطواراً» الجملة في محل نصب حال من فاعل «ترجون»، «قد» حرف تحقيق، «خلقكم» فعل وفاعل ومفعول، «أطواراً» حال مؤولة بمشتق؛ لأن المعنىٰ متنقلين من طور إلىٰ طور.

ومعنىٰ «لا ترجون» لا تأملون لله وقاراً أي: تعظيماً، هكذا أفاد صاحب الكشاف.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً»؟

الجواب: «كيف» اسم استفهام في محل نصب حال من مفعول خلق، وخلق الله سبع سموات فعل وفاعل ومفعول. «طباقاً» نعت لسبع سموات.

(٣)- **سؤال:** ما الذي يفيدنا هذا المصدر من معنىٰ؟

الجواب: يفيد أن أصل خلق البشر من الطين.

إِخْرَاجًا﴿١٨﴾﴾ وأخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقهم وجعل أصلهم من التراب بقدرته، وأنه الذي سيميتهم فيعادون إلى الأرض ويدفنون فيها، ثم يبعثهم بعد ذلك للحساب والجزاء.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴿٢٠﴾﴾ وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي مهد لهم هذه الأرض، وجعلها صالحة لسكناهم ومعيشتهم على ظهرها، وهو الذي شق[1] لهم الطرق بين جبالها ليسهل لهم التنقل في أرجائها.

يذكرهم نوح عليه السلام بنعم الله تعالى عليهم، ويطلعهم على آثار رحمته بهم لعلهم يرجعون إليه ويتركون ما هم عليه من الشرك وعبادة الأصنام.

﴿قَالَ نُوحٌ[2] رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴿٢١﴾﴾ ولكنهم على الرغم من كل ذلك لا زالوا على عصيانهم وتمردهم لا ينفكون عنه، ولا زالوا معرضين عنه مختارين اتباع كبارهم وقاداتهم أهل الأموال الطائلة والأولاد.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا[3]﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن الله بسط الأرض لغرض أن يتخذوا منها طرقاً واسعة، فكيف؟ وهل «من» في قوله: «لتسلكوا منها» على بابها فكيف؟ أم أنها بمعنى «في»؟

الجواب: نعم ظاهر الآية هو كذلك فبسط الأرض هو لذلك الغرض أي: ليسهل التنقل فيها وليتمكنوا من الوصول إلى حيث شاءوا منها وإلى حيث تكثر بركاتها وخيراتها، و«من» على بابها لتضمن «تسلكوا» معنى: تأخذوا.

(٢)- **سؤال:** ما السر في الإظهار موضع الإضمار هنا؟ وهل هناك وجه في نسبة العصيان إليه عليه السلام دون الباري تبارك وتعالى؟

الجواب: يسمى هذا بالالتفات، وقد انتقل هنا من التكلم إلى الغيبة، والنكتة هي تنشيط ذهن السامع للإصغاء للخطاب، والوجه في نسبة عصيان قومه إليه دون الباري يقال: لأن الشكوى لا تتم إلا إذا صدر من المشكو به إلى الشاكي ما يوجب الشكوى، والذي أوجب الشكوى هنا هو عصيانهم له.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما نوع اسميتها؟ وما إعراب «لا تذرن» وتحليلها؟

=

﴿سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ وشكا إلى الله سبحانه وتعالى مكرهم به وتدبيرهم الحيل والمكائد للتخلص منه، وطمس ما جاءهم به من الدين والهدى، وعكوفهم على آلهتهم وتظاهرهم عليها، وكانت أسماؤها: وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً(١).

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ أراد نوح عليه السلام أن أشراف قومه وكبراءهم قد أضلوا بقية القوم وأغووهم عن اتباعه، وعن الإيمان به.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ ثم دعا نوح عليه السلام ربه أن يحكم بينه وبينهم، وأن ينتقم له منهم، وأن يسلب عنهم توفيقه ولطفه.

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ(٢) أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى قريشاً بأنه قد عذب قوم نوح وأغرقهم بسبب كفرهم وتكذيبهم وتمردهم، وأنه سيعذبهم بعد ذلك في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

الجواب: «كباراً» صفة مبالغة غير مقيسة، «لا» للنهي، «تذرن» مضارع مجزوم بحذف النون، والواو فاعل؛ لأن الأصل: تذرون فجاءت نون التوكيد فصار: تذرونن، فحذفت نون الرفع للجازم، فلما حذفت اجتمع ساكنان هما الواو أي: واو الجمع والنون المدغمة الساكنة، فحذفت لذلك الواو وأبقيت الضمة على الراء لتدل على الواو فصار: تذرُنّ.

(١)- **سؤال:** هل صح لكم تعيين القبائل العربية التي اتخذت هذه الأصنام آلهة لها بعد أن عبدها قوم نوح، حيث كان (وداً) لكلب بدومة الجندل، و(سواعاً) لهذيل، و(يغوث) لبني عطيف من مراد بالجوف، و(يعوق) لهمدان، و(نسراً) لذي الكلاع من حمير؟ ومن هم قوم نوح الذين ابتدأوا عبادتها؟ وأين كانوا؟

الجواب: قد يكون الحال كما روي وكما ذكرتم بدليل أن العرب كانوا يسمون: عبد ود، وعبد يغوث. وقوم نوح هم الذين عرف عنهم عبادة ود وسواع ويغوث ويعوق، كما ذكر في هذه السورة. ولم يرد في القرآن تسمية بلادهم، ومن المحتمل أنهم كانوا يسكنون بابل بالعراق.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «مما خطيئاتهم»؟ وهل تفيدنا الفاء في قوله: «فأدخلوا ناراً» أنهم دخلوها عقيب الإغراق فتكون دليلاً على عذاب القبر؟

الجواب: «من» حرف جر، و«ما» صلة وتوكيد، و«خطيئاتهم» مجرور بمن، وخطيئاتهم مضاف والضمير مضاف إليه، وبالاتفاق ونصوص القرآن أن دخول أهل النار في جهنم إنما يكون يوم القيامة، وعذاب القبر معلوم لا خلاف فيه بين فرق المسلمين، وإن كان ثمة خلاف فإنما هو في كيفيته.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا(١) ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ(٢) يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ ودعا الله سبحانه وتعالى أن يهلكهم ويستأصلهم عن بكرة أبيهم، وأن لا يترك على الأرض منهم أحداً؛ لأنهم أهل ضلال وإضلال، ولأن أولادهم سيكونون على دينهم وباطلهم وضلالهم، ولا يولد لهم ولد إلا كان مثلهم في الكفر والفجور.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ ثم دعا الله سبحانه وتعالى له(٣) ولوالديه ولمن اتبعه وآمن به أن يشملهم برحمته ومغفرته، وأن يهلك الظالمين ويدمرهم هلاكاً بالغاً ودماراً عظيماً.

وقد أراد بقوله: ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ من اتبعه وآمن به(٤).



---

(١)- **سؤال:** ما نوع اسمية «ديّاراً»؟

الجواب: قد يكون أصله النسبة إلى الدار كجزار وبقّال ونجّار وحجّام.

(٢)- **سؤال:** ما هو الداعي لنوح عليه السلام أن يقول: «إنك إن تذرهم..» وهو يعرف بأن ربه عالم بكونهم كذلك؟

الجواب: الداعي هو بيان استحقاقهم للإهلاك كما يقال في آخر الدعاء بالخير: وأنت أرحم الراحمين فإن ذلك مما يستدعي الإجابة، وعلى هذا فيكون الداعي هو استدعاء الإجابة.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في لجوء نوح عليه السلام إلى الدعاء لنفسه وأتباعه بالمغفرة مع أن المقام مقام دعاء على قومه؟

الجواب: قد يكون الوجه هو التوسل إلى الله والاستغفار بين يدي الدعاء على قومه.

(٤)- **سؤال:** فضلاً هل على جهة المجاز أم الحقيقة؟ ومن أي الأقسام؟

الجواب: على جهة الحقيقة وذلك من حيث أنه لم يؤمن به إلا أهل بيته الذين يدخلون بيته ويأوون إليه.

سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا[1] ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ②﴾ حضر نفر[2] من الجن مجلساً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فسمعوه[3] يقرأ القرآن، فتعجبوا مما سمعوا، وعرفوا أن هذا الكلام ليس من كلام البشر، فآمنوا به وصدقوه، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يخبره بأمرهم وما كان منهم، وأنهم عادوا إلى قومهم بعد سماع القرآن يحذرونهم، ويخبرونهم بما رأوه وما سمعوه من القرآن، وأنهم قد آمنوا به وصدقوه.

﴿وَأَنَّهُ[4] تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا[5] اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ③ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ

---

(١)- **سؤال:** هل هذا المصدر حال محل اسم الفاعل أم محل فعيل «عجيباً»؟

الجواب: «عجباً» مصدر وصف به للمبالغة.

(٢)- **سؤال:** هل عرف عدد هؤلاء النفر؟

الجواب: النفر يقال لما بين الثلاثة والعشرة، وقد قيل أن المستمعين من الجن سبعة والله أعلم.

(٣)- **سؤال:** هل سمعوا القرآن فقط من غير محادثة جرت بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهل استنتجوا توحيد الله وتنزيهه من خلال القرآن فقط؟ أم قد كانوا موحدين من قبل؟

الجواب: لم تجر بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم محادثة بدليل هذه الآية: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ...﴾ وقد استفادوا من خلال استماعهم للقرآن توحيد الله والإيمان به فقط بدليل: ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ...﴾ والقرآن مشتمل على ما يدل أن الله تعالى هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما دون ما عبد من دون الله فإنها لم تخلق شيئاً، وسماع مثل هذا يكفي العاقل، وقولهم في آية الأحقاف: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى...﴾ [الأحقاف:٣٠]، يدل على أنهم كانوا مؤمنين بموسى عليه السلام وبالتوراة.

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في فتح همزة «أن» مع أن ظاهرها العطف على «إنا سمعنا»؟

الجواب: قد قالوا إنها فتحت عطفاً على محل الضمير المجرور في «آمنا به» أي: وبأنه تعالى جد ربنا.

(٥)- **سؤال:** ما الوجه في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟

الجواب: جملة «ما اتخذ صاحبة ولا ولداً» في محل رفع خبر «أن»، وجملة «تعالى جد ربنا» لا محل لها معترضة.

سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴿٤﴾ وأخبروهم أنه علا وعظم مقام ربنا وعظمته[١]، وتنزه عن اتخاذ الصاحبة والأولاد وتعالى عن كل ما ينسبونه إليه من النقص وصفات المخلوقين، والمقصود بسفيههم: كافرهم. ومعنى «شططاً» : قولاً مفرطاً خارجاً عن حد العدل والصواب.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ[٢] الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴿٥﴾﴾ وأخبروهم أنهم كانوا يظنون أن أحداً لن يجرؤ أن يكذب على الله سبحانه وتعالى، وينسب إليه ما لا يليق به، حتى سمعوا ما سمعوا[٣] من القرآن فإذا الجن والإنس يفترون على الله تعالى الكذب، وينسبون إليه ما لا يليق به من صفات النقص.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴿٦﴾﴾ ثم أخبروا قومهم عن سبب زيادة طغيان[٤] الجن وتكبرهم وتعاظمهم في أنفسهم أنه

---

(١)- **سؤال:** مم أخذت هذه الكلمة حتى صار معناها: عظمته وجلاله؟

الجواب: في الكشاف: أن «الجد» الدولة والبخت، وإن أمكننا تعليل ذلك فنقول: سميت الدولة جداً وكذلك البخت (الحظ)؛ لأنه استجد لصاحب الدولة والبخت أمر جديد، ثم استعمل بعد ذلك في العظمة.

هذا، وقد فسر المفسرون الجد بالعظمة وذكروا للاستشهاد بأثر عن أنس: «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا» أي: عظم، وقيل: أمر ربنا، وقيل: فعله، وقيل: آلاؤه ونعماؤه، وقيل: ملكه، وقيل: ذكره، وقيل: سلطانه، وقيل: غناه.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «أن لن تقول»؟

الجواب: «أن» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والجملة «تقول الإنس» في محل رفع خبر «أن»، و«أن» وما دخلت عليه في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي «ظننا».

(٣)- **سؤال:** هل يصح لكم تعيين الآيات أو السورة التي سمعوها؟

الجواب: لم يعين في القرآن السورة أو الآيات التي سمعوها.

(٤)- **سؤال:** فضلاً مم أخذت هذه اللفظة حتى صار معناها الطغيان؟ وهل يصح أن يعود ضمير المفعول في «فزادوهم» على الإنس المستعيذين أم لا؟

=

كان رجال من الإنس يستعيذون ويستجيرون بهم، ويقال: إن المشركين كانوا إذا مروا على وادٍ قالوا: نستجير برب هذا الوادي من شر صغاره، يريدون برب الوادي كبير الجن وزعيمهم في ذلك الوادي.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا۝٧﴾ وهذا من كلام الجن الذين أسلموا، فقالوا: إن مشركي الجن يظنون مثل ما يظن مشركو[1] الإنس أن لا بعث ولا حساب، ويستبعدون ذلك أشد الاستبعاد.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا[2] السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا[3] وَشُهُبًا۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا۝٩﴾ وأخبروا[4] أنهم صعدوا إلى السماء فلم يستطيعوا أن يصلوا إلى الملأ الأعلى ليستمعوا إليهم لما

الجواب: في الكشاف: الرهق: غشيان المحارم وغشيان المحارم طغيان، ويجوز عود الضمير المنصوب في «فزادوهم» إلى الإنس، ولا مانع من ذلك.

(١)- **سؤال:** يقال: فَلِمَ أتوا بضمير المخاطب وهم لم يخاطبوا مشركي الإنس وذلك في قوله: «كما ظننتم»؟

الجواب: هذا التفسير بناءً على أن الآية من جملة الوحي لا من قول الجن، ويصح أن تكون من قول الجن ويكون المعنى: أن الإنس ظنوا كما ظننتم أيها الجن.

(٢)- **سؤال:** هل أخذت من اللمس أم من ماذا؟

الجواب: «لمسنا» من اللمس وهو المس استعير للطلب؛ لأن الماس طالب متعرف، أفاد ذلك الكشاف.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «حرساً شديداً»؟ ولم أفرد «شديداً»؟

الجواب: «حرساً» تمييز نسبة. «شديداً» نعت. و«حرساً» اسم جمع كخدم، ولفظه مفرد فوصف بمفرد نظراً لظاهر اللفظ.

(٤)- **سؤال:** هل نقول إن الإخبار للإنس كرسالة من الجن إليهم وبه ينحل الإشكال في «ظننتم» أم كيف؟

الجواب: قد بينا جواب الإشكال في السؤال السابق بأن التفسير لظننتم مبني على أن الآية من جملة الوحي في قوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ...﴾ وأنهم ظنوا -أي: الجن- كما ظننتم أيها الإنس، وذكرنا أيضاً أنه يصح أن يكون «ظننتم» من كلام الجن، ويكون الخطاب من بعضهم لبعض أي: أن الإنس ظنوا كما ظننتم أيها الجن.

جعل الله سبحانه وتعالى عليها من الحراسة المشددة بالشهب والملائكة، وتعجبوا من ذلك الحدث؛ إذ كانوا من قبل لا يجدون شيئاً من ذلك عندما يصعدون إلى السماء ليستمعوا ما يدور بين الملائكة هناك.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ[١] بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وأخبروا أنهم تعجبوا من ذلك وتساءلوا عن السبب وراء ذلك، هل أراد الله سبحانه وتعالى بذلك الخير لأهل الأرض، أم أراد بهم الشر؟

ولكنهم عندما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن عرفوا[٢] السر وراء ذلك، وأن الله سبحانه وتعالى قد أراد بذلك الخير لأهل الأرض.

ولم يمنعهم الله سبحانه وتعالى من استراق السمع إلا حين[٣] بعث محمداً ﷺ.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾[٤] وأخبروا أنهم مثل الإنس فيهم الصالحون وفيهم الطالحون، وأنهم قد افترقوا واختلفوا إلى مذاهب متعددة وفرق شتى.

---

(١)- **سؤال:** ما إعمال «أشر أريد»؟

الجواب: الهمزة للاستفهام «شر» مبتدأ، وجملة «أريد» في محل رفع خبر.

(٢)- **سؤال:** فضلاً من أين نستنتج هذا؟

الجواب: قد كان ذلك منهم قبل أن يستمعوا القرآن فلما سمعوا القرآن اكتشفوا السر.

(٣)- **سؤال:** يقال: من أين يتضح لنا تحديد هذا الزمان وظاهر الآية أن المنع وقت استماعهم حاصل؟

الجواب: توضح لنا ذلك من إخبارهم في هذه الآيات بأنهم كانوا يقعدون منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن أي: وقت مبعث النبي أو من قبيل مبعثه إلى وقت تكلمهم هذا.

(٤)- **سؤال:** ما محل جملة «منا الصالحون»؟ وما وجه فصل جملة «كنا طرائق قدداً»؟ ومن أين اشتق قوله: «قدداً»؟

الجواب: «منا الصالحون» في محل رفع خبر «إن»، ووجه الفصل لجملة «كنا طرائق قدداً» كونها بمنزلة البدل مما قبلها، و«قدداً» جمع قِدَّة، مأخوذ من: قَدَّ إذا قطع.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا[١] أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴿١٢﴾﴾[٢] وأخبروا أنهم قد تيقنوا وعرفوا أنهم لن يستطيعوا أن يفروا من قدرة الله سبحانه وتعالى عليهم وقبضته، وأنه لا بد أن يدركهم مهما حاولوا الفرار والهروب.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴿١٣﴾﴾ وأنهم قد آمنوا بالله سبحانه وتعالى وصدقوا بما سمعوه من القرآن على لسان نبيه ﷺ، وأن من آمن بالله تعالى وصدق بأنبيائه وكتبه وعمل[٣] الأعمال الصالحة فلا بد أن يوفيه أجره وثوابه، ولن ينقصه أو يهضمه من أجره شيئاً، ومعنى «رهقاً» هنا: يغشاه ظلم بالزيادة في السيئات.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ[٤] فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴿١٥﴾﴾ وأخبروا أنهم مثل البشر فيهم المسلمون

---

(١)- **سؤال:** من أين يمكن لنا أن نعرف أن الظن هنا بمعنى اليقين؟ وهل يمكن أن نقول لكثرة استعمال القرآن له في ذلك: إنه حقيقة شرعية فيه أم كيف؟ فهذه مسألة تشكل كثيراً.

الجواب: يراجع الجواب الذي تقدم في حواشي سورة الحاقة على تفسير الآيات (من ١٩ إلى ٢٣).

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «هرباً»؟

الجواب: «هرباً» تمييز نسبة.

(٣)- **سؤال:** هل حصل لهم كل هذه المعرفة واليقين بهذا الاستماع مرة واحدة فهذا أمر مدهش قد يخرج عن العادة؟ أم بمرات متعددة فما الذي يدل عليه؟

الجواب: يمكن الاستدلال على معاودتهم إلى استماع القرآن بأن من ارتاح لشيء وأعجب به فإنه يعاود ذلك الشيء ويتردد عليه.

(٤)- **سؤال:** ما الفرق بين «القاسطون» بمعنى الجائرين، و«القاسطون» بمعنى العادلين؟

الجواب: «القاسطون» هم الجائرون، اسم فاعل من الثلاثي «قسط»، أما بمعنى العادلين فيقال: المقسطون اسم فاعل من الرباعي «أقسط». ولم ترد «القاسطون» إلا بمعنى الجائرين، و«المقسطون» في القرآن بمعنى العادلين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴿٩﴾﴾ [الحجرات]، وإذا كان قد ورد استعمال القاسط في المعنيين فتكون كلمة مشتركة بين المعنيين، ويعرف المراد بالقرينة.

المنقادون لله تعالىٰ، وفيهم الكافرون الجائرون عن طريق الحق والهدىٰ، وأن من انقاد لله تعالىٰ واستسلم له فقد أحسن لنفسه الاختيار وأصاب طريق الحق والهدىٰ، وأما من لم ينقد لله تعالىٰ، ولم يستسلم له فسوف يجعلهم الله تعالىٰ وقوداً لجهنم وحطباً.

﴿وَأَنْ[١] لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ۝١٦ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ[٢] وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧﴾[٣] ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عباده فقال: لو أن عباده استقاموا علىٰ الدين الحق وساروا علىٰ الطريق المستقيم لأسبغ عليهم رزقه، ولأنزل عليهم بركات السماء الكثيرة، ولأغناهم ومتعهم من فضله وإحسانه.

---

(١)- **سؤال:** يقال: ما هو المسوغ لعطف كلام الباري علىٰ كلام الجن في الظاهر؟ وما إعراب «أن لو استقاموا»؟ وهل اللام في قوله: «الطريقة» للعهد الذهني أم ماذا؟ وما الذي يستفاد من هذه الآية؟

الجواب: كلام الباري هذا: «وأن لو..» معطوف علىٰ معمول «أوحي إلي» في أول السورة وليس معطوفاً علىٰ كلام الجن، أي: قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن وأن لو استقاموا...، وما بين المعطوف والمعطوف عليه معترض. و«أن» مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، والجملة الشرطية في محل رفع خبر، واللام في «الطريقة» للعهد الذهني كما ذكرتم. ويستفاد من الآية أن التمسك بتقوىٰ الله والامتثال لأمره والانتهاء عن نهيه والاستقامة علىٰ ذلك سبب لسعة الرزق وبركته، وأن سعة الرزق اختبار من الله وامتحان ليظهر الشاكر لنعمة الله ويتميز الكافر بفضل الله ونعمته.

(٢)- **سؤال:** يقال: ظاهر أول الآية أنه جعله لهم جزاءً علىٰ استقامتهم فكيف قال: «لنفتنهم فيه»؟ أم العلتان سائغتان؟

الجواب: لا مانع من أن يختبر الله تعالىٰ المطيع له بما أعطاه من سعة الرزق جزاء علىٰ طاعته فالمؤمن المطيع لا يزال في اختبار بعد اختبار وفي ابتلاء بعد ابتلاء إلىٰ أن يخرج من الدنيا.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما نوع اسمية «صعداً»؟ وما إعرابها؟

الجواب: «صعدا» مصدر الفعل الثلاثي «صَعِدَ» من باب فرح، استعمل هنا وصفاً للمبالغة.

ثم أخبرهم أنه قد جعل ما ينزله من الخير على عباده فتنة لهم واختباراً لينظر من سيؤدي حق شكر نعمته ومن سيكفرها، ثم تهدد من كفر بنعم الله عليه بالعذاب الشديد في نار جهنم.

وفيها جبل من نار يعذب الله سبحانه وتعالى المعرض عن ذكره بصعوده، كلما وضع قدمه عليه ذابت من شدة حرارته وكلما رفعها عادت، وهكذا كلما أوشك على مشارفته رده الله تعالى من حيث بدأ.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴿١٨﴾﴾[1] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن المساجد له وحده، لا يعبد فيها سواه، ويحتمل[2] أن يكون المعنى أن

---

(١)- **سؤال:** قد يفهم بعض الناس من الآية هذه أن لا نقول: مسجد فلان أو القبيلة الفلانية، فكيف توجهون في ذلك؟

الجواب: المساجد هي لله، ولا مانع من أن يقال: مسجد فلان، ومسجد آل فلان فقد اشتهر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((صلاة في مسجدي هذا تعدل بألف صلاة..)) الحديث، وقال في حديث آخر: ((جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم..)) الحديث، وحديث البخاري: ((من أكل من هذه الشجرة -يعني: الثوم- فلا يقربن مسجدنا))، وهو في مواضع من البخاري، وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا مر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها...))، ومعنى ((وأن المساجد لله)) وأن المساجد لعباد الله وليس المقصود إثبات ملكيتها لله تعالى لأن كل ما في السموات والأرض ملكه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فالمساجد وغيرها سواء، وقرينة هذا التقدير ودليله ما ورد بعده من قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴿١٨﴾﴾ أي: فلا تعبدوا مع الله أحداً أي: فلا تشركوا معه غيره في عبادته، وقد كان الصحابة يسمون المساجد فيقولون: مسجد بني عبد الأشهل ومسجد الخيف ومسجد النبي و..إلخ، وكتب السنة مشحونة بمثل ذلك، ويمكن معرفة ذلك من المكتبة الشاملة بواسطة الباحث الآلي.

(٢)- **سؤال:** ما وجه هذا الاحتمال؟

الجواب: الوجه أن المساجد اسم لمواضع السجود والجبهة من مواضع السجود.

السجود لا ينبغي أن يكون إلا له وحده خالصاً، ولا يشركوا في عبادتهم غيره.

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴿١٩﴾[1] قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا[2]﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا[3] مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴿٢٣﴾﴾

استنكر المشركون على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عندما قام يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده، وعدم الشرك به، واجتمعوا عنده وتزاحموا عليه.

ومعنى «لبداً»: متراكمين من ازدحامهم على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ متعجبين مما يدعوهم إليه، وتجمعهم ذلك حوله إنما هو تجمع استنكار واستهزاء وكفر وتكذيب، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يقول لهم: إني لم آتكم بمنكر إنما أعبد ربي الذي خلقني ورزقني وحده، ولا أشرك معه في العبادة أحداً، وليس بقدرتي أن أدخلكم في الهدى أو في الضلال حتماً؛ إنما كلفني ربي بإبلاغ رسالاته إليكم، وأوجب ذلك

---

(١)- **سؤال:** ما نوع اسميتها؟ ومم أخذت؟

الجواب: «لبداً» جمع لِبدة بكسر اللام وهي ما تلبد بعضه على بعض، ومنه لِبدة الأسد وهي الشعر المتراكم على كتفيه.

(٢)- **سؤال:** ما وجه المقابلة من الضر والرشد في قوله: «ضراً ولا رشداً»؟

الجواب: الرشد هو النفع بدليل مقابلة الصبر بالنفع في مواضع من القرآن.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «إلا بلاغاً»؟ وما نوع اسمية «بلاغاً»؟ وعلام عطف «ورسالاته» فهو غير متضح؟

الجواب: «إلا بلاغاً» استثناء منقطع أي لكن أملك بلاغاً أي: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليس مكلفاً إلا بالبلاغ لرسالات ربه، وقد أجازوا أن يكون الاستثناء متصلاً بأن يكون و«إلا بلاغاً» مستثنى من «ملتحداً» أي: لن أجد من دون الله ملجأ ومعتصماً أعتصم به إلا تبليغ رسالة الله فإن لم أبلغها فلن أجد من عذاب الله مأمناً آوي إليه. و«بلاغاً» يراد به التبليغ فهو اسم مصدر، «ورسالاته» معطوفه على «بلاغاً» كأنه قال: لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات.

علي وحتمه ولن يدفع عني عذاب الله أحد إن أنا عصيته، ولن أجد لي ملجأً أهرب إليه وأختفي فيه من عذاب الله، وسلامتي من عذاب الله هي في تبليغي لرسالات الله وتنفيذ أمره، فأنا رسول الله إليكم، ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ[1] مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾

استكبر المشركون عن الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم واستنكفوا من اتباعه، واستنكروا كيف يتبعونه وهم أهل الكثرة والمال والجاه والقوة، فأخبرهم الله سبحانه وتعالى أنهم سيعلمون مَنِ الضعيف ومن القوي عندما يرون عذاب الله سبحانه وتعالى نازلاً بهم، وسيعرفون حينئذ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الأقوى، وأنهم أذلاء قليلون مستضعفون.

﴿قُلْ[2] إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا

---

(١)- **سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟ وما إعراب «من أضعف ناصراً»؟

الجواب: الفاء هنا سببية رابطة للجواب بالشرط، «من» اسم استفهام مبتدأ، «أضعف» خبره، والجملة في محل نصب معلقة بالاستفهام ويجوز أن تكون «من» موصولة ، وأضعف: خبر مبتدأ محذوف، والجملة صلة الموصول. و«ناصراً» تمييز.

(٢)- **سؤال:** ما معنى «إن» هنا؟ وأين مفعولا «إن أدري»؟ وما إعراب «ما توعدون» و«عالم الغيب» و«من رسول» و«رصداً» و«ليعلم أن قد ابلغوا»؟ وأين فاعل «يسلك»؟ وما وجه تنكير «أمداً»؟

الجواب: «إن» نافية و«أدري» معلقة عن العمل في لفظ مفعوليها بالاستفهام، «ما توعدون» ما: اسم موصول في محل رفع مبتدأ، و«قريب» خبره مقدم والجملة في محل نصب مفعول «أدري»، و«عالم الغيب» بدل من ربي، ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف أي: هو عالم الغيب، و«من رسول» متعلق بمحذوف حال من الضمير المنصوب المقدر في «ارتضى» إذ التقدير: ارتضاه، و«رصداً» مفعول به لرصدا، و«ليعلم أن قد أبلغوا..» اللام للتعليل متعلقة بقوله: «يسلك» ويعلم منصوب بأن مضمرة وأن والفعل في تأويل مصدر مجرور باللام

=

يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وكانوا يستنكرون على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عندما كان يتوعدهم بنزول عذاب الله تعالى بهم، ويستبعدون ذلك أشد الاستبعاد، ويطلبون منه أن يأتيهم به إن كان صادقاً وأن يعجل نزوله بهم، فأمره الله سبحانه وتعالى أن يجيبهم بأنه لا يعلم موعد نزوله بهم، وأن علم ذلك عند الله تعالى. ومعنى «أمداً» : زماناً بعيداً، وأنه من الأمور الغيبية التي استأثر الله تعالى بعلمها وحده لا يخبر أحداً بها إلا[1] من أراد أن يطلعه على شيء منها من نبي أو رسول فإنه

والفاعل ضمير مستتر، «أن» مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن و«قد أبلغوا..» جملة في محل رفع خبر أن المخففة، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب بيعلم وفاعل «يسلك» هو الله، وتنكير «قريب» و«أمداً» لإبهام القرب والبعد.

(١)- **سؤال:** هل يعود الاستثناء إلى موعد نزول العذاب بهم أم إلى الغيبيات فهذا مشكل؟ وما هو الدليل على أن المراد شيء منها إن قلنا بذلك؟ وما وجه التعليل بأنه يجعل له رصداً يحفظوه والمعلل إطلاعه على الغيب؟ وما معنى «يسلك» هنا بالنظر إلى المعنى اللغوي؟

الجواب: يعود الاستثناء إلى «أحداً» أي: لا يظهر الله علم الغيب لأحد إلا لمن ارتضى من رسله فإنه يطلعه عليه، وذلك كما أطلع الله تعالى لوطاً عَلَيْهِ السَّلَامُ على العلم بموعد نزول العذاب بقوله: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ [هود:٨١]، وكما أطلع الله تعالى نبيه صالحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ على موعد نزول العذاب بقومه: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود:٦٥]، وكما أطلع الله تعالى نبينا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على غلبة الروم لفارس في بضع سنين، وعلى قتل عمار، وأن أبا ذر يموت وحده ويشهد جنازته جماعة من المؤمنين، وكما أخبر بقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما لا يحصى من الأخبار بالغيب لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأعظم الغيب الذي أظهره لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو القرآن الكريم. والدليل على أن المراد شيء من الغيب هو أن ما أوحاه الله تعالى إلى رسله ليس إلا بعض الغيب أما الغيب كله فـ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾. ووجه التعامل بالرصد هو من أجل حفظ الغيب الذي أوحاه إلى من ارتضى من رسول كي لا تصل إليه الشياطين بدسائسها من زيادة أو نقص أو تخليط أو توهيم =

يوحي إليه برسالة يبلغها إلى الناس، ويُوَكِّل بهذا المبلغ حفظة يحفظونه -من ملائكته- ويحرسونه حتى يبلغ رسالته هذه عن الله سبحانه وتعالى.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا۝٢٨﴾ وقد أحاط علمه[1] بكل شيء، وأحصى عدد كل شيء ومقداره صغيراً كان أم كبيراً، فرسالات الله تعالى محفوظة من الجن والإنس حتى يبلغها رسل الله صلى الله عليهم إلى الناس.



أو...، و«يسلك» هنا بمعنى يجعل، ولعل التعبير بيسلك قد كان لخفاء الرصد.

(١)- **سؤال:** إذا كان قوله «وأحاط» معطوفاً على «أبلغوا» فيكون المعنى: ليعلم الله أن علمه أحاط بما عندهم، وهذا غير مستقيم مع بلاغة القرآن؟ ولو قلنا بأن معناها: ليبلغوا رسالات ربهم ويحيط علمه تبارك وتعالى بكل شيء وهذا أيضاً غير متناسب فكيف تحليل الآية نحوياً أو من جهة إعرابها؟

الجواب: الواو في قوله «وأحاط» تكون للحال من فاعل «يسلك» وفي هذا ما يرفع الإشكال.

سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ(١)۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا۝٢﴾ كان النبي ﷺ مشتملاً بثوبه ونائماً فنزل عليه جبريل عليه السلام يأمره بأن يترك النوم، وأن يقوم لعبادة ربه.

﴿نِصْفَهُ(٢) أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا۝٤﴾ وخير الله نبيه ﷺ بين أن يقوم ثلث الليل أو ثلثيه أو نصفه يتعبد الله تعالى بالصلاة يرتل فيها القرآن ترتيلاً، وكان هذا في مكة قبل أن يهاجر النبي ﷺ إلى المدينة وقد رفع الله تعالى هذا التكليف ونسخه، ومعنى ترتيل القرآن: قراءته من غير عجلة.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا۝٥﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إليه بأنه سيوحي إليه آيات(٣) القرآن، وكون القرآن ثقيلاً لما فيه من التكاليف على العباد،

---

(١)- **سؤال:** مم أخذت هذه اللفظة؟

الجواب: «المزمل» اسم فاعل من الفعل زمَّل يزمل تزملاً إذا التف بثوبه.

(٢)- **سؤال:** هل «نصفه» بدل بعض من الليل؟ وهل يصح جعلها بدلاً من «قليلاً» أم لا؟ وهل يتم عطف «انقص» على فعل الأمر «قم» بدون اختلال المعنى أم كيف؟

الجواب: أقرب ما قالوه من الإعراب هنا أن نصفه بدل من الليل فيكون المأمور به من القيام هو النصف أو الثلث «انقص منه» أو الثلثان «أو زد عليه»، وجوزوا أن يكون «نصفه» بدلاً من «قليلاً» فيكون المأمور به من القيام نصف القليل أو انقص منه أي: من نصف القليل، أو زد عليه أي: على نصف القليل، إلا أن في هذا الإعراب جهالة المأمور به في الحالات الثلاث لجهالة «قليلاً»، ولا يختل المعنى من تقدير عطف، «أو انقص، أو زد» على قم الليل؛ لأن المراد بـ«قم الليل» قم نصفه؛ لأنه مقيد بالاستثناء والبدل.

(٣)- **سؤال:** لماذا لم نجعل القول الثقيل الرسالة بكاملها فتكون دليلاً على عناء النبي ﷺ وتعبه في تبليغها؟

الجواب: قد كان الرسول ﷺ مأموراً بتبليغ القرآن فهو رسالة الله تعالى إلى الناس، والرسول ﷺ هو المبلغ والمبين للناس ما نزل إليهم.

وعلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من حيث أن الله كلفه أن يبلغ القرآن قريشاً وهم أهل جبروت وقسوة وتكبر.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ(١) اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا(٢) طَوِيلًا ۝﴾ وأخبره بأنه قد كلفه الصلاة في ذلك الوقت من الليل لما لها من التأثير والوقع في النفس مما يجعل المصلي أقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ولما يلحق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في النهار من المشاغل والنظر في شؤونه وشؤون المسلمين.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَبُّ(٣) الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝﴾ وانقطع إلى الله سبحانه وتعالى وأكثر من ذكره في ساعات الليل(٤). ومعنى «تَبَتَّلْ»: انقطعْ إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع والتقرب والذكر والصلاة، ومعنى «فاتخذه وكيلاً» : فاتخذه رباً تكل إليه أمورك.

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في حملها على صلاة آخر الليل دون أوله؟

الجواب: ناشئة الليل: هي النفس التي تقوم لصلاة الليل في تلك الأوقات المبينة ﴿نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝﴾، وقد فسرت ناشئة الليل بأول الليل، ولا مانع من تفسيرها بالوجهين فاللفظ محتمل للأمرين، والليل كله وقت للفرائض والنوافل، وقد صلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صلاة النوافل في أوله وأوسطه وآخره كما روي.

(٢)- **سؤال:** من أين أخذت هذه اللفظة؟ وما هو معناها الدقيق؟

الجواب: «سبحاً» هي مأخوذة من السبح في الماء أي: العوم والغياصة ومعناها: التقلب؛ لأن السابح يتقلب بيديه ورجليه عند السباحة في الماء. ومعناها هنا: أن لك في النهار تقلباً طويلاً في مهامِّك.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «رب المشرق»؟ وما الذي يبنى عليه من معنى؟

الجواب: «رب المشرق» خبر لمبتدأ محذوف أي: هو رب المشرق، ويصح أن يكون مبتدأ، وجملة «لا إله إلا هو» في محل رفع خبره، والجملة مستأنفة لبيان السبب والعلة المقتضية لعبادة الله وحده وذكره، والتبتل إليه دون غيره.

(٤)- **سؤال:** من أين نفهم أنه في ساعات الليل؟

الجواب: فهم ذلك من ورود الأمر به في سياق صلاة الليل، أما النهار فقد خرج بقوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝﴾.

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ وأمره الله سبحانه وتعالىٰ أن يصبر علىٰ ما يلحقه من قومه من الأذىٰ والتكذيب والسخرية والاستهزاء، وأن لا يؤاخذهم أو يرد عليهم؛ لئلا يتسبب في تنفيرهم عنه وليجلبهم إلىٰ الإسلام.

﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا۝١٠﴾[(١)] وابتعد عنهم من دون أن يشعروا بذلك، أو يلمسوا أي عداوة منك لهم.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ[(٢)] وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا۝١١﴾ واترك[(٣)] لي أولئك المكذبين فما هي إلا مدة قصيرة يتنعمون ويتمتعون بها في الدنيا ثم آخذهم وأعاقبهم وأنتقم لك منهم شر انتقام.

وأولو النعمة: هم المترفون الذين أنعم الله سبحانه وتعالىٰ عليهم ومتعهم بالغنىٰ والأموال والصحة والعافية والقوة والأمن في الدنيا، ثم كفروا نعمة الله وكذبوا بآياته ورسله.

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا۝١٣﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه قد أعد لهم قيوداً من نار في جهنم يسحبون وهم مقيدون علىٰ وجوههم في وسط جهنم وناراً غليظة، ولا طعام لهم فيها إلا من شجر الزقوم الذي يغلي في البطون كغلي الحميم وعذاباً أليماً، ومعنىٰ «ذا غُصَّة» ينشب في الحلق ولا يستطاع إساغته.

---

(١)- **سؤال:** كيف يتم الجمع بين مدلول هذه الآية وقوله تعالىٰ: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم:٩]؟

الجواب: كان هذا في أول الإسلام حين كان الإسلام ضعيفاً، فلما قوي الإسلام وكثر المسلمون أمر الله تعالىٰ بالإغلاظ علىٰ المشركين.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «والمكذبين أولي النعمة»؟ وما الفرق بين النَّعمة بفتح النون والنعمة بكسرها؟

الجواب: «والمكذبين» الواو عاطفة، والمكذبين معطوف علىٰ مفعول «ذرني» منصوب وعلامة نصبه الياء، «أولي النعمة» صفة للمكذبين منصوبة وعلامة نصبها الياء، «النعمة» مضاف إلىٰ النعمة. والنَّعمة بالفتح: التنعم، وبالكسر: الإنعام، وبالضم: المسرة. اهـ من الكشاف.

(٣)- **سؤال:** يقال: كيف صار المعنىٰ هكذا؟

الجواب: ذرني والمكذبين أي: اتركني والمكذبين ولا تشتغل بهم فأنا أكفيكهم فهذا معنىٰ: «ذرني والمكذبين» وكفىٰ بالله كافياً ونصيراً.

﴿يَوْمَ[١] تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ وميعاد تعذيبهم ذلك سيكون في يوم القيامة عندما تتزلزل الأرض مع جبالها مضطربة وتصير الجبال رملاً منهالاً كالسائل.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ ثم وجه الله سبحانه وتعالىٰ خطابه إلىٰ المكلفين من عباده يخبرهم بأنه قد أعذرهم وأنذرهم وبلغهم الحجة علىٰ لسان نبيهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي أرسله إليهم بالهدىٰ ودين الحق، وليكون شاهداً علىٰ من كَذَّب منهم، وأعرض عن دعوته فلا يكون له أي عذر عند الله تعالىٰ يوم القيامة، وسيعاقبه ويعذبه في[٢] الدنيا جزاءً علىٰ كفره وتكذيبه كما عذب فرعون بالغرق عندما أعرض عن دعوة موسىٰ وكذب به، ومعنىٰ «أخذاً وبيلاً» : أخذاً شديداً عظيماً.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾[٣] أخبروني إن كفرتم كيف تقدرون أن تدفعوا عن أنفسكم عذاب الله تعالىٰ يوم القيامة، فالأولىٰ بكم أن تأخذوا بأسباب النجاة ما دمتم في المهلة، وما دامت الفرصة سانحة.

وقوله: ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[٤] كناية[٥] عن شدة هول ذلك اليوم، وما يكون

---

(١)- **سؤال:** ما هو الناصب لهذا الظرف؟

الجواب: ناصبه هو الاستقرار الذي في «لدينا».

(٢)- **سؤال:** يقال: أكثر المكذبين لم يعذبوا في الدنيا فكيف بهذا؟

الجواب: قد عذب الله مترفي قريش ولم يستأصلهم كما استأصل قوم نوح وقوم عاد.

(٣)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم هذه الآية لكان مناسباً؟

الجواب: الفاء عاطفة، «كيف» اسم استفهام في محل نصب حال من فاعل «تتقون»، «تتقون» فعل وفاعل، «إن كفرتم» جملة شرطية وجوابها محذوف دل عليه ما قبله أي: إن كفرتم فكيف تتقون، «يوماً» مفعول به لتتقون، «يجعل الولدان شيباً» الجملة في محل نصب صفة لـ«يوماً».

(٤)- **سؤال:** ما نوع اسمية «شيباً»؟ وما العلة في إسناد الجعل إلىٰ اليوم؟

الجواب: «شيباً» جمع أشيب كبيض وأبيض، وإسناد الجعل إلىٰ اليوم لكونه ظرفاً للفعل فالإسناد فيه مجازي.

(٥)- **سؤال:** يعني أنه ليس علىٰ حقيقته ولا يحتملها؟

الجواب: نعم، ليس المراد الحقيقة بل المراد الكناية عن الهول والشدة.

فيه من الأفزاع.

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ وأخبرهم أن السماء ستلد بذلك اليوم[١] المهول وستنشق عنه، ثم يخرج عليكم يوم الفزع من خلالها، من حيث لا تشعرون ولا تحتسبون، ووعد الله كائن لا محالة ولا مفر منه.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ إن هذه الآيات التي أنزلها الله تعالى في هذه السورة تذكرة إن أرادوا أن يتذكروا ويتعظوا، ويتركوا ما هم عليه من الكفر والطغيان والتكبر.

﴿فَمَنْ[٢] شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[٣] فمن أراد أن ينجي نفسه ويختار لها طريق النجاة بمحض إرادته واختياره فقد أحسن الاختيار لنفسه.

---

(١)- **سؤال:** من أين يظهر لنا أن هذا هو المراد فهو معنى قويم؟ وما يكون معنى الباء في «به» حسب هذا المعنى؟ وهل يصح حملها على معنى «فيه» أم لا؟

الجواب: قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات]، ففي هذا ما يدل على أن اليوم الموعود يأتي من السماء وبعد فالآية: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ نص في أن السماء ستنفطر وتنشق باليوم والباء للآلة كالتي في: كتبت بالقلم، وقطعته بالسكين، وشققته بالمنشار، أي: أن اليوم آلة لانفطار السماء وانشقاقها ففي الباء استعارة تبعية علاقتها المشابهة من حيث أن أول ما يحصل في ذلك اليوم هو تشقق السماء وانفطارها واختلال نظام كواكبها ونجومها أي: أن اليوم ظرف لذلك فشبه الظرفية بالآلة فاستعير لها الباء الدال على الآلة.

(٢)- **سؤال:** ما هي هذه الفاء؟ وما السر في حذف مفعول «شاء»؟ وما وجه تنكير «سبيلا»؟

الجواب: الفاء عاطفة للمسبب على السبب، وقد التزموا حذف مفعول المشيئة في مثل هذا للعلم به من جواب الشرط، ولا يذكر إلا إذا كان غريباً نحو قوله: «ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته»، والتنكير لتعظيم السبيل.

(٣)- **سؤال:** كيف نستخلص من هذه الآية دليلاً واضحاً على هدم مذهب الجبر؟

الجواب: هذه الآية وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، ونحوهما دليل واضح وصريح في أن أمر الإيمان والكفر مفوض إلى اختيار المكلف.

وبعد، فدليل وجود المشيئة للإنسان وأنه مختار في أفعاله غير مجبر ولا ملجأ هو دليل وجداني يجده الإنسان من نفسه كما يجد أنه مريض أو جائع أو مهموم، وعلم ذلك هو من العلوم الضرورية.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ[١] اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى[٢] وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ[٣] وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ثم رجع الله

---

(١)- **سؤال:** يقال: إذا كان معنى ﴿أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾: أقل منه فهو النصف، فكيف عطف «ونصفه» عليه؟

الجواب: يقال: المراد بـ«أدنى من ثلثي الليل» هو ما بين الثلثين والنصف، ليس الثلثين وليس النصف؛ لذلك صح عطف النصف عليه.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «أدنى، وثلثه، وأن لن تحصوه»؟ وما محل جملة «والله يقدر الليل» وجملة «يضربون في الأرض» وجملة «يبتغون من فضل الله»؟ وما الوجه في فصل جملتي «علم أن لن تحصوه» و«علم أن سيكون منكم مرضى»؟

الجواب: «أدنى» ظرف زمان أي: وقتاً أدنى، و«ثلثه» بالنصب عطفاً على «أدنى» أي: تقوم ثلثه، وبالكسر للثاء يكون عطفاً على ثلثي الليل، أي: تقوم أدنى من ثلثه وأدنى من نصفه، «أن لن تحصوه» أن شأنية واسمها ضمير الشأن محذوف، «لن تحصوه» جملة في محل رفع خبر «أن» الشأنية، و«أن» وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول به منصوب ساد مسد مفعولي «علم»، وجملة «والله يقدر الليل والنهار» معطوفة على جملة «إن ربك يعلم أنك تقوم» فلا محل لها من الإعراب، وجملة «يضربون في الأرض» في محل رفع صفة لآخرون، وجملة «ويبتغون من فضل الله» في محل نصب حال من فاعل يضربون، وفصلت جملة: «علم أن لن تحصوه» عن سابقتها لأنها علة لها، وكذلك جملة «علم أن سيكون» فإنها علة لما قبلها.

(٣)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن النسخ إلى قراءة ما تيسر من القرآن فهل ثبت وجوب قراءة معينة كثيرة في المنسوخ أم كيف؟ أم أنها تدل على ما تيسر من الصلاة في قيام الليل فهذا يدل على لزوم ولو ركعتين وهذا مشكل؟ وأيضاً يشكل على النسخ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما في بعض الروايات من تعداد قيام الليل والوتر والأضحية أو نحوها في المفروضات عليه صلى الله عليه وآله وسلم والمسنونات على أمته، فكيف ذلك؟

الجواب: في المصابيح من تفسير أهل البيت عليهم السلام ما معناه -وفيه حل الإشكالات والتساؤلات-: أن قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ

=

سبحانه وتعالىٰ إلىٰ خطاب نبيه ﷺ فأخبره أنه قد علم بامتثاله لأمره فيما شرعه من قيام الليل هو والطائفة المؤمنة[1] معه، وعلم أنهم أدوا ذلك كما أمرهم من الثلثين إلىٰ النصف إلىٰ الثلث. ومعنىٰ «لن تحصوه»: لن تقدِّروا ساعات الليل وتحسبوها وتحددوها كما ينبغي.

وأخبرهم أنه يتعسر عليهم أداء هذه العبادة التي افترضها عليهم، فخفف عنهم ونسخ هذه الفريضة إلىٰ ما قد استطاعوا فعله من الصلوات الخمس لما علم من ضعف عباده وانشغالهم عن أدائها بالسعي وراء أرزاقهم، وانشغالهم بالجهاد في سبيله.

ثم أمرهم أن يحافظوا علىٰ تلك الصلوات التي افترضها عليهم، وأن يخرجوا ما

الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ بيان التوسعة من الله للنبي ﷺ والمؤمنين في وقت صلاة العشاء، وفيه أن قوله: «علم أن لن تحصوه» و«علم أن فيكم مرضىٰ وآخرون..» هو تعليل لقوله في أول السورة: «قم الليل إلا قليلاً..» إلخ، فهي مقدمة من التقدير فقوله: «علم أن لن تحصوه» أي: أنه تعالىٰ علم أنه لو فرض عليهم أدا ءالصلاة في وقت محدد لن يستطيعوا تقديره؛ لذلك رخص لهم ووسع في الوقت فالمريض والمسافر والمقاتل يؤخر الصلاة إلىٰ أي وقت شاء من الليل، ويفيد كلام المصابيح أن ليس هناك نسخ.

والذي يقوي هذا الكلام أمور:

١ – أنه لم يشتهر وجوب قيام الليل علىٰ حسب ما حدوا من الأوقات هنا.

٢ – أن الله تعالىٰ قال: ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ أي: أن هناك طوائف أخرىٰ لم يصلوا معه في أول الوقت أو في وسطه، ولم يذمهم الله تعالىٰ أو يستنكر عليهم الصلاة مع رسول الله ﷺ، وذلك دليل علىٰ أن الوقت موسع لهم فلا يتضيق عليهم أداء الصلاة في ذلك الوقت المحدد مع النبي ﷺ. وفسر في المصابيح: «ناشئة الليل» بأوله أي: أن الصلاة في أول الليل أفضل.

٣ – أن صلاة العشاء كانت علىٰ المؤمنين شاقة بسبب غلبة النوم حيث أنهم كانوا أهل أعمال فوسع الله تعالىٰ لهم في وقت صلاة العشاء.

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أنه لم يفعله إلا بعض المؤمنين فكيف؟

الجواب: نعم الظاهر أنه لم يفعله إلا النبي ﷺ وبعض المؤمنين، إلا أن الله تعالىٰ تاب عليهم وخفف التكليف.

يجب عليهم من الزكاة في أموالهم حيث أمرهم، وأن ينفقوا[١] شيئاً منها في سبيل الله تعالى ونشر دينه.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا[٢] وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ثم أخبرهم أن كل ما يقدمونه من خير أو عمل بر فإنهم لا بد أن يجدوا ثوابه، ولا بد أن يجازيهم عليه أضعافاً مضاعفة، ثم بعد ذلك أمرهم أن يداوموا على الاستغفار لما جبلوا عليه من الخطأ والغفلة والنسيان[٣]، فلا بد أن تقع منهم الزلات والهفوات، وأن يحصل منهم تقصير وتفريط، فأمرهم بذلك ليتداركوا بالاستغفار ما فرط منهم من التقصير والغفلة.



---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن هذا الإنفاق غير الزكاة بقرينة ذكره معها وبحرف العطف المقتضي للتغاير في الأصل فكيف توجهون ذلك؟

الجواب: هناك إنفاق واجب غير الزكاة إلا أنه ليس محدداً في كميته كالزكاة؛ كالنفقة على الزوجة والأولاد والأبوين العاجزين و..إلخ، وكالنفقة على النفس والخيل في سبيل الله.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾؟

الجواب: «من خير» متعلق بمحذوف حال مبينة لإبهام «ما» الشرطية، «تجدوه» فعل مضارع مجزوم جواب شرط جازم، والواو فاعل والهاء مفعول به، «عند الله» ظرف لتجدوه، «هو» ضمير فصل لا محل له من الإعراب، «خيراً» المفعول الثاني لتجدوه، «وأعظم» معطوف على خيراً، «أجراً» تمييز.

(٣)- **سؤال:** يقال: إذا كانوا مجبولين على هذه الأشياء فلا يحتاجون إلى الاستغفار منها؟

الجواب: حق الله عظيم، ولا يؤدي المؤمن وإن اجتهد ما يجب لله تعالى من الذكر والعبادة والطاعة، مع ما فيه من طبيعة الغفلة والنسيان فأمر الله تعالى بالاستغفار لذلك، فالإنسان وإن كانت طبيعته الغفلة والنسيان إلا أنه يمكنه أن يمنع ذلك أو أن يقل من حدوث ذلك.

سورة المدثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢﴾ قيل: إن أول سورة نزلت في القرآن هي سورة المدثر، وفي رواية أنها سورة العلق، وفي رواية أنها سورة الفاتحة.

وقد نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو حينها مشتمل بثيابه فأمره بأمر من الله سبحانه وتعالى بالقيام والنهوض لإنذار قومه فقد حان وقت ذلك، وأن يبلغهم رسالة ربهم، ويحذرهم نزول عذابه بهم إن لم يقلعوا عن شركهم وضلالهم.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾[1] وأمره أيضاً أن يخص الله سبحانه وتعالى وحده بالتعظيم والتكبير، لأنه وحده الذي يستحق ذلك الإجلال والتعظيم.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ نزه نفسك عن أقذار[2] الشرك والجاهلية؛

---

(١)- **سؤال:** لو تفضلتم بتفصيل إعراب هذه الآية لكان مناسباً؟

الجواب: الواو حرف عطف، «ربك» منصوب وناصبه الفعل الذي بعده، وهو مضاف إلى الكاف، «فكبر» الفاء زائدة عند بعضهم وعند آخرين أنها واقعة في جواب «أما» الشرطية مقدرة أي: وأما ربك فكبر، وعند غيرهم أنها عاطفة على فعل مقدر أي: تنبه فكبر أو نحو ذلك، «كبر» فعل أمر وفاعله ضمير مستتر وجوباً.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في صرفها عن الحقيقة إلى المجاز؟ وعلى الأمرين ما الذي يفيدنا تقديم المعمول «ثيابك»؟

الجواب: الوجه في العدول إلى المعنى المجازي (الكناية) هو أن طهارة الجسم والثياب أمر فطري في الناس فقد كان المشركون ينظفون ثيابهم وأبدانهم وإلى اليوم أهل الكفر يتنظفون ويتحرزون عن القذر الظاهر في أبدانهم وثيابهم، والمقام الذي جاءت فيه السورة لا يستدعي ذكر الأمر بالمعنى الحقيقي فالسورة مكية والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمشركون في صراع محتدم وجدال حاد على التوحيد والشرك؛ لذلك فالقرينة على ما ذكرنا حالية. وتقديم المعمول «ثيابك» يفيد الاختصاص أي: خص ثيابك بالتطهير، وكذلك في «وربك فكبر»، «والرجز فاهجر» أي: خص ربك بالتكبير، وخص الرجز بالهجر.

أراد بذلك الطهارة المعنوية من الذنوب وأوساخ الجاهلية. والرجز هو أرجاس[١] الجاهلية التي كانوا عليها من عبادة الأصنام والاستقسام بالأزلام و..إلخ.

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ[٢] ۝٦﴾ ونهاه أيضاً عن المن عند إخراج شيء من ماله، وأن لا يعطي شيئاً يبتغي به الكثرة والعوض عليه[٣].

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ وأنذر قومك وبلغهم واصبر على ما أصابك في سبيل ذلك، وأحتسب أجرك عند الله تعالى.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ[٤] يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ

---

(١)- **سؤال:** يقال: إذا كان هذا هو معناه فستصير الآية: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ كالتأكيد للآية قبلها أم لها مخرج آخر فما هو؟

الجواب: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ هو كالتأكيد سواء حمل ذلك على المعنى الحقيقي أم المجازي، ولا مانع من التأكيد.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في عدم جزمها في جواب النهي؟

الجواب: الوجه في قراءة الرفع في «تستكثر» هو القصد إلى النهي عن المن والاستكثار من حيث كونه قيداً للنهي عن المن، وقد قرئ بجزم «تستكثر» في جواب النهي فيكون المعنى: إن لا تمنن تستكثر من الحسنات والثواب.

(٣)- **سؤال:** فهل يؤخذ من هذا أن العطاء مع إرادة المكافأة من المعطى غير حسن أم لا؟ مع التعليل؟

الجواب: قد قيل: إن هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن الله تعالى اختار له أعلى الفضائل وأكملها، وعلى هذا فلا يؤخذ منه المنع بالنسبة لنا، وهذا التوجيه الذي قيل به في هذه الآية توجيه حسن؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد كان كما وصفه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، مع أن في ذلك مناسبة لنفوذ دعوته وقبولها فتكون العلة في هذا كالعلة في تحريم الزكاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم.

(٤)- **سؤال:** ما هو العامل في هذا الظرف؟ وبم تعلق قوله «على الكافرين»؟

الجواب: «يومئذ» بدل من «ذلك» فلا يحتاج إلى متعلق؛ لأنه مرفوع والفتح فتح بناء لإضافته إلى مبني، ويجوز تقديره ظرفاً لعسير. و« على الكافرين » متعلق بـ« عسير » ، و« غير يسير » صفة ثانية ليوم، والله أعلم.

يَسِيرٍ﴾ وأخبره أيضاً أن الله سبحانه وتعالى إذا أذن بقيام القيامة فإن ذلك سيشتد على الكافرين لما ينتظرهم في ذلك اليوم من الأهوال والأفزاع.

والناقور[١]: مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لأوان ذلك الموعد، وأما في الحقيقة فهو غير محتاج إلى بوق ليؤذن الناس بالحشر والاجتماع، فهو قادر على أن يجمعهم من غير أن يؤذنهم بتطبيل أو تنقيس بناقوس، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس]، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر].

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ يطمئن الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ويُسلِّيه[٢] بأنه سيتولى عقاب ذلك الرجل الذي وقف في وجه دعوته، وكذب به وتمرد عليه، وحاول إلحاق الأذى به، وذلك الرجل هو الوليد بن المغيرة المخزومي، فقد خلقه الله سبحانه وتعالى وحيداً[٣] لا يملك شيئاً من المال ولا الجاه ولا السلطان، ثم أمده بالمال والغنى والثروة، ورزقه بالأولاد، وجمع شملهم حوله فهم حضور في كل مواقفه لعدم احتياجهم إلى التكسب، وهو الذي مهد له وأعطاه الجاه والسلطة

(١)- **سؤال:** يقال: قد تقدم لكم أن الحشر بصيحة عظيمة ولعله في قوله: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ [ق:٤٢]، فما المانع من أن يكون الناقور آلة لهذه الصيحة ولو كان الله قادراً على جمعهم بدونها كما في الداعي والمنادي التي أثبتها القرآن صراحة وتكون فيه حكمة ومصلحة للعباد؟ أم لا ترون هذا مناسباً فلماذا؟

الجواب: ولا مانع مع ما ذكرنا من الحمل على الحقيقة وإنما رأينا أن الحمل على المجاز أولى؛ لأن الله تعالى على كل شيء قدير فهو تعالى يخلق بغير آلة ولا يحتاج للآلة إلا الضعيف.

(٢)- **سؤال:** وهل فيه أيضاً تهديد ووعيد للوليد بن المغيرة؟

الجواب: نعم في ذلك تهديد ووعيد للوليد بن المغيرة.

(٣)- **سؤال:** فهل نصب على الحال من مفعول «خلق» المحذوف؟ وهل يؤخذ من ذلك قاعدة نحوية؟

الجواب: «وحيداً» منصوب على الحال من مفعول «خلق» وهو وإن كان محذوفاً فهو مقدر والمقدر في حكم الملفوظ، وعلى هذا فيؤخذ منه أن المقدر مثل الملفوظ.

وجعله من أشراف مكة وعظمائها حتى رشحه أهل مكة للنبوة، وذلك عندما اعترضوا على الله سبحانه وتعالى وضعها في محمد ﷺ، واقترحوا على الله تعالى أن يضعها في رجل من القريتين -إن أراد أن يؤمنوا ويصدقوا- إما الوليد بن المغيرة هذا، وإما عمرو بن مسعود الثقفي من كبار ثقيف.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ۝١٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا۝١٦﴾ ولا زال بعد كل ذلك طامعاً في زيادة المال والثراء والأولاد، فرد الله سبحانه وتعالى عليه بالزجر وأنه لن يزيده على ما معه شيئاً لعناده وتمرده على الله تعالى[1].

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا۝١٧﴾[2] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه سيعذبه بالصعود في جبل من نار في جهنم خالداً في ذلك العذاب مخلداً.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ[3]۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ۝٢٤﴾[4] إِنْ هَذَا

---

(١)- **سؤال:** فما يكون موضع المصدر «أن أزيد»؟

الجواب: موضعه الجر بـ«في» محذوفة أو النصب بنزع الخافض.

(٢)- **سؤال:** علام انتصب «صعوداً»؟ وما نوع اسميته؟ وهل الإرهاق في الآية بمعنى الإتعاب؟

الجواب: انتصب «صعوداً» على أنه مفعول ثان لأرهقه لتضمنه معنى: أكلفه، و«صعوداً» اسم للعقبة الشاقة، والإرهاق بمعنى الإتعاب من حيث إنه يستعمل في إدخالك الشيء في أمر متعب أو شديد أو مكروه، لأن لفظ الإرهاق بمعنى الإتعاب.

(٣)- **سؤال:** ما معنى التقدير في قوله «وقدر»؟ وممَّ أخذ؟

الجواب: «قدر» بمعنى: هيأ في نفسه الكلام المناسب الذي يقبل ويروج، وهو مأخوذ من قدَّر الثلاثي يقدر تقديراً فيقال مثلاً: فلانة حسنة التقدير لطعام الضيوف إذا كانت تصنع للضيوف ما يكفيهم من الطعام أو فوق كفايتهم بقليل.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «كيف قدر»؟ وما وجه العطف بـ«ثم» في قوله: «ثم قتل كيف قدر»؟ وما إعمال «إن هذا إلا سحر يؤثر»؟ وممَّ أخذت لفظة «بسر»؟

الجواب: «كيف» اسم استفهام في محل نصب حال من فاعل «قدر» والاستفهام بمعنى التعجب، ووجه العطف بـ«ثم» هو لإفادة التفاوت في بلاغة ما بعدها عما قبلها. «إن» نافية، «هذا» اسم إشارة مبتدأ، «إلا» أداة استثناء. «سحر» خبر المبتدأ والاستثناء مفرغ. «وبسر» مأخوذ من بسر بسوراً، وبسر بمعنى: عبس.

﴿إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ۝٢٥﴾ اجتمع زعماء قريش ووجهاؤهم في شأن محمد ﷺ كيف يبطلون دعوته، ويخذلون الناس عنه، وكان الوليد هذا كبيرهم وزعيمهم، فقال ناس منهم: سنتحدث للناس بأنه ساحر، فأشار عليهم الوليد بأنهم قد عرفوا السحر وتمتمة السحرة ولن يصدق الناس مثل ذلك فيه، فأشار آخرون منهم بأن يتحدثوا لهم بأنه شاعر، فأجابهم بأنهم قد عرفوا الشعر وأنواعه ولن يصدقوا فيه ذلك، فأشار بقية منهم بأن يقولوا عنه بأنه مجنون، فرد عليهم بأن الجنون معروف، والناس يعرفون المجانين وحديثهم، ولن يصدق بذلك أحد، فطلبوا منه أن يشير عليهم فيه، فأخبر الله سبحانه وتعالى أن الوليد فكر في نفسه وأمعن في التفكير، فلعنه الله على ذلك التفكير، وأخبر سبحانه أنه نظر في الأمر وأمعن في النظر حتى ظهر العبوس والتغير على وجهه عندما عرف أنه لن يجد مدخلاً على محمد ﷺ وإبطال دعوته، واستكبر أن يعترف له بالحق والصدق، فأشار عليهم بعد طول التفكير والتقدير بأن أمثل وأحسن ما يمكن أن يقولوا عما جاء به النبي ﷺ من القرآن: أنه سحر رواه عن قدماء السحرة وعلمائهم السابقين. ومعنى «وبسر»: اشتد كلوح وجهه وعبوسه.

وكان قد قال لهم في بداية الأمر عن وصف ما سمعه من كلام محمد ﷺ: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمورق، وإنه يعلو ولا يعلا عليه، وإنه ليس من قول البشر، وإنه كلام خالق القُوَى والْقُدَرِ، معترفاً لهم بجميع ذلك.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ۝٢٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ۝٢٩﴾[1] فتوعده الله سبحانه وتعالى بأنه سيحرقه في نار جهنم، وفي الاستفهام عنها معنى

(١)- **سؤال:** مم أخذت لفظة «سقر»؟ وما موضع جملة «لا تبقي ولا تذر»؟ وعلام رفع «لواحة»؟ ومم أخذ هذا اللفظ؟

الجواب: «سقر» اسم من أسماء النار نار جهنم، فهو اسم جامد غير مشتق ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث. وجملة «لا تبقي ولا تذر» في محل نصب حال من «سقر» والعامل معنى التعظيم. «لواحة» خبر مبتدأ محذوف أي: هي لواحة، و«لواحة» صفة مبالغة من لاح يلوح بمعنى ظهر أو غَيَّرَ الجِلْدَ.

التفخيم والتهويل، نارٌ لا تتصور شدتها وأليم حرارتها.

ومعنى ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾: تشوي اللحم وتنضجه.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ۝٣٠﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد وكل على القيام بأعمال جهنم وتعذيب أهلها تسعة عشر صنفاً[١] من الملائكة، ويحتمل تسعةَ عشر ملكاً.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً[٢] وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن في تصريحه بهذا العدد فتنة للكافرين واختباراً[٣] لهم، وفعلاً فحين سمع الوليد بن المغيرة هذا الكلام وهذا العدد ضحك منه استهزاءً وسخرية وقال لزعماء قريش: اكفوني اثنين وأنا سأكفيكم سبعة عشر، وكان للوليد من الولد سبعة عشر ولداً ذكراً.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ[٤] الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وأيضاً ذكر الله سبحانه وتعالى عددهم ليزداد

---

(١)- **سؤال:** يقال: فهل الأولى عدم تعيينه لأن الله أراد به الاختبار للكافرين فيكون مما استأثر الله بعلمه؟ أم كيف؟

الجواب: قد بين الله تعالى أن التسعة عشر هم من الملائكة ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾.

(٢)- **سؤال:** ما فائدة الحصر هذا؟

الجواب: الفائدة منه الرد على جهل قريش أنهم يستطيعونهم، أي: لا بشراً.

(٣)- **سؤال:** فيم أريد اختبارهم؟

الجواب: أريد اختبارهم هل يؤمنون ويصدقون أم سيكون ذكر العدد مثاراً لاستهزائهم وسخريتهم، وفعلاً فقد سخروا واستهزأوا بهذا العدد المذكور فقال قائلهم: اكفوني اثنين وسأكفيكم سبعة عشر.

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في عدم عطف هذه العلة على قوله: «فتنة»؟ ووضحوا لنا معلولها؟

الجواب: قد وجه الزمخشري في الكشاف ذلك بأن المعنى: وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر فوضعت «فتنة» موضع تسعة عشر؛ لأن هذا العدد تسعة عشر سبب للفتنة، وبذلك يرتفع الإشكال.

يقين اليهود والنصارى، وليعرفوا أن القرآن الذي جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حق وصدق؛ لأنه مطابق لما جاء في كتبهم، وكذلك المؤمنون سيزدادون[1] يقيناً إلى يقينهم، وسيزيدهم الله سبحانه وتعالى ثواباً على إيمانهم وتصديقهم بما أخبرهم به ربهم.

﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾[2] وأما أولئك الذين ملأ النفاق قلوبهم والكافرون فسيزيد ذلك من حقدهم وغيظهم على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، واستهزائهم بآيات الله وكفرهم وتكذيبهم.

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[3] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه بسبب هذه الآية وهذا المثل قد ضل ناسٌ وازدادوا بذلك ضلالا إلى ضلالهم، وقد اهتدى بسببها أناسٌ آخرون وازدادوا إيماناً إلى إيمانهم.

---

(١)- **سؤال:** من أي ناحية سيزداد المؤمنون يقيناً؟

الجواب: المراد أن المؤمنين بسبب إيمانهم وتصديقهم بما ذكر الله تعالى من العدد يزدادون إيماناً إلى إيمانهم ويقيناً إلى يقينهم.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾؟ وكيف ساغ لهم إطلاق المثل على هذا الاختبار؟

الجواب: «ماذا» اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لأراد، «الله» فاعل، «بهذا» متعلق بأراد، «مثلاً» حال أي حال كونه مشابهاً للمثل، وإطلاقهم المثل على ما ذكر لمشابهته المثل.

(٣)- **سؤال:** ما وجه إسناد الإضلال إلى الله سبحانه؟ وهل يقتضي قوله: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أن ثم إضلالاً منسوباً إلى الله يشابه هذا الإضلال؟ فما هو الإضلال الآخر؟ أم له مفهوم آخر فما هو؟

الجواب: الإضلال هنا بمعنى الخذلان الذي هو سلب التنوير والتوفيق، وقوله: «كذلك..» الإشارة هي للإضلال المتقدم ذكره في قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١...﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً...﴾ والمراد بأهل هذه الآيات قريش فمثل هذا الإضلال المتعلق بقريش ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ...﴾؛ لذلك فليس في الآية ما يدل على أن ثمة إضلالاً آخر.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ[(١)] رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ فهو وحده المحيط بهم، والعالم بعددهم.

﴿وَمَا هِيَ[(٢)] إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ۝٣١﴾ وهذه السورة إنما جعلها الله تعالى عظة وعبرة ليتذكر بآياتها من أراد أن يتذكر من البشر.

﴿كَلَّا[(٣)] وَالْقَمَرِ ۝٣٢ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۝٣٤﴾[(٤)] ثم أقسم الله سبحانه وتعالى بآياته هذه ليبعث عباده على النظر والتفكر فيها، ولينظروا في آية الليل كيف يدبر ويحل مكانه ضوء النهار، ولينظروا كيف يسطع نور الفجر ويبرز من بين ظلمة الليل.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۝٣٦ لِمَنْ شَاءَ[(٥)] مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ

---

(١)- **سؤال:** هل المراد بهذا أصحاب النار فلماذا أطلق عليهم جنوداً؟

الجواب: كأن المراد أن التسعة عشر الذين هم ملائكة هم من جنود الله وجنود الله تعالى كثيرة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، والتسعة عشر ليسوا إلا بعض جنوده الكثيرة.

(٢)- **سؤال:** هل يصح عود الضمير إلى عدة أصحاب النار؟ وأيضاً هل يصح عوده إلى «سقر»؟

الجواب: يصح عود الضمير إلى اصحاب النار أو إلى «سقر» ولعل العودة إلى سقر أنسب لأنها أعظم ذكرى زاجرة، وصح عوده إلى السورة لكونها مشتملة على الذكرى الزاجرة.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «كلا» هنا؟

الجواب: هي حرف ردع وزجر لمن ينكر سقر وملائكتها.

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في التفريق بين قوله: «إذ أدبر» وقوله: «إذا أسفر» حيث استخدم «إذ» في الأولى «وإذا» في الثانية؟

الجواب: الوجه هو وضوح آية عظمة الله وقدرته في وقت إدبار الليل وذهابه وذلك هو وقت الفجر.

(٥)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «نذيراً» وكذا «لمن شاء»؟

الجواب: «نذيراً» تعرب -كما قال الزمخشري- تمييزاً من «إحدى الكبر» على معنى أنها إحدى الدواهي إنذاراً كما تقول: هي إحدى النساء عفافاً، فيكون «نذيراً» بمعنى الإنذار، وأعربه بعضهم حالاً من الضمير في إحدى الكبر، أي: حال كونها منذرة للبشر، وقيل: حالاً على المعنى كأنه قيل: عظمت نذيراً أي منذرة، وفيها إعراب غير ما ذكرنا، وقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ يعرب بدلاً من قوله: «للبشر» بإعادة الجار.

يَتَأَخَّرَ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴿٣٨﴾﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى على أن آيات[١] هذه السورة من أعظم آياته ومواعظه لعباده، وبعد أن أنذرهم الله سبحانه وتعالى بهذه الآيات أخبرهم أنهم موكولون إلى اختيارهم ومشيئتهم في اختيار أي الطريقين أرادوا، وفي هذا ما ينبئ عن التهديد كقولك لشخص بعد إعذاره وإنذاره: أنت حر فافعل ما شئت فقد أعذرتك وأنذرتك، وستتحمل وزرك على ظهرك. ومعنى «كل نفس بما كسبت رهينة» : كل نفس بما كسبت مرهونة عند الله.

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴿٤٠﴾[٢] عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴿٤٧﴾﴾ ثم استثنى الله سبحانه وتعالى عباده المتقين، فليسوا مرهونين بأعمالهم السيئة بل قد أعد الله سبحانه وتعالى لهم جنات النعيم، ثم أخبر عن حالهم في الجنة بأنهم سيجتمعون فيها مع أصدقائهم وإخوانهم يتساءلون فيما بينهم عما صار إليه المجرمون من العذاب في جهنم، وأنهم سيسألون المجرمين عن سبب دخولهم جهنم؟ فيجيبونهم بأنهم كانوا لا يؤدون ما افترض الله تعالى عليهم من الصلاة والزكاة، وكانوا يخوضون في الباطل والاستهزاء والتكذيب بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبآيات الله تعالى، وإذا رأوا لغواً وباطلاً فإنهم لا ينكرون ذلك بل يخوضون مع فاعليه في باطلهم وغيهم، وكانوا ينكرون البعث والحساب حتى ماتوا على طريقتهم هذه.

---

(١)- **سؤال:** هل يصح أن يعود الضمير في «إنها» إلى سقر التي تقدم الحديث عنها أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: يصح عوده إليها فهي موضع الإنذار في هذه السورة.

(٢)- **سؤال:** ما موضع الجار والمجرور «في جنات»؟ وما محل جملة «يتساءلون»؟

الجواب: «في جنات» في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، وتكون الجملة مستأنفة في جواب سؤال مقدر نشأ عن الاستثناء كأنه قيل: ما شأنهم وما حالهم. وجملة «يتساءلون» في محل رفع أيضاً خبر ثان.

﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴿٤٨﴾﴾[١] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن من مات مصراً على الضلال والباطل فقد استحق العذاب ودخول النار، ولن ينفعه أي صديق أو شفيع، أو يدفع عنه.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴿٥١﴾[٢]﴾ ثم استنكر الله سبحانه وتعالى على قريش إعراضهم عن كل ما يذكرهم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من آيات الله تعالى وهروبهم منه ونفورهم عنه كما تهرب الحمير وتنفر عندما ترى الأسد.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴿٥٢﴾﴾[٣] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن قريش بأنهم أهل كبر وعناد شديد، وأهل استعلاء وترفع على الناس

---

(١)- **سؤال:** هل في الآية هذه دلالة صريحة على أن قاطع الصلاة أو مانع الزكاة لا حظ له في الشفاعة أم كيف؟

الجواب: نعم فيها دلالة على ما ذكرتم وذلك من حيث أن كل واحدة مما ذكر من الخصال موجبة للنار بدليل قوله: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴿٤٦﴾﴾ فإن التكذيب مستقل بوجوب دخول النار، ومن حيث تعدادهم للأسباب كل سبب في جملة مستقلة ولم يقولوا: كنا نفعل كذا وكذا وكذا.

(٢)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم هذه الآيات الثلاث لكان مناسباً؟

الجواب: الفاء عاطفة، «ما لهم» مبتدأ وخبر، «عن التذكرة» جار ومجرور متعلق بمعرضين، و«معرضين» حال من الضمير المجرور في «لهم»، «كأنهم حمر مستنفرة» كأن: للتشبيه تنصب الاسم وترفع الخبر والضمير اسمها، و«حمر» خبرها، و«مستنفرة» صفة لحمر، والجملة في محل نصب حال من الضمير المستكن في معرضين فهي حال متداخلة، «فرت» فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود للحمر، «من قسورة» جار ومجرور متعلق بفرت، والجملة في محل رفع صفة ثانية لحمر.

(٣)- **سؤال:** ما موضع المصدر «أن يؤتى»؟ وعلام نصب «صحفاً»؟

الجواب: موضع المصدر النصب مفعول به لـ«يريد»، «صحفاً» مفعول به ثان ليؤتى، والمفعول الأول هو نائب الفاعل.

حتى أن كل شخص منهم يريد أن يؤتيه الله تعالى بوحي ورسالة. ومعنى «منشرة»: مكشوفة غير مطوية.

﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۝٥٣ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ۝٥٥﴾ ثم زجرهم الله تعالى عما يريدون، وذكر السبب الذي حملهم على الكبر ودعاهم إلى الإصرار على الكفر والتكذيب بآيات الله ورسوله ﷺ فذكر أنه كُفْرُهم باليوم الآخر، وعدم محاذرتهم مما سيقع فيه ثم زجرهم عن عدم مبالاتهم باليوم الآخر، وأخبر أن هذا القرآن تذكرة معروضة لهم فمن شاء أن يتذكر وينتفع بما فيه من العبر والزواجر والمواعظ والوعيد الشديد.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۝٥٦﴾[1] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يستطيع أحد أن يتذكر إلا بمشيئته وإرادته، وقد شاء ذلك عندما أرسل إليهم رسولاً يذكرهم ويرشدهم.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أهلٌ لأن يتقيه العباد ويحذروه، ويخافوا عذابه، وأنه أهْلٌ لغفران ذنوبهم إن أرادوا التوبة والرجوع إليه.

❁❁❁❁❁

---

(١)- **سؤال:** ما موضع ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾؟ ولم فصلت جملة ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ عن سابقتها؟

الجواب: «أن يشاء الله» في موضع جر بالإضافة لأن التقدير: إلا وقت أن يشاء الله أو نصب بنزع الخافض. وفصلت جملة «هو أهل التقوى..» عن سابقتها لكونها تعليلية.

سؤال: ما هي المناسبة في جعل هذه الآية خاتمة للسورة؟

الجواب: المناسبة هي حسم طمع النبي ﷺ وإقناعه من إيمان قريش، وأنها لا تنفع فيهم المواعظ والحجج والآيات والبراهين، وذلك مؤذن بنهاية السورة.

سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ①﴾ أكد الله سبحانه وتعالى قسمه بـ «لا» كما ذكر ذلك الهادي عليه السلام أن «لا» تفيد زيادة التأكيد هنا.

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بيوم القيامة لعظم شأنه، وما له من الخطر العظيم الذي ينبغي أن ينظر المكلفون في شأنه وعظمته؛ ليستعدوا له.

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ②﴾[1] وكذلك أقسم الله سبحانه وتعالى بالنفس التي تلوم صاحبها على التقصير في حق الله تعالى، وما يلزم له من التقوى والطاعة لما فيها من الآية الدالة على عظيم قدرة الله وعلمه وحكمته من جهة كونها تلوم صاحبها عند ارتكابه لمعصية أو اقترافه لخطيئة.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ③ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ④﴾[2] ثم استنكر الله سبحانه وتعالى على الإنسان الكافر كيف يظن أن الله تعالى لن يبعثه

---

(١)- **سؤال:** هل هذه النفس اللوامة موجودة عند كل المكلفين أم لا؟ ولو تفضلتم بإيراد التعليل على ذلك؟ وهل يحصل لومها على كل معصية أم كيف؟

الجواب: النفس اللوامة هي في كل مكلف، وذلك أن فطرة العقل ودواعيه الحكيمة لا تزال تنبه النفس وتدعوها وتصيح عليها وتكشف لها وجه القبح وشناعته وسوء عاقبته فتتأثر النفس وتنكمش وتضيق وتخاف وتخزى ثم تندم وتتوب إلى الله وتعتذر عند من أساءت إليه.

وقد يقال: فما بال أكثر العصاة لا يتوبون ولا يرجعون؟ فيقال: إن نفوسهم تتأثر بداعي الحكمة وتضيق إلا أنهم لشدة رغبتهم وشهوتهم في الحرام يحاربون تلك الدواعي الحكيمة ويهربون منها بالتلهي بما يشغلهم عن ذكرها، ومع ذلك فإن الداعي الحكيم لا يغيب ولكنه يضعف بكثرة المعاصي والجرائم ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ⑭﴾ [المطففين].

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «ألن نجمع» وقوله: «بلى قادرين»؟

الجواب: «أن» مصدرية مسبوكة مع ما بعدها بمصدر منصوب ساد مسد مفعولي يحسب. «بلى» حرف جواب أي: بلى نجمعها. «قادرين» حال من فاعل الفعل المقدر.

بعد الموت؟ وكيف يستبعد أن يحيي الله عظامه بعد أن صارت رميماً، وهو يعلم أنه قد خلقه وأوجده من العدم؟ أليس من قدر على الخلق الأول يقدر على أن يخلقه مرة أخرى؟

والبنان: هي رؤوس الأنامل التي ترتسم فيها البصمات الدقيقة في الأصبع التي تميز كل شخص عن الآخر، فلا يكاد يوجد بصمتان مستويتان على الإطلاق، وفي ذلك دلالة على زيادة الإمكان في القدرة، فإذا قدر الله سبحانه وتعالى على خلق الإنسان مع إعادة خلق بصماته التي كانت في الدنيا فإن ذلك أدل على القدرة لو أنهم نظروا وتفكروا.

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ۝٥﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن هؤلاء المشركين قد عرفوا[(١)] الحق وتيقنوا صحة البعث والحساب، ولكن طبيعتهم التمرد والعناد والاستكبار والإعراض عن آيات الله تعالى فكفروا وجحدوا بيوم القيامة[(٢)].

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ[(٣)] يَوْمُ الْقِيَامَةِ۝٦﴾ ثم يسألون عن موعد حصوله، ولكن سؤالهم ذلك إنما هو سؤال استخفاف واستهزاء واستبعاد.

---

(١)- **سؤال:** هل أخذنا هذا من مدلول «بل» المفيدة للإضراب أم من ماذا؟

الجواب: نعم عرف من ذلك.

(٢)- **سؤال:** لا زال معنى «ليفجر أمامه» ملتبساً علينا؟ وهل المراد بـ«أمامه» ظرف الزمان أي المدة المستقبلة من عمره فلو وضحتم المعنى الدقيق لكان مناسباً؟

الجواب: اللام زائدة مثلها في قوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ [الصف:٨]، أي: يريد الإنسان الفجور والإقامة على الفجور في مستقبله أي: الإقامة على فعل المعاصي والفجور والكفر والتكذيب بيوم القيامة.

(٣)- **سؤال:** ما موضع الجملة الاسمية هذه؟

الجواب: هي في محل نصب مفعول به ليسأل أي: يسأل عن يوم القيامة.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ۝٩ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ[1]۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ۝١١ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ۝١٢﴾[2] يوم القيامة هو اليوم الذي يبعثهم الله فيه من الموت فتلمع[3] أبصارهم مما يرون من الأهوال والأفزاع أمامهم والتي هم مقبلون عليها، وذلك عندما يذهب ضوء القمر، ويختل نظام الكون، وتتهاوى أجرام السماوات، ويجمع بين الشمس والقمر في الزوال والفناء، فعند ذلك سيبحث ذلك المنكر عن المفر والمهرب من هول ما يرى من الأهوال والأفزاع؛ فيزجرون عن طلب المفر والسؤال عن المخرج ويقال لهم: إنه لا ملجأ لهم ولا مفر ولا مهرب، وهذا هو يوم الرجوع إلى الله للجزاء والحساب.

﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ۝١٣﴾[4] وعند ذلك ستكون صحيفته منتظرة له ليستلمها ويحاسب على ما كتب فيها من أعماله صغيرها وكبيرها.

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ۝١٥﴾ أراد الله سبحانه

---

(١)- **سؤال:** مم أخذت «برق»؟ وما نوع اسمية «المفر»؟

الجواب: أخذت من البريق وهو اللمعان من شدة شخوصه ونظره إلى المخوف حيث أن الشاخص يفتح عينيه ولا يغمضهما من شدة الهول، و«المفر» اسم مكان من: فرَّ يفر.

(٢)- **سؤال:** هل جملة «إلى ربك يومئذ المستقر» ابتدائية بيانية؟ أم ماذا؟

الجواب: الجملة تعليلية لما قبلها.

(٣)- **سؤال:** لم يظهر لنا معنى لمعان أبصارهم فكيف هو؟

الجواب: بسبب أن الشاخص يفتح عينيه عند النظر إلى المخوف فلا يغمضهما فيبقى اللمعان ظاهراً.

(٤)- **سؤال:** هل يطلق التقديم على ما عمل الإنسان من خير وشر والتأخير على تركه للفرائض أم التقديم على عمل الخير والتأخير على عمل الشر فما وجهه؟

الجواب: قد قالوا في تفسير ذلك عدة أقوال، والذي أراه مناسباً أن «ما قدم» هو ما قدمه من شر ونسيه لطول العهد به، «وأخر» بما عمله من شر في آخر عمره.

وتعالى بذلك في يوم القيامة فإن الإنسان سيحكم[(١)] على نفسه بنفسه عندما يرى صحيفة أعماله ماثلة أمامه، ويعلم أنه لا ينفعه الإنكار أو الاعتذار: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء].

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ[(٢)] ۝ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[(٣)] كان جبريل عليه السلام ينزل بالوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقرأ عليه القرآن فيردد بعده النبي صلى الله عليه وآله وسلم خوفاً من أن ينساه، فنهاه

(١)- **سؤال:** يقال: ولم أنث «بصيرة»؟ ومم أخذت لفظة «بصيرة»؟ وهل يؤخذ منها أن الإقرار على النفس يلزم الإنسان أم أنها مخصصة في يوم القيامة كما قد يفهم من كلامكم؟

الجواب: يقال: بصيرة بمعنى حجة فتكون التاء للتأنيث، ويصح أن تكون التاء للمبالغة «بصيرة» أي: بصير بمعنى شاهد، وعليهما فيؤخذ منها أن المقر يؤخذ بإقراره فقوله على نفسه حجة، والآية وإن كانت واردة في ذكر يوم القيامة إلا أنها عامة غير مقيدة بزمان ومستقلة في إفادة المعنى غير مرتبطة بمعنى آخر.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بـ«قرآنه» في قوله: ﴿جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ﴾ الاسم أم المصدر فيكون المعنى هكذا: أن نجمعه وأن نقرأه؟ أم ماذا؟

الجواب: المراد المصدر أي: إن علينا جمعه في صدرك وإثبات قراءته على لسانك.

(٣)- **سؤال:** ما الذي نستفيده من قوله: «ثم إن علينا بيانه»؟

الجواب: يستفاد من ذلك:

- أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان -أيضاً- يستعجل السؤال عن ما أجمل أو أبهم عندما يتلو عليه جبريل عليه السلام الوحي.
- أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من بيان لمجمل أو لمبهم أو تخصيص أو تقييد أو.. إلخ أن ذلك بوحي من عند الله.
- أنه لا يصح أن يكتفي المسلم بالقرآن وحده؛ إذ لا بد من الرجوع إلى بيانه الذي أوحاه الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم المدلول عليه في هذه الآية بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.
- وقد استدلوا بها على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب، ونحن نقول بجواز تأخيره عن وقت الخطاب، وأما تأخيره عن وقت الحاجة فلا يصح، ووقت الحاجة هو الوقت الذي يؤمر فيه المكلفون بفعل أمر مجمل كأقيموا الصلاة، فلا يصح أن يكلفهم الله تعالى بالصلاة من غير أن يبين لهم كيفيتها لأن ذلك يكون تكليفاً بما لا يطاق.

الله تعالى أن يحرك لسانه ويقرأ مع جبريل، وأمره أن يتأنى حتى يكمل جبريل قراءته، وأخبره أنه الذي سيعينه على جمعه في قلبه وحفظه.

واستعجال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الترديد مع جبريل عليه السلام إنما هو من حرصه الشديد على حفظه وعدم نسيانه. ومعنى «بيانه» : توضيح ما أشكل من معانيه.

﴿كَلَّا(1) بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ۝٢٠ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ۝٢١﴾ ثم رجع الله سبحانه وتعالى إلى خطاب المشركين فأخبرهم بأن ما هم فيه من متاع الدنيا إنما هو لحرصهم الشديد على الدنيا وحبهم لها، وميلهم إلى شهواتها ولذاتها، مما جعلهم يتركون أمر الآخرة وراء ظهورهم، غير ملتفتين إلى ما ينتظرهم من الثواب والعقاب فيها.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ۝٢٢ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ۝٢٤ تَظُنُّ(2) أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ۝٢٥﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال عباده يوم القيامة في أرض المحشر بأنهم سينقسمون قسمين فقسم منهم سيكونون منتظرين(3) لرحمة الله تعالى وثوابه، ووجوههم في غاية الإشراق والنضارة، وقسم منهم سيكونون في غاية البؤس ووجوههم كالحة عابسة؛ لما ينتظرهم من العقاب وما سيحل بهم من العذاب. والفاقرة: الداهية العظيمة.

---

(١)- **سؤال:** ما يكون معنى «كلا» هنا؟ وما الذي تفيدنا «بل» أيضاً في الآية؟

الجواب: «بل» للانتقال من موضوع إلى موضوع آخر، و«كلا» للتنبيه أو بمعنى «حقاً» إذ لم يسبقها ما ينبغي الردع لفاعله وزجره عنه، إلا إذا قلنا إنه راجع إلى قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ۝٥ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ۝٦﴾ فتكون «كلا» للردع والزجر.

(٢)- **سؤال:** هل الظن في قوله: «تظن» بمعنى العلم واليقين أم أنه على بابه؟

الجواب: الظن بمعنى العلم.

(٣)- **سؤال:** ما القرائن التي تدلنا على أن «ناظرة» بمعنى منتظرة، وأن هناك محذوفاً مضافاً هكذا: إلى رحمة ربها؟

الجواب: القرينة قوله تعالى في أهل النار: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ۝٢٤ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ۝٢٥﴾ أي: كالحة منتظرة للعذاب، فهذه المقابلة قرينة، يضاف إليها استحالة رؤية الباري عز وجل.

﴿كَلَّا[١] إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ[٢]۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ۝٢٨ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ۝٢٩ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ۝٣٠﴾ كان المشركون ينكرون البعث والحساب أشد الإنكار، فأجاب الله سبحانه وتعالى عليهم بأن ينتظروا حتى تحين ساعة الموت وانتزاع الروح؛ كيف سيكون حال أحدهم حينها وهو يسمع من بجنبه يتشاورون في البحث عن طبيب[٣] يطبه ويعالجه، ولكنه قد أيقن أن الطبيب لن ينفعه، وأن ساعته قد حانت، ونهايته قد أوشكت، وحان فراق الأهل والأحباب، فيلفون[٤] رجليه ويربطونه من ساقيه، وحان موعد رحيله إلى ربه، فإما إلى رحمته وإما إلى عذابه. ومعنى «بلغت التراقي» : وصلت الروح إلى الترقوة (أعلى الصدر).

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى۝٣١ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى۝٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى۝٣٣﴾[٥] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال ذلك المنكر للبعث والحساب

---

(١)- **سؤال:** هل «كلا» هذه كالتي سبقتها أم لا؟ فما معناها؟

الجواب: هي كسابقتها، ويمكن أن تكون للردع والزجر عن فعل ما يوجب الفاقرة.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «من راق»؟ وهل جواب الشرط قوله: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ۝٣٠﴾ فلم حذفت الفاء منه؟ أم غيره فما هو؟

الجواب: «من راق» مبتدأ وخبر، «إلى ربك يومئذ المساق» دليل الجواب، وليس هو الجواب، والتقدير: إذا بلغت التراقي وقيل... تساق إلى ربها، أو يكون الجواب مبهماً لتهويل ما يحصل عند نزول الموت أي: كان ما لا تبلغ العبارة وصفه من الأهوال المفاجئة.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في التعبير بالراقي عن الطبيب؟

الجواب: «راقي» اسم فاعل من رقى يرقى أي: يطبّ ويداوي.

(٤)- **سؤال:** هل يمكن حمل التفاف الساق بالساق على انضمام شدة إلى شدة في ذلك المقام؟ أم أن الأولى حملها على ظاهرها؟

الجواب: الأولى حملها على ظاهرها؛ لأن ما تقدمها من الصفات في كيفية الاحتضار وبلوغ التراقي وطلب الراقي فالمناسب أن يذكر الموت بعد ذلك الذي دل عليه بذكر التفاف الساق بالساق.

(٥)- **سؤال:** ما الوجه في قوله: «إلى أهله»؟ وما محل جملة «يتمطى»؟

=

كيف ستكون في ذلك الوقت؟ وقد كان صاحبها مكذباً معرضاً تاركاً لما افترضه الله عليه من أداء الصلوات وغيرها من الواجبات متبختراً مستكبراً معجباً بما هو فيه من العافية والقوة. ومعنى «يتمطى»: يستكبر ويتعالى على الله سبحانه وتعالى، ولا يستجيب لأمره.

﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى۝٣٤(١) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى۝٣٥﴾ حقيق بالكافر الذي لا آمن ولا صلى ولكن كذب وتولى أن يدعى عليه بأن يليه من المكروه ما يسوؤه.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى۝٣٦﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى على المنكر للبعث والحساب كيف يظن أن الله سبحانه وتعالى سيتركه بعد موته مهملاً وينتهي كل شيء، فبئس هذا الظن الذي يظنه، فلا حياة على الحقيقة إلا ما بعد الموت.

﴿أَلَمْ(٢) يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى۝٣٨ فَجَعَلَ(١)

الجواب: الوجه أن تبختر المذكور في هذه الآية وتمطيه يكون بعد اجتماعه بقومه وبعد تعرضه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتكذيب والاستهزاء والسخرية فيرى أنه بسخريته وتكذيبه وتعاليه قد صنع أمراً عظيماً فيعود إلى بيته منتفخاً متنشياً يتمطى في مشيته ويتبختر فيها. ومحل جملة «يتمطى»: النصب على الحالية.

(١)- **سؤال:** تكرموا بتحقيق القول في «أولى لك»؟ وممَ أخذت هذه اللفظة؟ وهل اتضح لكم ذلك المأخذ؟ وهل أردتم الجمع بين المعنيين عندما قلتم: حقيق بالكافر...، وبأن يليه من المكروه؟ أم ماذا؟

الجواب: التفسير جاء بناءً على أن «أولى لك..» اسم فعل بمعنى: وليك من المكروه ما يسوء، واسم الفعل لا يطلب له مأخذ. وقيل: إنه أفعل تفضيل من الولي وهو القرب: وليك يليك، فيكون خبر مبتدأ محذوف أي: العقاب أو الهلاك أولى لهم، أي: أقرب وأدنى، وقيل: إن «أولى» بمعنى «ويلاً» أي: أنه مصدر، وقيل: إنه فعل ماض بمعنى: قاربك المكروه، وقيل: إنه مقلوب: «ويلاً».

(٢)- **سؤال:** ما معنى الاستفهام هنا؟ وهل هو نفس الاستفهام الثاني «أليس ذلك...» أم لا؟

الجواب: الاستفهام لتقرير ما بعد النفي، وكذلك الاستفهام الثاني.

مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾(٢) فلماذا لا ينظر هذا المنكر ويتفكر في بداية خلقه كيف خلقه الله تعالى من النطفة ذلك الماء المهين الذي يراق في الرحم، ثم تحولت تلك النطفة بقدرته إلى بشر سوي إما ذكراً وإما أنثى؟ فلماذا يستبعد قدرة الله تعالى على بعث الموتى، وقد قدر على خلق الإنسان وإحيائه؟



---

(١)- **سؤال:** هل يمكن أن تكون هذه الآية دليلاً على بطلان ما يقال بأنه إن غلب ماء المرأة ماء الرجل كان الجنين أنثى والعكس في العكس؟

الجواب: هذه الآية تدل على أن الإنسان يخلق من ماء الرجل، إلا أن آية سورة الإنسان: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان:٢]، تدل على أنه مخلوق من نطفة مختلطة من الرجل والمرأة، وكأن العلم الحديث يثبت أنه من الحيوان المنوي الذي من الرجل عندما يلتقي ببويضة المرأة، والله أعلم.

(٢)- **سؤال:** هل في هذه الآيات دليل على إثبات القياس العقلي الذي يستخدمه أهل علم الكلام؟ وهل يصح استخدامه في إثبات صفات الله وما يجوز عليه منها وما لا يجوز أم لا؟ ولماذا؟ وكيف يصح أن نستدل بها على إثبات القياس الشرعي الذي يعتبر الدليل الرابع؟

الجواب: نعم فيها دليل واضح على إثبات القياس العقلي، ولا يحتاج إثباته إلى دليل؛ لذلك احتج الله تعالى على المشركين به؛ لأنهم لا يقدرون على رده، ولا يسعهم إنكاره، ويصح الاستدلال به في أصول الدين وغيره. وتدل الآية أيضاً على إثبات حجية القياس الشرعي مع أنه لا داعي للاستدلال على حجته؛ لأن العقل يحكم قبل ورود الشرع بالعمل به، ألا ترى أن الطبيب لو أمر المريض مثلاً بترك أكل العنب والعسل لأنه حَالٍ أو بسبب حلاوتها؛ فإن العقل يدرك أن التمر والسكر مثل العنب والعسل.

سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ[١] أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا۝١﴾ قد أتى على الإنسان وقت طويل، ومضى عليه دهر وزمان لم يكن فيه شيئاً يذكر ثم كان بعد أن لم يكن، ووجد من بعد العدم.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ[٢] نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا۝٢﴾ خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وأوجده بعد العدم من النطفة المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد خلق الإنسان في الدنيا ليختبره بالتكاليف والشرائع هل سيطيع ربه أم يتمرد عليه؟ وذلك بعد أن أعطاه[٣] القدرة

---

(١)- **سؤال:** يقال: قد نص كثير من علماء التفسير والإعراب بأن «هل» هنا بمعنى «قد» لكن هل لأنه ثبت لغة أن «هل» تحل محل قد في مثل هذا الموضع؟ أم لأنه استفهام تقريري بمعنى «قد» فلعله لا يوافق ضابط الاستفهام التقريري فكيف؟

الجواب: ذهب الزمخشري إلى أن «هل» أبداً بمعنى قد، وأن الاستفهام بهمزة مقدرة «أهل». ولا مانع من أن تكون للاستفهام التقريري أي: طلب الإقرار بما بعدها كما أن التقرير في قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ۝١﴾ [الشرح]، إنما هو لما بعد النفي.

(٢)- **سؤال:** ما نوع اسمية «أمشاج»؟

الجواب: «أمشاج» جمع مشج أو مشيج يقال: مشجت الشيء إذا خلطته والمراد مجموع مني الرجل والمرأة، ولكل منهما أجزاء، فالمراد أن النطفة التي يخلق منها الإنسان مكونة من أجزاء مختلفة.

(٣)- **سؤال:** هل ترون أن في الآية تقديماً وتأخيراً فموضع «نبتليه» بعد قوله: «سميعاً بصيراً» أم كيف؟ وما إعراب «نبتليه» مما يتوافق مع معناه فهي تشكل كثيراً؟

الجواب: لا داعي لما ذكرتم من التقديم والتأخير فالمعنى مستقيم على ظاهر الترتيب في الكلام، و«نبتليه» جملة حالية من فاعل «خلقنا» أي: مبتلين له والحال مقدرة، ويصح أن تكون الجملة استئنافاً بيانياً لبيان الحكمة والعلة في خلقه تعالى للإنسان، وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا۝٢﴾ معطوف على ما قبله عطف المسبب على السبب أي: أن خلق الإنسان للابتلاء والاختبار سبب وعلة لجعله سميعاً وبصيراً.

على ذلك، وجعل له من السمع والبصر والعقل ليؤدي ما كلف به من طاعة الله.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ(١) إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا۝﴾(٢) وقد كلفه الله سبحانه وتعالى ودله على طريق الهدى والصواب، فانقسم الناس قسمين فمنهم من أدى حق شكره بما افترض عليه من الطاعات، ومنهم من كفر بالله تعالى وجحد بآياته وأعرض عنها.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا۝﴾(٣) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه قد أعد لأولئك الذين كفروا وجحدوا –بعد أن هداهم ودلهم على الطريق المستقيم– العذاب الشديد في نار جهنم يقيدون فيها بسلاسل من نار، ثم يسحبون فيها على وجوههم.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ(٤) كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا۝ عَيْنًا(٥) يَشْرَبُ بِهَا

---

(١)- **سؤال:** هل السبيل اسم جنس محلى بالألف واللام فيفيد العموم ويصدق على أن الله قد بين طريق الضلال وتوافق آية البلد: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ۝﴾، أم كيف؟

الجواب: يصح كون اللام للجنس كما ذكرتم أي: بينا له طريق الحق والباطل والهدى والضلال والإيمان والكفر، ويصح أن تكون للعهد الذهني أي: سبيل الهدى بما أنزله من الحق على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما هو الإعراب لـ«شاكراً وكفوراً» بما يوافق المعنى؟

الجواب: «شاكراً» حال من الهاء أي: هديناه في حاليه، أي: حال شكره وحال كفره، أو هديناه حال كونه منقسماً إلى شاكر وكفور، والتفسير للآية هو مبني على المعنى.

(٣)- **سؤال:** ما الفرق بين السلاسل والأغلال حين عطف إحداهما على الأخرى؟

الجواب: السلاسل: هي من حديد منها ما ذكر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ۝﴾ [الحاقة]، والأغلال: هي من حديد تغل به الأيدي إلى الأعناق وهي قصيرة.

(٤)- **سؤال:** هل المراد بـ«كأس» الخمر أم الزجاجة نفسها؟

الجواب: المراد بها الخمر فلا يقال: كأس، إلا لما فيه خمر.

(٥)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «عيناً» وهل الباء في «بها» بمعنى «من» أم ماذا؟

الجواب: «عيناً» بدل من «كافوراً». والباء للآلة أي: يشربون الكأس بالكافور أي: جعل كالآلة للشرب.

عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴿٦﴾﴾[١] وأما الذين شكروا الله سبحانه وتعالى وانقادوا لما أمرهم به واستجابوا لأنبيائهم ورسلهم فقد أعد الله سبحانه وتعالى لهم النعيم الدائم في جنات النعيم يأكلون ويشربون ويتمتعون، وقد خص الله تعالى الكافور هنا لما كان العرب يستطيبونه ويتلذذون برائحته بين شرابهم، وإلا ففيها غير ذلك من أنواع الملذات والمشروبات التي لا تخطر ببال، وقد أعطاهم الله سبحانه وتعالى عيناً في الجنة يفجرونها بأيديهم، ويتنعمون بالشرب منها.

﴿يُوفُونَ[٢] بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى[٣] حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا[٤] يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴿١٠﴾﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى السبب فيما أعد لهم من النعيم: وهو أنهم كانوا يوفون بنذورهم

---

(١)- **سؤال:** ما محل جملة «يفجرونها تفجيراً»؟ ولم فصلت عن التي قبلها؟

الجواب: جملة «يفجرونها تفجيراً» حال من «عباد الله» لذلك كانت مفصولة.

(٢)- **سؤال:** هل هذه الجملة استئنافية بيانية أم ماذا؟

الجواب: نعم هي استئناف بياني في جواب سؤال مقدر.

(٣)- **سؤال:** هل «على» هنا بمعنى «مع» أو حالة محلها ولماذا؟ وما الإعراب الدقيق في قوله: «الطعام»؟

الجواب: «على» هي بمعنى «مع» أي: مع حب الطعام، أو بمعنى اللام إذا قدرنا الضمير لله أي: لحب الله، و«الطعام» مفعول به ثان ليطعمون أي: الخبز ونحوه.

(٤)- **سؤال:** هل جملة «إنما نطعمكم» في محل نصب مقول قول محذوف؟ وما السر في فصل جملة «لا نريد منكم جزاءً» عنها؟ وأيضاً ما وجه فصل جملة «إنا نخاف من ربنا» مع إمكان وصلها؟ وما موضع «من ربنا» الإعرابي؟

الجواب: «إنما نطعمكم لوجه الله..» في محل نصب مقول لقول محذوف، وفصلت جملة «لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً» عنها لكونها بمنزلة البدل مما قبلها، وفصلت جملة: «إنا نخاف من ربنا» لكونها تعليلاً لما قبلها، ومحل «من ربنا» النصب حالاً من «يوماً عبوساً...».

ويخافون يوم القيامة وما فيه من الشرور الفاشية المتسعة، وقد روي أنها نزلت في علي وفاطمة عليهما السلام وجارية لهم كان اسمها فضة نذروا لله بصيام فوفوا بنذرهم ذلك على الرغم مما نزل بهم من البلوى في طعامهم، وكان قد جاءهم مسكين يطرق بابهم في اليوم الأول فأعطوه عشاءهم تلك الليلة، وتركوا أنفسهم من دون زاد، وفي اليوم الثاني أتاهم يتيم كذلك فتصدقوا عليه بعشاء تلك الليلة وباتوا صياماً من دون زاد، وفي اليوم الثالث طرق بابهم أسير جائع فآثروه بعشاء تلك الليلة فباتوا الليلة الثالثة من دون زاد، فمضى عليهم ثلاث ليال وصاموا ثلاثة أيام من دون زاد فأثنى الله سبحانه وتعالى عليهم ومدحهم إذ آثروا على أنفسهم وتصدقوا بطعامهم خالصاً لوجه ربهم، متقربين إليه ليدفع عنهم شر يوم القيامة وأهواله. والعبوس: هو الشديد الذي تكلح فيه الوجوه لشدته، والقمطرير[1]: مبالغة في الشدة.

﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾[2] فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد قبل منهم صدقتهم وقربتهم، وأنه قد وقاهم شر ذلك اليوم، وسيجعل لهم نوراً يستضيئون به يوم القيامة، وسروراً وجمالاً في وجوههم، وأنه سيجازيهم على صبرهم ذلك بالنعيم الدائم في الجنة.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا[3] ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً

---

(١)- **سؤال:** مم أخذت هذه اللفظة؟

الجواب: قال الزجاج: يقال: قمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قُطريها أي: جانبيها فعلى هذا فلفظة «قمطريراً» مأخوذة من القُطر الذي هو الجانب بزيادة الميم. هذا معنى كلامه.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «بما صبروا»؟ وما وجه عطف «حريراً» على جنة؟

الجواب: الباء حرف جر، و«ما» مصدرية مسبوكة مع ما بعدها بمصدر أي: بصبرهم، و«حريراً» مفعول به لفعل محذوف أي: وألبسهم حريراً فهو من عطف الجمل مثل قوله: علفتها تبناً وماءً بارداً، أي: وسقيتها ماءً بارداً.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «متكئين»؟ وما محل جملة «لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً»؟ وعلام عطف قوله: «ودانية»؟

=

عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ[1] قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ ثم وصف الله سبحانه وتعالى ذلك النعيم الذي سيعطيهم في الجنة بأنهم سيتلذذون بأطيب المآكل والمشارب، وسيأكلون من أطيب الفواكه والثمار التي قد تدلت ودنت إليهم يتناولونها بأيديهم، ويقطفونها وهم جالسون على أرائكهم ومقاعدهم من دون تعب أو مشقة تلحقهم، وقد سخر الله سبحانه وتعالى لهم الغلمان الذين يقومون على خدمتهم، ويغدون ويروحون عليهم بأنواع المأكولات والمشروبات التي يقدمونها لهم في آنية الفضة، ويسقونهم أنواع الشراب في كؤوس من فضة قد قدرها الغلمان لهم على قدر ري الشاربين وشهوتهم. والزمهرير : هو شدة البرد.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا[2] ﴿١٧﴾ عَيْنًا[3] فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ ذكر الله سبحانه وتعالى الزنجبيل؛ لأن العرب كانت تستطيبه وتتلذذ به، يخلط به شرابهم الذي أعد لهم من عين في الجنة تسمى سلسبيلا.

الجواب: «متكئين» حال من الضمير المنصوب في جزاهم، وجملة «لا يرون فيها..» في محل نصب حال أخرى من الضمير المنصوب أيضاً، «ودانية» معطوف على «متكئين» أو على محل «لا يرون فيها». وفائدة العطف بالواو في «ودانية» هي الجمع بين الاتكاء ودنو الظل أي: حال كونهم جامعين بين الاتكاء والظل.

(١)- **سؤال:** ما إعراب «قواريرا من فضة»؟ وهل تطلق القوارير على غير الزجاج لغة حتى جعلها من فضة أم كيف؟

الجواب: القارورة: إناء صاف توضع فيه الأشربة؛ لذلك صح إطلاقها على ما صفي من الفضة مثل صفاء الزجاج. و«قواريرا من فضة» بدل من «قواريرا».

(٢)- **سؤال:** هل تتنوع لهم الكؤوس من الممزوجة بالزنجبيل إلى الممزوجة بالكافور أم كيف؟

الجواب: تدل هذه الآية والآية الأولى على تنوع الكؤوس بالكافور مرة وبالزنجبيل أخرى.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب «كأساً» و«عيناً»؟

الجواب: «كأساً» مفعول به، و«عيناً» بدل من «كأساً».

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ۝١٩﴾ ويدور على خدمتهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المنثور في أوساطهم من عظمة جمالهم وصفاء خلقتهم. ومعنى التخليد في حقهم: هو كونهم محلون تحلية تزينهم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ[1] رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾ وإذا جلت بنظرك هنا وهناك في أرجاء الجنة فإن عينك لن تقع إلا على الملك الواسع والنعيم الذي أعده الله تعالى لأهل الجنة.

﴿عَالِيَهُمْ[2] ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ[3] وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ۝٢٢﴾ وقد ألبسهم الله سبحانه وتعالى فيها أفخر الثياب من الحرير السندس والإستبرق، الخفيف والغليظ، وقد حلاهم بأساور الفضة جزاءً على سعيهم في الدنيا بالأعمال الصالحة وجِدِّهم في طاعة الله، وإيذاناً بقبول أعمالهم هذه.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنْزِيلًا ۝٢٣ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝٢٤﴾[4] ثم خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره أن

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب «ثَمَّ» وأين جواب الشرط في الآية؟

الجواب: «ثم» ظرف مكان، وقوله: «رأيت نعيماً» هو جواب الشرط.

(٢)- **سؤال:** ما وجه فتح «عاليَهم»؟ وما وجه عدم فتحه في قراءة قالون؟

الجواب: «عاليهم» بفتح الياء ظرف مكان مثل «فوقهم». و«عاليْهم» بإسكان الياء اسم فاعل مبتدأ وثياب خبره، وبالفتح: خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر.

(٣)- **سؤال:** لِـمَ لم يعطف الإستبرق على السندس؟ وما إعراب: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾؟

الجواب: عطف الإستبرق على «ثياب..» لأنها هي السندس فالإضافة بيانية ولو عطف على السندس لجاز. و « حلوا » فعل ماضٍ مغير صيغة، و «الواو » نائب الفاعل، و « أساور » مفعول به، ويجوز أن يكون نصبه على نزع الخافض، و « من فضة » جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ« أساور » .

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في المغايرة بين الآثم والكفور؟

الجواب: وجه المغايرة هو كون الكفور أوغل في الإثم من الآثم، فالأول عام والثاني خاص.

حكمته اقتضت أن ينزل عليه القرآن شيئاً[١] فشيئاً، وأن لا ينزله عليه دفعة واحدة؛ وأمره أن يصبر على أذى قومه واستهزائهم في سبيل تبليغ الرسالة والوحي الذي ينزل عليه، وأن لا يبالي بهم ولا بتهديداتهم ولا يترك ما أمر به من تبليغ رسالة الله إليهم.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا۝٢٥ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا۝٢٦﴾ وداوم على ذكر ربك وأداء ما افترض عليك من الصلوات، والبكرة: هي صلاة الفجر، والأصيل : هي صلاة الظهر[٢] والعصر، ومن الليل: أراد الله سبحانه وتعالى بها صلاة المغرب والعشاء.

وأراد بقوله «سَبِّحْهُ»[٣]: داوم على أداء النوافل التي أمرك الله سبحانه وتعالى بها في الليل، وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بذلك ليستعين به[٤] على أمره.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا۝٢٧ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ

---

(١)- **سؤال:** من أين استفدنا هذا؟

الجواب: استفيد ذلك من تضعيف الفعل «نزَّل» فإنه يدل على أن إنزال القرآن كان شيئاً فشيئاً، وقد جاء بيان الحكمة من ذلك في سورة الإسراء.

(٢)- **سؤال:** يقال: كيف يطلق الأصيل على صلاة الظهر وهو قبيل غروب الشمس؟

الجواب: يصح ذلك من حيث أنها تصح فيه صلاة الظهر والعصر، أو أن تسمية ما بعد الزوال بالأصيل من باب تسمية الشيء باسم جزئه.

(٣)- **سؤال:** هل قوله: «وسبحه» متعلق بما قبله «ومن الليل»؟ أم بما بعده «ليلاً طويلاً»؟

الجواب: هو متعلق بما بعده، فليلاً ظرف لسبحه.

(٤)- **سؤال:** هل المراد ليستعين بالنوافل على تبليغ الرسالة أم الضمير في «به» عائد إلى الباري سبحانه؟

الجواب: المراد ليستعين بالصلوات على تبليغ رسالة ربه، وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة:٤٥]، وفي هذه السورة أتبع الله تعالى الأمر بالصبر الأمر بالصلاة، وهكذا في آخر سورة (ق).

وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ[١] تَبْدِيلًا﴿٢٨﴾﴾ وأخبره أن قومه هؤلاء قد آثروا الحياة الدنيا، وانجروا وراء شهواتها وزينتها معرضين عما ينتظرهم من الموت، وعما وراءهم[٢] من البعث والحساب والجزاء، ولكنهم لن يستطيعوا أن يفروا من قبضة الله تعالى، ومرجعهم سيكون إليه، ومتى أراد أن يأخذهم فلن يفوتوه، ولو أراد أن يأخذهم بذنوبهم لأخذهم واستبدل بهم قوماً غيرهم أفضل منهم؛ أراد الله سبحانه وتعالى بكل ذلك من نبيه ﷺ أن لا يستعجل نزول العذاب على قومه فهم في قبضته وتحت سيطرته، ومعنى «يوماً ثقيلاً» : شديد الأهوال والأفزاع. ومعنى «وشددنا أسرهم»: أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ[٣] اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴿٣٠﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد أنزل هذه السورة تذكرة لمن أراد أن يتذكر بآياتها ويطلب سبيل الهدى، وأخبرهم أنهم مهما حاولوا في طلب الهدى ومهما بحثوا عنه فلن يستطيعوا أن يهدوا أنفسهم لولا مشيئة الله أن يهديهم وحكمته التي اقتضت أن يبعث لهم الأنبياء الذين يدلونهم على مراشد دينهم، ويبصرونهم طريق الحق والهدى.

---

(١)- **سؤال:** ما وجه نسبة التبديل إلى أمثالهم لا إليهم أنفسهم؟

الجواب: الأصل: وإذا شئنا بدلناهم بأمثالهم فأوجز بحذف المفعول به، ووضع مكانه أمثالهم أي: كأنه حذف المفعول به الأول لعدم الإلباس.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بقوله: «وراءهم» أمامهم مجازاً والعلاقة الضدية؟ أم كيف؟

الجواب: «وراءهم» في هذه الآية مستعملة في معناها الحقيقي، وذلك أن الآخرة بعد الدنيا وخلفها ووراءها.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما موضع «أن يشاء الله» من الإعراب؟

الجواب: موضعها الجر بالإضافة؛ لأن التقدير: إلا وقت أن يشاء الله، أو حال أن يشاء الله، ولك أن تقول: إنه منصوب بنزع الخافض.

﴿يُدْخِلُ[١] مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ[٢] لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴿٣١﴾﴾[٣] ومن مقتضى علمه وحكمته أن أرسل إليكم رسولاً يدلكم على الهدى، ويرشدكم إلى طريق الصواب، ويحذركم وينذركم عذابه وسخطه، فمن قبل أدخله في رحمته، ومن أعرض فقد ظلم نفسه وعرضها لغضبه وسخطه.



---

(١)- **سؤال:** مقتضى كلامكم أن هذه الجملة استئنافية بيانية أليس كذلك؟ أم أن لها محلاً آخر فما هو؟

الجواب: الأمر كذلك فهي استئناف بياني.

(٢)- **سؤال:** هل في قوله: «والظالمين أعد لهم.. إلخ» قرينة على أن المراد بمن يشاء غير الظالمين وذلك المؤمنون المتقون أم كيف؟

الجواب: في ذلك قرينة واضحة ودليل قوي.

(٣)- **سؤال:** ما مناسبة جعل هذه الآية خاتمةً للسورة؟

الجواب: في الآية ما يشير إلى تمام السورة ونهايتها وذلك من حيث أن الغاية من الرسالة ومن القرآن ومن هذه السورة هو أن يدخل الله في رحمته وجنته المطيعين ويعذب الظالمين.

سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا[1]۝١ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا۝٢ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا۝٣﴾ المرسلات هي الملائكة، أقسم الله سبحانه وتعالى بالملائكة التي يرسلها لتنفيذ أمره مصفوفة كهيئة عرف الفرس، ثم أقسم بالرياح التي تعصف بالسحاب وتقلبه وتسيره، والناشرات هي الرياح أيضاً التي تنشر السحاب وتفرقه على البلدان، وقد تكون العاصفات والناشرات هي الملائكة التي تعصف السحاب وتنشره وتفرقه على العباد.

﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا۝٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا۝٦﴾[2] والفارقات هي الملائكة التي تفرق بين الحق والباطل بما تحمله من الذكر، والملقيات ذكراً هي الملائكة التي تنزل بالوحي وتلقيه على الأنبياء لتبليغ الناس وتحذيرهم عقاب الله تعالى وغضبه وسخطه.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «عرفاً»؟ وما وجه تشبيه الملائكة بعرف الفرس؟ وهل يصح حمل المرسلات أيضاً على رياح العذاب لمناسبتها للعصف المذكور فيما يليها أم لا؟

الجواب: «عرفاً» حال أي: حال كونها تشبه عرف الفرس ووجه الشبه بعرف الفرس هو كون بعضها متصل ببعض وفي أثر بعض، ويصح تفسير المرسلات بالرياح أو بالسحاب، وقد فسرت بجميع ذلك، وفي تفسير الهادي أنها السحاب.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «ذكراً عذراً أو نذراً»؟ وما نوع اسمية «عذراً» وكذا «نذراً»؟ وما وجه التفرقة بين عذراً ونذراً بحرف العطف «أو» مع أن الإنذار يؤول إلى الإعذار؟

الجواب: «ذكراً» مفعول به، «عذراً أو نذراً» مفعول من أجله، وهما مصدران من الثلاثي «عذر ونذر» وهذا على إسكان الوسط، أما بضم الوسط فهما جمع عذير ونذير، وعليه فيكونان حالين. وجيء بحرف التخيير «أو» لأن الإعذار للمحقين والإنذار للكافرين، ولا يجتمع الإعذار والإنذار في واحد منهما.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ۝٧﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى لعباده بما ذكر أن ما يعدهم من البعث والحساب حق وصدق ولا بد أن يقع، وأن أولئك المنكرين للبعث والجزاء لا بد أن يبعثوا بعد الموت للحساب والجزاء.

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ۝٨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ۝٩ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ۝١٠ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ[١]۝١٢ لِيَوْمِ الْفَصْلِ۝١٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ۝١٤﴾ وموعد وقوع البعث هو عندما يطمس الله تعالى النجوم ويمحو ضوءها، وعندما تتشقق السماء وتتهاوى أجرامها، وتتفجر الجبال حتى تصير كالهباء، فحينها سيجمع الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله عليهم السلام في عرصات أرض المحشر ليشهدوا على أممهم.

وفي الاستفهام عن ذلك اليوم معنى التفخيم لشأنه والتهويل لأمره إذ سيجمع الله تعالى فيه الأولين والآخرين، وسيعرض أعمال جميع المكلفين، ثم يحكم بينهم فيما كانوا قد اختلفوا[٢] فيه من الشرائع والأحكام والديانات، ثم ينجي المحقين

---

(١)- **سؤال:** أين جواب الشرط «إذا النجوم طمست..»؟ أم أنه مأخوذ من «وإذا الرسل أقتت» فكيف؟ ومم أخذت لفظة «أقتت»؟ وما السر في الاستفهام «لأي يوم أجلت» مع ذكر جوابه إذا كان الله سبحانه يعني الاستفهام وجوابه؟

الجواب: جواب الشرط محذوف مدلول عليه بما بعده، والتقدير: فإذا النجوم طمست وقع الفصل وحصل الجزاء...، و«أقتت» أصله: وقتت، قلبت الواو همزة، ومصدره التوقيت. والاستفهام في قوله: «لأي يوم» هو للتعظيم أي: ليوم عظيم أجلت، ولا يستدعي جواباً لأن الاستفهام غير مراد.

(٢)- **سؤال:** هل سيفصل بينهم حتى في مسائل الفقه والفروع التي اختلفوا فيها أم لا؟ ومن أين نأخذ هذا الجواب ونستنبطه؟

الجواب: قد تقدم الله تعالى لعباده بالعفو عن الخطأ ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥]، فعلى ذلك لا تدخل مسائل الاجتهاد الفرعية الظنية في محكمة الفصل يوم القيامة، وقد قرر علماء المسلمين أن الخطأ فيها معفو عنه، والمخطئ معذور، بل =

بينهم، ويدخلهم في رحمته ورضوانه، ويعذب المبطلين في نار جهنم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ(١) لِلْمُكَذِّبِينَ۝١٥﴾ والويل كل الويل سيكون في ذلك اليوم للمكذبين بيوم الحساب والجزاء، المنكرين له، والويل: معناه العذاب الشديد.

﴿أَلَمْ(٢) نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ(٣) الْآخِرِينَ۝١٧ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ۝١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ۝١٩﴾ يهدد الله سبحانه وتعالى قريشاً عندما كذبوا بالنبي ﷺ وبما جاءهم به من القرآن، وأنكروا يوم البعث والحساب، وقد استنكر عليهم تكذيبهم ذلك، وعدم اعتبارهم بمن سبقهم من الأمم السابقين

قرر بعضهم أن كل مجتهد مصيب، **ولكن** إذا صحب الخلاف في هذا الباب عناد من طرف واحد أو من الطرفين وتجهيل وسب وذم وتسفيه وإثارة عداوات ونحو ذلك فلا يعفى عنه، وسينبئهم الله يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون؛ لأن الخلاف المعفو عنه أصبح شقاقاً بسبب ما أثير حوله من القول الباطل و.. و.. إلخ.

(١)- **سؤال:** بم تعلق هذا الظرف؟

الجواب: متعلق بـ«ويل» ظرف له، أو بمحذوف صفة له.

(٢)- **سؤال:** هل الاستفهام هنا تقريري أم أنه يكون إنكارياً باعتبار ما يؤدي إليه كما لمحتم إليه في التفسير المبارك؟

الجواب: الاستفهام إنكاري، ويصح أن نقول إنه تقريري أي: لتقرير ما بعد النفي.

(٣)- **سؤال:** ما السر في عدم جزم «نتبعهم»؟ وإن قلنا بعدم دخوله في حيز الاستفهام فيشكل لزوم أن المجرمين يكونون نفس الآخرين وهو غير متناسب مع ظاهر النظم القرآني خصوصاً «كذلك نفعل» فكيف؟

الجواب: قوله: «ثم نتبعهم الآخرين» ليس داخلاً في حيز الاستفهام، والمراد بالأولين الأمم المهلكة من قبل الإسلام، وقوله: «ثم نتبعهم الآخرين» معناه أن الله تعالى سيهلك الآخرين كما أهلك الأولين إن أصروا على الإجرام والكفر والتمرد، وقوله: «كذلك نفعل بالمجرمين» بمعنى أن ذلك هو سنة الله في المجرمين من مضى ومن غبر ومن هو حاضر وقت الخطاب ومن سيأتي في المستقبل إلى يوم القيامة، ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا۝٧٧﴾ [الإسراء].

وكأنهم آمنون أن يلحقهم مثل ما لحق أولئك المكذبين ممن سبقهم مع أنهم قد عرفوا ما جرى عليهم من العذاب جزاءً على تكذيبهم.

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ۝٢٠ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ۝٢١ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ۝٢٢ فَقَدَرْنَا[١] فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ۝٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ۝٢٤﴾ ثم استنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين إنكارهم للبعث بعد الموت، واستبعادهم ذلك حاملاً لهم على الإقرار بما هو أصعب من البعث في عقولهم فكأنه قال لهم: أليس من قدر على خلقكم من ذلك الماء المهين قادراً على خلقكم وإيجادكم مرة أخرى؟ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن كيفية خلقهم من النطفة التي يضعها الرجل في رحم المرأة، بأنه يحفظها في ذلك المكان تسعة أشهر حتى تتكون إنساناً سوياً بقدرته وعلمه، فكيف ينكر من هذا أصله قدرة الله تعالى على إعادته وبعثه؟

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا۝٢٥ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا[٢]۝٢٦ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا۝٢٧ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ۝٢٨﴾[٣] ثم يستنكر الله سبحانه

---

(١)- **سؤال:** هل معنى قوله: «فقدرنا» قَدَّرنا ذلك الإنسان ذكراً أو أنثى؟ أم ماذا؟ وما وجه حذف مفعول «قدرنا»؟

الجواب: إذا شددت دال «قدَّرنا» فالمراد تقدير خلق الإنسان في بطن أمه ذكراً أو أنثى وتقدير مراحل الخلق من نطفة إلى علقة.. إلى... إلخ، وتقدير مدة تكوينه في بطن أمه. وإن خففت الدال «قَدَرنا» فالمراد قدرنا على حفظه في بطن أمه وعلى تكوينه وخلقه، وحذف متعلق قدرنا للعلم به مما سبق أي: قدرنا خلقكم ذلك من الماء المهين في بطون أمهاتكم

(٢)- **سؤال:** ما نوع اسمية «كفاتاً»؟ وعلام انتصب «أحياءً وأمواتاً»؟

الجواب: «كفاتاً» جمع كافت اسم فاعل، أو مصدر كفت كفاتاً كحسب حساباً، أو اسم للموضع الذي يكفت فيه الشيء أي: يضم ويجمع. «أحياءً وأمواتاً» مفعول به لكفاتاً.

(٣)- **سؤال:** ما السر في تكرير الوعيد بالويل للمكذبين فيما قبل هذه الآية وما بعدها؟

الجواب: ليس في ذلك تكرير لأن كل وعيد بالويل للمكذبين في هذه السورة ورد في موضوع مخالف لغيره مما ذكر منها، فأول ما ورد من «ويل يومئذ للمكذبين» جاء وعيداً للمكذبين بيوم الفصل، وثاني ما ورد منها جاء وعيداً للمكذبين بقدرة الله على إهلاك الآخرين

=

عليهم عدم النظر في آثار قدرته ولماذا لا يتفكرون كيف مهد لهم الأرض، وجعلها ضامة للأحياء بسكناهم على ظهرها، ومستودعاً تحفظ موتاهم في بطنها، وكيف خلق لهم عليها تلك الجبال الراسيات الطوال بقدرته، وكيف ينزل لهم الماء العذب الفرات الذي يستسيغونه ويشربونه، ويسقون به أرضهم ودوابهم بقدرته نعمة منه أنعمها عليهم، فلماذا لا يؤدون حق شكرها؟ ولكن الويل كل الويل لمن عرف كل ذلك ثم كذب وأعرض واستكبر.

﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ۝٢٩ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ۝٣٠ لَا ظَلِيلٍ[1] وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ۝٣١﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى المشركين بأنه سيأمرهم يوم القيامة بالانطلاق إلى عذاب جهنم التي كانوا ينكرونها ويكذبون بها، فينطلقون إلى ظل[2] في نار جهنم متشعب إلى ثلاثة أقسام لا يظلل من استظل به

والمكذبين بسنته في إهلاك المجرمين... وإلخ، ومثل ذلك ليس بتكرير، وإنما ذلك مثل أن تعدد مآثم شخص فتقول: فعل كذا وكذا أبعده الله، وفعل كذا وكذا أبعده الله و..، ومثل ذلك لا يستكره؛ إذ المقام يقتضي بعد كل مقطع الوعيد أو الدعاء عليه.

(١)- **سؤال:** علام عطف هذا؟ وكيف ساغ عطف الجملة عليه: «ولا يغني من اللهب»؟

الجواب: «لا ظليل» صفة مخفوضة لظل في قوله: «إلى ظل ذي ثلاث شعب» وجملة «ولا يغني من اللهب» في محل جر صفة أخرى لـ«ظل»، ويصح العطف لأن الجملة في المعنى مفرد.

(٢)- **سؤال:** هل المراد أنهم يجدون ظلاً لا كالذي يعرفونه في الدنيا أم ماذا؟ وما فائدة وصفه بالتشعب إلى الثلاثة الأقسام خصوصاً إذا كان المراد به دخاناً من جهنم كما في قوله: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ۝٤٣﴾ [الواقعة]؟

الجواب: نعم، يرون ظلاً بأعينهم وربما أنهم يدفعون إليه دفعاً، وربما أنهم يتوهمون أنهم سيجدون في ظله بعض الراحة من سموم جهنم، ووصفه بالتشعب إلى ثلاث شعب، هو أن المعروف من الظل في الدنيا من الشمس إذا كان له ثلاث فتحات تدخل منها الشمس فإنه لا يتم له فيه الاستظلال وإن الشمس تلفحه أينما دار، وهكذا يكون الظل في نار جهنم فإنهم أينما وقفوا تحته لفحهم لهب جهنم من إحدى الفرج الثلاث.

ولا يدفع عنهم شيئاً من لهيب نار جهنم، ولا يجدون فيه إلا زيادة العذاب.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ۝٣٢ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ۝٣٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ۝٣٤﴾ ثم وصف الله سبحانه وتعالى قوة النار وشدة لهيبها وعظيم اشتعالها فقال: إنها تقذف بشرر عظام كل شررة منها كالبيت العظيم، والجمالات[1] الصفر: هي الجبال الصغيرة.

﴿هَذَا[2] يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ[3]۝٣٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ۝٣٧﴾ وفي ذلك اليوم ستخرس ألسنة المكذبين، ويحال بينهم وبين الاعتذار فلا يؤذن لهم بتقديم أي عذر حينها.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ[4] وَالْأَوَّلِينَ۝٣٨﴾ ثم يخبرهم الله سبحانه وتعالى

---

(١)- **سؤال:** وما الفرق بينها وبين «جمالة» التي قرأ بها حفص؟ وهل هناك مأخذ في تسمية الجبال بالجمالة؟ وهل يصح حملها على الإبل السوداء كما قاله بعضهم أم لا؟

الجواب: الفرق بين جمالة وجمالات أن جمالات جمع الجمع أي: جمع لجمالة، وجمالة جمع.

وأما التسمية فقد قالوا: إن الأسماء لا تعلل فلا يقال لم سمي البيت بيتاً والجبل جبلاً والأرض أرضاً والسماء سماً و..إلخ.

وما فسرنا به جمالات هو تفسير الإمام الهادي عليه السلام كما في المصابيح، ولا مانع من التفسير لجمالات أو لجمالة بالإبل ما دامت الكلمة موضوعة لذلك.

(٢)- **سؤال:** هل هذه الجملة ابتدائية أم ماذا؟

الجواب: نعم ابتدائية مستأنفة.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في عدم جزم «فيعتذرون» مع تقدم النفي وكون الاعتذار مسبباً عن الإذن؟

الجواب: الوجه أن تكون الفاء عاطفة غير سببية أي لمجرد العطف أي: لا يؤذن لهم في التوبة والاعتذار فيكون «يعتذرون» منفياً لعطفه على منفي، وتفسير الإمام الهادي عليه السلام يدل على هذا كما في المصابيح.

(٤)- **سؤال:** ما موضع هذه الجملة؟

الجواب: يحتمل أن تكون حالية من يوم الفصل، والرابط مقدر أي: فيه، ويحتمل أن تكون استئنافاً بيانياً جواب سؤال مقدر.

أن ذلك اليوم الذي اجتمعوا فيه عنده هو يوم الفصل والقضاء فيما بينهم بالحكم الحق والعدل جمع الله تعالى فيه الأولين والآخرين من الجن والإنس.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ[(١)] ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ يتهكم الله سبحانه وتعالى بأولئك المكذبين يوم القيامة ويسألهم إن استطاعوا أن يكيدوه ويتحيلوا عليه ليصرفوا عن أنفسهم العذاب فليفعلوا، ولكن هيهات فليس الأمر كما كان عليه في الدنيا من استهزائهم وكيدهم بأنبيائهم ورسلهم.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا[(٢)] بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وأما المتقون فهم في ذلك اليوم في ظلال رحمته يتمتعون ويأكلون ويشربون مما لذ وطاب لهم من الطعام والشراب جزاءً من الله تعالى على إحسانهم في الدنيا وما قدموا من الأعمال الصالحة.

﴿كُلُوا[(٣)] وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ثم

---

(١)- **سؤال:** ما معنى الفاء في قوله: «فإن»؟ وما إعراب «فكيدون»؟

الجواب: الفاء عاطفة. «فكيدون» الفاء رابطة وكيدون: فعل أمر والواو فاعل والنون للوقاية، والياء المدلول عليها بكسرة النون مفعول به.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في استخدام حرف الظرفية «في» في قوله: «في ظلال وعيون»؟ وما إعراب «وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً»؟

الجواب: الظرفية على بابها في قوله: «في ظلال» أما فيما عطف عليه فالظرفية مجازية، وفي هذا دليل على جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة، «وفواكه» معطوف على ظلال مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة، «مما» جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لفواكه، «يشتهون» صلة الموصول والعائد محذوف، «كلوا» فعل أمر وفاعله، «واشربوا» معطوف على ما قبله، «هنيئاً» صفة لمصدر محذوف أي: أكلاً هنيئاً أو حال بمعنى: متهنئين.

(٣)- **سؤال:** هل هذا معمول لقول محذوف أم ابتداء كلام؟ وما وجه العودة إلى المجرمين بهذا الخطاب؟

الجواب: نعم، ذلك مقول لقول محذوف والوجه في العود إلى ذكر المجرمين أن سياق السورة كلها في المجرمين وإنما ذكر المتقون وما توعدهم الله على سبيل الإيجاز لعادته تعالى بالمزاوجة بين =

يتهدد الله سبحانه وتعالىٰ الكافرين بأن يأكلوا ويتمتعوا في الدنيا فما هي إلا أيام قلائل وسينتهي كل شيء ويصير كأن لم يكن وسيعودون إليه للجزاء علىٰ إجرامهم.

﴿وَإِذَا(١) قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا(٢) لَا يَرْكَعُونَ۝٤٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ۝٤٩﴾ كانوا في الدنيا إذا أمرهم النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأمر، أو دعاهم إلىٰ طاعة الله تعالىٰ وعبادته- يستكبرون ويعرضون عنه ويتمردون عليه.

﴿فَبِأَيِّ(٣) حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ۝٥٠﴾(٤) فإذا لم يهتد هؤلاء المكذبون والمنكرون بما جاءهم به محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الهدىٰ والدين والقرآن فبماذا سيهتدون؟ وأيُّ وسيلة بعد آيات الله تعالىٰ ودعوة رسوله يمكن أن تؤثر فيهم فيهتدوا بها وينقادوا؟ وإذا لم يهتدوا بما جاءهم النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ به فلا مطمع بعده في هدايتهم.



ذكر الوعد والوعيد.

(١)- **سؤال:** علام عطفت هذه الجملة؟

الجواب: يمكن عطفها علىٰ المكذبين في قوله: «ويل يومئذ للمكذبين» أي: ويل للمكذبين وللذين إذا قيل لهم اركعوا.

(٢)- **سؤال:** هل يمكن حمل الركوع علىٰ حقيقته الشرعية أم كيف؟

الجواب: لا مانع من حمله علىٰ حقيقته الشرعية ويكون المراد بالركوع الصلاة.

(٣)- **سؤال:** ما هي هذه الفاء؟ وما إعراب باقي الآية؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة أي: إن لم يؤمنوا بهذا الحديث فبأي حديث بعده يؤمنون. «بأي حديث» جار ومجرور متعلق بيؤمنون. «بعده» ظرف متعلق بمحذوف صفة لحديث.

(٤)- **سؤال:** ما المناسبة في جعل هذه الآية العظيمة خاتمةً لهذه السورة المباركة؟

الجواب: قد يدل ختم السورة بهذه الآية علىٰ أنها قد تمت وانتهت وذلك من حيث أنها تدل علىٰ أن ما سبقها حديث كامل بالغ نهاية ما يمكن من المواعظ وغاية ما يمكن من البيان الزاجر.

سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ[١] ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ بعث الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ ليدعو الناس من قريش وغيرهم، ولينذرهم وليحذرهم بأنهم مقبلون على حياة أخرى غير هذه الحياة، وأن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبعثهم بعد موتهم، ثم يحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وأنه قد أعد لمن عصاه ناراً عظيمة سيعذبه فيها خالداً مخلداً.

وحين كان النبي ﷺ يدعوهم ويعظهم كان المشركون يتساءلون فيما بينهم عن يوم القيامة.

والنبأ العظيم: هو يوم القيامة الذي هم في شأنه بين منكر ومتشكك ومستهزئ ومكذب.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ «كلا»: هي ردع وزجر لأولئك المنكرين للبعث والحساب عن تكذيبهم فلا بد أن يأتي يوم القيامة فيؤمنون به ويرون ما كانوا يكذبون به، ولكن لا ينفعهم ذلك الإيمان ولا يقبل منهم، وقد كرر الله سبحانه وتعالى ذلك ليؤكد لهم أنه لا بد أن يعلموا به، ويتيقنوا حصوله.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا[٢] ۝١١ وَبَنَيْنَا

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «عم يتساءلون»؟ وكذا ما موقع «عن النبأ العظيم»؟

الجواب: «عم» جار ومجرور متعلق بـ«يتساءلون». «عن النبأ العظيم» جار ومجرور متعلق بفعل محذوف، أي: يتساءلون عن النبأ العظيم.

(٢)- **سؤال:** ما نوع اسمية كل من: «مهاداً»، و«سباتاً»، و«معاشاً»؟

الجواب: «مهاداً» بمعنى: فراش، و«سباتاً» راحة لأبدانكم مأخوذ من السبت وهو القطع لأن النوم يقطع الإحساس والحركة فتحصل الراحة والسكون. و«معاشاً» وقت معاش يتقلبون فيه أو حياة تبعثون فيها بعد نومكم.

فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ[1] مَاءً ثَجَّاجًا﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴿١٦﴾﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم استبعادهم لقدرته تعالى على إحيائهم بعد مماتهم، فكيف يستبعدون ذلك على قدرة الله تعالى، ألم ينظروا إلى آثار قدرته فقد مهد لهم الأرض وجعلها صالحة لسكناهم بقدرته؟ وكيف ثبتها عن أن تتمايد بهم بالجبال الرواسي؟ وكيف خلقهم بقدرته ذكراناً وإناثاً ليتناسلوا ويتكاثروا؟ وكيف أنعم عليهم بالنوم لراحة أجسامهم من تعب النهار ونصبه؟ هيأ الليل وجعله ساتراً لهم بظلمته، وكيف هيأ لهم النهار وسهل لهم فيه سبل معايشهم والسعي وراء أرزاقهم؟

وكذلك استنكر عليهم لماذا لا ينظرون إلى آثار قدرته في السماوات؟ وكيف زينها بالنجوم والكواكب المضيئة والمتوهجة؟ ومعنى «شداداً»: الشدة في قوة البناء وشدة تماسكها بغير عمد، وشدة في عظمة خلقها وكثرة آياتها، وكيف أنزل لهم بقدرته الماء الكثير المبارك من السحاب؟

والثجاج: هو الكثير المبارك. وكذلك لماذا لا ينظرون كيف أخرج لهم بالماء المبارك الحب والنبات الذي يأكلونه هم وأنعامهم؟

ومعنى «جنات ألفافاً»: بساتين متشابكة الأغصان.

فما بالكم أيها المشركون تستبعدون بعد كل ذلك قدرة الله سبحانه وتعالى على إحياء عظامكم وبعثكم وخلقكم من جديد؟

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴿١٧﴾﴾[2] ثم بعد أن عرضهم على آثار قدرته حتى

---

(١)- **سؤال:** ما السر في تسمية السحاب بالمعصرات؟

الجواب: المعصرات هي السحاب التي أوشكت على الإمطار وصب الماء وقد فسر الهادي عليه السلام المعصرات بالحابسات للماء، وقالوا: إن المعصرات مأخوذ من قولهم للجارية التي قاربت البلوغ بالحيض معصر.

(٢)- **سؤال:** ما نوع اسمية «ميقاتاً»؟

الجواب: اسم زمان.

عرفوا وتيقنوا عندها أنه على كل شيء قدير فأصروا على كفرهم وعنادهم أكد لهم أن يوم القيامة الذي يفصل الله فيه بين العباد لا بد أن يقع حتماً، وأخبرهم أنه ميقات اجتماعهم عنده، والحكم بينهم فيه بحكمه.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴿١٨﴾﴾ وذلك اليوم هو يوم فيه سينفخ الله سبحانه وتعالى في صوركم فتجيبونه جميعاً وتأتونه أفواجاً، فوجاً بعد فوج.

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴿١٩﴾﴾ وفي ذلك اليوم ستفتح السماء وتتكسر حتى تصير أبواباً وفجوات، وستتهاوى أجرامها ويختل نظام الكون جميعاً.

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴿٢٠﴾﴾ وسيفجر الله سبحانه وتعالى الجبال في ذلك اليوم حتى تصير غباراً متطايراً يشبه السراب.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا[1]﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴿٢٥﴾﴾ معنى «مرصاداً» محل ترقب وإرصاد للمجرمين، وفي ذلك اليوم سيكون مأوى أولئك المتجاوزين للحق إلى الباطل إلى جهنم التي وعدهم أنها ستكون منزلهم ومأواهم الدهور والأزمان التي لا نهاية ولا انقطاع لها، لا شراب لهم فيها إلا ماء الحميم الذي يقطع أمعاءهم. والغساق: هو صديد أهل جهنم، وقيح جلودهم.

---

(١)- **سؤال:** بماذا تعلق قوله «للطاغين»؟ وما إعراب «لابثين فيها أحقاباً»؟

الجواب: «للطاغين» متعلق بمآباً، ويجوز تعلقه بمرصاداً. «لابثين» حال من ضمير الطاغين. «فيها» متعلق لـ«لابثين». «أحقاباً» ظرف زمان.

سؤال: كيف يرد المرشد على ما يقال بأن الحقب في اللغة ثمانون عاماً فيؤدي على أن لبث الطاغية في النار سينتهي بمرور أحقاب من هذه المدة؟

الجواب: هذه الآية هي في وعيد الكافرين بدليل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴿٢٧﴾﴾ وأهل المذاهب الإسلامية متفقون على القول بخلود الكافرين في جهنم لا خلاف بينهم لا في قديم الدهر ولا في حديثه.

﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴿٢٦﴾﴾[1] وأن ذلك العذاب ليس إلا جزاءً من الله سبحانه وتعالى على قدر أعمالهم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴿٢٨﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن سبب ذلك العذاب أنه إنكارهم للبعث والحساب، وتكذيبهم وجحودهم بآيات الله تعالى.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا[2]﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴿٣٠﴾﴾ وقد أحصى الله سبحانه وتعالى عليهم جميع أعمالهم صغيرها وكبيرها وسيجازيهم عليها جميعاً، وسيذيقهم العذاب الشديد على أعمالهم التي عملوها، لا يخفف الله عنهم العذاب في نار جهنم ولا يزيدهم إلا عذاباً فوق العذاب.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا[3]﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا﴿٣٤﴾﴾ وأما أهل تقوى الله سبحانه وتعالى الحافظون لحدوده والموفون بعهوده ومواثيقه فهم من أهل الفوز والظفر برضوانه وثوابه، يتنعمون بين البساتين والحدائق المثمرة التي أعدها الله تعالى لهم، وسيزوجهم من حور الجنة.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب الآية «جزاءً وفاقاً»؟ وما نوع اسمية «وفاقاً»؟

الجواب: جزاء: مفعول مطلق لفعل محذوف من لفظه والتقدير: جوزوا جزاءً وفاقاً. «وفاقاً» صفة لجزاء. ووفاق: مصدر وافق يوافق وصف به للمبالغة.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴿٢٩﴾﴾؟

الجواب: «كل شيء» مفعول به لفعل محذوف يفسره الفعل الذي بعده، وهذا من باب الاشتغال، «أحصيناه» فعل وفاعل ومفعول، ولا محل للجملة لكونها مفسرة، «كتاباً» مفعول مطلق لأحصيناه من نوعه.

(٣)- **سؤال:** على ذهني رواية عن الإمام زيد عليه السلام أن المفاز هو السلامة من النار فكيف مع أن «حدائق» بيان وبدل منها فكيف؟ وما نوع اسمية «مفازاً»؟

الجواب: يوجه ما روي عن الإمام زيد من تفسير المفاز بالسلامة من النار، بأنّ السلامة من النار تستلزم دخول الجنة والحدائق، ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]. «مفازاً» يفسر بأنه مكان الفوز أي: موضع النجاة، وبذلك يتجه تفسير الإمام زيد عليه السلام.

والكواعب: هن اللاتي في أول شبابهن، والأتراب: هن المستويات في السن، وسيسخر الله سبحانه وتعالى لخدمتهم غلماناً يغدون عليهم ويروحون بأطيب المشروبات وألذ المأكولات، ودهاقاً: يعني ممتلئة.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ ولن يسمع أهل الجنة فيها أي كلام لغو أو باطل فقد جمع الله تعالى أهل ذلك في جهنم.

﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا[١] رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ﴾ وأن ذلك النعيم جزاءٌ من الله سبحانه وتعالى على أعمالهم الصالحة.

وقوله ﴿عَطَاءً﴾: فيه دلالة على أنه تفضل عليهم بالأضعاف المضاعفة من عنده، والمتفضل عليهم هو رب السماوات والأرض والمالك لما فيهما ذو الرحمة الواسعة والعطاء الواسع، فنِعْمَ المتفضِّلُ ونِعْمَ الفَضْلُ.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ[٢] خِطَابًا﴾ وهو صاحب الهيبة والجلال فلن يجرؤ أحد على مخاطبته والتكلم إليه في ذلك اليوم لعظمته وجلاله وهيبته.

﴿يَوْمَ يَقُومُ[٣] الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ وفي ذلك اليوم سيمثل جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة بين يدي[٤]

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا رَبِّ السَّمَوَاتِ..﴾؟

الجواب: «جزاء» مفعول مطلق مؤكد لمضمون ما تقدمه. «من ربك» متعلق بمحذوف صفة لجزاء. «عطاء» بدل من جزاء، «حساباً» صفة لعطاء بمعنى كافياً من قولهم: حسبي أي: كفاني. و«رب السموات» بدل من « ربك » على قراءة الجر.

(٢)- **سؤال:** بماذا تعلق قوله «منه» وضحوا ذلك أيدكم الله؟

الجواب: متعلق بمحذوف حال مما بعده.

(٣)- **سؤال:** ما العامل في «يوم يقوم» النصب؟

الجواب: «يوم» منصوب بـ«لا يملكون منه خطاباً».

(٤)- **سؤال:** ما المقصود بوقوفهم بين يدي الله في ذلك اليوم؟ وما محل جملة «لا يتكلمون»؟ وما إعراب «صواباً»؟

الجواب: المراد بذلك هو وقوفهم في موقف القيامة ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر]. «لا يتكلمون» في محل نصب على الحال من الروح والملائكة. «صواباً» مفعول به لفعل القول، وصح لأنه في معنى الجملة.

الله تعالىٰ مصطفين خاضعين لله تعالىٰ لا يجرؤون علىٰ التكلم بكلمة واحدة، عليهم الخضوع والسكينة لما يجدون من هيبة الله تعالىٰ وعظمته وجلاله فلا يتكلم أحد إلا إن أذن له بالقول الحق.

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا۝٣٩﴾[(١)] ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن ذلك اليوم الذي يكفرون به وينكرونه هو اليوم الحق الذي لا بد أن يقع، فمن أراد أن يستعد للقاء الله تعالىٰ في ذلك اليوم ويتخذ له طريقاً إليه وإلىٰ السلامة من عذابه وسخطه فقد أنقذ نفسه وأعتقها.

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ[(٢)] الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا۝٤٠﴾[(٣)] يخاطب الله تعالىٰ المشركين بأن يحذروا فقد قرب موعد نزول عذابه وسخطه، فكل آت قريب.

ويخبرهم أن الأولىٰ بهم أن يقدموا لأنفسهم العمل الصالح وطاعة الله تعالىٰ حتىٰ يأتوا يوم القيامة وصحائفهم بيضاء ناصعة البياض، وحتىٰ لا يندموا عندما يرون صحائف أعمالهم وقد أحصي عليهم فيها ما عملوه من الأعمال القبيحة فيندمون عند ذلك أشد الندم، ويتمنون من شدة ما يرون من الحساب الدقيق، وما سيكون عليهم من الجزاء- أنهم لو لم يخلقوا ولم يبعثهم الله تعالىٰ من جديد.

۞۞۞۞۞

---

(١)- **سؤال:** هل تعلق الجار والمجرور «إلىٰ ربه» بقوله «مآباً»؟ إن كان فما فائدة تقدمهما؟
الجواب: «إلىٰ ربه» متعلق بمآباً، وقدم الجار والمجرور لأهميته من حيث أنه المقصود في الجملة.

(٢)- **سؤال:** ما فائدة تنكير قوله: «عذاباً قريباً»؟ وعلام انتصب قوله: «يوم ينظر»؟
الجواب: التنكير للتعظيم والتهويل. «يوم ينظر» متعلق بمحذوف صفة لعذاباً.

(٣)- **سؤال:** ما هي المناسبة في جعل هذه الآية خاتمة للسورة المباركة؟
الجواب: في الآية إشارة إلىٰ تمام السورة من حيث إفادتها إلىٰ آخر ما يصير إليه الكافر وغاية ما ينتهي إليه حاله وعاقبة أمره.

سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا[1] ① وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ② وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ③ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ④ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ⑤﴾ النازعات: هي الرياح[2] الشديدة التي تنزع المياه من البحر، وتحملها وتجمعها في السماء حتى تتكثف وتتجمع على شكل سحاب[3].

ومعنى «غرقاً»: أنها تنزع الماء بشدة وقوة.

والناشطات: هي الرياح[4] التي تأخذ الماء العذب من بين المالح.

والسابحات: الرياح تسبح بذلك الماء في السماء وتسوقه إلى البلدان.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «غرقاً» تفصيلاً مع الكلام على نوعية اسميتها؟

الجواب: «غرقاً» مفعول مطلق، والإغراق هو نوع من النزع، و«غرقاً» هو مصدر أغرق بحذف الزوائد، وقد كان الأصل إغراقاً، ويصح أن يقال: إن غرقاً مصدر غَرَق يغرُق من باب نصر، فوضع موضع إغراقاً لعدم اللبس.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن نحمل «النازعات غرقاً» على الملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزعاً شديداً مؤلماً، و«الناشطات نشطاً» عليها حين تنزع أرواح المؤمنين بسهولة؟ أم ترونه ضعيفاً فما وجه ضعفه؟

الجواب: قد اعتمدنا في التفسير تفسير الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام وقد قال أيضاً: إنه كذلك صح في الروايات والأخبار، فيرجح تفسيره على غيره.

(٣)- **سؤال:** يقال: وهل هذا يعارض ما مر لكم أن تجمع السحاب يأتي من تبخر مياه البحار لا من حمل الرياح لها، أم لا؟

الجواب: لا معارضة، فأصل السحاب هو من تبخر مياه البحار، والرياح تأتي فتنتزعه من هناك وترفعه وتسوقه إلى حيث يشاء الله.

(٤)- **سؤال:** يقال: قد مر لكم في الصافات أن «الزاجرات» هي الملائكة المكلفون بسوق الرياح والسحاب فهلا جعلتم «الناشطات» مثلها؟

الجواب: هناك قرينة في الصافات على أن المراد الملائكة، وهنا صح ما ذكرنا عن أئمة أهل البيت.

والسابقات: هي الملائكة السباقة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى وامتثال أوامره من تبليغ الوحي وإنزال الرحمة والعذاب إلى أهل الدنيا.

والمدبرات: هي الملائكة القائمة على تدبير أمور الخلائق وشؤونهم.

﴿يَوْمَ[١] تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ۝ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ۝ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً[٢]۝ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ۝﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يتذكروا يوم القيامة عندما ترجف الأرض والسماء وتتزلزل بأهلها ثم يتبع ذلك رجفة أخرى فيبعث أهل القبور أحياءً إلى أرض المحشر، هنالك يفزع المجرمون الذين كانوا ينكرون البعث والحساب، وترجف قلوبهم ويستولي عليهم الخوف[٣] العظيم والحسرة وتخشع أبصارهم منكسرة ذليلة من هول ما يرون ومما هم مقبلون عليه من عذاب الله، وكان المجرمون ينكرون البعث والحساب ويستبعدون أن تعود العظام البالية إلى الحياة مرة أخرى. ومعنى «الحافرة» : الحياة الأولى. ومعنى «كرة خاسرة»: أي كاذبة.

---

(١)- **سؤال:** علام انتصب قوله «يوم»؟ وأين جواب القسم «والنازعات غرقاً..»؟

الجواب: جواب القسم مقدر أي: لتبعثن، و«يوم ترجف» منصوب بـ«لتبعثن» أي: بجواب القسم المقدر.

(٢)- **سؤال:** فضلاً هل قوله «أئذا كنا عظاماً نخرة» معمول لقوله «لمردودون»؟ وما إعراب «إذا»؟

الجواب: العامل في الظرف «إذا كنا» هو فعل مقدر مدلول عليه بقوله: «لمردودون» والتقدير: أإذا كنا عظاماً نخرة نرد إلى الحياة، و«إذا» ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه.

(٣)- **سؤال:** ظهر لنا من كلامكم -أيدكم الله- أن معنى «واجفة» خائفة، فما أصل اشتقاقها؟

الجواب: «واجفة» مأخوذة من الوجيف مصدر وجف أي: اضطرب وتحرك بشدة، والاضطراب والحركة بشدة ملازم للخوف؛ لذلك فقوله: «واجفة» كناية عن الخوف، وكذلك قوله: «أبصارها خاشعة» هو كناية عن الخوف والفزع.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ[(١)]۝١٣ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ۝١٤﴾ وأخبرهم الله تعالىٰ أن ذلك ليس بمستبعد في قدرته فليس الأمر إلا صيحة واحدة يبعث بها جميع الأولين والآخرين علىٰ أرض المحشر[(٢)].

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى۝١٥ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى۝١٦ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى۝١٧ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى۝١٨ وَأَهْدِيَكَ[(٣)] إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى۝١٩﴾ ثم ينبه الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ إلىٰ تذكر قصة موسىٰ عليه السلام، وما كان من شأنه حين ناداه ربه في الواد المقدس وأمره بالخروج إلىٰ فرعون ليدعوه إلىٰ الإيمان والتصديق بالله تعالىٰ، وأن يزكي نفسه ويطهرها من أدناس الشرك وأرجاس الجاهلية وأعمال الكفر والضلال، وقد أتاه بأسباب التزكية من عند الله تعالىٰ إن أراد أن يأخذ بها، وهي الإيمان بالله تعالىٰ وإخلاص العبادة له وحده وترك الظلم والفساد والطغيان.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «هي زجرة واحدة فإذا»؟

الجواب: «هي زجرة» مبتدأ وخبر. «واحدة» صفة مؤكدة، والفاء عاطفة للمسبب علىٰ السبب، «إذا» للمفاجأة، وهي حرف وليست اسماً.

(٢)- **سؤال:** يفهم من هذا أن معنىٰ الساهرة أرض المحشر، فما وجه تسميتها بذلك؟

الجواب: الوجه في تسميتها ساهرة هو كون أهل المحشر يسهرون عليها أي: لا ينامون.

(٣)- **سؤال:** ما معنىٰ «هل» في قوله «هل أتاك»؟ وفي قوله «هل لك»؟ وعلام عطف قوله: «وأهديك»؟ وهل قوله «طوىٰ» بدل من الواد؟

الجواب: هل للاستفهام التقريري أو بمعنىٰ «قد»، والمعنيان متقاربان، والاستفهام في قوله: «هل لك إلىٰ أن تزكىٰ» هو للعرض أي: أنه يستدعي فرعون إلىٰ الإيمان بصورة لطيفة لينة، «وأهديك» معطوف علىٰ «أن تزكىٰ»، و«طوىٰ» بدل من الواد المقدس.

سؤال: ما الذي نأخذه من قوله: «هل لك إلىٰ أن تزكىٰ»؟

الجواب: نأخذ من هذه الآية أن علىٰ الدعاة إلىٰ الله والمرشدين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يتلطفوا في إرشاد الناس وتعليمهم.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَى۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ(١) يَسْعَى۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَى۝٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى۝٢٤ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى(٢)۝٢٥ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى۝٢٦﴾ وقد جاءه بالمعجزة الدالة على صدق نبوته، وهي آية العصا واليد البيضاء، ولكنه كذب وتمرد واستكبر عن اتباع موسى وتصديقه، وأخذ يسعى في إبطال دعوته جهده، إذ جمع قومه وأهل مملكته وجنوده فنادى فيهم بأنه ربهم(٣)، وأنه يجب عليهم طاعته ونصرته على من عاداه، وأن يعينوه على القضاء على موسى وقومه إذ قد شقوا عصا الطاعة، ولكن الله سبحانه وتعالى أخذه قبل أن يتمكن من النيل من نبيه، فأنزل عليه العذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة، وأغرقه وجعله عبرة لمن بعده؛ ليعتبروا به، ويعرفوا كيف يكون جزاء المكذبين بأنبيائهم، وأخبر قريشاً أن فيما جرى على فرعون وجنوده عبرة لهم إن أرادوا أن يعتبروا به، ويرتدعوا عن كفرهم وتكذيبهم.

﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا(٤)۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا(٥) فَسَوَّاهَا۝٢٨ وَأَغْطَشَ

---

(١)- **سؤال:** ما معنى الإدبار هنا في قوله: «ثم أدبر»؟

الجواب: معناه الإعراض أي: أعرض مسرعاً خوفاً من الحية.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «نكال»؟ وكيف أطلق عليه بأنه نكال الآخرة، وهو لم يأت بعد؟

الجواب: « نكال » مصدر مؤكد لمضمون ما قبله كـ« وعد الله » أو مفعول لأجله. ولم يقع نكال الآخرة ولكنه لتحقق وقوعه كأنه قد وقع.

(٣)- **سؤال:** قد يتأول بعض العلماء هنا أن الربوبية بمعنى الملك والسيادة لا الألوهية فما رأيكم في ذلك؟

الجواب: قد قال فرعون: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ۝٢٩﴾ [الشعراء]، فهذه الآية نص في رد قول ذلك البعض.

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في فصل جملة «بناها»؟ وما يكون محلها؟

الجواب: الوجه هو كون «بناها» استئناف بياني أي: في محل جواب سؤال مقدر.

(٥)- **سؤال:** ما هو السُّمْك الذي أخبر الله برفعه؟

الجواب: هو أجرامها السميكة.

لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا۝٢٩ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا[١]۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا۝٣١ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا۝٣٢ مَتَاعًا[٢] لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ۝٣٣﴾ وعندما أنكر المشركون أمر البعث والحساب، واستبعدوا قدرة الله سبحانه وتعالى على ذلك، سألهم الله تعالى عن أمر خلقهم وخلق السماء أيهما أشد خلقاً وأعظم؟ فلا بد أن يجيبوه بأنه السماء حتماً، ولو أجابوا بخلاف ذلك لكانوا منكرين للضرورة، ولحكم عليهم السامع بسخافة عقولهم وتفاهتهم.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه الذي خلقها ورفعها بغير عمد، وأنه الذي غطى الليل بالظلمة الساترة[٣]، وجعل النهار مبصراً بقدرته، وأنه الذي دحا الأرض بالتراب، وجعلها صالحة لنباتهم ومستقراً لماء شربهم الذي به قوام حياتهم، وقد أرسى الجبال ليحفظ توازنها عن أن تتمايد بهم، وأن كل ذلك رحمة منه تعالى بعباده

---

(١)- **سؤال:** ظاهر الآيات أن دحو الأرض كان بعد خلق السماء وليلها ونهارها فكيف يتعقل ذلك؟

الجواب: ما زال دحو الأرض حاصلاً إلى اليوم فإن الله تعالى ينزل الأمطار على الجبال فيحت المطر وسيوله من الجبال فتسحبه السيول إلى المنخفضات التي تستقر فيها السيول فيترسب التراب الذي حته المطر والسيول من الجبال في ذلك المنخفض فيتكاثر ذلك في المنخفات حتى تصير أرضاً مستوية لا يقر عليها الماء، ألا ترى إلى البرك وما يجتمع فيها من التراب فلو لم يخرج من البرك لامتلأت البرك تراباً، وهكذا الحرث الذي يسقى من السيول فإنه يحتاج الحين بعد الحين إلى إخراج التراب الزائد.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب كل من «والأرض، والجبال، متاعاً»؟

الجواب: «والأرض» مفعول به لفعل محذوف من باب الاشتغال، وهكذا قوله: «والجبال أرساها» فالجبال مفعول به لفعل محذوف، و«متاعاً» مفعول من أجله.

(٣)- **سؤال:** يقال: الظلمة الساترة هي الليل فكيف يغطى الشيء بنفسه أم أن المراد جعله مظلماً؟

الجواب: المراد أن الله تعالى جعل الليل مظلماً لأنه لم يكن حينئذ ليل مظلم، ويمكن أن يقال إن الله تعالى جعل الوقت الذي قدره ليكون ليلاً مظلماً.

ليتمتعوا ويتنعموا ويأكلوا ويشربوا منها هم وأنعامهم، وأن من قدر على كل ذلك لا بد أن يقدر على أمر إحيائهم وبعثهم بعد موتهم. ومعنى «دحاها» : طمها بالتراب.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى۝٣٤﴾(١) وقد جعل الله سبحانه وتعالى لكم ما جعل وأنعم عليكم بكل هذه النعم إلى أن يحين(٢) موعد الحياة الأخرى.

والطامة: الداهية المدمرة للكون كله، التي تقضي على كل ما فيه، وتنهي أمر السماء والأرض وما بينهما.

﴿يَوْمَ(٣) يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى۝٣٥ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى۝٣٦﴾ وذلك اليوم هو اليوم الذي سيتذكر الإنسان فيه كل ما عمله في الدنيا من صغير الأعمال وكبيرها، وستظهر فيه جهنم ظهوراً واضحاً أمام الجميع.

﴿فَأَمَّا(٤) مَنْ طَغَى۝٣٧ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا۝٣٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى(٥)۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى۝٤١﴾

---

(١)- **سؤال:** أين جواب «إذا جاءت الطامة الكبرى»؟

الجواب: جواب الشرط مقدر أي: يبعث الناس.

(٢)- **سؤال:** من أين فهمنا هذا، سلام الله عليكم ورحمته؟

الجواب: فهم ذلك من مجيء هذه الجملة عقب قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا۝٣٠﴾... إلى ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ۝٣٣﴾ فقد جعل الله تعالى للناس هذه النعم التي متعهم بها في الدنيا يخوضون فيها وليس بعد ذلك إلا مجيء الطامة وموعد الحياة الأخرى.

(٣)- **سؤال:** ما هو العامل فيه النصب؟ وهل قوله «ما» في قوله: «ما سعى» موصولة أم مصدرية؟

الجواب: قد قالوا: إن «يوم» بدل من «إذا» وهو متجه، ويجوز أن يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره: يحاسب، و«ما» مصدرية.

(٤)- **سؤال:** ما معنى الفاء؟

الجواب: الفاء تفريعية عاطفة.

(٥)- **سؤال:** لو تفضلتم بضابط في مؤاثرة الحياة الدنيا على الآخرة؟ وكذا ضابط في الهوى الذي مدح الله من نهى نفسه عنه؟

الجواب: إذا تمسك المؤمن بتقوى الله بأن يفعل ما أمره الله به من الفرائض والواجبات وينتهي عن

=

والطاغي: هو الذي يتجاوز الحق إلى الباطل؛ أخبر الله سبحانه وتعالى أن من تجاوز حدوده وآثر شهواته ولذات الدنيا على طاعة ربه فإن الجحيم سيكون مأواه، وأن من اتقاه وخاف لقاءه وحفظ ما استحفظه الله عليه والتزم بحدوده وعهوده، واستعد للقائه وترك الانقياد لهوى نفسه، وآثر طاعة الله تعالى على هواه فإن الجنة ستكون مسكنه ومأواه.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ۝٤٣ إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ۝٤٤ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ۝٤٥ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا[1] لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً

ما نهاه الله تعالى من المعاصي والسيئات فلا يضره إذا امتلأت يداه فضة وذهباً وامتلأ بيته خيراً وفضلاً وتوسعت تجارته شرقاً وغرباً، فإذا كان المكلف محافظاً على ما ذكرنا فليس ممن آثر الحياة الدنيا، ومن جملة ما فرض الله عليه أداء الزكاة والإحسان إلى الوالدين والأقربين... وإلى آخر ما يلزم من الحقوق المالية، ومن جملة ما فرض الله عليه: ترك المعاملة بالربا وما يلحق به من المعاملات المحرمة، وترك المعاملات المشبوهة التي التبس أمرها هل هي حلال أو حرام، ويجب عليه أن يسأل العلماء فيما خفي عليه حكمه من المعاملات قبل الدخول فيها لئلا يقع فيما لا يجوز.

وضابط الهوى الذي مدح الله تعالى هنا من نهى نفسه عنه هو يتحقق: بأن يستقيم المكلف على الامتثال بفعل ما أمر الله بفعله، وعلى الانتهاء عما نهى الله تعالى عنه، فمن كان كذلك فهو ممن نهى النفس عن الهوى، إلا أن هذا لا يتم إلا بأن يعلم المكلف ما هو الذي أمر الله به وما هو الذي نهى الله تعالى عنه، ولا يتم ذلك إلا بالتعلم أو على الأقل بالسؤال للعلماء ومجالسة العلماء وطلبة العلم والاستماع إليهم وكثرة السؤال لهم في كل صغير وكبير.

(١)- **سؤال:** ما إعراب «أيان مرساها فيم أنت من ذكراها» مفصلاً، وأيضاً «كأنهم يوم يرونها»؟

الجواب: «أيان» ظرف زمان مضمن معنى الاستفهام متعلق بمحذوف خبر مقدم. «مرساها» مبتدأ مؤخر مضاف إلى الضمير. «فيم» جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم. «أنت» مبتدأ مؤخر. «من ذكراها» متعلق بمحذوف حال لبيان الإبهام الذي في المجرور، وجملة «كأنهم يوم..» لا محل لها من الإعراب مستأنفة لبيان حالهم عند مجيئها لئلا يستبعدوها.

أَوْ ضُحَاهَا﴿٤٦﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن قريشاً سيسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الساعة متى سيحين موعدها ومستقرها؟ فاستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم(١) ذلك السؤال، فكيف يسألون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عن موعدها وهو لا يعلم عنه شيئاً، وأخبرهم أن علم موعدها عند الله وحده لم يطلع أحداً من خلقه على ذلك، وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليس إلا منذراً لهم ومحذراً من حلولها، وما سيكون فيها.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم عندما يرونها وعندما يحين موعد بعثهم ونشورهم ويرون ما يرون من الأهوال والشدائد في ذلك اليوم سيخيل إليهم من شدة ذلك اليوم وطوله أنهم لم يلبثوا إلا ساعة من نهار في الدنيا، ولم يعيشوا على ظهرها إلا مقدار يوم أو ليلة.



(١)- **سؤال:** كأن الاستنكار على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: «فيم أنت من ذكراها»، فما الوجه في جعله على هؤلاء السائلين عن أمرها؟

الجواب: ظاهر اللوم أنه موجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن الأمر ليس كذلك فإن اللوم في الحقيقة موجه إلى السائلين إذ المعنى: في أي شيء أنت يا محمد من العلم بالساعة حتى يسألون عنها، فالاستنكار هو عليهم حيث سألوا من لا علم عنده بوقت مجيئها.

سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى[(١)]۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى[(٢)]۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى۝٥ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى۝٦﴾ كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذات يوم يعظ رجالاً من كبار قريش، ويدعوهم إلى الإسلام وإلى الله سبحانه وتعالى، وكأنه لمس منهم الإنصات والاستماع.

فأقبل عليه في تلك الحال ابن أم مكتوم[(٣)] وكان رجلاً أعمى، فقطع على

---

(١)- **سؤال:** ما موضع «أن جاءه الأعمى» من الإعراب؟ وما إعراب: «وما يدريك لعله يزكى»؟

الجواب: «أن جاءه الأعمى» في محل جر بلام الجر أو في محل نصب بنزع الخافض، و«ما» اسم استفهام مبتدأ. «لا يدريك» جملة في محل رفع خبر المبتدأ. «لعله يزكى» جملة في محل نصب المفعول الثاني.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في عطف التذكر على التزكية، ولعلهما في المعنى شيء واحد؟ وعلام انتصب قوله: «فتنفعه»؟

الجواب: الوجه هو أن المعنى مختلف، فمعنى «يتزكى» يتطهر من الآثام، ومعنى «يذكر» يتعظ، فتكون له الموعظة لطفاً في الازدياد من الطاعات، ونصب قوله: «فتنفَعَهُ..» لتنزيل الترجي منزلة التمني فنصب الفعل بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالترجي، وهذا كالنصب في «فأطلع» بعد الترجي ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ۝٣٦ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ﴾ [غافر].

(٣)- **سؤال:** يقال: إذا ابتلي المرشد بكبار القوم فأقبل عليهم وترك بعض السابقين من أفراد الناس لمصلحة الإرشاد والدين وذلك بأنه سيقبل بإقبالهم أناس كثيرون فهل سيأثم أم لا؟ وما علاقة هذا بقصة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع ابن أم مكتوم؟

الجواب: لا يأثم المرشد إن فعل ما ذكرتم؛ لأن المفروض أن يقدم المرشد الأصلح فالأصلح، وقصة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كانت وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يدعو قوماً قد دعاهم من قبل وبلغهم رسالة ربه وكرر عليهم الدعوة تكراراً فأعرضوا بدليل: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى۝٥﴾ وحينئذ فقد كانت المصلحة أن يؤثر ابن أم مكتوم ويترك القوم لأن القوم لن يقبلوا منه فقد بلغهم من قبل ودعاهم فردوا دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ورسالته وأعرضوا عنها إعراض المستغني؛ لذلك لم يكن

=

النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديثه مع أولئك القوم، وسأله مستفسراً عن شيء من أمور دينه، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعرض عنه ولم يلتفت إليه، فكرر عليه السؤال مرة ثانية وثالثة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يعرض عنه، ليستكمل حديثه مع القوم ولم يتنبه ابن أم مكتوم لما هو فيه صلى الله عليه وآله وسلم مع كبار قريش، فما زال يكرر السؤال حتى ضجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وظهر على وجهه العبوس؛ فاستنكر الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فعلته تلك، وتقطيبه وجهه صلى الله عليه وآله وسلم في وجه الأعمى، وأخبره أن ذلك الأعمى أحق من أولئك القوم، وأنه سيتذكر ويستفيد أكثر مما يتذكر أولئك القوم[1]. ومعنى «تصدى» : تتعرض مقبلاً عليه.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾[2] واترك أولئك القوم فليسوا من أهل التزكية والقبول، وأقبل بوجهك إلى الذين ينتفعون بالذكرى.

في دعوتهم مصلحة، أما ما ذكر في السؤال فليس كذلك.

(١)- **سؤال:** يحاول بعض الناس التشكيك في هذه القصة زعماً منه بأنها تعارض عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما توجيهكم في ذلك؟

الجواب: ليس في القصة ما ينافي عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يؤدي رسالة الله إلى قومه يدعوهم إلى الله ويحذرهم ويعظهم وهو في حال جد مقبل إليهم بكل اهتمام، فكان ابن أم مكتوم يعارضه بالسؤال بعد السؤال، فتضجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ابن أم مكتوم، وكان ابن أم مكتوم أعمى فلم ير التضجر على وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكرر السؤال وكرر فقطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجهه؛ لأنه قاطعه فيما هو فيه من تبليغ رسالة الله والدعوة إلى دينه أي: أنه صلى الله عليه وآله وسلم تضجر من أجل أن المساءلة تفسد عليه موعظته للقوم، ولم يصدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي كلام يؤذي ابن أم مكتوم، ولعل ابن أم مكتوم لم يدر بتضجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن نزل القرآن.

وبعد، فإن هذه القصة القرآنية تعتبر من أمارات نبوته وصدقه؛ إذ لو كان من عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أثبتها في كتابه.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «ألا يزكى» بالتفصيل؟

الجواب: «أن» مصدرية مسبوكة مع «لا يزكى» بمصدر مجرور بـ«في» مقدرة أي: في عدم تزكيته، ويكون الجار والمجرور متعلقاً بما تعلق به «عليك» في: «وما عليك».

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝٨ وَهُوَ يَخْشَى ۝٩ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝١٠﴾ ما كان ينبغي لك يا رسول الله أن تعرض عمن أقبل إليك وهو يجري رغبةً في سماع الذكرى وهو من أهل الإيمان بالله ومن أهل الخشية له.

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن هذه تذكرة له لئلا يعود إلى مثلها مرة أخرى. ومعنى «كلا» : قد تكون للتنبيه.

وما كان من النبي ﷺ من الإعراض عن ابن أم مكتوم لم يكن إلا لحرصه الشديد على دخول القوم في الإسلام؛ لأنهم إذا استجابوا له وأسلموا فسيسلم بإسلامهم أناس كثيرون.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ[(١)] مُكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾ وتذكرة لمن أراد أن يتذكر، وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم تذكرة لمن أراد أن يتذكر بآياته؛ وقد حفظه الله تعالى في صحف مرفوعة عنده في السماء ومنزهة لا يلمسها ويقربها إلا الملائكة المطهرون، وقد حفظها من الشياطين.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ ثم يرسله الله تعالى إلى أنبيائه مع ملائكة قد جعلهم الله سبحانه وتعالى سفرائه إلى نبيه محمد ﷺ ومن قبلُ إلى سائر رسله وأنبيائه، وملائكة الله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهذا معنى «بررة».

﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ[(٢)]

---

(١)- **سؤال:** بماذا تعلق قوله «في صحف»؟ وكذا قوله «بأيدي سفرة»؟

الجواب: «في صحف» متعلق بمحذوف خبر ثان لتذكرة أو صفة لها. «بأيدي سفرة» متعلق بمحذوف صفة لصحف.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «ما أكفره من أي شيء خلقه»؟ وما السر في فصل: «من نطفة خلقه» عن التي قبلها؟

الجواب: «ما» تعجبية نكرة بمعنى شيء عجيب، «أكفره» فعل ماض وفاعله ضمير يعود على «ما» =

﴿فَقَدَّرَهُ﴿١٩﴾﴾[(١)] لعن الإنسان ما أشد كفره بالله تعالى وتكذيبه بآياته ورسله.

ثم استنكر الله سبحانه وتعالى عليه كفره وإنكاره للبعث بعد الموت، فلماذا لم ينظر إلى أصل خلقه كيف خلقه من النطفة خلقاً بعد خلق حتى جعله بشراً سوياً؟ ألا يكون من قدر على ابتداء خلقه قادراً على إعادته وخلقه مرة أخرى.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ[(٢)]﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ[(٣)]﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴿٢٢﴾﴾ ولماذا يكفر بالله تعالى وينكر نعمه العظيمة عليه وهو يرى أن الله تعالى سهل له سبل معايشه، وقد يكون المعنى سهل له سبيل خروجه من بطن أمه، وحفظه ورعاه وسهل له سبل معيشته حتى موته، وأنه تعالى قد أكرمه بأن جعل بطن الأرض مستودعاً يحفظه ويستره بعد موته، وأنه بعد ذلك لا بد أن يبعثه ويحييه من جديد.

والهاء مفعول به. «من أي شيء» متعلق بـ«خلقه» الذي بعده، والاستفهام للتحقير، والسر في فصل جملة «من نطفة خلقه» هو أن الجملة جواب لسؤال محقق، ويجوز أن تكون بدلاً بناءً على أن الجملة المبدل منها خبرية في المعنى؛ إذ الاستفهام للتحقير فكأنه قال: من شيء حقير خلقه.

(١)- **سؤال:** يقال: الظاهر أن الخلق هو التقدير فما وجه العطف عليه بالفاء في قوله: «فقدره»؟

الجواب: قوله: «من نطفة خلقه» المراد بيان ابتداء خلق الإنسان لذلك قدم الجار والمجرور، وقوله «فقدره» لبيان كيفيات خلق الإنسان وتسويته على مقادير مناسبة للحكمة والمصلحة وجاءت بالعطف بالفاء لبيان أن التقدير كان بعد ابتداء الخلق مباشرة من غير مهلة.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «ثم السبيل يسره»؟ وهل يصح أن يحمل تيسير السبيل على تبيين طريق الهدى وطريق الضلال كما في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٣]؟

الجواب: «السبيل» مفعول به لفعل محذوف على سبيل الاشتغال، «يسره» فعل وفاعل ومفعول، ولا محل للجملة من الإعراب لكونها مفسرة. ولا مانع من تفسير السبيل بما ذكرتم من أنه سبيل الهدى فاللفظ محتمل لما ذكرنا ولما ذكرتم، وقد فسر بالوجهين

(٣)- **سؤال:** ما السر في قوله: «فأقبره» دون: فقبره؟

الجواب: السر هو أنه أمر بقبره أو عَلَّمَ الناس بقبره.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾[(١)] ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنهم يموتون قبل أن يؤدوا حق الله تعالىٰ ويفعلوا ما أمرهم به وأراده منهم، وقد أنزل الله سبحانه وتعالىٰ هذه الآيات ليحث بني آدم علىٰ أن ينظروا في آياته وآثار قدرته فيهم لعلهم يرجعون إليه ويعرفون عظمته وقدرته علىٰ خلقهم وإحيائهم مرة أخرىٰ.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا[(٢)] الْمَاءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا[(٣)] ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝٣٢﴾ يحث الله سبحانه وتعالىٰ الإنسان أن ينظر ويتأمل في آية طعامه هذا الذي يأكله كيف أوصله الله سبحانه وتعالىٰ إليه، فأخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن أول مرحلة في ذلك هي أنه ينزل المطر الذي يسقي به أرضهم ويرويها حتىٰ تتشقق بأنواع النبات من الحبوب ومختلف الفواكه والثمار والبساتين الكثيفة المتنوعة بأصناف الشجر.

والأبُّ: أراد الله سبحانه وتعالىٰ به مراعي أنعامهم، كل ذلك من نعمه العظيمة عليهم التي ينبغي عليهم أن يؤدوا حق شكرها بأداء ما افترض عليهم.

---

(١)- **سؤال:** ما معنىٰ «كلا» في هذه الآية؟ وما الوجه في استخدام لما هنا وهي تستعمل لما يتوقع حصوله في المستقبل؟ ومتىٰ سيقضي الإنسان ما أمره الله به في المستقبل؟

الجواب: معنىٰ «كلا» الردع والزجر عن التكبر والكفر المدلول عليه بقوله: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝١٧﴾ والواقع أن فعل الإنسان لما أمر به غير متوقع إلا أن من شأنه أن يكون متوقعاً بسبب ما أنزل الله من البينات والهدىٰ للناس فجاءت «لما» علىٰ هذا التقدير، والله أعلم.

(٢)- **سؤال:** ما وجه فتح همزة «أن» في قوله: «أنا صببنا»؟ وما وجه كسرها في قراءة نافع؟

الجواب: وجه الفتح هو كون «أنا صببنا» بدل من الطعام في قوله: «إلىٰ طعامه»، ووجه الكسر هو الاستئناف لبيان كيفية إحداث الطعام.

(٣)- **سؤال:** هل المراد بالقضب هذا المشتهر ببلاد صعدة؟

الجواب: المراد به ما يقضب أي: يقطع ليؤكل رطباً من طعام الإنسان، وقيل إن المراد به علف البهائم الذي يسمىٰ البرسيم ويسمىٰ في صعدة القضب وهو محتمل.

﴿فَإِذَا(١) جَاءَتِ الصَّاخَّةُ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ۝٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ۝٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ۝٣٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ۝٣٧﴾ ثم يذكِّرُهم الله سبحانه وتعالىٰ بيوم القيامة لعلهم يرتدعون عن كفرهم وغيهم وضلالهم.

والصاخة: هي القيامة التي تصخ أسماعهم بأصواتها الهائلة والمرعبة فيموتون من شدتها وقوتها؛ ففي ذلك اليوم يبعثون ويكون كل امرئ مشغولاً بنفسه لا يلتفت إلىٰ أحد حتىٰ أقرب أقربائه، والصاحبة: هي الزوجة.

﴿وُجُوهٌ(٢) يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ۝٤١ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ۝٤٢﴾ والناس في ذلك اليوم سينقسمون قسمين: فقسم منهم ستكون وجوههم مشرقة مضيئة ويرىٰ السرور والفرح ظاهراً علىٰ وجوههم، وآثار الاستبشار غير خافية علىٰ صورهم، وقسم منهم ستكون وجوههم مغبرة كالحة وآثار الكآبة والذلة ظاهرة عليها، والسواد يغشاها من شدة الخوف والفزع مما هم مقبلون عليه.



(١)- **سؤال:** أين جواب «إذا» الشرطية؟ وما العامل في «يوم» النصب؟

الجواب: جواب الشرط مقدر أي: يشتغل كل إنسان بنفسه، و«يوم» بدل من «إذا».

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في الابتداء بـ«وجوه» وهو نكرة؟ وما موضع جملة «ترهقها قترة»؟

الجواب: سوغ الابتداء به كونه للتنويع بدليل مقابلته بوجوه الثانية. وجملة «ترهقها قترة» في محل رفع صفة لـ«غبرة».

سورة التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ۝٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ۝٧﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى هنا عباده عن علامات الساعة وأماراتها فذكر تعالى أنه سيلف نور الشمس ويمحو ضوءها ونورها حتى تصير سوداء مظلمة، وكذلك النجوم سينطفئ نورها وضوءها، والجبال سيفجرها الله سبحانه وتعالى وينسفها حتى تصير كالغبار المتطاير.

وسينشغل الناس عما يقتنونه من المركوبات وغيرها، وسيهملونها ويتركونها[(١)] من هول وشدة ما هم مقبلون عليه، والوحوش في ذلك اليوم ستخرج[(٢)] من مخابئها فزعة مرعوبة وهاربة مما تسمعه من أصوات القيامة وأهوالها، والبحار ستتفجر بدلاً عن الماء ناراً تتطاير في الهواء، وسيرد الله تعالى أرواح[(٣)] الخلق إلى

(١)- **سؤال:** فضلاً هل هذا بالقياس على العشار (النوق الحوامل) أم أنكم ترون تناول اللفظ لجميع المركوبات؟

الجواب: العشار خاص بالنوق الحوامل التي هي أنفس أموالهم؛ فإذا تركوها فبالأولى أن يتركوا غيرها.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن يحمل حشر الوحوش على خلقها وإعادتها لإحضارها المحشر كما في قوله: ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ...﴾ [الأنعام:٣٨]؟

الجواب: المراد هنا في الدنيا عند حدوث أهوال القيامة وأفزاعها هكذا في تفسير أهل البيت عليهم السلام، ثم إنها بعد ذلك ستحشر عند حشر الناس وتبعث كما يبعث الناس، فالست الآيات الأول هن في الدنيا أي: في أول خراب الكون، وما بعدها هو عند البعث.

(٣)- **سؤال:** هل يتنافى إرجاع الأرواح إلى الأجساد عند البعث مع إمكان إرجاعها إلى الأجساد لتتعذب في قبورها أو تتنعم بما تشاهد من النعيم؟

الجواب: لا منافاة لأن المقصود هنا زوجت للبعث والحساب والجزاء.

أجسادها ويبعثهم إليه.

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ۝٩﴾[(١)] كان من ولد له بنت من المشركين يدفنها حية خوفاً من العار والفضيحة اللذين سيلحقان به، فأخبرهم الله سبحانه وتعالىٰ أنه سيسألهم يوم القيامة عن سبب قتلهم لبناتهم، وما هو الذي دعاهم إلىٰ ذلك؛ فلا يجدون مبرراً بين يدي الله يوم القيامة، ولا عذراً ينفعهم، وسيسأل الموءودة عن الذنب الذي قتلت به والغرض من سؤالها هو إظهار جريمة قاتليها وتبكيتهم.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ۝١٠﴾ وأن الله تعالىٰ في ذلك اليوم سينشر صحائف أعمالهم ويعرضها عليهم ليرىٰ كل[(٢)] امرئ سعيه وعمله في الدنيا.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ۝١١﴾ يعني أن السماء ستتهاوىٰ أجرامها ويختل نظامها وتوازنها حتىٰ يزيلها الله تعالىٰ ويفنيها.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ۝١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ۝١٣﴾ وجهنم سيشتد سعيرها لاستقبال أهلها والوافدين عليها، والجنة سيقربها الله تعالىٰ لاستقبال عباده المتقين.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ۝١٤﴾[(٣)] وهنالك ستعلم كل نفس بما عملت في

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما يكون إعراب «قتلت» وكذا قوله: «بأي ذنب»؟

الجواب: «قتلت» ماض مغير صيغة، ونائب الفاعل ضمير مستتر يعود إلىٰ الموؤدة. «بأي ذنب» جار ومجرور متعلق بقتلت.

(٢)- **سؤال:** هل هذا دليل علىٰ أن الكتب والتسجيل حقيقة لا مجاز؟

الجواب: هذا من دلائل أن الكتب والتسجيل في صحف الأعمال حقيقة.

(٣)- **سؤال:** الضمير في «أحضرت» إلام يعود؟ ومن أين نفهم العموم في «نفس» مع أنها نكرة في سياق الإثبات؟

الجواب: في «أحضرت» ضمير يعود إلىٰ «ما» والتقدير: أحضرته، والمراد به ما تضمنته الصحف المنشورة يومئذ من أعمال كل نفس، فالأعمال وإن لم يتقدم لها ذكر إلا أنها مذكورة ضمناً. و«نفس» نكرة في سياق الإثبات فلا عموم لها والمقام مقام عموم، والمعنىٰ المقصود هو العموم لقوله ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ

=

الدنيا، وسترى أعمالها ماثلة ومكتوبة في صحيفتها التي قد سجل فيها كل صغير وكبير من أعمالها.

﴿فَلَا[١] أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ۝١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ۝١٨﴾ الخنس: هي النجوم التي تظهر وتختفي، والجوار: يعني التي تجري وتسبح في السماء، والكنس[٢]: كذلك التي تظهر وتختفي، وعسعس: يعني بدأ في ظلمته، وتنفس: يعني بدأ ضوءه وظهر؛ وقد أقسم الله تعالى بهذه الأشياء ليبعث عباده على

أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠]، وقد قالوا: إن السر والنكتة في ذلك هي إظهار العظمة والكبرياء من خلال الكلام فأهل المحشر –وإن كانوا هم جميع بني آدم من أولهم إلى آخرهم– هم قليل بالنظر إلى عظمة الله وسعة ملكه وعظمة مخلوقاته وكثرتها وإحاطة قدرته؛ لذلك عبر عن أهل المحشر بنفس لكونهم بالنسبة لعظمة الله وسعة ملكه كنفس واحدة، وهذا هو من المجاز المرسل وعلاقته استعمال الخاص في العام، ولهذا الباب أمثلة.

(١)- **سؤال:** هل «لا» هذه زائدة للتأكيد أم لها وجه آخر؟ وما يكون إعراب «إذا» في قوله: «إذا عسعس» وأمثالها؟

الجواب: أحسن ما قيل في إعراب «لا» في مثل هذا الموضع إنها زائدة لتأكيد القسم، وبه قال الإمام الهادي عليه السلام. وتعرب «إذا» هنا ظرفاً لفعل القسم وليس فيها معنى الشرط ويصح أن نقول إنها شرطية وجوابها مدلول عليه بفعل القسم.

(٢)- **سؤال:** ما رأيكم في قول الإمام زيد عليه السلام في الكنَّس: هي النجوم وهي خمسة كواكب: مرجان وزحل وعطارد وبهرام والزهرة، وهكذا أيضاً روي عن الإمام علي عليه السلام؟ وهل يقتضي كلامهما مخالفة الكنس للخنس حين قال الإمام زيد عليه السلام بأن الخنس هي النجوم تخنس بالنهار؟

الجواب: الخنس: هو الرجوع بعد الإقبال، وقد قالوا: إن الخمسة النجوم تسير في أفلاكها إلى أن تصل إلى مطالعها ومطالعها كما قالوا هي في سمت رؤوسنا تقريباً فإذا وصلت إلى مطالعها هذه تباعدت منها، فتباعدها هو خنوسها، وعلى هذا فإن لهذه الخمسة النجوم خنوس خاص من بين النجوم، ولها خنوس آخر مع النجوم، هو اختفاؤها بنور الشمس فكل نجوم السماء وكواكبها تخنس في النهار أي تختفي، فعلى هذا التفسير والتوجيه لا معارضة.

النظر والتفكر في هذه الآيات الدالة على قدرة مبتدعها، وسعة علمه وحكمته.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ[١] أَمِينٍ ۝٢١﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بهذه الأشياء ليؤكد لأولئك المشركين المكذبين أن هذا القرآن قد نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم وصف الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام بأنه ذو قوة عظيمة وصاحب منزلة رفيعة ومكانة عظيمة عنده تعالى، وأنه أمين مطاع عند بقية الملائكة لكونه أفضلهم وأرفعهم منزلة عنده تعالى.

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ[٢] بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝٢٥﴾ وأيضاً أقسم الله سبحانه وتعالى لهم أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول من عنده صادق في رسالته ليس بذي جنون في مقالته، وأخبرهم أن رسولهم هذا قد رأى جبريل[٣] عليه السلام في السماء، وأنه ليس

---

(١)- **سؤال:** ما وجه وصف جبريل عليه السلام بقوله: «كريم»؟ وبماذا تعلق الظرف «عند»؟ و«ثم» هل هي ظرف بمعنى «عند» أم اسم إشارة بمعنى «هناك»؟

الجواب: الوجه في وصف جبريل عليه السلام بكريم هو للرد على المشركين فيما كانوا يقولونه في تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورد ما جاء به: إن ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو وحي شيطان، ومعنى رسول كريم أنه رسول من الله يأتي بمنافع للناس وهدى وخير ليس فيه شر وضر وباطل وخرافات كما هو الحال في الشياطين، و«عند» ظرف مكان متعلق بمكين. «ثم» ظرف مكان مضمن معنى الإشارة أي: أنه يشار بها للمكان.

(٢)- **سؤال:** هل «على» في قوله: «على الغيب» على بابها أم أنها بمعنى «في»؟ وبماذا تعلق قوله: «على الغيب»؟

الجواب: «على» بمعنى «في» وهي متعلقة بضنين.

(٣)- **سؤال:** هل خصصت رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل لأنه رآه على صورته الحقيقية مرتين كما في بعض الآثار عن عائشة أم لماذا؟

الجواب: نعم خص ذكر رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه رآه مرتين كما في سورة النجم وكما هنا على صورته الحقيقية، وإلا فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يراه كثيراً على غير صورته الحقيقية.

بمتهم فيما حذرهم وأنذرهم وأخبرهم به من أمر البعث والحساب والجنة والنار، وأن ما يسمعونه منه ليس من كلام السحرة والشياطين.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ(١)۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ۝٢٧ لِمَنْ(٢) شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ۝٢٨﴾ فأين تذهب بكم ظنونكم حتى تقولوا عنه ما تقولون وتنسبوا إليه ما ليس فيه من الشعر والجنون والسحر، وأخبرهم أن ما يسمعونه يقرأه من القرآن ليس إلا كلام رب العالمين أنزله ليذكرهم ويعظهم بآياته، وأنه لن يتذكر بآياته إلا من أراد الاستقامة على طريق الحق والصواب.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «فأين تذهبون»؟ وما المراد بالاستفهام هنا؟

الجواب: «فأين» ظرف مكان متعلق بتذهبون، «تذهبون» مضارع والواو فاعل، والمراد بالاستفهام تجهيل المخاطبين وإعلان ضلالهم.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «إن هو إلا ذكر»؟ وهل قوله: «لمن شاء» بدل من الجار والمجرور السابق «للعالمين»؟ وما يبتني على ذلك من معنى؟

الجواب: «إن» نافية، «هو» مبتدأ، «إلا» أداة استثناء مفرغ، «ذكر» خبر، «للعالمين» متعلق بمحذوف صفة لذكر، و«لمن شاء» بدل من «للعالمين» بإعادة الجار، والذي يبتني على ذلك بطلان قول المجبرة الذين قالوا: إن الكافرين مضطرون على الكفر غير قادرين على الخروج منه؛ لأنه ليس لهم مشيئة ليتمكنوا بواسطتها من اختيار الإسلام إلا أن هذه الآية تكذبهم وتبطل قولهم ومذهبهم الفاسد، وأما استدلالهم على أنه لا مشيئة للكافرين بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ۝٢٩﴾ [التكوير]، فليس فيه دليل كما توهموا؛ لأن المعنى: لا سبيل لكم أيها العالمون إلى الاستقامة ولا قدرة لكم على مشيئتها لأنها أحكام وشرائع وعبادات بدنية ومالية وعقائد و..إلخ إلا أن يشاء الله أن يعلمكم ويبين لكم ذلك، وقد شاء الله تعالى ذلك فأرسل الرسل وكان آخرهم خاتمهم صلوات الله عليهم جميعاً ورحمته وبركاته الذي بعثه الله إليكم أيها المخاطبون وأوحي إليه بالقرآن، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٢﴾ [الجمعة].

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ[(١)] رَبُّ الْعَالَمِينَ۝٢٩﴾[(٢)] ومهما طلبتم الهداية وبحثتم عنها فلن تجدوها ولن تصلوا إليها إلا بمشيئة الله تعالىٰ وتسهيله سبيلها وطرقها لكم، وقد يسرها لكم فبعث إليكم من يهديكم ويدلكم علىٰ سبل السلامة ورضوان الله.

❁❁❁❁❁

سورة الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ۝٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ۝٣ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ۝٥﴾ يذكِّر الله سبحانه وتعالىٰ عباده هنا بيوم القيامة وأخبرهم أن بداية ذلك أن السماء ستتفطر وتتشقق وتتهاوىٰ أجرامها، وأن البحار ستتفجر انفجاراً هائلاً وستنقلب مياهها نيراناً مشتعلة، والقبور ستُخْرِجُ مَنْ بداخلها إلىٰ ساحة الحشر والحساب فعند ذلك الموقف سيطلع كل امرئ علىٰ صحيفته التي ستنشر أمام عينيه ليرىٰ فيها جميع ما قدم وأخر من الأعمال صغيرها وكبيرها.

﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ۝٦ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ۝٨﴾[(٣)] ثم يتلطف الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ عباده ويدعوهم

---

(١)- **سؤال:** هل هناك مقدر محذوف قبل المصدر المؤول من «أن يشاء الله»؟ وما الموجب لتقديره؟

الجواب: نعم هناك مقدر إما أن يكون: إلا حال أنه يشاء الله، أو: إلا وقت أن يشاء الله. والموجب لتقديره هو أن المعنىٰ يقتضي تقديره ولا يتم المعنىٰ المراد إلا به.

(٢)- **سؤال:** قد يستدل بعض أهل الجهل من القدرية علىٰ أنا لا نشاء المعاصي إلا وقد شاءها الله لنا بظاهر الآية، فما هو أسرع جواب مقنع يرد به المرشدون؟

الجواب: قد تضمن الجواب السابق في آية (٢٨) كيفية الرد.

(٣)- **سؤال:** ما معنىٰ «أي» في قوله: «في أي صورة ما شاء»؟ وهل «ما» فيها زائدة أم ماذا؟ وكيف =

إليه، ويُعَجِّب[١] من حالهم ما هو الذي صرفهم عنه وعن التوجه إليه وإلى عبادته مع ما أولاهم من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وحثهم أن ينظروا في نعمة خلقهم في أحسن تقويم وأجمل صورة من بين جميع مخلوقاته، وتشريفهم على سائر الخلق، فما هو الذي صرفهم إلى عبادة تلك الآلهة التي لا تضر ولا تنفع ولا تغنيهم شيئاً؟

﴿كَلَّا[٢] بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝ وَإِنَّ[٣] عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه لم يصرفهم شيء وإنما طبيعتهم التمرد والتكذيب والعناد ولكن لا بد من بعثهم وحسابهم وجزائهم، وقد وكل على كل واحد منهم حفظة من ملائكته يحصون عليه جميع أعماله.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ[٤] لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝

يكون تحليل الآية بناء على هذا؟

الجواب: «في أي صورة» أي: في واحدة من الصور التي اختارها الله لك. و«ما» صلة والمعنى أن الله تعالى ركب خلقك أيها الإنسان في صورة كريمة شاءها واختارها لك ميزك بها عن غيرك.

(١)- **سؤال:** هل معنى الاستفهام هنا التعجب أم كيف؟

الجواب: هو للتعجيب والتوبيخ.

(٢)- **سؤال:** ما تفيد «كلا» هنا من معنى؟

الجواب: تفيد الردع والزجر عما عليه الإنسان من الكفر والغرور بالله.

(٣)- **سؤال:** إذا كانت الواو عاطفة هنا فهل العطف متناسب أم لا؟

الجواب: الواو للحال والجملة حالية من فاعل «تكذبون».

(٤)- **سؤال:** هل يدخل فساق المسلمين في لفظة «الفجار»؟ وهل دخولهم حقيقة أم مجاز؟ ومن أي أقسام النوعين؟

الجواب: فساق المسلمين داخلون في عموم لفظة «الفجار» بدليل قوله تعالى: ﴿يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝...﴾ الآية [المدثر]، ودليل مقابلة المجرمين بالمتقين في قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۝﴾ [ص]، ومقابلتهم بالأبرار في هذه السورة وبأن الزانية تسمى فاجرة، وبأنه يقال: اليمين الفاجرة،

=

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴿١٦﴾﴾[1] فسيبعثهم الله تعالىٰ ثم يجازيهم، فالأبرار الأتقياء سيدخلهم في دار كرامته ومستقر رحمته يأكلون ويتنعمون، والعصاة المتمردون سيدخلهم نار جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ[2]﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴿١٩﴾﴾ وفي الاستفهام عنه وتكريره مبالغة في عظمته وتفخيم لشأنه، وما سيكون فيه من الأهوال والشدائد، ومهما وصف ذلك الواصفون فلن يستطيع أحد أن يقدر قدره أو يتصور مدىٰ كبره وعظمته، فهو أعظم مما يتصوره المرء ويتخيله، ولن يستطيع أحد أن ينفع أحداً في ذلك اليوم أو يشفع له إلا ما قدمه من العمل الصالح في الدنيا، والحكم سيكون لله تعالىٰ وحده في ذلك اليوم، وسيحكم بين عباده بالحق والعدل، ولا يظلم ربك أحداً أو ينقصه أو يهضمه.



والفاجر هو صاحبها، ويومُ الفِجَارِ يومٌ للعرب تفاجروا فيه أي: أنهم تقاتلوا في الشهر الحرام أو البلد الحرام، وفي حديث: ((إن فجر ظهرك فلا يفجر بطنك)).

(١)- **سؤال:** ما الحكمة في نفي خروجهم بهذا التعبير «وما هم عنها بغائبين»؟

الجواب: السر والحكمة: هو التفنن في العبارة كما قال تعالىٰ عن أهل الجنة: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر]، ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف].

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «وما أدراك ما يوم الدين»؟ وعلام انتصب قوله: «يوم»؟

الجواب: «ما» اسم استفهام مبتدأ، «أدراك» جملة في محل رفع خبر المبتدأ، «ما يوم الدين» ما: مبتدأ ، ويوم الدين: خبره ، والجملة في محل نصب معلقة بالاستفهام، ويوم في «يوم لا تملك...» مفعول به لـ«اذكر» محذوفاً.

سورة المطففين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ۝٣﴾[1] الويل هو الوعيد من الله سبحانه وتعالى بالعذاب الشديد للمطففين وهم الذين يستوفون حقوقهم من الناس كيلاً ووزناً ولا يوفون الناس حقوقهم في كيلهم ووزنهم.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ۝٦﴾ ألم يعلم[2] هؤلاء المطففون أن الله سبحانه وتعالى سيبعثهم بعد موتهم للجزاء والحساب على أعمالهم الصغير منها والكبير، والاستفهام هنا للاستنكار[3]،

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في الابتداء بكلمة «ويل»؟ وما أصل «المطففين»؟ وممّ أخذت؟ وما الوجه في استخدام المضارع في جواب «إذا» الشرطية «يستوفون»؟ وهل يتعدى: «كالوا» لمفعوله وهو الضمير «هم» بنفسه أم إنه على حذف اللام المعدِّي؟

الجواب: الابتداء بكلمة «ويل» يشير إلى أن موضوع السورة تهديد ووعيد وفي ذكر العذاب الشديد وليفهم المخاطب من سماعه لأول كلمة أنها سورة غاضبة تهدد وتنذر وتوعد و...، وتنكير «ويل» للتعظيم والتهويل. «المطففين» جمع مطفف اسم فاعل من طفَّف إذا بخس الكيل أو الوزن يطفف تطفيفاً، وأصله أنّ بَخْس الكيل أو الوزن يكون شيئاً طفيفاً أي: حقيراً أو قليلاً.

وجاء جواب الشرط بالمضارع «يستوفون» ليفيد أن ذلك يتجدد منهم ولا يزال يحدث من غير انقطاع «كالوهم أو وزنوهم» الضميران منصوبان بنزع الخافض والتقدير: كالوا لهم أو وزنوا لهم، وقد يكون من باب شكره وشكر له، أي: أنه يتعدى مرة بنفسه ومرة بالحرف.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في تفسير الظن بالعلم هنا؟ وهل يصح إبقاؤه على ظاهره أم لا؟

الجواب: الوجه هو ما قام من الدلائل القطعية الموجبة للعلم، ويصح أن يبقى على ظاهره أي: لو لم يكن عندهم إلا الظن والتجويز في شأن البعث لم يتجاسروا ولم يقدموا على التطفيف.

(٣)- **سؤال:** هل يفهم الاستفهام من الهمزة وحدها فما معنى «لا»؟ أم من «ألا» جميعها؟ وهل =

فإن من صدق بالبعث والجزاء يبتعد عن الظلم للناس وأكل أموالهم.

ومبعثهم ذلك يكون في يوم عظيم يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الأولين والآخرين فيدخل أهل طاعته جنته ونعيمه، ويعذب الظالمين في نار جهنم.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ۝٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ۝٨ كِتَابٌ مَرْقُومٌ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ۝١٠ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ۝١١﴾ ارتدعوا أيها المكذبون عن تكذيبكم بيوم الدين فإن أعمالكم محصية مسجله في صحف لا تغادر صغيرة ولا كبيرة.

وسجين: يعني في حبس[(١)]، وذلك أنها لم تصادف قبولاً من الله سبحانه وتعالى.

والويل: هو العذاب الشديد للذين يكذبون بيوم الدين.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ۝١٢ إِذَا تُتْلَى[(٢)] عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ۝١٣﴾ فلا يكذب به إلا الذين يتجاوزون حدود الله تعالى بمعاصيهم وفسوقهم، ويرتكبون المآثم ولم يتحرجوا عنها، والذين من صفتهم التكبر عن سماع الحق وقبوله.

يصح أن تحمل «ألا» على معنى آخر أم لا؟ وما الوجه في نصب «يوم يقوم» وعدم جره؟

الجواب: الهمزة للاستنكار التوبيخي، و«لا» نافية فالاستنكار والتوبيخ على الظن المنفي بلا النافية، ويصح أن تقول إن الاستفهام لتقرير ما بعد النفي وليست «ألا» للاستفتاح لأن المقصود من السياق الاستنكار عليهم في الإقدام على التطفيف مع وجود الزاجر عن فعله وهو العلم أو الظن بالبعث أي: أن عليهم الاستنكار من عدم عملهم بموجب العلم أو الظن، وأما فتح « يوم يقوم » فقيل إنه بدل من « ليوم » على المحل لأن محله النصب معمولاً لـ« مبعوثون » ، وقيل: إنه منصوب على الظرفية والعامل فيه فعلٌ دل عليه مبعوثون ، والله أعلم.

(١)-**سؤال:** هل يتناسب هذا المعنى مع إعراب «كتاب مرقوم» أم كيف؟

الجواب: «سجين» هو محل أو مكان كتاب مرقوم فهناك مضاف مقدر.

(٢)-**سؤال:** هل لجملة «إذا تتلى عليه آياتنا قال» موضع من الإعراب فما هو؟ أم لا موضع لها فلماذا؟

الجواب: محل الجملة الشرطية الجر صفة ثانية لمعتدٍ.

﴿كَلَّا بَلْ(١) رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤﴾(٢) والذي صدهم عن قبول الحق والإيمان به هو إجرامهم وتوغلهم في فعل المعاصي حتى استولت على قلوبهم وغطت عقولهم.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ(٣) ١٥ ثُمَّ(٤) إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾ ليس للمكذبين أي حظ يوم القيامة أو نصيب في رحمة الله سبحانه وتعالى وثوابه الذي يعطيه أهل طاعته، وليس لهم إلا

---

(١)- **سؤال:** ما فائدة العطف بـ«بل» بعد «كلا» هنا؟

الجواب: فائدته الانتقال من صفة للمكذبين إلى صفة أخرى أعظم منها وأسوأ.

(٢)- **سؤال:** قد يستدل أهل الجبر بهذه الآية على مذهبهم الفاسد فكيف يجيب عليهم المرشدون بجواب مختصر؟

الجواب: ليس في الآية ما يدل على ما يقولون؛ لأنها إنما تدل على أن ما كسبوه من الأعمال السيئة والمعاصي غطت قلوبهم، وليس في الآية أن الله تعالى هو الذي حجب قلوبهم عن قبول الحق وسماعه؛ لذلك فهم الذين حجبوا قلوبهم بأعمالهم الخبيثة.

(٣)- **سؤال:** قال في كتاب (تفسير العشر الأخير) في معنى «لمحجوبون»: حجبهم في الآخرة عن رؤيته كما حجبهم في الدنيا عن توحيده، فكيف تقيِّمون هذه العبارة وما اشتملت عليه؟ وكيف يوضح المرشد فسادها بأبسط جواب؟

الجواب: هذه العبارة أولها جهالة وآخرها ضلالة، فليس في الآخرة رؤية ولا حجب، ولم يمنع الله تعالى في الدنيا عن توحيده بل دعا الكافرين إلى الإيمان والتوحيد تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ولو أن الله تعالى حجب ومنع الكافرين والمشركين عن توحيده والإيمان به، ثم إنه تعالى عذبهم على الشرك والكفر لكان ظالماً غير عادل سبحانه وتعالى، ورؤية الله تعالى مستحيلة وغير ممكنة؛ لأنه تعالى ليس من جنس المرئيات؛ إذ المرئيات إنما هي الأجسام وصفاتها والله تعالى ليس بجسم ولا متصف بصفات الأجسام؛ لأن الأجسام وصفاتها محدثة.

(٤)- **سؤال:** ما السر في استعمال «ثم» في العطف هنا؟

الجواب: السر: هو لتفيد أن صليهم الجحيم أعظم وأشد من حرمانهم من الجنة.

عذاب الجحيم يصلون سعيرها ويقال لهم حينئذ: هذا ما كنتم تكذبون به حين دعتكم أنبياؤكم إلى الإيمان به، وحذرتكم من الوقوع فيه.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ۝ كِتَابٌ مَرْقُومٌ۝ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ۝﴾ وأما عباد الله تعالى الذين يعملون أعمال البر التي تقربهم إلى الله سبحانه وتعالى فأعمالهم قد أحصاها الله تعالى في كتب مرقومة[1]، ولها عنده تعالى منزلة عالية ودرجة رفيعة تقرأها الملائكة وتتطلع عليها، ومعنى «لفي عليين» : أماكن عالية علواً عظيماً.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ[2] يَنْظُرُونَ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ۝ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ۝ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ۝ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا[3] الْمُقَرَّبُونَ۝﴾ يتحدث الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات عما أعده للأبرار من النعيم المقيم والثواب العظيم في جنات النعيم حيث يظهر بهاء ذلك النعيم في وجوههم وفي ملابسهم وفي مطاعمهم ومشاربهم وفي مجالسهم الرفيعة، ويشربون الرحيق في آنية مختومة بالمسك؛ فهذا ما ينبغي التنافس فيه لا في حطام الدنيا الفانية، وشرابهم هذا مخلوط من التسنيم وهي عين أعدها الله سبحانه وتعالى يشرب منها عباده المقربون، والمراد

---

(١)- **سؤال:** إذا كان معنى «مرقوم» مكتوب فما يفيده قوله «كتاب مكتوب»؟

الجواب: يفيد التأكيد والتقرير كضربت ضرباً وأكلت أكلاً.

(٢)- **سؤال:** بماذا تعلق الجار والمجرور؟ وما محل جملة «ينظرون»؟

الجواب: الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل ينظرون، وجملة «ينظرون» في محل رفع خبر ثان.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «عيناً»؟ وهل الباء في قوله: «بها» على بابها أم لا فما معناها؟

الجواب: «عيناً» منصوب بفعل محذوف أعني أو أمدح أو يسقون، والباء في قوله «بها» هي على بابها وهي للآلة كالتي في «كتبت بالقلم» كأن التسنيم آلة لشرب الرحيق المختوم.

بالرحيق المختوم بالمسك: الخمر الصافية النقية المغطاة التي أحكم غطاؤها بالمسك لئلا يدخل الهواء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ۝٣٠ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ۝٣٢ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ۝٣٣﴾ وأما المجرمون فليس لهم إلا عذاب جهنم خالدين فيها؛ لأنهم كانوا يستهزئون بالدين وبالمؤمنين، ويكذبون بالأنبياء والمرسلين، ويسخرون منهم متفكهين بذلك، ويسمونهم بالضلال عند رؤيتهم احتقاراً لهم واستهزاءً بهم، وليس لهم سلطان على أعمال المؤمنين أو في محاسبتهم عليها فذلك إلى الله سبحانه وتعالى وحده.

﴿فَالْيَوْمَ[1] الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ۝٣٤ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ۝٣٥﴾ أما يوم القيامة فستنعكس الحال فالكافرون في خزي ومهانة يضحك منهم المؤمنون، ويستهزئون بهم ويوبخونهم، وهم على أرائكهم ينظرون إليهم.

﴿هَلْ[2] ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ۝٣٦﴾ حقاً قد لقي الكفار جزاء أعمالهم.

۞۞۞۞۞

---

(١)- **سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟ وعلام انتصب «اليوم»؟ وهل قوله: «الذين آمنوا من الكفار يضحكون» مبتدأ وخبر أم ماذا؟

الجواب: الفاء للتفريع فضحك يوم القيامة متفرع ومسبَّب عن ضحك الكفار في الدنيا على المؤمنين، و«اليوم» منصوب بيضحكون مفعول فيه، والجملة من قوله «الذين آمنوا من الكفار يضحكون» مبتدأ وخبر أي: «الذين» مبتدأ، و«يضحكون» خبر.

(٢)- **سؤال:** هل هذه الجملة مقول لقول محذوف أم ماذا؟ وهل قوله: «ما كانوا» مفعول ثان لثوب فلم يظهر لنا أم أنه على حذف حرف الجر؟ وما هو المعنى الذي ينبني على هذا الإعراب؟

الجواب: الجملة مقول قول محذوف. «ما كانوا» مفعول به في محل نصب؛ لأن التضعيف معدٍّ كالهمزة، ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ﴾ [المائدة:٨٥]، أي: قد أثاب الله الكفار جزاء ما كانوا يفعلون.

سورة الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ يتحدث الله سبحانه وتعالىٰ عن أحوال يوم القيامة وأهوالها وحوادثها، فالسماء تتشقق وتتهاوىٰ أجرامها.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[1] يعني أطاعت واستجابت لأمر ربها، ولم تتأبَّ عن إرادته ومشيئته، وحق لها أن تستجيب ولا تتأبىٰ.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ والأرض والجبال ستدك دكاً في ذلك اليوم، وتصير هباءً منبثاً حتىٰ تصبح الأرض مستوية لا بحار فيها ولا جبال: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه]، وستخرج الأرض ما في بطنها من الأموات للجزاء والحساب مستجيبة لأمر ربها.

﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ[2] كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[3] إنك أيها الإنسان قادم علىٰ أمر عظيم وهول جسيم، وذلك هو الموافاة ليوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنْقَلِبُ إِلَى

---

(١)- **سؤال:** هل مرجع التاء هذه إلىٰ الاستجابة أم لا فما وجه تأنيث الفعل؟

الجواب: التاء تعود للسماء أي: وحقت السماء بالطاعة والانقياد.

(٢)- **سؤال:** إذا كان هذا جواب «إذا» الشرطية فما وجه سقوط الفاء عنه؟

الجواب: جواب الشرط محذوف للتهويل، وليس قوله: «إنك كادح» جواباً، بل يقدر له جواب: بعثت الخلائق وحوسبت، بدليل ما بعده.

(٣)- **سؤال:** لم يظهر لنا كيف يكون الكدح إلىٰ الله فلو وضحتموه لكان مناسباً؟

الجواب: الكدح: هو العمل الجاد والسعي الحثيث الذي يظهر أثره علىٰ جلد العامل، أي: يظهر كدوح علىٰ جلده بسبب السعي والجد في العمل، وهكذا الإنسان المؤمن في عمله الجاد المتواصل، والمجرم في عمله الجاد المتواصل.

﴿أَهْلِهِ مَسْرُورًا۝٩﴾[(١)] فإن كنت أيها الإنسان من أهل طاعة الله تعالى فستأخذ كتابك بيمينك[(٢)]، وسيحاسبك الله تعالى حساباً يسيراً، وتعلوك البهجة والسرور والفرح والحبور بما كتب الله سبحانه وتعالى لك من الفوز برضوانه والسلامة من نيرانه.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا[(٣)]۝١١ وَيَصْلَى سَعِيرًا۝١٢ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا۝١٣ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ[(٤)]۝١٤ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا۝١٥﴾[(٥)] وأما أهل المعاصي والسيئات فسيأخذون صحف أعمالهم

---

(١)- **سؤال:** من المراد بالأهل الذين ينقلب إليهم المؤمن؟ وهل معنى الانقلاب إليهم أنهم قد تقدموه إلى الجنة أم ماذا؟

الجواب: المراد بالأهل الأقارب، ينقلب إليهم في المحشر إلى موقفهم يبشرهم بفوزه، كما هي العادة في الدنيا فإن الفائز بأمر ينقلب إلى أهله وإخوانه وأصحابه يبشرهم بما ناله من الفوز والنجاح بل إنه يطير إليهم فرحاً ولا يلتفت إلى أحد حتى يصل إليهم، والمراد المؤمنون من أهله الذين يفرحون لفرحه.

(٢)- **سؤال:** هل تميلون للظاهر في هذه الآية أي: أن أخذ الصحف بالأيدي اليمنى واقع على حقيقته في حق المؤمنين والعكس في غيرهم أم لا؟ مع تعليل نظركم الثاقب.

الجواب: العمل حسب الظاهر أولى وليس هناك ما يمنع من القول به.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب «وراء ظهره» مفصلاً وكذا: «يدعو ثبوراً»؟

الجواب: «وراء» منصوب بنزع الخافض والأصل من وراء ظهره، أي أن يديه تكونان مربوطتين وراء ظهره كالأسير فيأخذ صحيفته بشماله المربوطة وراء ظهره، «يدعو» مضارع وفاعله ضمير مستتر، «ثبوراً» مفعول به.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «أن لن يحور» و«بلى»؟ وما وجه فصل جملة «إنه ظن أن لن يحور» عن سابقتها مع كون الجملتين مسوقتين لبيان سبب صليه في النار؟

الجواب: «أن» مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، «لن يحور» جملة في محل رفع خبر «أن»، و«أن» وما دخلت عليه في محل نصب مفعول به ساد مسد المفعولين، «بلى» حرف جواب. فصلت لأن كل واحدة من الجملتين علة مستقلة وليس مجموع الجملتين علة واحدة.

(٥)- **سؤال:** ما وجه تذييل هذه الآيات بقوله سبحانه: «إنه كان به بصيراً»؟

=

بشمائلهم المربوطة خلف ظهورهم وهنالك سينادون بالويل والثبور لما يرون من سخط الله تعالى وشدة غضبه عليهم، وما أعده لهم من عذاب النار، ثم يسحبون على وجوههم إلى جهنم ليتذوقوا عذابها، وذلك بسبب إعراضهم الشديد عن ذكر الله سبحانه وتعالى، وميلهم إلى متاع الدنيا وغرورها وتقلبهم في نعيمها مسرورين بما هم فيه من ذلك النعيم بين أهليهم وذويهم مكذبين باليوم الآخر غافلين عنه، ظانين أنهم لن يرجعوا ولن يلقوا جزاءً ولا حسابا على ذلك، ولكن بلى سيلقون الجزاء والحساب وذلك أن الله سبحانه وتعالى عليم حكيم، وقد اقتضت حكمته أن يرتب جزاء الآخرة على أعمال الدنيا.

﴿فَلَا(١) أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ١٦ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ(٢) ١٧ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ١٩﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالشفق وهو الحمرة التي تعقب غروب الشمس، وهي آية عظيمة دالة على قدرته؛ ليتفكر عباده في هذه الآية العظيمة، وكذلك أقسم بالليل وما حواه وضمه من الحيوانات المنتشرة بالنهار؛ ليلفت عقول عباده إلى آية الليل هذه وما فيها.

الجواب: الوجه في ذلك هو التأكيد لما سبق فهو سبحانه بصير بعباده منذ أن خلقهم وبأعمالهم خيرها وشرها لا تخفى عليه خافية منها وبآجالهم ومقاديرها ثم هو تعالى بصير بحسابهم عالم بأعمالهم يجزي كل عامل بعمله و.. إلخ.

(١)- **سؤال:** ما فائدة دخول الفاء هنا؟ وما الوجه الأنسب في «لا»؟

الجواب: الفاء فصيحة أي: إذا ارتبتم فيما ذكر من انشقاق السماء والبعث والحساب والصحف فلا أقسم والمناسب في «لا» أن تكون صلة وتأكيداً (زائدة).

(٢)- **سؤال:** ما الراجح في نظركم في «ما» في قوله: «وما وسق» هل المصدرية أم الموصولية؟ وممَّ أخذت لفظة «وسق»؟

الجواب: الراجح هي الموصولية؛ لأن القسم يكون أبلغ لأن الليل يجمع البحار بما فيها من مخلوقات والبراري بما فيها من مخلوقات، والجبال والسماء وما فيها من نجوم وكواكب، و«وسق» مأخوذ من مصدر وسقه يسقه وسقاً إذا جمعه وضمه، ومنه سمي الوسق «مكيال».

وكذلك أقسم بالقمر إذا استتم نوره في ليلة النصف؛ ليلفت أنظار عباده إلى التفكر في هذه الآية العظيمة، أقسم الله تعالى لعباده بتلك الآيات؛ لأن من نظر فيها عرف[(١)] قدرة الله تعالى على بعث الموتى وإحياء العظام.

ومعنى ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: لتلاقن حالة[(٢)] بعد حالة، من الموت، ورؤية الملائكة، والسؤال والحساب والجزاء.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ[(٣)] ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۝ وَاللَّهُ[(٤)] أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا

---

(١)- **سؤال:** من أي ناحية يعرف ذلك؟

الجواب: يعرف ذلك بعد النظر والتفكر، وذلك أن العاقل إذا أمعن النظر والتفكر علم أن تلك المخلوقات العظيمة لا بد أنها خلقت لأمر عظيم، وإلا كان خلقها عبثاً باطلاً، وقد أدرك ذلك أولو الألباب الذين ذكرهم الله تعالى في سورة آل عمران في قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝...﴾ الآيات.

(٢)- **سؤال:** ما هو الوجه في إطلاق الطبق على الحال؟ وبم تعلق الجار والمجرور «عن طبق» وكيف صارت «عن» بمعنى «بعد» هنا؟

الجواب: يطلق الطبق على الحال وهو أحد معانيه كما في مختار الصحاح، و«عن » للمجاوزة، و«عن طبق» صفة لطبق أي مجاوزاً لطبق، ومعنى ذلك: طبقاً بعد طبق، والتفسير قد كان على المعنى، وهكذا فسر المفسرون فإنهم يقولون: حالاً بعد حال وتفسيرهم هو على المعنى.

(٣)- **سؤال:** ما موضع هذه الجملة؟ وما فائدة الإضراب بـ«بل» في قوله: «بل الذين كفروا..»؟

الجواب: «لا يؤمنون» في محل نصب حال من الضمير المجرور، وفائدة الإضراب بـ«بل» بيان الانتقال من خبر إلى خبر أدل على كفرهم وعنادهم.

(٤)- **سؤال:** هل الواو هذه عاطفة أم حالية؟ وما معنى الفاء في «فبشرهم»؟

الجواب: الواو حالية والفاء فصيحة أي: إن استمروا في تكذيبهم فبشرهم بعذاب أليم.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴿٢٥﴾﴾[1] فما لهم لا يؤمنون بعد معرفتهم لهذه الآيات الدالة على قدرته تعالى، وأي شيء يمنعهم من الإيمان باليوم الآخر بعدما بصرهم الله سبحانه وتعالى آيات قدرته على لسان نبيه ﷺ وفي كتابه، وما لهم لا يتواضعون لله تعالى عند سماعهم لآيات القرآن الدالة على عظمة الله تعالى وقدرته.

والذي منعهم من الإيمان هو عنادهم وشدة تكبرهم بعد معرفتهم واستيقانهم بآيات الله سبحانه وتعالى، ولا يظنون أنه غافل عنهم بل قد أحصى أعمالهم صغيرها وكبيرها، فأخبرهم يا محمد بما قد أعد الله سبحانه وتعالى لهم من العذاب الأليم جزاءً على تكذيبهم وكفرهم. ومعنى «بما يوعون» : يجمعون في ضمائرهم.

أما المؤمنون الذين يعملون الصالحات فلهم عند الله تعالى ثواب وأجر عظيم لا ينقطع أو يزول.

❁❁❁❁❁

سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴿٣﴾﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالسماء ذات الكواكب والنجوم ليلفت أنظارنا بهذا القسم إلى النظر والتفكر في السماء وما فيها من الآيات العظيمة الدالة على عظمته وقدرته.

والبروج: هي منازل الكواكب وطرقها التي تسير فيها. واليوم الموعود: هو يوم

---

(١)- **سؤال:** إذا كان الاستثناء منقطعاً بمعنى «لكن» في قوله: «إلا الذين آمنوا» فهل يصح أن نجعل «الذين» مستثنى فما محل جملة «لهم أجر غير ممنون»؟ وإن جعلناه مبتدأ فما هي الفاء الداخلة على «لهم أجر» في غير هذا الموضع كما في سورة التين وغيرها؟

الجواب: إذا جعلنا «الذين» مستثنى منقطعاً كانت الجملة بعده استئنافاً بيانياً، وإذا جعلناه مبتدأ كانت الفاء رابطة لتضمن الموصول معنى الشرط، والجملة في محل رفع خبر المبتدأ.

القيامة أقسم الله سبحانه وتعالىٰ به ليلفت أفكارنا وأنظارنا إلىٰ التفكر فيه. والشاهد: هم الأنبياء، والمشهود: هم أممهم الذين بعثوا إليهم.

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ(١) ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾(٢) يعني: لعن أصحاب الأخدود وهم الذين عذبوا المؤمنين بأن أضرموا النار في أخدود كبير بنجران، ثم ألقوا بهم في ذلك الأخدود فاحترقوا، وهم ينظرون إليهم، متلذذين بما يرونه من تحريقهم(٣).

---

(١)- **سؤال:** إذا كان قوله «قتل أصحاب الأخدود» جواب القسم فما وجه سقوط «اللام» و«قد» منه؟

الجواب: الأولىٰ أن يكون جواب القسم محذوفاً تقديره: إن الجزاء لحق، أو إن الجزاء لواقع علىٰ المجرمين؛ لأن قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾ جملة دعائية أي إنشائية كما يظهر من استعمال هذا الفعل «قتل..».

(٢)- **سؤال:** كيف يكون قوله «النار» بدلاً من «الأخدود» في المعنىٰ؟ وما العامل في «إذ» في قوله: «إذ هم عليها قعود»؟ وهل جملة «وهم علىٰ ما يفعلون بالمؤمنين شهود» معطوفة أم حالية؟

الجواب: «النار» بدل اشتمال من الأخدود الذي اشعلوا فيه النار، والمعنىٰ: قتل أصحاب النار التي أشعلوها في الأخدود ليحرقوا المؤمنين بسعيرها والعامل في «إذ» «قتل..». وجملة: «وهم علىٰ ما يفعلون» معطوفة علىٰ: «هم عليها قعود» فهي في محل جر.

(٣)- **سؤال:** هل عرف زمان هذه القصة ووقتها؟ وما الحكمة الدقيقة في إيراد الله لها وتلاوتها علىٰ المؤمنين؟

الجواب: وقت القصة كما روي هو في الفترة التي بين زمن رسول الله عيسىٰ بن مريم عليه السلام وبين خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم. والحكمة في إيراد الله تعالىٰ لها في القرآن الكريم هي – والله أعلم– تثبيت المؤمنين والشد من عزائمهم ومن قوة صبرهم علىٰ ما يلحقهم من أذىٰ المشركين وتذكيرهم بما كان يجري علىٰ من كان قبلهم من المؤمنين من التعذيب والأذىٰ وكيف كان صبرهم وثباتهم، فإن المؤمنين إذا سمعوا ذلك هان عليهم ما بهم من أذىٰ المشركين وغيرهم –فالمصائب إذا عمت هانت–، واشتدت عزائمهم وقوي صبرهم، وحل الأنس بقلوبهم.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ۝٨ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ۝٩﴾(١) وليس لأولئك المؤمنين ذنب يستحقون به ذلك التحريق بالنار إلا أنهم آمنوا بالله تعالى القوي الغالب الذي يستحق الحمد، المستولي بسلطانه على ملك السماوات والأرض، ولا تخفى عليه خافية، وسيجازي كل عامل بما عمل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا(٢) فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ

---

(١)- **سؤال:** ما محل المصدر «أن يؤمنوا» الإعرابي؟ وما محل جملة: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ۝٩﴾؟

الجواب: «أن يؤمنوا» في محل جر بلام مقدرة أو النصب على نزع الخافض. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ۝٩﴾ معطوفة على صلة الموصول: ﴿الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وكان الظاهر أن يقول: «وهو على كل شيء شهيد» إلا أنه عدل عن الضمير إلى الظاهر لما فيه من زيادة التخويف للمخاطب، وزيادة الرعب والهيبة والعظمة والجلال.

سؤال: ما هي أوجه البلاغة في قوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ۝٨﴾؟ وكذا في قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ۝٩﴾؟

الجواب: في قوله: «وما نقموا منهم..» من أبواب البلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم، وفي قوله: «والله على كل شيء شهيد» إقامة الظاهر مقام المضمر.

(٢)- **سؤال:** هل يؤخذ بمفهوم قوله: «ثم لم يتوبوا» فنفهم أنه بإمكانهم التوبة وإنقاذ أنفسهم من هذا الوعيد أم لا؟ إن كان فمن أي أنواع المفاهيم؟ وكيف يمكنهم التوبة من هذا الفعل الشنيع؟

الجواب: نعم يؤخذ بالمفهوم وإلا فما فائدة إيراد «ثم لم يتوبوا» وقد كان بإمكانهم التوبة وإنقاذ أنفسهم من وعيد الله وغضبه وليس هذا المفهوم مفهوم الصفة، وإذا كان أصحاب الأخدود قوماً كافرين فتوبتهم بالدخول في الإيمان فالإسلام يجب ما قبله في جميع الشرائع فقد قال نوح لقومه كما حكى الله تعالى عنه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ۝٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى...﴾ [نوح]، ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ۝٩٨﴾ [يونس]، ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨].

عَذَابُ الْحَرِيقِ﴿١٠﴾﴾[(١)] هذا وعيد من الله سبحانه وتعالى بعذاب جهنم وعذاب الحريق للذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات بغير حق، ولم يتوبوا إلى الله تعالى من ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ[(٢)] الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴿١١﴾﴾ وهذا وعد من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة بجنات تجري من تحتها الأنهار.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴿١٢﴾ إِنَّهُ[(٣)] هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ[(٤)]﴿١٥﴾ فَعَّالٌ[(٥)] لِمَا يُرِيدُ﴿١٦﴾﴾[(٦)] إن عذاب ربك وأخذه للظالمين

---

(١)- **سؤال:** ما وجه إضافة العذاب إلى الحريق في قوله: «عذاب الحريق»؟

الجواب: لهم عذاب جهنم بكفرهم بالله، ولهم عذاب الحريق جزاء على ما فعلوه بالمؤمنين من الحريق، وعذاب الحريق هو خاص غير عذاب جهنم كما تفيده الآية.

(٢)- **سؤال:** ما العلة في فصل هذه الجملة؟

الجواب: فصلت لكونها كالتأكيد لما قبلها.

(٣)- **سؤال:** ما السر في فصل هذه الجملة؟ وكذا في فصل الصفات في الآيات بعدها؟

الجواب: فصلت لأنها علة لما قبلها، وفصلت الصفات لأن الأصل في الصفات المفردة الوصل.

(٤)- **سؤال:** لو تكلمتم على صفة «المجيد» ودققتم في معناها لكان مناسباً؟

الجواب: قال الزجاج: الماجد في اللغة الكثير الشرف، وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام: المجيد في لسان العرب الجواد الماجد ذو العطايا والإحسان والمحامد. وقال أبو حامد الغزالي: المجيد: هو الشريف ذاته الجميل أفعاله الجزيل عطاؤه ونوله فكأن شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجداً.

(٥)- **سؤال:** ما وجه التنكير في «فعال» مع أن ما قبله معارف؟

الجواب: قد يكون التنكير –والله أعلم– لأن «فعال» مجرداً عن المتعلق ليس من أسمائه الحسنى، ولا يدل على مدح بمجرده، وإن دل فإنما يدل بمتعلقه، بخلاف الودود الغفور.

(٦)- **سؤال:** هل يؤخذ من قوله: «فعال لما يريد» أن الإرادة علم الله باشتمال الفعل على المصلحة؛ إذ ظاهرها يدل على سبق الإرادة لفعل المراد، ولأنه لا يتناسب مع بلاغة القرآن أن يكون

=

إذا أخذهم بذنوبهم لأخذٌ شديدٌ لعظيم قدرته، وتلك هي آيات قدرته فهو يبدئ الخلائق ويخلقها على غير مثال، ويعيد خلقها مرة ثانية بعد الموت، وهو الذي يغفر زلات عباده، ولا يستعجلهم بعذابه، بل يتودد إليهم بحلمه وبسوابغ نعمه، وهو ذو السلطان المستولي على ملك السماوات والأرض المتعالي عن النقائص الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

﴿هَلْ[1] أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ۝٢٢﴾[2] هل أتاك يا محمد ما صنع الله بفرعون وجنوده، وقوم صالح عندما

معناها: فعال لما يفعله من مراداته أو نحو ذلك؟ أم لا ترون ذلك مناسباً فلماذا؟

الجواب: نعم، تدل الآية على ما ذكرتم دلالة واضحة منطقية.

(١)- **سؤال:** ما المراد بالاستفهام هنا؟ وما مفاد الإضراب بـ«بل» في قوله: «بل الذين كفروا في تكذيب»؟ وبماذا تعلق الجار والمجرور في قوله: «من ورائهم»؟

الجواب: الاستفهام للتقرير أي: أنه بمعنى «قد» أو يؤول إلى معنى «قد» و«بل» للإضراب الانتقالي، أي: للانتقال من خبر إلى خبر، و«من ورائهم» متعلق بمحيط.

(٢)- **سؤال:** بم يتعلق قوله: «في لوح» على قراءة حفص بكسر «محفوظ»؟ وما يكون على قراءة نافع برفعها؟

الجواب: في قراءة الكسر يتعلق الجار والمجرور بمحذوف صفة لقرآن، و«محفوظ» صفة للوح، وفي قراءة نافع يتعلق الجار والمجرور بمحذوف أيضاً صفة لقرآن، و«محفوظ» صفة أخرى لقرآن أيضاً.

سؤال: هل تفيد الآية أن اللوح حقيقي فما فائدته مع علم الله وحفظه فهو لا يحتاج إلى ذلك؟ وما مراد الإمام زيد عليه السلام بقوله: إنه لوح واحد من نور مسيرة ثلاثمائة سنة؟ وهل يوحي بأنه عنده على الحقيقة أم كيف؟

الجواب: الظاهر أن اللوح حقيقة، وتكون فائدته راجعة إلى الملائكة أما الله تعالى فغير محتاج تعالى الله عن الحاجة، وظاهر ما ذكرتم عن الإمام زيد عليه السلام يدل على أن اللوح عنده لوح حقيقي.

كذبوا رسلهم، فقد أخذهم بذنوبهم، وسيلقى قومك يا محمد ما لقي هؤلاء فقدرة الله سبحانه وتعالى محيطة بهم فلا تستعجل نزول العذاب على قومك يا محمد، فقد استحقوا العذاب بكفرهم وتكذيبهم.

وما نوحيه إليك يا محمد هو قرآن شريف في لوح محفوظ من الشياطين، وليس كما يقول قومك إنه أساطير الأولين، فاصبر على تبليغ رسالة ربك حتى يأتي وعد الله بعذاب قومك.

❁❁❁❁❁

سورة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝[1] النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالسماء وبالطارق؛ ليلفت أنظارنا إلى التفكر في آياتها، وفي النجم الطارق وهو: النجم الذي يثقب بنوره الظلام.

﴿إِنْ[2] كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝﴾ هذا جواب القسم، وهو أن على كل

---

(١)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم هذه الآية والتي بعدها لكان مناسباً؟

الجواب: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝﴾ الواو اعتراضية والجملة التي بعدها معترضة بين القسم وجوابه، «ما» اسم استفهام مبتدأ، «أدراك» الجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر المبتدأ، «ما الطارق» جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب المفعول به الثاني لأدراك وهي معلقة بالاستفهام، «النجم» خبر لمبتدأ محذوف أي: هو النجم. «الثاقب» صفة للنجم.

(٢)- **سؤال:** ما معنى «إن» في هذه الآية؟ وكذا «لما»؟ وهل يختلف معناها وإعرابها على قراءة التخفيف في «لما»؟

الجواب: «إن» نافية، «لما» إيجابية بمعنى «إلا» هذا في قراءة التشديد، وفي قراءة التخفيف: «إن» مخففة من الثقيلة، «لما» بالتخفيف اللام هي الفارقة و«ما» صلة وتأكيد، فالمعنى في القراءة الأولى بالتشديد: ما كل نفس إلا عليها حافظ، وعلى الثانية: إن على كل نفس حافظاً، فيكون معنى القراءتين واحد هو أن على كل إنسان حافظ يحصي عليه أعماله.

نفس حافظاً[١] يحصي عليها أعمالها صغيرها وكبيرها.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ[٢] خُلِقَ۝٥ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ۝٧ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ۝٨﴾ يأمر الله سبحانه وتعالى الإنسان هنا بالنظر في بداية خلقه وتكوينه، ومم خلقه؟ ليعرف عظمة الله سبحانه وتعالى ومدى قدرته، وأنه قادر على إحياء الموتى وبعثهم. والصلب : هو صلب الرجل، والترائب: هي ترائب المرأة.

﴿يَوْمَ[٣] تُبْلَى السَّرَائِرُ۝٩ فَمَا[٤] لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ۝١٠﴾ إذا نظر الإنسان وتفكر في آثار قدرة الله تعالى فسيعلم أنه قادر على بعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء، وإذا بعث الله تعالى الناس من قبورهم للجزاء في يوم القيامة الذي تكتشف فيه أسرار القلوب وما أضمر فيها فهنالك لا يستطيع الإنسان أن

---

(١)- **سؤال:** يقال: هل هذا ينافي كونهم رقيباً وعتيداً أم لا؟ ولماذا؟ وهل يصح حملها على الباري تبارك وتعالى أم لا؟

الجواب: «رقيب» هو الحافظ، و«عتيد» صفة للحافظ بمعنى حاضر وقد قيل: إن الحافظ هو الله، وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام أن الحافظ هو ما ذكرناه ولم يزد عليه، ويدل على صحته قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ۝١٢﴾ [الانفطار].

(٢)- **سؤال:** ما معنى «ما» الداخلة عليها «من»؟ وما محلة جملة «يخرج»؟

الجواب: معناها الاستفهام أي: من أي شيء خلق. «يخرج من بين الصلب..» في محل جر صفة أخرى لماء.

(٣)- **سؤال:** ما هو العامل في هذا الظرف؟

الجواب: يتعلق الظرف برجعه في قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ۝٨﴾ أو بفعل محذوف تقديره: يرجعه أو اذكر.

(٤)- **سؤال:** ما الذي تفيده هذه الفاء؟ وما الوجه في دخول «من» على قوله: «قوة»؟

الجواب: تفيد الفاء أن ما بعدها مسبب عما قبلها أي: أنها عاطفة للمسبب على السبب والوجه في دخول «من» على «قوة» هو تأكيد العموم أي: أن النفي مستغرق لنفي كل قوة يوم القيامة.

يدفع عن نفسه عذاب الله تعالى، ولا يجد له ناصراً ينصره من بأس الله تعالى وعذابه.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ[(١)] ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ[(٢)] ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالسماء التي ينزل منها الخير والمطر، وبالأرض التي تتشقق بالنبات إن هذا القرآن قول حق يفصل بين الحق والباطل، وليس بالباطل كما يزعم أولئك المشركون.

﴿إِنَّهُمْ[(٣)] يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ[(٤)] كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾[(٥)] إن المشركين يدبرون الحيل والمكائد ليكيدوا بها الإسلام ونبي

---

(١)- **سؤال:** هل في وصف السماء بالرجع ما ينبي عن صحة النظرية العصرية أن المطر ينتزع من بخار البحار أم كيف؟

الجواب: فيها دليل على ذلك إلا أنه يصح تفسيرها بغير السحاب والمطر حيث ذكر أن الرجع هو دوران الفلك فإنه في دورانه يرجع إلى سمتنا ثم يدور تحت الأرض ثم يرجع وهكذا، ومع الاحتمال يضعف الاستدلال.

(٢)- **سؤال:** هل هذا من الوصف بالمصدر الذي يحتاج إلى تأويل؟

الجواب: نعم هو وصف بالمصدر للمبالغة أي: قول فاصل.

(٣)- **سؤال:** هل هذا من جملة جواب القسم أم أنه ابتداء كلام جديد؟

الجواب: ليس جواباً للقسم بل هو ابتداء كلام جديد.

(٤)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة؟ وما معنى الفاء الداخلة على «مَهِّل»؟

الجواب: محل الجملة النصب على الحالية والفاء هي الفصيحة.

(٥)- **سؤال:** ما السر في إسناد التمهيل هنا إلى النبي ÷ وجعل إمهال الله متوقفاً على تمهيله ÷؟ وما إعراب «رويداً»؟ وممَّ أخذت؟

الجواب: أسند التمهيل إلى النبي ÷؛ لأن المراد أمره ÷ بعدم الاستعجال بهلاك قومه المكذبين وبترك الاشتغال بذلك، و«رويداً» صفة لمصدر محذوف أي: إمهالاً، «رويداً» أي: إمهالاً يسيراً أو قليلاً، و«رويداً» تصغير «رَوَد» بفتح الراء والواو ويستعمل اسم فعل أمر فيقال: رويدك، أي: تمهل.

الإسلام، وكيد الله تعالىٰ فوق كيدهم، وقوته فوق قوتهم، ولن يفلتوا من قبضته، فانتظر يا محمد واصبر فسينتقم الله تعالىٰ من المشركين وينزل بهم عذابه وغضبه.

❁❁❁❁❁

سورة الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ اسْمَ[1] رَبِّكَ الْأَعْلَى۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى[2]۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى۝٥﴾ نزه ربك يا محمد عن الشريك والولد والشبيه والمثيل الذي خلق المخلوقات فأحسن بحكمته خلقها، والذي قدر خلقها فهداها إلىٰ مصالحها ومراشدها، وأخرج بقدرته المرعىٰ والنبات، فبعد خضرته جعله يابساً متفتتاً أسود.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى۝٧﴾ طَمْأَن الله تعالىٰ نبيه ﷺ من تفلت القرآن من صدره، وأخبره أنه لن ينساه إلا ما محاه الله تعالىٰ بالنسخ[3] من صدره علىٰ حسب ما تقتضيه حكمته وعلمه فإنه العليم

---

(١)- **سؤال:** ما النكتة في إطلاق التسبيح علىٰ اسم الرب دون الرب تعالىٰ؟

الجواب: قد يكون ذلك لأجل تنزيه اسم الله عن أن يسمىٰ به غيره فقد كانوا يسمون الأصنام أرباباً وآلهة و.. إلخ، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ...﴾ [الأعراف:١٨٠]، أي: يسمون بها غيره، وقد يكون هذا التفسير مقبولاً لما فيه من البقاء علىٰ الظاهر والسلامة من تقدير الزيادة.

(٢)- **سؤال:** ما السر في حذف مفاعيل كل هذه الأفعال: خلق، فسوىٰ، قدر، فهدىٰ؟

الجواب: قد يكون السر هو إرادة التعميم لجميع المفعولات، وقد يكون الوجه هو تنزيل تلك الأفعال منزلة الأفعال اللازمة؛ لأن الغرض والقصد إثبات الخلق والتسوية والتقدير: لله من غير نظر إلىٰ تعلقها بمفعولات كقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى...﴾ [الليل:٥].

(٣)- **سؤال:** هل من قرينة علىٰ أن المراد به المنسوخ من كتابه الكريم؟ وهل يلزمنا من هنا القول بجواز نسخ اللفظ دون الحكم كما في: الشيخ والشيخة إذا زنيا.. أم لا؟

=

الحكيم لا تخفى عليه خافيه.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى۝٨﴾[(١)] وسنسلك بك يا محمد سبل الهدى المتيسرة.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى۝٩﴾[(٢)] فاستمر على تبليغ القرآن ولا تفتر.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى۝١٠﴾ فسينتفع بتذكيرك الذين يخشون الله تعالى واليوم الآخر.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى۝١١ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى۝١٢ ثُمَّ لَا[(٣)] يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا۝١٣﴾ وسيعرض عن تذكيرك الذي توغل في الشقاء والكفر، واستحق بشقاوته وكفره النار الكبرى التي لا ينقطع عذابها، ولا يموت أهلها.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ[(٤)] فَصَلَّى۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا۝١٦

الجواب: ليس هناك قرينة على أن المراد المنسوخ، وإنما هو أحد احتمالات الاستثناء؛ فلا يؤخذ منها الدليل على مسألة أصولية.

(١)- **سؤال:** هل تحليل الآية هكذا: نيسر اليسرى لك، أم لا؟

الجواب: تحليلها: نيسرك -أي: نهديك- لليسرى؛ لأن الطريق اليسرى هي مُيَسَّرة لمن سلكها، وإنما الإنسان هو الذي يتقحم بنفسه في العسرى.

(٢)- **سؤال:** ما إعمال الفاء في «فذكر»؟ وما معنى «إن»؟ وهل إذا كانت شرطية نفهم أنه لا يجب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم التذكير إن لم يظن التأثير أم لا، وضحوا ذلك؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة، و«إن» شرطية، ولا يعمل بمفهومها لما علم من وجوب تعميم الدعوة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للناس جميعاً من قَبِل ومن لم يقبل، ولأنه لا يمكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الدعوة أن يعلم من هو الذي تنفع فيه الذكرى ومن الذي لا تنفعه الذكرى؛ لأنه من علم الغيب لذلك توجه القول في «إن» أنها هنا لاستبعاد انتفاع المشركين بالذكرى نحو: ادع فلاناً إن أجابك.

(٣)- **سؤال:** يقال: إذا نفى عنه الحياة والموت فلا ثالث لهما يتعقله الإنسان فكيف يصح ذلك، أو إن هذا يؤدي إلى عدم صحة القسمة الدائرة التي يستدل بها بعض الأصوليين في نحو قولهم: لا يخلو إما أن يكون موجوداً أو معدوماً.. إلخ فكيف نوجه ذلك؟

الجواب: المعنى هنا مثل المعنى في قوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦]، أي: أنهم في عذاب دائم لا أنهم ماتوا فيستريحوا من العذاب ولا أنهم في راحة الأحياء.

(٤)- **سؤال:** هل ذكر اسم الله معناه الصلاة؟ فما معنى دخول الفاء عليها؟ أم أنه غيره فما هو؟ وهل يدل على سبق وجوبه قبل تأدية الصلاة؟

=

وَالْآخِرَةُ[١] خَيْرٌ وَأَبْقَى﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴿١٩﴾﴾ قد فاز وظفر من زكى نفسه وطهرها بالإيمان والهدى وآمن بالله تعالى، وتوجه إلى عبادته ولكن الإنسان لشقاوته يميل إلى شهوات[٢] الدنيا ويترك الآخرة وهي خير وأفضل؛ لأنها باقية لا تفنى ولا تنقطع. وهذه العظة والعبرة مسطورة في صحف نبي الله إبراهيم عليه السلام وفي توراة موسى عليه السلام.

❁❁❁❁❁

سورة الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ[٣] أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ[٤] نَاصِبَةٌ﴿٣﴾ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴿٦﴾ لَا

الجواب: ذكر الله هو خوف الله في قلب المسلم فهو الذي يدفع المصلي إلى فعل الصلاة.

(١)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: هي في محل نصب على الحالية.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم فصلوا القول في مؤاثرة الحياة الدنيا؟ وهل منها إذا مال الإنسان إلى شيء من أمور الدنيا وقدمه على أمر الآخرة ولو كان أمر الآخرة غير واجب أم لا؟

الجواب: قد سبق في سورة النازعات الجواب عن مثل هذا السؤال.

(٣)- **سؤال:** لعل العلماء متفقون على أن «هل» هنا بمعنى «قد» لكن هل على أنها استفهام تقريري أم أنها حلت محلها من دون كونه استفهاماً؟

الجواب: هي هنا بمعنى «قد» وهمزة استفهام مقدرة، والزمخشري يقول: إن الأصل أهل، فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال، وقوله هذا قول جامع بين قول من يقول: إن هل للاستفهام المحض أي ليست بمعنى قد، وبين قول من يقول إنها بمعنى قد.

(٤)- **سؤال:** هل هذه أخبار متعددة أم صفات؟ وكذا جملة «تصلى ناراً حامية»؟ وما موضع الجار والمجرور «من ضريع»؟

الجواب: هي أخبار متعددة، و«تصلى ناراً حامية» خبر رابع، ويجوز أن تكون صفات والخبر جملة «تصلى ناراً حامية».

يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴿٧﴾﴾ يعظم الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ وللناس جميعاً أمر يوم القيامة، وأهوالها وحوادثها، وأنها تغشى الخلائق وتعمهم بأهوالها وشدائدها، ثم ينقسمون إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

فأما أهل السعير فوجوههم في يوم القيامة كاسفة ومنكسرة يعلوها الخزي والذل؛ لما ترى من أهوال الجحيم وعذابها، ولما تعاني[١] من أليمها ونكالها، وتقاسي من أصناف شدائدها، وستسقى في الجحيم من شراب في غاية الحرارة، وتطعم فيها الضريع، وهو: نبات شديد المرارة يطلق عليه (الشبرق) لا يسمن ولا يغني من جوع[٢].

﴿وُجُوهٌ[٣] يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا[٤] رَاضِيَةٌ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ[٥]﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ

---

(١)- **سؤال:** هل تريدون أن هذا معنى «عاملة ناصبة»؟ وأنه العمل والتعب مما تلاقي من العذاب؟ وما الحامل لبعض العلماء في جعله في الدنيا رغم قوله «يومئذ»؟

الجواب: المراد أن ذلك كائن في الآخرة، والوجه في قول بعض العلماء: إنه في الدنيا هو أن: خاشعة عاملة ناصبة صفات للمبتدأ والخبر: «تصلى ناراً حامية» أي: أن الوجوه الثابتة لها تلك الصفات يومئذ تصلى ناراً حامية.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في نفي هاتين الصفتين عن الضريع؟

الجواب: الفائدة هي دفع ما يتوهم من النفع في الضريع، أو تكونان للتأكيد.

(٣)- **سؤال:** ما السر في فصل هذه الجملة عن الجمل السابقة؟

الجواب: «وجوه يومئذ خاشعة» هي استئناف بياني عن سؤال اقتضته جملة «هل أتاك حديث الغاشية»، وقوله: «وجوه يومئذ ناعمة ..» هو استئناف بياني أيضاً اقتضته «هل أتاك» وما بعدها.

(٤)- **سؤال:** هل اللام في قوله: «لسعيها» هي التي تسمى بلام التقوية أم ماذا؟

الجواب: هي لام التقوية.

(٥)- **سؤال:** ما السر في فصل جملة «فيها عين جارية» عن التي قبلها مع أنهما صفتان؟

الجواب: وردت هذه الصفات على وجه التعديد كما يقال في تعديد المفرد: كتاب، جمل، جبل...، =

﴿مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ ثم تحدث الله سبحانه وتعالى عن أهل الجنة فذكر أن وجوههم يوم القيامة مشرقة يظهر عليها السرور والنعيم قد رضيت سعيها في الدنيا من الأعمال الصالحة التي قدموها، فهم في جنة عالية الصفة، لا ينقطع نعيمها، ولا تنتهي لذاتها، ولا يسمعون فيها كذباً ولا زوراً ولا باطلاً؛ لأن أهل الباطل والزور قد حبسوا في جهنم، وأوصدت عليهم أبوابها، فهم في نعيم خالص من المنغصات[1].

وفي الجنة العالية أنهار تجري من تحتهم، ويجلسون على سرر مرفوعة، وعندهم أكواب موضوعة فيها أصناف الشراب، ولهم في مجالسهم العالية وسائد مصفوفة[2]، وفرش مفروشة. والزرابي: هي الفرش، والنمارق: هي الوسائد.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ[3] خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ استنكر الله سبحانه وتعالى على منكري البعث والحساب غفلتهم عن النظر في آثار قدرة الله سبحانه وتعالى فلو نظروا وتفكروا لأيقنوا أن الله على كل شيء قدير، وأنه قادر على

ونظير هذا التعديد: ﴿عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن].

(١)- **سؤال:** هل يمكن أن تحمل «لاغية» حتى على أي خصلة تضجر الإنسان؟وما علة ذلك؟

الجواب: كأن المراد هنا: نفس «لاغية»، والجنة بما فيها من النعيم خالية من المنغصات، وإنما قد يتوهم أن يحصل بعض المنغصات من أهل الجنة، فنفى ذلك بقوله: «لاغية».

(٢)- **سؤال:** ما السر في وصف الوسائد بـ«مصفوفة» والفرش بـ«مبثوثة»؟

الجواب: السر هو تصوير النعيم بذلك على صور ما يعهدون في الدنيا.

(٣)- **سؤال:** ما موضع «كيف» من الإعراب مع توضيح ذلك؟

الجواب: موضع «كيف» النصب على أنها صفة لمصدر محذوف أي: خلقت خلقاً كيف، أي: خلقاً عجيباً بديعاً، ويصح أن تكون حال، والتقدير: خلقت الإبل متصفة بصفات الإبداع والتحمل والقوة.

أن يحيي الموتى، ولما استبعدوا على قدرة الله تعالى أن يبعث الموتى، فأمرهم الله سبحانه[١] وتعالى أن ينظروا إلى الإبل التي تعيش بينهم وتصحبهم في ليلهم ونهارهم كيف خلقها الله تعالى وأعطاها من القوة والتركيب في أجسامها ما تقدر معه على حمل الأحمال الثقيلة والمسافرة بها من بلد إلى بلد.

ثم أمرهم بالنظر إلى ما جعل الله في السماء من آيات[٢] قدرته وعظمته، وإلى الجبال كيف خلقها الله تعالى ذاهبة في السماء طولاً، وما جعل فيها من آيات رحمته وحكمته، وإلى الأرض كيف خلقها الله تعالى صالحةً للحياة على ظهرها، وما جعل فيها من أسباب الأرزاق والأرفاق، فلو نظروا حق النظر في هذه الآيات لأيقنوا[٣] أن الله قادر على إحياء الموتى، ولما استبعدوا ذلك.

﴿فَذَكِّرْ[٤] إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ[٥] عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

---

(١)-**سؤال:** فعلى هذا ما الذي يتلخص لنا في الاستفهام هل هو حقيقي أم إنكاري وضحوا ذلك؟

الجواب: الاستفهام إنكاري ويلزم منه أنهم فرطوا في ترك واجب.

(٢)-**سؤال:** فضلاً هل يفهم التعميم من الآية أم أنه خاص في آية رفعتها وعلوها؟

الجواب: التعميم ضمني فالنجوم والكواكب هي في السماء، كيف رفعت بما فيها من الأجرام العظيمة التي لا يحصي عددها إلا الله رفعاً محكماً يسير كل نجم وكل كوكب في مسار معلوم ونظام مقدر و.. إلخ.

(٣)-**سؤال:** من أين يظهر لنا أن هذا هو الغرض من أمرهم بالنظر في هذه الأشياء؟

الجواب: ظهر لنا ذلك من ورود هذا بعد ذكره للوعد والوعيد الذي كفر به المشركون واستبعدوه فاستنكر الله عليهم ذلك: أينكرون البعث فلا ينظرون.. إلخ، فالهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير هو: أينكرون البعث فلا ينظرون.

(٤)-**سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة.

(٥)-**سؤال:** ما الوجه في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لأنها مؤكدة لما قبلها.

حِسَابَهُمْ﴿٢٦﴾﴾[١] فواصل تذكيرك يا محمد للمشركين، ولا يصدنك إعراضهم وتكذيبهم عن تذكيرهم بل داوم على ذلك، وليس عليك إلا التذكير، وليس عليك أن يدخلوا في الهدى فإذا ذكرتهم فقد أديت ما عليك فمن قبل التذكير والهدى فلنفسه، ومن أعرض وكفر فسيتولى الله تعالى جزاءهم ويعذبهم بذنوبهم في نار جهنم، ولا مفر لهم من ذلك فمرجعهم إلينا وستتولى حسابهم، ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٥٢].

❁❁❁❁❁

سورة الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ[٢]﴿٤﴾ هَلْ فِي

(١)- **سؤال:** ما موضع جملة «من تولى وكفر فيعذبه»؟ وهل الاستثناء فيها متصل أم منقطع؟ ولماذا؟ وما وجه الفاء في قوله: «فيعذبه» مع أنه ليس من المواضع التي تلزم فيها؟ وما وجه تحلية المصدر بأل «العذاب»؟ وما وجه تغيير الضمير من الغيبة إلى المتكلم في «إلينا إيابهم»؟

الجواب: موضع: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴿٢٤﴾﴾ النصب على أنها مستثنى منقطع، هذا وقد زادوا جملتين على السبع التي لها محل من الإعراب إحداهما هذه أي: الجملة المستثناة، والثانية الجملة المسند إليها. وجعل الاستثناء منقطعاً لأن الآية نزلت في مكة قبل أن يسلط الله تعالى رسوله والمؤمنين على أعدائهم الكافرين. ووجه دخول الفاء على «فيعذبه» هو كون المبتدأ «من» مضمن معنى الشرط. والوجه في دخول الألف واللام على المصدر في قوله: «العذاب الأكبر» هو أنه قد حذر الله تعالى المشركين بعذاب في الدنيا وبعذاب في الآخرة، وعذاب الدنيا هو الأصغر وعذاب الآخرة هو الأكبر، قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [السجدة:٢١]، فجاءت الألف واللام للإشارة إلى هذا العذاب المعهود ذهناً عند المخاطبين والسامعين. والالتفات من الغائب إلى ضمير المتكلم لتنشيط ذهن السامع وليستدعي فتح مسامعه.

(٢)- **سؤال:** ما السر في تنكير «ليال» مع عطفها على المعرفة؟ وما هو الوجه في حذف الياء من الفعل «يسر»؟ ومم أخذت لفظة «يسر»؟

الجواب: نكرت «ليال» للتعظيم، والوجه في حذف الياء هو التخفيف ومراعاة الفواصل، و«يسر» مأخوذ من السُّرَى كالهدى، سرى يسري سُرىً.

﴿ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ۝٥﴾[(١)] أقسم الله سبحانه وتعالى بالفجر وهو النور الساطع الذي يسبق نور الشمس من جهة المشرق لما فيه من الآية الدالة على قدرته، فلفت أنظارهم بهذا القسم ليتفكروا في هذه الآية.

والليالي العشر: أراد بها العشر الأول من شهر ذي الحجة، وكانت الجاهلية تعظمها.

والشفع والوتر: أراد الله سبحانه وتعالى بهما المخلوقات جميعاً؛ لأنها إما شفع وإما وتر، والشفع: هو العدد الزوجي، والوتر: هو العدد الفردي[(٢)].

ثم أقسم الله سبحانه وتعالى بالليل عند طلوع الفجر لما فيه من الآية الدالة على قدرته لمن نظر وتفكر، وفي جميع ما أقسم الله تعالى به من الفجر وما بعده آيات دالة لأهل العقول على قدرة الله تعالى وعظمته وإلهيته ورحمته.

﴿أَلَمْ[(٣)] تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ

---

(١)- **سؤال:** ما السر في تنكير «ليال» مع عطفها على المعرفة؟ وما هو الوجه في حذف الياء من الفعل «يسر»؟ وممَّ أخذت لفظة «يسر»؟

الجواب: نكرت «ليال» للتعظيم، والوجه في حذف الياء هو التخفيف ومراعاة الفواصل، و«يسر» مأخوذ من السُّرَى كالهدى، سرى يسري سُرىً.

سؤال: ما فائدة الاستفهام «هل في ذلك قسم..»؟ وأين جواب القسم بأكمله؟

الجواب: فائدة الاستفهام هنا هو تعظيم المقسم به وتفخيمه، وجواب القسم «إن ربك لبالمرصاد».

(٢)- **سؤال:** ما المانع من حملها على يوم الأضحى ويوم عرفة لمجانسة الليالي العشر؟

الجواب: في تفسير أهل البيت عليهم السلام أنها العدد الفردي والعدد الزوجي، فيشمل كل مخلوقات الله لأنها إما فردية أو زوجية فيدخل في ذلك يوم الأضحى ويوم عرفة.

(٣)- **سؤال:** ما معنى الاستفهام هنا؟

الجواب: معناه تقرير ما بعد النفي.

رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴿١٤﴾ لا تستبعد يا محمد أن ينزل بقومك من العذاب مثل ما نزل بقوم عاد، وما حل بقوم صالح وبفرعون فقد استحقوا العذاب واستحكم عليهم غضب الله تعالى، فعذاب الله تعالى نازل بهم لا محالة كما نزل بهؤلاء.

وإرم ذات العماد: هي مدينة(١) محكمة البناء كانت لقوم عاد، وكانوا قد تأنقوا(٢) في عمارتها وتفننوا في ذلك، ولم يكن على وجه الأرض مثلها في ذلك العصر، فدمرها الله سبحانه وتعالى بشؤم كفرهم وتكذيبهم بنبيهم هود عليه السلام.

وأهلك الله تعالى ثمود حين كذبوا بنبيهم وتمردوا عليه، وقد كانوا أهل قوة شديدة، وكانوا ينحتون من الجبال(٣) بيوتاً، ولا تزال بيوتهم المنحوتة في الجبال قائمة إلى اليوم، وهي ما بين المدينة وتبوك وتسمى مدائن صالح.

---

(١)- **سؤال:** إذا كانت هي المدينة فما وجه جرها بالفتحة؟ وكيف نفهم البدلية في ذلك؟ وهل قوله: «العماد» مفرد أو جنس الأعمدة؟ ومم كانت هذه الأعمدة؟

الجواب: «إرم» اسم للمدينة والبلدة سميت باسم جدهم ففيها العلمية والتأنيث، والبدلية تكون على تقدير مضاف أي: أهل إرم، والمراد بالعماد: الأعمدة والأساطين العظيمة وقد كانت من الحجار كالتي لا تزال موجودة اليوم في الجوف ومأرب.

(٢)- **سؤال:** ما وجه وصفها بعدم خلق مثلها إذا كانت من فعلهم؟

الجواب: بناء إرم ذات العماد قد كانت من فعل عاد وصنعهم وفي هذا دلالة على صحة إطلاق الخلق على فعل الإنسان، وقد قال تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧]، وقد يكون في إطلاق الخلق هنا إشارة إلى أن هناك صناعة محكمة وهندسة عجيبة وحسن تقدير والله أعلم.

(٣)- **سؤال:** كيف قوله: «بالواد» مع أن الظاهر أن القطع بالجبل لا بالوادي؟ ومم أخذت كلمة «جابوا» وكلمة «سوط»؟ وما هو معناها الدقيق؟

الجواب: كانت الجبال التي نحتوها في جانب الوادي، وقد تكون البلاد تلك تسمى بالوادي بما فيها من جبل وأرضٍ ووادٍ، و«جابوا» مأخوذ من الْجَوْب، جاب يجوب جوباً، كقال يقول قولاً، والجوب: القطع أو النحت. وقيل: إن السوط مصدر ساط يسوط أي: خلط خلطاً من باب (قال)، هذا أصل «سوط».

وأهلك الله سبحانه وتعالىٰ فرعون وجنوده لما كذبوا وتمردوا علىٰ نبي الله موسىٰ عليه السلام، وكان فرعون وقومه أهل قوة شديدة، والأوتاد[1]: هي الأهرام، وهي ماثلة أمام الناس إلىٰ يومنا هذا، وكانوا قد طغوا في البلاد وتجاوزوا الحد في الفساد وسفك الدماء والظلم فأهلكهم الله تعالىٰ وصب عليهم غضبه، وسيصيب قومك يا محمد من العذاب مثل ما قد أصاب هؤلاء المكذبين بأنبيائهم، فاصبر حتىٰ يحين موعد عذابهم. ومعنىٰ «لبالمرصاد» : مراقب لأعمالهم وسيجازيهم عليها.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ[2] إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ[3] فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾﴾ يذكر الله سبحانه وتعالىٰ هنا طبيعة الإنسان الكافر[4] إذا أنعم الله تعالىٰ عليه فإنه يقول إن الله

---

(١)- **سؤال:** إذا كانت بمعنىٰ الأهرام فلم أتىٰ بالاسم الموصول مجموعاً: «الذين طغوا..»؟

الجواب: «الذين طغوا...» صفة لأهل إرم ذات العماد وثمود الذين جابوا... وفرعون ذي الأوتاد، وليس لفرعون وحده.

سؤال: ما وجه التجوز في هذه الكلمة؟

الجواب: الوجه هو شبهها بالجبال التي هي أوتاد الأرض.

(٢)- **سؤال:** إذا كان الإنسان مبتدأ فأين الخبر؟ وأين جواب «أما»؟ وما معنىٰ الفاء الداخلة علىٰ «أما»؟ وهل «ما» التي بعد «إذا» زائدة؟

الجواب: «الإنسان» مبتدأ، وجملة «فيقول..» في محل رفع خبره، و«ما» صلة وتأكيد، والمبتدأ والخبر هو جواب أما، وإنما أخرت الفاء في الخبر لغرض لفظي، وهي الرابطة لجواب «أما»، والفاء الداخلة علىٰ «أما» هي العاطفة كأنه قيل: إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة والسعي للعافية وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فأما الإنسان فلا يريد ذلك ولا يهمه إلا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها. هكذا أفاد صاحب الكشاف.

(٣)- **سؤال:** يقال: ما الوجه في قوله: «ونعَّمَهُ» بدل: وأنعم عليه؟

الجواب: الوجه هو أن «نعَّم» المضعف (المشدد) يدل علىٰ كثرة النعم دون: وأنعم.

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في تخصيص هذا بالكافر فقط؟

الجواب: الوجه هو أن السياق في الكافرين، وبدليل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾...﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج].

تعالى أكرمه لأنه[١] يستحق الكرامة، ولا يقابل نعمة الله تعالى عليه بالشكر، وإذا ابتلاه وضيق عليه في رزقه فإنه يقول: إن الله تعالى أهانه ولا يقابل ذلك بالصبر والرضا بما قسم الله سبحانه وتعالى له، وهذا بخلاف الإنسان المؤمن فإنه يقابل نعم الله تعالى عليه بالشكر، وإذا ضيق الله تعالى عليه في رزقه قابل ذلك بالصبر والرضا عن الله تعالى بما قسم له.

﴿كَلَّا[٢] بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ۝١٧ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ۝١٨ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ[٣] أَكْلًا لَمًّا[٤]۝١٩ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا۝٢٠﴾ ثم تابع الله

---

(١)- **سؤال:** فضلاً من أين يفهم هذا التعليل؟ وهل يمكن أن نعلله بعدم نظره إلى أنه بلوى واختبار من الله أم لا؟

الجواب: فهم ذلك من مواضع من القرآن نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا۝٧٣﴾ [مريم]، ونحو: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت:٥٠]، ومن نحو قولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ۝٣٥﴾ [سبأ]، فقد كانوا يعتقدون أنهم أكرم على الله وأفضل من النبي ÷ والمؤمنين مستدلين على ذلك بما أعطاهم الله في الدنيا من المال والولد وغير ذلك، وهذا التعليل لا ينافي التعليل بما ذكر في السؤال فيعلل بهما جميعاً.

(٢)- **سؤال:** ما الذي تفيده «كلا» هنا؟ وما معنى الإضراب هنا بـ«بل»؟ وعلام عطفت جملة ﴿لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ۝١٧﴾؟

الجواب: «كلا» للردع والزجر للإنسان عن قوله المتقدم، و«بل» للإضراب الانتقالي من ذم إلى ذم أشنع منه، وجملة «لا تكرمون اليتيم» معطوفة على ما توهمه الإنسان من علة تضييق الرزق عليه.

(٣)- **سؤال:** إذا كان المراد بالتراث الميراث فما العلة الصرفية فيها حتى صارت «التراث»؟

الجواب: العلة هي التخفيف بقلب الواو المضمومة في أول الكلمة تاء، وليس هناك علة موجبة للقلب.

(٤)- **سؤال:** مم أخذت لفظة «لَمًّا»؟

الجواب: «لما» مصدر بمعنى جمعاً أي ذا جمع، من: لمَّ الله شعثه أي: جمع ما تفرق من أمره.

سبحانه وتعالى صفة الإنسان الكافر بقساوة القلب فلا يعطف قلبه على يتيم، ولا يلتفت إلى حاجة مسكين لشدة طمعه وحرصه على جمع المال وحبه. ومعنى «أكلاً لماً» أكلاً ذا جمع من حل وغير حل، و«حباً جماً» : حباً كثيراً بالغاً.

﴿كَلَّا[١] إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا۝٢١ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا۝٢٢ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى۝٢٣ يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي۝٢٤ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ[٢] أَحَدٌ۝٢٥[٣] وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ۝٢٦﴾ سيندم الإنسان الكافر على ما أسلف في الدنيا حين يدك الله الأرض دكاً، وحين يقف بين يدي ربه للحساب والجزاء، وحين يرى جهنم ماثلة أمامه، فحينئذ سيذوق وبال أعماله في عذاب جهنم ويقيد بأغلال من نار جهنم[٤].

﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ۝٢٧ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً[٥]۝٢٨ فَادْخُلِي

(١)- **سؤال:** هل هذه مثل التي تقدمتها؟ وما إعراب «دكاً دكا»؟

الجواب: «كلا» ردع وزجر مثل الأولى. «دكاً دكاً» مصدرين وليس الثاني تأكيداً بل جيء به للاستيعاب.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «عذابه» مفصلاً؟

الجواب: «عذابه» مفعول مطلق والضمير لله، أي: مثل عذابه أحد.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في وصف العذاب بأنه لا يفعله أحد؟

الجواب: الوجه هو تعظيم العذاب والتخويف به.

(٤)- **سؤال:** هل تريدون أن العامل في «إذا» الظرفية هو «يتذكر» فما يكون إعراب «يومئذ يتذكر»؟ أو أن العامل «الذكرى» فهل تعمل خصوصاً مع قوله «أنى»؟ أم كيف؟

الجواب: العامل في «إذا» هو يتذكر؛ لأنه جواب «إذا» الشرطية، و«يومئذ» في قوله: «يومئذ يتذكر» هي بدل من «إذا» الشرطية، وليس العامل هو الذكرى.

(٥)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ۝٢٧﴾ وقوله: ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً۝٢٨﴾؟

الجواب: «يا» حرف لنداء البعيد، «أيتها» منادى والهاء صلة، «النفس» صفة للمنادى على لفظه أو بدل، «المطمئنة» صفة للنفس، «راضية مرضية» حالان متعاقبان من فاعل «ارجعي».

فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ أما[١] النفس المطمئنة بالإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر، والتي قد عملت الأعمال الصالحة فإنها ستلقى من ثواب الله تعالى ما يرضيها في ظل رضوان الله تعالى، وستناديها[٢] الملائكة نداء تكريم بالدخول مع عباد الله الصالحين في جنات النعيم.

❁❁❁❁❁

سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا[٣] أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالبلد الحرام وهي مكة التي يأمن فيها كل خائف حتى الطير والوحش، وأما أنت[٤] يا محمد فقد استحل

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما الذي يدلنا على هذا التفصيل؟

الجواب: ذكر الله تعالى في آخر هذه السورة عذاب الكافر في يوم دك الأرض.. ثم عقبه بذكر جزاء المؤمن المطمئن قلبه بالإيمان وهذا تفصيل لما يحدث يوم القيامة بالناس عموماً.

(٢)- **سؤال:** هل يمكن أن نحمله على أنه من الله سبحانه لقوله «عبادي، وجنتي»؟ وما الذي تفيدنا الفاء في قوله: «فادخلي»؟ وهل المعية المستفادة من قوله: «في عبادي» من باب الحقيقة أم المجاز؟

الجواب: لا مانع من أن يكلمهم الله تعالى بأن يخلق كلاماً يسمعونه من غير واسطة الملائكة إلا أن آيات كثيرة تدل على أن الملائكة هم الذين يتولون أمر الحساب والجزاء وتكريم أهل الجنة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر]، والفاء في قوله: «فادخلي» عاطفة، وجملة «ادخلي» معطوفة على جملة «ارجعي..». «في..» ظرفية مجازية أي: أنه شبه جماعة عباد الله وجملتهم بالظرف المكاني فاستعار «في» استعارة تبعية.

(٣)- **سؤال:** ما وجه زيادة «لا» هنا مع أنها قد تفهم عكس المعنى في ظاهرها خصوصاً للعامي ونحوه؟

الجواب: الوجه في زيادة «لا» في هذا الموضع ونحوه هو تأكيد القسم ولا يترتب على فهم من يفهم العكس فساد أو خلل، فقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن «لا» نافية.

(٤)- **سؤال:** فما يكون إعراب الجملة على هذا المعنى؟ وهل تحتمل معنى آخر فما هو؟ أم لا تحتمل غيره؟

الجواب: جملة: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ في محل نصب حال أي: حال كونك حلال في هذا البلد لم يراع فيك المشركون حرمة البلد الحرام، وتعريف المسند «أنت حل» أي: لا غيرك من

=

المشركون حرمتك في هذا البلد.

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بذلك ليذكر قريشاً بنعمته عليهم بالبلد الحرام، وما جعل الله تعالى لهم بسببه من الأمن فيه وفي سائر البلاد فلا يتعرض لقريش أحد حيثما كانوا وحيثما ساروا، بخلاف غيرهم من العرب فقد كانوا خائفين.

ثم أقسم الله تعالى أيضاً بآدم وذريته ليجر أفكارهم إلى النظر في بدء خلق الإنسان وتناسله، فإنهم إذا نظروا فسيعلمون أن الله سبحانه وتعالى قادر على إعادتهم بعد الموت وبعثهم للجزاء والحساب. وجواب القسم هو قوله : «لقد خلقنا الإنسان في كبد»، ومعنى «في كبد[1]» : أي: أن الإنسان يكابد منذ خروجه إلى الأرض وإلى أن يموت مصائب الدنيا، وقد فسر ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ۝٤﴾ بمعنى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ۝٤﴾ [التين].

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ[2] لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا۝٦ أَيَحْسَبُ

الناس والطير والوحش فحرمتهم مصونة عند المشركين في البلد الحرام، وقد كان التفسير على المعنى الذي تفيده الآية في الجملة فإنها تفيد أن المشركين يراعون حرمة البلد الحرام في الناس والوحش والطير أما أنت يا محمد فهم مستحلون لحرمتك.

(١)- **سؤال:** ما نوع اسمية «كبد»؟ ولم لم يقل: في مكابدة؟ ومن أي مأخذ أخذ التفسير الثاني الذي ذكرتموه؟

الجواب: الكبَد اسم موضوع للشدة والمشقة، ومنه أخذ اسم الكبد؛ لأنها دم اشتد وغلظ، وقيل: إن الأصل الكبد في كبد الإنسان، ومنها أخذ اسم الشدة، وقد اشتقوا من ذلك الأصل فيقال: كبده يعني أصاب كبده، وكابد مكابدة، والأصل هو ما ذكرنا من القولين. وأخذ التفسير الثاني من تفسير الإمام الهادي عليه السلام كما في المصابيح وذكره كثير من المفسرين كالرازي والماوردي وغيرهما وهو تفسير قوي يشهد له السياق ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ۝٥﴾ ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ۝٩﴾.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «أن لن يقدر»؟ وما محل جملة «يقول أهلكت...»؟

الجواب: «أن» مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، «لن يقدر عليه أحد» جملة في محل رفع خبر أن الشأنية، و«أن» وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول به منصوب ساد مسد مفعولي «يحسب».

﴿أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ۝٧﴾[١] من طبيعة الإنسان[٢] الكافر الغرور بسبب ما هو فيه من الترف والأمن والصحة فيظن بسبب ذلك أنه في مأمن من بأس الله تعالى وعذابه، وأنه لن يقدر أحد أن يناله بمكروه، ويقول فخراً وغروراً: أهلكت مالاً كثيراً، أيظن أن الله سبحانه وتعالى لا يراه؟ كلا فإن الله سبحانه وتعالى يحصي عليه جميع أعماله، وسيحاسبه عليها يوم القيامة.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ۝١٠﴾ يحتج الله سبحانه وتعالى على المشركين المنكرين للبعث والحساب بعد الموت فيذكر لهم هنا آيات قدرته التي جعلها في أنفسهم، فلو تفكروا ونظروا في أنفسهم وما فيها من الخلق البديع في الآلات التي يحتاجونها لعلموا أن الله سبحانه وتعالى قادر على بعثهم بعد موتهم، ولما استبعدوا ذلك. ومعنى «وهديناه النجدين» : بينا له طريق الهدى والضلال وطريق الخير والشر.

﴿فَلَا[٣] اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ۝١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ۝١٣ أَوْ إِطْعَامٌ فِي

---

(١)- **سؤال:** ما المناسبة في التعبير بـ«يره» مع «يقول»؟ ولم يقل: يسمعه أحد؟

الجواب: المراد أن لم يره أحد عندما كان ينفق المال الكثير رياءً وفخراً وفي حرب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في تخصيصها بالكافر رغم أن المكابدة المذكورة في الآية قبلها تعم المؤمن والكافر؟

الجواب: المكابدة تعم المؤمن والكافر إلا أن السياق خصص الإنسان بالكافر.

(٣)- **سؤال:** هل هنا استفهام أم ماذا؟ وعلام رفع قوله: «فك رقبة»؟ وكيف أعمل المصدر «إطعام» في «يتيماً» رغم الفصل الكثير؟ ومم أخذت لفظة «مسغبة»؟ وما نوع اسمية «مسغبة، متربة، مرحمة»؟

الجواب: الاستفهام إنكاري أو تقريري لما بعد النفي في: «ألم نجعل له..» أما قوله: «فلا اقتحم العقبة» فليس فيه استفهام أصلاً. ورفع «فك..» على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هي فك رقبة. والفصل بين المصدر «إطعام» وبين منصوبه «يتيماً» لا يمنع من العمل؛ لأن الفاصل «في يوم ذي مسغبة» معمول للمصدر أيضاً فـ«يتيماً» و«في يوم ذي مسغبة» معمولان للمصدر، فلا يعتبر الجار والمجرور فاصلاً، وإنما قدم المعمول الثاني على المعمول الأول. ومسغبة، ومتربة، ومرحمة: مصادر.

يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ۝١٦ ثُمَّ كَانَ[1] مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ۝١٧ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ[2]۝١٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ۝٢٠﴾ أهل الشرك والكفر غير مؤمنين بالآخرة فلا يعملون الأعمال التي تقربهم إلى الله سبحانه وتعالى، فلم يسعوا في فك رقبة من أسر الرق والعبودية، ولم يتقربوا إلى الله سبحانه وتعالى بإطعام مسكين أو يتيم أو ذي رحم في يوم شدة ومجاعة كما هو الحال عند المؤمنين فإنهم يتقربون إلى الله سبحانه وتعالى بأنواع القربات من العتق والإطعام وغير ذلك، فإن ذلك من القربات المقربة إلى الله سبحانه وتعالى إذا كان فاعلها من أهل الإيمان بالله واليوم الآخر الذين يتواصون فيما بينهم بالصبر على طاعة الله تعالى وبالتراحم فيما بينهم وبالعطف على المسكين واليتيم، ومعنى «ذا مقربة» : صاحب قرابة للمطعِم، و«ذا متربة» : أي تراب أي ذا لصوق بالتراب؛ فأهل هذه الصفة هم أصحاب الميمنة الذين يحضون يوم القيامة برضوان الله تعالى وجزيل ثوابه، وأما الذين كفروا وكذبوا بالله تعالى وباليوم الآخر فلا نصيب لهم في رحمة الله تعالى وليس لهم عنده يوم القيامة إلا نار جهنم يحبسون فيها، وتوصد عليهم أبوابها فهم فيها مخلدون.

❁❁❁❁❁

---

(١)- **سؤال:** يقال: لم يظهر لنا مناسبة عطف قوله: «كان من الذين آمنوا..» على «فك رقبة» فكيف؟ أم أن المعطوف عليه غيره فما هو؟

الجواب: العطف بـ«ثم» هنا في قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ للمهلة في الرتبة والمنزلة أي: أن منزلة الإيمان و...إلخ أعظم وأرفع من منزلة فك الرقبة وإطعام اليتيم ذي المسغبة.

(٢)- **سؤال:** يقال: ظاهر «الميمنة» ناحية اليمين فكيف قابلها بالمشأمة المأخوذة من الشؤوم؟ أم أن لها محامل أخرى فما هي؟

الجواب: المراد بالميمنة اليمن والخير لمقابلتها بالمشأمة.

سورة الشمس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا[١] تَلَاهَا۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا۝٦ وَنَفْسٍ[٢] وَمَا سَوَّاهَا۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا۝٨﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالشمس وبنورها الوهاج، وبالقمر ليلة النصف وذلك عندما تطلع القمر بعد مغيب الشمس مباشرة، وأقسم بالنهار حين يجلي ويظهر الشمس لكل راءٍ، وأقسم بالليل حين

---

(١)- **سؤال:** فضلاً بم تعلقت «إذا» الظرفية هذه؟

الجواب: تعلقت بفعل القسم المدلول عليه بالواو.

(٢)- **سؤال:** يقال: ما السر في تنكير «نفس» رغم تعريف ما قبلها؟ وما نوع اسمية «فجورها وتقواها»؟ وكيف نرد على من قال بأن المعنى: علمها أن تفجر وتتقي، فلا تكون دليلاً على ما تريدون؟ وأيضاً على من قال باحتمالها لهذا المعنى: علم البعض (النفوس الفاجرة) فجورها، والبعض الآخر (المتقية) تقواها، فلا تكون دليلاً على تمييز العقل للحسن والقبيح؟

الجواب: نكرت النفس للتنبيه على ما فيها من الآيات البينات على عظمة الله وقدرته ورحمته وعلمه وحكمته، فالتنكير للتعظيم، والمراد تعظيم ما فيها من الآيات البينات. و«فجورها وتقواها» مصدران، ومن قال: إن «ألهمها» بمعنى: علمها أن تفجر وتتقي فقوله مردود عليه؛ لأن الإلهام معرفة يهتدي إليها العقل بفطرته من غير تعليم أي: أنها إدراك بغير تعليم كإدراك الحيوان أن الكهف يكن من المطر فيهرب إليه عند نزول المطر، وقول من يقول: إن المعنى: علم البعض الفجور وعلم البعض التقوى فمردود أيضاً؛ لأن الآية لا تدل عليه لا من قريب ولا من بعيد بل هو تقوُّلٌ على الله بما لم يقله.

وبعد، فقولهم: «علمه أن يفجر» كلام غير منطقي بل يقال: أمره أن يفجر أو حمله على أن يفجر أو دفع به إلى أن يفجر، أو يقال: علمه ماهية الفجور وماهية التقوى، وعلمه طريق التقوى وطريق الفجور، وعلمه أسباب الفجور وعاقبة الفجور وصفات الفجور ومذمة الفجور وقبح الفجور، أما قوله: علمه أن يفجر فكلام فاسد والمتكلم به جاهل.

يغطي الشمس، وذلك عندما يقبل الليل، وأقسم بالسماء وببنايتها[1] المحكمة، وبالأرض وببسطها وتسطيحها، وبالنفس وما فيها من إحكام الخلقة في الأعضاء والجوارح والسمع والبصر والعقل الذي جبله الله سبحانه وتعالى على معرفة الحسن والقبيح والهدى والضلال والتمييز بين الحق والباطل- أقسم الله سبحانه وتعالى بكل ذلك لما فيه للناظرين من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى وعلى علمه وعظمته.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا[2]۝﴾ يؤكد الله سبحانه وتعالى على فوز من طهر نفسه وزكاها من الخبائث والفواحش والكفر والضلال، وعلى ظفره برضوان الله تعالى وثوابه، وقد خاب وخسر من دنس نفسه بالخبائث، وخاض بها في معاصي الله تعالى.

---

(١)- **سؤال:** لعلكم بنيتم على أن «ما» مصدرية في جميع الآيات فما المرجح لذلك؟ وهل يصح حملها على الموصولية؟

الجواب: نعم بنينا على أن «ما» مصدرية، والذي رجح ذلك:

- أنه ظاهر تفسير الإمام الهادي عليه السلام كما في المصابيح.
- أنه لو كان قسماً يخالف السماء لما ساغ تأخير القسم به عن القسم بالشمس و.. إلخ.
- أن القسم في سور المفصل جميعاً كان بآيات الله الدالة على قدرته وعلمه وحكمته ورحمته: ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾، ﴿وَالطُّورِ۝ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ۝﴾، ﴿وَالنَّجْمِ﴾، ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ۝﴾، ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا۝﴾، ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا۝﴾، ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ۝﴾، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ۝﴾، ﴿وَالْفَجْرِ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ۝﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى۝﴾، ﴿وَالضُّحَى۝﴾، ففي هذا قرينة ترجح شيئاً من الترجيح، ولا مانع من حملها على الموصولية؛ لاحتمال اللفظ.

(٢)- **سؤال:** مم أخذت هذه اللفظة؟ وكيف أصل معناها؟

الجواب: «دساها» مأخوذ من: دسَّس بمعنى: نقص ودنس نفسه قلبت السين الأخيرة ألفاً لكراهة اجتماع ثلاث سينات والأصل «دسَّ» فلما ضُعِّف صار: دسَّس، وهذا نحو قولهم: تقضَّى وكان أصله: تقضَّض بثلاث ضادات فقلبت الأخيرة ألفاً فصار: تقضى.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا۝١١ إِذِ انْبَعَثَ[1] أَشْقَاهَا۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا[2]۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا۝١٥﴾[3] كفرت ثمود بنبيها المبعوث إليها وهو صالح عليه السلام، وكذبته فيما جاءهم به من عند الله تعالى بسبب كبرهم وتجاوزهم للحدود في التمرد على الله تعالى وفي الفسوق والعصيان، وأجمعوا على مخالفته فيما أمرهم به فبعثوا أشقاهم لعقر الناقة التي جعلها الله تعالى لهم آية بعدما حذرهم نبيهم صالح عليه السلام من عاقبة التعرض لهذه الناقة ولسقياها، يعني: نصيبها من الماء، وأخبرهم أنه سينزل بهم

---

(١)- **سؤال:** هل في الآيات قلب فالظاهر أن وعظ نبي الله صالح عليه السلام قبل انبعاث أشقاها وفي الآيات عكسه؟

الجواب: ليس في الآيات قلب فالمعنى أنهم انبعثوا لعقر الناقة واستعدوا وخططوا وأجمعوا فوعظهم صالح لما رأى منهم ما رأى من العزم والتهيؤ لعقرها والمضي في تنفيذ ما صمموا عليه؛ لذلك قال الله تعالى بعدما حذرهم صالح من عقر الناقة: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾.

(٢)- **سؤال:** إذا كان المراد بطغواها طغيانها فما العلة في قلب الياء واواً وفتح الطاء؟ وهل تحتمل الباء الداخلة على طغواها المصاحبة والملابسة؟ وما إعراب «إذ»؟ وما محل جملة «انبعث أشقاها»؟ وما إعراب «ناقة الله وسقياها»؟

الجواب: في أساس البلاغة: فلان طاغ باغ وتمادى به الطغيان والطغوى.اهـ فالطغيان والطغوى مصدران لطغى. وفي شمس العلوم لنشوان: قال الخليل: الطغوان والطغيان لغتان والفعل طغوت وطغيت وحينئذ فليس هناك إعلال ولا قلب.

والباء في قوله: «بطغواها» سببية أي: بسبب طغواها، و«إذ» ظرف لما مضى من الزمان منصوب بكذبت، وجملة «انبعث أشقاها» في محل جر بإضافة «إذ» إليها، و«ناقة الله وسقياها» منصوب على التحذير.

(٣)- **سؤال:** ما وجه قراءة نافع «فلا يخاف عقباها» بالفاء دون الواو؟

الجواب: القراءة بالفاء هي من القراءات السبع المتواترة وهي الفاء العاطفة للمسبب على السبب، وتحمل القراءة بالواو على أنها عاطفة أو حالية.

غضب الله تعالى إن هم تعرضوا لها، ولكنهم كذبوه فيما أخبرهم وحذرهم فجاءهم الله سبحانه وتعالى بعذابه، واستأصلهم بنكاله بسبب ذنوبهم فدمدم عليهم بيوتهم فسواها[١] بالأرض، وقد فعل الله سبحانه وتعالى بهم ذلك من غير أن يخاف أن يلحقه تبعة ما فعل بهم من العذاب.

❁❁❁❁❁

سورة الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى[٢]۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى۝٢ وَمَا[٣] خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى۝٤﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالليل عند غشيانه وبالنهار عند

---

(١)- **سؤال:** يقال: كيف سواها بالأرض وهي لا تزال منحوتة في الجبال إلى يومنا هذا كما مر لكم في غير موضع من هذا التفسير المبارك؟

الجواب: كان لهم قصور في السهول: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف:٧٤]، فتحمل الدمدمة على دمدمة القصور التي بنوها في السهول.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في التعبير بالمضارع دون الماضي؟

الجواب: عبر هنا بالمضارع، وفي قوله:﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا۝٤﴾ [الشمس]، لإحضار صورة غشيان الليل ودخوله في ذهن السامع فيرى دخول الليل كأنه يراه بعينه وهو يغشى بظلمته كل شيء، وذلك من أجل تنبيه المخاطبين والسامعين ما في غشيان الليل من الآيات والنعم الدالة على عظمة الله وقدرته ورحمته بعباده وحكمته وتجلي النهار وإن دل على مثل ما دل عليه غشيان الليل من الآيات والنعم... إلا أن في غشيان الليل زيادة ظاهرة، وذلك من حيث أن تجلي النهار وظهوره قد يسبب في حصول هم العمل في النهار من زراعة وسقي وبناء وسفر ورعي أغنام وصناعة طعام وطلب رزق ونحو ذلك من الأعمال، أما دخول الليل فإنه يبعث على الراحة والطمأنينة والهدوء وتستريح فيه النفوس وبسكونه وظلمته والنوم فيه تزول الأتعاب وتذهب الأوجاع والإرهاق ويتجدد النشاط كما لا يخفى.

(٣)- **سؤال:** هل «ما» هنا مصدرية كما يبدو مما تقدم لكم أم موصولة؟

الجواب: «ما» هي المصدرية وقد قدمنا وجه ذلك في سورة الشمس عند قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا۝٥﴾.

ظهوره ووضوحه، وبعظيم فطرته[١] في خلق الذكر والأنثى ليلفت الأنظار إلى التفكر في هذه الآيات العظيمة الواضحة المكشوفة، وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بهذه الأشياء على أنه لا[٢] يسوي بين عباده، فلا يسوي بين الظالم والمظلوم، ولا بين الفاسق والمؤمن ولا بين الضال والمهتدي.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى۝٧﴾ فأما

---

(١)- **سؤال:** فضلاً من أين استفدنا أن المراد عظيم الفطرة في خلق الزوجين؟

الجواب: الذي أفادنا أن المراد عظيم الفطرة هو أن الله تعالى أقسم بها خلق الذكر والأنثى أي: بخلق الذكر والأنثى، والله تعالى لا يقسم إلا بالعظيم من آياته، وآيات الله كلها عظيمة: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى۝٣٩ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى۝٤٠﴾ [القيامة]، ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ۝٢٠﴾ [الروم]، ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى۝٤٥ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى۝٤٦﴾ [النجم]، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل:٧٢]، فخلقه تعالى للذكر والأنثى آية عظيمة يحتج الله تعالى بها على عباده.

(٢)- **سؤال:** يقال: من أين نفهم أن المراد هذا مع أن ظاهرها في اختلاف الأعمال؟

الجواب: لما كذب المشركون بالبعث والقيامة واليوم الآخر وأنكروا ذلك وجحدوا استنكر الله عليهم ذلك أشد الاستنكار لأنهم بتكذيبهم وكفرهم باليوم الآخر اتهموا الله تعالى بالعبث والظلم والباطل من حيث أنه يلزم على قولهم أن يسوي الله تعالى بين الظالم والمظلوم إذا ماتوا من غير أن ينتصف المظلوم من ظالمه، ويستوي المحسن والمسيء والأشرار والأخيار والمجرم والمؤمن والمصلح والمفسد إذا ماتوا جميعاً من غير أن يجازى كل منهم بما يستحقه قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ۝٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ۝٣٩﴾ [النحل]، ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ۝٣٥﴾ [القلم]، ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ۝٢٨﴾ [ص]، وفي هذه السورة (الليل) أقسم الله تعالى بالليل إذا... إلخ إن سعيكم لشتى وذلك لرد قول المشركين وإنكارهم للبعث والحساب.

من أدى ما افترض الله سبحانه وتعالى عليه في ماله واتقاه بفعل ما يرضيه واجتناب ما يسخطه، وصدق بالرسالة[1] التي جاءه بها محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وباليوم الآخر فسيسلك الله تعالى به سبل الهدى الموصلة إلى الجنة[2].

---

(١)- **سؤال:** قد مر أن الحسنى الجنة فما الوجه في جعلها الرسالة أو نحوها مع أنها مناسبة للسياق؟ وكيف نحلل معناها بالنظر إلى أصل اللغة؟ وكذا اليسرى إذا كان المراد بها الخصلة الأيسر من غيرها (الطاعات) فيقال على هذا المفهوم إشكالات:

أ-تيسير العمل الميسر غير مستقيم كتحصيل الحاصل.

ب-كيف نطلق على الطاعات كونها أيسر من غيرها وفيها تعب ومشقة لأنها تكاليف.

ج-لو كان المراد ما قلتم لقال: فسنيسر له اليسرى لا: فسنيسره لليسرى، وإذا كان المراد باليسرى الجنة فما الوجه في هذه التسمية؟ وهل عهدت في الشرع في غير هذا الموضع مع قولنا إن التي في سورة الأعلى ليست بمعنى الجنة؟

الجواب: «الحسنى» تأنيث «الأحسن» فهي صفة لموصوف محذوف فتصدق على الجنة وعلى كلمة التوحيد وعلى ملة الإسلام وعلى غير ذلك مما يتصف بالحسن، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف:١٣٧]، ففسرنا الحسنى بأنها ملة الإسلام المتضمن التصديق بالجنة، وكذب بالحسنى بملة الإسلام المتضمنة التكذيب بالجنة والتقدير: وصدق بالخصلة الحسنى، وتفسيرنا غير متعارض مع ما ذكرتم فمعناه: وصدق بالجنة وبما يلزم التصديق به، وإنما وَسَّعْنا كلمة الحسنى بما يجب التصديق به.

وتيسير اليسرى أي: تيسير الطاعات غير مشكل قال الله تعالى في الصلاة: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ۝٤٥﴾ [البقرة]، فإقامة الصلاة أمر شديد وثقيل إلا على الخاشعين وما ذلك إلا لأن الله تعالى يسر لهم إقامتها، وتيسير الطاعات وإن كانت شاقة على المطيعين إلا أنها يسيرة بالنظر إلى ما يترتب على فعلها من خير كبير ومصالح عظيمة وقد قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، أي: فيما شرعه لهم من الشرائع. ومعنى «نيسره لليسرى» نهيئه لها بالتوفيق والمعونة والترغيب والترهيب إلى أن يرى الطاعات والفرائض خفيفة غير ثقيلة.

هذا، ولا مانع من تفسير «الحسنى» بالجنة، فقد فسرت بها في تفسير أهل البيت عَلَيْهِمْ السَّلَام «المصابيح»، وفي غيره من التفاسير، كما أنها فسرت بما ذكرنا.

(٢)- **سؤال:** كيف يجيب المرشد على قول الأشعري إن التيسير موجود في بنية المؤمن وخلقته من أول وهلة، وكذا العكس بدليل تسليط الفعل «فسنيسر» على ضمير الشخص نفسه، ويؤيد ذلك بالرواية المشهورة: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» بجواب مختصر مقنع؟

=

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى۝١٠﴾ وأما من بخل بماله ولم يؤد ما افترض الله سبحانه وتعالى عليه فيه، واسترسل في معاصي الله تعالى، وكذب بدينه وباليوم الآخر فلا يهديه[١] الله تعالى لسبل الخير والرضوان، بل مصيره إلى عذاب جهنم خالداً فيها أبداً، والمراد بقوله: «واستغنى» بما لديه من المال وغيره.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى۝١١﴾ ولن يستنقذه ماله من عذاب الله تعالى إذا نزل به.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا[٢] لَلْهُدَى۝١٢﴾ اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن لا يترك

الجواب: المكلفون جميعاً خلقوا لعبادة الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ۝٥٦﴾ [الذاريات]، وتيسير الله تعالى المؤمن لطاعته ليس ملجئاً له إلى فعل الطاعات وتيسير الكافر للعسرى غير ملجئ له إلى فعل الكفر والمعاصي؛ لأن التيسير هو التسهيل، ولا يلزم الجبر ولو كان التيسير موجوداً في بنية المؤمن والكافر.

(١)- **سؤال:** يقال: ما الوجه على أن هذا هو المراد بالتيسير للعسرى؟

الجواب: الوجه هو أنه قد قامت الدلالة على أن إضلال الله للفاسقين إنما هو سلب التوفيق والتنوير و..، فالتيسير للعسرى لا يصح تفسيره إلا كذلك؛ لأن الله تعالى لا يفعل القبيح ولا يظلم مثقال ذرة.

(٢)- **سؤال:** ما الذي يفيدنا تقديم الجار والمجرور هنا؟ وهل المراد بـ«الهدى» هنا المصدر أم الاسم؟ وما ينبني على ذلك؟

الجواب: العادة والقاعدة في لغة القرآن أن يقدم الجزء الأهم من الجملة فقدم الجار والمجرور هنا لأنه الأهم والمقصود الأعظم ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى۝١٢﴾ فكفى بالله هادياً ونعم الهادي، ومن أصدق من الله حديثاً، ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى۝١٣﴾ فنعم المالك ونعم الحاكم لا يظلم مثقال ذرة. فهذا التعليق بعد كل جملة هو لبيان أهمية الجزء المقدم من الجملة، وإذا قلت: المال لزيد أو لزيد هذا المال، فتقول في التعليق على الأول: نعم المال، وعلى الثاني: نعم الرجل هو أهل لذلك المال. والهدى في هذه الآية اسم لما به الهدى أي: لما يحصل به الهدى والإرشاد كالقرآن والرسول، وإذا قدرنا الهدى مصدراً كان اسماً لفعل الرسول ÷ الذي هو قراءة القرآن ونحوه.

الناس هملاً، فأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب ليدلهم على طريق الهدى، ويحذرهم من سبل الردى[1].

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ١٣﴾ يختص الله سبحانه وتعالى بالملك والسلطان في الدنيا وفي الآخرة لا يشاركه في ذلك شريك.

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى[2] ١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا[3] الْأَتْقَى ١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ[4] رَبِّهِ الْأَعْلَى ٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ٢١﴾ هذا تحذير وإنذار للكافرين

---

(١)- **سؤال:** يستدل بعض المدعين للمعرفة بهذه الآية على أن الهداية بأجمعها تحصل من قِبَلِ الله تعالى خلقةً أو فطرةً فلا يحتاج المكلف إلى متابعة مواردها وأسبابها كاستماع مواعظ الترغيب والترهيب والقراءة في علوم الشريعة ونحوها، فما رأيكم في ذلك؟

الجواب: إذاً فلماذا أنزل الله القرآن وأرسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولماذا وصف الله المعرض عن التذكير بمواعظ الله وآياته في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ٢٢﴾ [السجدة].

(٢)- **سؤال:** هل هذا مضارع حذفت إحدى تائيه أم ماض؟

الجواب: هو مضارع حذفت إحدى تائيه للتخفيف.

(٣)- **سؤال:** ما السر في التعبير بالمبني للمعلوم في «يصلاها» وبالمبني للمجهول في «سيجنبها»؟

الجواب: أسند الصلي إلى الأشقى لأن الصلي قائم به، والوعيد متعلق به، وبنى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ١٧﴾ للمجهول لأنه لا غرض في ذكر فاعل التجنيب والغرض إنما هو المجنب المبعد من النار، فكان بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول هو على حسب مقتضى المقام.

(٤)- **سؤال:** ما محل جملة «يتزكى»، وجملة «تجزى»؟ وما إعراب «إلا ابتغاء وجه»؟ وهل يعود الضمير في «يرضى» إلى الله أم إلى العبد المزكي؟

الجواب: جملة «يتزكى» يصح أن تكون بدلاً من جملة «يؤتي ماله» فلا محل لها من الإعراب، ويصح أن تكون حالاً من فاعل «يؤتي» فتكون في محل نصب، وجملة «تجزى» في محل رفع صفة لنعمة، «ابتغاء» مفعول من أجله، و«إلا» بمعنى «لكن»، والتقدير: لكن فعل ذلك ابتغاء، أو

=

وللناس جميعاً مما هم قادمون عليه لا محالة من العذاب الذي قد أعده الله تعالى لأهل الشقاء الذين كذبوا برسالات الله تعالى وأعرضوا عنها، ومعنى «تلظى»: تتلهب وتتوقد، وسينجي الله سبحانه وتعالى من هذا العذاب الذي قد أعده للكافرين المؤمنين الذين يتقون معاصيه ويطيعونه، ولا يبخلون بما افترضه الله تعالى عليهم في أموالهم ليتطهروا بها، ولا يعطونها مكافأة على من قد أحسن إليهم[1]، ولكن يعطونها ابتغاء وجه ربهم العظيم، يطلبون بذلك رضوانه وسوف يرضى عنهم.

۞۞۞۞۞

سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى۝٦ وَوَجَدَكَ

يكون «ابتغاء» منصوب على الاستثناء المنقطع، والضمير يعود إلى المزكي أي: يرضى بما يعطى من الثواب والجزاء.

(١)- **سؤال:** يقال: هذا هو الظاهر فما حجة أهل المذهب في قولهم بجواز إعطاء الفقير الذي صنع إلى معطيه معروفاً كإعطائها للقريب الذي وردت النصوص فيه بأنها صدقة وصلة قالوا: إنما الممنوع إعطاؤه على أن يصنع المعروف في المستقبل فما رأيكم في جميع ذلك؟ وهل هنا فرق فيما إذا كان المعطي هو غير المالك كالوكيل والإمام والمصدق أم لا؟ وضحوا ذلك؟

الجواب: كلام أهل المذهب حق ولا منافاة بين كلامهم وبين ظاهر الآية، وذلك أن مشاركة نية المباح أو الإحسان أو غير ذلك مما أذن الله فيه لا يخل بنية الصدقة ولا يخرجها عن كونها لابتغاء رضوانه وطاعته؛ لأن الله قد أذن بما أدخلته من النية مع نية الزكاة، والذي يخل بالزكاة ويفسد نيتها هو أن تطلب بها العوض من الفقير كما قال أهل المذهب، والإحسان والمكافأة ليس بعوض للمعطي.

والإمام والمصدق والوكيل لا يحل له أن يطلب بالزكاة العوض من الفقراء، ويجوز لهم ما يجوز للمالك مما ذكر أعلاه لا فرق.

ضَالًّا فَهَدَى۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا[(١)] فَأَغْنَى۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ۝٩[(٢)] وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ۝١١﴾ أبطأ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخاف صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون ذلك لغضب من الله تعالى عليه لتقصيره صلى الله عليه وآله وسلم في تبليغ الرسالة، فنزلت[(٣)] هذه السورة لتطمئن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتزيل خوفه وهواجس نفسه، فأقسم الله تعالى بالضحى وهو أول اليوم حين ترتفع الشمس وتنتشر على الأرض، وبالليل إذا غطى بظلامه الأرض– أن ربك يا محمد لم يتركك لتقصير منك في تبليغ الرسالة وحمل الأمانة، ولم يغضب عليك ولم يكرهك، بل أنه راضٍ عنك وعن سعيك في تبليغ الرسالة وأداء الأمانة، وثواب الآخرة يا محمد الذي أعده الله تعالى لك خير لك من أن يثيبك الله في الدنيا، فما يلحقك في الدنيا من فقر وخوف وشدائد ومضائق ليس لهوانك على الله تعالى فإنك عنده بالمنزلة الرفيعة

---

(١)- **سؤال:** مم أخذت الكلمات التالية: «سجى، عائلاً»؟

الجواب: «سجى» مأخوذ من السجو، سجى يسجو سجواً بمعنى: سكن وركد ظلامه، مثل: سما يسمو سمواً. و«عائلاً» مأخوذ من مصدر: عال زيد من باب سار أي: افتقر.

(٢)- **سؤال:** ما هي هذه اللام الداخلة على سوف في قوله: «ولسوف يعطيك»؟ وما إعراب «فأما اليتيم فلا تقهر»؟ وبماذا تعلق الجار والمجرور «بنعمة»؟

الجواب: اللام هي لام القسم في الموضعين أي: أن ذلك معطوف على جواب القسم. «فأما اليتيم فلا تقهر» الفاء هي الفصيحة، و«أما» حرف شرط وتفصيل وتوكيد وهي نائبة عن أداة الشرط وجملته، و«اليتيم» مفعول به مقدم، «لا» ناهية، «تقهر» مضارع مجزوم، والجملة جواب «أما» والفاء الثانية مؤخرة لإصلاح اللفظ وكان من حقها أن تكون بعد «لما». و«بنعمة» متعلق بقوله: «فحدث».

(٣)- **سؤال:** ما رأيكم فيما روي أن المشركين هم الذين قالوا بأن رب محمد قد قلاه فنزلت السورة لتكذيبهم؟

الجواب: قد تكون هواجس نفس وخواطرها بسبب ما قاله المشركون فنزلت السورة، وظاهرها أن نزولها لتطمئن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا لتكذيب قريش.

والدرجة العالية، وسيعطيك عطاء عظيماً ويمنحك فضلاً كريماً في الآخرة حتى ترضى عن ربك وتتحقق ما وعدك به سبحانه وتعالى.

وأنت يا محمد بعين الله تعالى ورعايته من أول عمرك إلى اليوم، فقد كنت يتيماً بلا أب ولا أم فآواك الله تعالى إلى حجر عمك، وجعله يعطف عليك، وملأ قلبه شفقة بك، فحاطك بشفقته، ورعاك بعطفه ورحمته.

وكنت يا محمد جاهلاً للهدى وطرق الرشاد فأوحى الله تعالى إليك برسالة الهدى ودين الإسلام، واصطفاك واختارك على العالمين.

وكنت فقيراً في أول الأمر فأغناك الله تعالى من فضله بأموال زوجتك خديجة؛ فاشكر نعمة الله تعالى عليك فتعطَّف على اليتيم وأَوْلِهِ شفقة منك ورحمة، وارحم المسكين، ولا تنهر السائل الفقير، وبلغ[1] رسالة ربك، ولا تتوان في تبليغها للناس، واذكر نعم الله تعالى عليك فإن الله يحب الشاكرين.

❁❁❁❁❁

سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ[2] نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ② الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ

(١)- **سؤال:** هل تريدون أن التحديث بنعمة الله هو تبليغ الناس الرسالة فكيف فلا زال يشكل علينا؟ وهل يصح حملها أيضاً على الاعتراف بنعم الله سبحانه وذكرها للناس لأنه شكر لها أم لا؟

الجواب: القرآن هو أعظم نعم الله تعالى على نبيه ﷺ فيكون مأموراً بقراءته على الناس، وفي تفسير الإمام زيد كما في تعليق المصابيح: حدثهم بالقرآن.

(٢)- **سؤال:** ما نوع الاستفهام هنا؟ وبم تعلق الجار والمجرور «إلى ربك»؟ وما هو العامل في «إذا» في قوله: «فإذا فرغت»؟

الجواب: الاستفهام استنكاري أو تقريري لما بعد النفي، و«إلى ربك» متعلق بقوله: «فارغب» وهذه الفاء واقعة في جواب شرط مقدر أي: وإن دعتك حاجة فارغب إلى ربك، و«إذا» منصوبة بقوله: «فانصب» والجملة هذه جواب «إذا» الشرطية.

فَانْصَبْ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴿٨﴾﴾[١] اشتد البلاء على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين والفقر والخوف، وتمردت قريش عن الإيمان، وكبر ذلك على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمين فخاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يكون السبب هو تقصيره في تبليغ الرسالة وهوانه على الله تعالى فنزلت هذه السورة لتزيل ذلك من صدره فقال الله تعالى له: إن نعمنا عليك يا محمد كثيرة متواصلة، فقد شرحنا لك صدرك، أي: وسعناه للإيمان وتحمل المتاعب، وقد وضعنا عنك حمل تبليغ الرسالة، فقد بلغت المشركين وأديت ما عليك، وقد كان حملاً ثقيلاً كاد أن يقصم ظهرك لشدته وثقله، وبنعمة الله تعالى عليك ارتفع[٢] عنك هذا التكليف، وبنعمة الله تعالى أيضاً نشرنا ذكرك في

---

(١)- **سؤال:** هل يؤخذ من الآيات وجوب الدعاء بعد الفراغ من الصلوات أم ندبيته فقط؟ وما قرينة ذلك؟

الجواب: إذا كان المقصود بقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴿٧﴾﴾ إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء فإن الأمر للندب لا للوجوب للاتفاق العام على أنه لا يجب الدعاء بعد الفراغ من الصلاة، وهذا مع أن الآية مطلقة أي: إذا فرغت من عمل فانصب في عمل آخر، فيكون أمراً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالاستمرار في الدعوة إلى الله وعدم التواني في الدعوة إلى الله فإذا فرغ اليوم من دعوة فليأخذ في الدعوة من جديد أو إذا فرغت من أداء الصلاة فانصب في الدعوة إلى الله أو... إلخ.

(٢)- **سؤال:** قد يقال: كيف ارتفع وهو لا زال مكلفاً بالدعوة إلى الله سبحانه إلى أن توفاه الله؟

الجواب: تحمل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الدعوة لقريش إلى الإسلام وإبلاغهم رسالة الله وإقامة حجته عليهم فأداها إليهم وكانت ثقيلة عليهم لما يعلم من أنفة قريش وشدتهم وكبريائهم فلاقى في سبيل ذلك ما لاقى من المكاره والشدائد، وكاد أن يقتل نفسه على آثارهم، فلما أدى الرسالة وأبلغهم الحجة أكمل بلاغ ويلغهم أبلغ بيان أمره الله بأن يهجرهم: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴿١٠﴾﴾ [المزمل]، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى:٤٧]، فليس عليك أن يدخلوا في الإسلام ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا﴾ [المعارج:٤٢]، ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴿١٧﴾﴾ [الطارق]، فالذي وضعه الله تبارك وتعالى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو تكليف دعوة قريش والناس تبع لقريش.

الآفاق، وشهرنا أمرك والثناء عليك في البلدان، فاصبر يا محمد على ما أنت فيه وأصحابك من البلاء والشدائد فسيعقب ذلك البلاء وتلك الشدائد اليسر[(١)] والفرج والرخاء والأمن والسلطان والغلبة، فانتظر حتى يأتي الله تعالى بالفرج، والجأ إلى الله تعالى بالدعاء وارغب إليه بالعبادة والطاعة فيما أمرك به.

❁❁❁❁❁

سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ[(٢)] ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ[(٣)] ⑤ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا

---

(١)- **سؤال:** ما هو الوجه فيما قالوه إن اليسر في الآية الثانية غير اليسر في الأولى مع ظهور التوكيد في الآية الثانية؟

الجواب: الوجه هو كون اليسر جاء منكراً فيكون الثاني غير الأول، والأصل عدم التأكيد، بخلاف العسر فإن التعريف بالألف واللام دليل على أن الثاني هو الأول.

(٢)- **سؤال:** إذا كانت من الأمن فما نوع اسميتها؟

الجواب: «الأمين» مأخوذ من: أَمُنَ بضم الميم أمانَةً فهو أمين، وجمعه إمان، ككريم وكرام، وأمين بمعنى: آمن. أو هو مأخوذ من: أَمِنَه المتعدي إلى المفعول به فيكون بمعنى: مأمون فيه أي: يأمن فيه الناس وغيرهم.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب «أسفل سافلين»؟ وهل تقصدون أن الله رده إلى النار لسوء اختياره فما الوجه في ذلك؟ وهل يصح حملها على أرذل العمر وهرم الشيخوخة ليوافق الآية التي قبله ويكون الاستثناء منقطعاً في قوله: «إلا الذين آمنوا..» أم لا ترونه مناسباً؟

الجواب: «أسفل» ظرف مكان متعلق بـ«رددناه» أي: مكاناً أسفل، أو حال من ضمير المفعول، «وأسفل» مضاف إلى سافلين، والوجه فيما ذكرنا في تفسير أسفل سافلين قوله تعالى بعد ذلك: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑥﴾ أي: غير مقطوع أي: أنه الأجر والثواب يوم القيامة في جنات النعيم، فإن ذلك يدل على أن أسفل سافلين وعيد

=

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ[١] أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالتين والزيتون، **والتين**: فهو ما يعرف بـ«البلس» عندنا، **والزيتون**: فهو الشجرة المباركة التي تنبت في أرض الشام؛ أقسم الله سبحانه وتعالى بهما لما للناس فيهما من المنافع العظيمة، وليلفت أنظارهم إلى نعمة الله تعالى عليهم بهاتين الثمرتين، وأقسم الله سبحانه وتعالى بجبل الطور الواقع بسيناء[٢] وهو الجبل الذي كلم الله سبحانه وتعالى عنده موسى عليه السلام، وهو جبل مبارك، وأقسم بمكة وهي البلد الآمن، وذلك ليذكِّر الناس بنعمته عليهم بالحرم المحرم الآمن.

أقسم الله سبحانه وتعالى بكل ذلك على أنه أكرم الإنسان في خلقه حين خلقه منتصب القامة ومرتفع الهامة وبادي البشرة يأكل بيديه، ويتكلم بما يريد بلسانه ويفصح عما في ضميره بحسن بيانه، واختصه بالعقل الذي يميز به بين حقائق الأمور، ويتبين به الحق من الباطل والهدى من الضلال، وبه يسيطر الإنسان على سائر المخلوقات، ولكن الإنسان لسوء اختياره ضل عن الهدى وسار في طرق الضلال التي أوردته جهنم وبئس القرار، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم يوم القيامة أجر عظيم في جنات النعيم لا ينقطع أبداً.

بعذاب النار، فهذا هو وجه ما ذكرنا في التفسير.

ولا مانع من تفسير ذلك بما ذكرتم، ويكون الاستثناء منقطعاً، غير أن الأولى هو ما ذكرنا وقد بينا وجه الأولوية مع بقاء الاستثناء على ظاهره.

(١)- **سؤال:** إذا كان «إلا الذين آمنوا» مستثنى فما تكون الفاء في قوله: «فلهم»؟

الجواب: قد يكون المستثنى جملة وعليه فيكون «الذين» مبتدأ وجملة «فلهم أجر» في محل رفع خبر، والفاء رابطة لتضمن المبتدأ معنى الشرط.

(٢)- **سؤال:** يقال: فما وجه التعبير عنه بـ«سينين»؟

الجواب: أصل الاسم أعجمي، فلما استعمله العرب تصرفوا فيه بما يلائم ألسنتهم كتصرفهم في اسم جبريل فقالوا: جبرائيل وجبرئِّل وإبراهيم وإبراهام ولذلك أمثلة كثيرة.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ[١] بَعْدُ بِالدِّينِ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ۝٨﴾ بعدما ظهرت حجتك يا محمد وانتشر الحق لا يكذبك أحد بيوم الجزاء؛ لأن الحق قد قهرهم ودلائل الحجة قد ظهرت بينهم، وربك يا محمد هو أحكم الحاكمين فقد أظهر الدين الحق على الدين كله ولو كره المشركون.

۞۞۞۞۞

سورة العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ۝١ خَلَقَ[٢] الْإِنْسَانَ مِنْ[٣] عَلَقٍ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ[٤]

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في حذف فاعل «يكذبك» هنا وهو عمدة؟ وهل تحتمل «ما» وجهاً آخر غير النفي أم لا؟ وما إعراب «بعد»؟ وهل «بالدين» في موضع المفعول الثاني ليكذب؟ إن كان فهل يلزم له مفعول ثان أم كيف؟ وإلا فما موضعه؟

الجواب: حذف الفاعل للعلم به مع عدم الداعي لذكره، فالمعنى مسوق على أنه لا يقع تكذيب للنبي ÷ بعد ذلك البيان، وتحتمل «ما» أن تكون استفهامية للإنكار والتعجب، والمعنى على النفي، وقد تكون الباء بمعنى «في» أو سببية، وتتعلق على الوجهين بالفعل «يكذبك» أي: في الدين أو بسبب الدين، ولا يلزم للفعل مفعول به ثانٍ فالفعل يتعدى لمفعول واحد.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما موضع هذه الجملة؟

الجواب: تحتمل وجهين من الإعراب:

- أن تكون بدلاً من جملة الصلة «الذي خلق..» إذا قدرنا خلق كل شيء فيكون البدل للتخصيص.
- أو تكون الجملة استئنافاً بيانياً في جواب سؤال مقدر.

(٣)- **سؤال:** ما معنى «من» هذه؟

الجواب: هي لابتداء الغاية أي: أن بدء خلق الإنسان كان من علق أي: من دم متجمد.

(٤)- **سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟ وما ينبني على ذلك من معنى؟

الجواب: جملة «وربك الأكرم» في محل نصب حال من فاعل «اقرأ» ويؤخذ من ذلك:

=

﴿الْأَكْرَمُ۝٣ الَّذِي[١] عَلَّمَ بِالْقَلَمِ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ۝٥﴾ هذه الآيات -كما يقال- أول ما نزل[٢] من الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفيها دلالة واضحة على فضل تعلم العلم عند الله تعالى.

ومعنى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾: استعن على قراءتك بذكر اسم الله تعالى القادر على إعانتك، الذي خلق الخلائق وفطرها وخلق الإنسان بقدرته من قطعة دم متجمدة، ثم أكد الأمر بالقراءة مرة ثانية لما لها من الأهمية عند الله سبحانه وتعالى فعن طريقها يكتسب الإنسان العلم ومعرفة الله تعالى ومعرفة شرائعه وأحكامه، وبنعمة الله تعالى وكرمه وفضله على الناس علمهم القراءة والكتابة بالقلم، وعلم الإنسان ما لم يعلم.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى۝٦ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى۝٧﴾[٣] حقاً إن الإنسان مع كثرة

- أن الطريق إلى اكتساب العلم هو القراءة والتعلم.
- أن التعلم وقراءة العلم مشروع بأمر الله.
- وأن طالب العلم معان من الله وأن أبواب العلم مفتحة أمامه وكل ذلك مع الطلب والإخلاص لله في طلبه للعلم وفي عبادته وجميع طاعاته.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «الذي»؟ وما محل جملة «علم الإنسان ما لم يعلم»؟

الجواب: «الذي» خبر ثان أو نعت للأكرم، «علم الإنسان ما لم يعلم» بدل من جملة «علم بالقلم أو عطف بيان.

(٢)- **سؤال:** يقال: وكيف نجمع بين هذا وبين الروايات والحكايات التي ذكرها في المصابيح عن أهل البيت أن الفاتحة هي أول ما نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: يتم الجمع بأن يقال: إن «اقرأ» أول ما نزل بعد الفاتحة أو أن الفاتحة أول ما نزل بعد «اقرأ».

(٣)- **سؤال:** ما معنى «أن» في قوله: «أن رآه»؟ وما موضع إعرابها؟ وإلام يعود الضمير في «رآه»؟ وما المسوغ لذلك؟ وما موضع «استغنى» من الإعراب؟

الجواب: «أن» مصدرية وهي وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بلام محذوفة، والضمير في «رآه» يعود للإنسان أي: أن رأى نفسه مستغنياً، وقد سوغ أهل اللغة عمل الفعل القلبي في ضميري الفاعل والمفعول ومرجعهما واحد من غير ذكر النفس مع منعهم لذلك في غير أفعال

=

نعم الله تعالىٰ عليه وإسباغها يتجاوز الحدود بكفر النعم وعصيان المنعم.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ۝٨﴾ إن الله سبحانه وتعالىٰ يمهل العصاة ولا يهملهم فمرجعهم إليه للجزاء علىٰ أعمالهم التي قدموها.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ۝١٠ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ۝١٢ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ۝١٤﴾ أخبرني يا محمد عن ذلك الإنسان العاتي[1] الكافر الذي ينهىٰ المصلين لله تعالىٰ عن الصلاة والعبادة له؟ وأخبرني كيف يكون حال هذا العاتي إذا انكشف الأمر أن ذلك المصلي علىٰ الهدىٰ، وأنه كان يأمر[2] بتقوىٰ الله تعالىٰ؟ وأخبرني كيف يكون حال هذا المكذب العاتي الذي تولىٰ عن الهدىٰ، ونهىٰ عن عبادة الله تعالىٰ عند الله يوم القيامة؟ ألم يعلم هذا العاتي أن الله سبحانه وتعالىٰ يراه، ويحصي عليه أعماله صغيرها وكبيرها، وأنه سيجازيه عليها؟

القلوب فلا يقول القائل: ضربتُني، بل يلزم أن يقول: ضربت نفسي، ونحو هذا. وجملة «استغنىٰ» في محل نصب المفعول الثاني لرآه لأنها قلبية.

(١)- **سؤال:** هل العاتي هذا هو أبو جهل هشام بن الحكم أم هو غيره؟

الجواب: روي أنه أبو جهل وحقيق بأن يكون هو القائل فقد كان أشد قريش علىٰ النبي ﷺ أو كأشدهم، وقد يكون معه غيره كأمية بن خلف، والمشهور بهذا هو أبو جهل.

(٢)- **سؤال:** لا زال الإشكال لدينا بقاياً في عود الضمير في «أمر» إلىٰ المصلي لأن من حقه أن يقال: أو مأموراً بالتقوىٰ، حتىٰ يتضح السياق إلا إذا له تحليل آخر فما هو؟ وهل يصح عوده إلىٰ العاتي بمعنىٰ: ما الذي ينقصه لو كان علىٰ الهدىٰ أو أمر بالتقوىٰ بدلاً عن أمره بالإثم ونهيه للمصلين، أم لا ترونه مناسباً فأوضحوا ذلك؟

الجواب: الضمير في «أمر» هو لعبداً والمراد به النبي ﷺ فقد روي أن أبا جهل أقسم لئن رأىٰ محمداً ﷺ يصلي عند الكعبة ليطأن عنقه، والنبي ﷺ هو متصف بأنه كان علىٰ الهدىٰ ويأمر بالتقوىٰ فكيف ينهاه مع ذلك، فهذا هو المناسب.

هذا، ولم يكن أحد من المؤمنين يصلي عند الكعبة إلا النبي ﷺ؛ خوفاً من المشركين كما يظهر.

﴿كَلَّا(١) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ(٢) وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ۝١٩﴾ أقسم الله تعالىٰ قسماً يهدد فيه ذلك الجبار العاتي الذي يمنع المصلين عن الصلاة، ويصد عن تقوىٰ الله تعالىٰ بأنه سيأخذه أخذاً عنيفاً، ويجره بناصيته إلىٰ وبال عذابه فإنه أهل للعذاب لكثرة كذبه علىٰ الله تعالىٰ ولتجاوزه لحدوده، فعند ذلك الأخذ العنيف فليدع قريشاً(٣) لتنقذه من الهلاك وأنىٰ لها ذلك، هنالك ستأخذ الزبانية الجبابرة الصادين عن الهدىٰ، وتُقَلِّبُهم في عذاب جهنم، وتتولىٰ تحريقهم بلهيبها وبئس المصير.

ولا يصدنك يا محمد ما يقوله جبابرة قريش عن تبليغ الرسالة وعبادة ربك، وأكثر من الصلاة والتقرب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ وإن رغمت أنوفهم ولو لحقك من الأذىٰ ما لحقك فاصبر فإن العاقبة لك وللمؤمنين.



---

(١)- **سؤال:** ما معنىٰ «كلا» هنا وإعرابها؟

الجواب: هي حرف للردع والزجر.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «ينته» وكذا «ناصية» و«فليدع» و«كلا لا تطعه»؟

الجواب: «ينته» مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة (الياء)، «ناصية» بدل من الناصية المعرفة، «فليدع» الفاء رابطة لجواب شرط محذوف أي: إن كان قادراً فليدع، واللام لام الأمر، «يدع» مضارع مجزوم، و « كلا » تأكيد لكلا السابقة ، و « لا » ناهية ، و « تطعه » فعل مضارع مجزوم بحذف حرف العلة الياء والفاعل ضمير مستتر وجوباً والهاء مفعول به.

(٣)- **سؤال:** يقال: كيف أطلق النادي علىٰ جماعته وإنما يطلق علىٰ مكان الاجتماع؟ وما موضع جملة «سندع الزبانية»؟ وممَّ أخذت لفظة «الزبانية»؟ وما الفرق بينهم وبين بقية الملائكة؟ وما المراد بالأمر في قوله «فليدع نادية»؟

الجواب: إطلاق النادي علىٰ أهله هو من المجاز المرسل وعلاقته المحلية. «سندع الزبانية» لا محل لها استئناف بياني لبيان علة ما قبله، والمراد بالأمر التحدي والتعجيز والتهكم، و«الزبانية» جمع: زبنيت، كعفريت، والزبانية: الشُّرَط، والزبانية: ملائكة موكلون بتعذيب أهل النار ﴿مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۝٦﴾ [التحريم]، ولا فرق بينهم وبين سائر الملائكة.

سورة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ[١] فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ[٢] وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ[٣] مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾[٤] أنزل الله تعالى القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في شهر[٥] رمضان في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة على حسب الحوادث والحاجة.

---

(١)- **سؤال:** يقال: ما الوجه في الإضمار عن غير مذكور في قوله «أنزلناه»؟

الجواب: الإضمار عن غير مذكور قد كان لظهور فضله وعلو شرفه المغني عن التصريح باسمه.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما موضع جملة «ليلة القدر خير» أم أنه لا موضع لها؟ وكذا جملة «تنزل الملائكة..»؟

الجواب: «ليلة القدر ..» لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها جواب للسؤال المذكور، ولا محل أيضاً لجملة «تنزل الملائكة ..» لأنها مستأنفة لبيان العلة والسبب.

(٣)- **سؤال:** بم تعلق الجار والمجرور «بإذن ربهم»؟

الجواب: تعلق بقوله: «تنزل...».

(٤)- **سؤال:** لم يظهر لنا معنى «من» في قوله: «من كل أمر» إذا جعلناها متعلقة بما قبلها وقول بعضهم إنها بمعنى الباء خلاف الظاهر، فما رأيكم أن تكون متعلقة هي ومجرورها بمحذوف خبراً مقدماً لقوله «سلام»؟ أم كيف الحل؟ وما إعراب «هي حتى مطلع الفجر» على الرأيين؟

الجواب: معنى «من» التعليل وهي متعلقة بتنزل الملائكة.. أي: تنزل من أجل كل أمر، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان]، أي: أنها تنزل من أجل ذلك الأمر الذي هو فرق كل أمر حكيم، فـ«كل أمر» في هذه السورة هو «كل أمر» الذي في سورة الدخان ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ [الدخان]، فلا حاجة حينئذ إلى القول إن «من» بمعنى الباء ولا أنها متعلقة بمحذوف خبر مقدم وسلام مبتدأ مؤخر. «سلام» هو خبر لمبتدأ محذوف أي: هي سلام، وقوله: «هي حتى مطلع الفجر» مبتدأ وخبر.

(٥)- **سؤال:** ما الموجب لهذا التأويل؟ وهل يصح أن نحمل «أنزلناه» على ابتدأنا إنزاله ليوافق تنجيمه وتفريقه أم لا؟

الجواب: الموجب لذلك أن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مفرقاً منجماً ولم ينزل جملة واحدة، ولا يصح حمله على أن المراد أن الله تعالى ابتدأ إنزاله في ليلة القدر؛ لأن الظاهر من قوله: «أنزلناه» أنه أنزله كله في ليلة القدر، ولأن الظاهر أن ابتداء الوحي كان في ربيع الأول ولم يكن في رمضان.

ومعنى ﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾: أن لها منزلة وفضلاً عند الله سبحانه وتعالى وليست كسائر الليالي، وقد عظمها[١] الله سبحانه وتعالى في هذه السورة وفخم أمرها، وذكر أنها أفضل من ألف شهر، وأخبر أن الملائكة يتقدمهم جبريل عليه السلام تتنزل إلى الأرض في هذه الليلة المباركة بأمر الله تعالى لتقرير الآجال والأرزاق، وما يقضيه الله سبحانه وتعالى ويحكم به في عباده في تلك السنة، وهي ليلة جعلها الله سبحانه وتعالى كلها سلاماً[٢]، وهي من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

❁❁❁❁❁

سورة البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ۝١ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ۝٣﴾[٣] كان أهل

---

(١)- **سؤال:** هل نأخذ هذا من الاستفهام بقوله: «وما أدراك ما ليلة القدر»؟

الجواب: أخذ من الاستفهام ومن تسميتها ليلة القدر، والقدر: الجلالة والفخامة والعظمة.

(٢)- **سؤال:** ما المراد بكونها سلاماً؟ وكيف نوافق بين هذا وبين الحديث الذي فيه في صفة الملائكة: ((يسلمون على كل قاعد وقائم وذاكر لله))؟

الجواب: المراد بكونها سلاماً هو كونها سالمة مسلمة ليس فيها عذاب من الله تبارك وتعالى ولا نقمة جعلها الله بفضله بركة وسلامة ورحمة للعباد.. هكذا في تفسير أهل البيت عليهم السلام كما في المصابيح، ولا مخالفة بين هذا التفسير وبين ما ذكرتم من تسليم الملائكة على كل قاعد وقائم وذاكر، فإنه من جملة السلامة والرحمة والبركة التي جعلها الله تعالى في هذه الليلة المباركة.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «رسول»؟ وما محل جملة «يتلو صحفاً» وكذا جملة «فيها كتب قيمة»؟

الجواب: «رسول» بدل من البينة بدل اشتمال، «يتلو صحفاً» في محل رفع صفة لرسول، «فيها كتب قيمة» في محل نصب صفة لصحفاً.

سؤال: يقال: كيف ساغ وصف الصحف بأن فيها كتب، وكتب جمع كتاب؟

الجواب: الصحف ظروف لما خطه القلم فيها؛ لذلك صح وصفها بقوله: ﴿فِيهَا كُتُبٌ

=

الكتاب والمشركون يقولون: لا نزال على ما نحن عليه من الدين حتى يأتينا رسول من عند الله تعالى يبين لنا الدين الحق، ويتلو علينا كتباً مسطورة من عند الله تعالى لم تمسها الشياطين ولا أهل الباطل، ولا يمسها إلا الملائكة المطهرون، وقد كتبت فيها شرائع الله تعالى وأحكامه الحقة التي استوضح فيها الحق وبان. ومعنى «منفكين»: لا يزالون مقيمن على كفرهم حتى تأتيهم البينة.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ۝٤﴾ فتحقق وحصل ما كانوا يعدون بالإيمان معه إلا أنه اختلف أهل الكتاب عند مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاءهم بالهدى والحق الواضح فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر بعدما استوضح الحق، وبان له الصدق.

﴿وَمَا[1] أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

قَيِّمَةٌ۝٣﴾، والكتب هي جمع كتاب، والقرآن الكريم مشتمل على كتب كثيرة، فقد سمى الله تعالى كثيراً من سور القرآن باسم الكتاب كقوله: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ...﴾ [هود:١]، فسمى الله تعالى سورة هود «كتاب».

(١)- **سؤال:** ما فائدة الحصر هنا؟ وما الوجه في تعدية «أمروا» باللام في قوله «ليعبدوا» وهو لا يتعدى إلا بالباء غالباً؟ وما الذي يفيدنا إضافة دين إلى القيمة؟ وما إعراب «له الدين حنفاء»؟

الجواب: فائدة الحصر هو التنبيه لأهل الكتاب على أن الله تعالى لم يأمرهم بالتفرق إنما أمرهم بعبادته... فالقصر قصر إفراد. واللام في «ليعبدوا» هي لام التعليل، أي: وما أمروا بما أمروا به في التوراة إلا ليعبدوا...، وترك الجار والمجرور: بما أمورا به في التوراة؛ لوجود القرينة وهي: «أوتوا الكتاب..» «البينة»، مع أن الغرض المسوق له الكلام هو بيان العلة التي من أجلها آتاهم الله الكتاب. والإضافة في «دين القيمة» حيث أضاف الدين إلى القيمة هو لتعريف الدين الحق لأهل الكتاب الذين تفرقوا وحرفوا وغيروا وبدلوا معتقدين أنهم أهل الدين الحق، وأهل التوراة وأهل الملة القويمة، فرد الله تعالى هنا عليهم وبين الذي أمروا به في الكتاب وقال: إنه دين الملة القيمة أو دين الكتب القيمة لا ما تتوهمون يا أهل الكتاب. «له الدين» له: متعلق بمخلصين، الدين: مفعول به لمخلصين، «حنفاء»: حال ثانية من فاعل «ليعبدوا».

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴿٥﴾﴾ جاءهم الرسول ﷺ بعبادة الله تعالى وحده وإخلاصها له، وأمرهم بأن يميلوا عن كل دين إلا دين الإسلام، وبإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وذلك هو الدين الحق الذي ابتعث الله سبحانه وتعالى رسله من أجل تبليغه للناس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ(١) أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ(٢) فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴿٦﴾﴾(٣) حكم الله تعالى بنار جهنم لكفرة أهل الكتاب وكفرة المشركين خالدين فيها أبداً لردهم لدعوة الله تعالى وتمردهم على رسله، ووصفهم بأنهم شر الخلق والخليقة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴿٨﴾﴾(٤) وحكم الله جل جلاله للمؤمنين الذين

---

(١)- **سؤال:** ما معنى «من» هنا؟ وبم تعلقت مع مجرورها؟

الجواب: «من» لبيان الجنس، وهي متعلقة بمحذوف حال من فاعل «كفروا» أي: حال كونهم من...

(٢)- **سؤال:** إذا كانت «خالدين» حالاً فأين صاحبها؟ وما الوجه في فصل جملة «أولئك هم شر البرية» عما قبلها؟

الجواب: «خالدين» حال من الفاعل المقدر في الجار والمجرور «في نار جهنم» فالجار والمجرور متعلق باستقروا محذوفاً مقدراً في الجار والمجرور أو كائنون فالحال هي من فاعل استقروا أو من فاعل كائنون، وكائنون هذه المقدرة هي فعل تام لا ناقص. وفصلت جملة «أولئك هم شر البرية» لكونها علة لما سبقها.

(٣)- **سؤال:** ما نوع اسمية «البرية»؟ ومم اشتقت؟

الجواب: «البرية» صفة مشبهة مخفف البريئة، والبريئة بمعنى المبروءة، وهي مشتقة من مصدر برأ الله الخلق يبرأهم ﴿الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:٢٤].

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما محل جملة ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، وكذا جملة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؟ وما الوجه في فصل جملة ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾؟ وكذا جملة ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴿٨﴾﴾؟

=

يعملون الأعمال الصالحة بأنهم خير البرية وأعد لهم الجزاء الجزيل والثواب العظيم في جنات الإقامة التي تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، وقد فازوا برضوان الله تعالى عنهم، ورضوا بما قد أعطاهم من الثواب.

ثم إن الله سبحانه وتعالى يعطي مثل[(١)] هذا الثواب لكل من خشي الله تعالى بفعل طاعاته واجتناب معاصيه.

❁❁❁❁❁

سورة الزلزلة



﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا[(٢)] ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ[(٣)] أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ

الجواب: يصح في جملة «جزاؤهم..» أن تكون في محل رفع خبر ثان، ويصح أن تكون استئنافاً بيانياً أي: في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: فما جزاؤهم، وجملة «تجري من تحتها..» صفة ثانية مرفوعة لجنات، ويجوز أن تكون في محل نصب حال لتخصيص جنات بالإضافة. وفصلت جملة «رضي الله عنهم» لكونها مستأنفة لتأكيد الوعد «جزاؤهم»، ويجوز أن تكون خبراً ثالثاً لـ«إن الذين آمنوا». وفصلت جملة «ذلك لمن خشي..» لكونها استئنافاً بيانياً في جواب سؤال مقدر.

(١)- **سؤال:** من أين نفهم هذا؟ وهل يصح أن نحملها على أن تكون الخشية شرطاً مع الإيمان والعمل الصالح اللذين أفادتهما أول الآية أم كيف؟

الجواب: فهم ذلك من العموم أي: عموم الموصول «من»، والخشية شرط كما ذكرتم لا بد منه مع الإيمان والعمل الصالح إلا أن الخشية إذا حصلت حصل معها الإيمان والعمل الصالح لأنهما من لوازم الخشية فمن خاف شيئاً اتقاه.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في إضافة المصدر إلى ضمير الأرض في قوله: «زلزالها»؟

الجواب: الإضافة للتعريف العهدي أي: زلزالها الذي سبق تعريفكم به في آيات كثيرة.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في إسناد الإخراج إلى الأرض؟ ومن أي أقسام المجاز؟

الجواب: الوجه في ذلك هو أن المجاز باب من أبواب البلاغة ويسمى هذا المجاز بالمجاز العقلي أو مجاز الإسناد.

الْإِنْسَانُ مَا لَهَا۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا(١)۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ۝ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ۝(٢) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ۝﴾ يذكر الله سبحانه وتعالىٰ أحوال يوم القيامة وحوادثها، وما سوف يلاقيه الإنسان في ذلك اليوم فذكر سبحانه وتعالىٰ أن الأرض تتزلزل وترتجف وتنسف نسفاً فتصير هباءً منبثاً، وأن الأرض(٣) ستخرج ما في بطنها من

---

(١)- **سؤال:** أين جواب الشرط «إذا زلزلت الأرض..»؟ وهل «أخبارها» مفعول لـ«تحدث» فلم يظهر ذلك أم ماذا؟

الجواب: جواب الشرط هو جملة «تحدث أخبارها»، و«يومئذ» بدل من «إذا..» الشرطية. و«أخبارها» مفعول ثان لتحدث، أي: تحدث الخلق أخبارها التي كان الكافرون يكذبون بها وينكرونها، وحدث ويحدث يتعدىٰ إلىٰ الثاني بنفسه وبالباء.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «أشتاتاً» وكذا «خيراً يره» وكذا «مالها»؟

الجواب: «أشتاتاً» حال أي: متفرقين، «خيراً» تمييز، «يره» مضارع مجزوم جواب شرط جازم وفاعله ضمير مستتر والهاء مفعول به، و«مالها» ما: اسم استفهام مبتدأ، لها: متعلق بمحذوف خبر أي: أي شيء كانت لها.

(٣)-**سؤال:** يقال: هل الإخبار بإيحاء الله للأرض قرينة مؤكدة علىٰ أن تحديث الأرض حقيقي؟ وكيف بما ورد في بعض الأخبار بأنها تقول: «لقد عملت علىٰ ظهري كذا وكذا في يوم كذا وكذا»؟

الجواب: تحديث الأرض مجاز وليس حقيقة؛ لأن الأرض جماد لا حياة لها ولا علم ولا عقل ولا اختيار، وهذا مثل قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ۝﴾ [يس]، وقوله تعالىٰ للسماء والأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ۝﴾ [فصلت]، ومن هذا الباب قول أبي النجم:

إذا قالت الأنساع للبطن الحقِ ***

والنسع بالكسر: حزام عريض يشد به وسط الدابة، والحق: فعل أمر أي: التصق يا بطن بالظهر، وليس هناك قول يقال، وإنما هو تمثيل وتصوير لأثر قدرة الله تعالىٰ في المقدور.

وما روي من أن الأرض تقول يوم القيامة: «لقد عملت علىٰ ظهري كذا وكذا...» فالذي يظهر لي –والله أعلم– أن الله تعالىٰ يظهر يوم القيامة للمجرم صوراً حية لإجرامه وأعماله الخبيثة فيرىٰ أعماله التي كان يعملها في الأرض التي عملت فيها المآثم أبلغ مما يرىٰ اليوم من

=

الأموات، وتلقيهم على ظهرها أحياءً بإذن الله تعالى، فهنالك يعلم الإنسان الكافر حقيقة ما وعدت به أنبياء الله ورسله  وصدق ما جاءوا به من الإنذار والتحذير من ملاقاة هذا اليوم، وما فيه من الحساب والجزاء، وعند ذلك ينقسم الناس قسمين فمن كان من أهل[1] طاعة الله تعالى وخشيته فسيجازيه الله أحسن الجزاء ولا ينقصه مثقال ذرة، ومن كان من أهل الكفر بالله تعالى وباليوم الآخر فسيلقى جزاء كفره وعمله حتى جزاء مثقال الذرة من أعماله.

ومعنى «وقال الإنسان مالها»: أيّ شيء حدث للأرض حتى تزلزلت وأخرجت ما في بطنها.

۞۞۞۞۞

الأفلام الحية، وقد أصبحت اليوم مقاطع الفيديو الحية من وسائل التوثيق التي يذعن المجرم لصحتها ولا يمكنه إنكارها، والله على كل شيء قدير، فهو سبحانه وتعالى الذي خلق البشر وفطر فيهم العقول التي توصلت بالفكر والنظر إلى صناعة آلات التصوير الحي والاتصالات و..إلخ، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض فصناعة تلك الآلات إنما هي أثر من آثار قدرته وعلمه وحكمته ورحمته، فهو سبحانه الذي خلق العقول وفطرها وخلق الأرض وما فيها من أسرار وهدى العقول إلى الانتفاع بما أودع الله تعالى في الأرض من أسرار مادية: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝٣﴾ [الأعلى]، فقد قدّر سبحانه في الأرض يوم خلقها منافع المخلوقات إلى يوم القيامة ففيها معادن الذهب والفضة والحديد و.. إلخ، وفيها البترول والوقود والطاقة الكهربائية والذرية و..إلخ، قدر الله ذلك في الأرض وهدى عقول البشر إلى استخراجها والانتفاع بها.

(١)- **سؤال:** قد يقال: ما الوجه في قصره على أهل الطاعة والخشية؟

الجواب: الوجه هو أن أهل الكبائر محكوم عليهم بالخلود في النار ولا حسنة لأهل النار، ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان].

سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا(١)۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا۝٥﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالخيل التي تجري وهي تضبح، أي: تصوِّت، ولسرعة جريها تقدح النار بأخفافها حين تصك في الأحجار، وهي مغيرة في الصباح فتثير الغبار في جريها فتتوسط جموع العدو.

أقسم الله تعالى بذلك ليذكر عباده بما لهم من المنافع العظيمة في الخيل حال الحروب وغزو العدو.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ(٢) لَكَنُودٌ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ۝٨﴾ يذكر الله تعالى هنا طبيعة الإنسان الكافر(٣) وهي أنه كفور بنعمة ربه

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «ضبحاً» و«قدحاً» و«صبحاً»؟ وما السر في العطف بالفاء هنا؟ وإلام يعود الضمير في «به نقعاً»؟

الجواب: «ضبحاً» مفعول مطلق لفعل محذوف أي: تضبح ضبحاً، والجملة حال من فاعل العاديات أو تكون «ضبحاً» في تأويل: اسم الفاعل وتكون حالاً. «صبحاً» ظرف زمان متعلق بالمغيرات. والوجه في العطف بالفاء أن الله أقسم بالخيل التي تتصف بتلك الصفات المتعاقبة بعضها في إثر بعض من غير تراخ ولا مهلة، والفاء هي التي تفيد ذلك التعاقب، فالفاء للعطف والترتيب بلا تراخ ولا مهلة أي: أن الله تعالى أقسم بالخيل التي عدت فأورت فأغارت فأثارت الغبار فتوسطت العدو. وضمير «به نقعاً» يعود إلى العدو المفهوم من قوله: «والعاديات».

(٢)- **سؤال:** معنى هذه اللام؟ وكذا في قوله: «لحب الخير»؟

الجواب: اللام في «لربه» متعلقة بـ«كنود» أي: أنها للتعدية، واللام في الكنود هي المزحلقة، واللام في «لحب الخير..» للتعليل وفي «لشديد» هي المزحلقة.

(٣)- **سؤال:** يقال: ما الوجه في قصرها على الكافر وقد تكون أشياء منها في طبائع المؤمنين؟

الجواب: المؤمن غير كفور بنعمة ربه، بل الكافر هو المختص بالكفر بنعمة الله، ومن شدة حرصه =

غير شاكر لها، ومع ذلك فهو يشهد على نفسه بالكفر بنعمة ربه، ومن صفته أنه شديد الحرص على جمع المال وتكديسه.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ[١] إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ۝١١﴾ أفلا يعلم الإنسان الكافر أن الله تعالى سيحاسبه على كل صغير من أعماله وكبير في يوم القيامة عندما تبعثر القبور ويخرج الله تعالى الموتى من بطونها، وحين تنكشف خبايا الصدور وأعمال القلوب، وحقاً إن الله سبحانه وتعالى عالم بهم، ومطلع على أسرارهم وظواهرهم وبواطنهم لا تخفى عليه خافية، وسيجازي كلاً بعمله.

❁❁❁❁❁

سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ۝١ مَا الْقَارِعَةُ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ[٢]۝٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ۝٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ

على حب المال أنه يأخذه من حله ومن غير حله ولا يؤدي ما أوجب الله فيه بخلاف المؤمن.

(١)- **سؤال:** ما معنى الاستفهام في قوله: «أفلا يعلم»؟ وأين مفعولا «يعلم» في هذه الآيات؟

الجواب: الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على مقدر أي: أيفعل من يفعل من القبائح فلا يعلم إذا بعثر، ومفعول « يعلم » محذوف مدلول عليه بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ۝١١﴾ تقديره: أفلا يعلم أنه يجازى أو يحاسب. والله أعلم.

(٢)- **سؤال:** فضلاً لو فصلتم إعراب الأربع الآيات الأولى لكان مناسباً؟

الجواب: «القارعة» مبتدأ، «ما» اسم استفهام مبتدأ، والاستفهام للتعظيم، «القارعة» خبر «ما» الاستفهامية، وجملة «ما القارعة» في محل رفع خبر المبتدأ الأول «القارعة»، والواو عاطفة. «ما» اسم استفهام مبتدأ، «أدراك» جملة في محل رفع خبر المبتدأ، «ما القارعة» مبتدأ وخبر، وجملة المبتدأ والخبر «ما القارعة» معلقة بالاستفهام في محل نصب في موضع المفعول الثاني

=

مَوَازِينُهُ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴿١١﴾﴾:

يهول[(١)] الله سبحانه وتعالى القيامة، وسماها هنا القارعة؛ لأنها تقرع الناس بأهوالها، وتصدمهم بحوادثها العظيمة، وفي ذلك اليوم يخرج الله تعالى الموتى من بطن الأرض فينتشرون على أرض المحشر كالفراش[(٢)] المنتشر.

وأما الجبال في يوم القيامة فستتفجر وتصير هباءً منبثاً كالصوف المتناثر المتفرق، وهنالك وفي ذلك اليوم ينقسم أهل المحشر قسمين فقسم تثقل موازينهم بالطاعات وبالأعمال الصالحات، فلهم من الله سبحانه وتعالى الجزاء العظيم في عيشة مرضية فيها أنواع النعيم.

وقسم تخف موازينهم[(٣)] من الحسنات، وتثقل من السيئات فليس لهم عند الله

والثالث لـ«أدراك». ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴿٤﴾﴾ يوم: ظرف زمان متعلق بفعل محذوف تقديره: تقرع الناس يوم يكون، دل عليه القارعة.

(١)- **سؤال:** يقال: من أين ظهر لنا هذا التهويل؟

الجواب: ظهر لنا من الاستفهام فإنه هنا للتعظيم والتهويل هذا مع التكرير للقارعة.

(٢)- **سؤال:** ما وجه التشبيه بالفراش المبثوث؟

الجواب: وجه الشبه هو انتشارهم في الأرض على غير نظام وركوب بعضهم بعضاً لكثرتهم وحيرتهم.

(٣)- **سؤال:** هل تريدون أن الموازين هنا على الحقيقة؟ وبم يؤله بعض أصحابنا الذين يقولون بأن الوزن عبارة عن إقامة العدل؟ وهل تأويلهم هنا قريب أم بعيد؟ وهل ترجح الحقيقة هنا بما نراه على الواقع من وزن درجات الحرارة والبرودة وغيرها من الأعراض أم كيف؟

الجواب: تأويل من يقول بأن الوزن هو إقامة العدل الدقيق ومحاسبة العبد على كل كبير وصغير– قريبٌ نظراً لأن الوزن والكيل إنما يراد لمعرفة العدل، والله تعالى عالم غير محتاج لآلة تعرف بها مقادير الأعمال والنيات والإخلاص وأعمال القلوب وغيرها من الأعمال.

ويرجح القول بحقيقة الوزن والميزان:

=

تعالى في ذلك اليوم إلا نار جهنم يلقون فيها على أم[1] رؤوسهم بين حريق جهنم ولهيبها العظيم خالدين فيها أبداً، ثم عاد سبحانه إلى تهويل أمر جهنم تلك النار الحامية التي تذيب الجلود والأجسام وقانا الله حرها وأليم عذابها. ومعنى «ما هيه»: أي شيء هي وإنما اجتلبت لها الهاء للسكت كما هو معروف في علم النحو.

❁❁❁❁❁

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ[2] ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ[3] ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ

- بكونه الظاهر.
- وبأن المراد من الوزن إظهار عدل الله لأهل الموقف بحيث يرون المقادير بأعينهم فيعلمون الحق والعدل، وإظهار العدل أمر مطلوب يوم القيامة.

(١)- **سؤال:** هل المراد بهذا الدماغ؟ وهل يصح أن نحمل أمه على أصله؟ وكيف لو حملناه على مأواه؟

الجواب: «أم» تقال على وسط الرأس، وهذا هو المناسب في هذه الآية أو على المحيط بالدماغ.

(٢)- **سؤال:** ما هو ضابط التكاثر المذكور هنا؟

الجواب: التكاثر في العبادة والطاعة وطلب العلم والإنفاق والخيرات محمود ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝٢٦﴾ [المطففين]، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:١٤٨]، ولكن إذا لم يصحب ذلك كبر وفخر، والتكاثر المذموم هو التكاثر في الأموال ونحوها الذي يمنع من طاعة الله وأداء ما أوجب الله ويشغل عن ذكر الله وعبادته، أما طلب الكثرة في الأموال من الطرق المشروعة المباحة مع الالتزام بتأدية ما أوجب الله والالتزام بطاعة الله فغير مذموم: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك]، ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح:٢٠]، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢].

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام المروي في (الاعتبار وسلوة العارفين) وغيره: ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت سورة التكاثر؟

الجواب: الحديث هو من أحاديث الترغيب والترهيب والله أعلم بصحته، وحاشا أمير المؤمنين عليه السلام أن يشك في شيء من أمر الدين زمناً طويلاً من غير أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمشهور أنه عليه السلام كان يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل ليلة فلم يكن ينام حتى يعلم ما نزل في

=

كَلَّا(١) سَوْفَ تَعْلَمُونَ(٢)﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(٣)﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴿٨﴾﴾ اشتغل أهل الكفر(٤) والشرك بالمكاثرة في الأموال والأولاد، وألهتهم زينة الحياة الدنيا عن اليوم الآخر وما فيه من الحساب والجزاء والجنة والنار حتى ماتوا وهم كافرون به، فإن كفرتم أيها المشركون باليوم الآخر اليوم فستعلمون غداً حين يأتي الله تعالى باليوم

ذلك اليوم، وقد كان عليه السلام هو الأذن الواعية لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴿١٢﴾﴾ [الحاقة].

وبعد، فليس في «ألهاكم التكاثر» دليل واضح على عذاب القبر بل الأدلة الواضحة هي من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكثيرة وإجماع المسلمين.

(١)- **سؤال:** ما معنى «كلا» في قوله: «كلا سوف تعلمون»؟ وهل هي نفسها في قوله: «كلا لو تعلمون» أم لا فما معناها؟

الجواب: «كلا» للردع والزجر في المواضع الثلاثة.

(٢)- **سؤال:** ما السر في حذف مفعول «تعلمون»؟ وفي تكرار «كلا سوف تعلمون»؟

الجواب: حذف للإيجاز ووجود القرينة الدالة على تعيينه، والقرينة هي: «لترون الجحيم..» والتكرير للتقرير والتأكيد، و«ثم» لزيادة التأكيد من حيث دلالتها على أن ما بعدها أعظم وأشد مما قبلها، ومن حيث إفادتها أن ما بعدها شيء آخر مغاير لما قبلها.

(٣)- **سؤال:** أين جواب «لو» في قوله: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴿٥﴾﴾؟ وما السر في إضافة علم اليقين وهو نفسه؟ وما إعراب «عين اليقين»؟

الجواب: ترك جواب «لو» للتهويل والتعظيم. وإضافة علم إلى اليقين هو من إضافة الموصوف إلى صفته أي: علماً يقيناً. ونصب «عين اليقين» انتصاب المصدر أي: أنه مفعول مطلق والتقدير: لترونها رؤية موصوفة بأنها عين اليقين.

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في قصرها على أهل الكفر فقط؟ وهل يكون حكم المسلم الذي يأتي يوم القيامة مرتكباً لبعض الكبائر بسبب الالتهاء بالدنيا حكم هؤلاء أم ماذا؟

الجواب: الوجه هو أن السورة وردت في المنكرين للبعث بدليل: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴿٤﴾﴾ أي: سوف تعلمون صحة ما أنذرناكم إياه من البعث والحساب والجزاء الخالد في نار جهنم، والمؤمن ليس منكراً للبعث والجزاء. والمؤمن المرتكب للكبائر الغافل عن ذكر الله ووعده ووعيده لاحق بالكافرين في هذا ولا يغني عنه اسم الإسلام والإيمان شيئاً.

الآخر، وسترونه بأعينكم وترون ما فيه من الأهوال وما أعد الله سبحانه وتعالىٰ فيه من العذاب العظيم للكافرين، ومن النعيم المقيم للمؤمنين، ولسوف يحاسبكم الله تعالىٰ حساباً شديداً ويسألكم عن كل صغير وكبير من النعيم الذي أسداه إليكم أو اشتغلتم به عن النظر في اليوم الآخر.

۞۞۞۞۞

سورة العصر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ۝٣﴾ أقسم الله سبحانه وتعالىٰ بالعصر وهو الزمان الممتد منذ أن خلق الله سبحانه وتعالىٰ الزمان إلىٰ يوم[1] القيامة ليؤكد لعباده بهذا القسم علىٰ أن كل إنسان مكلف صائر إلىٰ الهلاك والخسران والعذاب العظيم إلا مَنْ جمع من عباده بين الإيمان والأعمال الصالحة، ودعا إلىٰ طاعة[2] الله سبحانه وتعالىٰ والاستقامة علىٰ الهدىٰ ونهىٰ عن معاصيه، وحث علىٰ الصبر علىٰ الإيمان والهدىٰ واجتناب المعاصي والسيئات[3].

---

(١)- **سؤال:** يقال: ألا يطلق العصر علىٰ الحقبة الزمنية التي تجمع عدداً من الأتراب كما نقول: علامة العصر، أم كيف؟

الجواب: نعم يطلق العصر علىٰ الحقبة الزمنية التي ذكرتم فيقال في عصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعصر الصحابة وعصر الهادي و.. إلخ، ويطلق أيضاً علىٰ وقت صلاة العصر.

(٢)-**سؤال:** يقال: فكيف بالعوام الذين لم يدعوا إلىٰ طاعة الله ولم يتواصوا بذلك ولا حثوا علىٰ الصبر؟

الجواب: الدعوة والإرشاد والأمر والنهي هي من الواجبات الكفائية التي إن قام بها البعض سقط وجوبها عن الباقين، وعلىٰ العوام الاستماع لهم وقبول إرشادهم ومعاونتهم والنصيحة لهم.

(٣)- **سؤال:** ما الذي يؤخذ من سورة العصر بالنسبة للمرشدين ولإرشادهم؟

الجواب: يؤخذ منها أن المرشدين يؤدون في إرشادهم فريضة مفروضة وعملاً صالحاً واجباً وجوباً مؤكداً، وانهم بالعمل الإرشادي قد خرجوا من عهدة الأمر وفازوا بالسلامة من الخسران العظيم، فليستقيموا علىٰ العمل الإرشادي ويلتزموا الإخلاص لله والنصح لدينه

=

سورة الهمزة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ۝٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ۝٨ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ۝٩﴾(١):

في هذه السورة الوعيد العظيم من الله سبحانه وتعالى بنار جهنم لكل من ينتقص الناس، ويهتك أعراضهم، ويسخر منهم، ويستهزئ بهم، وقد نزلت في رجل(٢) من

ولأوليائه ويتمسكوا بتقوى الله تعالى والله معهم بتوفيقه ومعونته ويحفظه لهم من أسباب الهلاك في الدنيا والخسارة في الآخرة وذلك أن لفظة «خسر» لفظة مطلقة تصدق على خسر الدنيا والآخرة.

(١)- **سؤال:** ما نوع اسمية هذه الكلمات وما زنتها: «همزة، لمزة، الحطمة، الموقدة، عمد»؟ وما إعراب «نار الله»؟ وبم تعلق «في عمد»؟ وهل «في» فيه على بابها أم بمعنى الباء؟

الجواب: «همزة، لمزة» صفتان لفاعل الهمز واللمز، مأخوذتان من همزه همزاً، ولمزه لمزاً، من باب ضرب، ووزنهما على (فُعَلَة) وهذا الوزن للمبالغة والكثرة في فاعل الهمز واللمز، والهمز كاللمز وزناً ومعنى وهو: الطعن والعيب، وإذا سكنت العين (هُمْزَة) (لُعْنَة) فهو لمبالغة المفعول أي: أنه يُلْعَن كثيراً. و«حطمة» مأخوذ من حطمه يحطمه حطماً من باب ضرب، وهي من صفات النار والتاء فيها للمبالغة كالهمزة واللمزة؛ لأنها تحطكم كل ما فيها. و«موقدة» اسم مفعول من أوقد النار يوقدها إيقاداً. و«عمد» جمع عمود. و«في» على أصلها، وذلك أن العمود يدخل في حلقة الباب المثبتة فيه فيعترض العمود على الباب فلا ينفتح إلا بعد إبعاد العمود، والظرفية هذه هي مثل الظرفية في قولهم: «أدخلت الخاتم في أصبعي»، وغاية ما في هذه الظرفية هو القلب، والأصل: أدخلت أصبعي في الخاتم، وهذا أولى من جعل «في» بمعنى الباء لأن البقاء على الظاهر أولى ما لم يمنع منه مانع، وليس هنا ما يمنع من الظرفية.

(٢)- **سؤال:** هل عرف هذا الرجل الذي نزلت فيه هذه السورة؟

الجواب: قيل: إنها نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، وقيل: في الوليد بن المغيرة، وقيل: في أمية بن خلف الجمحي، وقيل: في العاص بن وائل السهمي، وقيل: في جميل بن عامر. اهـ

ولا مانع من كونها نزلت فيهم جميعاً لاتصافهم بتلك الصفات (الهمز واللمز) وقد قال الله تعالى في الوليد بن المغيرة في آية أخرى: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ۝١١﴾ [القلم]، وقد كان رؤساء

=

كبار قريش، وكان من أثريائهم وأغنيائهم، وله مال مكدس يكثر من تعداده، ويظن أنه لن يلحقه بسبب كثرة ماله ما يكدر عليه حياته، فزجره الله سبحانه وتعالى عن هذا الحسبان وأقسم أنه سيلقيه -وهو مهين- في نار جهنم التي تحطم ما وقع فيها، وهي نار أعدها الله سبحانه وتعالى بقدرته ليعذب بها المجرمين بحيث يصل حريقها إلى الأفئدة، وسيسجنهم فيها ويغلق عليهم أبوابها المقفلة بأعمدة ممدودة عليها.

❁❁❁❁❁

سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ(1) تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ(2) ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ(3) ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ(4) ۝٥﴾ يطمئن الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه معه بنصره وتأييده، وأنه

المشركين لا يألون جهداً في همز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولمزه وذمه وعيبه والتنقيص منه.

(١)- **سؤال:** ما نوع الاستفهام هنا؟ وما إعراب «كيف فعل ربك» ؟

الجواب: معنى الاستفهام التقرير لما بعد النفي والتعجيب للنبي. «كيف» في محل نصب مفعول مطلق مقدم، «فعل ربك» فعل وفاعل.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «أبابيل»؟ وما نوع اسميتها؟ وممّ أخذت؟

الجواب: «أبابيل» نعت لطيراً ومنع من الصرف لصيغة منتهى الجموع، و«أبابيل» اسم جمع لا واحد له من لفظه، وقيل جمع إبيل، وقيل: جمع إبالة، وهذا قول صاحب الكشاف وهي: الحزمة من الحطب، وفي المثل: «ضغث إلى إِبَالَة» أي: قليل إلى كثير.

(٣)- **سؤال:** ما معنى لفظة «سجيل»؟ وما محل جملة «ترميهم بحجارة»؟

الجواب: «سجيل» كلمة معربة -كما قيل- من سكنكل وهو الطين المطبوخ، وقيل: سجيل وسجين أخوان أي: ترميهم بحجارة من العذاب التي أعدها الله تعالى في سجين للكافرين.

وجملة «ترميهم بحجارة» في محل نصب صفة ثانية لطير أو حال من طير لتخصيصها بالصفة.

(٤)- **سؤال:** يقال: ما وجه التشبيه بالعصف المأكول؟ وهل يصح أن نحمله أيضاً على التبن الذي =

سيظهر أمره ودينه، ويدحر المشركين ويظهره عليهم، وأنه لن يتركه فقال له ربه: ألم تنظر يا محمد كيف دحر الله تعالى أصحاب الفيل وهم إبرهة الحبشي وقومه الذين أغاروا على مكة مريدين هدم الكعبة المشرفة عام مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن الله خيب مسعاهم، وردهم عن بيته الحرام، وأبطل كيدهم، وما أجلبوا به من القوة والعدد، وأرسل أسراباً من الطير عليهم تحمل حجارة من طين مستحجر فرمتهم بتلك الحجارة فقتلتهم عن بكرة أبيهم، وتركتهم كأعواد الذرة التي أكلتها الحيوانات وداستها بأقدامها.

❁❁❁❁❁

سورة قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَافِ(١) قُرَيْشٍ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا

داسته الأنعام؟ أم لا؟

الجواب: ووجه الشبه بين العصف وأصحاب الفيل هو تفرقهم وتناثرهم مع قرب بعضهم من بعض، ودليل هذا قول الله تعالى في سورة القمر: ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ۝٣١﴾، وهشيم المحتظر هو ما تكسر من قصب الزرع عند بناء حظيرة للدواب، فقد كانوا يبنون الحظيرة بقصب الزرع مع سيقان الشجر أي: أنهم يثبتون سيقان الشجر في الأركان وبين كل ركنين تثبيتاً محكماً ثم يسدون الفرج بقصب الزرع، ويربطون القصب بحبال في سيقان الشجر، فيتكسر الكثير من القصب ويتناثر عند الحظيرة، وهكذا رأيتهم يفعلون في بعض بوادي صعدة. ووجه الشبه في هذا واضح، أما حمل العصف على التبن فلم يتضح وجه الشبه.

(١)- **سؤال:** ظاهر كلامكم أن الجار والمجرور «لإيلاف» متعلق بيعبدوا فهل يصح ذلك ولو كان بعد الفاء؟ أم أن له عاملاً آخر فما هو؟ وما نوع اسمية «إيلاف»؟ ومم أخذت واشتقت؟ وما إعراب «إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت»؟

الجواب: قد أجاز ذلك أي: تعلق «لإيلاف» بقوله: «فليعبدوا» الزمخشري، ونسب إلى الخليل والبصريين، و«إيلاف» مصدر وأصله من: أَلِفَ يألف، وهي العادة المألوفة، وإيلافهم بدل من =

الْبَيْتِ۝٣ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ۝٤﴾ دعا الله سبحانه وتعالىٰ قريشاً إلىٰ الإيمان به وإلىٰ عبادته وإلىٰ شكر نعمته التي اختصهم بها من دون الناس جميعاً، وذلك حيث آمنهم في أسفارهم إلىٰ الشام في الصيف وإلىٰ اليمن في الشتاء وإلىٰ حيثما شاءوا لا يتعرض لهم أحد بسوء أو مكروه؛ لأنهم أهل الله وأهل البيت الحرام، فهم من دون الناس أهل غنىٰ وثراء بسبب أمنهم وتهيئة أسفارهم وتجاراتهم. ومعنىٰ «لإيلاف قريش»: لأجل عادتهم المألوفة التي هي السفر ف يالشتاء والصيف.

❁❁❁❁❁

سورة الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ[1] الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ۝١ فَذَلِكَ[2] الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ۝٣ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ[3]۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ۝٥

إيلاف قريش. «رحلة الشتاء والصيف» رحلة: مفعول به لإيلافهم، والشتاء: مضاف إليه.

(١)- **سؤال:** هل يصح حمل «أرأيت» علىٰ أخبرني كما في مواضع كثيرة من القرآن الكريم أم لا؟

الجواب: المعنىٰ والسياق يفيد بأن «أرأيت» بمعنىٰ: أعرفت ورأيت يا محمد، فإن كنت لم تره ولم تعرفه فهذا الذي يدع... إلخ.

(٢)- **سؤال:** ما معنىٰ الفاء هنا؟ وما ضابطها؟ وما تعني في قوله: «فويل للمصلين»؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة أي: إن كنت لا تعرفه فهو ذلك الذي...، ومعرفة الفصيحة من غيرها إنما تكون من السياق، والفاء في قوله: «فويل للمصلين» هي الفصيحة أيضاً والتقدير: إذا عرفت ذلك فالساهون عن الصلاة المضيعون لها أحق بالويل.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في إطلاق وصف المصلين عليهم وهم يفرطون في بعض فروضها؟

الجواب: سماهم الله مصلين كما سماهم مؤمنين -أي: المنافقين- في كثير من آيات القرآن؛ لأنهم يصلون رياء فإن كانوا في غفلة عن أعين المؤمنين تركوا الصلاة ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ۝٥٤﴾ [التوبة]، فالتسمية هي بحسب ظاهرهم.

﴿الَّذِينَ[(١)] هُمْ يُرَاءُونَ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ۝٧﴾ هل وقع بصرك يا محمد على الذي يكذب بالدين؟ وهل عرفته حق معرفته؟ إن لم تكن تعرفه فإنه هو الذي يكذب بالجزاء والحساب، ويجحد البعث والنشور يوم القيامة، ومن صفاته الظاهرة قسوة القلب وعدم الرحمة، فلا يرحم اليتامى، بل يعنفهم أشد التعنيف، ويدفعهم دفعاً شديداً إن قربوا منه لالتماس خيره، ولا يحث على إطعام المسكين وسد جوعته، فهذه صفاته الظاهرة، ولو كان مؤمناً ببعث الناس للجزاء والحساب لرحم اليتيم والمسكين، وواساهم من ماله، ودعا الناس إلى سد خلتهم، وإشباع جوعتهم.

ثم ذكر الله تعالى بعد ذلك صفات الذين دخلوا في الإسلام على غير بصيرة وعلى غير يقين، فتوعدهم الله تعالى بالعذاب الشديد؛ لأنهم يفرطون في إقامة الصلوات ويضيعونها، ويمنعون[(٢)] الزكاة ولا يؤدونها إلى مستحقيها وإن صلوا وأدوا شيئاً من الزكاة فإنما يفعلون ذلك رياء، ولو أن الإيمان دخل في قلوبهم لما ضيعوا صلواتهم، ولما فرطوا في أداء زكواتهم. ومعنى «ساهون» : غافلون عنها غير مبالين بها.



---

(١)- **سؤال:** هل هذا صفة ثانية للمصلين فلم لم يعطفها بالواو؟ أم لا، فما محلها؟

الجواب: «الذين» الثانية بدل من «الذين» الأولى ويصح أن تكون «الذين» الثانية صفة أخرى للمصلين، وترك العطف ليفيد استقلال كل صفة بالذم الوافي. ولو عطفت لتوهم أن الوعيد والذم على مجموع الصفتين لا على كل واحدة منهما.

(٢)- **سؤال:** ما رأيكم أيضاً في حمل الماعون على ما يتعاوره الناس بينهم كالفأس والجفنة والحبل ونحو ذلك؟ وأي المعنيين أوفق للغة العربية؟ أم تختارون الحمل على كليهما؟

الجواب: يحمل على المعنيين كليهما.... الماعون هو الزكاة وأدناه ما يتعاوره الناس في العادة كالجيران يتعاورون نحو الجفنة والمغرفة والقدر والرشا ونحو ذلك.

سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ[١] لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ[٢] هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ قال بعض رجال قريش وهو العاص بن وائل لقريش: لا يهمكم أمر محمد فهو رجل أبتر لا ولد له فإذا مات مات دينه معه، فاغتم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لهذه المقالة فنزلت هذه السورة لتزيل غم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال الله تعالى له: قد أعطيناك يا محمد الخير الكثير[٣] والنسل الكثير[٤] والذرية المباركة والذكر الحسن،

---

(١)- **سؤال:** ما تفيد هذه الفاء من معنى هنا؟

الجواب: الفاء عاطفة للمسبب على السبب فإعطاؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الكوثر يوجب الشكر.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في الابتداء بهذه الجملة؟

الجواب: الوجه في الابتداء بهذه الجملة المؤكدة بعدة تأكيدات: -(الاسمية، إن، وفاء العظمة التي تشير إلى عظمة العطاء لعظمة فاعله، والإسناد إلى «ناء» العظمة مرتين، والمبالغة بصيغة «الكوثر»)- هو التعجيل لمسح المساءة التي من أبتر قريش، وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ استاء لمقالته وتضايق منها، وربما تسببت في قلة نشاط النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في تبليغ الرسالة والدعوة إلى دين الله فنزلت هذه السورة القصيرة ثلاث آيات من أقصر آيات القرآن في سطر واحد، فأول آياتها: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ فكانت غارة سريعة أو كالغارة السريعة التي قضت على جيوش الأحزان التي ضاق بها صدر رسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(٣)- **سؤال:** لعلكم بنيتم على أن الكوثر مأخوذ من الكثرة فما زنته؟وما هو فعله الأصلي؟ وهل ترون ورود احتماله للنهر في الجنة الذي ذكر في الروايات؟

الجواب: الكوثر مأخوذ من الكثرة وهو على زنة (فوعل) وفعله الأصلي: كثر يكثر، وإن صحت الرواية فالنهر هو واحد من أنواع الكوثر، والتفسير الصحيح المتناسب مع مقام نزول السورة والأجود والمحيطة يومئذ هو أن الكوثر هو الخير الكثير الذي أوله الذرية المباركة الكثيرة؛ لذلك قال في آخر آياتها: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ أي: لا أنت يا محمد فلست أبتر.

(٤)- **سؤال:** هل تقصدون بهذا أبناءه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قِبَل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أم ماذا؟

الجواب: نعم هذا هو المقصود فقد أخرج الله تعالى من علي وفاطمة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الذرية المباركة الكثيرة العدد التي لم ينقطع خيرها وبركتها إلى اليوم ولن ينقطع إلى يوم القيامة.

ورفعنا لك ذكرك وشهرنا أمرك، وأعطيناك أجرك في الدنيا والآخرة، ولن ينقطع ذكرك ودينك إلى يوم القيامة، فاستمر على عبادة الله تعالى وتوحيده وخصه بالصلاة والذبح، ولا يصدنك قول ذلك الكافر، ولا تغتم من قيله فهو الأبتر لا أنت(١).

ومعنى «شانئك» : مبغضك وكارهك.

❁❁❁❁❁

سورة الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥(٢) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ

---

(١)- **سؤال:** يقال: ذكر الله أن القائل لهذه المقالة هو الحقيق بتلك الصفة (الأبتر) وأكد ذلك لكن يشكل أنه استمر له أولاد وذرية من قِبَل عمرو بن العاص وولده عبدالله وربما غيره أيضاً فكيف ذلك؟

الجواب: سماه الله أبتر لفساد ذريته وشؤمهم وعدم الخير فيهم فقد كانوا من دعاة النار وشيعة الفجار وقد قتل الخضر عليه السلام غلاماً بأمر الله؛ لأن الله تعالى علم أنه سيكون فاسداً غير صالح ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝٨٠﴾ [الكهف]، وقد روي أن عمرو بن العاص تردد في نصر معاوية ومؤازرته على حرب أمير المؤمنين عليه السلام فحمله أحد أبنائه على نصر معاوية ونصحه وزين له ذلك فدخل مع معاوية في حربه بمشورة ولده.

(٢)- **سؤال:** ظهر لنا الوجه في استخدام الموصول «ما» في قوله: «ما تعبدون» لكن لم يظهر لنا استخدامها في قوله: «ما أعبد» لكونها تستخدم لغير العاقل فكيف؟ وما إعرابها؟ وما الوجه في عطف الجملة الاسمية «ولا أنتم عابدون ما أعبد» على الفعلية التي قبلها؟ وما السر في إعادة «ولا أنا عابد..» بالجملة الاسمية مع تقدم المعنى بالفعلية في قوله: «لا أعبد ما تعبدون»؟

الجواب: قد كان الخطاب بذلك للمشركين والله تعالى بالنسبة لهم مجهول فخوطبوا على مقتضى ذلك، وايضاً «ما» موضوعة للعاقل وغير العاقل، و«ما» معمولة في محل نصب لأعبد، ولاسم الفاعل في سائرها. والوجه في عطف الاسمية «ولا أنتم عابدون..» على الجملة =

دِينِ۝٦﴾[1] دعت قريش رسول الله ﷺ إلى المصالحة فنزلت هذه السورة ليرد بها النبي ﷺ على المشركين بأنه لا مجال للصلح والحل الوسط، لا أنا داخل في عبادتكم وشرككم، ولا أنتم داخلون في الإسلام ودينه، فلكم دينكم ولي[2] ديني.

الفعلية «لا أعبد ما تعبدون» أن الجملة الأولى «لا أعبد ما تعبدون» جاءت جواباً على طلب المشركين حين قالوا له ﷺ: اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة..إلخ، فجاء بالمضارع المطابق لمقتضى الحال أي: لا أفعل في المستقبل ما طلبتم. وعدل في الجملة المعطوفة عن الفعلية إلى الاسمية «ولا أنتم عابدون ما أعبد» ليؤكد عدم وقوع عبادة الله من المشركين وأن عدم وقوعها صفة ثابتة لهم، وقوله: «ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد» ليس تكريراً وذلك أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة وهم يعبدون إلهه سنة، ثم يعبد آلهتهم سنة ثم هم يعبدون إلهه سنة و.. فقوله: ولا أنا عابد ما عبدتم» نفي مؤكد لعدم وقوع عبادة آلهتهم في السنة الثالثة، وقوله: «ولا أنتم عابدون ما أعبد» نفي مؤكد لعدم وقوع عبادة الله من المشركين في السنة الرابعة، والجمل الثلاث كلها لنفي وقوع العبادة المقترحة التي عرضها المشركون وهو نفي مؤكد والعدول فيها عن الفعلية إلى الاسمية ليفيد أن نفي ذلك ونفي حصوله في المستقبل صفة ثابتة دائمة، و«لا» هي للنفي في المستقبل.

(١)- **سؤال:** ما الذي نستفيده كطلاب ومرشدين من سورة الكافرون جميعها؟

الجواب: نستفيد منها:

- أنه لا تجوز المداهنة لأهل الباطل ولا يجوز الرضا بما هم عليه من الدين الباطل والفسوق والعصيان.
- وأنه يلزم إظهار الاستقلال عنهم والانفصال منهم ظهوراً عاماً على الساحة.
- أنه يلزم ترك ما يوهم الرضا عن أهل الباطل أو الرضا عن باطلهم.

(٢)- **سؤال:** ما الذي تفيده هذه اللام من معنى متعلق بموضوع السورة؟ وما الوجه في حذف ياء المتكلم من قوله «دين»؟ وكيف يكون إعرابها؟

الجواب: اللام تفيد اختصاص الكافرين بدينهم واختصاص النبي ﷺ والمؤمنين بدينهم دين الإسلام فهو لهم وحدهم دون المشركين ودين المشركين لهم وحدهم دون المؤمنين، وهذه الجملة «لكم دينكم ولي دين» لتأكيد وتقرير الكلام السابق لأنها بمعناه، فتعتبر السورة بكاملها براءة مؤكدة من النبي ﷺ والمؤمنين من دين المشركين وانتفاء من شركهم وعقائدهم الباطلة وإعلان فاصل وبيان قاطع لكل صلة وعلاقة بين دين الإسلام ودين المشركين.

سورة النصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ[١] رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا۝٣﴾[٢] إذا نصر الله سبحانه وتعالى دينك يا محمد وانتشر في الآفاق وفتحت مكة وأسلم أهلها طوعاً أو كرهاً، وأقبل الناس إليك جماعات بالإسلام والتسليم فاعلم[٣] أن أجلك قد قرب وحان

---

(١)- **سؤال:** ما محل جملة «يدخلون»؟ وما إعراب «أفواجاً»؟ وما معنى الباء في قوله «بحمد ربك»؟ وبم تعلق الجار والمجرور هذا؟

الجواب: جملة «يدخلون» في محل نصب على الحالية لأن الرؤية بصرية، و«أفواجاً» حال منصوبة من فاعل يدخلون، والباء للتلبس وهي متعلقة بمحذوف والتقدير: فسبح حال كونك متلبساً بحمد ربك.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في ختم الآية بقوله: «إنه كان تواباً» فقد نفهم أنها جواب لسؤال مقدر مما قبلها، ويستخرج من ذلك بالإشارة إلى أنه كان على النبي ÷ صغائر أو ذنوب تستدعي طلب المغفرة من ربه سبحانه وحاشا النبي ÷ من ذلك؟

الجواب: هي كما ذكرتم في جواب سؤال مقدر، ورسوله الله محمد ÷ أتقى البشر أو من أتقاهم وأرفعهم، بلغ رسالة ربه كما أمره الله وأدى الأمانة وعبد الله وأطاعه على أكمل ما يكون من طاعة البشر، فهو وإن كان كذلك فمن شأن أولياء الله وأخصائه أن يتهموا أنفسهم بالتقصير والتفريط والغفلة، بل يريد الله منهم أن يكونوا كذلك حتى يلقوه، وحذر تعالى من الغرور والإعجاب بالنفس والرضا عنها في هذا التأسي، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لا يصبح المؤمن ولا يمسي إلا ونفسه عنده ضنون) أي مُتَّهَمَة، وما دام رسول الله ÷ أتقى المؤمنين وأخشاهم لله فلا بد أن يكون أبعدهم عن الغرور وتزكية النفس، وأعلمهم بطاعة الله وأكبرهم اتهاماً لنفسه بالتقصير لكونه أعلمهم بالله وأخشاهم له وحينئذ فالاستغفار يكون لما يحصل الشعور به من التقصير في ذكر الله وشكره.

(٣)- **سؤال:** يقال: من أين نفهم مثل هذا المقدر؟

الجواب: يفهم ذلك من حيث أن نصر الله والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجاً يشير إلى أن

=

حلوله، فأقبل إلىٰ ربك بالعبادة والاستغفار والحمد والتنزيه والتقديس والتعظيم.

۞۞۞۞۞

سورة المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(١) ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ۝٥﴾ كان أبو لهب عمُّ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يسعىٰ مع قريش إلىٰ إبطال أمر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإبطال دينه ورد دعوته فقال الله سبحانه وتعالىٰ: إن صنيع أبي لهب وكيده للإسلام ونبي الإسلام كيد باطل وسعي خاسر فقد خاب وخاب سعيه وسينصر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ودينه، ويلقي أبو لهب جزاءه، ولن يغني عنه كثرة ماله وكسبه، وسيصلىٰ ناراً شديدة اللهب، وكانت امرأته شريكته(٢) في كيد الإسلام وأذية النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فأعد الله

مهمة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من تبليغ الرسالة قد تمت وبلغت المرام المقصود، وليس بعد ذلك إلا الموت.

(١)- **سؤال:** ما السر في قوله: «وتب» ولعل المعنىٰ قد فهم من قوله «تبت يدا أبي لهب»؟ وهل المراد بهذه الآية الإخبار أم إنشاء الدعاء؟

الجواب: قوله: «وتب» هو إخبار بأنه قد وقع عليه التباب والأول دعاء، فأول الآية دعاء وآخرها إخبار.

(٢)- **سؤال:** لعل هذا مبني علىٰ أن «امرأته» معطوف علىٰ فاعل «سيصلىٰ» فهل هو كذلك؟ وهل يصح عطفها علىٰ فاعل «تب» أم لا؟ وما إعراب «حمالة» علىٰ الفتح والرفع في القراءة الأخرىٰ؟ ومن أي ناحية نستفيد وصفها بحمل الحطب في الدنيا من الآية؟ وهل لجملة «في جيدها حبل..» محل من الإعراب فما هو؟ أم لا محل لها فما وجه قطعها وفصلها؟

الجواب: «وامرأته» معطوف علىٰ فاعل «يصلىٰ»، ولا ينبغي عطفها علىٰ فاعل «تب» لوجود ما يصلح العطف عليه بالقرب منه، و«حمالة» بالنصب صفة مقطوعة للذم أي: أذم حمالة الحطب وبالرفع صفة لامرأته، واستفيد حملها للحطب في الدنيا لأن الظاهر من وصفها بحمالة الحطب أنها صفة ثابتة لها في الدنيا وأنها معروفة بها ومذكورة بكثرة حمله بين أهل =

سبحانه وتعالىٰ لها عذاباً في جهنم، وجعل لها حبلاً في عنقها من نار تحمل علىٰ ظهرها حطباً من نار جهنم جزاءً علىٰ ما كانت تصنع من الأذية لرسول الله ﷺ بحمل الشوك علىٰ ظهرها لتضعه في طريقه ﷺ، ومعنىٰ «من مسد[1]»: من حبل مفتول.

۞۞۞۞۞

سورة الصمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾[2] أعلن يا محمد في الناس أن الله سبحانه وتعالىٰ واحد أحد لا شريك له في الإلهية والربوبية، وأنه الإله المقصود الذي تقصده الخلائق وتتوجه إليه في

بلدها. وجملة «في جيدها حبل» استئناف بيان، وقد يجوز أن تكون في محل نصب حال من «امرأته» وقد أعربوا «وامرأته..» مبتدأ وجملة «في جيدها حبل..» في محل رفع خبر المبتدأ.

(١)- **سؤال:** مم أخذت لفظة «مسد»؟

الجواب: المسد هو الفتل، يقال: مسد الحبلَ يمسده مسداً: إذا أجاد فتله، والمسد: ما مُسِدَ أي: فُتِل من جلودٍ أو ليفٍ أو خوصٍ أو حديدٍ فيقال له: مَسَدٌ.

(٢)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم سورة الصمد كاملة مع إعمال جملها لكان مناسباً؟

الجواب: «قل »: فعل أمر وفاعله ضمير مستتر، « هو » : ضمير الشأن مبتدأ، وجملة «الله أحد» مبتدأ وخبر وهي في محل رفع خبر «هو»، وجملة «الله الصمد» في محل رفع خبر ثانٍ لهو، وجملة «لم يلد» خبر ثالث لهو، و«لم يلد» في محل رفع معطوفة علىٰ جملة «لم يلد»، وجملة «ولم يكن له كفؤاً أحد» في محل رفع بالعطف أيضاً، و «لم »: حرف نفي وجزم وقلب، « يكن » : مضارع ناقص، « كفؤاً »: خبر يكن منصوب، و«له» متعلق بمحذوف حال من كفؤاً لتقدمه، و«أحد» اسم يكن.

سؤال: ما نوع اسمية الصمد؟ ومم اشتقت؟

الجواب: الصمد صفة مأخوذة من مصدر صمده إذا قصده، يصمد صمداً، من باب نصر.

عبادتها وحوائجها، وأنه ليس من جنس المخلوقات فلم يلد حتى يكون له ولد، ولم يولد حتى يكون له والد، وليس له كفو ولا مماثل في العظمة والجلالة وصفات الكمال تعالى الله عما يقول المشركون علواً كبيراً.

❁❁❁❁❁

سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ[1] فِي الْعُقَدِ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ[2] إِذَا حَسَدَ۝٥﴾ لذ بربك يا محمد واستجر به فهو القادر على حفظك وإجارتك، ومن لاذ به كفاه ومن استجار به أجاره فهو رب الفلق، **والفلق:** هو نور الفجر، وهو آية واضحة على عظيم قدرته، وأنه قادر على كل شيء وعلى حفظ من استجار به، وعلى كف شر كل ما خلقه الله

---

(١)- **سؤال:** هل يؤخذ من قوله: «النفاثات» أن النفث غير مشروع أم ماذا؟ وكيف نعمل بما روي من النفث في بعض أحاديث الرقية؟ وهل يمكن أن نستنبط من الآية أن للسحر تاثيراً بإذن الله وأنه واقع أم لا؟

الجواب: لا يؤخذ منها كراهة مطلق النفث، والذي يؤخذ منها كراهة النفث في العقد لعمل السحر، وعلى هذا فلا معارضة بين هذا وبين ما روي في بعض أحاديث الرقية؛ لأنه ليس من النفث في العقد المذكور هنا. ويؤخذ من الآية أن للسحر تأثيراً، فشر النفاثات في العقد هو الأذى والضر اللاحق بالمسحور من نفث النفاثات في العقد، وقد ذكرنا في جواب في سورة البقرة تفصيلاً أكثر مما هنا فليرجع إليه.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في نسبة الشر إلى ظلام الليل حين أضافه إليه بقوله: «ومن شر غاسق»؟ وما الوجه في تنكير «غاسق» وكذا «حاسد»؟

الجواب: نسبة الشر إلى الظلام قد كان لوقوعه فيه فالنسبة مجازية عقلية لا حقيقية، ووجه تنكير «غاسق» و«حاسد» هو أن الشر لا يأتي إلا في بعض قليل من الغاسق والحاسد ولا يأتي من كل غاسق وكل حاسد.

تعالىٰ، وعلىٰ حفظك يا محمد من شر ظلام الليل عند دخوله[١]، ومن شر السحرة والساحرات اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يسحرن، ومن شر الحاسدين إذا حسدوك.

۞۞۞۞۞

سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ[٢] وَالنَّاسِ ۝٦﴾ لُذْ يا محمد واستجر برب[٣] الناس المالك لهم المحيطة قدرته بهم الذي هو علىٰ كل شيء قدير ولا معبود لهم بحق سواه من شر الشيطان الذي يخنس بخفية إلىٰ صدور الناس فيوسوس لهم فيها بوساوسه الخبيثة، والوسواس صنفان: صنف من الجن الذي لا نراه ويرانا، وصنف من الناس[٤] وهم أشرارهم وشياطينهم.

---

(١)- **سؤال:** هل الوقوب مجرد الدخول أم له زيادة في المعنىٰ؟ وما العلاقة بين الدخول والوقوب حتىٰ صارت معناها؟

الجواب: له زيادة في المعنىٰ وهي أنه حلَّ وثبت، فمعنىٰ وقب: حلَّ وثبت، فالوقوب هو الدخول مع إفادة الثبوت والحلول.

(٢)- **سؤال:** ما نوع اسمية «الوسواس»؟ وبم تعلق الجار والمجرور في قوله «من الجنة»؟

الجواب: الوسواس كما قال الزمخشري: اسم مصدر والمصدر هو بكسر الواو. «من الجنة» متعلق بمحذوف حال من فاعل يوسوس.

(٣)- **سؤال:** إذا كان معنىٰ «رب الناس» مالكهم المنعم عليهم؛ فما الوجه في وصفه أيضاً بقوله: «ملك الناس»؟

الجواب: الوجه هو أن المشركين كانوا يسمون آلهتهم بالرب والإله فجيء بذلك لبيان اختصاص الله تعالىٰ واستحقاقه لتلك الأسماء.

(٤)- **سؤال:** يقال: وكيف يصح وصف المتمرد من الإنس بالخناس أو بأنه يخنس بخفية إلىٰ صدور الناس؟

=

صدق الله العلي العظيم

❁❁❁❁❁

كان الفراغ من صَفّ هذا التفسير عشية يوم السبت الحادي عشر من شهر شعبان سنة ألف وأربعمائة وستة وثلاثين في عشيشة ضواحي الجلة ذو صميم سفيان محل النزوح. علي محمد عبد الله عوض.





الجواب: تخنس الوسوسة من صدر المؤمن إذا ذكر الله واستعاذ به سواء أكانت من الجنة أم من الناس فالشيطان يخنس بوسوسته وشيطان الإنس يخنس الوسوسة أما هو فلا يدخل صدور الناس ولا يجري مجرى الدم منهم.

سؤال: هل يمكن أن نعرف شيئاً من الحكمة أو المناسبة في ختم ترتيب القرآن بهذه السورة أو بسورتي الاستعاذة مع القول بأن ترتيبه توقيفي؟

الجواب: من المحتمل هنا أن يكون السر –والله أعلم– أن قارئ القرآن كثيراً ما يتعرض للأذى من الفاجرين ومن الحاسدين والسحرة ومن الشياطين فاستدعى ذلك اللجوء إلى الله والاعتصام بحبله الوثيق ليدفع عنه كل ما يتوقع من ذلك وما قد وقع؛ لذلك وضعت المعوذتان في المكان المناسب الذي هو موضعهما من آخر القرآن.

الفهرس